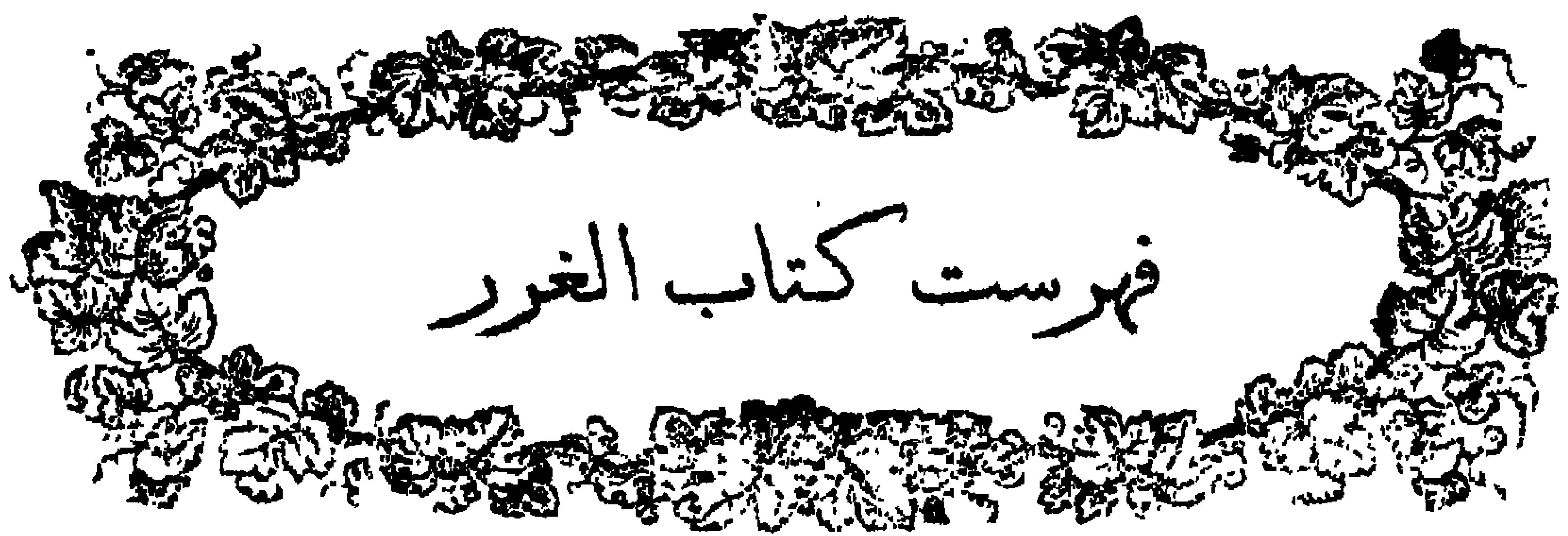

فهرست كتاب الغرر

﴿ فهرسة غرر الخصائص الواضحة وعرر النقائص الفاضحة ﴾

صحيفة

٤ مقدمة في حض الانسان على الدأب في طلب المعالى
٩ ﴿ الباب الاول في الكرم وفيه ثلاثة فصول ﴾
الفصل الاول من الباب الاول في وصف الاخلاق الحسان المتعلقة بها نفوس الاعيان
١٠ وصف أخلاق أهل الوفاق
عيون من مكارم الاخلاق الدالة على طيب الاعراق
١٤ جوامع مادح الاخلاق والشيم المتحلية بها ذوو الاصالة والكرم
١٥ الاسباب المانعة من السيادة سبعة
شرح ما ذكر من الامثال الواقعة في هذا المثال
١٦ الفصل الثانى من الباب الاول في ذكر الصنائع والمآثر المفصحة عن أحساب الاكابر
فن مآثر ذوى الكرم في الجار الذب عن النزيل وحفظ الجار
١٨ ومن صنيع من زكت في الكرم أرومه صون المضيم بنفسه من عدو يرومه
٢٢ ومن أحاسن فعلات الاشراف الاتصاف بالعدل والانصاف
٢٣ ومما اتفق على مدحه الاوائل والاواخر تواضع من حاز الفضائل والمفاخر
٢٥ ومما يدل على شرف الابوة الزام النفس بأنواع المروة
٢٦ الفصل الثالث من الباب الاول في ذم التحلق بالاحسان اذا لم يوافق القلب اللسان
٢٧ ومما يعاب من خلال الانسان أن يكون بديع مقال اللسان بعيد مجال الاحسان
٢٨ ومما يلحق بهذا ان عمل الرياء سالب عن صاحبه جلباب الحياء
٣٠ ﴿ الباب الثانى في اللؤم وفيه ثلاثة فصول ﴾
الفصل الاول من هذا الباب في ذم من ليس له خلاق وما اتصف به من الاخلاق
فن مساوى أخلاقهم الذميمة نقل الاقدام بالسعاية والنميمة
٣١ والنميمة والكذب رضيعا لبان وفي مشوار الدناءة فرسا رهان
٣٢ ومن مستقبح خلائق اللؤم الصراح اللسان البذى والوجه الوقاح
٣٣ جماع ما يتخلق به الانذال من الشيم والخلال
ومما اخترناه في غدر اللئام من درر الاهاجى والمذام
٣٥ الفصل الثانى من الباب الثانى في ذكر الفعل والصنيع الدالين على لؤم الوضيع
فن فعلات من خلع في اللؤم الرسن المكافأة بالقبيح عن الفعل الحسن
ومما يستغرب منه ويستعجب في هذا الباب ويستعذب
٣٦ ومما يدل على خبث نجار اللئيم الغدر بمن يركن اليه ويستنيم
٣٧ ومما ينزع لباس الحسب والصيانة زهول المرء في أطمار الخيانة
ومن الصنيع الدال على لؤم الاصول من كان بسيف جوره على العباد يصول
٣٩ ومن معايب من رغب عن المكارم القاء الحشمة في ارتكاب المحارم
٤١ ومن خلائق العريق في الوضاعة أخذ النفس بالتكبر والرقاعة
٤٣ الفصل الثالث من الباب الثانى في أن من تخلق باللؤم اتضع وعلا على الكرام وارتفع
٤٥ ذكر من نال المراتب السنية من ذوى الاعراق الدنية

صحيفة

[illegible] ومنهم كليب ثقيف الحجاج ذو الاراء في سفك الدماء واللجاج
[illegible] ومنهم ذو الاري الدفي والنفس الابية أبومسلم صاحب الدعوة العباسية
٤٩ [illegible]ق بهذا الفصل تسلي من حفضه الزمان من أهل الفضل بقلة
[illegible] كثرة اللئام وتقلب الاحوال على مدى الايام
٥١ ﴿الباب الثالث في العقل وفيه ثلاثة فصول﴾
الفصل الاول من هذا الباب في مدح العقل وفضله وشرف مكتسبه ونبله
٥٢ ما اخترناه من محاسن الكلم وأسماها في أن العقل أشرف المواهب وأسماها
٥٣ ما أثبتناه من الكلام الرائع الرائق فيما امتاز به العاقل من المائق
٥٤ شوارد مجموعة في احتياج ذوي العقل والحلم الى اكتساب فضيلتي الادب والعلم
٥٥ الفصل الثاني من الباب الثالث في ذكر الفعل الرشيد الدال على العقل المشيد
٥٧ فمن يعتمد عليه في المشورة من تكون النفس بآرائه مسرورة
٦٥ وأما ما قيل في التغاضي والاحتمال والكف عن جواب قبيح المقال
٦٧ الفصل الثالث من الباب الثالث في أن هفوات العقال لا يغضى عنها ولا تقال
ذكر من أرسل بهما من فيه فاصاب مقتله ولم يكد يخطيه
٦٩ وممن أسقط من العقلاء في كلامه فكان سببا موكدا للومه وايلامه
٧١ من استدرك هفوة لسانه من العقلاء وردة الاعتذار عنه ما نزل به من البلاء
٧٢ ﴿الباب الرابع في الحمق وفيه ثلاثة فصول﴾
الفصل الاول من هذا الباب في ذم الجهالة والجنون وما اشتملا عليه من الفنون
٧٣ فمن قولهم في ذم الحمق واظهار حافيه وانه داء عضال لا يمكن تلافيه
ومما اخترناه من حكم أولي التجارب في ذم التعرف بمن هو للنهى محارب
٧٤ ما يستدل به من دميم الخلائق على حافي حمق الاهوج والمائق
وممن شهر بالعقل النافر وعرف بالحمق الوافر
٧٦ طرف مما ذم به أهل الجهالة المتمسكون بعرى الغوايه والضلاله
٧٧ ومن صفات من عدم حلال النهى واعتراه في عقله احتلال ووهى
الفصل الثاني من الباب الرابع في ذكر النوادر الصادرة عن مجانين البادية والحاضرة
٧٨ ومن مشاهير مجانين الكوفة البهلول ذو العقل السقيم والذهن المفلول
٧٩ نبذ مما يجلب التسلي لقلب المحزون من الفكاهات المحكية عن عليان المجنون
طرف من لطائف أخبارهم الانيقة ونتف من لطائف نوادرهم الرشيقة
٨٢ الفصل الثالث من الباب الرابع في احتجاج الارب المتحامق على أن الحمق أزكى الخلائق
ما قيل في أن لذاذة العيش لا تحصل الا بالجهالة والطيش
٨٣ ومن أحاسن أقوالهم في أن العقل طريق الى العنا ويمنع صاحبه من الوصول للغنى
٨٥ ومما ذكر أن الحظ أجدى لصاحب الحجى وأهدى في طرق مآربه من نجوم الدجى
٨٧ ﴿الباب الخامس في الفصاحة وفيه ثلاثة فصول﴾
الفصل الاول من هذا الباب في أن الفصاحة والبيان أزين ما تحلت بهما الاعيان

صحيفة
ومما يتميز به نوع الانسان فصاحة المنطق وذلاقة اللسان
٨٨ ومما شرف به اللسان من خصائص الاحسان
ومما ينال به الخامل أعلى الرتب العلى بأنواع جواهر الادب
٨٩ ومما ذكر أن التحلي بالآداب يلحق الدنئ بذوي الاحساب
ذكر من دأب في طلب الادب فنال به أعلى المناصب والرتب
٩٠ ومن ممادح أهل هذه الصناعة الآخذين بأعنة الفصاحة والبراعة
٩١ الفصل الثاني من الباب الخامس فيما يتحلى به ألباب الادباء من بلاغة الكتاب والخطباء
٩٢ ملح من بدائع ألفاظ الكتاب الافاضل الحاذي حلال سحرها حرام سحر بابل
٩٣ فن موجز بلاغتهم ومعجز صياغتهم
٩٤ ولنذكر من كلام الخطباء ذوي البراعة واللسن ما كان ذا لفظ بديع ومعنى حسن بعد أن نورد في شرف الخطابة والخطباء كلاما يمتزج بالقلوب امتزاج الماء بالصهباء
٩٥ ولرسول الله صلى الله عليه وسلم الخطب التي حكمت فصاحتها بالعي لقس والفهاهة لسحبان الخ
٩٨ الفصل الثالث من الباب الخامس في أن معرفة حرفة الادب مانعة من ترقي أعلى الرتب
١٠٢ ﴿الباب السادس في العي وفيه ثلاثة فصول﴾
الفصل الاول من هذا الباب فيما ورد عن ذوي النباهة في ذم العي والفهاهة
١٠٣ فمما يشين حسان الصور العي في البيان والخبر
ومن علامات العي الواضحة وسمات اللكن الفاضحة
ومن عيوب اللسان المزيلة للاحسان المزرية بقدر الانسان الخ
١٠٥ وقد يكون البليغ عييا عند سؤال مطلوبه كالعاشق متى رام شكوى حاله لحبيبه
١٠٦ وأما ما يعتري العاشق المشوق من الافحام عند رؤية المعشوق الخ
ومما يشين البليغ بين أترابه عطل بيانه من حلي إعرابه
١٠٧ وهذه نبذة مستحسنة من التعريف بنوادرهم المستظرفة في التحريف
الفصل الثاني من الباب السادس في ذكر من قصر باع لسانه عن ترجمة جنانه
١٠٨ فمن ارتج عليه من خطباء المحافل وفرسان المنابر والمحافل الخ
١٠٩ وممن ارتج عليه من الائمة في محرابه وكان تركه الصلاة خوف الخجل أحرى به الخ
١١٠ وممن أخذ العي بعنان قلمه وظهر كلف التكلف في صفحات كلمه الخ
١١١ الفصل الثالث من الباب السادس في أن اللسن المكثار لا يأمن آفة الزلل والعثار
احتجاج من أمسك عن الكلام من غير خرس وخاف من الملام فحذر واحترس
١١٣ ومما له في هذا الموضع من النفوس حسن موقع حفظ الاسرار أن تدال على الا... والاذلال

صحيفة

١١٤ وأما المزاح وماورد فيه عمن أباحه ومن يجافيه الخ
١١٥ ﴿الباب السابع فى الذكاء وفيه ثلاثة فصول﴾
الفصل) الاول من هذا الباب فى مدح الفطن والاذهان المعظمة من قدر المهان
١١٨ من اخترع من الاوائل حكمة بثاقب فكره فكانت سببا للتنويه قدره وابقاء ذكره
١٢٢ ومن بديع فصاحة البلغاء وصنيع بلاغة الفصحاء فى وصف ذى الذهن الوقاد والطبع السليم المنقاد
١٢٣ الفصل الثانى من الباب السابع فى ذكر بداهة الاذكياء البديعة وأجوبتهم المفحمة السريعة
١٢٥ وممن رشق من الفهماء بسهام المقال فزبرها بمعارضة أحد من النصال الخ
١٢٧ وممن تهكم فى خطابه واعتمد الهزل فى جوابه الخ
١٢٨ وممن ليم على قبيح فعاله فسدده عنها الطافت مقاله الخ
١٢٩ الفصل الثالث من الباب السابع فيمن سبق بذكائه وفطنته الى ورود حياض منيته
١٣١ ومنهم من ارتقى بادعائه النبوة مرتقى صعبا فصير جسمه للطير مرعى وللهوام نهبا
١٣٣ ومنهم من ادعى أنه الامام المنتظر فصير عبرة لمن أمعن فى العواقب النظر
١٣٥ ﴿الباب الثامن فى التغفل وفيه ثلاثه فصول﴾
الفصل الاول من هذا الباب فى ذم البلادة والتغفل من ذوى التغالى والتنزل
١٣٦ وقد اخترت من مذام المتغفلين محاسن وراق درر اضمنتها أصداف هذه الاوراق
١٣٨ الفصل الثانى من الباب الثامن فيمن تأخرت منه المعرفة ونوادر أخبارهم المستظرفة
١٤٠ ذكر من أخطأ فى سؤال أو جواب وظن أن كلامه عين الصواب
١٤١ وممن تأخرت معرفته من الحكام وتقدم جهله فى القضايا والاحكام
١٤٢ ومن التغفل الواقع من الشعراء فى مدائح السادات والكبراء
١٤٣ ومن شوارد هذا النوع وافراده ما يفى بغرض المتأمل ومراده
١٤٥ الفصل الثالث من الباب الثامن فى أن أنواع التغفل والبله ستور على الاولياء مسبلة
فمنهم عليان الذى كان قالبه مع الخلق وقلبه مستغرقا فى اسرار الحق
وممن كانت نفسه من الشبهات مكفوفة بهلول المعدود من مجانين الكوفة
١٤٦ ومن مشاهير هذه الطائفة سعدون الطالب لله لا والراغب عن الدون
١٤٧ ﴿الباب التاسع فى السخاء وفيه ثلاثة فصول﴾
الفصل الاول من هذا الباب فى أن التبرع بالنائل من أشرف الخلال والشمائل
١٤٩ الحض على انتهاز فرصة الامكان فى اسداء المرجو من الاحسان لمن كان
١٥٠ احتجاج المتبجح بالمعروف على السائل المجهول والمعروف
١٥٢ ذكر الاجواد المعروفين ببذل الاموال والموصوفين باصلاح فساد الاحوال
١٥٨ وممن فاه ببديع مدحه اللسان من ذوى الانعام والاحسان

صحيفة

١٦٠ ومما ينبغي أن يكون لاحقا بما ذكرناه ومتمما للغرض الذى أردناه نوعان لهما فى هذا
الموضع لمن تأملهما أحسن موقع
النوع الاول فى ذم من أتبع الاحسان بالتعليل والامتنان
١٦١ النوع الثانى فى أن من تمام المعروف ترك المطل به وإعانة المستجدى على حصول
مطلبه
١٦٢ الفصل الثانى من الباب التاسع فى منح الاماجد الاجواد وملح الوافدين والقصاد
١٦٦ وممن أبرع من القصاد فى المدح وأجاد فاستحق به الصلة ممن سمع وجاد
١٧٠ المختار من غرر نوعي الكلام فى استنجاز ما تأخر من صلات الكرام
١٧٣ ذكر من تبجح بذكر المعروف الذى أسدى اليه واقر بعجز لسانه عن شكر المنعم
والثناء عليه
١٧٤ الفصل الثالث من الباب التاسع فى ذم السرف والتبذير اذ فعلهما من سوء التدبير
١٧٧ ما احتج به سراة الاشراف فى تحسين التبذير والاسراف
١٧٨ ﴿الباب العاشر فى البخل وفيه ثلاثة فصول﴾
الفصل الاول من هذا الباب فى ذم الامساك والشح وما فيهما من الشين والقبح
١٧٩ ما اخترت من محاسن كلام الفصحاء وتأنقهم فى ذم اللئام الاشحاء
١٨٣ الفصل الثانى من الباب العاشر فى ذكر نوادر المحلين من الاراذل والمبخلين
١٨٦ من صان درهمه ولم يسمح به للعطاء وكشف عنه اللوم ما أسبله الكرم من الغطاء
١٨٧ من كان بخله على الفقراء بطعامه معربا عن لؤمه وموجبا للامه
١٩٠ ومما يليق بهذا الفصل من التذييل ذكر من عرف بالطمع والتطفيل
١٩١ الفصل الثالث من الباب العاشر فى مدح القصد فى الانفاق خوف التعيير بالاملاق
١٩٢ ما قيل ان فى صلاح الأموال صلاح ما فسد من الاحوال
١٩٣ احتجاج من خدت يده عن النوال خوف التعيير بالفقر وذل السؤال
١٩٨ ﴿الباب الحادى عشر فى الشجاعة وفيه ثلاثة فصول﴾
الفصل الاول من هذا الباب فى مدح الشجاعة والبسالة وما فيهما من الرفعة والجلالة
٢٠٢ ومما يعد من شدائد شجعان الابطال رفض التوانى بالمناجزة ودفع المطال
٢٠٥ الفصل الثانى من الباب الحادى عشر فى ذكر ما وقع فى الحروب من شدائد
الازمات والكروب
الجمل
٢٠٧ صفين
٢٠٩ يوم كربلاء
٢١٢ يوم الحرة
٢١٣ وأحسن ما لحق بهذا الفصل وتلاه وصف عظم الجيش ومصارع قتلاه
وصف النزال والقتلى
٢١٦ الفصل الثالث من الباب الحادى عشر فى ذم التصدى للهلكة ممن لا يستطيع
ملكة

صحيفة

٢١٧ ومما يكون عمدة عند لقاء الابطال التفكر فى اعمال الاحتيال وان طال
٢١٨ ومما يجب مع التفكر على المحارب مشاورة النصحاء من أولى التجارب
٢٢٠ ﴿الباب الثانى عشر فى الجبن وفيه ثلاثة فصول﴾
الفصل الاول من هذا الباب فى أن خلق الجبن والفرار مما يشين بنى الاحرار
٢٢١ نتف من احتجاج الفرسان عند ملاقاة الاقران فى أن دروع الحذر تخرقها سهام القدر
٢٢٢ ذم من لزمه الضعف والجزع واستولى عليه الخوف والفزع
٢٢٤ الفصل الثانى من الباب الثانى عشر فى ذكر من جبن عند اللقاء خوف الموت ورجاء البقاء
٢٢٧ ومن نوادر أخبار الجبناء فى موطن الحروب والبلاء
٢٢٩ صفات من بذل ثباته بالاحجام وقيد بالفرق قدمه عند الاقدام
الفصل الثالث من الباب الثانى عشر فيمن ليم على الفرار والاحجام فاعتذر بما نفى عنه الملام
٢٣٢ ﴿الباب الثالث عشر فى العفو وفيه ثلاثة فصول﴾
الفصل الاول من هذا الباب فى مدح من اتصف بالعفو عن الذنب المتعمد والسهو
٢٣٤ من عرف العفو عند خطا الجانى وصار بالاناة عليه كالاب الحانى
٢٣٥ الفصل الثانى من الباب الثالث عشر فيمن حلم عند الاقتدار وقبل من المسئ الاعتذار
٢٣٦ ذكر من قدر من الصدور وعفا وأثلج الصدور بالمنة وشفى
٢٣٩ مكرمة لا نظير لها ولم يكتب المؤرخون مثلها
٢٤٢ ملح مكارم يغتبطها القلب والسمع لدلالتها على كرم النجار والطبع
ولنعقب هذا الفصل من لطيف الاعتذار ما تستعطف به القلوب بعد النفار
٢٤٥ الفصل الثالث من الباب الثالث عشر فى ذم العفو عمن أساء وانتهك حرمات الرؤساء
٢٤٦ احتجاج من جازى السيئة بمثلها ممن ملك عقد الامور وحلها
٢٤٧ نبذة من أدنى النقض والابرام فى ذم مكافأة اللئيم بالاكرام
٢٤٨ ﴿الباب الرابع عشر فى الانتقام وفيه ثلاثة فصول﴾
الفصل الاول من هذا الباب فى التشفى والانتقام ممن أحضر قسرا فى المقام
٢٤٩ ما اخترناه من كلام الحكماء وأقوال الكرام الاماجد فى ذم التشفى من العدو والمعاند
٢٥١ ومما ينتظم فى سلك هذا المقول مدح التراحم الراضى به أرباب العقول
الفصل الثانى من الباب الرابع عشر فى ذكر من ظفر فعاقب بأشد العقوبة ومن راقب

صحيفة

٢٦٠ من راقب في العقوبة رجاء الخلاص يوم الجزاء بالاعمال والقصاص

٢٦٣ الفصل الثالث من الباب الرابع عشر في ان الانتقام بحدود الله خير فلا تتعدى حكمه الله وولاه

٢٦٦ ما الدية فيه كاملة من جوارح الانسان وحواسه

ما تختص به المرأة دون الرجل

﴿الباب الخامس عشر في الاخوة وفيه ثلاثة فصول﴾

الفصل الاول من هذا الباب في مدح اتخاذ الاخوان فانهم العدد والاعوان

٢٦٩ فنون شروط الاخاء وحقوقه الواجبة على كل أحد لصديقه

٢٧٧ الفصل الثاني من الباب الخامس عشر فيما يدين به أهل المحبة من شرائع العوائد المستحبة

٢٨٧ الفصل الثالث من الباب الخامس عشر في ذم الثقيل والبغيض بما استحسن من النثر والقريض

٢٩٠ ﴿الباب السادس عشر في العزلة وفيه ثلاثة فصول﴾

الفصل الاول من هذا الباب في ذم الاستئناس بالناس لتلون الطباع وتنافي الاجناس

٢٩٤ الفصل الثاني من الباب السادس عشر فيما يحض على الاعتزال من ذميم الخلائق والخلال

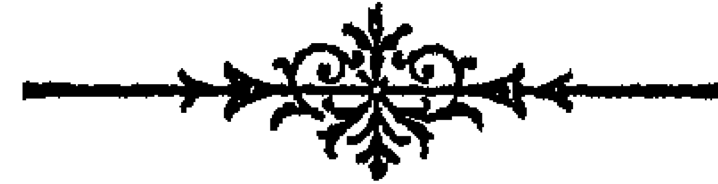
٣٠٣ الفصل الثالث من الباب السادس عشر فيما نختم به الكتاب من دعاء نرجو أن يسمع ويجاب

﴿تمت﴾

ما شاء الله كان



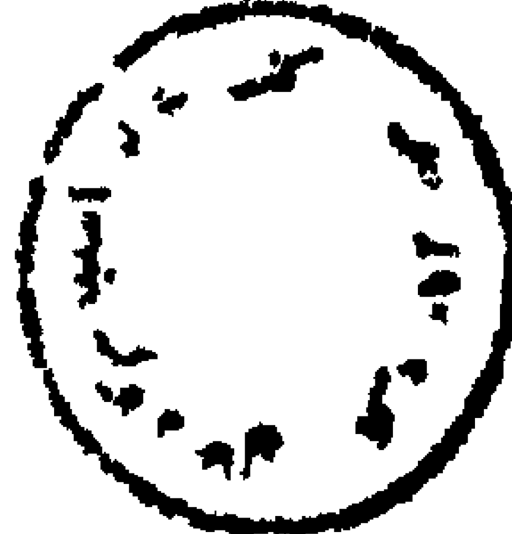
غرر الخصائص الواضحة وعرر النقائص الفاضحة للشيخ
الامام العلامة الاديب المتفنن أبي اسحق
برهان الدين ابراهيم بن يحيي بن علي
الكتبي المعروف بالوطواط
رحمه الله تعالى
آمين



﴿ وبهامشه الكتاب المسمى عين الادب والسياسة ﴾
وزين الحسب والرياسة لابي الحسن علي بن هذيل
رحمه الله تعالى



﴿ محل مبيعه بمكتبة ملتزمه ﴾
حضرة الشيخ محمد علي المليجي الكتبي قريبا من الجامع الازهر بمصر



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى جعل اللسان عنوان عقل الانسان وآلة تظهر سر الجنان بفصيح العبارة وصريح البيان وصلاته وسلامه على سيدنا محمد المجتبى من سرة عدنان المبعوث بجوامع الكلم الشاملة لأنواع البيان الباهرة بفصاحتها عقول ذوى الفطن والاذهان والمخصوص بمحاسن الشيم المتممة لمكارم الاخلاق ومزايا الاحسان والحائز فى حلبات الاصطفاء قصبات الرهان وعلى آله وصحبه فروع شجرته الباسقة الاغصان وفراقد سماء رسالته أعيان السادات وسادات الاعيان صلاة وسلاما دائمين ما دام طرف القلم منقادا بعنان البنان (وبعد) فانى لما رأيت تغاير معانى الاخلاق دالا على تباين مبانى الاعراق والنفوس تتفاوت فى ميلها الى أغراضها على حسب اختلاف جواهرها وأعراضها حدانى غرض اختلج فى سرى وأمل اعتلج فى صدرى على أن أجمع كلاما فى المحامد والمذام المتخلقة بها نفوس الخواص والعوام وأجعله كتابا يغنى اللبيب عن الخليل والنديم ويخبر بالحديث والقديم فشمرت عن ساق الجد وحسرت عن ساعد الكد وعمدت الى حسان الكتب المجموعة فى ضروب الادب فتصفحت مضمونها وتلمحت فنونها واستفتحت عيونها واستنتجت ابكارها وعونها (وجمعت فى هذا الكتاب) من زواهر أسداقها وجواهر أصدافها ملح فكاهات جلت عرائس المعانى فى حلل موشاة وأظهرت نفائس المحاسن فى أنواع من البراعة مغشاة وأزاهر بيان يغدو الملفظ بها غايات ويروح المتحفظ بها صاحب آيات وجعلته شاملا لما ابد شواردها ناهلا من الفضائل أعذب مواردها محتويا من احراز الالفاظ على درر منضودة تستفتح النواظر بلمحات سلكها ومن أسرار المعانى على سر مختومة تستروح الخواطر بنفحات مسكها

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى وهب لنا العقول والاذهان ومنحنا فصاحة اللسان وألهمنا التبيان وحضنا على التحلى بالحلى الادبية والتخلق بالمكارم العلية ورغبنا فى الاقتداء بالسنن السنية والاهتداء بالاقوال المرضية الزكية المتكفلة بالسعادة الدينية والدنيوية وأرشدنا الى الطريق الاسنى وأمرنا بالاحسان والافعال الحسنى ونهانا عن الاخلاق الدنيئة اللئيمة والافعال الرديئة الذميمة وأنعم علينا بالبلاغة والبيان فقال جل وعلا فى محكم القرآن يؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤتى الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا فبالبيان تستخرج الحقائق وتنمق الحكم والرقائق ويتوصل الى معرفة الخالق ويستعان على شرح العلوم ويتفنن فى الكلام المنثور والمنظوم وبمكارم الاخلاق يستدل على فضل الطبع وكرم النجر وطيب الاعراق وبالاستمساك بحبل المروءة والآداب تظهر نتيجة العقل وثمرة الالباب فهدانا سبحانه وما كنا لنهتدى لولا عونه وفضله ووفقنا ولم نكن نتوفق لولا امتنانه وطوله (نحمده) تعالى والحمد من احسانه الجسيم ونشكره والشكر من انعامه العميم (ونصلى) على سيدنا ومولانا محمد النبى الامى الكريم المخصوص

أحاديث لو صيغت لألهت بحسنها * عن الدر أو شمت لأغنت عن المسك

(وكسوته) من الاخبار بنزهة رفيعة وأبدعت فيما أودعت فيه من الفكاهات الرائقة البديعة من نوادر مطربات وأبيات مهذبات هي للاوراق شموس مشرقات ولآلئ أنوارها بارقات ألفاظها أرق من النسيم وأروق من التسنيم

(مفرد)

كما أزهرت روضات حسن وثمرت * فأضحت وبحم الطير فيها تغرد

(وجنبته) خرافات الاخبار ومطولات الاسمار لئلا تسأمه عند المطالعة النفوس ولئلا يكون ذكرها وضحا في غرر الطروس (وجعلته ستة عشر بابا) تسفر عن وجه الابداع نقابا وجعلتها متضادة لتضاد الاخلاق والشيم وتباين الاقدار والهمم (كل باب يشتمل على ثلاثة فصول) في ثلاثة معان تقلّ بلطائفها من أدهم الهم كل قلب عان وهذه الفصول قلائد أجناس فصلت بلآلئ أنواعها ومعاهد إيناس نصبت أشراك النفوس برباعها هي فصول لا تعرب عن حسان فنونها ومعانيها وتنبئ في وجه عجائبها وشانيها (ووضعت) في أبواب المحامد فصلا في مدائحها ليتنسم المتأمل عرف اليمن من نواحيها (واتبعته) فصلا ثانيا بما ذكر عن المتخلقين بها من أزهار خمائل الاخبار وأبكار عقائل الافكار الذائعة باختيارها درر الامثال السائرة الرائقة في اختيارها فهي عن غرر المعاني سافرة (وعززت) بثالث في ذم ما مدح من الاخلاق اسبب بطر أعليها اذا البدر بطرا عليه الخسوف والمحاق والشئ بالشئ يعرف فيذكر بعد أن كان يجهل وينكر فربما تجاذبت الاحاديث أذيالها فطلبت من المنمق أشكالها ولا غرو فالحديث كما يقال شجون وأحسنه ما جذل جده برقيق الهزل مقرون على أنني لم آل جهدا في اضافة كل شئ الى ما يشاكله ويلائمه ويضاهيه في المعنى ويساهمه مما يجري في هذا الاسلوب ولا يخرج عن المقصود والمطلوب (ورتبت) فصول أبواب المذام على العكس من أبواب المحامد والمآثر وأطلعت في دياجي مساويها من محاسن الملح الانجم الزواهر ترتيبا لا يرتاب في جودته أريب وتقريبا يؤمن به من كل ما يريب فأبوابه على اختلافها بائتلافها في الحسن نظائر وبعضها لبعض ضرائر ان ازدهى الحسن بابا منها بتقسيمه ووصفه تنفس الآخر عن حسن ترصيعه وطيب عرفه

(مفرد)

ضدان لما استجمعا حسنا * والضد يظهر حسنه الضد

وسددته جهدي رجاء أن يصيب صميم الآمال والاعراض وخوفا أن تصرفه النفوس عند النقد بما صدعنه والاعراض (ووسمته) بغرر الخصائص الواضحة وعرر النقائص الفاضحة اسم يكون لحلة أدبه طرازا معلما ولمكنون أسراره معلنا ومعلما اذ الكتاب لا يعلم ما في باطنه الا من سمة عنوانه كما أن الانسان يعلم ما في قلبه من لفتات وجهه وفلتات لسانه (وأنا راغب) لمن وقف على هذا الكتاب من سراة الاعيان والكتاب القاطفي أزهار الآداب من جنان الخواطر العاطفي نفار الالباب في عنان النوادر أن لا يفوق لهدف الاختبار سهم الاختيار وأن يحدق اليه بصر الاعتقاد عند الانتقاد فأي جواد لا يكبو وأي مهند لا ينبو ومع هذا فان لسان التقصير عن القيام بالعذر قصير والمصنف وان استمان في تنقيح ما ألف بما لك وعقيل معرض لطاعن وحاسد الا أن يتاح له عاذر ومقيل

(مفرد)

واني لأرجو أن يقيم أوده * من الناس حر شأنه الصفح والستر

في الانبياء بمزية التفضيل والتقديم المحفوف بالعصمة المؤيد بالحكمة الذي أوتي من البيان الحظ الاوفى والقسم الأفضل الاعلى فلا كلام يعدل بكلامه ولا بيان كبيانه في حكمه البالغة وأحكامه فبذ في فصاحة اللسان الناطقين وحاز في الفضل ومكارم الاخلاق قصب السابقين صلى الله عليه وعلى آله وعلى جميع النبيين والمرسلين كثيرا (وبعد) فان التأليف غير موقوف على زمان والتصنيف ليس بمقصور على أوان لكنها صناعة ربما قصرت فيها سوابق الافهام وسبيل ربما حادت عنها أقدام الاوهام (قال بعض الحكماء) لكل شئ صناعة وصناعة التأليف صناعة العقل (قال أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ) لولا تقييد العلماء ونقلهم آثار الاوائل في الصحف لبطل أول العلم وضاع آخره ولذلك قيل لا يزال الناس بخير ما بقي الاول حتى يتعلم الآخر (وقال أبو الحسن بن فارس) صاحب كتاب مجمل اللغة لو اقتصر الناس على كتب القدماء لضاع علم كثير ولذهب أدب غزير ولضلت أفهام ثاقبة ولكلت ألسنة لسنة ولمجت الاسماع كل مردد ولفظت القلوب كل مرجع (قال الشاعر)

اذا تحدثت في قوم لتؤنسهم * من الحديث بما يمضي وما يأتي

فلا تعد لحديث ان طبعهم * موكل بمعاداة المعادات

والذي عليه في التأليف المدار هو حسن الانتقاء والاختيار مع الترتيب والتبويب والتهذيب

(والله أسأل) أن يكسبه دلا معشقا يكون به لداء القلوب محظيا ويكسبه حسنا ورونقا حتى يكون بعيون العقول مرعيا وللافهام مرضيا وبه أستعين على سبيل الرشاد فيما نحوت فهو المعين بهدايته لتحقيق مارجوت (ولما انتهى) بناجواد فريحتنا الى غاية البيان عن المراد وحاز قصب السبق فى مضمار النطق بالسداد رأينا صوابا أن نعقبه بذكر مقدمة فى حض الانسان على الدأب فى طلب المعالى ليظفر بالحظ الاوفر من الشرف المتعالى تكون أساسا لما قصدنا فيه التحرير والتحبير من الكشف عن ماهية الاخلاق وحقيقة معانيها وكيفية صورها ومبانيها بقول شاف وتلخيص كاف وهو مما اخترناه من كلام الحكماء الاعلام أولى البصائر والاحلام (قالوا) الخلق عادة للنفس يفعلها الانسان بلا روية وهى نوعان جميل محمود وقبيح مذموم والاخلاق المحمودة وان كانت فى بعض الناس غريزة فان الباقين يمكن أن يصيروا اليها بالرياضة والالفة ويرتقوا اليها بالتدرب والعادة فانهم وان لم يكونوا على الخير مطبوعين صاروا به متطبعين والفرق بين الطبع والتطبع أن الطبع جاذب منفعل والتطبع مجذوب مفتعل تتفق نتائجهما مع التكلف ويفترق تأثيرهما مع الاسترسال وقد يكون فى الناس من لا يقبل طبعها لعادة الحسنة ولا الاخلاق الجميلة ونفسه مع ذلك تتشوف الى المنقبة وتتأفف من المثلبة لكن سلطان طبعه يأباه عليه واستعصاؤه مع تكلف ماندب اليه يختار العطل منها على التحلى ويستبدل الحزن على فواتها بالتسلى فلا ينفعه التأنيب ولا يردعه التأديب وسبب ذلك على ما قرره المتكلمون فى الاخلاق أن طبع المطبوع أملك للنفس التى هى محله لاستيطانه اياها وكثرة اعانته لها والادب طار على المحل غريب فيه قال الشاعر فى ذلك

اذا كان الطباع طباع سوء * فليس بنافع أدب الاديب

(وقال آخر)

ومن يبتدع ماليس من خيم نفسه * يدعه ويغلبه على النفس خيمها

وأما الذى يجمع الفضائل والرذائل فهو الذى تكون نفسه الناطقة متوسطة الحال بين اللؤم والكرم وقد تكتسب الاخلاق من معاشرة الاخلاء فان صلاحها من معاشرة الكرام وفسادها من مخالطة اللئام ورب طبع كريم أفسدته معاشرة الاشرار وطبع لئيم أصلحته مصاحبة الاخيار (وقد ورد) عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال يحشر المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل (وقال علىّ) رضى الله عنه لولده الحسن الاخ رقعة فى ثوبك فانظر بم ترقعه وقال بعض الحكماء فى وصية لولده يا بنى احذر مقارنة ذوى الطباع المرذولة لئلا يسرق طباعك من طباعهم وأنت لا تشعر ثم أنشد

واصحب الاخيار وارغب فيهم * رب من صاحبته مثل الجرب

فاذا كان الخليل كريم الاخلاق حسن السيرة طاهر السريرة فبه فى محاسن الشيم يقتدى وبنجم رشده فى طرق المكارم يهتدى واذا كان سيئ الاعمال خبيث الاقوال كان المغتبط به كذلك ومع ذلك فواجب على العاقل اللبيب والفطن الاريب أن يجهد نفسه حتى يحوز الكمال بتهذيب خلائقه ويكتسى حلل الجمال بدماثة شمائله وحميد طرائقه ويكدّ فى الهواجر ويسهر الليالى الى أن يرتقى شرفات المجد والمعالى فقد قيل من شمر عن ساق الجدّ وجد مفتاح الجدّ ومن كلام الثعالبى لا يحصل برد العيش لا بحر النصب ولله در الوزير أبى القاسم الحسين بن على المغربى حيث قال

سأعرض كل منزلة * يعرض دونها العطب

والتعريب (وقال بعض العلماء) اختيار الكلام أشد من نحت السلام (وقالوا) اختيار المرء وافد عقله ورائد فضله وفضيلة هذا التأليف هى فى جمع ما افترق مما تناسب واتسق واختيار عيون وترتيب فنون من أحاديث نبوية ومكارم أدبية وحكم باهرة وأبيات نادرة وامثال شاردة واخبار واردة ووصايا نافعة ومواعظ جامعة ومروآت سرية وسياسات سنية ومعان مستظرفة وحكايات مستطرفة وجميع ذلك مطرد بكل شعر جزل سهل برىء من الغزل والهزل (قال الشاعر)

للجد ما خلق الانسان فالتمسن * بالجد حقك لا باللهو واللعب
لا خير فى الهزل فاتركه بجملته * واهرب بعرضك منه غاية الهرب
ما يلبث الهزل ان يجنى لصاحبه * ذما ويذهب عنه بهجة الادب

وانما يذم ويكره من الكلام ما كان لغوا غير نافع وهزلا عن منهج الجد مانع (وأما) ما ينمه به غافل ويعلم به جاهل ويذكر به عاقل فذاك مما يحسن ويجمل ويرجح به عقل سامعه وينبل ويقرب ما بعد مأخذه عليه ويسهل ما صعب تناوله بالتنبيه والاشارة اليه اذ الشكل مضاف الى شكله والجنس الى جنسه ومثله أجعله ان شاء الله مختصرا جامعا وتصنيفا مفيدا نافعا تصغى اليه الافئدة والاسماع ولا تمله القلوب والطباع لان التطويل داع الى الملل وكثيرا ما يقع فيه الخطل والزلل وأقسمه على أربعة أقسام * القسم الاول فى نبذ من الاحاديث والحكم والامثال التى تقوى الشاهد بها ويعظم الاستدلال

فان اسلم رجعت وقد * ظفرت وأنجح الطلب
وان أعطب فلا عجب * لكل منية سبب

(وقال عمرو بن العاصي) المرء حيث يجعل نفسه ان رفعها ارتفعت وان وضعها اتضعت وقال الشاعر

وما المرء الاحيث يجعل نفسه * ففي صالح الاعمال نفسك فاجعل

وقال بعض الحكماء النفس عروف غروف ونفور ألوف متى ردعتها ارتدعت ومتى حملتها حملت وان أهملتها فسدت وقال الشاعر

صبرت على اللذات حتى تولت * وألزمت نفسي هجرها فاستمرت
وجرعتها المكروه حتى تجردت * ولو حملته جملة لاشمأزت
وما النفس الاحيث يجعلها الفتى * فان أطمعت تاقت والا تسلت
وكانت على الآمال نفسي عزيزة * فلما رأت عزمي على الترك ولت

(وقال آخر)

والنفس راغبة اذا رغبتها * واذا ترد الى قليل تقنع

(وقالوا) الفخر بالنفس والافعال لا بالاعمام والاخوال (وقالوا) الشرف بالهمم العالية لا بالرمم البالية (وقال عامر بن الطفيل)

واني وان كنت ابن فارس عامر * وفي السر منها والصريح المهذب
فما سودتني عامر عن وراثة * أبى الله أن أسمو بأم ولا أب
ولكنني أحمي حماها وأتقي * أذاها وأرمي من رماها بمقنب

(وقال أبو الطيب المتنبي)

لا بقومي شرفت بل شرفوا بي * وبجدي فخرت لا بجدودي

(وقالوا) كن عصاميا لا عظاميا ومعناه لا تفتخر بشرف آبائك ولكن بما يؤثر من أنبائك وعصام المشار اليه كان رجلا سوقة ثم صار حاجبا للنعمان بن المنذر فسئل عن سبب وصوله الى هذه المنزلة العالية والرتبة الحالية فقال

نفس عصام سودت عصاما * وعلمته الكر والاقداما * وصيرته ملكا هماما

(وقالوا) شرف الاعراق يحتاج الى شرف الاخلاق ولا حمد لمن شرف نسبه وسخف أدبه (يحكى في هذا) أن رجلا من بني هاشم تخطى رقاب الناس في مجلس أحمد بن أبي دواد فقال له أحمد يا بني الادب ميراث الاشراف ولست أرى عندك من سلفك ميراثا فاستحسن كلامه من حضر مجلسه (شاعر)

واذا افتخرت بأعظم مقبورة * فالناس بين مكذب ومصدق
فأقم لنفسك في انتسابك شاهدا * بحديث مجد للقديم محقق

(آخر)

اذا ما الحي عاش بذكر ميت * فذاك الميت حي وهو ميت
ومن يك بيته بيتا رفيعا * وهدمه فليس لذاك بيت

(ابن الرومي)

وما الحسب الموروث لا در دره * بمحتسب الا بآخر مكتسب
فلا تتكل الا على ما فعلته * ولا تحسبن المجد يورث بالنسب
وليس يسود المرء الا بنفسه * وان عد آباء كراما ذوي حسب

*القسم الثاني في السودد والمروءة ومكارم الاخلاق ومداراة الناس والتأدب معهم في حالتي الغنى والاملاق *القسم الثالث في طرف من الحكايات والآداب الصادرة عن أولي الالباب والاحساب *القسم الرابع في جمل من الوصايا والمواعظ الحسان العظيمة الفائدة والمنفعة لكل انسان (وفي كل ذلك) ما يحتاجه المتأدب العاقل ويحظى بمراعاته المبتدئ والمتدرب الفاضل فالناظر فيه يجالس صاحبا لا يمل بمجالسته ويحاضر منه مأمونا غيبا ومشهدا يمتعه بفوائده ومؤانسته واني أنسه به ولدي وفلذة كبدي لعل الله عز وجل يرشده به ويجذبه الى سبيل الخير بسببه اذ في جواز الغفلة على البشر ما دعا الى التنبيه والتذكير للفطن والنبيه (قال بعض العلماء) وفي حكم الحكماء وفي كلام الالباء العقلاء من أئمة السلف وصالحي الخلف الذين امتثلوا في أفعالهم وأقوالهم آداب التنزيل ومعاني سنن الرسول ونوادر العرب وامثالها واجوبتها ومقاطعها ومباديها وفصولها الى ما حووه من حكم العجم وسائر الامم وتقييد أخبارهم وحفظ أمثالهم وأشعارهم التي هي صوب ألبابهم وثمار آدابهم ما يبعث على امتثال طرقهم واحتذائها واتباع آثارهم واقتفائها (وفي) معرفة الامثال والتمثيل وفهمهما معادن من العلوم وينابيع من الحكم واستكشاف لاسرارهما وبلوغ الى حقائقهما (روي عن الشعبي) انه قال لو أن رجلا سافر من أقصى الشام الى أقصى اليمن ليسمع كلمة

اذا المرء لم يثمر وان كان شعبه * من المثمرات اعتده الناس فى الحطب

(وقال آخر يهجو رجلا شريفا)

من كان يعمر ما شادت أوائله * فأنت تهدم ما شادوا وما سمكوا

ما كان فى الحق أن تأتى فعالهم * وأنت تحوى من الميراث ما تركوا

(وقال آخر)

يزين الفتى أخلاقه ويشينه * وتذكر أخلاق الفتى وهو لا يدرى

وقال أبو تمام حبيب بن أوس الطائى

وانى رأيت الوسم فى خلق الفتى * هو الوسم لا ما كان فى الشعر والجلد

(وقال أبو الطيب مقتفيا أثره ومصدقا خبره)

وما الحسن فى وجه الفتى شرفا له * اذا لم يكن فى فعله والخلائق

وقال بعض من له فى الحكمة فصل المقال منبها على ما تدرك به رتبة الكمال الانسان التام من نزع عن نفسه ربقة المساوى والملازم وبذ بجده المساوى والمقاوم وهذا الحد قلما ينتهى اليه انسان واذا انتهى الانسان الى هذا كان بالملائكة أشبه منه بالناس لان الانسان مضروب بأنواع الشر مستول عليه وعلى طبعه ضروب النقص والكمال وان كان بعيد الاينال وانه ممكن وذلك ان الانسان اذا صرف عزيمته وأعطى الاجتهاد حقه كان ممكنا وهو أن يكون راغبا بجميع مناقبه وخصائصه متيقظا لصرف معايبه ونقائصه واردة طرائقه شرعة المكارم الصافية رافلة خلائقه فى أبراد المحامد الضافية مستعملا كل فضيلة مجتنبا كل رذيلة مجتهدا فى بلوغ القصوى وقمع النفوس عما تحب وتهوى عاشقا لصور الجمال مستلذا بمحاسن الخلال يرى الكمال دون محله والتمام أقل أوصافه ونله فقد قيل قبيح بذى العقل أن يكون بهيمة وقد أمكنه أن يكون انسانا أو انسانا وقد أمكنه أن يكون ملكا (قال المتنبى)

ولم أر فى عيوب الناس شيأ * كنقص القادرين على التمام

(وقال على بن مقلة)

واذا رأيت فتى بأعلى قمة * فى شامخ من عزة المترفع

قالت لى النفس العروف بفضلها * ما كان أولانى بهذا الموضع

(والمنهج القويم) الموصل الى الثناء الجميل أن يستعمل الانسان فكره وتمييزه فيما ينتج عن الاخلاق المحمودة والمذمومة منه ومن غيره ومن أخذ نفسه بما استحسن منها واستملح وصرفها عما استهجن منها واستقبح فقد قيل له كفاك تهذيبا وتأديبا لنفسك ترك ما كرهه الناس من غيرك (وقيل لعيسى عليه السلام) من أدبك قال ما أدبنى أحد رايت جهل الجاهل فجنبته

اذا أعجبتك خلال امرئ * فكنه تكن مثل من يعجبك

وليس على المجد والمكرمات * اذا جئتها حاجب يحجبك

(وقالوا) من نظر فى عيوب الناس فأنكرها ثم رضيها لنفسه فذلك الاحمق بعينه

لا تلم المرء على فعله * فأنت منسوب الى مثله

من ذم شيأ وأتى مثله * فانما دل على جهله

(وقال) الانسان يضارع الملك بقوة الفكر والتميز ويضارع البهيمة بقوة الشهوة والغذاء فمن صرف همته الى رتبة الفكر والتميز حتى يرى بهما عاقبة فعله فحقيق أن يلحق بالملائكة

واحدة ينتفع بها فيما يستقبل من عمره ما رأيت أن سفره قد ضاع (وقد جمعت) بعون الله عز وجل فى كتابى هذا من الكلام الذى يحصل الانتفاع به أنواعا جمة فى فنون مختلفة وضروب متفرقة ومعان مؤتلفة وحسبنا وكفى ما نقلت فيه من آيات التنزيل وكلام النبى المصطفى (وسميته) بعين الادب والسياسة وزين الحسب والرياسة والله تعالى الموفق لما فيه الرضا والنجاة لنا فى الآخرة والاولى وهذا حين ابتدائى بذكر الاقسام وتقييد الكلام بحول الله تعالى وقوته

(القسم الاول فى نبذ من الاحاديث والحكم والامثال التى يقوى الشاهد بها ويعظم الاستدلال)

اعلم أن كلام الحكماء أكثر من أن يدركه الاحصاء ويستوفيه الاستقصاء لكنى أوردت فى هذا القسم من الحكم المأثورة والامثال المشهورة والفقر المنظومة والمنثورة ما فيه مقنع وكفاية وان كنت لا أدرك من ذلك غاية ولا أبلغ الى نهاية (قال بعضهم) من تفرد بالعلم لم توحشه خلوه ومن تسلى بالكتب لم تفته سلوه وان هذه القلوب تمل كما تمل الابدان فابتغوا لها طرائف الحكمة والحكمة شجرة تنبت فى القلب وتثمر فى اللسان وهى موقظة للقلوب من سنة الغفلة ومنقذة للبصائر من سكرة الحيرة ومحيية لها من موت الجهالة ومستخرجة لها من ضيق الضلالة وقد أثنى الله سبحانه على الحكمة فقال ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا ووصف بها

فيسمى ملكا لطهارة أخلاقه ومن صرف همته الى رتبة القوة الشهوانية بايثار اللذة البدنية يأكل كما تأكل الانعام فتسبق أن يلحق بالبهائم فيصير اماغرا كثور أوشرها كخنزير أوضريا ككلب أوحقودا كجمل أومتكبرا كنمر أوروّاغا كثعلب أوجامعا لذلك كشيطان ولقد صدق من قال

وإذا الفتى ساس الامور بعلمه * وأعين بالتأديب والتهذيب
سمت الامور به فيبرز سابقا * فى كل حال مشهد ومغيب

(اللهم) كما خلقت الانسان بقدرتك فى أحسن تقويم وأعليته باختصاصك له ذروة التكريم وهديته بارادتك نجدى الخير والشر وصرفته بقضائك فى عنانى النفع والضر روّض اللهم جوامح نفوسنا الى اقتفاء أثر الاكارم واقتناء ما يبعث على حمدها من صنوف المكارم وذلل اللهم سوائم طباعنا عن مراتع الالوم ومرابع ما تتوجه به علينا الوم اللوائم فإليك الخذلان والعون وبيدك أزمة المكان والكون (وهذا) أوان الشروع فى كتاب هذا الكتاب عما أكننته من زهرات الآداب واهتصار أثمار فنونه الدانية اقطاف المتسقة بأنواع التحف والالطاف

﴿الباب الاول فى الكرم وفيه ثلاثة فصول﴾

الفصل الاول فى وصف الاخلاق الحسان المتخلقة بها نفوس الاعيان
الفصل الثانى فى ذكر الصنائع والمآثر المفصحة عن احساب الاكابر
الفصل الثالث فى ذم التخلق بالاحسان اذا لم يوافق القلب اللسان

﴿الباب الثانى فى اللؤم وفيه ثلاثة فصول﴾

الفصل الاول فى ذم من ليس له خلاق وما اتصف به من قبيح الاخلاق
الفصل الثانى فى ذكر الفعل والصنيع الدالين على لؤم الوضيع
الفصل الثالث فى أن من تخلق بالؤم انتفع علا على الكرام وارتفع

﴿الباب الثالث فى العقل وفيه ثلاثة فصول﴾

الفصل الاول فى مدح العقل وفضله وشرف مكتسبه ونبله
الفصل الثانى فى ذكر أنواع الفعل الرشيد الدال على العقل المشيد
الفصل الثالث فى أن هفوات العقل لا يغضى عنها ولا تقال

﴿الباب الرابع فى الحمق وفيه ثلاثة فصول﴾

الفصل الاول فى ذم الجهالة والجنون وما اشتملا عليه من الفنون
الفصل الثانى فى ذكر النوادر الصادرة عن مجانين البادية والحاضرة
الفصل الثالث فى احتياج الاريب المتحامق على أن الحمق أزكى الخلائق

﴿الباب الخامس فى الفصاحة وفيه ثلاثة فصول﴾

الفصل الاول فى أن الفصاحة والبيان أزين ما تحلت به الاعيان
الفصل الثانى فيما يتحلى به ألباب الأدباء من بلاغات الكتاب والخطباء
الفصل الثالث فى أن معرفة حرفة الادب ماذمة من ترقى أعالى الرتب

﴿الباب السادس فى العى وفيه ثلاثة فصول﴾

الفصل الاول فيما ورد عن ذوى النباهة فى ذم العى والفهاهة

لقمان عليه السلام فقال عز من قائل ولقد آتينا لقمان الحكمة الآية وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قلب ليس فيه من الحكمة شئ كبيت خراب ولا عامر له وقال عليه السلام الحكمة ضالة المؤمن حيثما وجدها قيدها ثم اتبع ضالة أخرى وقال لقمان ان القلب ليحيا بالكلمة من الحكمة كما تحيا الأرض بوابل المطر (وقال أبان بن سليم) كلمة حكمة من أخيك خير لك من مال يعطيك لان المال يطغيك والكلمة من الحكمة تهديك (وقال بعض السلف) القلوب تحتاج الى قوتها كما تحتاج الابدان الى قوتها من الغذاء (وقال بعض الحكماء) الحكمة حلية العقل وميزان العدل ولسان الايمان وعين البيان وروضة الارواح ومزاح الهموم عن النفوس وأنس المستوحش وأمن الخائف ومتجر الرابح وحظ الدنيا والآخرة وسلامة العاجل والآجل (وقال بعضهم) الحكمة نور الابصار وروضة الافكار ومطية الحلم وكفيل النجح وضمين الخير والرشد والداعية الى الصواب والسفير بين العقل والقلوب لم تندرس آثارها ولا تعفو ربوعها ولا يهلك امرؤ بعد علمه بها (قال أفلاطون) كما أن لهذه الدنيا شمسا يستضاء بها ويعرف بها الليل من النهار والاوقات والاشخاص والاجرام فكذلك للنفس نور تميز به بين الخير والشر وهو الحكمة فان الحكمة أشد ضياء من الشمس وان للنفس سقما وحياة وموتا فصحتها بالحكمة وسقمها الجهل وحياتها

بان تعرف خالقها وتتقرب اليه
بالبر وموتها أن تجهل خالقها
وتتباعد منه بالفجور (وقال
بقراط) من اتخذ الحكمة لجاما
اتخذه الناس اماما (قال بعض
الحكماء) صلاح استقام النفس
أفضل من صلاح استقام البدن
لفضل النفس على البدن لان
البدن آلة للنفس والنفس باقية
والبدن فان مضمحل ومصلحة
الباقى والعناية به وتعديله أفضل
من اصلاح الفانى ومع ذلك فان
اصلاح أنفسنا أسهل وأخف من
مؤنة اصلاح أبداننا لان صلاح
النفس انما هو بالحكمة واتباع
الآداب العقلية ولزوم العادة
الفاضلة المؤدية لمن تمسك بها الى
سبيل الفلاح وطرق النجاح
لابدواء مشروب ولا غير ذلك من
أصناف العلاجات التى لا تتهيأ
الا بالكلفة العظيمة فى البدن
والمال وانما هى نتائج العقول
والاذهان وفوائد التجارب فى
مرور العصور والازمان وأولاها
بالتقديم وأحقها بالتكريم
والتعظيم ماصدر عن النبى
المصطفى الكريم وكذلك أيضا
للامثال مواقع فى نفوس الانام
ولذلك ضرب الله سبحانه الامثال
فى كتابه الكريم (ويرتبط
الكلام فى هذا القسم فى عشرين
فصلا من المقال عشرة راجعة الى
بعض حروف المعانى المصدرة بها
الآداب والامثال وعشرة من
الاعداد التى تقوم للمستشهد بها
مقام الاحتفال والقصد فى ذلك
الاختصار وترك الاكثار ومن
الله تعالى نسأل الاعانة والتوفيق
والهداية الى سواء الطريق

﴿فصل ان﴾ فى الحديث الوارد

الفصل الثانى فيمن قصر باع لسانه عن ترجمة مافى جنانه
الفصل الثالث فى أن الالسن المكثار لا يأمن آفة الزلل والعثار

﴿الباب السابع فى الذكاء وفيه ثلاثة فصول﴾

الفصل الاول فى مدح الفطن والاذهان المعظمة من قدر المهان
الفصل الثانى فى ذكر البداهة البديعة والاجوبة المفحمة السريعة
الفصل الثالث فيمن سبق بذكائه وفطنته الى ورود حياض منيته

﴿الباب الثامن فى التغفل وفيه ثلاثة فصول﴾

الفصل الاول فى ذم البلادة والتغفل من ذوى التعالى والتنزل
الفصل الثانى فيمن تأخرت منه المعرفة ونوادر اخبارهم المستظرفة
الفصل الثالث فى أن أنواع التغفل والبله ستور على الاولياء مسبله

﴿الباب التاسع فى السخاء وفيه ثلاثة فصول﴾

الفصل الاول فى أن التبرع بالنائل من أشرف الخلال والشمائل
الفصل الثانى فى ذكر منح الاماجد الاجواد وملح الوافدين والقصاد
الفصل الثالث فى ذم السرف والتبذير اذ فعلهما من سوء التدبير

﴿الباب العاشر فى البخل وفيه ثلاثة فصول﴾

الفصل الاول فى ذم الامساك والشح ومافيهما من الشين والقبح
الفصل الثانى فيما استملح من نوادر المبخلين من الاراذل والمجلين
الفصل الثالث فى مدح القصد فى الانفاق خوف التعيير بالاملاق

﴿الباب الحادى عشر فى الشجاعة وفيه ثلاثة فصول﴾

الفصل الاول فى مدح الشجاعة والبسالة ومافيهما من الرفعة والجلالة
الفصل الثانى فى ذكر ماوقع فى الحروب من شدائد الازمات والكروب
الفصل الثالث فى ذم التصدى للهلكة ممن لا يطيق بها ملكة

﴿الباب الثانى عشر فى الجبن وفيه ثلاثة فصول﴾

الفصل الاول فى أن خلتى الجبن والفرار مما يشين بنى الاحرار
الفصل الثانى فيمن جبن عند اللقاء خوف الموت ورجاء البقاء
الفصل الثالث فيمن ليم على الفرار والاحجام فاعتذر بما ينفى عنه الملام

﴿الباب الثالث عشر فى العفو وفيه ثلاثة فصول﴾

الفصل الاول فى مدح من اتصف بالعفو عن الذنب المتعمد والسهو
الفصل الثانى فيمن حلم عند الاقتدار وقبل من المسىء الاعتذار
الفصل الثالث فى ذم العفو عمن أساء وانتهك حرمات الرؤساء

﴿الباب الرابع عشر فى الانتقام وفيه ثلاثة فصول﴾

الفصل الاول فى التشفى والانتقام ممن أحضر قسرا فى المقام
الفصل الثانى فى ذكر من ظفر فعاقب بأشد العقوبة ومن راقب
الفصل الثالث فى ان الانتقام لحدود الله خير فعلات من حكمه الله وولاه

﴿الباب الخامس عشر في الاخوة وفيه ثلاثة فصول﴾

الفصل الاول في مدح اتخاذ الاخوان فانهم اعدد والاعوان
الفصل الثاني فيما يدين به أهل المحبة من شرائع العوائد المستحبة
الفصل الثالث في ذم الثقيل والبغيض بما استحسن من النثر والقريض

﴿الباب السادس عشر في العزلة وفيه ثلاثة فصول﴾

الفصل الاول في ذم الاستئناس بالناس لتلون الطباع وتنافي الاجناس
الفصل الثاني فيما يحض على الوحدة والاعتزال من ذميم الخلائق والخلال
الفصل الثالث فيما يختم به هذا الكتاب من دعاء نرجو أن يسمع و يجاب

﴿الباب الاول في الكرم وفيه ثلاثة فصول﴾
﴿الفصل الاول من الباب الاول﴾
(في وصف الاخلاق الحسان المتخلقة بها نفوس الاعيان)

(قال الله تعالى) ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فاذا الذي بينك و بينه عداوة كأنه ولي حميم (وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم) ليس في الميزان شئ أثقل عند الله من الخلق الحسن وما حسن الله خلق رجل وخلقه فأدخله النار (وقال علي كرم الله وجهه) نعم الحسب الخلق الحسن (وقال الحسن البصري) سعة الاخلاق منحة من الله فاذا أراد الله بعبد خيرا منحه خلقا حسنا (وقال عليه الصلاة والسلام) من لانت كلمته وجبت محبته وحسنت أحدوثته وظمئت القلوب الى لقائه وتنافست في مودته (وقالوا) أحسن الشيم ما تشام منه بارقة الكرم (وأوصى حكيم ولده) فقال يا بني ان مكارم أخلاقك تدل على شرفك وطيب أعراقك (سمع) بعض الاعراب يقول لولده

أبني ان البر شئ هين * وجه طليق وكلام لين

وفي بعض الكتب القديمة الاخلاق الصالحة ثمرات العقول الراجحة (وقالوا) من حسنت أخلاقه درت أرزاقه (وقيل لبعض الادباء) متى يبلغ الرجل ذروة الكمال قال اذا اتقى من خالقه وجاد عارزقه واختار من القول أصدقه وحسن في كل الاحوال خلقه فذلك الذي أنهج الى الكمال طرقه (وقال) ان في التوراة يقول الله تعالى يا موسى ليكن وجهك بساما وكلامك لينا تكن أحب الى الناس والى ممن يعطيهم الذهب والفضة (وقال) ابن الرومي

له محيا جميل يستدل به * على جميل وللبطنان ظهران
وقل من أضمرت خيرا طويته * الا وفي وجهه للخير عنوان

(وما أصدق قول القائل)

وما اكتسب المحامد طالبوها * بمثل البشر والوجه الطليق

(وفي بعض الآثار المروية) عن ابن عباس أن موسى عليه السلام قال يا رب أمهلت فرعون أربعمائة سنة يكذب رسلك ويجحد آياتك فأوحى الله اليه انه كان حسن الخلق سهل الحجاب فأحببت أن أكافئه

﴿وعلى ذكر الحجاب وان لم يكن من الباب﴾

كانت العرب تقول ما شئ أضيع للمملكة وأهلك للرعية من شدة الحجاب للولي ولا أهيب للرعية والعمال من سهولة الحجاب لان الرعية اذا وثقت من الولاة بسهولة الحجاب أحجمت

عن النبي صلى الله عليه وسلم (ان) الحكمة تزيد الشريف شرفا (ان) من الشعر لحكمة وان من البيان لسحرا (ان) للقلوب صدأ كصدأ الحديد وجلاؤها الاستغفار (ان) الارواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف (ان) مكارم الاخلاق من أعمال أهل الجنة (ان) حسن العهد من الايمان (ان) أحساب أهل الدنيا هذا المال (ان) أحسن الحسن الخلق الحسن (ان) أشكر الناس لله أشكرهم للناس (ان) لكل دين خلقا وان خلق هذا الدين الحياء (ان) لكل ملك حمى وان حمى الله محارمه (ان) الله يحب الرفق في الامر كله (ان) الله يحب معالي الامور واشرافها ويكره سفسافها (ان) الله لا يرحم من عباده الا الرحماء (ان) الله عند لسان كل قائل (ان) موجبات المغفرة ادخال السرور على اخيك المؤمن (ان) من أشد الناس عذابا يوم القيامة من اتقاه الناس لشره (ان) الله أمرني بمداراة الناس كما أمرني باقامة الفرائض (ان) الله حي كريم يستحي أن عد العبد يده اليه فيردها خائبة (ان) لله عبادا يفزع الناس اليهم في حوائجهم أولئك الآمنون من عذاب الله (ان) من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه (ان) لله خزائن للخير والشر مفاتحها الرجال فطوبى لمن جعله الله مفتاحا للخير وويل لمن جعله الله مفتاحا للشر مغلاقا للخير (ان) التواضع لا يزيد العبد الا رفعة فتواضعوا يرفعكم الله وان العفو لا يزيد العبد

عن الظلم واذا وثقت بندة الحباب تهجمت على الظلم وركب القوى الضعيف فخير خلال الولاة سهولة الحجاب ﴿وصف أخلاق أهل الوفاق﴾ فلان خلقه كنسيم الاسحار على صفحات الانوار أخلاق قد جمعت الحرية اطرافها وفرشت المروأة أكنافها * أخلاق تجمع الاهواء المتفرقة على محبته وتؤلف الآراء المشتتة فى مودته * أخلاق هى المسك لولا فأرته والورد لولا امرارته والماء لولا اسراعه الى الكدر والروض لولا حاجته الى المطر قد جمع شرف الاخلاق الى طيب الاعراق

له خلق على الايام يصفو * كما رقت على الزمن العقار

(آخر) خلق يهول المكرمات سهوله * ونوعر الايام من أوعاره
ان لاح فهو الصبح فى أنواره * أو فاح فهو الروض فى نواره

(المتنبى) صفت مثل ما تصفو المدام خلاله * ورقت كما رق النسيم شمائله

(آخر) موفق لسبيل الرشد متبع * يزينه كل ما يأتى ويجتنب
تسمو اليه عيون كلما انفرجت * للناس وجهة الابواب والحجب
له خلائق بيض لا يغيرها * صرف الزمان كما لا يصدأ الذهب

﴿عيون من مكارم الاخلاق الدالة على طيب الاعراق﴾

(قال رسول الله صلى الله عليه وسلم) بعثت لاتمم مكارم الاخلاق وهو ما أوصاه به ربه عز وجل فى قوله خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين فلما امتثل أمر ربه وناطقه بشغاف قلبه أثنى على فعله بقوله تنويها بفضله الجسيم وانك لعلى خلق عظيم ولهذا قال عليه الصلاة والسلام ألا أدلكم على خير أخلاق أهل الدنيا من وصل من قطعه وعفا عمن ظلمه وأعطى من حرمه (وقال الحسين) بن مطير يفتخر

أحب مكارم الاخلاق جهدى * وأكره ان أعيب وان أعابا
وأصفح عن سباب الناس حلما * وشر الناس من يهوى السبابا
ومن هاب الرجال تهيبوه * ومن حقر الرجال فلن يهابا

(وقال الاحنف بن قيس) واسمه الضحاك وقيل صخر لبنيه ألا أدلكم على المحمدة الخلق السجيح والكف عن القبيح (وقال أكثم بن صيفى) لولده يا بنى ذللوا أخلاقكم للمطالب وقودوها على المحامد وعلموها المكارم ولا تقيموا على خلق تذمونه من غيركم وصلوا من رغب اليكم وتخلقوا بالجود يلبسكم المحبة ولا تعتقدوا البخل فتتعجلوا الفقر (وقيل) لخيمة بن رافع الدوسى من أكرم الناس قال من اذا قرب منح واذا بعد مدح واذا ظلم صفح واذا ضويق سمح (وقالوا) من الاخلاق التى تزين ولا تشين وتحض على المكرمات وتعين تيسرا بيسر وترك الكبر ونصر الحر وسلامة الصدر (وقال) جعفر بن محمد الصادق خير السادة أرحبهم ذراعا عند الضيق وأعدلهم حلما عند الغضب وأبسطهم وجها عند المسئلة وأرحمهم قلبا اذا سلط وأكثرهم صفحا اذا قدر (وقال عامر العدوانى) يا معشر عدوان الخير ألوف عروف وانه لن يفارق صاحبه حتى يفارقه وانى لم أكن سيدكم حتى تعبدت لكم (وقال) يزيد بن المهلب استكثروا من الحمد فان الذم قلما ينجو منه أحد ومن رغب فى المكارم صبر على المكاره واجتنب المحارم (ويقال) المكارم موصولة بالمكاره فمن أراد مكرمة فليحتمل مكروها (وقال أبو الشيص)

عشق المكارم فهو مشتغل بها * والمكرمات قليلة العشاق
وأقام سوقا للثناء ولم يكن * سوق الثناء تعد فى الاسواق
بث الصنائع فى البلاد فأصبحت * يجبى اليه مكارم الاخلاق

الاعزا فاعفوا يعزكم الله وان الصدقة لا تزيد المال الا كثرة فتصدقوا يغنكم الله (ان) الناس لم يعطوا شيأ أفضل من العفو والعافية فسلوهما الله (ان) الله حين خلق الخلق كتب بيده على نفسه رحمتى تغلب غضبى (ان) الله لا ينظر الى صوركم وأموالكم ولكن ينظر الى قلوبكم وأعمالكم (ان) لكل ساع غاية وغاية كل ساع الموت (ان) الله يحب الملحين فى الدعاء (ان) ذا الوجهين لا يكون عند الله وجيها (ان) الصبر يأتى العبد على قدر المصيبة (ان) الله يبغض الخصم الالد (ان) لله عند قوم نعما يقرها عليهم ما كانوا فى حوائج الناس فاذا ملوها نقلها من عندهم الى غيرهم (ان) العبد ليبدى من نفسه ما ستره الله حتى يمقته الله (ان) الرجل ليتكلم بالكلمة يرضى بها جلساءه يهوى بها فى نار جهنم (ان) من اجلال الله اكرام ذى الشيبة المسلم (ان) المؤمن اذا أنفق على أهله نفقة وهو يحتسبها كانت صدقة (ان) الله وملائكته وأهل السموات والارض حتى النملة فى جحرها وحتى الحوت ليصلون على معلم الناس الخير

﴿ومن الحكم المأثورة عن السلف وغيرهم﴾

(ان) حب الخير فعل وان عجزت عنه المقدرة (ان) الصواب فى الاسد لا الاشد (ان) امرأ ليس بينه وبين آدم أحد حى لمعرق فى الموت (ان) فى ذهاب الذاهبين لعبرة للقوم الغابرين (ان) للامور بغتات فكن منها على حذر (ان) ولاية المرء ثوبه فان قصر عنه عرى منه وان طال عليه عثر فيه (ان)

﴿وقال أبو الطيب المتنبي﴾

تلذله المروأة وهي تؤذي * ومن يعشق يلذله الغرام

(ولله در القائل)

الجد شهد لا يرى مشتاره * يجنيه الا من نقيع الحنظل
غل لحامله ويحسبه امرؤ * لم يوه عاتقه خفيف المحمل

(وقال علي بن الفضل)

لو قرب الدر على جلابه * ما نجح الغائص في طلابه
ولو أقام لازما أصدافه * لم تكن التيجان في حسابه
ما لؤلؤ البحر ولا مرجانه * الاوراء الهول من عبابه
من يعشق العلياء يلق عندها * ما لقى المحب من أحبابه

(وقال الشاعر)

دعيني أنل مالا ينال من العلا * فصعب العلا في الصعب والصعب في السهل
تريدين ادراك المعالي رخيصة * ولابد دون الشهد من ابر النحل

(وقال الاشعث بن قيس) واسمه معديكرب لقومه انما أنا رجل منكم ليس لي فضل عليكم ولكني أبسط لكم وجهي وأبذل لكم مالي وأحفظ حريمكم وأقضي حقوقكم وأعود مريضكم وأشيع جنائزكم فمن فعل مثل هذا فهو مثلي ومن زاد عليه فهو خير مني ومن قصر عنه فأنا خير منه قيل له وما هذا قال أحضكم على مكارم الاخلاق

﴿ومن روائع عادات السادات وشائع سادات العادات﴾

السخاء والنجدة والمروأة فالسخاء التبرع بالنائل قبل الحاف السائل والنجدة الذب عن الجار والاقدام عند الكريهة والمروأة حفظ الرجل دينه واحرازنفسه عن الدنس الى غير ذلك من الاخلاق الجميلة التي هي بالمدح كفيلة وسنذكر جملة منها فيما سيأتي (وقيل) أسباب السودد سبعة العقل والحلم والصيانة والصدق والعلم والسخاء وأداء الامانة وأضيف الى ذلك الصبر والتواضع والعفاف تلك عشرة كاملة هي لمحاسن الشيم شاملة (وقال) ابن عمر ما رأيت بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم في الصحابة أسود من معاوية فقيل له أهو خير من أبي بكر وعمر قال هما خير منه وهو أسود منهما لحلمه وجوده فانا معشر قريش نعد الحلم والجود السودد (ويحكى) أن رجلا رأى معاوية وهو صغير يلعب مع الصبيان فقال اني أظن هذا الغلام سيسود قومه قالت أمه هند ثكلته ان كان لا يسود الا قومه (وقيل) السيد من أورى ناره وحمى مضماره ومنع جاره وأدرك ثاره (وقال النبي صلى الله عليه وسلم) اضمنوا لي ستا أضمن لكم الجنة اصدقوا اذا حدثتم وأوفوا اذا وعدتم وأدوا الامانة اذا ائتمنتم واحفظوا فروجكم وغضوا أبصاركم وكفوا أيديكم (وذكر) أن عبد الملك بن مروان دخل على معاوية وعنده عمرو بن العاص فسلم ثم جلس فلم يلبث أن قام فقال معاوية ما أكمل مروأة هذا الفتى قال عمرو انه أخذ بأخلاق أربعة وترك أخلاقا أربعة أخذ بأحسن البشر اذا لقي وبأحسن الحديث اذا حدث وبأحسن الاستماع اذا حدث وبأيسر المؤنة اذا حولف وترك مزاح من لا يثق بعقله وترك مجالسة من لا يرجع الى دينه وترك مخالطة لئام الناس وترك من الكلام كل ما يعتذر منه (وقال هشام بن عبد الملك) لخالد بن صفوان بم بلغ فيكم الاحنف ما بلغ قال ان شئت أخبرتك بخلة واحدة وان شئت بخلتين وان شئت بثلاث قال فما الخلة قال كان أقوى الناس على نفسه قال وما الخلتان قال كان موقى الشر ملقى الخير قيل فما الثلاث قال كان لا يحسد ولا يبخل ولا يبغي (وقال رجل للاحنف) بم

من قضاء الحاجة تعجيل اليأس اذا أخطأك قضاؤها (ان) الطلب وان قل أعظم من الحاجة وان كثرت (ان) العدو الشديد الذي لا تقوى له لا ترد بأسه عنك بمثل الخضوع له (ان) قديم الحرمة وحديث التوبة يمحوان ما بينهما من الاساءة (ان) القدرة تصغر الامنية (ان) العلم عوض كل لذة ومغن عن كل شهوة (ان) من السياسة للراعي ان يجز غنمه جزا لا يذهب معه الصوف ولا تضييع له الغنم (ان) لك في مالك شريكين الحدثان والوارث فان استطعت أن لا تكون أخس الشركاء حظا فافعل (ان) أضعف الرأي ما سنح في البديهة (ان) أحق ما صبرت عليه ما لم تجد سبيلا الى دفعه (ان) المصيبة اذا نزلت انما هي واحدة فان جزع صاحبها كانت اثنتين (ان) من الدلالة على ان الانسان مصرف مغلوب ومدبر مربوب ان يتبلد رأيه في بعض الخطوب ويعمى عليه الصواب المطلوب (ان) لكل قوم كلبا فلا تكن كلب أصحابك (ان) الله عز وجل وسع أرزاق الحمقى ليعتبر العقلاء وليعلموا ان الدنيا لا ينال ما فيها بعقل ولا حيلة (ان) أشد الناس غما الذي نزل غيره في المكان الذي هو أحق به منه (ان) لكل فضل زكاة وان زكاة المال الصدقة على الفقير المحتاج وان زكاة القوة المدافعة عن الضعيف المظلوم وان زكاة البلاغة القيام بحجة من قد عجز عن حجته وان زكاة الجاه ان يعاد به على من لا جاه له وان زكاة العلم التعليم لمن قصر علمه (ان) أهل البيت اذا كثروا كان فيهم الغرر والعرر ان في صلاح مالك بقاء عزك ونقاء

سودك قومك وما أنت بأشرفهم بيتا ولا بأصبحهم وجها ولا بأحسنهم خلقا قال بخلاف ما فيك يا ابن أخي قال وما ذاك قال بتركي من أمرك ما لا يعنيني كما عناك من أمري ما لا يعنيك (وقال) عبد الملك لبنيه كلكم يترشح لهذا الامر ولن يصلح له الا من كان له سيف مسلول ومال مبذول ولسان معسول وعدل تطمئن اليه القلوب وأمن تستقر به في مضاجعها الجنوب (وقيل لقيس بن عاصم المنقري) بم سدت قومك قال ببذل القرى وترك المرا ونصرة المولى * وروى علي رضي الله عنه قال لما أتينا بسبايا طيئ كانت في النساء جارية هيفاء سمراء كحلاء لمياء خميصة الحصر هضيمة الكشح مصقولة المتن فلما رأيتها أعجبت بها فلما تكلمت أنسيتني جمالها ما رأيته من جمالها فكان من كلامها أن قالت يا محمد هلك الوالد وغاب الوافد فان رأيت ان تمن علي وتخلي عني ولا تشمت بي أحياء العرب فاني ابنة سيد قومها ان أبي كان يحمي الذمار ويفك العاني ويشبع الجائع ويكسو العاري ويفشي السلام ولا يرد طالب حاجة أبدا فقال عليه الصلاة والسلام من أبوها قالوا حاتم طيئ فقال عليه الصلاة والسلام لو كان أبوها مسلما لترحمنا عليه خلوا عنها فان أباها كان يحب مكارم الاخلاق ثم قال للمسلمين ما حازت أسنتم او حوته أعنتكم غير التهيئة والابضاع فلو فعلوا لفعلت فقالوا يا رسول الله أمرنا الامر لك تبع فاصنع ما بدا لك فقال أعلى أصحابي وأهلك أعدائي وأبدل الانصار بالمضاضة غضاضة وأطلقها رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرجت الى أخيها عدي وكان بدومة الجندل فقالت ائت هذا الرجل قبل أن تعلقك حبائله فاني رأيت هديا ورأيا ستغلب به أهل الغلب رأيت خصالا أعجبتني رأيته يحب الفقير ويفك الاسير ويرحم الصغير ويعرف حق الكبير وما رأيت احدا أجود منه ولا أكرم صلى الله عليه وسلم (وقال معاوية) لا ينبغي للملك ان يكون كذابا ولا حديدا ولا بخيلا ولا جبانا ولا حسودا فانه ان كان كذابا وعد بخير لم يرج أو أوعد بشر لم يخف وان كان حديدا مع القدرة هلكت الرعية وان كان بخيلا لم يناصحه أحد ولا تصلح الولاية الا بالمناصحة وان كان جبانا اجترأ عليه عدوه وضاعت ثغوره فذل وان كان حسودا لم يشرف احدا ولا يصلح الناس الا باشرافهم (ويقال) ليس للملك ان يغضب لان القدرة من وراء حاجته وليس له ان يكذب لان احدا لا يستر رده حديثا ولا احد يكرهه على ما يريد وليس له ان يكون حقودا لان خطره عظيم عن المجازاة (وقال) عبد الله بن طاهر لا ينبغي للملك ان نظلم وبه يستدفع الظلم ولا ان يعجل ومنه نلتمس الاناة ولا ان يبخل ومنه يتوقع الجود (وقالوا) ينبغي للملك ان يكون سخيا لا يبلغ التبذير وحافظا لا يبلغ البخل وشجاعا لا يبلغ التهور ومحترسا لا يبلغ الجبن وقائلا لا يبلغ الهذر وصموتا لا يبلغ العي وحليما لا يبلغ العجز (وقال) اسماء بن خارجة لا أشاتم احدا ولا ارد سائلا فانما هو كريم اسد خلته اولئيم استر عرضي منه * وروى البيهقي في كتابه شعب الايمان باسناده عن عائشة رضي الله عنها انها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مكارم الاخلاق عشرة تكون في الرجل ولا تكون في ابنه وتكون في الابن ولا تكون في ابيه وتكون في العبد لا تكون في سيده يقسمها الله لمن يشاء من عباده صدق الحديث وصدق البأس وأن لا يشبع وجاره وصاحبه جائعان واعطاء السائل والمواساة بالنائب والمكافأة بالصنائع وحفظ الامانة وصلة الرحم والتذمم للجار وقرى الضيف ورأسهن الحياء * ومن اخلاقهم صون الوجه بقناع الحياء وقبض اللسان عن اللجاج والمراء الحياء دليل الدين الصحيح وشاهد الفضل الصريح رسمه الصلاح الشامل وعنوان الفلاح الكامل من كان فيه نظم قلائد المجد ونسق وجمع من

هرمك (ان) من علامة المؤمن قوة في دين وحزما في لين وايمانا في يقين وحكما في علم وكيسا في رفق وعطاء في حق وقصدا في غنى وغنى في فاقة واحسانا في قدرة وطاعة في نصيحة وتورعا في رغبة وتعففا في جهد وصبرا في شدة (ان) الرجل ليكون أمينا فاذا رأى الضياع خان (ان) الوعظ الذي لا يمجه سمع ولا يعدله نفع ما يصمت عنه لسان القول وينطق به لسان الفعل (ان) النفس لامارة بالسوء فاذا جاء العزم من الله كانت هي التي تدعوك الى الخير (ان) الآمال قطعت أعناق الرجال كالسراب غر من رآه وأخلف من رجاه (ان) الركون الى الدنيا مع ما يعاين من الموت جهل وان التقصير في حسن الاعمال مع معرفة الثواب عليها عجز وان الطمأنينة الى كل أحد قبل الاختبار حمق (ان) بقاءك الى فناء فخذ من بقائك الذي لا يبقى لفنائك الذي لا يفنى (ان) الفاسق اذا كان حسن الخلق عاش بخلقه وخف على الناس وأحبوه وان العابد اذا كان سيئ الخلق ثقل على الناس وملوه (ان) المرء ان ينال ما يحب حتى يصبر على كثير مما يكره

﴿ومن الشعر في هذا الفصل قولهم﴾

ان الليالي للانام مناهل
تطوى وتبسط بينها الاعمار
فقصارهن مع الهموم طويلة
وطوالهن مع السرور قصار

﴿غيره﴾

ان الشدائد قد تغشى الكريم لان
تبين فضل سجاياه وتوضحه
كمبرد القين اذ يعلوا الحديد به
وليس مقصده الا ليصلحه

خلال الكمال ما افترق (قال) رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لكل شئ خلقا وخلق هذا الدين الحياء وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحياء من الايمان والايمان فى الجنة وقال الحياء لا يأتى الا بخير وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم استحيوا من الله حق الحياء قيل كيف ذلك يا رسول الله قال من حفظ الرأس وما وعى والبطن وما حوى وذكر الموت والبلا وترك زينة الحياة الدنيا وآثر الآخرة على الاولى فمن فعل ذلك فقد استحيا من الله حق الحياء * فالحياء اسم جامع يدخل فيه الحياء من الله تعالى لان ذمه فوق كل ذم ومدحه فوق كل مدح (وقال) يزيد بن على انى لاستحيى من الله تعالى ان أفضى اليه بشئ أخفيه من غيره والحياء من الناس يكون بكف الاذى وترك المجاهرة بالقبيح (ويروى) عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال من تقوى الله اتقاء الناس * وقيل هو ان يستحيى منهم فى سره كما يستحيى منهم فى جهره (وقيل) من المروأة ان لا تعمل شيأ فى السر يستحيا منه فى العلانية * وكان يقال أحيوا الحياء بمجالسة من يستحيا منه (وقال) النبى صلى الله عليه وسلم لابى عليك بالحياء والانفة فانك ان استحييت من الغضاضة اجتنبت الخساسة وأما استحياء الرجل من نفسه فهو أن لا يأتى فى الخلاء الا ما يأتى فى الملا * وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أشد حياء من العذراء فى خدرها وكان اذا كره شيأ عرفناه فى وجهه وكان عثمان بن عفان قد خص من الحياء بأجل السهام ومنح منه بأوفر الاقسام وشهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنه تستحيى منه الملائكة الكرام (قال) الامام مالك رضى الله عنه انه أول من ضرب الابنية فى السفر * وقالوا من لا يستحيى من نفسه فجدير أن لا يستحيى من غيره * وقالوا فى حده الحياء التوقى من فعل المساوى خوف الذم ويقال الحياء خوف المستحيى من تقصير يقع به من غير من هو أفضل منه (وقال عمرو بن بحر الجاحظ) الحياء لباس سابغ وحجاب واق وستر من العيب وأخو العفاف وحليف الدين ورقيب من العصمة وعين كالئة تذود عن الفحشاء وتنهى عن ارتكاب الارجاس وسبب الى كل جميل (وقالوا) من عفت أطرافه حسنت أوصافه (ويقال) لا ترض قول امرئ حتى ترضى فعله ولا ترض فعله حتى ترض عقله ولا ترض عقله حتى ترضى حياءه فان ابن آدم مجبول على أشياء من كرم ولؤم فاذا قوى الحياء قوى الكرم واذا ضعف الحياء قوى اللؤم (وقال) بشار ابن برد

وأعرض عن مطاعم قد أراها * فأتركها وفى بطنى انطواء
فلا وأبيك ما فى العيش خير * ولا الدنيا اذا ذهب الحياء

(وقال بعض الاعفاء)

ورب قبيحة ما حال بينى * وبين ركوبها الا الحياء
فكان هو الدواء لها ولكن * اذا ذهب الحياء فلا دواء

(وقالوا) لا يزال الوجه كريما ما دام حياؤه ولم يرق بالالحاح ماؤه * وقالوا حياة الوجه بحيائه كما أن حياة الغرس بمائه (وقال ابن المعتز) فى كتاب الادب من كساه الادب ثوبه ستر عن الناس عيبه * وقالوا فلان يتحدر من أسارير وجهه ماء الحياء وينير لا لاء غرته حنادس الظلماء (وقال) الفرزدق فى على بن الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنهم

يغضى حياء ويغضى من مهابته * فلا يكلم الا حين يبتسم

(ليلى الاخيلية فى توبة الحميرى)

ومخرق عنه القميص تخاله * وسط البيوت من الحياء سقيما
حتى اذا رفع اللثام رأيته * تحت اللواء على الخميس زعيما

(غيره)

ان المروءة ما علمـ
ـت لفى القناعة والخمول
تغدو وليس على يديـ
ـك يد تصول ولا تطول

(غيره)

ان للدهر صولة فاحذرنها
لا تبيتن قد أمنت الدهورا
قد يبيت الفتى صحيحا فيردى
ولقد بات آمنا مسرورا

(غيره)

ان الاهلة للشهور خناجر
بشفارها تتقرض الاعمار
فمباهجنى بعضنا بعضا بها
ومجيئها بذهابنا انذار

(غيره)

ان الحوائج ربما أزرى بها
عند الذى تقضى له تطويلها
فاذا ضمنت لصاحب لك حاجة
فاعلم بان تمامها تعجيلها

(غيره)

ان فى نيل المنى وشك الردى
وقياس القصد عند السرف
كسراج دهنه قوت له
فاذا غرقته فيه طفى

(غيره)

ان المعلم والطبيب كلاهما
لا ينصحان اذا هما لم يكرما
فاصبر لدائك ان جفوت طبيبه
واصبر لجهلك ان جفوت معلما

(غيره)

ان من عفت الكلاب عصاه
فى انتجاع الخيام والابواب
ثم ترى فكيف يمنع شيأ
فاتقوا الله يا ذوى الالباب

(غيره)

ان فى صحة الاخاء من النا
س وفى خلة الوفاء اقله
فالبس الناس ما استطعت على النقـ
ـص والالم تستقم لك خله

(ولابن المعتز) ويظل صباغ الحياء بخدّه * تعبا بصفر تارة و يورد
(وقال آخر) كريم وغض الطرف بعض صفاته * و يدنو وأطراف الرماح دوان

﴿جوامع ممادح الاخلاق والشيم المتحلية بها ذوو الاصالة والكرم﴾

(مدح اعرابي رجلا فقال) كان والله تعبا في المكارم غير ضال في طرقها ولا متشاغل بغيرها عنها * وقال آخر فلان لو وجد الكرم في يد غيره لعلم أنه ضالة له * ومدح أعرابي رجلا فقال كان والله صحيح النسب محكم الادب من أيّ أقطاره أتيته انثنى اليك بكرم فعال وحسن مقال وذكر أعرابي رجلا فقال كان الالسن والقلوب ريضت له فلا تنعقد الا على ودّه ولا تنطق الا بثنائه وحمده * وقالوا فلان من شجر لا يختلف ثمره ومن ماء لا يأتلف كدره (وسأل) يحيي بن خالد رجلا عن ابنه الفضل فقال تركته وماء الحياء يتحدر من أسارير وجهه وسيول الجود سائلة من فروج أنامله ولآلي العلم منثرة من مسارب منطقه * نظم هذه الكلمات ابراهيم بن هلال الصابي في أبيات يمدح بها الوزير المهلبي

له يد برعت جودا بنائلها * ومنطق دره في الطرس منتثر
فخاتم كامن في بطن راحته * وفي أناملها سحبان مستتر

(وقال زرعة بن سنان مادحا)

مآثره غر وأيامه زهر * وطلعته بدر وراحته بحر

وهذا غاية في التقسيم (وقال ديك الجن) يفتخر بمثل ذلك

ان العلا شيمي والبأس من نقمي * والمجد خلط دمي والصدق حشو فمي

(وقال النمر بن نوار مفتخرا)

لا يعلم اللامعات اللائحات ضحى * ماتحت كشحي ولا يعلمن أسراري
ولا أخون ابن عمي في حليلته * ولا البعيد نأى عني ولا جاري

(وقال آخر يفتخر بنفسه وكان ذميم الخلق أي قصيرا)

ألم تعلمي يا عمرك الله انني * كريم على حين الكرام قليل
اذا كنت في القوم الطوال فضلتهم * بعارفة حتى يقال طويل
فان لم يكن جسمي طويلا فانني * له بالفعال الصالحات وصول

(وقال ابن حبيب التميمي)

اذا ما رفيقي لم يكن خلف ناقتي * له مركب فضل فلا حملت رحلي
ولم يك من زادي له نصف مزودي * فلا كنت ذا زاد ولا كنت ذا رحل
شريكين فيما نحن فيه وقد أرى * علي له فضلا بما نال من فضلي

(آخر) وما أنا بالساعي بفضل زمامها * لتشرب ماء الحوض قبل الركائب
وما أنا بالطاوي حقيبة رحلها * لابعثها خفا وأترك صاحبي
اذا كنت ربا للقلوص فلا تدر * رفيقك يمشي خلفها غير راكب
أنخها وأردفه فان حملتكما * فذاك وان كان العقاب فعاقب

(وقال مالك بن نويرة الفزاري)

لا يبعد الله قوما ان سألتهم * أعطوا وان قلت يا قوم انصروا انصروا
وان أصابتهم نعماء سابغة * لم يبطروا وهوان فانتهم صبروا
والكاسرون عظاما لا جبار لها * والجابرون عظاما ليس تنكسر

(وقال مروان بن أبي حفصة يمدح آل معن بن زائدة من أبيات)

﴿غيره﴾

ان أخاك الصدق من لم يخدعك
وان رآك طالبا سعى معك
ومن يضر نفسه لينفعك
ومن اذا ريب الزمان صرعك
شتت شمل نفسه ليجمعك

﴿غيره﴾

ان الهدية حلوة
كالسحر تجتلب القلوبا
تدني البعيد من الهوى
حتى تصيره قريبا

﴿غيره﴾

ان مع اليوم فاعلمن غدا
فانظر بما يقتضي مجيء غده
ما ارتد طرف امرئ بلذته
الا وشيء يموت من جسده

﴿غيره﴾

ان المرآة لا ترى
لك خوش وجهك في صداها
وكذاك نفسك لا ترى
لك عيوب نفسك في هواها

﴿غيره﴾

ان الرشاد وان الغي في قرن
بكل ذلك يأتيك الجديدان
لا تأمنن وان أصبحت في حرم
ان المنايا بجنبي كل انسان

﴿غيره﴾

ان النساء كأشجار نبتن لنا
منها المرار وبعض المر مأكول
ان النساء متى ينهين عن خلق
فانه واجب لا بد مفعول

﴿غيره﴾

ان العدو وان أبدى مودته
اذا رأى فيك يوما فرصة وثبا

﴿غيره﴾

ان المقدم في حذق بصنعته
أنى تقدم فيها فهو محروم

﴿غيره﴾

ان الرياح اذا ما أعصفت قصفت
عيدان نجد ولم يعبأن بالرتم

هم القوم ان قالوا أصابوا وان دعوا * أجابوا وان أعطوا أطابوا وأجزلوا
ولا يستطيع الفاعلون فعالهم * ولو أحسنوا فى النائبات وأجملوا

﴿والاسباب المانعة من السيادة سبعة﴾

الحداثة والبخل والزنا والظلم والحمق والفقر والكذب واعتبرت هذه الاسباب فوجدتها قد نفرقت فى الاعيان الاماثل والسراة الافاضل (أما الحداثة) فقد ساد أبو جهل وما طر شاربه ودخل دار الندوة وما استوت لحيته (وأما البخل) فقد ساد أبو سفيان وكان أبخل من نار الحباحب وقيل من أبى حباحب (وأما الزنا) فقد ساد عامر بن الطفيل وكان أزنى من قرد (وأما الظلم) فقد ساد كليب بن وائل وكان أظلم من حية (وأما الحمق) فقد ساد عيينة بن حصن وكان أظلم من دغة (وأما الفقر) فقد ساد أبو طالب وعتبة بن ربيعة وكانا أفلس من ابن المذلق ولا يعرف فى العرب والعجم كذاب ساد قط الا المهلب بن أبى صفرة فانه كان أكذب من فاختة وكان اذا أخذ فى الحديث يقول أصحابه راح يكذب

﴿شرح ما ذكر من الامثال الواقعة فى هذا المثال﴾

(أما) سيادة أبى جهل ودخوله دار الندوة فكانت دار الندوة نادى سادات قريش لا يدخلها الا مسوّد (وأما) قولهم أبخل من أبى حباحب على أحد الروايتين فهو رجل من العرب كان لبخله يوقد نارا ضعيفة فاذا أبصرها مستضىء أطفأها وعلى الرواية الاخرى فهى النار التى تقدحها الخيل بحوافرها وتوصف بالبخل لقلتها وعدم الانتفاع بها (وأما) قولهم أزنى من قرد فهو قرد بن عمرو بن معاوية الهذلى وقيل هو الحيوان المعروف (وأما) قولهم أظلم من حية فلانها لا تتخذ لنفسها بيتا بل كل جحر أمته هرب أهله منه وتركوه لها (وأما) قولهم أحمق من دغة فانها مارية بنت مغنج وهو ربيعة بن عجل ومن حمقها أنها تزوّجت وهى صغيرة فى بنى العنبر بن تميم فحملت فلما أضربها المخاض ظنت أنها تريد الخلاء فبرزت الى بعض الغيطان فوضعت فاستهل الوليد فانصرفت الى الرحل تظن أنها أحدثت فقالت لضرتها يا هنتاه أيفغر الجعر فاه قالت نعم ويدعو أباه ثم مضت الضرة وأخذت الولد اليها وربته وبنوا العنبر يعيرون بذلك ويعرفون ببنى الجعراء (وأما) قولهم أفقر من ابن المذلق فهو رجل من بنى عبد شمس بن سعد بن زيد مناة لم يكن يجد بيتة ليلة وأبوه وأجداده يعرفون بالافلاس وفى أبيه يقول الشاعر

فانك ان ترجو تميما ونفعها * كراجى الندى والعرف عند المذالق

ويروى بالدال المهملة (وأما) قولهم أكذب من فاختة فلان حكاية صوتها هذا زمان الرطب تقول ذلك والطلع لم يطلع (قال بعضهم)

أكذب من فاختة * تصيح عند الكرب
والنخل غير مطلع * هذا أوان الرطب

(وقالوا) عشر خصال فى أناس أقبح منها فى غيرهم الفسق فى الملوك والكذب فى القضاة والخديعة فى العلماء والغضب فى الابرار والغدر فى الاشراف والسفه فى الشيوخ والمرض فى الاطباء والتهزى فى الفقراء والشح فى الاغنياء والفخر فى الاعزاء

﴿الفصل الثانى من الباب الاول
فى ذكر الصنائع والمآثر المفصحة عن أحساب الاكابر﴾

(قال خالد بن صفوان) كان الاحنف بن قيس يفر من الشرف والشرف يتبعه (لما) تولى عبد الله بن طاهر بن الحسين خراسان بعد موت أبيه من قبل الواثق دخل عليه عبد الله بن

﴿غيره﴾
ان الغصون اذا قومتها اعتدلت
وان تلين اذا قومتها الخشب

﴿غيره﴾
ان المسرة للساءة موعد
حقا ورهن للعشية أوغد

﴿غيره﴾
ان الطبيب بطبه ودوائه
لا يستطيع دفاع محذور راق

﴿غيره﴾
ان الليالى لم تحسن الى أحد
الا أساءت اليه بعد احسان

﴿غيره﴾
ان السماء اذا لم تبك مقلتها
لم تضحك الارض عن شئ من الزهر

﴿غيره﴾
ان التباعد لا يضر
اذا تقاربت القلوب

﴿غيره﴾
ان الكريم ليخفى عنك عسرته
حتى تراه غنيا وهو مجهود

﴿غيره﴾
ان الكريم اذا نابته نائبة
ألفيته وجميل الصبر فى قرن

﴿غيره﴾
ان الكرام اذا ما أسهلوا ذكروا
من كان يألفهم فى المنزل الخشن

﴿غيره﴾
ان السعيد له من غيره عظة
وفى التجارب تحكيم ومعتبر

﴿غيره﴾
ان المقام على الهوان مذلة
والعجز آفة حيلة المحتال

﴿غيره﴾
ان من أضعف الضعاف لدى الله
قوى يستضعف الضعفاء

﴿غيره﴾
ان العبيد اذا أذللتهم صلحوا
على الهوان وان أكرمتهم فسدوا

﴿غيره﴾

خليد بن سعد المعروف بأبي العميثل بقصيدة يمدحه فيها ويهنئه بالولاية فجاء منها قوله

يامن يؤمل أن تكون خصاله * كخصال عبد الله أنصت واسمع
أصدق وعف وبر وانصف واحتمل * واكفف وكاف ودار واحلم واشجع
والطف ولن واشتد وارفق واتئد * واحزم وجد وحام واحمل وادفع
فلقد نصحتك ان قبلت نصيحتي * وهديت للنهج الاسد المهيع

(آخر)

ان كنت ترغب في شأو الكرام فسر * في الناس بالفضل والدين الذي شرعوا
حافظ اذا غدروا واشجع اذا جبنوا * واحلم اذا جهلوا وابذل اذا منعوا

﴿فمن مآثر ذوي الكرم في الجار الذب عن النزيل وحفظ الجار﴾

كما قيل الكريم يرعى حق اللحظ ويتعهد حرمة اللفظ (وقالوا) وجه الكريم جنة وكنفه جنة * كان بعض الهاشميين اذا نزل به جار قال له يا هذا انك قد اخترتني جارا واخترت داري دارا فجناية يدك علي دونك فاحتكم علي حكم الصبي على أهله * وهذا مثل تضربه العرب في التزام ما يحكم به عليها وذلك أن الصبي اذا كان عزيزا في أهله حمله الدلال على طلب ما يستحيل وجوده ويصعب مرامه فهم أبدا يسعون في تحصيل أغراضه وآرابه ليظفروا برضاه ويقدموه على أترابه (وكان) حارثة بن مر يسمى مجير الجراد وذلك أنه نزل به رجل جراد فغدا أهل الحي اليه ليدفعوه عنهم فمنعهم منه وقال لهم ما تريدون منه قالوا نريد قتله فانه نزل بجوارك فقال أما اذ سميتموه جاري فوالله لا تصلون اليه أبدا وطردهم عنه (وكان) ثور بن شحمة العنبري يسمى مجير الطير فكانت الطير لا تصاد بارضه ولا تضار (وحكى) أن زيادا الاعجم وفد على المهلب فأكرمه وأنزله على ابنه حبيب فجلسا يوما يشربان في بستان فغنت حمامة على فنن فطرب لها زياد فقال له حبيب انها فاقدة الف كنت أراه معها فتال زياده وأشد لشوقها ثم أنشد

تغني أنت في ذممي وعهدي * وذمة والدي أن لا تضاري
وعشك أصلحيه ولا تخافي * على زغب مصغرة صغار
فانك كلما غنيت صوتا * ذكرت أحبتي وذكرت داري
فاما يقتلوك طلبت ثأرا * لانك يا حمامة في جواري

فضحك حبيب ثم قال يا غلام هلم القوس فجاء بها فنزع لها بسهم فأصابها فوقعت ميتة فنهض زياد مغضبا وقال أحقرت أبا بسطام ذمتي وقتلت جاري شكاه الى المهلب فغضب على حبيب وقال أما علمت أن جار أبي لبابة جاري وذمته ذمتي والله لالزمنك دية الحر وأخذ له من ماله ألف دينار فقال فيه من أبيات ذكر القصة فيها جاء منها قوله

فلله عينا من رأى كقضية * قضى لي بها شيخ العراق المهلب
قضى ألف دينار لجار أجرته * من الطير اذ يبكي شجاه ويندب

(ولما) ولي صالح بن علي مصر من قبل ابن أخيه أبي العباس السفاح خرج عليه رجاء بن روح بفلسطين مع عمه الحكم بن ضبعان وكان على شرطة مصر وأرسل اليهم أبا عون ومحمد ابن أشعث الخزاعي بعسكر فهزم الحكم وبلغ صالح بن علي أن رجاء بن روح دخل مصر واستجار بمحمد بن معاوية فأجاره فأرسل اليه فحضر فقال ألم أكرمك ألم أشرفك قال بلى قال فكان جزائي منك أن أجرت عدوي قال وما ذاك أيها الامير قال رجاء بن روح وابنه قال أصلح الله الامير اختر واحدة من اثنتين لي فيهما براءة اما أن أثلج صدرك بيمين أو ترسل رجلا

من

ان المنية والفراق لواحد
أو توأمان تراضعا بلبان

﴿فصل انما﴾

فمن الحديث الوارد عن النبي صلى الله عليه وسلم (انما) يعرف الفضل لاهل الفضل ذووا الفضل (انما) شفاء العي السؤال (انما) الاعمال بالنيات (انما) الاعمال بالخواتم (انما) بعثت لاتمم مكارم الاخلاق (انما) اهلك من كان قبلكم الدينار والدرهم وهما مهلكاكم (انما) جعل الامام ليأتم به فلا تختلفوا عليه (انما) أخشى عليكم شهوات الغي في بطونكم وفروجكم ومضلات الاهواء (انما) يرحم الله من عباده الرحماء (انما) يدرك الخير كله بالعقل ولا دين لمن لا عقل له

﴿ومن الحكمة المأثورة عن السلف وغيرهم﴾

(انما) لك من مالك ما أمضيته في حياتك (انما) هو درهمك وسيفك فازرع بهذا من شكرك واحصد بهذا من كفرك (انما) تأكل ما تشتهي والذي لا تشتهيه يأكلك (انما) يرضى بالدون من رضي بالدنيا (انما) يعز الذهب في معدنه (انما) الدنيا شرك فانظر أين تضع قدميك منها (انما) المرء لا يولد عالما وانما العلم بالتعلم (انما) الكيس الماهر من استسلم في قبضة القاهر (انما) الجزع والاشفاق قبل وقوع الامر فاذا وقع فالرضا والتسليم (انما) تطلب الدنيا للتملك فاذا ملكت فلتوهب (انما) يختبر ود الرجل عند الحاجة (انما) أباد القرون انقطاع الحركات والسكون (انما) السلطان سوق فما نفق عنده حمل اليه (انما) الناس رجلان شامت بنكبة أو

من ثقاتك يفتش منازلي قال وتحالف قال نعم فأحلفه بطلاق زوجته وعتق عبيده ومشيه الى مكة راجلا حافيا فحلف له ثم انصرف الى منزله وأعلم زوجته فاعتزلت عنه وقالت له لا تنقطع عني لئلا يشعر بك فلما عزل صالح عن مصر ورجع الى بغداد أظهر محمد بن معاوية طلاق زوجته وأعتق رقيقه ومشى الى مكة كما شرط عليه (ولما) كان يوم فتح مكة لجأ الحرث بن هشام الى منزل أم هانئ أخت علي بن أبي طالب رضي الله عنه مستجيرا بها فدخل عليها علي فخبرته الخبر فأخذ السيف ليقتله فقالت أم هانئ يا ابن أم قد أجرته فلم يلتفت الى قولها فوثبت فقبضت على يديه وقالت والله لا تقتله وقد أجرته فلم يقدر على أن يرفع قدمه عن الارض وجعل يتفلت منها فلا يقدر فدخل النبي صلى الله عليه وسلم اليها فقالت يا رسول الله ألا ترى اني أجرت فلانا فاراد علي أن يقتله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أجرنا من أجرت ولا تغضبي عليا فان الله يغضب لغضبه أطلقي عنه فاطلقت عنه فقال عليه الصلاة والسلام يا علي غلبتك امرأة فقال والله يا رسول الله ما قدرت أرفع قدمي من الارض فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لو أن طالبا ولد الناس كانوا شجعانا (ومن أحسن ما يحكى في هذا الباب) أهدر المهدي دم رجل كان يسعى في فساد دولته وجعل لمن يقتله أو يأتيه به مائة ألف درهم فاختفى الرجل زمانا ثم ظهر مستنكرا خائفا يترقب فبصر به رجل في بعض دروب بغداد فعرفه وأخذ بيده وقال بغية أمير المؤمنين فاجتمع الناس عليه وجهدوا على أن يطلقوه منه فلم يقدر وأغربه وهو في تلك الحالة معن بن زائدة فناداه يا أبا الوليد أجرني أجارك الله فوقف الرجل وقال للرجل الذي تعلق به ما شأنك قال بغية أمير المؤمنين الذي جعل لمن يقتله أو يأتيه به مائة ألف درهم فقال معن لبعض غلمانه انزل عن دابتك واحمله عليها وانطلق به الى منزلي فقال الرجل أتحول بيني وبين بغية أمير المؤمنين فقال معن اذهب الى أمير المؤمنين وأخبره أنه عندي فذهب الرجل وأوصل الخبر الى المهدي فبعث اليه من يحضره فركب معن وقال لمن خلفه من غلمانه في منزله لا يخلص الى هذا الرجل أحد وفيكم عين تطرف فلما دخل على المهدي سلم فلم يرد عليه السلام وقال له أتجير علي قال نعم قال ونعم أيضا فقال معن يا أمير المؤمنين لقد قتلت في طاعتكم باليمن في يوم واحد خمسة عشر ألفا في أيام كثيرة عرف فيها بلائي وعنائي فما رأيتموني أهلا لأن توهب لي رجل واحد استجار بي فأطرق المهدي مليا ثم رفع رأسه وقد سري عنه وقال لقد أجرنا من أجرت يا أبا الوليد فقال معن فان رأى أمير المؤمنين أن يصله فيكون قد أحياه وأغناه فقال قد أمرنا له بخمسين ألفا فقال يا أمير المؤمنين ان صلات الخلفاء تكون على قدر جنايات الرعية وان ذنب الرجل عظيم فأجزل له الصلة قال قد أمرنا له بمائة ألف درهم قال فعجلها له فان خير البر عاجله فعجلت فأخذها وانصرف بها الى الرجل ولم ير المهدي وجهه (والمثل المضروب) في هذا الباب جار بجار أبي داود وذلك أن أبا داود نزل بكعب بن مامة وكان كعب اذا جاوره رجل قام له بما يصلحه وأهله وحماه ممن يقصده وان هلك له شيء أخلفه عليه وان مات واراه التراب فجاوره أبو داود الايادي فتعلم منه فكان يفعل بجاره ما فعل كعب به فضرب به المثل ونسي كعب (قال) علي بن العباس بن جريج الرومي

هو المرء اما ماله فحلال * لعاف وأما جاره فحرام

(وقال شبيب بن البرصاء)

وجاراتنا ما دمن فينا عزيزة * كاروى ثبير لا يحل اصطيادها
يكون علينا نقضها وضمانها * وللجار ان كانت تريد ازديادها

حاسد لنعمة (انما) الولاية أنثى تصغر وتكبر بواليها ومطية تحسن وتقبح بمتطيها (انما) سمي الصديق صديقا لصدقه فيما يدعيه لك وانما سمي العدو عدوا لعدوه عليك اذا ظفر بك (انما) يستحق اسم الانسانية من حسن خلقه (انما) يحبك من لا يتملق لك ويثني عليك من لا يسمعك (انما) يختبر ذو البأس عند اللقاء وانما يختبر ذو الامانة عند الاخذ والعطاء وانما يختبر الاهل عند الفاقة وانما يختبر الاخوان عند النوائب

﴿ومن الشعر في هذا الفصل قولهم﴾

انما دنياك ساعه
فاجعل الساعة طاعه
واحذر التقصير فيها
واجتهد مقدار ساعه
واذا أحببت عزا
فالتمس عز القناعه

﴿آخر﴾

انما الدنيا هبات * وعوار مسترده
شدة بعد رخاء * ورخاء بعد شده

﴿آخر﴾

انما هذه الحياة متاع
فالظلوم الجهول من يصطفيها
ما مضى فات والمؤمل غيب
ولك الساعة التي أنت فيها

﴿آخر﴾

انما نعمة دنيا متعة
وحياة المرء ثوب مستعار
وصروف الدهر في اطباقه
خلقة فيها ارتفاع وانحدار
بينما الناس على عليائها
اذ هووا في هوة منها فغاروا

﴿آخر﴾

انما الناس منا
حسن خلق ومزاح

(وقال مروان بن أبي حفصة)

هم المانعون الجار حتى كأنما * لجارهم فوق السماء كين منزل

(ولآخر) الباذلون الندى والناس باخلة * والمانعون وحق الجار يحترم

﴿ومن صنيع من زكت في الكرم أرومه صون المضيم بنفسه من عدو يرومه﴾

(ورد) في بعض الآثار أن الله تعالى أوحى الى داود عليه السلام ياداود اسمع مني والحق أقول من لقيني بحسنة واحدة حكمته في رحمتي قال داود يارب وما تلك الحسنة قال من فرج عن مكروب كربته وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من فرج عن أخيه كربة من كرب الدنيا فرج الله عنه كربة من كرب الآخرة والله في عون العبد مادام العبد في عون أخيه (ويقال) من كفارات عظائم الذنوب اغاثة الملهوف والتنفيس عن المكروب (وقيل) أفضل المعروف اغاثة الملهوف (ومن أمثالهم) رب أخ لك لم تلده أمك (فمن) الاخبار في ذلك ماحكي أن حاتما الطائي مر بأرض غزة فناداه أسير يا أباسفانة أكلني القد والاسار والقمل فقال ما أنا بأرض قومي وقد أخطأت اذ نوهت باسمي ولا معي ما أفديك به ثم قال للذي هو في يده خل عنه سبيله واجعلني في القد مكانه ففعل وبعث الى قومه فأتوه بما فدى به نفسه (وذكر) ان بني كلب بن وبرة أغار وا على حي من احياء العرب فقتلوا منهم عشرة أنفس غيلة فاستعدوا عليهم وقالوا اما الثأر واما الديات فسألوهم المهلة في ذلك الى أجل فأجابوا فخرج بنو كلب يسألون قبائل العرب المعونة حتى قدموا أرض تميم فقروا ماءا ماء وحيا حيا فلم يجدوا أحدا يدفع عنهم ولا يعينهم وكانوا نوازها مائة نفس فمر وا بعطارد بن حاجب بن زرارة بن عدي فسألوه ذلك فقال قولوا شعرا وخذوها فلم يكن فيهم من يقول شعرا فتركوه ومضوا فأتوا على بني مجاشع فمر وا بواد قد امتلأ ابلا وبه صعصعة جد الفرزدق وهو بفناء ابل له فسألوه القرى فقال لكم البذل قبل القرى ما الذي جئتم فيه فأخبروه بأمرهم فأعطاهم عشر ديات ثم أنزلهم وأضافهم فقالوا أرشدك الله من سيد أرحتنا من طول التعب ولو عرفناك لقصدناك وصعصعة هذا أول من ترك وأد البنات وفداهن بماله وكفت العرب عن وأدهن من بعد (ومما) يمتزج بما ذكرناه امتزاج اللبن بالماء القراح ويتعلق به تعلق الانامل بالراح ماحكاه الجهشياري في كتاب الوزراء أنه لما تفرق الامر عن مروان بن محمد الجعدي طلب عبد الحميد بن يحيى كاتبه وكان صديقا لعبد الله بن المقفع ففاجأه الطالب وهما في بيت فقال الذين دخلوا عليهما أيكما عبد الحميد فقال كل واحد منهما أنا خوفا أن ينال صاحبه مكروه وخشي عبد الحميد أن يسرعوا الى ابن المقفع بما يكره فقال لهم تثبتوا فان في عبد الحميد علامات يعرف بها فارسلوا الى من أرسلكم من يستوصفها منه فأينا وجدتموها فيه فخذوه ففعلوا فوصف لهم عبد الحميد بعلامات اشتمل عليها بدنه فأخذ وحمل الى أبي العباس السفاح فولي عقوبته عبد الجبار بن عبد الرحمن فكان يحمي له طشتا ويضعه على رأسه فلم يزل يفعل به ذلك حتى مات وقيل غير ذلك وانا ذاكره فيما يأتي من هذا الكتاب ان شاء الله تعالى (وقريب من هذه الحكاية) ماحكاه صاحب الاستجاد قال لما أحرق جامع مصر ظن المسلمون أن النصارى أحرقوه فاحرقوا لهم خانا كانوا يبيعون فيه الزبت فقبض السلطان على جماعة من الذين أحرقوا الخان وكتب رقاعا فيها القتل وفيها القطع وفيها الجلد ونثرها عليهم فمن وقعت في يده رقعة فعل به مافيها فوقعت في حجر رجل رقعة فيها القتل فلما قرأها بكى وقال والله لولا أمي ماباليت فالتفت اليه شاب كان الى جانبه فقال له في رقعتي الجلد ولا أم لي فخذ رقعتي وادفع الى رقعتك فأبى عليه فاقسم أن لابد ففعلا فقتل هذا وجلد هذا (وحكى) الزبير

ابن

من فساد وصلاح

﴿آخر﴾

انما تعرف الصديق اذا ما
جئته من خلاف مايشتهيه

﴿آخر﴾

انما الجود أن تجود على من
هو للجود منك والبذل أهل

﴿فصل ان﴾

﴿فمن الحديث الوارد عن النبي صلى الله عليه وسلم﴾

(ان) أمر عليكم عبد حبشي مجدع فاسمعوا وأطيعوا ما قادكم بكتاب الله (ان) دعيتم الى كراع فاجيبوا (ان) يكن شيء مما تعالجون به شفاء ففي شرطة محجم أو شربة عسل أو لذعة من نار تصيب ألما (ان) أحببتم الله ورسوله فاصدقوا اذا حدثتم وأدوا الامانة اذا ائتمنتم وأحسنوا جوار نعم الله ومن جاوركم

﴿ومن الحكمة المأثورة عن السلف وغيرهم﴾

(ان) عجز مالك عن المساكين أودواؤك عن المريض أو حيلتك عن استخراج المسجون فلا تعجز عنهم رحمتك وعيادتك (ان) قصرت يداك عن المكافأة فليطل لسانك بالشكر (ان) شئت ان تعلم كيف صاحبك لك فانظر كيف كان لغيرك (ان) سفه عليك فاحلم (ان) قارضت الناس قارضوك وان تركتهم لم يتركوك (ان) شوورت فانصح وان عدي عليك فاصفح (ان) أردت ان تصل الى ذروة المجد فعليك بحفظ العهد (ان) سكت الجاهل يكن عالما (ان) لم تمت لم تفت (ان) كان في الكلام بلاغة فان في الصمت عافية (ان) لم يساعدنا

ابن بكار في كتابه الذي سماه الموفقيات قال استشهد باليرموك الحرث بن هشام وعكرمة بن ابي جهل وسهيل بن عمرو فأتوا بماء وهم صرعى وفيهم رمق فتدافعوه كلما دفع الى رجل منهم قال أسق فلانا حتى ماتوا ولم يشربوه (مسلم بن الوليد) يمدح من هذه خلقه

يجود بالنفس ان ضنّ الجواد بها * والجود بالنفس أقصى غاية الجود

(وقال عمارة بن حمزة)

ينسى مضرته لنفع صديقه * لاخير في شرف اذا لم ينفع

(البحترى) يخونك ذوا القربى مرارا وربما * وفى لك عند العهد من لا تناسبه

وحسب الفتى من نصحه ووفائه * تمنيه أن يؤذى ويسلم صاحبه

(آخر) قوم اذا حالفتهم * لم تخش نائبة الصروف

واذا وصلت بحبلهم * حبلا أمنت من المخوف

(وقال) أبو نواس الحسن بن هانئ الحكمي يمدح الامين بحسن العهد والتذمم

أخذت بحبل من حبال محمد * أمنت به من طارق الحدثان

تغطيت من دهري بفضل جناحه * فعيني ترى دهري وليس يراني

فلو تسأل الايام عني لما درت * وأين مكاني ما عرفن مكاني

﴿ومن أمتن أسباب الحسب والديانة وفاء العهد وأداء الامانة﴾

(قالوا) الوفاء أفضل شمائل العبد وأوضح دلائل المجد وأقوى أسباب الاخلاص في الود وأحق الافعال بالشكر والحمد (وقالوا) الوفاء أتم حميد الخلال ومنتهى غاية الكمال تمس الحاجة اليه وتجب المحافظة عليه ولقد صار رسما دارسا وحلة لا تجد لها لابسا ومنقبة قل أن تجد فيها مستأنسا ولله در من قال

وصادق الود صادق الخبر * مغرى برعي العهود مصطبر

هذا الذي لا أزال أسمعه * وماله في الزمان من أثر

لو أن كفي بمثله ظفرت * قاسمته في المتاع والعمر

(وقالوا) من صحب الناس بلسان صادق وعاملهم بحسن الخلائق وألزم نفسه رعي العهود والمواثق فقد أرضى المخلوق والخالق (ويقال) بالوفاء تملك القلوب وتستدام الالفة بين المحب والمحبوب (وقالوا) من تحلى بالوفاء وتخلى عن الجفاء فذلك من اخوان الصفاء ولقد أحسن من قال

اذا أنت محضت المودة صافيا * ولم ترعن وصل الصديق مجافيا

ووفيت بالعهد الذي خانه الورى * ولم أر مخلوقا على العهد باقيا

فقد حزت أسباب المكارم كلها * وجددت للعليا رسوما عوافيا

(وقالوا) الوفاء ضالة كثير ناشدها قليل واجدها كما قيل الوفاء من شيم الكرام والغدر من خلائق اللئام (وقالوا) اذا ترك الوفاء نزل البلاء (ويقال) من أودع الوفاء صدور الرجال ملك أعناقهم (ومن أمثالهم) في ذلك أوفى من السموأل وهو السموأل بن عادياء بن حياء اليهودي صاحب قصر تيماء المسمى بالابلق الفرد (ومن خبره) أن امرأ القيس كان قاصدا للشأم فاودع السموأل أدراعه وكراعه فمات امرؤ القيس بأنقرة فقصد السموأل بعض ملوك غسان يطلب منه ما كان أودعه امرؤ القيس عنده فأبى أن يسلمه له فقال ان لم تسلمه ذبحت ولدك وكان قد أسره عند نزوله على القصر فقال أجلني الليلة ثم جمع أهله واستشارهم فكل أشار بأن يدفع اليه ما طلبه منه فلما أصبح قال له ليس الى دفعها سبيل فافعل ما بدا لك

القضاء ساعدناه (ان) يكن الشغل مجهدة فان الفراغ مفسدة (ان) لم تصلح على تقدير الله عز وجل لم تصلح على تقديرك لنفسك (ان) أحببت ان تطاع فلا تحمل مالا يستطاع (ان) شئت ان تكون غنيا وتعيش هنيا مرضيا فاقتن العلم

﴿ومن الشعر في هذا الفصل قولهم﴾

ان شئت ان تفوز بمطلوب الكرام غدا
فاسلك من العمل المرضي منهاجا

واغلب هوى النفس لا يغررك خادعه
فكل شئ يحط النفس منهاجا

﴿غيره﴾

ان خانك الدهر فكن عائذا
بالبيد والظلماء والعيس

ولا تكن عبد المنى انه
رؤس أموال المفاليس

﴿غيره﴾

ان يحسدوني فاني لا ألومهم
قبلي من الناس أهل الفضل قد حسدوا

فدام لي ولهم ما بي وما بهم
ومات أكثرنا غما بما يجد

﴿غيره﴾

ان تأدبت يابني صغيرا
كنت يوما تعد في الكبراء

واذا ما أضعت نفسك ألفيت كبيرا في زمرة الغوغاء

ليس عطف القضيب ان كان رطبا
واذا كان يابسا بسواء

﴿غيره﴾

ان كنت متخذا خليلا
فتنق وانتقد الخليلا

من لم يكن لك منصفا
في الود فابغ به بديلا

وعليك نفسك فارعها
واكسب لها خلقا جميلا

﴿غيره﴾

ان كان مقصدك الكمال فلا تكن
أبدا بما تلتذه متهمما
وانصب لاحصاء العلوم ورعيها
تنل السعادة والمفاز الاعظما
فأبوك آدم قبل آثر شهوة
فاذا بها قد جرعته العلقما

﴿غيره﴾

ان كان لا يغنيك ما يكفيكا
فكل ما فى الارض لا يغنيكا

﴿غيره﴾

ان شئت أن يسود ظنك كله
فاجله فى هذا السواد الاعظم

﴿غيره﴾

ان أردتم حوائجا من أناس
فتقفوا لها الوجوه الصباحا

﴿غيره﴾

ان تحلى الفتى بما ليس فيه
فضح الامتحان ما يدعيه

﴿فصل ما﴾

﴿فى الحديث الوارد عن النبى صلى الله عليه وسلم﴾

(ما) نزعت الرحمة الامن شقى (ما) رزق العبد رزقا أوسع عليه من الصبر (ما) نقص مال من صدقة (ما) عفا الرجل عن مظلمة الازاده الله بها عزا (ما) هلك امرؤ عرف قدره (ما) نحل والد ولدا أفضل من أدب حسن (ما) كان الرفق فى شئ قط الازانه وما كان الخرق فى شئ قط الاشانه (ما) زان الله عبدا بزينة أفضل من عفاف فى دينه وفرجه (ما) عظمت نعمة الله على عبد الا عظمت مؤنة الناس عليه (ما) من عبد الاوله صيت فى السماء فاذا كان صيته فى السماء حسنا وضع له فى الارض واذا كان صيته

فذبح الملك ولده ورحل عنه ثم ان السموأل وافى الموسم بالادراع فدفعها لورثة امرئ القيس (وفيه) يقول الاعشى يخاطب شريح بن السموأل بن عادياء وقيل شريح بن حصن بن السموأل وقيل شريح بن عمران بن السموأل من أبيات

كن كالسموأل اذ طاف الهمام به * فى جحفل كسواد الليل جرار
بالابلق الفرد من تيماء منزله * حصن حصين وجار غير غدار
فسامه خطتى خسف فقال له * قل ما بدالك انى مانع جارى
فقال ثكل وغدر أنت بينهما * فاختر وما فيهما حظ لمختار
فشك غير طويل ثم قال له * اقتل اسيرك انى مانع جارى
فقال تقدمة اذ رام يقتله * اشرف سموأل فانظر فى الدم الجارى
أأقتل ابنك صبرا أو تجىء بها * طوعا فانكر هذا اى انكار
فشك أوداجه والصدر فى مضض * عليه منطويا كاللذع بالنار
واختار ادراعه من ان يسب بها * ولم يكن عهده فيها بختار
وقال لا اشترى عارا بمكرمة * فاختار مكرمة الدنيا على العار
والصبر منه قديما شيمة خلق * وزنده فى الوفاء الثاقب الوارى

(وفى ذلك يقول السموأل مفتخرا)

وفيت بادرع الكندى انى * اذا ماخان اقوامى وفيت
واوصى عاديا يوما بان لا * تخرب ياسموأل مابنيت
بنى لى عاديا حصنا حصينا * وماء كلما شئت اشتقيت

والملك هو الحرث بن شمر الغسانى (وحدث الكندى) فى كتابه أخبار الامراء بمصر قال لما ولى المطلب بن عبد الله امارة مصر من قبل المأمون خوفه اهل مصر من ابراهيم بن نافع الطائى قبل الوصول اليه ان يثب عليه فطلبه المطلب فلم يقدر عليه واتهم به جماعة من قواد مصر وكان هبيرة بن هشام صاحب شرطة مصر يعرف المكان الذى اختفى فيه وكان ابراهيم ابن نافع قد اودع ماله عند هبيرة بن هشام فسعى بهبيرة الى المطلب فأحضره وقال له ادفع الى ما أودعه عندك ابراهيم فقد بلغنى الثقة ان ماله مودع عندك وان لم تحشنى به أخذت ما فيه عيناك فأنكر فأوجعه ضربا وهو يزيد انكارا فلما طال على المطلب ذلك ودهب يرة وخاف عليه التلف تركه ثم لما سكن عن ابراهيم الطلب أخرجه هبيرة من مصر سرا ثم أرسل اليه ماله بعد ذلك مع النجار وفيه يقول سعيد بن عفير

لعمرى لقد أوفى وزاد وفاؤه * هبيرة فى الطائى وفاء السموأل
وقاه المنايا اذ أتته بنفسه * وقد برقت فى عارض متهلل

(أتى الحجاج) بقوم ممن خرج عليه فأمر بهم فضربت أعناقهم وأقيمت صلاة المغرب وقد بقى من القوم واحد فقال لقتيبة بن مسلم انصرف به معك حتى تغدو به على قال قتيبة فخرجت والرجل معى فلما كنا ببعض الطريق قال لى هل لك فى خير قلت وما ذاك قال انى والله ما خرجت على المسلمين ولا استحللت قتالهم ولكن ابتليت بما ترى وعندى ودائع واموال فهل لك ان تخلى سبيلى وتأذن لى حتى آتى اهلى وارد على كل ذى حق حقه واوصى ولك على أن أرجع حتى اضع يدى فى يدك قال قتيبة فعجبت له وتضاحكت لقوله قال فمضينا هنيهة ثم اعاد على القول وقال انى اعاهد الله لك على ان اعود اليك قال قتيبة فوالله ما ملكت نفسى حتى قلت له اذهب فلما توارى عنى شخصه اسقط فى يدى فقلت ما فعلت

صنعت بنفسي واتيت اهلي بهموماغمه وما فسألوني عن شأني فأخبرتهم فقالوا لقد اجترأت على الحجاج فبتنا بأطول ليلة فلما كان عند أذان الغداة اذا الباب يطرق فخرجت فاذا انا بالرجل فقلت ارجعت قال سبحان الله جعلت لك عهد الله علي فأخونك ولا أرجع فقلت أما والله ان استطعت لانفعنك وانطلقت به حتى اجلسته على باب الحجاج ودخلت فلما رآني قال يا قتيبة أين أسيرك قلت أصلح الله الامير بالباب وقد اتفق لي معه قصة عجيبة قال ماهي فحدثته الحديث فاذن له فدخل ثم قال يا قتيبة أتحب ان أهبه لك قلت نعم قال هو لك فانصرف به معك فلما خرجت به قلت له خذ أي طريق شئت فرفع طرفه الى السماء وقال لك الحمد يارب وما كلمني بكلمة ولا قال لي أحسنت ولا أسأت فقلت في نفسي مجنون والله فلما كان بعد ثلاثة أيام جاءني وقال لي جزاك الله خيرا أما والله ما ذهب عني ما صنعت ولكن كرهت أن أشرك مع حمد الله حمد أحد (ولما) تفرق الامر عن مروان بن محمد وأيقن بزوال ملكه وغلبة بني هاشم عليه قال لكاتبه عبد الحميد بن يحيى اني قد احتجت أن تكون مع عدوي فتظهر لهم الغدر بي فان اعجابهم بادبك وحاجتهم اليك تمنعهم منك وتدعوهم الى حسن الظن بك فان استطعت أن تنفعني في حياتي والا فلا تعجز عن حفظ حرمتي بعد وفاتي فقال عبد الحميد ان الذي أمرتني به أنفع الامرين لك وأضرهما بي وما عندي الا الوفاء حتى يفتح الله لك أو أقتل معك ثم أنشد

أسر وفاء ثم أظهر غدرة * فمن لي بعذر يشمل الناس ظاهره

فأمسك عنه ساعة وأعاد عليه القول ثانية فقال والموفون بعهدهم اذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس فلم يزل معه حتى قتل وذلك في آخر سنة اثنتين وثلاثين ومائة وله تسع وخمسون سنة وقتل ببوصير قرية من صعيد مصر وهو آخر ملوك بني أمية وكانت دولتهم ثلاثا وتسعين سنة واحد عشر شهرا وأياما وهرب عبد الحميد الى قرية تعرف بالاشمونين فاختفى بها فدل عليه وحمل الى أبي العباس السفاح بأمان فلم يحظ عنده وقال الجهشياري قتل وقد ذكر آنفا (ومن أحسن ما تطرب به الاسماع) ويلطف به كثيف الطباع ما يحكى ان معاوية بن أبي سفيان تزوج ميسون بنت بحدل ونقلها من البدو الى الشام وكانت كثيرة الحنين الى اناسها والتذكر لمسقط رأسها فأنصت لها يوما فسمعها تنشد

لبيت تخفق الارياح فيه * أحب الي من قصر منيف
ولبس عباءة وتقر عيني * أحب الي من لبس الشفوف
وأكل كسيرة في كسر بيتي * أحب الي من أكل الرغيف
وأصوات الرياح بكل فج * أحب الي من نقر الدفوف
وكلب ينبح الطراق دوني * أحب الي من قط ألوف
وبكر يتبع الاظلال صعب * أحب الي من بغل زفوف
وخرق من بني عمي نحيف * أحب الي من علج عنيف
خشونة عيشتي في البدو أشهى * الى نفسي من العيش الظريف
فما أبغي سوى وطني بديلا * فحسبي ذاك من وطن شريف

فلما سمع معاوية الابيات قال ما رضيت بي بنت بحدل حتى جعلتني علجا عنيفا ثم طلقها وردها الى أهلها (ويقال) من الوفاء تشوق الرجل لاخوانه وحنينه الى أوطانه وتلهفه على ما مضى من زمانه (وقالوا) الكريم يحن الى جنابه كما يحن الاسد الى غابه (ويقال) من

في السماء سببا ووضع له في الارض (ما) من عبد يسلك طريقا يلتمس به العلم الا سهل الله له طريقا الى الجنة (ما) من مسلم ينصر مسلما الا نصره الله وما من مسلم يخذل مسلما الا خذله الله (ما) من مسلم اطلع على عورة فسترها الا كان حقا على الله أن يدخله في ستره (ما) من زينة تزين العباد بها أفضل من العقل (ما) وقى المرء به عرضه فهو صدقة (ما) أنكرتم من زمانكم فيما غيرتم من أعمالكم فان يك خيرا فآها آها وان يك شرا فواها واها (ما) أهدى المرء المسلم لأخيه المسلم هدية أفضل من حكمة يزيده بها هدى أو يرده بها عن ردى (ما) انتقصت جارحة انسان الا كانت زيادة في عقله (ما) المبتلى وان اشتد بلاؤه بأحق بالدعاء من المعافى الذي لا يأمن البلاء

﴿ومن الحكمة المأثورة عن السلف وغيرهم﴾

(ما) ودك من اهمل ودك ولا احبك من ابغض حبك (ما) عصى الله كريم ولا آثر الدنيا على الآخرة حكيم (ما) ذب عن الأعراض كالصفح والاعراض (ما) يظهر الود المستقيم الا من القلب السليم (ما) الانسان لولا اللسان الا صورة ممثلة أو بهيمة مهملة (ما) استنبط الصواب بمثل المشاورة ولا اكتسبت البغضاء بمثل الكبر (ما) يزيد متزيد في امره الا لنقص يجده في نفسه (ما) أقرب النقمة من أهل البغي (ما) كنت كاتمه عدوك فلا تطلع عليه صديقك (ما) رأيت تبذيرا قط الا والى جنبه حق مضيع (ما) أنصفك من كلفك

علامة الكريم أن تكون نفسه الى مولده تواقة والى مسقط رأسه مشتاقة (شاعر)

أحب بلاد الله ما بين منعج * الى وسلمى ان يجود سحابها
بلاد بها نيطت على تمائمي * وأول أرض مس جلدي ترابها

(وقالت الحكماء) أرض الرجل ظئره وداره مهده والغريب كالغرس الذي زايل أرضه فهو ذاو لا يثمر وذابل لا ينضر وفطرة الرجل معجونة بحب الاوطان مجبولة على تذكر ماضي الزمان * وقد ذكر ابن الرومي السبب الموجب لحب الاوطان بقوله

وحبب أوطان الرجال اليهم * مآرب قضاها الشباب هنالكا
اذا ذكروا أوطانهم ذكرتهم * عهود الصبا فيها فحنوا لذلكا

(وقالوا) ليس في الحيوان الساع أشد وفاء من الفاختة فانها اذا مات الفها لا تزال تنشد به ولا تألف غيره حتى تموت

﴿ومن أحاسن فعلات الاشراف الاتصاف بالعدل والانصاف﴾

(فالعدل) قوام الدنيا والدين وسبب صلاح المخلوقين وله وضعت الموازين وهو المرغوب المألوف المؤمن من كل مخوف به تألفت القلوب والتأمت الشعوب وظهر الصلاح واتصلت أسباب النجاح وانعقدت عرى اليمن والفلاح وشمل الناس التناصف والتواصل والتعاطف وهو مأخوذ من الاعتدال الذي هو القوام والاستواء المجانب للميل والالتواء وهو ميزان الله في أرضه الذي يوفى به الحقوق ويرأب به الصدوع والفتوق * وحقيقته وضع الامور في مواضعها لا توضع الشدة مكان اللين وبضد ذلك ولا السيف مكان السوط وبالعكس من ذلك والى هذا أشار المتنبي في قوله

ووضع الندى في موضع السيف بالعلى * مضر كوضع السيف في موضع الندى

(والانصاف) هو استيفاء الحقوق واستخراجها بالايدي العادلة والسياسات الفاضلة وهو والعدل توأمان نتيجتهما علو الهمة وبراءة الذمة باكتساب الفضائل واجتناب الرذائل فالانصاف استثمار والعدل استكثار فيصير الملك بالانصاف مستثمرا وبالعدل مستكثرا وما نقص ملك من انصاف ولا جاه من اسعاف * وقد قيل من عدل في سلطانه استغنى عن أعوانه * وقيل عدل السلطان أنفع للرعية من خصب الزمان * وروى الثقاة بأسانيد حسنة عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال عدل ساعة خير من عبادة ستين سنة (وعن) عبد الرحمن بن عمرو بن العاص أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال المقسطون على منابر من لؤلؤ يوم القيامة بين يدي الرحمن بما أقسطوا في الدنيا * وقال حكيم لبعض الملوك أيها الملك انما فخرك باظهار عدلك وايثار فضلك لا بجمال بزتك وتمكن عزتك وفراهة مركبك وكثافة موكبك (ويقال) الملك يبقى على العدل والكفر ولا يبقى على الايمان والجور واليه أشار الشاعر بقوله

عليك بالعدل ان وليت مملكة * واحذر من الجور فيها غاية الحذر
فالملك يبقى على عدل الكفور ولا * يبقى مع الجور في بدو ولا حضر

(دخل) عمر بن الخطاب على أبي بكر الصديق رضي الله عنهما فسلم فلم يرد عليه فقال لعبد الرحمن بن عوف أخاف أن يكون قد وجد علي خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلم عبد الرحمن أبا بكر في ذلك فقال انه أتاني وبين يدي خصمان قد فرغت لهما سمعي وبصري وقلبي وعلمت أن الله سائلي عنهما وعما قالا وعما قلت (ويقال) اذا عدل السلطان في رعيته ثم جار على واحد لم يف عدله بجوره (ويقال) حق على من ملكه الله على بلاده

اجلاله ومنطق ماله (ما) ابين وجوه الخير والشر في مرآة العقل اذا لم يصدها الهوى (ما) الدخان على النار ولا العجاج على الريح بأدل من ظاهر الانسان على باطنه (ما) أطال عبد الأمل الا أساء العمل (ما) أعطى رجل من الدنيا شيأ الا قيل له خذه ومثله من الحرص (ما) مات من أحيا علما ولا افتقر من ملك فهما (ما) عفا عن الذنب من يقرع به (ما) أكثر من يعرف الحق فلا يطيعه (ما) أكثر الدفاتر والعمل بها فاتر (ما) ظفر من ظفر به الاثم (ما) أحب أحد الرياسة الا حسد وبغى وطغى وتتبع عيوب الناس وكره أن يذكر احد بخير (ما) اقبح التكبر عند الاستغناء وما افضح الخضوع عند الحاجة (ما) من شئ الا وهو يحتاج الى فضوله يوما ما الا فضول الكلام (ما) لا ينبغي أن تفعله احذر أن يخطر ببالك (ما) تواضع في ولايته الا من كبر عنها ولا تكبر فيها الا من كبرت عنه (ما) فخر غير رقط (ما) بقي للشيخ من مناسك الحج الا الوداع (ما) اسهل الموت عمن ايقن بما بعده واصعبه على من شك فيما بعده

﴿ومن الشعر في هذا الفصل قولهم﴾

ماذاق طعم الغنى من لا قنوع له * ولن ترى قانعا من عاش مفتقرا
والعرف من يأته يحمد عواقبه * ما ضاع عرف وان أوليته حجرا

﴿آخر﴾

ما كنت أوفي شبابي كنه عزته * حتى انقضى فاذا الدنيا له تبع
ما كان أقصر أيام الشباب وما

وحكمه في عباده أن يكون لنفسه مالكا وللهوى تاركا وللغيظ كاظما وللظلم هاضما وللعدل في حالتي الرضا والغضب مظهرا وللحق في السر والعلانية مؤثرا واذا كان كذلك ألزم النفوس طاعته والقلوب محبته وأشرق بنور عدله زمانه وكثر على عدوه أنصاره وأعوانه ولقد صدق من قال

لكل ولاية لابد عزل * وصرف الدهر عقد ثم حل
وأحسن سيرة تبقى لوال * على الايام احسان وعدل

(وقال) عمرو بن العاص ملك عادل خير من مطر وابل * وكان كسرى يقيم رجلين من موابذته عن يمينه وشماله اذا أراد النظر في أمور الناس فكان اذا زاغ حركاه بقضيب معهما وقالا له والرعية يسمعون أيها الملك أنت مخلوق لا خالق وعبد لا مولى وليس بينك وبين الله قرابة انصف الخلق وانظر لنفسك (ويقال) انه كتب ثلاث رقاع في احداها أمسك غضبك فانك لست باله وانك ستموت ويأكل بعضك بعضا وفي الثانية ارحم عباد الله يرحمك الله وفي الثالثة احمل عباد الله على الحق فانه لا يسعهم الا ذلك وكان اذا جلس للناس عامة لينظر في أمورهم قام بعض الحجاب على رأسه وبيده الرقاع فاذا رآه غضب على أحد ناوله الرقعة الاولى فان رآه تمادى على غضبه ناوله الثانية فان لم ينته ناوله الثالثة (وكان) عمر بن الخطاب رضي الله عنه يأمر عماله أن يوافوه في الموسم فاذا اجتمعوا قال يا أيها الناس اني لم أستعمل عمالي عليكم ليصيبوا من أبشاركم ولا من اعراضكم ولا من أموالكم شيأ انما استعملتهم ليحجزوا بينكم ويردوا عليكم فيئكم فأيكم كانت له عندي مظلمة فليقم * وصف أعرابي أميرا عادلا فقال هو عالم برعيته عادل في اقضيته عار من الكبر قابل للعذر سهل الحجاب متحيز الى الصواب رفيق بالضعيف مكرم للشريف غير مجاف للقريب ولا محيف للغريب (وكان) شمس المعالي قابوس بن وشمكير عادلا في ملكه كان لا يؤتى بمفسد الا أقام الحق عليه ولو أنه اقرب الناس اليه * وقع جعفر بن يحيى الى بعض عماله أنصف من وليت امره والا انصفه منك من ولي امرك * ووقع أخوه الفضل بئس الزاد الى المعاد التعدي على العباد (وسأل) عمر بن عبد العزيز رجاء بن حيوة عن حال رعيته مع العمال فقال رأيت الظالم مقهورا والمظلوم منصورا والغني موفورا والفقير مبرورا فقال الحمد لله الذي وهب لي من العدل ما تطمئن اليه قلوب رعيتي * وتعرض له متظلم في بعض الطرق فوقف له وأزال شكايته فقيل له هلا صبرت حتى يستقر بك المنزل فقال الخير سريع الذهاب وخشيت أن أفوته بنفسي وانما هي فرصة قدمت فيها العزم واستصحبت الحزم * قال شاعر يمدح متوليا اتصف بهذه الخلة من الرؤساء الجلة

لا تقدح الظنة في حكمه * شيمته عدل وانصاف
يمضي اذا لم تلقه شبهة * وفي اعتراض الشك وقاف

(ومما اتفق على مدحه الاوائل والاواخر تواضع من حاز الفضائل والمفاخر)

(قالوا) ينبغي لمن عظم قدره وامتثل نهيه وأمره وانتشر في الخافقين ذكره أن يكون للاعجاب مطرحا وعن الكبر متنبذا ومتنزحا فان همة الرجل العاقل الفاضل شريفة علية وباحتقار ما أوتيت من رياسات الاموال والاعمال ملية (قال ذو النون) من تطأطأ لقي رطبا ومن تعالى لقي عطبا (وقال عروة بن الزبير) التواضع من مصايد الشرف وكل نعمة محسود عليها الا التواضع * ويقال التواضع في الشرف أشرف من الشرف * ويقال اسمان يتفق معناهما ويفترق لفظهما التواضع والشرف * وكان رسول الله صلى الله

* أبقى حلاوة ذكراه التي يدع
ما واجه الشيب من عين وان رمقت
* الا لها نبوة عنه ومرتدع

(آخر)

ما هذه الدنيا لطالبها
الا بلاء وهو لا يدري
ان أقبلت فسدت أمانته
أو أدبرت شغلته بالفكر

(آخر)

ما من رأى أدبا ولم يعمل به
ويكف عن بعض الهوى بأديب
حتى يكون بما تفهم عاملا
من صالح فيموت غير معيب
ولقلما تغني اصابة واعظ
وفعاله افعال غير مصيب

(آخر)

ما ميلق العالم الا الذي
يخبره العالم في الميلق
ذاك الذي يفضح اسرارهم
فيظهر الفاجر والمتقي

(آخر)

ما أرسل الاقوام في حاجة
أمضى ولا أنفع من درهم
يأتيك عفوا بالذي تشتهي
نعم رسول الرجل المسلم

(آخر)

ما أحسن الدنيا واقبالها
اذا أطاع الله من نالها
من لم يواس الناس من فضلها
عرض للادبار اقبالها

(آخر)

ما الناس الا مع الدنيا وصاحبها
وكيفما انقلبت يوما به انقلبوا
يعظمون أخا الدنيا فان وثبت
يوما عليه بما لا يشتهي وثبوا

(آخر)

ما ضاق بالمرء أمر واستعد له
عبادة الله الا جاءه الفرج
ولا أناخ بباب الله ذو ألم
الا تزحزح عنه الهم والحرج

عليه وسلم يجيب دعوة الحر والعبد والامة والمسكين ويقول لو دعيت الى كراع لأجبت
* وكان يخصف النعل ويحلب الشاة ويركب الحمار ردفا ويرقع الثوب ويطحن مع الخادم
اذا اعيت ويأكل معها ويحمل بضاعته من السوق ويسلم مبتدئا ويصافح الغني والفقير
ويخالط أصحابه ويحادثهم ويمازحهم ويلاعب صبيانهم ويجلسهم في حجره وما دعاه أحد من
اصحابه ولا من أهل بيته الاقال لبيك وقال لا تفضلوني على يونس بن متى ولا ترفعوني فوق
قدري فتقولون في ماقالت النصارى في المسيح ان الله اتخذني عبدا قبل أن يتخذني رسولا
وكان صلى الله عليه وسلم لا يأكل متكئا ويأكل الخبيص ويقول انما انا عبد آكل كما
يأكل العبد واجلس كما يجلس العبد (وقال) البراء بن عازب رأيت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يوم الخندق ينقل التراب حتى وارى التراب صدره وكان ينقل اللبن على عاتقه
مع أصحابه عند بناء مسجده بالمدينة هذا ولسان فخره ينزع عن الابانة عن علو قدره فيقول
أنا سيد ولد آدم آدم ومن دونه تحت لوائي أنا أول من تنشق عنه الارض لست كأحد كم اني
أظل عند ربي يطعمني ويسقيني شرف صرفت اماني الآمال عن بلوغ مداه وتقطعت دونه
ايدي الطمع فلا تصل الى علاه (ولما) ولي أبو بكر الخلافة قال اني وليتكم ولست بخيركم فلما
بلغ كلامه الحسن البصري قال بلى ولكن المؤمن يهضم نفسه (وسئل) بعض التابعين
هل رايت ابا بكر قال نعم رأيت ملكا في زي مسكين (وقال ابن عباس) كان ابو بكر كثيرا
ما ينشد

اذا اردت شريف الناس كلهم * فانظر الى ملك في زي مسكين
ذاك الذي حسنت في الناس حالته * وذاك يصلح للدنيا وللدين

آخر

ان السعيد الذي تمت سيادته * فتى نفر من الدنيا الى الدين
يصد بالطرف منه عن زخارفها * فيغتدي ملكا في زي مسكين

(وقال المرار بن المنقذ العدوي)

ياحبذا حين تمسي الريح باردة * وادي الاضاة وفتيان بها هضم
مخدمون كرام في مجالسهم * رفي الرجال اذا اصاحبتهم خدم
وما اصاحب من قوم فاذ كرهم * الا يزيدهم حبا الي هم

وكان رضي الله عنه اذا مدح قال اللهم أنت أعلم بي من نفسي وأنا أعلم بنفسي منهم اللهم
اجعلني خيرا مما يحسبون واغفر لي مالا يعلمون ولا تؤاخذني بما يقولون (وروي)
أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه نادى يوما الصلاة جامعة فلما اجتمع الناس صعد المنبر
فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أيها الناس لقد رأيتموني وأنا أرعى على خالات لي من بني مخزوم
يقبضن لي القبضة من التمر أو الزبيب فقال عبد الرحمن بن عوف ما أردت على أن قصرت
على نفسك فقال ويحك يا ابن عوف خلوت بنفسي فقالت لي أنت أمير المؤمنين وليس
بينك وبين الله أحد فمن ذا أفضل منك فاردت أن أعرفها قدرها (واشترى) أمير المؤمنين
علي رضي الله عنه تمرا بدرهم فحمله في ردائه فسأله بعض أصحابه حمله عنه فقال أبو العيال
أحق بحمله (وحكى الشعبي) قال ركب زيد بن ثابت فدنا منه عبد الله بن عباس فأخذ
بركابه فقال لا تفعل يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هكذا أمرنا أن نفعل بعلمائنا
فقال زيد أرني يدك فأخذها وقبلها وقال هكذا أمرنا ان نفعل بأهل بيت نبينا (ودخل)
بعض الشعراء على الحسن بن زيد فأنشده

الله فرد وابن زيد فرد * فقال بفيك الاثلب الاقلت * الله فرد وابن زيد عبد ونزل عن
سريره والصق خده بالارض (وكان) عبد الله بن عمر اذا سافر مع قوم يحتطب لهم ويطبخ لهم

ويستقي

﴿آخر﴾
ما أحسن الدين والدنيا اذا اجتمعا
وأقبح الكفر والافلاس بالرجل
﴿آخر﴾
ما أنعم العيش لو أن الفتى حجر
تنبو الحوادث عنه وهو ملموم
﴿آخر﴾
ما أقتل الحرص في الدنيا لصاحبه
وأسمج الكبر ممن صيغ من طين
﴿آخر﴾
ما يحرز المرء من أطرافه طرفا
الا تخوفها النقصان من طرف
﴿آخر﴾
ما كدت أفحص عن أخي ثقة
الا ذممت عواقب الفحص
﴿آخر﴾
ما كل ما يتمنى المرء يدركه
تجري الرياح بما لا تشتهي السفن
﴿آخر﴾
ما في زمانك ما يعز وجوده
ان رمته الا صديق مخلص
﴿آخر﴾
ما كلف الله نفسا فوق طاقتها
ولا تجود يد الا بما تجد
﴿آخر﴾
ما بين طرفة عين وانقلابتها
يقلب الامر من حال الى حال
﴿آخر﴾
ما الذل الا تحمل المنن
فكن عزيزا ان شئت أو فهن
﴿آخر﴾
ما استقامت قناة رأيي الا
بعد ان عوج المشيب قناتي
﴿آخر﴾
ما للطبيب يموت بالداء الذي
قد كان يشفي مثله فيما مضى
﴿آخر﴾
ما المرء الا كعير السوء يضربه
سوط الزمان فلا يجري على السنن
﴿آخر﴾

ويستقي لهم ويؤذن لهم (وكان) ابو هريرة خليفة مروان بن الحكم على المدينة يحتطب ويأتي بالحزمة الحطب على ظهره يشق بها السوق ويقول جاء الامير جاء الامير حتى يعلم الناس به فينصرفون اليه في حوائجهم (البحتري مادحا)

دنوت تواضعا وعلوت قدرا * فشأناك انحدار وارتفاع
كذاك الشمس تبعد ان تسامى * ويدنو الضوء منها والشعاع

(ولآخر) تواضع تكن كالنجم لاح لناظر * على صفحات الماء وهو رفيع
ولا تك كالدخان يعلو بنفسه * الى طبقات الجو وهو وضيع

كان ابن مسعود اذا مشى خلفه احد قال اخر واعني نعالكم فانها ذلة للتابع وفتنة للمتبوع * ولما ولي علي بن عيسى الوزارة وذلك في سنة ثلثمائة رأى الناس يمشون حوله كما كانوا يمشون حول الوزراء قبله فالتفت اليهم وقال انا لا ارضى لعبيدنا ان يفعلوا هذا معنا فكيف نكلفه قوما احرارا الا احسان لنا عليهم ومنعهم من المشي في ركابه فكأنما عناه ابو تمام حبيب بقوله متبذل في القوم وهو مبجل * متواضع في الحي وهو معظم

(وقال الحسن) اربعة لا ينبغي لشريف ان يأنف منهن قيامه عن مجلسه لابيه وخدمته لضيفه وقيامه على فرسه وخدمته لمن يأخذ من علمه (وقال عبد الله بن مسعود) رأس التواضع ان تبدأ بالسلام من لقيت وان ترضى بالدون من المجلس * وقال عبد الله بن شداد اربعة من كن فيه فقد برئ من الكبر من اعتقل العنز وركب الحمار ولبس الصوف واجاب دعوة الدون من الرجال

﴿ ومما يدل على شرف الابوة الزام النفس بأنواع المروءة ﴾

(قال بهرام بن بهرام) المروأة اسم جامع للمحاسن كلها * وقال بعض البلغاء المروأة جامعة لاشتات المبرات جالبة لاسباب المسرات دالة على كرم الاعراق باعثة على مكارم الاخلاق ناظمة لقلائد الفوائد عاقلة لشوارد المحامد * وقال بعض الحكماء المروأة سجية جبلت عليها النفوس الزكية وشيمة طبعت عليها الطباع الكريمة (وقالوا) أولى الناس بالمروة من له نبوة النبوة * وقد جمع الله تعالى متفرقاتها في قوله تعالى ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي * وجمعها النبي عليه الصلاة والسلام على نوع آخر فقال من عامل الناس فلم يظلمهم ووعدهم فلم يخلفهم وحدثهم فلم يكذبهم فهو ممن كملت مروءته وظهرت عدالته ووجبت أخوته وحرمت غيبته وجمعها بعضهم على نوع آخر فقال باب مفتوح وخير ممنوح وستر مرفوع وطعام موضوع ونائل مبذول وكلام معسول وعفاف معروف وأذى مكفوف * وجمعها آخر فقال مروأة الرجل صدق لسانه واحتمال عثرات اخوانه وبذل المعروف لاهل زمانه وكف الاذى عن جيرانه (وقال أعرابي) والله لولا أن المروأة ثقيل محملها شديدة مؤنتها ما ترك اللئام للكرام منها شيأ * وقالوا المروأة الظاهرة الثياب الطاهرة كما قال يزيد بن المهلب لولده كن أحسن ما تكون في الظاهر حالا أقل ما تكون في الباطن مالا (وقال عليه الصلاة والسلام) ان الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده ويكره البؤس والتباؤس * وقال الحسن بن علي رضي الله عنهما ان الله جميل يحب الجمال (وقالوا) مروأة الرجل ان لا يلبس ثوب شهرة كما قال بعض الظرفاء كل ما اشتهت نفسك والبس ما يلبسه أبناء جنسك ولقد أحسن بعض الشعراء حيث نظم هذه الكلمات يخاطب بها انسانا لبس ثوب شهرة فقال

ان العيون رمتك اذ فاجأتها * وعليك من شهر الثياب لباس

ما عوض الصبر امرؤ الا رأى * ما فاته دون الذي قد عوضا

﴿ فصل لا ﴾

﴿ فمن الحديث الوارد عن النبي صلى الله عليه وسلم ﴾

(لا) يرد القضاء الا الدعاء (لا) يزيد في العمر الا البر (لا) حليم الا ذو تجربة (لا) فقر أشد من الجهل ولا مال أعون من العقل ولا وحدة أوحش من العجب ولا مظاهرة اوثق من المشاورة (لا) عقل كالتدبير ولا حسب كحسن الخلق ولا ورع كالكف ولا عبادة كالتفكر ولا ايمان كالحياء والصبر (لا) ايمان لمن لا امانة له ولا دين لمن لا عهد له لا كبيرة مع استغفار ولا صغيرة مع اصرار (لا) يغني حذر عن قدر (لا) ينبغي لمؤمن أن يذل نفسه (لا) تصلح الصنيعة الا عند ذي حسب او دين كما لا تصلح الرياضة الا في النجيب (لا) يدخل الجنة عبد لا يأمن جاره بوائقه (لا) يحل لمسلم ان يروع مسلما (لا) تحقرن من المعروف شيأ (لا) تواعد أخاك موعدا فتخلفه (لا) خير في صحبة من لا يرى لك مثل الذي ترى له (لا) أحد أحب اليه المدح من الله ومن أجل ذلك بعث الرسل (لا) أحد أغير من الله ولذلك حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن (لا) يوسع في المجلس الا لذي علم ولذي سلطان (لا) جزاء للنعمة مثل الشكر (لا) تنظروا الى من هو فوقكم وانظروا الى من دونكم فانه آجر وأن لا تزدروا نعمة الله عليكم (لا) يقبل دعاء من قلب لاه أولاغ فل (لا) يكثر همك فانه ما يقدر يكون وما ترزق يأتيك (لا) ينبغي للعاقل أن يشغل نفسه

أما الطعام فكل لنفسك ما اشتهت * واجعل لباسك ما اشتهاه الناس

(وقالوا) التعرى البارح خير من الزى الفاضح (وقال عبد الملك بن صالح) ليس من لباس السادات ذوى المروآت ذوات الالوان فانها من لباس الغلمان والنسوان قال الشاعر

قل للذى يخرج عن شكله * ليرتقى أسباب أوعار
كيف ترجى أن تنال العلا * ولم تبال الدهر من عار
من فارق المعهود من زيه * فذاك لا كاس ولا عار

*ورأى انسان على أبى طاهر الخبزارزى ثوبا حسنا فلامه فى ذلك وعنفه فأنشد

على ثياب فوق قيمتها فلس * وفيهن نفس دون قيمتها الانس
فثوبك صبح تحت أذياله دجى * وثوبى ليل تحت أذياله شمس

فكل من افتخر بجده من الاكارم ومدح اسماله ورأى اكتساءه حلل المكارم أغنى لقدره وأسمى له اقتدى بالعتابى فى هذا المذهب وتختم بفصه المذهب وذلك أنه دخل على يحيى بن خالد فى سمل وكان لايبالى مالبس فعابه عليه فقال يا أبا على خزى الله من يرفعه هيناه جماله وماله حتى يرفعه أكبراه همته ونفسه وأصغراه قلبه ولسانه (قال شاعر) فى المعنى الذى نحاه لاتنظرن الى الثياب فاننى * خلق الثياب من المروأة كاسى

(وقال أبو هفان وأجاد فى النحو الذى أراد)

تعجبت در من شيبى فقلت لها * لاتعجبى قد يلوح الفجر فى السدف
وزادها عجبا اذ رحت فى سمل * ومادرت در أن الدر فى الصدف

(ولآخر فى المعنى)

ياهذه كم يكون اللوم والفند * لاتنكرى رجلا أثوابه قدد
ان عس منفردا فالسيف منفرد * والليث منفرد والبدر منفرد
أو كنت أنكرت طمريه وقد خلقا * فالبحر من فوقه الاقذاء والزبد
ان كان صرف الليالى در بزغته * فبين طمريه منه ضيغم لبد

* ومن المروأة التطيب فانه ورد عن مكحول أنه قال من نظف ثوبه قل همه ومن طاب ريحه زاد عقله ومن جمع بينهما ظهرت مروأته (وقيل) من الظرف والكرم الاستقصاء فى التبخر * وكان صلى الله عليه وسلم يعرف خروجه من منزله برائحة المسك * وكان اذا سلك طريقا عرف السائل عنه أين ثم لطيب ريحه * وكان ابن عباس رضى الله عنهما اذا اجتاز فى طريق قال الناس لطيمة مسك أو ابن عباس اطيب ريحه (قال الشاعر)

و يفوح مسكا طيب ريح ثيابه * وكذا الريح الماجد الوهاب

﴿الفصل الثالث من الباب الاول﴾

(فى ذم التخلق بالاحسان اذا لم يوافق القلب اللسان)

قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون كبر مقتا عند الله أن تقولوا مالا تفعلون (وقال) رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ذا الوجهين لايكون عند الله وجيها (وقال) عمر بن الخطاب رضى الله عنه من تخلق للناس بما ليس من خلقه فهو منافق (وقال) ابن مسعود من كان كلامه لايوافق فعله فانما يوبخ بذلك نفسه (وقيل) ما الدخان بأدل على النار من ظاهر الرجل على باطنه (وقال) زهير بن أبى سلمى

ومهما تكن عند امرئ من خليقة * وان خالها تخفى على الناس تعلم

(وقال آخر) كل امرئ راجع يوما لشيمته * وان تخلق أخلاقا الى حين

(وقال)

بما ذهب عنه ولكن بحظ ما بقى له (لا) ترج السلامة لنفسك حتى يسلم الناس منك (لا) طاعة لمخلوق فى معصية الخالق (لا) يستقبل العبد يوما من عمره الا بفراق آخر من أجله (لا) تبتذل عرضك فتشتم (لا) تظنوا بمؤمن سوأ (لا) تعصوا العاقل فتندموا (لا) يجتمع الرجاء والخوف فى قلب مؤمن الا أعطاه الله مارجا وآمنه مما يخاف

﴿ومن الحكمة المأثورة عن السلف وغيرهم﴾

(لا) يوجد العجول محمودا ولا الغضوب مسرورا ولا الحر حريصا ولا الكريم حسودا ولا الشره غنيا ولا الملول ذا اخوان (لا) يفسدك الظن عن صديق قد أصلحك اليقين له (لا) تحقرن شيأ من الخير وان كان صغيرا فانك اذا رأيته سرك مكانه ولا تحقرن شيأ من الشر وان كان صغيرا فانك اذا رأيته ساءك مكانه لا تجهدن فيما لا تدرك فيه ترج التعب ولا تدخرن المال لبعل عرسك ولا تظهرن انكار مالا عدة معك لدفعه ولا تلهينك قدرة عن كيد وحيلة ولا تتهاونن بالامر الصغير اذا كان يقبل النمو ولا تلاح رجلا غضبانا فانك تعلقه باللجاج ولا تردّه الى الصواب ولا تفرح بسقطة غيرك فانك لاتدرى مايحدث الزمان بك (لا) تضيعن حق أخيك ادلالا منك عليه فتبقى بلا أخ (لا) يعلمن جهل غيرك بك علمك بنفسك (لا) تطمع فى كل ماتسمع (لا) تطلب سرعة العمل واطلب تجويده فان الناس لايسألون فى كم فرغ منه وانما يسألون عن جودة صنعته (لا) تطلبن الحاجة

(وقال) بعض الحكماء لتلميذ له يامن باطنه منظور الحق وظاهره منظور الخلق حسن ما شئت لما شئت (وقالوا) ما أقبح بالانسان أن يقول مالا يفعل وما أحسن الفعل ابتداء قبل القول فان من مات محمودا أحسن حالا ممن عاش مذموما (وقال) أكثم بن صيفي فضل القول على الفعل دناءة وفضل الفعل على القول مكرمة (ويقال) أحسن المقال ما صدق بحسن الفعال (وكان) رجل يكثر الثناء على أمير المؤمنين على رضى الله عنه بلسان لا يوافقه القلب فقال له رضى الله عنه يوما وقد ألح عليه في الثناء أنا دون ما تقول وفوق ما في نفسك (فانظر) الى هذه الفراسة المفترسة لخبات القلوب المكشوف لها الغطاء عن خفيات الغيوب (وقال) بعض الحكماء لأن يكون لى نصف لسان ونصف وجه على ما فيهما من قبح المنظر وسوء المخبر أحب الى من أن أكون ذا وجهين وذا لسانين وذا قولين مختلفين (وقال) ارسطوطاليس وجهك مرآة قلبك فانه يظهر على الوجوه ما تضمره القلوب وقالوا العيون طلائع القلوب (وقد) أولع الشعراء بنظم هذا المعنى كثيرا (فمن ذلك) قول بعضهم ان العيون لتبدى في نواظرها * ما في القلوب من البغضاء والاحن

(وقال آخر) تريك أعينهم ما في صدورهم * ان الصدور يؤدى سرها النظر

(آخر) عيناك قد دلتا عيني منك على * أشياء لولاهما ما كنت أدريها

تظل في نفسك البغضاء كامنة * والقلب يضمرها والعين تبديها

والعين تعرف من عيني محدثها * ان كان من حزبها أو من أعاديها

(ويقال) العادات قاهرات فمن اعتاد شيأ في السر فضحه في العلانية (وقالوا) حقيقة النفاق اختلاف السر والعلن واختلاف القول والعمل (وقال) أبو سعيد الجرجاني لا ينبغي أن يكون حسن القول تمهيدا لقبح الفعل (لام الشعبي) واسمه عامر بن شراحيل عبد العزيز بن مروان على تقصيره في الخطبة لما كان عاملا على مصر وتركه استعمال البلاغة مع القدرة عليها فقال انى لأستحيي من الله تعالى أن أقول بلساني على منبرى خلاف ما أعلمه من قلبي (وكتب) رجل الى صديق له أما بعد فعظ الناس بفعلك ولا تعظهم بقولك (وأوحى) الله تعالى الى عيسى عليه الصلاة والسلام ياعيسى عظ نفسك فان اتعظت فعظ الناس

﴿ومما يعاب من خلال الانسان أن يكون بديع مقال اللسان بعيد مجال الاحسان﴾

قال عليه الصلاة والسلام ليس الملق من أخلاق المؤمنين (ابن المعتز) من كثر ملقه لم يعرف بشره * ذم أعرابي قوما فقال قلوبهم أمر من الدفلى وألسنتهم من العسل أحلى وقال الشاعر

اذا نصبوا للقول قالوا فأحسنوا * ولكن حسن القول خالفه الفعل

(وقال ابن جبير)

الناس شبه ظروف حشوها صبر * وفوق أفواهها شيء من العسل

تحلو لذائقها حتى اذا انكشفت * له تبين ما تحويه من زغل

(وقالوا) فلان يبدى وجه المطابق الموافق ويخفى نظر المسارق المنافق قال الشاعر

يا أيها المتحلى غير شيمته * ومن شمائله التبديل والملق

ارجع الى خلقك المعروف ديدنه * ان التخلق يأتي دونه الخلق

(وقالوا) شر الناس من هو في الظاهر صديق موافق وفي الباطن عدو منافق قال الشاعر

لعمرك ما ود اللسان بنافع * اذا لم يكن أصل المودة في القلب

(وقال) رجل لعلى رضى الله عنه علمنى السلام على الاخوان فقال لا تبلغ بهم النفاق

الى كذوب فانه يقرب بها وان كانت بعيدة ويبعدها وان كانت قريبة ولا الى أحمق فانه يريد نفعك فيضرك ولا الى من له الى صاحب الحاجة حاجة فانه يجعل حاجتك وقاية لحاجته (لا) تمازحوا فيستخف بكم ولا تدخلوا الاسواق فتدق اخلاقكم ولا تترحلوا في العساكر فيزدرى بكم اكفاؤكم (لا) تستنصح مأثورا وان استنصحته ولا تبارز محرجا وان كنت أعد منه ولا تشاور معدما وان وثقت بمودته ولا تلابس ضنينا وان كنت ضده (لا) فائدة أشرف من التوفيق ولا ميراث أنفع من الادب ولا صحبة أكرم من حسن العبادة (لا) تعمل شيأ من الخير رياء ولا تتركه حياء (لا) تعد الشحيح امينا فانه لا عفة مع الشح ولا تعد الكذاب حرا فانه لا مروءة مع الكذب (لا) تحدث من تخاف تكذيبه ولا تسأل من تخاف منعه ولا تعد بما لا تقدر على انجازه (لا) تبد من العيوب ما ستره علام الغيوب (لا) تبرم امرا حتى تفكر فيه فان فكرة العاقل مرآة تريه حسناته وسيآته (لا) تلومن من أساء بك الظن اذا جعلت نفسك هدفا للتهمة (لا) تنكح خاطب سرك (لا) تسرع الى ارفع موضع في المجلس فالموضع الذى ترفع اليه خير من الموضع الذى تحط عنه (لا) تذكر الميت بسوء فتكون الارض اكتم عليه منك (لا) حسرة أعظم من نعمة أسديت الى غير ذى حسب ولا مروءة (لا) تصطنع من خانه الاصل ولا تصحب من فاته العقل لان من لا أصل له يغش من حيث ينصح ومن لا عقل له يفسد من

ولا تقصر بهم عن الاستحقاق (ولقد) صدق صالح بن عبد القدوس في قوله

وأكثر من تلقى يسرك قوله * ولكن قليل من يسرك فعله

وقد كان حسن الظن بعض مذاهبي * فأدبني هذا الزمان وأهله

(وقال آخر وبالغ في الذم)

لم يبق في الناس الا المكر والملق * شوك اذا اختبروا وزهر اذا رمقوا

فان دعاك الى ائتلافهم قدر * فكن جحيما لعل الشوك يحترق

(آخر) خل النفاق لأهله * وعليك فانتهج الطريقا

واذهب بنفسك لن ترى * الا عدوّا أو صديقا

(آخر) يريك النصيحة عند اللقا * ويبريك في السر بري القلم

فبت حبال الك من وصله * ولا تكثرنّ عليه الندم

(ومما يلحق بهذا أن عمل الرياء سالب عن صاحبه جلباب الحياء)

(الرياء) من الكبائر وأخبث السرائر شهدت بمقته الآيات والآثار وتواردت بذمه القصص والاخبار (قال) رسول الله صلى الله عليه وسلم أنّ الله لا يقبل عملا فيه مثقال ذرة من رياء (وأما الحياء) فهو من ثلاثة أوجه من الله ومن الناس وحياء المرء من نفسه فانه من استحيا من الله ولم يستحي من الناس فقد استهان بالناس ومن استحيا من الناس ولم يستحي من الله فقد استهان بالله ومن استحيا من الناس ولم يستحي من نفسه فليس لنفسه عنده قدر وويل لمن أرضى الله بلسانه وأسخطه بقلبه (وكان) أبو مسلم الخولاني يقول ما عملت منذ كذا وكذا سنة عملا أبالي أن يراه الناس الا حاجة الرجل الى أهله وحاجته الى الخلاء (وقال) الحسن البصري لأن تطلب الدنيا بأقبح ما تطلب به أحب من أن تطلبها بأحسن ما تطلب به الآخرة (وقال) الفتح بن خاقان كنت يوما ألاعب المتوكل بالنرد فاستؤذن لاحمد بن أبي دواد فأذن له فلما قرب منا هممت برفعها فمنعني المتوكل وقال كيف أجاهر الله بشيء وأستره عن عباده (وكان) الشبلي اذا رأى من يدعي التصوف يقول ويلكم لا تفتروا على الله كذبا فيسحتكم بعذاب وقد خاب من افترى (وقال) شاعر يذم المرائين منهم

قد لبس الصوف لترك الصفا * مشايخ العصر لشرب العصير

الرقص والتناهد من شأنهم * شر طويل تحت ذيل قصير

(آخر) أظهروا للناس نسكا * وعلى المنقوش داروا

وله صاموا وصلوا * وله حجوا وزاروا

ان يكن فوق الثريا * ولهم ريش لطاروا

(ولآخر يحض على الاعتزال عن هؤلاء)

لا تعجبن عصابة * حلقوا الشوارب للطمع

بيكوا وجل بكائهم * ما للفريسة لا تقع

(قال) ثابت البناني دخلت على داود الطائي فقال لي ما حاجتك قلت زيارتك قال ومن أنا حتى أزار لست من العباد أنا والله ولا من الزهاد أنا لا والله ثم ضرب بيده على لحيته وأقبل على نفسه يوبخها وقال كنت في زمن الشباب فاسقا ثم تبت فصرت مرائيا والله ان المرائي لشر من الفاسق (ويقال) كان الناس يراؤن بما يفعلون لا بما يقولون فصار وايراؤن بما يقولون ولا يفعلون ثم صار وايراؤن بما لا يقولون ولا يفعلون (ذم) البديع الهمذاني قاضيا بالري فقال قد بيض لحيته بسواد صحيفته وأظهر ورعه ليخفي طمعه وقصر سباله ليظهر سرباله

حيث يصلح (لا) تثبت على غير وصية وان كنت من جسمك في صحة ومن عمرك في فسحة فان الدهر خائن وكل ما هو كائن (لا) تترك الامر مقبلا وتطلبه مدبرا فان ذلك من ضعف العقل وقلة الرأي (لا) تمكن الناس من نفسك بطول المجالسة فان اجرأ الناس على السباع أكثرهم لها معاينة (لا) يمنعنك من فعل الحسنة من يزدريها (لا) تنال الراحة الا بالتعب ولا تدرك الا بالنصب (لا) تؤخر عمل يومك لغدك (لا) يدرك الشباب بالخضاب ولا الغنى بالمنى ولا العلم بالادعاء (لا) تلومن أحدا على ما يهوى فان لوم ملك له اغراء (لا) يقوم عز الغضب بذل الاعتذار (لا) جود مع تبذير ولا بخل مع اقتصاد (لا) تخرج الغيبة الا من نفس معيبة (لا) تتكلف ما كفيت فتضيع ما وليت (لا) تعمل عملا لا ينفعك (لا) كنز انفع من العلم (لا) مال أربح من الحلم ولا كسب زين من الادب ولا قرين أشين من البخل ولا عقل أحسن من التفكر ولا حسنة أعلى من الصبر ولا رداء أليق من الرفق ولا رسول أعدل من الحق ولا خليل أنصح من الصدق ولا غنى أشفى من الجمع ولا ذليل أذل من الفقراء ولا عبادة أحسن من الخشوع ولا زهادة خير من القنوع ولا حياة أطيب من الصحة ولا حارس أحفظ من الصمت ولا غائب أقرب من الموت (لا) تشاتم رجلا ولا ترد سائلا فان هو كريم تسد خلته أو لئيم تشتري عرضك منه (لا) تقطع أخاك على ارتياب ولا تهجره دون استعتاب (لا) يعد الغنم غنما اذا ساق غرما ولا الغرم غرما اذا

وتغشى محرابه ليغطى حرابه يبرز فى ظاهر أهل السمت وهو فى باطن أهل الصمت (شاعر)

تصنع كى يقال له أمين * وما معنى تصنعه الامانه
ولم يرد الاله به ولكن * أراد به طريقا للخيانه

(آخر) ودع التواضع فى اللباس تحرنا * فالله يعلم ما تكن وتكتم
فرثاث ثوبك لا يزيدك رفعة * عند الاله وأنت عاص مجرم

(ويقال) أربعة لا يعتد بهن زهد الخصى وتوبة الجندى وشكوى المرأة وتقوى الاحداث (صلى) رجل صلاة خفيفة فقيل له أقصرت الصلاة قال لا بل هى صلاة ليس فيها رياء (نظر) ابا أمامة الباهلى رجل فى المسجد وهو ساجد يبكى فقال نعم الرجل أنت لو كان هذا فى بيتك

﴿ومن ظرف الحكايات وتحف الفكاهات عمن كان له من الرياء غرة فاضحة ومن عدم الحياء سمة لائحة﴾

(وفد) على عمر بن عبد العزيز بلال بن أبى بردة فجعل يصلى و يطيل الصلاة فقال عمر للعلاء ترى ذلك تصنعا فقال العلاء أنا آتيك بخبره يا أمير المؤمنين فأتى الى داره بين العشاءين فوجده يصلى فقال له خفف فان لى اليك حاجة فخفف وسلم وقال ما الحاجة فقال له العلاء تعرف محلى من أمير المؤمنين فان أنا أشرت بك عليه فى ولاية العراق فما تجعل لى قال لك على عمالتى سنة وكان مبلغ ذلك عشرين ألف درهم فسأله العلاء أن يكتب له بذلك شرطا على نفسه فكتب له فأتى العلاء بالشرط الى عمر وقال انه غرنا بالله فكدنا نغتر وكنا نظنه ذهبا فلما سبكناه وجدناه خبثا (وأدخل) على المنصور رجل أراد أن يوليه قضاء ناحية من العراق قد جعل السجود بين عينيه كركبة الجمل فقال له المنصور ان كنت أردت الله بهذا فما ينبغى لنا أن نشغلك عنه وان كنت أردتنا فما ينبغى لنا أن نخدع لك ولم يوله شيأ (مر) بعض المرائين بابن مزداد وهو جالس على باب داره وبين عينى الرجل سجادة عظيمة وكان ابن مزداد شيخا ابن ثمانين سنة ومتعدا من ثلاثين سنة فقال امرأتى طالق ان كان فى استى من القعود ما فى جبهة هذا من السجود (وضع) بعض المرائين بين عينيه سجادة ودلكها بنواة وشد عليها ثوما وبات بها فزاغت العصابة عن مكانها وصارت فى ناحية صدغه فاتسم فقيل لولده كيف اصبح أبوك قال أصبح ممن يعبد الله على حرف (وقال) ظريف من الشعراء لمراء يتهكم به فى معرض الوصية

شمر ثيابك واستعد لقابل * واحكك جبينك للقاء بثوم
وامش الدبيب اذا مشيت لحاجة * حتى تصيب وديعة ليتيم

(وبلغ الرشيد) قول ابى نواس

يا احمد المرتجى فى كل نائبة * قم سيدى نعص جبار السموات

(وقوله) ألا فاسقنى خمرا وقل لى هى الخمر * ولا تسقنى سرا اذا أمكن الجهر
(وقوله) ما جاءنا أحد مذ مات يخبرنا * فى جنة جسمه قد كان أو نار

فقال هذا كلام زنديق وامر الفضل بن الربيع بحبسه فحبسه وتناساه زمانا فاظهر التوبة وكتب الى الفضل من الحبس هذه الابيات

فارعوى باطلى واقصر جهلى * وتبدلت عفة وزهاده
بركوع أزينه بخشوع * واصفرار مثل اصفرار الجراده
لو ترانى شبهتنى الحسن البصـ * ـرى فى حال نسكه أو قتاده
التسابيح فى ذراعى والمصـ * ـحف فى لبتى مكان القلاده

ساق عنها (لا) تحقرن الرأى الجليل وان أتاك به الرجل الحقير فان اللؤلؤة الفائقة لا تستهان بها لهوان من أخرجها (لا) خير فى لذة تعقب ندما (لا) يحملنك الخروج من أمر تخلصت منه على الدخول فى أمر لعلك لا تخلص منه (لا) تكن ممن يلعن ابليس فى العلانيـة ويطيعه فى السر (ومن الشعر فى هذا الفصل قولهم)

(لا) ييأس المرء ان ينجيه الـ * ـناس اذا جاء بغتة عطبه
يسرك الشئ قد يسوء وكم * نوه يوما بخامل لقبه

﴿آخر﴾

(لا) تحقر المرء ان رأيت به * دمامة أو رثاثة الحلل
فالنحل لا شك فى صئولته * يشتار منه الفتى جنى العسل

﴿آخر﴾

(لا) تمدحن امرأ حتى تجربه * ولا تذمنه من غير تجريب
فرب خدن وان أبدى بشاشته * يضحى على خدنه أعدى من الذيب

﴿آخر﴾

(لا) تتبع النفس كل فائتة * فى الله من كل فائت عوض
واعمل لأخراك غير مخدع * فان دنياك هذه عرض
ان صح أمر من الامور بها * لا بد أن يصيبه مرض

﴿آخر﴾

(لا) تكره المكر وه عند حلوله * ان العواقب لم تزل متباينه
كم من يد لا يستقل بشكرها * لله فى طى المكاره كامنه

﴿آخر﴾

(لا) تذهبن فى الامور فرطا * لا تسألن ان سألت شططا

فاذاشئت أن ترى طرفة تجب منها مليحة مستجاده

فادع بي لاعدمت تقويم مثلي * وتأمل بعينك السجاده

تره أثرامن الصلاة بوجهي * توقن النفس أنها من عباده

لو رآها بعض المرائين يوما * لاشتراها يعدها للشهاده

ولقد طال ما شقيت ولكن * أدركتني على يديك السعاده

فلما وصلت الابيات الى الفضل ضحك منها وكام فيه الامين فاطلقه ولما أطلق من حبسه كتب الى الفضل يشكره على جميل فعله

﴿الباب الثاني في اللؤم وفيه ثلاثة فصول﴾

﴿الفصل الاول من هذا الباب﴾

(في ذم من ليس له خلاق وما اتصف به من الاخلاق)

قال الله تعالى هماز مشاء بنميم مناع للخير معتد أثيم عتل بعد ذلك زنيم هذه النقائص كلها يجمعها سوء الخلق (وقيل) ان سوء الخلق شؤم يجذب صاحبه في الدنيا الى العار وفي الآخرة الى النار (وقال) أبو هريرة رضي الله عنه سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الشؤم فقال الشؤم سوء الخلق (وقال) عمر بن الخطاب اذا كان في الانسان عشر خصال تسعة منها صالحة وواحدة هي سوء الخلق أفسدت هذه الخصلة تلك التسعة (شاعر)

وكم من فتى أزرى به سوء خلقه * فأصبح مذموما ماله المحامد

(وقالوا) من ساءت أخلاقه طاب فراقه (وقالوا) سوء الخلق يدل على خبث الطبع ولؤم العنصر ويكاد سيء الخلق أن يعد من البهائم (وقال) رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الخلق السيء يفسد العمل كما يفسد الخل العسل (وروى) عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال ان سوء الخلق زمام من عذاب الله في أنف صاحبه والزمام في يد شيطان يجره الى النار أخرجه البيهقي في شعب الايمان (وقالوا) فلان له خلق خلق وشأن شائن وشيمة مشؤمة وخيم وخيم وطبع طبيع (فمن مساوي أخلاقهم الذميمة نقل الاقدام بالسعاية والنميمة)

(قالوا) النميمة من الخصال الذميمة تدل على نفس سقيمة وطبيعة لئيمة مشغوفة بهتك الاستار وافشاء الاسرار (وقال) بعض الحكماء الاشرار يتبعون مساوي الناس ويتركون محاسنهم كما يتبع الذباب المواضع الألمة من الجسد ويترك الصحيحة (وقالوا) لم يمش ماش شر من واش والساعي بالنميمة يهلك نفسه ومن سعى به ومن سعى اليه كما حكي أن عمرو بن معاوية بن عمرو ابن عتبة بن أبي سفيان العتبي رأى رجلا يسعى برجل عند صديق له فقال له نزه سمعك عن استماع الخنى كما تنزه لسانك عن التكلم به فان السامع شريك القائل وانما نظر شر ما في وعائه فافرغه في وعائك ولو ردت كلمة ساع الى فيه لسعد رادها كما شقي قائلها والنمام شر من الساحر فان النمام يفسد في الساعة الواحدة ما لا يفسده الساحر في المدة الطويلة (أتى رجل) عبد الله بن عباس وهو والي البصرة من قبل علي رضي الله عنه بنميمة فقال له ان شئت سألنا عما جئت به فان كنت صادقا مقتناك وان كنت كاذبا عاقبناك وان شئت أقلناك فقال ان شئت أن تفعل فافعل (شاعر)

توخ من الطرق أوساطها * وعد عن الجانب المشتبه

وسمعك صن عن سماع القبيح * كصون اللسان عن النطق به

فانك عند سماع الحديث * شريك لقائله فانتبه

(وقال أبو الاسود الدؤلي)

وكن من الناس جميعا وسطا

﴿آخر﴾

(لا) تحقرن امرأ ان كان ذا ضعة
كم من وضيع من الاقوام قد رأسا
فرب قوم حقرناهم فلم نرهم
أهلا لخدمتنا صاروا لنا رؤسا

﴿آخر﴾

(لا) بد للعسر من يسر يعقبه
فخاب سعي ضعيف ضاق مذهبه
هون عليك وكن للخير مرتقبا
فابعد الامر ان فكرت أقربه
ليس الحريص على رزق بطالبه
كمن تيقن ان الرزق يطلبه

﴿آخر﴾

(لا) تغبطن عامل السلطان في
ولاية قد آذنت بحتفه
تراه يحكي دهره سفينة
في البحر لا أمن لها من خوفه
ان أدخلت من مائه في جوفها
أدخلها وماءها في جوفه

﴿آخر﴾

(لا) شيء أسرع من مر الزمان فلا
يغررك منه بتأميل البقاء خدع
اذا نظرت انصرام الدهر مثل لي
ان السنين شهور والشهور جمع

﴿آخر﴾

(لا) يصلح الناس فوضى لا سراة لهم
ولا سراة اذا جهالهم سادوا

﴿آخر﴾

لا تعرفن أحدا فلست بواجد
أبدا أضر عليك ممن تعرف
اما نظيرك فهو حاسد نعمة
أو دون ذاك فذو سؤال يلحف
أو فوق ذاك حال دون لقائه
بواب سوء والبقاع المشرف

﴿آخر﴾

(لا) تصحب الكسلان في حاجاته
كم صالح بفساد آخر يفسد
عدوى البليد الى الجليد سريعة
كالنار توضع في الرماد فتخمد

لا تقبلن

لاتقبلن غيـمة بلغتها * وتحفظن من الذى أنبا كها
ان الذى ألقى اليـك نميمة * سينم عنك بمثلها قدحا كها

هذا منا ام قول الناس من نم لك نم عليك (وسعى رجل) برجل عند عمر بن عبد العزيز فقال له عمر ان شئت نظرنا فى أمرك فان كنت كاذبا فانت داخل تحت حكم هـذه الآية ان جاءكم فاسق بنبا فتبينوا وان كنت صادقا فانت من هـذه الآية هماز مشاء بنميم وان شئت عفونا عنك (وقال) بعض الملوك لولده ليكن أبغض رعيتك اليك أشدهم كشفا لمعايب الناس فان للناس معايب وانت أحق بسترها وأنت انما تحكم بما ظهر لك والله يحكم فيما غاب عنك واكره للناس ماتكره لنفسك واستر العورة يستر الله عليك ما تحب ستره ولا تصغ الى تصديق ساع فان الساعى غاش وان قال قول نصيح (وقال) أرسطاطاليس النميمة تهدى الى القلوب البغضاء ومن نقل اليك نقل عنك (وقالوا) شر من النميمة قبولها لان النميمة دالة والقبول اجازة وليس من دل على شئ كمن قبله واجازه (وقال المهدى) ما الساعى بأعظم عورة ولا أقبح حالا من قابل سعايته ولا يخلو أن يكون الساعى حاسد نعمة فلا يشفى غيظه أو عدوا فلا يعاقب له عدوه لئلا يشمت به (ولقد) أحسن بعض الشعراء الظرفاء فى قوله

لاتسمعن من الحسود مقالة * لو كان حقا ما يقول الواشى

(وقال آخر يذم صديقا له نماما)

وما احب سوء وجهه لى أوجه * وفى فمه طبل بسرى يضرب
ولابد لى منه فحينا يغصنى * ويساغ لى حينا وجهى يقطب
كما يدرب الحاج فى كل منهل * يذم على ما كان منه ويشرب

(وقال السرى الرفاء يذم نماما)

أنم بما استودعته من زجاجة * يرى الشئ فيها ظاهرا وهو باطن

(وقال ابن وكيع فى المعنى)

نم بسر مستر عيه لأنما * كما نم الظلام بسر نار
أنم من النصول على مشيب * ومن صافى الزجاج على عقار

(ولقد أحسن محمد بن شرف القيروانى فى قوله يصف نماما)

وناصت نحـو أفواه الورى أذنا * كالقعب يلفظ منها كل ماسقطا
يظل بالقول والاخبار مجتهدا * حتى اذا ما وعاها زق ما التقطا

﴿والنميمة والكذب رضيعا لبان وفى مشوار الدناءة فرسا رهان﴾

(قال أبو حيان التوحيدى) الكذب شعار خلق وأدب سيئ وعادة فاحشة وقل من استرسل معه الا ألفه وقل من ألفه الا أذله (وأوصى) بعض الحكماء ولده فقال اياك والكذب فانه يزرى بقائله وان كان شريفا فى أصله ويذله وان كان عزيزا فى أهله (وقالوا) شيئان لا يجتمعان الكذب والحياء (ارسطاطاليس) فضل الناطق على الاخرس بالنطق وزين النطق بالصدق (وقال بزرجمهر) الكاذب والميت سواء فانه اذا لم يوثق بكلامه بطلت حياته (وقال) معاوية يوما للاحنف وقد حدثه أتكذب قال والله ما كذبت منذ علمت ان الكذب شين (وقال) بعض الاعراب عجبت من الكذاب المشيد لكذبه وانما هو يدل الناس على عيبه ويتعرض للعقاب من ربه فالآثام له عادة والاخبار عنه متضادة ان قال حقا لم يصدق وان اراد خيرا لم يوفق فهو الجانى على نفسه بفعاله الدال على فضيحته بمقاله فما صح من صدقه نسب الى غيره وما صح من

﴿آخر﴾

(لا) تدخلنك هجرة من سائل
فلخير دهرك ان ترى مسؤلا
لا تجبهن بالرد وجه مؤمل
فبقاء عزك ان ترى مأمولا
يلقى الكريم فيستدل ببشره
ويرى العبوس على اللئيم دليلا
واعلم بانك لامحالة صائر
خبرا فكن خبرا يروق جميلا

﴿آخر﴾

(لا) تلم المرء على فعله
وأنت منسوب الى مثله
من ذم شيأ وأتى مثله
فانما يزرى على عقله

﴿آخر﴾

(لا) تضرعن لمخلوق على طمع
فان ذلك نقص منك فى الدين
واسترزق الله مما فى خزائنه
فانما الامر بين الكاف والنون

﴿آخر﴾

(لا) تعجبن لاحمق
نال الغنى من غير كده
ولعاقل ما يستقل
فكلهم يسعى بجده

﴿آخر﴾

(لا) تأمن الدهر الخؤ
ن وخف بوادر آفته
فالموت يهم مرسل
والعمر قدر مسافته

﴿آخر﴾

(لا) ترسلن مقالة مشهورة
لا تستطيع اذا مضت ادراكها
لاتبدين نميمة أنبئتها
وتحرزن من الذى أنباكها

﴿آخر﴾

(لا) تجلسن بباب من
يأبى عليك دخول داره
وتقول حاجاتى اليه
يعوقها ان لم أداره
واتركه واقصد ربها

كذب غيره نسب اليه و تقال الكذب جماع النفاق وعماد مساوي الاخلاق عار لازم وذل دائم يخيف صاحبه من نفسه وهو آمن ويكشف ستر الحسب عن لؤمه الكامن (قال الشاعر) ان القوم اغطى دونه خبري * وليس لي حيلة في مفترى الكذب

لا يكذب المرء الامن مهانته * اوعادة السوء او من قلة الادب

ويكفي في ذم الكذب قوله تعالى انما يفترى الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله واولئك هم الكاذبون وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الصدق يهدي الى البر والبر يهدي الى الجنة والكذب يهدي الى الفجور والفجور يهدي الى النار وقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه لان يضعني الصدق وقلما يفعل احب الي من أن يرفعني الكذب وقلما يفعل (وقيل) لا يجوز أن يكذب الرجل لصلاح نفسه فان ما عجز الصدق عن اصلاحه كان الكذب اولى بفساده (ولقد صدق من قال)

عوّد لسانك قول الصدق تحظ به * ان اللسان لما عوّدت معتاد

موكل بتقاضي ما سننت له * في الخير والشر فانظر كيف ترتاد

* ويكفي في معرة الكذب ان من عرف به مقت اذا نطق وكذب وان صدق * قال رجل لابي حنيفة ما كذبت قط فقال له أبو حنيفة اما هذه فواحدة اشهد عليك بها * الاصمعي لرجل كذاب أصدقت قط قال نعم قيل له عجب قال خفت ان أقول لا فأصدق (وقيل لبعض الحكماء) ايما اشر الكذاب او النمام فقال الكذاب لانه يخلق عليك والنمام ينقل عنك (شاعر) لي حيلة فيمن ينم وليس في الكذاب حيلة

من كان يخلق ما يقو * ل فحيلتي فيه قليلة

(ومن ظريف اخبار الكذبة) ان رجلا من آل الحرث بن ظالم قال لقد بلغني ان الحرث غضب يوما فانتفخ في ثوبه فبدر من ثوبه اربعة ازرار ففقأت اربعة اعين من عيون جلسائه (شاعر) حلفت برب مكة والمصلى * وايدا الواقفين على عكاظ

لا كذب ما يكون اذا تألى * وشددها بأيمان غلاظ

* وآفة الكذب النسيان كذا ورد في النبأ المأثور والخبر المشهور قال الشاعر

اذا عرف الكذاب بالكذب لم يزل * لدى الناس كذابا وان كان صادقا

ومن آفة الكذاب نسيان كذبه * وتلقاه ذا ذهن اذا كان حاذقا

﴿ومن مستقبح خلائق اللوم الصراح اللسان البذي والوجه الوقاح﴾

قال النبي صلى الله عليه وسلم شر الناس الذين يكرمون اتقاء السنتهم * وقال أمير المؤمنين علي رضي الله عنه ما استب رجلان الا غلب الأمهما وقال الاحنف بن قيس الا أخبركم بادوى الداء الخلق الدني واللسان البذي (وقالوا) اللئيم بعدا الحيي جنة والوقاحة جنة فوجهه صلب ولسانه خلب (وقالوا) الفاقة خير من الصفاقة (وقال ابو حيان) ان الخصم اذا كان الهوى مركبه والعناد مطامه فلن يفلح معه ولو خرجت اليد بيضاء وانقلبت العصا حية (قال بعض الشعراء يهجو معاندا) تراه معدا للخلاف كأنه * برد على اهل الصواب موكل (وقالوا) الوقاحة في الرجل تدل على لؤم نجره وخساسة قدره وقلة خيره وكثرة شره وقال الشاعر صلابة الوجه لم تغلب على احد * الا تكمل فيه الشر واجتمعا

(وقال بعضهم في ذمه أوقاحا)

[redacted] كفانهم من حر أوجههم * قاموا الى الحشر فيها مثل ما رقدوا

(ولابي العبر في مثل ذلك وأحسن في قوله)

تقضي وزب الداركاره

﴿آخر﴾

(لا) تمزحن فان مزحت فلا يكن
مزحا تضاف به الى سوء الادب
واحذر ممازحة تعود عداوة
ان المزاح على مقدمة الغضب

﴿آخر﴾

(لا) تغترب عن وطن
واذكر تصاريف النوى
أما ترى الغصن اذا
ما فارق الاصل ذوى

﴿آخر﴾

(لا) تشاور من ليس يصفيك ودا
انه غير سالك بك قصدا
واستشر في الامور كل لبيب
ليس يألوك في النصيحة جهدا

﴿آخر﴾

لا تخف بؤسا ولا حرجا
وانتظر من سيد فرجا
وادعه ثم ارج رحمته
لم يخف عبد دعا فرجا

﴿آخر﴾

لا تقنطن فان الله ذو كرم
وما عليك اذا تلقاه من باس
الا اثنتين فلا تقربهما أبدا
الشرك بالله والاضرار بالناس

﴿آخر﴾

لا تيأسن وان تصعبت المنى
فالصعب قد يرتاض بعد نفار
قد تصغر الاشياء وهي كبيرة
وتهون وهي عظيمة المقدار

﴿آخر﴾

لا تحسب الناس سواء متى
قد اشتبهوا فالناس أطوار
وانظر الى الاحجار في ضمنها
ماء وبعض ضمنه نار

﴿آخر﴾

لا تغضبن على امرئ
أصبحت محتاجا اليه
واغضب على الطمع الذي

يا ليت لي من جلد وجهك رقعة * فأقد منها حافرا للاشهب

*أنشدنا ناصر الدين حسن الكناني عرف بابن النقيب لنفسه في أوقاح فقال

تعالى الله خالقها وجوها * فما أخفت من الحيوان حالا
لقد صلبت وخفت من حياء * وغير خلقها حتى استحالا
وجوه ليت لي منها حذاء * وليت لبغلتي منها نعالا

(وقال الناجم يهجو)

لك عرض مثلم من قوارير * ووجه مململم من حديد

* ليم بعضهم على الوقاحة فقال الوجه ذو الوقاحة من الوجوه الوقاحة يقي على صاحبه الانفال ويفتح له الاقفال ويلقطه الارطاب ويلقمه ما استطاب ويجسره على قول المنطيق وييسر له فعل ما لا يطيق (ثم أنشد)

اذا رزق الفتى وجها وقاحا * تقلب في الامور كما يشاء

(وقال جعفر الصادق) ان الله يبغض السباب الطعان المتفحش قال الشاعر

من لم يكن عنصره طيبا * لم يخرج الطيب من فيه
كل امرئ يشبهه فعله * ويرشح الكوز بما فيه
أصل الفتى يخفى ولكنه * من فعله يظهر خافيه

﴿جماع ما يتخلق به الانذال من الشيم والخلال﴾

(قال بعض الحكماء) أربعة من علامات اللؤم افشاء السر واعتقاد الغدر وغيبة الاحرار واساءة الجوار * وسأل عبد الملك بن مروان الحجاج بن يوسف عن خلقه فتلكأ وأبى أن يخبره فأقسم عليه ان لا بد فقال حسود كنود لجوج حقود فقال عبد الملك ما في ابليس شر من هذه الخصال فبلغ ذلك خالد بن صفوان فقال لقد انتحل الشر بحذافيره ومرق من جميع خلال الخير بأسره وتأنق في ذم نفسه وتجرد في الدلالة على لؤم طبعه وأفرط في اقامة الحجة على كفره وخرج من الخلال الموجبة لرضاربه (وقال أبو تمام)

مساو لو قسمن على الغواني * لما أمهرن الا بالطلاق

(وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم) أربعة من كن فيه فهو منافق من اذا حدث كذب واذا وعد أخلف واذا عاهد غدر واذا ائتمن خان (وقالوا) اللئيم كذوب الوعد خؤن العهد قليل الرفد (وقالوا) اللئيم اذا استغنى بطر واذا افتقر قنط وان قال أفحش وان سئل بخل وان سأل ألحف وان أسدى اليه صنيع أخفاه وان استكتم سرا أفشاه فصديقه منه على حذر وعدوه منه على غرر

﴿ومما اخترناه في غدر اللئام من درر الاهاجي والمذام﴾

(ذم أحمد بن يوسف الكاتب بني سعيد بن مسلم بن قتيبة فقال) محاسنهم مساوي السفل ومساويهم فضائح الامم ألسنتهم معقودة بالعي وايديهم معقولة بالبخل واعراضهم أغراض الذم فهم كما قيل لا يكثرون وان طالت حياتهم * ولا تبيد مخازيهم وان بادوا *وذم أعرابي قوما فقال أولئك قوم سلخت أقفاؤهم بالهجاء ودبغت جلودهم باللؤم فلباسهم في الدنيا الملامة وفي الآخرة الندامة *وذم أعرابي قوما فقال أولئك قوم هم أقل الناس ذنوبا الى أعدائهم وأكثرهم تجريا على أصدقائهم يصومون عن المعروف ويفطرون على الفحشاء *وكان عيسى بن فرخان شاه يتيه على أبي العيناء في حال وزارته فلما انصرف عنها لقي أبا العيناء في بعض السكك فسلم عليه سلاما خفيا فقال أبو العيناء لغلامه من هذا قال أبو

أرجاك تبغي ما لديه

﴿آخر﴾

لا تسأل المرء عن خلائقه
في وجهه شاهد من الخبر

﴿آخر﴾

لا يبلغ الاعداء من جاهل
ما يبلغ الجاهل من نفسه

﴿آخر﴾

لا تجد بالعطاء في غير حق
ليس في منع غير ذي الحق بخل

﴿آخر﴾

لا تنكري عطل الكريم من الغنى
فالسيل حرب للمكان العالي

﴿آخر﴾

لا تعدن للزمان صديقا
وأعد الزمان للاصدقاء

﴿آخر﴾

لا ترج شيأ خالصا نفعه
فالغيث لا يخلو من العبث

﴿آخر﴾

لا يملأ الامر صدري قبل موقعه
ولا يضيق به ذرعي اذا وقعا

﴿آخر﴾

لا أركب الامر تزريني عواقبه
ولا يعاب به عرضي ولا ديني

﴿آخر﴾

لا عذر للشجر الذي طابت له
اعراقه الا بطيب جناه

﴿آخر﴾

لا تطلبن معيشة بمذلة
فليأتينك رزقك المقدور

﴿آخر﴾

لا تنه عن خلق وتأتي مثله
عار عليك اذا فعلت عظيم

﴿آخر﴾

لا يشبع النفس شيء حين تحرزه
ولا يزال لها في غيره وطر

﴿آخر﴾

لا أسأل الناس عما في ضمائرهم
ما في ضميري لهم من ذاك يكفيني

موسى فدنا منه حتى أخذ بعنان بغلته وقال لقد كنت أقنع بأمالك دون سيائلك و بحظك دون لفظك فالحمد لله على ما آلت اليه حالك فلئن كنت أخطأت فيك النعمة لقد أصابت فيك النقمة ولئن كانت الدنيا أبدت قبائحها بالاقبال عليك لقد أظهرت محاسنها بالادبار عنك ولله المنة اذ أغنانا عن التكذب عليك ونزهنا عن قول الزور فيك فقد والله أسأت حمل النعمة وما شكرت حق المنعم ثم أطلق يده من عنانه و رجع الى مكانه فقيل له يا أبا عبد الله لقد بالغت فى السب فما كان الذنب فقال سألته حاجة أقل من قيمته فردني عنها بأقبح من خلقته (قال بعض الاعراب) نزلت بذلك الوادي فاذا ثياب أحرار على أجسام عبيد اقبال حظهم ادبار حظ الكرام (أخذ هذا المعنى شاعر فقال)

أرى حللا تصان على رجال * وأعراضا تذال ولا تصان

يقولون الزمان به فساد * وهم فسدوا وما فسد الزمان

(وسئل) بعض البلغاء عن رجل فقال هو صغير القدر قصير الشبر ضيق الصدر لئيم النجر عظيم الكبر كثير الفخر (وسئل آخر) عن رجل فقال لو قذف على الليل لؤمه لانطمست منه نجومه (وسئل آخر) عن رجل فقال يكاد يعدي بلؤمه كل من تسمى باسمه (وقال حجاج ابن هرون) والله ماله فى الشرف أسباب متان ولا فى الخير عادات حسان (وذم أعرابي رجلا فقال هو عبد البدن حر الثياب عظيم الرواق صغير الاخلاق الدهر يرفعه وهمته تضعه (وذم آخر رجلا) فقال أما الوجه فدميم وأما الخلق فذميم وأما الحسيم فوخيم وأما العرض فزنيم وأما الحسب فلئيم (وقال الجاحظ) فلان لا تنجع فيه الرقى ولا تنفذ فيه الحيل ولا يهزه المدح ولا يحزنه الذم ولا يخجله التقريع ولا يذله التوبيخ ولا يرحم المظلوم فان استرحمته ازداد غلظة ولا يرق لفقير وان تعرض له قتله جوعا (وقال آخر) فلان غث فى دينه قذر فى دنياه رث فى مروأته سمج فى هيئته منقطع الى نفسه راض عن عقله بخيل بما وسع الله عليه كتوم لما آتاه الله من فضله حلاف لجوج ان سأل ألحف وان وعد أخلف لا ينصف الاصاغر ولا يعرف حق الاكابر (وأنشد لابن قادوس)

تأنست بنسيم الفعل طلعته * تأنس المقلة الرمداء بالظلم

(وقالوا) فلان كالشجرة التي قل ورقها وكثر شوكها وصعب مرتقاها

(قال الشاعر يهجو قوما لئاما)

هم الكشوث فلا أصل ولا ثمر * ولا نسيم ولا ظل ولا ورق

جفوا من اللؤم حتى لو أصابهم * ضوء السهى فى ظلام الليل لاحترقوا

لو صافحوا المزن ما ابتلت أناملهم * ولو يخوضون بحر الصين ما غرقوا

(ومن محاسن التلفيق فى الذم) فلان له كيد مخنث وحسد نائحة وسره قواد وذل قابلة وملق داية وبخل كلب وحرص نباش ونتن جورب ووحشة قرد (قال ابن حجاج فى مثل ذلك)

نسيم حش وريح مقعدة * ونفث أفعى ونتن مصلوب

(وله يهجو) نعمة الله لا تعاب ولكن * ربما استقبحت على أقوام

لا يليق الغنى بوجه أبي يعـ ـلى ولا نور بهجة الاسلام

وسخ الثوب والعمامة والبر * ذون والوجه والقفا والغلام

(ومن التلفيق) فلان يروغ من الحق روغان الثعلب ويشره الى الادناس شره الخنزير ويستسلم الى عدوه استسلام الضبع ويدب الى الشر دبيب العقرب وينام عن الحق نوم الفهد ويجبن عن القرن جبن العصفور ويخبط فى الجهل خبط الناقة (ابن عروس ...

لا تصحبن رفيقا لست تأمنه
بئس الرفيق رفيق غير مأمون

﴿ آخر ﴾

لا تجزعن على ما فات مطلبه
فلست عمرك للماضي بمرتجع

﴿ آخر ﴾

لا تنطقن بما كرهت فربما
نطق اللسان بحادث فيكون

﴿ آخر ﴾

لا تترك الحزم فى شئ تحاذره
فان سلمت فما فى الحزم من باس

﴿ فصل اياك ﴾

﴿ فن الحديث الوارد عن النبي صلى الله عليه وسلم ﴾

(اياك) وما يعتذر منه (اياك) ومحقرات الذنوب فان لها من الله طالبا (اياك) ومشارة الناس فانها تظهر العرة وتدفن الغرة (اياك) واللجاجة فانها ندامة (اياك) والمجادلة فانها تحبط الاعمال (اياك) والمعصية فانها من سخط الله (اياك) والمزاح فانه يذهب بهاء الوجه (اياك) والحرص فانه أخرج آدم من الجنة (اياك) والمراء فانه لا تعقل حكمته ولا تؤمن فتنته (اياك) أن تطيع آثما (اياك) ان تعق أباك (اياك) والكلام فيما لا يعنيك (اياك) والطمع فانه فقر (اياك) وكثرة الضحك فانه يميت القلب * (ومن الحكمة المأثورة عن السلف وغيرهم) (اياك) والدالة فانها تفسد الحرمة (اياك) وشرب الدواء ما حملتك الصحة (اياك) والجزع عند المصائب فانه مجلبة للهم وسوء ظن بالرب وشماتة للعدو (اياك) والبخل فان البخيل خازن لاعدائه (اياك) والسلامة فى طلب الامور فتقذفك الرجال خلف أعقابها (اياك) والعجز فانه أوطى

كم قال منتقدوك أحسن زائف * ماذا أقول وقد عصيت الناقدا
ولقد عرضتك يا زنيم بدرهم * فيمن يزيد فما وجدت مزايدا
سافر بطرفك هل ترى لك شاكرا * أو ذاكرا أو حاسدا أو حامدا

(آخر) أما الهجاء فدق عرضك دونه * والمدح فيك كما علمت جليل
فاذهب فأنت طليق عرضك انه * عرض عززت به وأنت ذليل

﴿الفصل الثانى من الباب الثانى﴾
فى ذكر الفعل والصنيع الدالين على لؤم الوضيع

(قال رسول الله صلى الله عليه وسلم) ان مما أدرك الناس من كلام النبوة الاولى اذا لم تستح فاصنع ماشئت (وقال الشاعر)

اذا لم تصن عرضا ولم تخش خالقا * وتستحى مخلوقا فما شئت فاصنع

(وقالوا) فلان لايستحيى من الشر ولا يحب أن يكون من أهل الخير فلو أفلتت كلمة سوء لم تنسب الا اليه وان رفعت لعنة لما وقعت الا عليه (وسئل معاوية) عن السفلة فقال الذى ليس له فعل موصوف ولا نسب معروف كما قال بعض الاعراب وقد سئل عن رجل فقال عليه كل يوم قسامة من فعله تشهد عليه بلؤم أصله وشهادات الافعال أصدق من شهادات الرجال *وقال بعض العارفين أفعال المرء شهود دلوا صفيه* وسئل محمد بن الحسن عن السفلة فقال من يبخل بقطعه الحمام ويفعل فى الطريق فعل الطغام وقال الاصمعى السفلة من لايبالى بما قال أو قيل له (وقال يحيى بن أكثم) السفلة الذى لايعيبه ماصنع (وقال أبو مسلم) ألأم الاعراض عرض لم يرتع فيه مدح ولا ذم وسمع الاحنف رجلا يقول لا أبالى مدحت أو ذممت فقال ياهذا استرحت من حيث تعب الكرام

﴿فن فعلات من خلع فى اللؤم الرسن المكافأة بالقبيح عن الفعل الحسن﴾

(من أمثال العرب فى ذلك) أكفر من ناشرة وذلك أن همام بن مرة كان قد أخذ ناشرة من أمه لما مات أبوه وضاقت بتربيته ذرعا فرباه وأحسن اليه فلما بلغ الحلم هجاه هجوا قبيحا فنهاه عنه فتركه حتى نام واغتاله (وحكى) الاصمعى ان أعرابيا ربى جرو ذئب وجعل يغذيه بلبن شاة له حتى كبر فخرج معها يوما للرعى كعادته فحركته الطبيعة الدنية والنفس الذئبية على افتراس الشاة فلما رأى الاعرابى الشاة فريسة أنشد

عقرت شويهتى وفجعت قومى * بشاتهم وأنت لها ربيب
غذيت لبانها ونشأت معها * فمن أنباك أن أباك ذيب
اذا كان الطباع طباع سوء * فليس بنافع أدب الاديب

* وأغار خيثمة بن مالك الجعفى على بنى القين فاستاق منهم ابلا فاطلقوا خلفه الأعنة فلم يقدروا عليه ولا وصلوا اليه فنادوه وقالوا له ان أمامك مفازة ولا ماء معك وقد فعلت جميلا فانزل ولك الذمام والحباء فنزل فلما اطمأن وسكن أخذته سنة فنام فوثبوا عليه وقتلوه

﴿ومما يستغرب منه ويستعجب فى هذا الباب ويستعذب﴾

لما حارب الحجاج عبد الرحمن بن محمد الاشعث برز من أصحاب عبد الرحمن عبد الله بن سواد الحارثى وطلب المبارزة فبرز اليه بعض أصحاب الحجاج فقتله عبد الله ثم عاد فطلب المبارزة فخرج اليه آخر فقتله ثم عاد فطلب البراز فخرج اليه آخر فقتله ثم عاد وطلب البراز فقال الحجاج للجراح بن عبد الله الحكمى أخرج اليه فخرج فقال له عبد الله وكان صديقا له

مركب (اياك) والشفيع المهين فانه أضعف وسيلة (اياك) والانفاق مع الاخفاق (اياك) ونسيان الحدثان مع أمان الزمان (اياك) واخلاف العدة مع اسعاف الجدة (اياك) وسوف مع الخوف (اياك) والاسترسال مع الاسفال (اياك) والطعام مع الطغام (اياك) والاغفال مع الاغفال (اياك) والسكنى مع ذوى الشحناء فخيرك فيهم بطوى وشرك يروى (اياك) والاخوان الخوان الطاغين عليك الضاحكين اليك الحافظى هفوا تك أيام مصادقتك عدة لايام مفارقتك (اياك) والمسئلة فانها آخر كسب الرجل (اياك) والغضب فانه يضطرك الى سوء الاعتذار (اياك) ومخاصمة اللجوج الحجوج (اياك) ومعاداة الرجال فانك لن تعدم مكر حليم أو مفاجأة لئيم (اياك) وخدمة من شبع من الرياسة وملّ من السياسة فانه يرى كبير ماتصنعه فى حقه صغيرا وصغير مايصنعه فى حقك كبيرا (اياك) والتسويف فانك بيومك ولست بغدك فان كان غدلك فكس فيه وان لم يكن لك لم تندم على ما فرطت فيه (اياك) والرأى الفطير (اياك) والمقام ببلد ليس فيه نهر جار ولا سوق جامعة ولا سلطان عادل (اياك) وعلم النجوم فانه يدعو الى الكهانة (اياك) والكبر وليكن مما تستعين به على تركه علمك بالذى كنت منه والذى تصير اليه (اياك) واخوان السوء فانهم يخونون من رافقهم ويخونون من صادقهم (اياك) والعجلة فان العرب كانت تكنيها أم الندامة (اياك) ومفارقة الاعتدال فان المسرف مقصر (اياك) والنمائم

(اياك) ومشاورة شاب معجب برأيه أو كبير قد أخذ الدهر من عقله كما أخذ من جسمه (اياك) وما يسبق الى القلوب انكاره وان كان عندك اعتذاره (اياك) وكل جليس لا يفيدك علما ولا تصيب منه خيرا (اياك) ان تكون ممن يقول بالعقل و يعمل بالهوى (اياك) وصاحب السوء فانه يحسن منظره و يقبح مخبره

﴿ومن الشعر في هذا الفصل قولهم﴾

(اياك) من زلل اللسان فانما
عقل الفتى في لفظه المسموع
والمرء يختبر الاناء بنقره
ليرى الصحيح به من المصدوع

﴿آخر﴾

(اياك) والنخوة في ملبس
والبس من الاثواب اسمالها
تواضع الانسان في نفسه
أشرف للنفس واسمى لها

﴿آخر﴾

(اياك) ان تحقر الرجال فما
تدريك ماذا تكنه الصدف
نفس الكريم الجواد باقية
يوما وان كان مسه الجعف
والحر حر وان ألم به الـ
ـضر ففيه العفاف والانف

﴿آخر﴾

(اياك) والدنيا الدنية انها
دار متى ما لمتها لم تسلم
وتجنب الظلم الذي هلكت به
أمم تودلو انها لم تظلم

﴿آخر﴾

(اياك) ان تعظ الرجال وقد
أصبحت محتاجا الى الوعظ

﴿فصل اذا﴾

﴿فمن الحديث الوارد عن النبي صلى الله عليه وسلم﴾

ما أخرجك قال ابتليت بك قال فهل لك في خبر قال الجراح وما هو وقال أنهزم لك فتنر جمع الحجاج وتد أحسنت عنده وأما أنا فاحتمل مقالة الناس في انهزامي حبا للسلامتك فاني لأحب قتل مثلك من قومي قال افعل فحمل الجراح على عبد الله فاستطرد له عبد الله وتبعه الجراح يريد قتله فصاح بعبد الله غلام له وكان ناحية عنه وكان معه اداوة وقال يا سيدي ان الرجل يريد قتلك فعطف على الجراح فضربه بعمود على رأسه فصرعه فقال له يا جراح بئس ماجز يتني به أردت لك العافية وتريد قتلي انطلق فقد تركتك للصداقة التي بيني وبينك فشتان ما بين الفعلين * قصد أبو بكر الخوارزمي الصاحب بن عباد ومدحه بقصيدة قال فيها

وماخلقت كفاك الا لأربع * عوائد لم يخلق لهن يدان
لشكرك أفواه وتنويل نائل * وتقبيل هندي وأخذ عنان

فلما بلغ الى هذا البيت قال له لم تذكر القلم وهو آلة الكاتب وبه تقدم ورأس فقال قصيدة مدحه بها جاء منها

يد تراها أبدا * فوق يد وتحت فم
ماخلقت بنانها * الا لسيف وقلم

فخلع عليه كل ملبوسه وخلع عليه كل من كان في مجلسه من الثياب موافقة للصاحب فحصلت له مائة جبة فلم يرضه ذلك وانصرف فهجاه بقوله

لا تحمدن ابن عباد ولو مطرت * كفاه بالجود حتى جازت الديما
لكنها خطرات من وساوسه * يعطي ويمنع لا بخلا ولا كرما

واتفق ان مات الخوارزمي عقب قوله هذه الابيات فلما بلغ الصاحب موته قال

سألت بريدا من خراسان مقبلا * أمات خوارزميكم قال لي نعم
فقلت اكتبوا بالجص من فوق قبره * ألا لعن الرحمن من يكفر النعم

﴿ومما يدل على خبث نجار اللئيم الغدر بمن يركن اليه و يستنيم﴾

(قال رسول الله صلى الله عليه وسلم) اذا جمع الله الاولين والآخرين رفع لكل غادر لواء وقيل هذه غدرة فلان (وقالوا) من نقض عهده ومنع رفده فلا خير عنده (وقالوا) العذر يصلح في كثير من المواطن ولا عذر لغادر ولا خائن (شاعر)

أخلق بمن رضي الخيانة شيمة * أن لا يرى الا صريع حوادث
مازالت الآراء تلحق بؤسها * أبدا بغادر ذمة أو ناكث

(وقالوا) الغدر من صغر القدر (ويقال) من تعدى على جاره دل على لؤم نجاره وقال علي رضي الله عنه الوفاء بأهل الغدر غدر والغدر بأهل الغدر وفاء * ذكر أن عيسى عليه السلام مر بانسان يطارد حية وهي تقول له والله لئن لم تذهب عني لانفخن عليك نفخة أقطعك بها قطعا فمضى عيسى وعاد فوجد الحية في جونة الرجل محبوسة فقال لها ويحك أين ما كنت تقولين قالت ياروح الله انه حلف لي وغدر وان سم غدره أقتل له من سمي * أعرق الناس في الغدر عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث بن قيس بن معديكرب فان عبد الرحمن غدر بالحجاج لما ولاه بلاد خراسان وادعى الخلافة وقاتله وكانت بينهم ثمانون وقعة وكان آخرها دائرة السوء عليه (وغدر) محمد بن الاشعث بأهل طبرستان وكان عبيد الله ولاه اياها فصالح أهلها على أن لا يدخلها ثم عاد اليهم غادرا فأخذوا عليه الشعاب وقتلوا ابنه أبا بكر (وغدر) الاشعث بن قيس ببني الحرث بن كعب غزاهم فأسروه ففدى نفسه بمائتي بعير فأعطاهم مائة و بقيت عليه مائة لم يؤدها لهم حتى جاء الاسلام فهدم ما كان في الجاهلية (وكان) بين قيس بن معديكرب وبين مراد عهد الى أجل فغزاهم في آخر يوم من الاجل وكان

يوم الجمعة فقالوا له انه لا يحل لنا أن نقاتل يوم السبت فأخوهم فلما كان صبيحة السبت قاتلهم فقتلوه وهزموا جيشه (وغدر) معديكرب بجهرة وكان بينه وبينهم عهد الى أجل فغزاهم ناقضا العهد هم فقتلوه وفتقوا بطنه وملؤه بالحصا

﴿ومما ينزع لباس الحسب والصيانة رفول المرء في أطمار الخيانة﴾

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ايمان لمن لا أمانة له ولا دين لمن لا عهد له * وقال صلى الله عليه وسلم لا تزال أمتي بخير ما لم تر الامانة مغنما والصدقة مغرما (ومن الحكايات في هذا الباب) ما يحكى ان شهر بن حوشب وكان من اجلة القراء واصحاب الحديث دخل على معاوية وبين يديه خرائط قد جمعت لتوضع في بيت المال فقعد على أحداها ومعاوية يراه فلما رفعت الخرائط فقد من عددها خريطة فأعلم الخازن بذلك معاوية فقال هي محسوبة لكم ولا تسألوا عن آخذها وفيه يقول الشاعر

لقد باع شهر دينه بخريطة * فمن يامن القراء بعدك يا شهر

* كان للمأمون خادم يسرق طست الذي يتوضأ فيه فقال له يوما اهلا اذا سرقت تأتيني بما تسرقه فأشتريه منك قال فاشتر مني هذه واشار الى التي بين يديه قال بكم هي قال بدينارين قال على أن لا تسرقها فقال نعم فأعطاه دينارين ولم يعد الخادم يسرق شيأ لما رأى من حلمه عنه * وقال المنصور لعامل بلغه عنه خيانة يا عدو الله وعدو أمير المؤمنين وعدو المسلمين أكلت مال الله وخنت خليفة الله فقال يا أمير المؤمنين نحن عيال الله وأنت خليفته والمال مال الله فمن أين نأكل اذا فضحك منه وأطلقه وأمر أن لا يولى عملا بعدها (سرق) رجل في مجلس أنوشروان جام ذهب وهو يراه فلما فقده الشرابي قال والله لا يخرج أحد حتى يفتش فقال أنوشروان لا تتعرض لاحد فقد أخذه من لا يرده ورآه من لا ينم عليه (وأودع) بعض التجار عند قاضي معرة النعمان وديعة وغاب عنها مدة فلما جاء طالبه بها فأنكرها فتشفع اليه برؤساء بلده في ردها فلم يزالوا به حتى أقر بها وادعى انها سرقت من حرزه فاستحلفه فحلف فعمل فيه ابن الدويرة الشاعر المعري ابياتا منها

لا يصدق القاضي الخؤن اذا ادعى * عدم الوديعة من حصين المودع
ان قال قد ضاعت فيصدق انها * ضاعت ولكن منك يعني لو تعي
او قال قد وقعت فيصدق انها * وقعت ولكن منه احسن موقع

(وقال ابن حجاج)

وادعوهم الى القاضي عساهم * اذا وقع الجحود يحلفوني
واضيع ما يكون الحق عندي * اذا عزم الغريم على اليمين

(آخر)

اذا حلفوني بالغموس فختمهم * يمينا كسحق الاتحمي الممزق
وان احلفوني بالعتاق فقد درى * سحيم غلامي انه غير معتق
وان أحلفوني بالطلاق رددتها * على خير ما كانت كان لم تطلق

(وقف) بعض المجان على قبر سارق فقال رحمك الله فلقد كنت احمر الازار حاد الذكين ان نقبت ففرذ وان تسلقت فسنور وان استلبت فحدأة وان ضربت فقاص ولكنك اليوم وقعت في زاوية سوء وليس كل حبس تحبس فيه الى امتداد على اموال العباد

﴿ومن الصنيع الدال على لؤم الاصول من كان بسيف جوره على العباد يصول﴾

* قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الظلم ظلمات يوم القيامة * وقال عليه الصلاة السلام اعتى الناس على الله وابغض الناس الى الله وابعد الناس من الله رجل ولاه الله تعالى من

(اذا) أتاكم كريم قوم فأكرموه (اذا) أحب أحدكم أخاه فليعلمه (اذا) تقارب الزمان انتقى الموت خيار أمتي كما ينتقي أحدكم الرطب من الطبق (اذا) أعطى الله أحدكم خيرا فليبدأ بنفسه وأهل بيته (اذا) أراد الله تعالى انفاذ قضائه وقدره سلب ذوي العقول عقولهم حتى ينفذ قضاؤه وقدره (اذا) أراد الله قبض عبد بأرض جعل له فيها حاجة (اذا) اشتكى المؤمن أخلصه ذلك من الذنوب كما يخلص الكير الخبث من الحديد (اذا) أردت أمرا فتدبر عاقبته (اذا) خفت الله خوف الله منك كل شئ واذا لم تخف الله خوفك الله من كل شئ (اذا) أراد الله بعبد خيرا فقهه في الدين (اذا) أراد الله بعبد خيرا ألهمه رشده (اذا) أراد الله بعبد خيرا عسله وهو أن يذكر بذكر جميل (اذا) يسر أحدكم على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة (اذا) استنصحك أخوك فانصح له (اذا) شردك الهوى عن طاعة الله فاكرهه بذكر الموت (اذا) تمنى أحدكم فلينظر ما تمنى فانه لا يدري ما كتب له من أمنيته (اذا) جاءكم الزائر فأكرموه (اذا) أراد الله بعبد خيرا جعل له واعظا من نفسه (اذا) تثبت أصبت أو كدت تصيب واذا استعجلت أخطأت أو كدت تخطئ (اذا) تضايقت المجالس فبين كل كريمين مجلس (اذا) أحب الله عبدا حماه الدنيا كما يحمي أحدكم مريضه الماء

﴿ومن الحكمة المأثورة عن السلف وغيرهم﴾

(اذا) عثر عاثر فاحمد الله أن لا تكونه (اذا) أردت ان تفتضح

امة محمد شيأ فلم يعدل فيهم (وقال) سفيان الثورى لأن نلق الله تعالى بسبعين ذنبا فيما بينا
و بينه اهون عليك من ان تلقاه بذنب واحد فيما بينك و بين العباد (ويقال) من طا
عدوانه زال سلطانه (وقال) امير المؤمنين على رضى الله عنه يوم المظلوم على الظالم اشد
يوم الظالم على المظلوم (ويقال) الظلم يجلب النقم و يسلب النعم (وقالوا) من ظلم من الملو
فقد خرج من كرم الحرية والملك الى دناءة العبودية والملك (ويقال) ليس شئ اسرع ا
تغيير نعمة وتعجيل نقمة من الاقامة على الظلم (وفى الخبر) يقول الله تعالى اشتد غضبى ع
من ظلم من لا يجد له ناصرا غيرى (وقالت الحكماء) شر الملوك الافاك السفاك (وقال)
منصور الثعالبى اخلق بالملك الظلوم ان يصير غصة للرائين وعظة للراوين (وقالو)
الظلم اسرع الى تبديل النعم و تعجيل النقم من الطيور الى الاوكار ومن الماء فى الانحدار
(وقالوا) سبع خطوم خير من وال ظلوم (كان) زياد بن أبيه ممن استطال بجوره وعس
فى ولايته عراق البصرة والكوفة فلما ذل له من فيهما كبرت عليه نفسه واستقلهما
فكتب الى معاوية انى قد ضبطت العراقين بيمينى و بقيت شمالى فارغة فجمع له معاوية
الحجاز واتصلت ولايته بالمدينة فاجتمع أهل المدينة فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم
فلاذوا بقبره يسألون الله تعالى الاقالة منه و رفع عبد الله بن عمر يديه وقال اللهم اكفنا شم
زياد كما كفيتنا يمينه فطعن فيها فشاور شريحا فى قطعها فقال له رزق مقسوم وأجل معلوم
وانى أكره ان كانت لك مدة أن تعيش أجذم وان حم اجلك ان تلقى الله مقطوع اليد
سألك لم قطعتها فتقول بغضا للقائك وفرارا من قضائك فتركها فلما خرج شريح من عند
لامه الناس فقال انه قد استشارنى والمستشار مؤتمن ولولا امانة المشورة لوددت ان الله ق
يده يوما ورجله يوما وسائر اعضائه يوما يوما وزاره شريح بعد ذلك فلما خرج من عند
قال له مسروق كيف تركت الامير قال تركته يأمر و ينهى فأول قوله فاذا هو يأمر بالوصية
و ينهى عن البكاء عليه ومات من تلك السنة ثلاث وخمسين فى رمضان وكان مولده
الهجرة ودفن فى ارض الكوفة وسنأتى على نتف من مولده ونسبه فيما يلى هذا الفصل ا
شاء الله تعالى (ومن المفرطين فى العسف والعنف) يوسف بن عمر الثقفى قلده هشام
عبد الملك العراق وكان شيطانا مريدا وجبارا عنيدا سفاكا للدماء معروفا بالا
والغشم ولما قلده امره بالقبض على خالد بن عبد الله القسرى فسار اليه حتى هجم عـ
وهو فى قصره على حين غفلة من امره فأخذه ثم رقى المنبر وقال يا أهل العراق ان الحجاج
كان دخانا أنا ناره و لهبا أنا شراره فعليكم بالطاعة العائدة بجزيل الثواب واياكم والمخالفة
الموجبة لوشك العقاب وقد أعذر من أنذر ثم نزل (يحكى عنه) أنه دخل دار الضرب فعـ
درهما فوجده ناقصا حبة فضرب فيها الامناء والصناع عشرة آلاف سوط (وكان) الفضل
ابن مروان وزير المعتصم ظالما غاشما متجحا بالظلم متجبرا متكبرا كان المعتصم يقول
الفضل بن مروان أسخط الله وأرضانى فسلطنى الله عليه دخل عليه الهيثم بن فراس
الشاعر متظلما من بعض عماله فصرف وجهه عنه ولوى عطفه فخرج من عنده وهو ينشد

تجبرت يا فضل بن مروان فانتظر * فقبلك كان الفضل والفضل والفضل
ثلاثة أملاك مضوا لسبيلهم * أبادهم التغيير والموت والقتل
فان تك قد أصبحت فى الناس ظالما * ستودى كما أودى الثلاثة من قبل

فلما سمع الفضل أبياته قال ما الذى عنى بقوله فقيل انه أراد الفضل بن يحيى والفضل
سهل والفضل بن الربيع فتغير وجهه ولم يلبث الا أياما يسيرة حتى قبض عليه (وفيه) يقـ

ثم من لا يمتثل أمرك (اذا) لم
تقدر ان تعض يد عدوك فقبلها
(اذا) طلبت حاجة الى ذى سلطان
فأجمل فى الطلب اليه (اذا)
أحدث العدو صداقة لعلة ألجأته
اليك فمع ذهاب العلة رجوع
العداوة (اذا) كانت مغالبة
الغدر مستحيلة فمن أعوان نفوذه
الحيلة (اذا) هدأ غضبك فتكلم
(اذا) أصابتك مصيبة فاعلم انه قد
يكون أجل منها فلتهون عليك
مصيبتك (اذا) كان الرأى عند
من لا يقبل منه والسلاح عند من
لا يستعمله والمال عند من لا ينفقه
ضاعت الامور (اذا) تغافل أهل
التفضل هلك أهل التحمل (اذا)
عدم الانسان العقل والتوفيق لم
يصلح له شئ من أمره (اذا)
استدناك السلطان فلا تفشين له
سرا ولا تغتابن عنده أحدا
ولا يجرين عليك كذبا (اذا)
أرسلت الهدية أتتك الحاجة
مقضية (اذا) ظلمك أحد فارض
بالله منتصفا فانه أشد انتصارا
لظلامتك (اذا) أحببت فلا تفرط
واذا أبغضت فلا تشطط (اذا)
أردت ان تعلم خطأ معلمك فجالس
غيره (اذا) أردت ان تعلم قدر
نعمة الله عليك فغمض عينيك
(اذا) انقطع رجاؤك من صديقك
فألحقه بعدوك (اذا) أقبلت
الدنيا على الانسان أعطته محاسن
غيره واذا أدبرت عنه سلبته محاسن
نفسه (اذا) أردت أن يصلح لك
يومك فافتحه بصدقة واختمه بعارفة
(اذا) أكرمك الناس لمال
أو لسلطان فلا يعجبنك ذلك فان
زوال الكرامة بزواله (اذا)
استقمت فى جميع أمرك فلا تبال
بمقال غيرك (اذا) أغب الزيارة

بعض الشعراء من أبيات هي قوافيها على ألفاظ الفضل المتفقة مبانيها المختلفة معانيها ولقد أبدع وأجاد فيها

نصحت فأخلصت النصيحة للفضل * وقلت فبينت المقالة للفضل
ألا ان فى الفضل بن يحيى لعبرة * ان اعتبر الفضل بن مروان بالفضل
وفى ابن الربيع الفضل للفضل زاجر * ان ازدجر الفضل بن مروان بالفضل
وللفضل فى الفضل بن سهل مواعظ * ان اتعظ الفضل بن مروان بالفضل
اذا ذكروا يوما وقد صرت رابعا * ذكرت بقدر السعى منك الى الفضل
فأبق جميلا من حديث تكونه * ولا تدع المعروف والاخذ بالفضل
فانك قد أصبحت للناس قائما * وصرت مكان الفضل والفضل والفضل

من أبيات كثيرة أتيت منها على ما مست الحاجة اليه ووقع الاختيار عليه

(وقال شاعر فى نكبته)

لا تغبطن اخا الدنيا بمقدرة * فيها وان كان ذا عز وسلطان
يكفيك من غير الايام ما صنعت * حوادث الدهر بالفضل بن مروان
ان الليالى لم تحسن الى أحد * الا أساءت اليه بعد احسان

(وصف) بعض البلغاء عاملا للمأمون فقال يا أمير المؤمنين ما ترك فضة الا فضها ولا ذهبا الا ذهب به ولا علقا الا علقه ولا ضيعة الا أضاعها ولا غلة الا غلها ولا عرضا الا عرض له ولا ماشية الا امتشها ولا جليلا الا أجلاه ولا دقيقا الا دقه ولا رقيقا الا أرقه فضحك منه وصرفه عن أهل ناحيته (ووصف) بعضهم عامل ولاية فقال والله ما الذئب فى الغنم بالقياس اليه الا من المصلحين ولا السوس فى الخز زمن الصيف الا من العادلين ولا يزدجرد الاثيم فى أهل فارس بالاضافة اليه الا من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ولا فرعون فى بنى اسرائيل اذا قابلته به الا من الملائكة المقربين (ووصف) آخر عامل ولاية فقال كان يجبى خراج الوحش ويأخذ جزية السمك ويطالب زكاة الملائكة ويلتمس جمع الريح ويروم القبض على الماء وحصر الحصا وكيل الانهار وتحصيل الهباء ولئن كانت النعمة عظمت على قوم خرج عنهم لقد جلت المصيبة بقول نزل فيهم (وذم) البديع الهمدانى قاضيا ووصفه بالظلم فقال قاض لا شاهد عنده أعدل من السكر والجام يدلى بهما الى الحكام ولا ولى أصدق لديه من السفر الذى يرقص على الظفر ولا وثيقة أحب اليه من غمزات الخصوم على الكيس المختوم ولا وكيل أعز عليه من المنديل والطبق فى وقتى الفلق والغسق واقسم لو ان اليتيم وقع بين الاسود بل الحيات السود لكانت سلامته منها أيسر من سلامته من أصحابه وما ظنك برجل يعادى الله فى الغلس ويبيع الدين بالثمن البخس ولص لا ينقب الا خزائن الاوقاف وكردى لا يغير الا على الضعاف وذئب لا يفترس عباد الله الا بين الركوع والسجود ومحارب لا ينهب مال الله الا بين العدول والشهود (قيل) لبعض الاعراب ايما أحب اليك أن تلقى الله ظالما أو مظلوما قال ظالما قيل له ويحك ولم قال ما عذرى اذا قال لى خلقتك سويا دويا لم تستعد وأنشد بيت زهير بن أبى سلمى

ومن لا يذد عن حوضه بسلاحه * يهدم ومن لا يظلم الناس يظلم

﴿ومن معايب من رغب عن المكارم القاء الحشمة فى ارتكاب المحارم﴾

كما يحكى ان نصر بن سيار مر بأبى الهندى وكان شريفا فى قومه وهو يميل سكرا فقال له أفسدت شرفك فقال أبو الهندى لو لم أفسد شرفى لم تكن أنت والى خراسان (وكان) يزيد بن

الانسان أمن الملل من الاخوان (اذا) ارتجت المطالب فالصبر يفض غلقها ويرض بخلقها ويراوض خلقها (اذا) عملت سيئة فاتبعها حسنة تمحها سريعا (اذا) احتاج اللئيم تخاضع واذا استغنى تجبر وتكبر (اذا) رمت اذاية غيرك فتصور اذايته لك (اذا) ظلمت من دونك فلا تأمن عقاب من فوقك (اذا) ألم الالم فالمعاجلة بالمعالجة (اذا) أتاك الخصم وقد فقئت عينه فلا تحكم له حتى يأتى خصمه فلعله قد فقئت عيناه جميعا (اذا) أردت أن تعلم ما للعبد عند ربه فانظر الى ما يتبعه من حسن الثناء (اذا) أراد الله أن يذل عبده جعل الدين قلادة فى عنقه (اذا) التذ الوزير بغير الرأى الجزل ومال الى الهزل فقد تعرض للعزل (اذا) وليت سلطانا فابعد عنك الاشرار فان جميع عيوبهم منسوبة اليك (اذا) أكثرت العتاب كررت العذاب (اذا) التبست عليك المصادر ففوض الامر الى القادر (اذ) ازدحم الجواب عمى الصواب (اذ) أردت أن تعلم ما يغلب على الانسان من قوى الخير والشر فاستشره بذلك رأيه عليه أصح دلالة (اذا) احتجت الى المشاورة فشاور ذوى الحنكة والتجربة من ذوى طبقتك وصناعتك (اذا) أمكنت عدوك من اذنك وقد تعرضت للغرق فى بحره (اذا) أسأت فاندم (اذا) أدبر الامر كان العطب فى الحيلة (اذا) ابتلى المرء أتاه الشر يطلبه من كل ناحية (اذا) استطالت أيدى العمال يحق الاختلال ببيوت المال والاموال (اذا) اضطررت الى الكذاب فلا تصدقه ولا تعلمه

معاوية يلقب بالسكران لكثرة انهما كه على كثرة شرب الخمر ولقب أيضا يزيد الخمر بلغه ان المسور بن مخرمة يرميه بشرب الخمر فكتب الى عامله بالمدينة أن يجلد المسور حد القذف ففعل فقال المسور

أتشربها صرفا تطش دنانها * أبا خالد والحد يضرب مسور

وكان له قرد يكنى أبا قيس يحضره مجلس شرابه ويطرح له متكأ ويسقيه فضلة كأسه واتخذ له أتانا وحشية قد رضت له وذللت وصنع لها سرج ولجام من ذهب يركبه بهما عليها ويسابق بها الخيل يوم حلبة الرهان فجاء يوما سابقا وتناول القصبة التي هي الغاية ودخل الحجرة قبل مجيء الخيل وعليه قباء وقلنسوة من الحرير الاحمر وفيه يقول بعض شعراء الشام

تمسك أبا قيس بفضل زمامها * فليس عليها ان سقطت ضمان

الا من رأى القرد الذي سبقت به * جياد أمير المؤمنين أتان

(وكان) الوليد بن يزيد بن عبد الملك مما جنا زنديقا مستهزئا مستخفا مستهينا بالخاصة والعامة مدمنا للخمر متلاهيا باللهو واللعب مصرا على ارتكاب الفواحش مشتغلا بخلاعته عن النظر في أمور المسلمين والقيام بحقوق الخلافة وأمور المملكة وأحوال الرعية وفيه يقول القائل

مضى الخلفاء بالامر الحميد * وأصبحت المذمة للوليد

تشاغل عن رعيته بلهو * وخالف قول ذي الرأي السديد

ذكر ثقات المؤرخين ان المؤذن أذنه يوما للصلاة وهو في لهوه فأمر جارية من جواريه الفواسق أن تعتم وتتلثم وتصلي بالناس فخرجت على هذه الصفة وصلت بهم * وبلغ من تهكمه بالشريعة أنه كان يفطر في رمضان والشاهد عليه ما يقال انه من شعره

الا من مبلغ الرحمن عني * بأني تارك شهر الصيام

(وقوله) يا أيها السائل عن ديننا * نحن على دين أبي شاكر

نشربها صرفا وممزوجة * بالسخن والبارد والفاتر

(وحكى) أنه استدعى أشعب الطامع من المدينة وألبسه سراويل من جلد قرد له ذنب وانترح عليه صوتا يرقص به فلما فعل ذلك أعطاه ألف درهم وقيل انه لما دخل عليه أخرج له ذكره منعظا وقال له هل رأيت مثل هذا قال لا قال فاسجد له فسجد وهو والقائل يخاطب المصحف وقد جعله هدفا حين تفاءل منه فخرج قوله تعالى واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد

أتوعد كل جبار عنيد * فها أنا ذاك جبار عنيد

اذا ما جئت ربك يوم حشر * فقل يا رب مزقني الوليد

والسبب في قوله هذا أنه لما رأى حالته قد انحل نظامها ودولته مدبرة وقد نقدت ايامها فتح المصحف ينظر فيه فألا فخرج له واستفتحوا الآية

﴿ومن قوله يخاطب المصحف فعل من بدل وحرف﴾

تخوفني الحساب ولست أدري * أحقا ما تقول من الحساب

فقل لله يمنعني طعامي * وقل لله يمنعني شرابي

تلاعب بالنبوة هاشمي * بلا وحي أتاه ولا كتاب

فمنعه الله طعامه وشرابه كما أراد في مقاله وسلط عليه من قتله وهكذا عادة الله في أمثاله فقتل يوم الخميس لليلتين بقيتا من جمادى الاولى سنة ست وعشرين ومائة بالبخراء وهو قصر على ستة أميال من تدمر وله من العمر اثنتان وأربعون سنة وقيل تسع وثلاثون وأشهر وكانت

بأنك تكذبه فينتقل عن وده ولا ينتقل عن طبعه (اذا) اجتمع للرئيس المجد والحد والجد والجود فناهيك به (اذا) تحكم سلطان الهوى هدم أركان القوى (اذا) وافق هواك رشادك فقد أحرزت معادك (اذا) تغير السلطان تغير الزمان (اذا) تم العقل نقص الكلام (اذا) تزايد الانسان فضلا في نفسه انتقم من عدوه (اذا) تواترت على المرء العلل ظهر في جسمه الخلل (اذا) جاء النص بطل القياس (اذا) جهل عليك الاحمق فليس له صلاح الا الرفق والتلطف (اذا) حان القضاء ضاق الفضاء (اذا) رأيتم النعم مستقبلة فبادروها بالشكر قبل حلول الزوال (اذا) رأيت الشيب متزايدا فلتكن للآخرة متزودا (اذا) رأيت الشر يترك فاتركه (اذا) فتحت بينك وبين أحد بابا من المعروف فاحذر أن تغلقه ولو بالكلمة الجميلة (اذا) رقت حال الانسان هان على الاخوان (اذا) رضي المرء بالميسور ضرب بينه وبين الانكاد بسور (اذا) رأيت من يحسدك وأردت أن تسلم من شره فعم عليه أمورك (اذا) أردت شرا بعدوك فاستعرض أخلاقه فانك لا تجدها بأسرها كاملة ولا بد من ان يلحقها النقص فادخل اليه من عورته فانه لا يفوتك (اذا) أنجز رجل ما وعد به من معروف فاحرز فضيلتي الجود والصدق (اذا) بلغ المرء في الدنيا فوق مقداره تنكرت أخلاقه للناس (اذا) أبصرت العين الشهوة عمي القلب عن الاختيار (اذا) زادك السلطان اكراما فزده اعظاما (اذا) زلت

مدة خلافته سنة وشهرين وعشرين يوما وحمل رأسه الى دمشق وعلق بها وقرن به دف وطنبور ولم يزل أثر الدم على الجدران الى أن قدمها المأمون سنة خمس عشرة ومائتين فأمر بحكه (وكان) والبة بن الحباب من الخلعاء المستهترين وهو الذى ربى أبا نواس وأدبه يحكى عنه أنه كشف يوما عن فقحته فقبلها فضرط على لحيته فقال له ويلك ماهذا فقال أما سمعت المثل * جزاء مقبل الوجعاء ضرطه * فزاد كلامه عجبا به (ويحكى) أن جماعة اجتمعوا فى مجلس لمطيع بن اياس يشربون الخمر فأقاموا على ذلك ثلاثة أيام فقال لهم يحيى ابن زياد ليلة وهم سكارى ويحكم ماصلينا منذ ثلاثة أيام فقوموا حتى نصلى فقام مطيع فأذن وقال للقينة تقدمى وصلى بنا وافرئى فى صلاتك

علق القلب الربابا * بعدما شابت وشابا

فتقدمت وصلت وكانت بلا سراويل وعليها غلالة رقيقة يظهر سائر جسدها منها فلما سجدت انكشف سترها وبدا هنها فوثب اليه مطيع وقبله ثم قال

ولما بداهنها جاثما * كرأس حليق ولم يعتمد
سجدت عليه فقبلته * كما يفعل العابد المجتهد

فقطعوا صلاتهم بالضحك وعادوا الى ماهم فيه (ومن أشعارهم) قول أبى نواس

انما الدنيا غلام * وطعام ومدام فاذا فاتك هذا * فعلى الدنيا السلام

فبئسا لهم ألم يعلم عاقلهم وجاهلهم بأن الله يرى وأن بيده نواصى ما ذرأ وبرأ ولكن غرهم الامهال حتى ظنوا أنه اهمال فنبدلنا الله من سنة الغفلة بيقظة الطاعة وألهمنا من العمل مانفوز بأجره الى قيام الساعة آمين

﴿ومن خلائق العريق فى الوضاعة أخذ النفس بالتكبر والرقاعة﴾

قال الشافعى أظلم الناس لنفسه اللئيم اذا ارتفع جفا أقاربه وأنكر معارفه واستخف بالاشراف وتكبر على ذوى الفضل (وقال) أبو مسلم ماضاع الاوضيع ولا فاخر الا لقيط ولا تعصب الا دخيل (وقال عمر) ماوجد أحد فى نفسه كبرا الا لمهانة يجدها فى نفسه (ويقال) الاعجاب يغطى سائر المحاسن ويكفى فى ذم الكبر قول الله تعالى سأصرف عن آياتى الذين يتكبرون فى الارض بغير الحق قال ابن عيينة حرمهم فهم القرآن (قال) بعض البلغاء الكبر من أخبث سرائر القلوب وأعظم كبائر الذنوب لا يرى صاحبه أبدا الا فظا غليظا ولا يرى لاحد سواه فى الفضل حظا حظيظا وكفى به شيمة مشؤمة وخلة مذمومة أهلكت الاكابر حديثا وقديما وعاد الكريم من الرجال ذميما مليما (وقال) رسول الله صلى الله عليه وسلم لايدخل الجنة من فى قلبه مثقال ذرة من كبر (وكان) يقال من جهل قدر نفسه فهو بقدر غيره أجهل ومن أنف من عمل نفسه اضطر الى عمل غيره (وقالوا) من قل لبه كثر عجبه (وقال) أزدشير بن بابك ما الكبر الا فضل حمق لم يدر صاحبه أين يضعه فصرفه الى الكبر وقال الشاعر وقيل لمعتصم بالتيه من حمق * لو كنت تعرف مافى التيه لم تته

التيه مفسدة للدين منقصة * للعقل مهلكة للعرض فانتبه

(آخر) رأيت الفتى يزداد نقصا وذلة * اذا كان منسوبا الى العجب والكبر
ومن ظن أن العجب من كبر همة * فانى رأيت العجب من صغر القدر

(وأنشد) الامام محيى الدين محمد عرف بحامى رأسه النحوى لنفسه

ومعتقد أن الرياسة فى الكبر * فأصبح ممقوتا به وهو لا يدرى
يجرذيول الفخر طالب رفعة * ألا فاعجبوا من طالب الرفع بالجر

فارجع (اذا) رأيت انسانا قد أخطأ فلا تعلمه فانه يتعلم منك ويغضب عليك (اذا) طلب رجلان أمرا ظفر به أعظمهما مروءة فان استويا فى المروءة فأكثرهما أعوانا فان استويا فى الاعوان فأسعدهما جدا (اذا) طال الامل فى الدنيا قصر العمل فى الآخرة (اذا) ظهر الحيف فى الامم فانتظر السيف من أمم (اذا) عدل السلطان فى رعيته بلغ فى مناواته أقصى أمنيته (اذا) غلبتك امرأتك على الامر فاهدها انها عدوك (اذا) فسد الزمان كسدت الفضائل وضرت ونفقت الرذائل ونفعت (اذا) فاتك العلم فالزم الصمت (اذا) قدرت على عدوك فاجعل العفو عنه شكر المقدرة عليه (اذا) قيض الله للرجل امرأة كثيرة الحياء جميلة المحيا ساعدة فى جميع الاشياء معينة على أمور الدين والدنيا فقد استطاب المحيى (اذا) قبح السؤل حسن المنع (اذا) سألت فاسئل الله فانه أقرب من ناجيت وأكرم من راجيت (اذا) شاورت العاقل صار نصف عقله لك (اذا) هرب الزاهد من الناس فاطلبه واذا طلبهم فاهرب منه (اذا) وجدت مافاتك لا تأسف على مافاتك (اذا) وليت ولاية فليكن حظ أخيك منها الكامل الكافى ونصيبه من ثمرها الوافر الوافى (اذا) كان الامام عادلا فله الاجر وعليك الشكر واذا كان جائرا فله الوزر وعليك الصبر (اذا) كنت فى غير بلدك فلا تنس نصيبك من الذل (اذا) كان فى الصبى الحياء والرهبة طمع فى رشده (اذا) كان الغدر فى الناس طبعا فالثقة

(وقال معاوية) ان التواضع مع البخل والجهل أزين بالرجل من الكبر مع البذل والعقل فيالها حسنة غطت على سيئتين كبيرتين ويالها من سيئة غطت على حسنتين عظيمتين * وقالوا من أصاب حظا من جاه فأصاره الى كبر وترفع أعلم الناس انه دون تلك المنزلة ومن أقام على حاله أعلمهم أن تلك المنزلة دونه وأنهم ادون ما يستحق * مر المهلب بن أبي صفرة على مطرف بن عبد الله وهو يتبختر في جبة خز فقال يا عبد الله هذه مشية يبغضها الله ورسوله فقال المهلب أما تعرفني فقال له ومن أنت قال أنا المهلب قال نعم أعرفك أولك نطفة مذرة وآخرك جيفة قذرة وأنت فيما بين هذا وهذا تحمل العذرة نظم بعضهم هذه الكلمات فقال

عجبت من معجب بصورته * وكان بالامس نطفة مذره
وفي غد بعد حسن طلعته * يصير في اللحد جيفة قذره
وهو على تيهه ونخوته * ما بين جنبيه يحمل العذره

(ولآخر)
يا مظهر الكبر اعجابا بصورته * انظر خلاءك ان النتن تثريب
لو فكر الناس فيما في بطونهم * ما استشعر الكبر شبان ولا شيب
هل في ابن ادم مثل الرأس مكرمة * باربع هو بالاقذار مضروب
أنف يسيل وأذن ريحها سهك * والعين مرمصة والثغر ملعوب
يا ابن التراب ومأكول التراب غدا * أقصر فانك مأكول ومشروب

(ومن ظريف) ما يذكر من أخبار المتكبرين ما يحكى أن علقمة بن وائل الحضرمي قدم على النبي صلى الله عليه وسلم فيمن وفد عليه من سادات العرب فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم معاوية أن ينطلق به الى منزل رجل من الانصار لينزله عنده وكان منزله بأقصى المدينة قال معاوية فخرجت معه وهو راكب ناقته وأنا أمشي في ساعة قيظ يشوي الوجوه وليس لي حذاء فقلت له أردفني خلفك فقال لست من أرداف الملوك قلت اني ابن أبي سفيان قال قد سمعت ذلك من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قلت فألق لي نعليك قال لا تقبلان قدميك ولكن امش في ظل ناقتي فكفى لك بذلك شرفا وان الظل لك لكثير قال معاوية فما مر بي مثل ذلك اليوم قط والله لقد ظننته أنه من جهنم ثم أدرك سلطاني فلم أؤاخذه بل أجلسته معي على سريري هذا (وحكى) أن عمارة بن حمزة وكان متكبرا جدا دخل على المهدي يوما فلما استقر به مجلسه قام رجل كان المهدي قد أعده ليتهكم بعمارة فقال مظلوم يا أمير المؤمنين قال من ظلمك قال عمارة هذا غصبني ضيعتي وكانت من أحسن ضياع عمارة فقال المهدي قم فاجلس مع خصمك قال يا أمير المؤمنين ما هو لي بخصم ان كانت الضيعة له فلست أنازعه فيها وان كانت لي فقد وهبتها له ولا أقوم من مجلس شرفني به أمير المؤمنين فلما خرج الرجل وانفض المجلس سأل عمارة عن صفة الرجل وما كان لباسه وأين كان موضع جلوسه فلم يعلم (وكان) من تيهه أنه اذا أخطأ أمر في خطئه تكبرا عن الرجوع ويقول نقض وابرام في ساعة واحدة الموت أهون منه (وقال) ابن عبدوس الجهشياري كان عمارة أعور دميما استعمله المنصور على الخراج وكور دجلة والاهواز وكور فارس وقلده المهدي ذلك أيضا * وكان عبد الدولة بن جهير وزير المستظهر بالله متكبرا كثير الكبر يكاد يعد كلامه عدا وكان اذا كلم رجلا كلاما يسيرا هنئ ذلك الرجل بكلامه * ومن الكبر المستبشع والتيه المستشنع ما يحكى أن ثوابة دعا أكارا فكلمه فلما فرغ من كلامه دعا بماء وتمضمض به استقذارا لمخاطبته (وأنشدت) لبعض المتكبرين مفتخرا

بكل أحد عجز واذا كان الموت بكل أحد نازلا فالطمأنينة الى الدنيا حمق (اذا) كانت الحظوظ بالجد ففيم الحرص واذا كانت الامور ليست بدائمة ففيم السرور واذا كانت الدنيا غرارة ففيم الطمأنينة (اذا) علمت فلا تذكر من دونك من الجهال واذكر من فوقك من العلماء (اذا) لم يستطع الرجل نيل عظيم الا باحتمال صغير كان حقيقا باحتماله (اذا) لم تربحك تجارة فاعدل عنها الى غيرها (اذا) لم يكن للانسان في نفسه خير لم يكن للناس فيه خير (اذا) مدحت شيأ فاختصر واذا ذممت فاقتصر (اذا) مسك الضر فالله يكفيك واذا شغلك السقم فالله يشفيك (اذا) نزل البلاء فالدعاء يسد بابه ويكف غبابه ويقطع أسبابه (اذا) صلحت الساقية صلحت مجاريها (اذا) صادف معروفك محله ينبغي لك أن تعد ذلك من نعم الله عليك (اذا) لم يكن لك ما تريد فأرد ما يكون (اذا) لم يكن جد ففيم الكد (اذا) زرت منزل أخيك فلم تأكل فيه ولم تشرب فانما زرت قبره (اذا) فضلت محاسن الرجل مساويه فذلك الكامل واذا استويا فهو المتماسك واذا كانت المساوي أكثر فهو المتهتك (اذا) رأيت الرجل يحدثك بما ليس فيك فلا تأمن منه ان يذمك بما ليس فيك (اذا) تشاكلت الاخلاق كثر الاتفاق (اذا) دخل أحدكم بيتا فليجلس حيث أجلسه أهله (اذا) قلت لصديقك قم فقال الى أين فليس بصديق (اذا) كان للمحسن من الجزاء ما يقنعه وللمسيء من النكال ما يقمعه بذل المحسن الواجب عليه

أتيه على جن البلاد وانسها * ولو لم أجد خلقا لتهت على نفسي
أتيه فما أدري من التيه من أنا * سوى ما يقول الناس في وفي جنسي
فان زعموا أني من الانس مثلهم * فمالي عيب غير أني من الانس
(ولابن صابر) أيها المدعي الفخار دع الفخر * لذي الكبرياء والجبروت
نسج داود لم يفد ليلة الغا * ر وكان الفخار للعنكبوت
وبقاء السمند في لهب النا * ر مزيل فضيلة الياقوت

(وصف) البديع الهمداني متكبرا فقال كأن الدنيا خاتم في خنصره وحساب خراجها في بنصره وكأن الشمس تطلع من جبينه والغمام يندى من يمينه وكان كسرى حامل غاشيته وقارون وكيل نفقته * وقال آخر كان العجب شقيقه والبذخ رفيقه والنفخ أليفه والصلف حليفه * وقال جعيفران يهجو سعيد بن مسلم بن قتيبة

أم سعيد لم ولدتيه * مملوءا بالكبر والتيه
ليتك اذ جئت به هكذا * حين خريتيه أكلتيه
(آخر) كبر بلا نسب تيه بلا حسب * نفر بلا أدب هذا من العجب

(والهجو) الفظيع القبيح قول بعض الشعراء في أبي جعفر العباس بن الحسن

ان ابن عباس أبا جعفر * يبذل للنائل أوراكه
تراه من تيه ومن نخوة * كأنه نائك الذي ناكه

* وليم بعض المتكبرين على الاعجاب فقال التواضع يكسب المذلة والافراط في المؤانسة يوجب المهانة وأنشد

ونفسك أكرمها فانك ان تهن * عليك فلن تلقى لها الدهر مكرما
(وقال في معناه صالح بن عبد القدوس)
اذا ما أهنت النفس لم تلق مكرما * لها بعد ما عرضتها لهوان
(آخر) وأكرم نفسي انني ان أهنتها * وحقك لم تكرم على أحد بعدي
(واعتذر متكبر عن كبره بقوله)
ومالي وجه في اللئام ولابد * ولكن وجهي في الكرام عريض
أهش اذا لاقيتهم وكأنني * اذا أنا لاقيت اللئام مريض

﴿الفصل الثالث من الباب الثاني﴾
(في أن من تخلق باللؤم انتفع وعلا على الكرام وارتفع)

قال سعيد بن المسيب الدنيا نذلة تميل الى الانذال وقال لولم يزهد في الدنيا الا انها في يد الانذال لكان ينبغي لنا ذلك لهوانها على الله * وقال الشافعي في ذم الدهر وسوء معاملته لسراته وسقياه لهم أكواب حسراته

محن الزمان كثيرة لا تنقضي * وسروره يأتيك كالاعياد
ملك الاكابر فاسترق رقابهم * وتراه رقا في يد الاوغاد
(ابن الرومي) رأيت الدهر يرفع كل وغد * ويخفض كل ذي شيم شريفه
كمثل البحر يغرق كل حي * ولا ينفك تطفو فيه جيفه
أو الميزان تخفض كل واف * وترفع كل ذي زنة خفيفه
(آخر) رأيت الدهر بالاشراف يكبو * ويرفع راية القوم اللئام
كأن الدهر موتور حقود * يطالب حقه عند الكرام

رغبة وانقادا المسيء للحق رهبة (اذا) جلست في مجلس ولم تكن المحدث ولا المحدث فقم (اذا) احسنت القول فأحسن الفعل يجتمع معك مزية اللسان وثمرة الاحسان (اذا) أردتم أن تعلموا من أين أصاب الرجل المال فانظروا فيم ينفقه فان الخبيث ينفق في السرف

﴿ومن الشعر في هذا الفصل قولهم﴾
اذا ما كنت قد أوتيت حالا
من الدنيا سعيت لنيل حال
فأنت طوال دهرك في عناه
كثير السير في طلب المحال
﴿آخر﴾
اذا ما شئت ان تدعى حكيما
وتلحق بالرجال ذوي الكمال
فلا تغتر في الدنيا بشيء
ولا تخطر لك الدنيا ببال
﴿آخر﴾
اذا ما أخ تاه في ثروة
وكان وصولا باملاقه
أقام لنا لؤم أفعاله
شهيدا على لؤم اعراقه
﴿آخر﴾
اذا اعتذر المسيء اليك يوما
من التقصير عذر فتى مقر
فصنه عن عقابك واعف عنه
فان الصفح شيمة كل حر
﴿آخر﴾
اذا ما الدهر بالحادثات
فكن رابط الجاش صعب الشكيمه
ولا تهن النفس عند الخطوب
اذا كان عندك للنفس قيمه
فوالله ما لقي الشامتون
بأحسن من صبر نفس كريمه
﴿آخر﴾
اذا الحادثات بلغن المدى
وكادت تضيق بهن المهج
وحل البلاء وقل الوفاء

(وقال اسامة بن منقذ)

شغل الزمان باهل النقص برفعهم * حتى تثمر للوراث ماخزنوا
ألهاه رفع لئام الناس فهو على * ذوى المكارم والافضال مضطغن

(آخر)
يادهر صافيت اللئام ولم تزل * أبدا لابناء الكرام معاندا
وعرفت كالميزان ترفع ناقصا * أبدا وتخفض لامحالة زائدا

(آخر)
قل لدهر من المكارم عطل * ياقبيح الفعال جهم المحيا
كم رفيع حططته فى حضيض * ووضيع ألحقته بالثريا

(آخر)
عجبا للزمان يرفع حرا * ماله يه ويمنع المال نذلا
فهو مثل الميزان يرفع ماخف ويهوى فى الوزانة سفلا

(ولقد أحسن الآخر فى قوله)

سألت زمانى وهو بالخفض مولع * وبالجهل محفوف وبالنقص مختص
فقلت له هل من طريق الى العلا * فقال طريقان الوقاحة والنقص

(ويقال) اتضاع الاعالى بارتفاع الاسافل واذا ارتفعت الاراذل هلكت الافاضل (وقال) قيس بن زهير أربعة لايطاقون عبد ملك ونذل شبع وأمة ورثت وقبيحة تزوجت (وقال) ازدشير ماشئ فى انتقال الدول أمر من رفع وضيع الى مرتبة شريف فان الوضيع اذا ارتفع تكبر واذا تول استطال واذا تمكن صال (وقالوا) سوء القتل ولا رياسة النذل (ونرجع) الى خبر أبى بكر الخوارزمى الذى ورديه شرعة الانصاف وحسم فيه بين العقلاء مادة الخلاف قال لاصغير فى الولاية والعمالة ولا كبير مع العطلة والبطالة وانما الولاية أنثى تصغر وتكبر بواليها ومطية تحسن وتقبح بممتطيها والصدر بمن يليه والدست بمن يجلس فيه والاعمال بالعمال كما أن النساء بالرجال (ويؤيد) قوله هذا أن الرشيد بلغه أن موسى بن عيسى الهادى وكان أميرا على مصر من قبله عازم على خلعه فقال والله لاعزلنه بأخس من على بابى وقال ليحيى بن خالد اطلب لى كاتبا عفيفا يصلح لعمل مصر واكتم خبره فلا يشعر موسى حتى تفجأه فقال قد وجدته قال من هو قال عمر بن مهران وكتب له بخطه كتابا الى موسى بتسليم العمل اليه فسار وليس معه غير غلام أسود اسمه ابو درة على بغل استأجره ومعه خرج فيه قميص ومبطنة وشاش وطيلسان وخف فلما وصل الى مصر نزل خانا فأقام فيه ثلاثة أيام يبحث عن أخبار البلد وعمن فيه من العمال وأخبر من كان بجواره فى الخان انه قد ولى مصر واستعمل منهم كاتبا وحاجبا وصاحبا شرطيا وقلد آخر بيت المال وأمر من تبعه ووثق به أن يدخل معه على موسى فاذا سمعوا حركة فى دار الامارة قبضوا على الديوان فلما أبرم أمره بكر الى دار الامارة فأذن موسى للناس اذنا عاما فدخل فى جملتهم ومن اتفق معه وموسى جالس فى دسته والقواد بين يديه وكل من قضيت حاجته ينصرف وعمر جالس والحاجب ساعة بعد ساعة يسأله عن حاجته وهو يتغافل حتى خف الناس فتقدم وأخرج كتاب الرشيد ودفعه لموسى فقبله ووضعه على رأسه ثم فتحه وقرأه فانتقع لونه وقال السمع والطاعة ثم قال أقرئ أبا حفص السلام وقل له كن بموضعك حتى نتخذ لك منزلا ونأمر الجند يستقبلونك قال أنا عمر بن مهران وقد أمرنى أمير المؤمنين أن أقيمك للناس وأنصف المظلوم منك وأنا فاعل ما أمرنى به أمير المؤمنين فقال له موسى أنت عمر بن مهران قال نعم قال لعن الله فرعون حيث قال أليس لى ملك مصر واضطرب المجلس فقبض على الديوان فبلغ موسى الخبر فنزل عن فرشه وقال لا اله الا الله هكذا تقوم الساعة ما ظننت

ان

فعند التناهى يكون الفرج

(آخر)

اذا قل مال المرء قل صديقه
وضاق به عما يريد طريقه
وقصر طرف العين عنه كلالة
وأسرع فيما لايحب شقيقه
وذم اليه خدنه طعم عوده
وقد كان يستحليه حين يذوقه

(آخر)

اذا كنت ذامال ولم تك منفقا
فأنتما ذا والمقترون سواء
على ان للاموال يوما تباعه
على أهلها والمقترون براء

(آخر)

اذا كنت فى كل الامور معاتبا
صديقك لم تلق الذى لاتعاتبه
فعش واحدا أوصل أخاك فانه
مقارف ذنب تارة ومجانبه

(آخر)

اذا تخلفت عن صديق
ولم يعاتبك فى التخلف
فلا تعد بعدها اليه
فانما وده تكلف

(آخر)

اذا حيوان كان طعمة ضده
توقاه كالفار الذى يتقى الهرا
ولاشك ان المرء طعمة دهره
فما باله ياويحه يأمن الدهرا

(آخر)

اذا ما كنت متخذا رسولا
فلا ترسل سوى حر نبيل
فان النجح فى الحاجات يأتى
لطالبها على قدر الرسول

(آخر)

اذا كان دونى من بليت بجهله
أبيت لنفسى ان أقابل بالجهل
وان كنت أدنى منه فى الحلم والحجا
عرفت له حق التقدم والفضل
وان كان مثلى فى محل من الحجا
أردت لنفسى ان أجل عن المثل

ان أحداً أبلغ من الحيلة والحزم ما بلغت تسلمت منى العمل وأنت فى مجلسى ثم نهض عمر الى الديوان ونظر فيه وأمر ونهى وعزل وولى وكان بمصر قوم يدافعون الخراج فأحضر أشدهم مدافعة فطالبه فاستمهله ثم طالبه الثانية فاستمهله فلما كان فى الثالثة فاستمهله فحلف أيمانا مؤكدة لا يستأديه الا فى بيت المال ببغداد ووكل به من أشخصه الى بغداد فخاف الناس من مثل ذلك فلم ينكسر من الخراج بعدها درهم (وانما) ذكرنا هذه الحكاية لما فيها من التنبيه على أن الرتبة النفيسة اذا وليها ذو القدر الحقير والنفس الخسيسة لا يكون ذلك قادحا فى جلالتها ولا مغيرا لها عن حالتها وانما ذلك بحسب ما ينظر اليها الزمان فربما نظر اليها بسعد أو نظر اليها بحرمان فان سعدت وليها من هو أكبر منها وان حرمت تولاها من يصرف السعد عنها

﴿ذكر من نال المراتب السنية * من ذوى الاعراق الدنية﴾

ونقتصر منهم على ذكر ثلاثة وهم زياد والحجاج بن يوسف وأبو مسلم وانما اقتصرنا على هؤلاء لانهم أقاموا دول من كانوا نوابهم من الخلفاء فزياد لمعاوية والحجاج لعبد الملك بن مروان وأبو مسلم لبنى العباس (فأما زياد) فقيل فيه زياد بن أبيه وقيل زياد بن عبيد الثقفى وقيل زياد بن سمية وقيل زياد بن أبى سفيان وانما قيل ابن أبيه لاختلاف الناس فيمن ينسب اليه وسمية كانت عند كسرى فوهبها لابى الخير قيل من أقيال حمير فدخل بها الطائف فمرض فطبه الحرث بن كلدة طبيب العرب فنجع فيه طبه فوهب له سمية فولدت له نفيعا ويكنى أبا بكرة ونافعا ثم كانت تحت عبد لصفية بنت عبيد الله بن أسد بن علاج الثقفى وكان يسمى عبيدا فولدت له زيادا ويقال ان أبا سفيان واقعها على كره منها فى حال سكره وكانت بغيا فحملت منه بزياد وقيل لعبيد انه لفراشك فكان عبيد يكنى به * وروى ابن عبد البر فى الاستيعاب ان زيادا اشترى عبيدا بألف درهم وأعتقه فكان يغبط بذلك * وأما السبب فى اضافة أبى سفيان زيادا الى نفسه والحاقه به ما ذكر أن عمر بن الخطاب بعث زيادا فى اصلاح فساد وقع فى اليمن فلما رجع من وجهته خطب خطبة لم يسمع الناس مثلها فقال عمرو بن العاصى لو كان هذا الغلام قرشيا لساق العرب بعصاه فقال أبو سفيان والله انى لاعرف من وضعه فى رحم أمه فقال له أمير المؤمنين على كرم الله وجهه ومن هو يا أبا سفيان قال أنا فقال له على رضى الله عنه مهلا يا أبا سفيان فقام وأنشد

أما والله لولا خوف شخص * يرانى يا على من الاعادى
لاظهر أمره صخر بن حرب * ولم تكن المقالة عن زياد
ولكنى أحاذر خيف كف * لها نقم ولفى عن بلادى
فقد طالت مجاملتى ثقيفا * وتركى فيهم ثمر الفؤاد

وكانت من أبى سفيان فلتة فذلك الذى حمل معاوية على الحاق زياد بأبى سفيان وذلك فى سنة أربع وأربعين وشهد عنده زياد بن اسماء ومالك بن ربيعة والمنذر بن الزبير على اقرار أبى سفيان بأنه ولده وكان أبو بكرة يقول ما رأت سمية أبا سفيان قط (ولما) ألحق معاوية زيادا بأبيه دخل مروان بن الحكم عليه فأنشده قول أخيه عبد الرحمن فيه

الا أبلغ معاوية بن صخر * فقد ضاقت بما يأتى اليدان
أتغضب أن يقال أبوك عف * وترضى أن يقال أبوك زانى
فاشهد أن آلك من زياد * كال الفيل من ولد الاتان
وأشهد أنها حملت زيادا * وصخر من سمية غير دانى

(آخر)

اذا ما الدهر جر على أناس
كلا كله أناخ بآخرينا
فقل للشامتين بنا أفيقوا
سيلقى الشامتون كما لقينا

(آخر)

اذا خدمت الملوك فالبس
من التوقى أشد ملبس
وادخل اذا ما دخلت أعمى
واخرج اذا ما خرجت أخرس

(آخر)

اذا كنت فى حاجة مرسلا
رسولا وأنت بها كلف مغرم
فارسل حكيما ولا توصه
وذاك الحكيم هو الدرهم

(آخر)

اذا أذن الله فى حاجة أتاك
النجاح بها يركض
فان منع الله من كونها
فلا بد من عارض يعرض

(آخر)

اذا ما شئت أن تحيى سعيدا
وتلقى الله بالعمل الكريم
فلا تصحب سوى الاخيار واقطع
زمانك فى مدارسة العلوم

(آخر)

اذا ما اصطفيت امرأ فليكن
شريف النجار زكى الحسب
فنذل الرجال كنذل النبا
ت لا للثمار ولا للحطب

(آخر)

اذا هبت رياحك فاغتنمها
فلكل خافقة سكون
ولا تغفل عن الاحسان فيها
فما تدرى السكون متى يكون

(آخر)

فاذا كنت ذا رأى فكن ذا عزيمة
فان فساد الرأى أن يترددا
ولا تمهل الاعداء يوما بقدرة
وبادرهم أن يملكوا مثلها غدا

وهذا الشعر يؤيد قول أبي بكرة ويروى أنها ليزيد بن مفرغ الحميري وأولها

الا أبلغ معاوية بن صخر * مغلغلة من الرجل اليماني

(وقال يزيد)

ان زيادا ونافعا وأبا * بكرة عندي من أعجب العجب

هم رجال ثلاثة خلقوا * في رحم أنثى وكلهم لاب

ذا قرشي كما يقول وذا * مولى وهذا ابن عمه عربي

وهذا يشير الى أن الثلاثة أولاد الحرث بن كلدة (وليزيد) يهجو عباد بن زياد

أعباد ما للؤم عنك محوّل * ولا لك أم من قريش ولا أب

وقل لعبيد الله مالك والد * بحق ولا يدري امرؤ كيف ينسب

(وسأل) رجل الشعبي هل تجوز الصلاة خلف ولد الزنا فقال نحن منذ ثلاثين سنة نصلي خلفه ونرجو من الله القبول يعني زيادا وقال زياد لرجل يا ابن الزانية فقال أتسبني بشيء شرفت به أنت وآباؤك (قال المدايني) قدم زياد البصرة مع أخويه أبي بكرة ونافع وهو غلام وكان يكتب بالقلمين العربي والفارسي فاستكتبه المغيرة بن شعبة وأجرى له كل يوم درهمين درهم عن القلم العربي ودرهم عن القلم الفارسي ثم ترقت به الحال وظهرت مروا وانتهى أمره الى أن ادعاه معاوية أخا وولي فارس لعلي رضي الله عنه ثم احتمل مالا وهرب به الى معاوية وجمع له معاوية العراقين وهو أول من جمعا له وجمعا بعده لابنه عبيد الله ولمصعب بن الزبير ولمسلمة بن عبد الملك ولعمر بن هبيرة وليزيد بن عمر بن هبيرة ولم يجمعا لاحد غير هؤلاء في أيام بني أمية

﴿ومنهم كليب ثقيف الحجاج ذو المراء في سفك الدماء واللجاج﴾

واؤم الحجاج من قبل رضاعه ومكاسب آبائه * قيل ان أم الحجاج واسمها الفارعة بنت مسعود الثقفية كانت قبل أن يتزوجها يوسف عند المغيرة بن شعبة فدخل عليها يوما حين أقبل من صلاة الغداة وهي تتخلل فقال يا فارعة لئن كان هذا التخلل من أكل اليوم انك لنهمة وان كان من أكل البارحة فانك لقذرة انصرفي فانت طالق فقالت سخنت عينك ماهو من ذا ولا من ذاك ولكني استكت فتخللت من سواك كي ناستجمع ثم خرج فلقي يوسف ابن الحكم بن عقيل فقال اني قد نزلت اليوم عن خير نساء بني ثقيف وحدثه بالقصة فتزوجها فولدت له الحجاج مشوها لادبر له فثقب دبره وأبى أن يقبل الثدي من المراضع وأعياهم أمره فقال ان ابليس تصور لهم على صورة الحرث بن كلدة وأشار عليهم أن يذبح جدي أسود ويولغوه دمه يومين وفي الثالث يذبح له تيس ويولغوه من دمه ويطلوا وجهه بما بقي منه فانه يقبل الثدي ففعلوا ذلك فاقبل على ثدي أمه فأكسبه الرضاع الاول أولما والرضاع يغير الطباع فكان في كبره سفاكا للدماء فلما بلغ أشده صار هو وأخوه معلمين بالطائف وفيه يقول مالك بن الخريت يهجو الحجاج

فلولا بنو مروان كان ابن يوسف * كما كان عبدا من عبيد زياد

زمان هو العبد المقر بذله * يراوح صبيان القرى ويغادي

(وقال آخر) يذكر تعليمه الصبيان

أينسى كليب زمان الهزال * وتعليمه سورة الكوثر

رغيف له فلكة ما ترى * وآخر كالقمر الازهر

هكذا رواه جميع الاخبار بين والصواب ماذكره الحموي في كتاب البلدان أنه قال الكوثر

﴿آخر﴾

اذا كنت جماعا للمال ممسكا
فأنت عليه خازن وأمين
تؤديه مذموما الى غير حامد
فيأكله عفوا وأنت دفين

﴿آخر﴾

اذا المرء أعطى نفسه كل ما اشتهت
ولم ينهها تاقت الى كل باطل
وساقت اليه الاثم والعار بالذي
دعته اليه من حلاوة عاجل

﴿آخر﴾

اذا اجتمع الاسلام والقوت للفتى
وأضحى صحيحا جسمه وهو في أمن
فقد ملك الدنيا جميعا وحازها
وحق عليه الشكر لله ذي المن

﴿آخر﴾

اذا استوحشت من رجل
فكن منه على وجل
ولا يغررك ظاهره
فباطنه على دخل
فقد تلقى حمام الموت
بين السم والعسل

﴿آخر﴾

اذا المرء أفشى سره بلسانه
ولام عليه غيره فهو أحمق
اذا ضاق صدر المرء عن سر نفسه
فصدر الذي يستودع السر أضيق

﴿آخر﴾

اذا أطمأنك أكف اللئام
كفتك القناعة شبعا وريا
فكن رجلا رجله في الثرى
وهامة همته في الثريا
أبيا لنائل ذي ثروة
تراه بما في يديه أبيا
فان اراقة ماء الحياة
دون اراقة ماء المحيا

﴿آخر﴾

اذا لم يكن للمرء شيخ يوسه
ولا هو ذو علم بآفات نفسه

قريةفي الطائف كان الحجاج معلما بها وأنشد شاهدا على ذلك

أينسى كليب زمان الهزال * وتعليمه صبية الكوثر

وعلى هذا يكون اسمه كليبا وهو الاولى به وقد تقدم منه الولوغ (وقال آخر)

كليب تعاظم في أرضكم * وقد كان فينا صغير الخطر

(ورأيت) في بعض كتب التواريخ ان الحجاج لما احتضر قال لمنجم كان عنده هل ترى ملكا يموت قال نعم ولست به انى أرى ملكا يموت يسمى كليبا قال أنا والله كليب بذلك كانت أمي تسميني (ومما يؤيد) ما ذكرنا من لؤمه ما كتب به اليه عبد الملك بن مروان لما أراد قتل أنس بن مالك رضي الله عنه أما بعد فانك طفت لك الامور وعلوت فيها حتى تعديت طورك وتجاوزت قدرك وركبت داهية دهماء أردت ان تزوربي بها فان سوغتكها انصبت قدما وان لم أفعل رجعت القهقرى فلعنك الله أخفش العينين منقوص الجاعرتين ممسوح الساعدين أصك الرجلين أراك قد نسيت ما كنت عليه أنت وآباؤك من الدناءة واللؤم فاذكر مكاسب آبائك بالطائف اذ كانوا ينقلون الحجارة على ظهورهم ويحفرون الآبار بأيديهم وايم الله يا ابن المستفرية بعجم الزبيب لاغمزنك غمز الليث الثعلب ولاركضنك ركضة تدخل بها في جعس أمك فاذا أتاك كتابي هذا فكن لانس أطوع من عبد لسيده والا أصابك مني سهم مشكل ولكل نبأ مستقر وسوف تعلمون (وصف) الحسن البصري الحجاج فقال أتانا أخيفش أعيمش يخطر في مشيته ويصعد المنبر فيقوم عليه حتى تفوته الصلاة لا من الله يتقي ولا من الناس يستحي فوقه الله وتحته مائة ألف أو يزيدون لا يقول له قائل الصلاة أيها الرجل هيهات دون ذلك السيف والسوط

(وفيه يقول الاحمر بن سالم وأحسن)

ثقيف بقايا من ثمود وما لهم * أب ماجد من قيس عيلان ينسب

وأنت دعي يا ابن يوسف فيهم * زنيم اذا ما حصلوا متذبذب

ويقال ان الحجاج طلبه فهرب الى هيت فأخذه عامله عليها فقتله وأحرقه وذراه في الريح (وجرى) بينه وبين بعض الخوارج مشاجرة فقال له الدارجي لو لم يكن من لؤم أبيك الا انه ولد مثلك لكفاه فأمر به فقتل (وقال) الحجاج يوما لعبد الملك لو كان رجل من ذهب لكنته قال وكيف ذلك قال لاني لم تلدني أمة بيني وبين حواء الا هاجر فقال له عبد الملك لولا هاجر كنت كلبا من الكلاب (وأول ولايته) تولاها تبالة فلما رآها استقلها فرجع عنها فقالوا في المثل أهون من تبالة على الحجاج * وأول أمره ومصيره الى روح بن زنباع وتضمن ما اتفق من أمره معه وكيفية وصوله الى عبد الملك في المجلدة الثالثة من التذكرة * وفي كتاب أخبار القدماء وذخائر الحكماء لابي حيان التوحيدي في سبب تولية الحجاج العراق قال العتبي لما اشتدت شوكة أهل العراق على عبد الملك بن مروان خطب الناس وقال ان نيران أهل العراق قد علا لهبها وكثر حطبها فجمرها حار وشهابها وار فهل من رجل ذي سلاح عتيد وقلب حديد أبعثه لها فقام الحجاج وقال أنا يا أمير المؤمنين قال ومن أنت قال الحجاج بن يوسف بن الحكم بن عامر فقال له اجلس ثم أعاد الكلام فلم يقم أحد غير الحجاج فقال كيف تصنع ان وليتك قال أخوض الغمرات واقتحم المهلكات فمن نازعني حاربته ومن هرب مني طلبته ومن لحقته قتلته أخلط عجلة بتأن وصفوا بكدر وشدة بلين وتبسما بازورار وعطاء بحرمان ولا على أمير المؤمنين ان يجرب فان كنت للاوصال قطاعا وللارواح نزاعا وللاموال جماعا والا فليستبدل بي فقال عبد الملك من تأدب وجد بغيته اكتبوا له كتابه

فذاك غبي حائر في طريقه
يروح ويغدو في عمايات لبسه

(آخر)

اذا ما عدوك يوما سما
الى حالة لم تطق نقضها
فقبل ولا تأنفن كفه
اذا أنت لم تستطع عضها

(آخر)

اذا أنت لم تعرض عن الجهل والخنا
أصبت حليما أو أصابك جاهل

(آخر)

اذا لزم الناس البيوت وجدتهم
عماة عن الاخبار خرق المكاسب

(آخر)

اذا لم تستطع شيأ فدعه
وجاوزه الى ما تستطيع

(آخر)

اذا أوترت امرأ فاحذر عداوته
من يزرع الشوك لا يحصد به عنبا

(آخر)

اذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت
له عن عدو في ثياب صديق

(آخر)

اذا مامات بعضك فابك بعضا
فان البعض من بعض قريب

(آخر)

اذا المرء لم يدنس من اللؤم عرضه
فكل رداء يرتديه جميل

(آخر)

اذا ما أهان امرؤ نفسه
فلا أكرم الله من أكرمه

(آخر)

اذا محاسني اللاتي أدل بها
كانت ذنوبي فقل لي كيف اعتذر

(آخر)

اذا شجر المودة لم تجده
فغيث البر أسرع في الجفاف

(آخر)

اذا أنت أكرمت الكريم ملكته
وان أنت أكرمت اللئيم تمردا

(ومنهم ذو الاصل الدنى والنفس الأبية أبو مسلم صاحب الدعوة العباسية)

كان أبو مسلم واسمه عبد الرحمن بن مسلم عبد العيسى بن معقل فباعه لاخيه ادريس حتى دلف واسمه قاسم بن عيسى بن ادريس العجلى وكان قهرمانا لخاس ادريس فى الكوفة وأبو مسلم معه يخدمه فراى بكر بن هامان من أبى موسى حذقا وكيسا فقال لادريس ما هذا الغلام فقال مملوك لى قال بعه لى قال هو لك قال لا بد من ثمنه قال هو لك بما شئت فأعطاه أربعمائة درهم وأخذه وبعث به الى ابراهيم بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس المنعوت بالامام فدفعه ابراهيم الى موسى السراج فسمع منه وحفظ عنه وما زال قدره ينبل حتى ارسله ابراهيم بالدعوة لبنى العباس وذلك فى سنة ثمان وعشرين ومائة وله من العمر احدى وعشرون سنة وقدم الى خراسان يدعوا الناس الى طاعتهم فى أول يوم من رمضان سنة تسع وعشرين فنزل قرية من قرى مرو ووثب دعاته فقال الناس رجل من بنى هاشم قد ظهر له حلم ورواء ووقار وسكينة فانطلق فتية من أهل مرو ونساك وكانوا يطلبون الفتنة فأتوا أبا مسلم فى عسكره فسألوه عن نسبه فقال خبرى خير لكم من نسبى ثم سألوه عن أشياء من الفقه فقال ان أمركم بالمعروف ونهيكم عن المنكر خير لكم من هذا ونحن الى دعوة أحوج منا الى اجابة مسئلتكم فاعفونا فقالوا والله ما نعرف لك نسبا وما نظنك الا تبقى وتقتل وكان كذلك (ومن الدليل) على لؤم أصله ما نقم عليه به أبو جعفر المنصور وهو أنه كتب اليه يخطب منه أمينة بنت على بن عبد الله بن عباس وزعم أنه ابن سليط بن عبد الله فقال له المنصور عند تقريعه بذنوبه لما اراد قتله لقد ارتقيت لا أم لك مرتقى صعبا تقرع نفسك انك دعى ثم ترغب فى بنات العباس (ونقم) عليه أيضا أنه كتب اليه أيام خلافته عافانا الله واياك فبدأ بنفسه فى الدعاء (ولما) أراد المنصور قتله استشار مسلم بن قتيبة فى ذلك فقال لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا فقال حسبك يا أبا امية قد أصبت الغرض ثم استدعاه ولم يأذن لاحد معه فلما دخل عليه وأخذ مجلسه سأل أن يريه سيفه فلما تناوله منه جعل يذكره فعلاته التى نقمها عليه وهو يعتذر عنها ثم ركضه برجله فوثب عليه المرصدون لقتله فقتلوه وأخرج الى قواده وجنوده بالجوائز والخلع فقسمت بينهم ورمى برأسه اليهم فتفرقوا ورجعوا قائلين مضى مولانا بالدراهم انا لله وانا اليه راجعون وذلك سنة سبع وثلاثين ومائة (وكان) مولده على رأس المائة * وفيه يقول أبو دلامة زيد بن الجون يهجوه

أبا مجرم ما غير الله نعمة * على عبده حتى يغيرها العبد
أفى دولة المهدى حاولت غدره * ألا ان أهل الغدر آباؤك الكرد
أبا مجرم خوفتنى بك فانحى * عليك بما خوفتنى الاسد الورد

وقد تقدمت ترجمته وكيفية ما قتله المنصور فى المجادة الثالثة من التذكرة التوحيدية (وخطب) المنصور لما قتله فقال بعد حمد الله والثناء عليه أيها الناس لا تخرجوا من أنس الطاعة الى وحشة المعصية ولا تسروا غش الائمة فان أحدا لا يسر سريرة الا ظهر ذلك فى فلتات لسانه وصفحة وجهه ونواد رنظره انا لم نبخسكم حقوقكم ولن نبخس الدين حقه انه من نازعنا عروة هذا القميص أوطأناه خبء هذا الغمد وان أبا مسلم بايع لنا على من نكث بيعتنا فقد أباح دمه لنا ثم نكث هو فحكمنا عليه لانفسنا حكمه على غيره ولم يمنعنا رعاية الحق له من اقامة الحق عليه (وانما) اقتصرت على ذكر هؤلاء الثلاثة دون غيرهم لعظيم ما ارتكبوه من الجرائم التى نهى الله عن فعلها وأكد فى الصدد

(آخر)
اذا العبء الثقيل توزعته
أكف القوم خف على الرقاب

(آخر)
اذا مر بى يوم ولم اتخذ يدا
ولم استفد علما فما هو من عمرى

(آخر)
اذا كنت تبغى شيمة غير شيمة
جبلت عليها لم تطعك الضرائب

(آخر)
اذا المرء أعيته المروءة ناشئا
فطلبها كهلا عليه شديد

(آخر)
اذا أنت لم تزرع والفيت حاصدا
ندمت على التفريط فى زمن البذر

(آخر)
اذا أبرم المولى بخدمة عبده
تجنى له ذنبا وان لم يكن ذنب

(آخر)
اذا أنت حملت الخؤن أمانة
فانك قد أسندتها شر مسند

(آخر)
اذا ما العيش عاد اليك ذلا
فان العز فى موت المريح

(آخر)
اذا ما امرؤ من ذنبه جاء تائبا
اليك ولم تغفر له فلك الذنب

(آخر)
اذا المرء لم يلبس ثيابا من التقى
تقلب عريانا وان كان كاسيا

(آخر)
اذا أنت لم تعص الهوى قادك الهوى
الى بعض ما فيه عليك مقال

(آخر)
اذا ما بدت من صاحب لك زلة
فكن أنت محتالا لزلته عذرا

(آخر)
اذا لم تصن عرضا ولم تخش خالقا
وتستحى مخلوقا فما شئت فاصنع

وبالج

وبالغ في الوعيد عليها وهي قتل النفس بغير حق واستباحة تحريم ما لها التي حرمته كحرمتها وهذا لا يرضى فعله كفرة أهل الكتاب ولا من يعتقد أن الى الله المرجع والمآب

(ومما ينبغي أن يلحق بهذا الفصل تسلي من خفضه الزمان من أهل الفضل)
بقلة الكرام وكثرة اللئام وتقلب الاحوال على مدى الايام

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس كابل مائة لا يكاد يوجد فيها راحلة (وقالوا) الكرام في اللئام كالغرة في جبهة الفرس أو كالرقمة في يد الدابة (ويقال) لا يكاد يوجد كريم حتى يخاض اليه ألف لئيم * قال السموأل بن عاديا اليهودي

تعيرنا أنا قليل عديدنا * فقلت لها ان الكرام قليل
وماضرنا أنا قليل وجارنا * عزيز وجار الاكثرين ذليل

وقال ابن المعتز اذا أخرت الدولة وقرب زوالها هبطت بالاخيار ورفعت درج الاشرار (وقال) أبو طالب يحيى بن أبي الفرج المعروف بابن زيادة البغدادي الكاتب

باضطراب الزمان ترتفع الانـ * ـذال فيه حتى يعم البلاء
وكذا الماء ساجيا واذا حرك ثارت من قعره الاقذاء

(وكان) علي بن الحسين بن علي الوزير المغربي لمح هذا المعنى بقوله

اذا ما الامور اضطربن اعتلى * سفيه يضام العلا باعتلائه
كذا الماء ان حركته يد * طفا عكر راسب في انائه

(ومن أحسن) ما ورد في هذا الباب ما حكي أن المعتصم لما أراد أن يشرف اشناس التركي عقب فتح بابك أمر أصحاب المراتب أن يترجلوا له فكان فيمن ترجل الحسن بن سهل فرآه حاجبه يمشي ويعثر فبكى رحمة له فقال له لا يهمنك ما تراه ان الملوك شرفتنا شرفت بنا (ولما عزل) قتيبة بن مسلم وكيعا عن رياسة بني تميم قال شاعرهم

فان تك قد عزلت فلا عجيب * ضياء الشمس يمحوه الظلام

(وقال آخر يسلي معزولا)

عزلوه كالذهب المصفى لا ترى * حالا مغيرة له عن حال
لم يعزلوا الاعمال عنه وانما * عزلوا العفاف به عن الاعمال

(آخر) ان الولاية لا تتم لواحد * ان كنت تنكر ذا فأين الاول
لا تجزعن فلكل وال معزل * فكما عزلت فعن قليل تعزل

ومن أحسن ما قيل في تسلي معزول قول محمد بن يزيد الاموي في مالك بن طوق

ليهنك ان أصبحت مجتمع الحمد * وراعي المحامي والمعالي عن المجد
وانك صنت الناس فيما وليته * وفرقت ما بين الغواية والرشد
فلا تحسب الاعداء عزلك مغنما * فان الى الاحرار عاقبة الورد
وما كنت الا السيف جرد في الوغى * بأحد سلا ثم رد الى الغمد

(آخر) ما اختلف الليل والنهار ولا * دارت نجوم السماء في الفلك
الا لنقل النعيم من ملك * قد انقضى ملكه الى ملك

(علي بن الجهم) للدهر ادبار واقبال * وكل حال بعدها حال
وصاحب الآثار في غفلة * وليس للايام اغفال
كم أبلت الدنيا وكم جددت * مني وكم تغني وتغتال
تشهد أعدائي بأني فتى * قطاع أسياف ووصال

﴿آخر﴾
اذا أنت جاريت السفيه كما جرى
فأنت سفيه مثله غير ذي حلم
﴿آخر﴾
اذا ما أجبت الناس في كل دعوة
دعتك الى الامر القبيح المحرم
﴿آخر﴾
اذا كنت في نعمة فارعها
فان المعاصي تزيل النعم
﴿آخر﴾
اذا استغنيت عن شئ فدعه
وخذ ما أنت محتاج اليه
﴿آخر﴾
اذا لم يأتك المعروف طوعا
فدعه فالتنزه عنه مال
﴿آخر﴾
اذا أنت لم تنفع بودك أهله
ولم تنك بالبؤس عدوك فابعد
﴿آخر﴾
اذا ساء فعل المرء ساءت ظنونه
وصدق ما يعتاده من توهم
﴿آخر﴾
اذا كان غير الله للمرء عدة
أتته الرزايا من وجوه الفوائد
﴿آخر﴾
اذا كنت في قوم فصاحب خيارهم
ولا تصحب الأردى فتردى مع الردى
﴿آخر﴾
اذا أبقت الدنيا على المرء دينه
فما فاته منها فليس بضائر
﴿آخر﴾
اذا المرء لم يجببك الا تكرها
بدا لك من أخلاقه ما يغالبه
﴿آخر﴾
اذا اشتد عسر فارج يسرا فانه
قضى الله ان العسر يتبعه اليسر
﴿فصل من﴾
﴿فن الحديث الوارد عن النبي صلى الله عليه وسلم﴾

لاعلك الشدة عزمى ولا * يبطــرنى جاه ولامال

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان حقا على الله ان لا يرفع شيأ من هذه الدنيا الا وضعه ولا يضع شيأ الا رفعه (كتب) مفلس على خاتمه اصبر فالدهر دول

(راجز) وانما الدنيا دول * كراحل قيل نزل * ونازل قيل رحل

وقال على رضى الله عنه ما قال الناس لشئ طوبى له الا وقد خبأ له الدهر يوم سوء (وقال) مطرف لا تنظروا الى خفض عيش الملوك وطيبه ولكن انظروا الى سرعة ظعنهم وسوء منقلبهم * وأنشدت لابن الاعرابى

رب قوم رتعوا فى نعمـــة * زمنا والعيش ريان غدق
سكت الدهر طويلا عنهم * ثم أبكاهم دما حين نطق

ويقال لا يقوم عز الولاية بذل العزل (ويقال) العزل طلاق الرجال * قال ابن المعتز

وذل العزل يضحك كل يوم * وينقر فى قفا الوالى المدل

(وله) كم تائه بولاية * وبعزله ركض البريد
سكر الولاية طيب * وخمارها صعب شديد

(ابن زياد) لا تغبطن وزير الملوك وان * أحله الدهر منهم فوق رتبته
واعلم بأن له يوما تمور به الارض اطربا كما مارت لهيبته
هرون وهو أخو موسى وناصره * لولا الوزارة لم أخذ بلحيته

(ولآخر) تنح عن الوزارة لا تردها * فكل الخير فيما لا تريد
الست ترى وزيرا كل يوم * يباع متاعه فيمن يزيد

(ومن أعجب ما يحكى فى تنقل الاحوال) أن ثقل الفضل بن الربيع كان يحمل على ألف بعير ثم رؤى ثقله فى زنبيل وفيه أدوية لعلته تنقل من مكان الى مكان ورؤى ثقل الحسن بن سهل فى زنبيل فيه نعلان وقيصان واصطرلاب ثم رؤى ثقله على ألف بعير (قال بعضهم)

هى المقادير تجرى فى أعنتها * فاصبر فليس لها صبر على حال
يوما تريش خسيس الحال ترفعه * الى السماك وطورا تخفض العالى

(وتغير) أبو جعفر المنصور على وزيره أبى أيوب المرزبانى فقال

ألا ليتنى لم ألق ما قد لقيته * وكنت بأدنى عيشة الناس راضيا
رأيت علو المرء يدعو انحطاطه * ويضحى وسيط الحال من كان ناجيا

ولهذا قيل الفقر مع الامن خير من الغنى مع الخوف (وقال) بعضهم مسليا عن العطلة

لعمــرك ما طول التعطل ضائر * ولا كل شغل فيه للمرء منفعه
اذا كانت الارزاق فى القرب والنوى * عليك سواء فاغتنم لذة الدعـــه
وان ضقت فاصبر يفرج الله ما ترى * ألا رب ضيق فى عواقبــه سعه

(آخر) كن بخمول النفوس قانع * لا تطلب الذكر فى المجامع
فلن يزال الفــتى بخير * ما لم تشر نحوه الاصابع

(ابن مقلة يقول عندما نكب)

زمان عسر وعيش عسر * ودهر يكر عالايسر
وحال يذوب وهم ينوب * ودنيا تناديك أن ليس حر

(آخر) وأحسن ما استشعر المسلمو * ن عند النوائب حلم وصبر
ولله فى كل ما يأتنى * وأبلى به منه حمد وشكر

(من) تواضع لله رفعه الله ومن تكبر وضعه الله (من) يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين (من) يرد الله به خيرا يجمل خلقه حسنا (من) يغفر يغفر الله له ومن يعف يعف الله عنه (من) تأنى أصاب أو كاد ومن عجل أخطأ أو كاد (من) يزرع خيرا يحصد رغبة ومن يزرع شرا يحصد ندامة (من) أيقن بالخلف جاد بالعطية (من) أحب أن يكون أكرم الناس فليتق الله (من) أحب أن يكون أغنى الناس فليكن بما فى يد الله أوثق منه بما فى يديه (من) سره أن يسلم فليلزم الصمت (من) رزق من شئ فليلزمه (من) لم يشكر القليل لم يشكر الكثير (من) دعا على من ظلمه فقد انتصر (من) تشبه بقوم فهو منهم (من) طلب العلم تكفل الله برزقه (من) لم ينفعه علمه ضره جهله (من) استطاع منكم أن تكون له خبيئة من عمل صالح فليفعل (من) فتح باب خير فلينتهزه فانه لا يدرى متى يغلق عليه (من) كف لسانه عن اعراض الناس اقاله الله تعالى عثرته يوم القيامة (من) يسر على معسر يسر الله عليه فى الدنيا والآخرة (من) كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت (من) نصر أخاه بظهر الغيب نصره الله فى الدنيا والآخرة (من) فرج عن أخيه كربة من كرب الدنيا فرج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة (من) ستر على أخيه ستره الله فى الدنيا والآخرة (من) انقطع الى الله كفاه الله كل مؤنة ورزقه من حيث لا يحتسب (من) كان وصلة لأخيه المسلم الى ذى سلطان فى منهج برأو تيسير عسير أعانه الله

(سمع) أعرابي يقول هذا غني لولا أنه فناء وعلا لولا أنه بلاء وبقاء لولا أنه شقاء وقيل لابن الجهم بعد ما صودر ما نفكر في زوال نعمتك قال لابد من الزوال فلان تزول وأبقى خير من أن أزول وتبقى (وقيل لاعرابي) صف لنا الدهر فقال الدهر سلوب لما وهب وهوب لما سلب كالصبي اذا لعب

﴿الباب الثالث في العقل وفيه ثلاثة فصول﴾

﴿الفصل الاول من هذا الباب﴾

في مدح العقل وفضله وشرف مكتسبه ونبله

(قال الله تعالى) ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد (سئل) الحسن بن سهل ما حد العقل فقال الوقوف عند الاشياء قولا وفعلا (وسئل) آخر فقال الاصابة بالظنون والتلمح فيما كان وما يكون ومراده في القسم الثاني التجربة (وقالوا) هو درك الاشياء على ما هي عليه من حقيقة معانيها وصحة مبانيها (وقيل لحكيم) ما مقدار العقل فقال ما لم يركاملا في أحد فلا يعرف له مقدار (وقالوا) لكل شئ غاية وحد والعقل لا غاية له ولا حد ولكن الناس يتفاوتون فيه كتفاوت الازهار في الرائحة والطيب (واختلف) الحكماء أيضا في ماهيته كما اختلفوا في حده فقال بعضهم هو نور وضعه الله طبعا وغريزة في القلب كالنور في العين وهو البصر فالعقل نور في القلب والبصر نور في العين وهو ينقص ويزيد ويذهب ويعود وكما يدرك بالبصر شواهد الامور كذلك يدرك بنور العقل كثير من المحجوب والمستور وعمى القلب كعمى البصر قال الله تعالى فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور وقال النبي صلى الله عليه وسلم ليس الاعمى من عمي بصره ولكن الاعمى من عميت بصيرته (وقال بعض الحكماء) العقل غريزة لا يقدر أحد أن يصفها في نفسه ولا في غيره ولا يعرف الا بالاقوال والافعال الدالة عليه وعلى كل حال فلا سبيل أن يوصف بجسم ولا لون ولا عرض ولا طول (وقال العتبي) واسمه عبد الله ابن عمرو بن معاوية بن عمرو بن عتبة بن أبي سفيان العقل عقلان عقل تفرد الله بصنعه وهو الاصل وعقل نستفيده المرء بأدبه وهو الفرع فاذا اجتمعا قوى كل واحد منهما صاحبه تقوية النار في الظلمة البصر أخذه من هذه الابيات وتنسب الى أمير المؤمنين علي كرم الله وجهه ورضي عنه

رأيت العقل عقلين * فمطبوع ومسموع
ولا ينفع مسموع * اذا لم يك مطبوع
كما لا تنفع الشمس * وضوء العين ممنوع

ويفهم من فحوى ما ذكرناه أن العقل في القلب وهذا القول هو الموجود بصحة النظر والمعلوم من جهة الاثر (قال) الله تعالى أفلم يسيروا في الارض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور (وروى) عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال العقل في القلب به يفرق بين الحق والباطل (وقال) بعضهم هو في الدماغ واليه ذهب أبو حنيفة وأصحابه (وقال) عمرو بن العاصي يثغر الغلام لسبع ويحتلم لاربع عشرة وينتهي طوله لاحدى وعشرين وينتهي عقله لثمان وعشرين ويبلغ أشده لخمس وثلاثين وما بعد ذلك تجارب وقال بعضهم * كل شئ مفتقر الى العقل والعقل مفتقر الى التجارب وقال بعضهم من طال عمره نقصت قوة بدنه وزادت قوة عقله (وقال) بعض الحكماء أربعة تحتاج الى أربع الحسب الى الادب والسرور الى الامن والقرابة الى المودة والعقل الى التجربة (ويقال) هرم السن شباب العقل وقال البستي

على اجازة الصراط يوم ترخص فيه الاقدام (من) أصبح معافى في بدنه آمنا في سربه عنده قوت يومه أنما حيزت له الدنيا بحذافيرها (من) أصبح ولم ينو لاحد سوأ غفر له (من) أكثر من الاستغفار رزقه الله من حيث لا يحتسب (من) كثر كلامه كثر سقطه ومن كثر سقطه كثر خطؤه (من) كثر همه سقم بدنه (من) كثر ضحكه استخف بحقه (من) حفظ ما بين لحييه وبين رجليه دخل الجنة (من) ترك معصية مخافة الله أرضاه الله يوم القيامة (من) امسك بركاب أخيه لا يرجوه ولا يخافه غفر الله له (من) تنصل اليه فلم يقبل لم يرد على الحوض (من) قل علمه قل ورعه (من) قل ماله ساء خلقه (من) أكرم أخاه المؤمن فانما يكرم الله عز وجل (من) كف غضبه كف الله عنه عذابه (من) أعان مسلما كان الله في عونه (من) قنع بما رزقه الله دخل الجنة (من) شفع شفاعة حسنة آجره الله (من) لم تكن له واحدة من ثلاث فلا يحتسب بشئ من عمله تقوى تحجزه عن معاصي الله وحلم يكفه عن السفه وحكمة يعيش بها في الناس (من) أخذه الله بمعصيته في الدنيا فالله أكرم من أن يعفو عن عبده في الدنيا ثم يأخذه في الآخرة (من) اعتذر اليه أخوه المسلم فليقبل منه ما لم يعلم كذبه

﴿ومن الحكمة المأثورة عن السلف وغيرهم﴾

(من) عرف قدره علا أمره (من) استحى من الناس ولم يستحي من نفسه فلا قدر لها عنده (من) حاسب نفسه ربح ومن غفل عنها

ما استقامت قناة رأيي الا * بعد ما عوّج المشيب قناتي

(ما اخترناه من محاسن الكلم وأسناها في أن العقل أشرف المواهب وأسماها)

قال ابن عباس رضي الله عنه دخلت على عائشة رضي الله عنها فقلت لها يا أم المؤمنين أرأيت الرجل يقل قيامه و يكثر رقاده والآخر يكثر قيامه و يقل رقاده أيهما أحب اليك قالت سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم كما سألتني فقال لي أحسنهما عقلا قلت يا رسول الله انما سألتك عن عبادتهما فقال يا عائشة انهما لا يسألان عن عبادتهما انما يسألان عن عقولهما فمن كان أعقل كان أفضل في الدنيا والآخرة (وروى) عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال الجنة مائة درجة تسعة وتسعون منها لاهل العقل وواحدة لسائر الناس (وروى) البراء بن عازب أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لكل شئ وثيقة ومحجة واضحة وأوثق الناس مطية وأحسنهم دلالة ومعرفة بالحجة الواضحة أفضلهم عقلا (وقال) بزرجمهر الانسان صورة فيها عقل فان أخطأه العقل ولزمته الصورة فليس بانسان قال المتنبي

لولا العقول لكان أدنى ضيغم * أدنى الى شرف من الانسان

(وقال) الحسن بن علي رضي الله عنهما اني لأعجب ممن رزق العقل كيف يسأل الله معه شيأ آخر (وقالت) عائشة رضي الله عنها أفلح من جعل الله له عقلا (وقال مطرف) ما أوتي العبد بعد الايمان بالله تعالى أفضل من العقل و يقال ما تم دين امرئ حتى يتم عقله وما استودع الله رجلا عقلا الا استنقذه به يوما ما (وقال الاصمعي) لو صور العقل لأضاء معه الليل ولو صور الجهل لأظلم معه النهار (وقال بزرجمهر) العقل كالمسك ان خبأته عبق وان بعثته نفق (وقالوا) كل شئ اذا كثر رخص الا العقل فانه اذا كثر غلا ولو بيع لما اشتراه الا العقلاء لمعرفتهم بفضله (وقال) رسول الله صلى الله عليه وسلم لكل داء دواء ودواء القلب العقل ولكل حرث بذر و بذر الآخرة العقل ولكل شئ فسطاط وفسطاط الابرار العقل (و يقال) العقل و زير رشيد وظهير سعيد من أطاعه نجاه ومن عصاه أرداه وقال بعضهم يصف العقل

لله در العقل من رائد * وصاحب في العسر واليسر
وحاكم يقضي على غائب * قضية الشاهد للأمر
وان شاء في بعض أحواله * أن يفصل الخير من الشر
فذو قوى قد خصه ربه * بخالص التقديس والطهر

(آخر) العقل حلة فخر من تسربلها * كانت له نسبا تغني عن النسب
والعقل أفضل ما في الناس كلهم * بالعقل ينجو الفتى من حومة الطلب

(ومن قولهم في أن من وهب الله له عقلا كسي من المناقب حلة لا تبلى)

قال أبو هريرة رضي الله عنه لو ازددت كل يوم مثقال ذرة من عقل ما باليت ما فاتني من أنواع التطوع (وقال وهب) مثل العقلاء في الدنيا مثل الليل والنهار لا تقوم الدنيا الا بهما فكذلك المرء في الدنيا لا حظ له الا اذا كان عاقلا (وقيل لأنوشروان) أى الناس أولى بالسعادة قال أنقصهم ذنوبا قيل فمن أنقصهم ذنوبا قال أتمهم عقلا (وقالوا) اذا كان العقل في النفس اللئيمة كان بمنزلة الشجرة الكريمة في الارض الذميمة ينتفع بثمرها على خبث المغرس فاجتن ثمر العقل وان أتاك من لئام الانفس (والى هذا) أشار أمير المؤمنين علي رضي الله عنه في قوله لولده الحسن رضي الله عنه خذ الحكمة أنى أتتك فان الحكمة تكون في صدر المنافق فلا تزال تختلج في صدره حتى تخرج فتسكن الى صاحبها (وقال) سعيد بن

خسر ومن نظر في العواقب نجا ومن أطاع هواه ضل ومن لم يحلم ندم ومن صبر غنم ومن خاف أمن ومن اعتبر أبصر ومن أبصر فهم ومن فهم علم (من) جالس عدوه حفظ عليه عيوبه (من) أخطأه سهم المنية قيده الهرم (من) سره بنوه ساءته نفسه (من) استغضب فلم يغضب فانما هو حمار ومن استرضى فلم يرض فانما هو شيطان (من) كثر ضحكه سقطت مهابته ومن لاحى الرجال سقطت كرامته (من) طلب ما قبل السلطان والنساء بالغلظة لم يزدد منهما الا بعدا (من) خدم السلطان بلا علم واستقلال وتجربة وكمال كان بمنزلة راكب فيل صعب أو سائر في بحر قد خب (من) طلب الى لئيم حاجة كان كمن طلب صيد السمك في المفاوز (من) استوضع التاجر من رأس ماله فقد استكمل حمقه (من) اتقى الحساب تورع في الاكتساب (من) بلغ الستين فقد قطع منه الوتين (من) عامل السلطان بالمكر كافأه بالغدر (من) حرمك خيره وحملك مؤنته فلا ترغب في مودته (من) أبدى الى الناس فقره فليس له عندهم قدر (من) استغنى عن الناس وقروه وعظموه (من) غضب على من يقدر على ضره طال همه وحزنه (من) أكثر المشورة لم يعدم عند الصواب مادحا وعند الخطأ عاذرا (من) قل عقله كثر هزله (من) أصلح سريرته أصلح ولابد علانيته ومن أصلح ما بينه وبين الله أصلح الله ما بينه وبين الناس (من) عمل للآخرة كفاه الله الدنيا (من) استغنى بالله افتقر اليه الناس (من) خان مات ومن مات خان

جبيرلم ترعينماى أفضل من فضل عقل يتردى به الرجل ان انكسر جبره وان صرع أنعشه وان ذل أعزه وان اعوج أقامه وان عثر أقاله وان افتقر أغناه وان عرى كساه وان غوى أرشده وان خاف أمنه وان حزن افرحه وان تكلم صدقه وان أقام بين ظهرانى قوم اغتبطوا به وان غاب عنهم أسفوا عليه وان بسط يده قالوا جواد وان قبضها قالوا مقتصد وان أشار قالوا عالم وان صام قالوا مجتهد وان أفطر قالوا معذور قال الشاعر

وأفضل قسم الله للمرء عقله * فليس من الخيرات شئ يقاربه
يزين الفتى فى الناس صحة عقله * وان كان محظورا عليه مكاسبه
وشين الفتى فى الناس قلة عقله * وان كرمت أعراقه ومناسبه
اذا أكمل الرحمن للمرء عقله * فقد كملت أخلاقه ومآربه

(آخر) ماوهب الله لامرئ هبة * أشرف من عقله ومن أدبه
هما حياة الفتى فان عدما * فان فقد الحياة أجمل به

(آخر) يعد رفيع القوم من كان عاقلا * وان لم يكن فى قومه بحسيب
وان حل أرضا عاش فيها بعقله * وما عاقل فى بلدة بغريب

(وقال طاوس) ما قلادة نظمت من درو ياقوت بأزين لصاحبها من العقل ولو ناصح المرء عقله لاراه ما يزينه مما يشينه فالمغبون من أخطأ حظه من العقل

﴿ما أثبتناه من الكلام الرائع الرائق فيما يمتاز به العاقل من المائق﴾

قال بعض أهل العلم ان آدم عليه السلام لما أهبط الى الارض أتاه جبريل عليه السلام بثلاثة أشياء بالدين والعقل وحسن الخلق وقال ان الله يخيرك واحدا من هذه الثلاثة فقال يا جبريل ما رأيت أحسن من هؤلاء فى الجنة ثم مد يده الى العقل وقال للذين اصعدا قالا لا نصعد قال أتعصيانى قالا لا نعصيك ولكنا أمرنا ان نكون مع العقل حيث كان (وقال) رسول الله صلى الله عليه وسلم للعاقل عشر خصال يعرف بها يحلم عمن ظلمه ويتواضع لمن دونه ويسابق الى البر من هو فوقه وينتهز الفرصة اذا أمكنته لا يفارقه الخوف ولا يصحبه العنف يتدبر ثم يتكلم فاذا تكلم غنم واذا سكت سلم واذا اعترضت له فتنة اعتصم بالله * وقال أبو عبادة مادحا

غريب السجايا ما تزال عقولنا * مدلهة فى خلة من خلاله
عداه الحجى فى عنفوان شبابه * واقبل كهلا قبل حين اكتهاله

(وقالوا) من علامة العاقل ثلاثة تقوى الله وصدق الحديث وترك مالا يعنى (وفى) حكمة داود على العاقل أن يكون عالما باهل زمانه مالكا لسانه مقبلا على شانه (وقال) بعض الحكماء أربعة تدل على صحة العقل حب العلم وحسن الحلم وصحة الجواب وكثرة الصواب (وقالوا) ان أردت أن تعرف عقل الرجل فى مجلس واحد فحدثه فى خلال حديثك بما لا يكون فان انكر فهو عاقل وان صدق فهو أحمق (وقالوا) لا تجد العاقل يحدث من يخاف تكذيبه ولا يسأل من يخاف منعه ولا يعد بما لا يستطاع انجازه (وقال) لقمان لابنه لا يتم عقل امرئ حتى يكون فيه عشر خصال يكون الكبر منه مأمونا والرشد فيه مأمولا وفضل ماله مبذولا لا يصيب من الدنيا الا القوت التواضع أحب اليه من الشرف والذل أحب اليه من العز لا يسأم من طلب المعالى ولا يتبرم بطلب الحوائج اليه يستكثر قليل المعروف من غيره ويستقل كثيره من نفسه وأن يرى جميع أهل الدنيا خيرا منه وانه شرا منهم وهذه الخصلة تشيد مجده وتكبت ضده وتعلى قدره وتطيب فى العالمين

وتبرأ من الاحسان (من) كتم سره جهل عدوه أمره (من) نقض عهده ومنع رفده وأظهر حقده فلا خير عنده (من) فرح بمدح الباطل فقد أمكن الشيطان من نفسه (من) أظهر عيب نفسه زكاها (من) طاعت له نفسه طاع له غيره (من) أنفق عمره فى جمع المال خوف العدم فقد أسلم نفسه للعدم (من) أحب الحياة لنفسه أماتها (من) كرمت عليه نفسه صغرت الدنيا فى عينه (من) سكر من خمرة الدنيا هلك فى خمار الهوى (من) قبل فم اللذة عضته أسنان الندامة (من) عرف بالحكمة لاحظته العيون بالوقار (من) تجرع اللوائم فى موافقة الحق رد الله تلك اللوائم حمدا ومن آثر المحامد فى موافقة الحق رد الله تلك المحامد ذما (من) أعجب بنفسه فضحها (من) وصل رحمه وصله الله ورحمه ومن أجار جاره أعانه الله وأجاره (من) بسطه الاذلال قبضه الاذلال (من) تناسى مساوى الاخوان دام له ودهم (من) بذل ماله أدرك آماله (من) عظمت مرافقه أعظمه مرافقه (من) قل حياؤه قل أحباؤه (من) لم يشكر لنعمه استحق قطع أنعمه (من) أنكر الصنيعة استوجب القطيعة (من) قل توقيه كثرت مساويه (من) استغنى بالله اكتفى (من) انقطع لغير الله تعرى (من) كان بقليل الدنيا لا يقتنع لم يغنه منها ما يجمع (من) لم يقتنا طلبه دام تعبه (من) أمات شهوته احيا مروءته (من) صاحب العلماء وقر ومن جالس السفهاء حقر (من) ساس نفسه ساد جنسه (من) رضى عن نفسه سخط عليه

ذكره (وقالوا) العاقل اذا والى بذل فى المودة نصره واذا عادى رفع عن الظلم قدره فيستعين مواليه بعقله ويعتصم معاديه بعدله (وقال) المهلب بن أبي صفرة واسمه ظالم بن سراقة يعجبني أن أرى عقل الرجل زائدا على لسانه ولا يعجبني أن أرى لسانه زائدا على عقله (وقالوا) زيادة العقل على اللسان فضيلة وزيادة اللسان على العقل رذيلة والله أعلم

﴿شوارد مجموعة فى احتياج ذوى العقل والحلم الى اكتساب فضيلتى الادب والعلم﴾

(أما الادب) فقال بزرجمهر العقل يحتاج الى مادة الادب كما تحتاج الابدان الى قوتها من الاطعمة (وقالوا) عقل بلا ادب فقر وادب بلا عقل حتف (وقالوا) عقل بلا ادب كشجاع بلا سلاح (وقالوا) لا عقل الا بأدب ولا أدب الا بعقل (وقال افلاطن) عقل بلا ادب كالشجرة العاقر والعقل مع الادب كالشجرة المثمرة (وقال بزرجمهر) الادب صورة العقل فحسن صورة عقلك كيف شئت (ابن المقفع) كما ان الادب لا يكمل الا بالعقل فكذلك لا يكمل العقل الا بالادب * وقالوا الحرص أن لا يكون أدبك أغزر من عقلك فان من زاد أدبه على عقله كان كالراعى الضعيف فى الغنم الكثيرة * ويقال أدبوا أولادكم صغارا تقر أعينكم بهم كبارا (شاعر)

قد ينفع الادب الاحداث فى صغر * وليس ينفع بعد الكبرة الادب
ان الغصون اذا قومتها اعتدلت * ولن تلين اذا قومتها الخشب

(وقال) عبد الملك بن مروان لاعب ولدك سبعا وأدبه سبعا واستصحبه سبعا فان أفلح فألق حبله على غاربه ولا عبرة بقول من قال

قولا لمن ينصح ابناله * يردد القول لتهذيبه
ضيع الوقت بلا طائل * فيكثر القول ويهزى به
لـــه الى الله وتدبيره * ثم الى الدهر وتجريبه
فانما الاقدار لابد أن * تأتى بما خط وتجرى به

فليس كما قال فانما الهمل فى الامهال ولا عذر له فى الاهمال وعود الصبا أبدا آمنا أن يحتاج الى التثقيف وطيش الشباب سريع الحراك فلا غناء له عن التوقيف (ويحكى) أن أبا الاسود الدؤلى كان له ولد فترك الصلاة يوما ومضى يلعب بالكلاب مع الصبيان فكتب الى مؤدبه رقعة وأرسلها معه مختومة يقول فيها

ترك الصلاة لأكلب يسعى بها * نحو الفراش مع الغواة الارجس
فليأتينك غاديا بصحيفة * كتبت كمثل صحيفة المتلمس
فاذا أتاك معذرا بملامة * فعظنه موعظة اللبيب الاكيس
واذا هممت بضربه فبدرة * واذا بلغت به ثلاثا فاحبس
واعلم بأنك ما فعلت فنفسه * مع ما تجرعنى أعز الانفس

(وأما العلم) فقدره كبير وفضله كثير ويكفى فى شرفه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال خير سليمان بين الملك والمال والعلم فاختار العلم فأعطى الملك والمال لاختياره العلم (قال) بعض الحكماء اذا اجتمع العقل والعلم فى رجل فقد استطاب المحيا وسما الى الدرجة العليا وجمع الآخرة والدنيا (وقالوا) العلم أفضل مكتسب وأكرم منتسب وأشرف ذخيرة تقتنى وأطيب ثمرة تجتنى وبه يتوصل الى معرفة الحقائق ويتوصل الى رضا الخالق وهو أفضل نتائج العقل وأعلاها وأكرم فروعه وأزكاها لا يضيع أبدا صاحبه ولا يخيب كاسبه ولا يخيب طالبه ولا تنحط مراتبه (وقال) معاذ بن جبل تعلموا العلم فان تعلمه خشية

الناس (من) استغنى برأيه ضل ومن اكتفى بعقله زل (من) أفشى سره المصون كثر عليه المتآمرون (من) كثر مزاحه زالت هيبته ومن كثر خلافه طابت غيبته (من) دام كسله خاب أمله (من) أوغرت صدره استدعيت شره (من) أمل امرأ هابه (من) فعل ما شاء صبر على ما لا يشاء (من) داوم الرقاد عدم المراد (من) عرف معايبه فلا يلم من أعابه (من) لم يكن له من نفسه واعظ لم تنفعه المواعظ (من) عرف بالصدق جاز كذبه ومن عرف بالكذب لم يجز صدقه (من) نجا برأسه فقد ربح (من) استرعى الذئب ظلم (من) أدب ولده صغيرا سر به كبيرا (من) أدب ولده أرغم حاسده (من) عبس لك وجهه فلا تطلبن فضله (من) كانت ولايته فوق قدره تكبر ومن كانت ولايته دون قدره تواضع (من) استعذب المدح استحق القدح ومن ترك الكبر استوجب الشكر (من) ذهب ماله هان على أهله (من) سأل صاحبه فوق طاقته فقد استوجب الحرمان (من) صانع بالمال لم يحتشم من طلب الحاجة (من) لم يضن بالحق على أهله فهو الجواد (من) لم يصبر على كلمة سمع كلمات (من) أراد العز والسلامة فليلزم ثلاثا ألا يسأل أحدا حاجة ولا شيأ ولا يأكل طعام أحد ولا يذكر أحدا بسوء (من) امتطى دواب الامل أوردته موارد التلف (من) ركب العجلة لم يأمن الكبوة (من) لم يواس الاخوان فى دولته خذلوه فى عزلته (من) لم يتعظ بالناس اتعظ به الناس (من) أخطأ

خشية وطلبه عبادة ومدارسته تسبيح والبحث عنه جهاد وتعليمه لمن لا يعلمه صدقة وهو الانيس فى الوحشة والصاحب فى الغربة والوزير عند الخلاء والقريب بين الغرباء

(شاعر) أجل ما يبتغى يوما ويكتسب * ويجتنى من حلا الدنيا وينتخب
علم شريف عميم النفع قد رفعت * لحامليه بآفاق العلا رتب
ان عاش عاش جميلا ساميا أبدا * لا يستضام ولا ينسى فيجتنب
وان تمت فثناء شائع حسن * وبعده رحمة ترجى وترتقب

(آخر) العلم أعلى من الاموال منزلة * لانه حافظ والمال محفوظ

(وقالوا) العلم عز لا يبلى جديده وكنز لا يفنى مزيده (وقال) ابن المقفع تعلموا العلم فان كنتم ملوكا فقتم وان كنتم أوساطا سدتم وان كنتم سوقة عشتم (وقالوا) لو لم يكن من شرف العلم الا أن الملوك حكام على الناس والعلماء حكام على الملوك لكفى بذلك شرفا (وقال بعضهم)

العلم فيه جلالة ومهابة * والعلم أنفع من كنوز الجوهر
تفنى الكنوز على الزمان وصرفه * والعلم يبقى باقيات الاعصر

(ويحتاج) طالب العلم الى ستة أشياء فراغ وجده وجد واستاذ وطول عمر ومعونة من الله تعالى وهذا املاكها الذى لا بد منه ولا غناء لاحد عنه (نظم ذلك الشاعر فقال)

أصخ لى فليس العلم الا بستة * سأنبيك عن مجموعها ببيان
ذكاء وحرص واجتهاد وبلغة * وارشاد أستاذ وطول زمان

(وقالوا) العلم ميت يحييه الطلب فاذا حيي فهو ضعيف يقويه الدرس فاذا قوى بالدرس فهو محتجب تظهره المناظرة فاذا ظهر فهو عقيم نتاجه العمل

(شاعر) العلم من شرطه لمن خدمه * أن يجعل الناس كلهم خدمه
وواجب حفظه عليه كما * يحفظ ما عاش ماله ودمه
ومن حوى العلم ثم أودعه * غير محب له فقد ظلمه
وكان كالمبتنى البناء اذا * تم له ما أراده هدمه

الفصل الثانى من الباب الثالث

(فى ذكر الفعل الرشيد الدال على العقل المشيد)

(قالوا) العقل أصل لكل محمود من الاخلاق فاذا عدم الاصل فلا بقاء للفرع مع عدم الاصل (وقيل) للحسن بن على رضى الله عنهما متى يكون العاقل عاقلا قال اذا عقله عقله عما لا ينبغى فهو عاقل (وقال) على بن عبيدة الريحانى العقل ملك والخصال الحسنة رعيته فاذا ضعفت عن القيام عليها وصل الخلل اليها (وقال) بعض الحكماء الملائكة روح وعقل والبهائم نفس وهوى والانسان يجمع الكل ابتلاء فان غلب الروح والعقل على النفس والهوى فضل الملائكة وان غلبت النفس والهوى على الروح والعقل فضلت البهائم فالعاقل من ذاد عن مراتع الهوى نفسه وكفها عن شهوات تقرب الرمسه (قال) رسول الله صلى الله عليه وسلم حبك الشئ يعمى ويصم * وقالوا الهوى خادع للالباب صارف عن الصواب صاحبه أعمى مبصر أصم سميع (وقالوا) الهوى أشأم دليل والأم خليل وأغشم وال وأغش موال يكذب العيان ويقلب الاعيان ويجلب الهوان * وقال أبو بكر بن دريد

وآفة العقل الهوى فمن علا * على هواه عقله فقد نجا

(وقال) بعض الصالحين الهوى مركب ذميم يسير بك فى مضلات الفتن ومرتع وخيم يقعدك فى مواطن المحن ويعاقلك فى حبائل الاحن ويقال من كان لعنان هواه أملك

واعتقد انه على صواب فقد أخطأ مرتين (من) قل لبه اشتد عجبه (من) عرف حق أخيه دام له اخاؤه (من) تكبر على الناس ورجا أن يكون له صديق فقد غر نفسه (من) لم يكن عونا على نفسه مع خصمه لم يكن عنده شئ من عقدة الرأى (من) أقدم على هوى وهو يعلم ما فيه من سوء المغبة سلط على نفسه لسان العذل وضيع الحزم (من) لم يقدم الامتحان قبل الثقة والثقة قبل الانس أثمرت مودته ندما (من) كساه الحياء ثوبه ستر عن الناس عيبه (من) أصلح ماله فقد صان الأكرمين الدين والعرض (من) كرمت عليه نفسه لم يهنها ومن نازع مهاجاها لم يصبها (من) لم يرض من الدنيا بالقليل وقع منها فى غم طويل (من) كثر ملقه لم يعرف بشره (من) أنس بالله استوحش من الناس (من) رجى الفرج لديه كثرت غاشيته (من) غضب من غير شئ فسيرضى من غير شئ (من) لم يمنع نفسه من الشهوات تسرعت اليه المهلكات (من) لم ينتفع بظنه لم ينتفع بيقينه (من) زال عن أبصار الملوك زال عن قلوبهم (من) ساء خلقه كثر همه ومن كذب ذهب جمال وجهه (من) غض بصره عن عيوب الناس غضوا أبصارهم عنه (من) نهض الى المعالى ظفر بالمكان العالى (من) لم يسخ نفسا عن الحظ الجسيم للعيب الصغير لم يعد شفيقا على نفسه ولا صائنا لعرضه (من) قصر على شئ عابه (من) عزبا قبال الدهر ذل بادباره (من) لم يركب الاهوال لم ينل الرغائب (من) ضاق صدره

كان اطرق الرشاد أسلك * ويقال بغلبة سلطان العقل على الهوى ينال السودد وقال شاعر واعلم بأنك لن تسود ولن ترى * طرق الرشاد اذا اتبعت هواكا
(آخر) اذا أنت لم تعص الهوى قادك الهوى * الى كل ما فيه عليك مقال
(ويقال) عبد الهوى أذل من عبد الرق * وقالوا أعقل الناس من عصى مراده ولم يعط الهوى قياده (شاعر) ان الردى تبع الهوى * ومن الهوى حلو ومر
اقنع بعيشك ترضه * واملك هواك وأنت حر
(وقال علي بن الحسين المغربي)
ما للطبيع هواه * من الملام ملاذ فاختر لنفسك اما * عرض واما التذاذ
* وقال حكيم لولده اعص هواك وأطع من شئت
(قال بعضهم) اذا ما رأيت المرء يقتاده الهوى * فقد ثكلته عند ذاك ثواكله
وقد أشمت الاعداء حقا بنفسه * وقد وجدت فيه مقالا عواذله
(آخر وأجاد) اذا ما دعتك النفس يوما لشهوة * وكان عليها للحرام طريق
فخالف هواها ما استطعت فانما * هواها عدو والخلاف صديق
(وقالوا) كم من عقل أسير عند هوى أمير (شاعر)
وعاص الهوى المردي فكم من محلق * الى النجم لما أن أطاع الهوى هوى
(ولبعضهم) وما نزع النفس اللجوج عن الهوى * من الناس الا حازم الرأي كامله
(وقالوا) أعدل الناس من انصف عقله من هواه ومنع نفسه مما يكون سببا لبلواه ولحظ الاشياء بعين فكره واضمار ه فعلم من ورود الامور عاقبة ايراده واصداره فيحسن بافعاله عهد الاوداء ويأمن في ماله كيد الاعداء كما حكى أن نصيبا دخل على عبد الملك بن مروان فتغدى معه فلما رأى عبد الملك ظرفه وأدبه قال له هل لك فيما نتنادم عليه قال يا أمير المؤمنين لوني حائل وشعري مفلفل وخلقي مشوه ووجهي قبيح ولم أبلغ ما بلغت من اكرامك اياي لا لشرف أب ولا كرم أم وانما بلغته بعقلي ولساني فأنشدك الله يا أمير المؤمنين أن لا تحول بيني وبين ما بلغت به هذه المنزلة عندك فأعفاه وما أحسن قول الخبز أرزي مشيرا الى قول نصيب أرى الكاس تذهب عقل الفتى * فيذهب عن كل مستمتع
ولولا ابتهاجي بكم لم أكن * لأشرب أكثر من أربع
وقالوا سر ورفقلت السرور * بان تتركوني وعقلي معي
(وقال آخر) رطلان لا أزداد فوقهما * في الشرب ان حضر واوان وحدي
فليغتفر لي من ينادمني * اني أحب عواقب الرشد
وأريد ما يقوى به بدني * وأجانب الامر الذي يردي
وعلى ذكر ما ينتج من شرب الخمر من زوال الذهن وذهاب العقل فحسن قول من قال الخمر مصباح السرور ولكنها مفتاح الشرور وقول أبي الفضل الميكالي
عيرتني ترك المدام وقالت * هل جفاها من الرجال لبيب
هي تحت الظلام نور وفي الاكباد برد وفي الخدود لهيب
قلت يا هذه عدلت عن النصح وما للرشاد فيك نصيب
انها للستور هتك وفي الالباب فتك وفي المعاد ذنوب
(وقال) رجل لابنه وهو يتعاطى الشراب احذره فانه قيء في شدقك أوسلح على عقبك أوحد في ظهرك (وقال) الحصنكي ذاكرا لهذه العيوب

ونديم

اتسع اسانه (من) قارب الناس في عقولهم أمن من غوائلهم (من) تكلف ما لا يعنيه فاته ما يعنيه (من) عرف تقلب الزمان لم يركن اليه (من) أحب الحمد أحسن السيرة ومن أبغضه أساءها (من) أحرز العفاف لم يعدم الكفاف (من) كان همه بطنه كان قدره ما يحويه (من) سلك الجدد أمن من العثار (من) استغنى كرم على أهله (من) لم يدار المشط ينتف لحييه (من) ترك القهقهة أكرمه الله بالهيبة ومن ترك المزاح أكرمه الله بسيما الصالحين ومن ترك الفضول أكرمه الله بالخشوع ومن ترك التخليط أكرمه الله بالوقار ومن ترك التجسس أكرمه الله بالسنة ومن ترك الكيفية في الرب برأه الله من الشرك والنفاق ومن بحث عن عورات المسلمين فضحه الله في بيته (من) غرس العلم اجتنى النباهة ومن غرس التزهد اجتنى العز ومن غرس الاحسان اجتنى المحبة ومن غرس الفكرة اجتنى الحكمة ومن غرس الوقار اجتنى المهابة ومن غرس المداراة اجتنى السلامة ومن غرس الكبر اجتنى المقت ومن غرس الحرص اجتنى الذل ومن غرس الطمع اجتنى الخزي ومن غرس الحسد اجتنى الكمد (من) رضي من صلة الاخوان بلا شيء فليواخ أهل القبور (من) لا ولد له فلا ذكر له ومن لا اخوان له فلا أهل له ومن لا عقل له فلا دنيا له ولا آخرة (من) خوفك لتأمن خير ممن أمنك لتخاف ومن سقاك مرا لتبرأ خير لك ممن سقاك حلوا لتسقم (من) لاحى الناس ومار اهم قلت كرامته (من) اكثر من شيء عرف

وندیم بت أعـذله * ويرى عـذلي من العبث
قلت ان الخمر مخبثة * قال حاشاها من الخبث
قلت منها القيء قال نعم * شرفت عن مخرج الحدث
قلت للازمات تشربها * قال طيب العيش في الرفث

(وقريب من هذا) ما حكى ان الحجاج وفد على الوليد بن عبد الملك فلما كان بعد أيام وقد أخذا يتجاذبان أذيال المذاكرة فقال له الوليد هل لك في الشراب قال يا أمير المؤمنين ليس محظورا ما أحله أمير المؤمنين ولكني أمنع أهل عملي منه وأكره أن أخالف قول العبد الصالح لقومه وما أريد أن أخالفكم الى ما أنهاكم عنه فاستحسن ذلك منه وأعفاه (وقال اسحق) بن ابراهيم الموصلي دخلت على الهادي فقال غنني صوتا أطرب منه ولك حكمك فغنيته

واني لتعروني لذكراك هزة * كما انتفض العصفور بلله القطر

فقال أحسنت والله وضرب بيده الى دراعته فشق منها ذراعا فقال زدني فغنيته

فيا حبها زدني جوى كل ليلة * ويا سلوة الاحباب موعدك الحشر

فقال أحسنت ثم ضرب بيده الى دراعته فشق منها ذراعا آخر فقال له زدني فغنيته

هجرتك حتى قيل لا يعرف الهوى * وزرتك حتى قيل ليس له صبر

فقال أحسنت وشق باقي دراعته من شدة الطرب ثم رفع طرفه الي وقال لي تمن واحتكم فقلت أتمنى عين مروان قال اسحق فرأيته وقد دارت عيناه في رأسه حتى خلتهما جمرتين ثم قال يا ابن اللخناء أتريد أن تشهرني بهذا المجلس وتجعلني سمرا وحديثا يقول الناس أطربه فوهبه عين مروان والله لولا بادرة جهلك التي غلبت على صحة عقلك لأخفقتك بين غبر من أهلك ثم أطرق اطراق الافعوان فرأيت ملك الملك بيني وبينه ينتظر أمره في ثم رفع رأسه ودعا بابراهيم بن ذكوان وقال له خذ بيد هذا الجاهل وأدخله بيت المال فان أخذ ما فيه فدعه واياه قال اسحق فدخلت وأخذت ما يساوي عين مروان اضعافا (وما أحسن) ما قال بعض البلغاء يصف انسانا بصيرا بالعواقب فلان يعرف من مبادي الاحوال خواتيم الاعمال ومن صدور الامور اعجازها في الصدور (وقال آخر) فلان يرى العواقب في مرآة فكره فلا يشتبه عليه نفعه بضره * نادرة قيل لبعض المجانين هل لك في الشراب فقال ان العاقل يشرب الخمر حتى يتشبه بي فأنا اذا شربته فبمن ذا أتشبه (واحسن منها) ما يحكى ان أعرابيا راود امرأة عن نفسها فأنعمت له فلما قعد بين شعبتيها قام عنها ولم يقض وطرا ولا عفى من غرضه أثرا فقالت له يا هناه ما الذي عراك وقد بلغت مناك فقال ان رجلا يبيع جنة عرضها السموات والارض باصبعين بين فخذيك لقليل الخبرة بالمساحة * والعاقل من اهتدى بمشورة نصحائه وكشف لهم عن مستور أغراضه وانحائه (قال الله تعالى) لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وشاورهم في الامر فاذا عزمت فتوكل على الله فهذا الخطاب لمحمد صلى الله عليه وسلم ليعلم أصحابه ما في المشورة من البركة لا لحاجة منه لرأيهم اذ هو المؤيد في حركاته وسكناته بالوحي من ربه والمستغني بما يلقى في روعه من الرأي المصيب عن آراء صحبه (قال) الحسن البصري ان الله عز وجل لم يأمر نبيه صلى الله عليه وسلم بمشورة أصحابه لحاجة به الى رأيهم وانما أراد أن يعرفهم ما بالمشورة من البركة (وقال) عليه الصلاة والسلام المشورة حصن من الندامة وأمن من الملامة (وقال) عمر بن الخطاب رضي الله عنه الرجال ثلاثة رجل ينظر في الامور قبل أن تقع فيصدرها مصادرها ورجل متوكل لا يتأمل فاذا نزلت به نازلة شاور أصحاب الرأي وقبل قولهم ورجل حائر بائر لا يأتمر رشدا ولا يطيع مرشدا

به من صحب السلطان صبر على قسوته كصبر الغواص على ملوحة بحره (من) حدث نفسه بالبقاء ولم يوطنها على المصائب فعاجز الرأي (من) أبطره الغنى أذله الفقر (من) أوتي نعمة فهو عبدها حتى يعتقه شكرها ومن عرفها فقد شكرها ومن شكرها فقد استوجب مزيدا (من) لم يملك غضبه لم ينل أربه (من) لم يغض لحاجته لم يبلغ حاجته (من) لم تحسن خلائقه لم تؤمن بوائقه (من) حسن خلقه أنهج الى الخيرات طرقه وادرك في المكرمات من سبقه (من) شح على سره فقد أعان على بره (من) نظر في أحواله وحزم في أفعاله وأقسط في أحكامه واقتصر في وفوره واعدامه أعطي الخير بتمامه (من) يسر للتوبة لم يمنع المغفرة ومن وفق للدعاء لم يحرم الاجابة (من) حكم فعدل وصبر واحتمل وأعطى وبذل فقد احتبى بثوب الفضل واشتمل (من) لم يقبل مشورة الصديق ونصيحة الشفيق استوبل عاقبته واستوخم مغبته وعاين سوء ما قدمت يداه وذاق مرارة ما جناه (من) لم يأس على ما فاته اراح قلبه ومن قنع بما هو فيه قرت عينه ومن عتب على الدهر طالت معتبته ومن رضي بالقسم طابت معيشته ومن ضعف عقله غلبته شهوته ومن اطاع هواه أعطى عدوه مناه (من) عرض نفسه للتهم فلا يلومن من اساء به الظن (من) أنزل نفسه منزلتها أمن عليها سوء الدوائر (من) تقهر نفسه حسده فانما حسده قهر لنفسه (من) قلل تعلقه بالدنيا قلت حسرته عند فراقها

* وقالوا مادة العقل من العقول كمادة الانهار من السيول (وقال) أمير المؤمنين علي كرم الله وجهه نعم الموازرة المشاورة وبئس الاستعداد الاستبداد *وقال حكيم لولده يابني ان رأيك ان احتجت اليه وجدته نائما ووجدت هواك يقظان فاياك أن تستبد برأيك فيغلبك حينئذ هواك (وقالوا) الخطأ مع الاستشارة أحمد من الاصابة مع الاستبداد (و يقال) اذا استشار العبد ربه واستشار صديقه واجتهد رأيه فقد قضى ما عليه و يقضي الله في أمره ما أحب *وقالوا من استغنى برأيه فقد خاطر بنفسه (وقالوا) عليك بالمشورة فانها تأمر بالتي هي أحسن وتهدي للتي هي أقوم * وقالوا لا تستبد بتدبيرك ولا تستخف بأمرك فمن استبد بتدبيره زل ومن استخف بأميره ذل (وقالوا) من شاور الاخلاء أمن من كيد الاعداء * ومن أمثالهم زاحم بعود أودع (وقال عبد الله بن معاوية بن عبد الله ابن جعفر من أبيات)

وان باب أمر عليك التوى * فشاور لبيبا ولا تعصه
وان ناصح منك يوما دنا * فلا تنأ عنه ولا تقصه

(ولآخر) ان اللبيب اذا تفرق أمره * فتق الامور مناظرا ومشاورا
وأخو التكبر يستبد برأيه * وتراه يعتسف الامور مخاطرا

(بشار بن برد) اذا بلغ الرأي المشورة فاستعن * برأي نصيح أو نصاحة حازم
ولا تجعل الشورى عليك غضاضة * فان الخوافي قوة للقوادم
وما خير كف أمسك الغل أختها * وما خير سيف لم يؤيد بقائم

(آخر) لا تحقرن الرأي وهو موافق * حكم الصواب اذا بدا من ناقص
فالدر وهو أجل شئ يقتنى * ما حط رتبته هوان الغائص

(آخر) شاور سواك اذا نابتك نائبة * يوما وان كنت من أهل المشورات
فالعين تلقى كفاحا ما دنا ونأى * ولا ترى نفسها الا بمرآة

(آخر) تأن وشاور فان الامو * ر منها مضيء ومستغمض
فرأيان أفضل من واحد * ورأي الثلاثة لا ينقض

(قال بزرجمهر) أفره الدواب لاغنى له عن السوط وأعقل النساء لا غنى لها عن الزوج وادهى الرجال لاغنى له عن المشورة

﴿فمن يعتمد عليه في المشورة من تكون النفس بآرائه مسرورة﴾

(قالوا) لا تدخل في مشورتك بخيلا في عطاء فيقصر بك ولا جبانا في حرب فيخوفك ولا حريصا في بذل فيصدك فان البخل والجبن والحرص طبيعة واحدة يجمعها سوء الظن بالله (قيل) استشار زياد رجلا فقال حق المستشار أن يكون ذا عقل وافر واختبار متظاهر ولا أراني كذلك (قال الشاعر)

خصائص من تشاوره ثلاث * فخذ منها جميعا بالوثيقه
وداد خالص ووفور عقل * ومعرفة بحالك في الحقيقه
فمن حصلت له هذي المعاني * فتابع رأيه والزم طريقه

(وقال آخر) اذا الامر أشكل انفاذه * ولم تر منه سبيلا فسيحا
فشاور بأمرك في ستره * أخاك اللبيب الشفيق النصيحا

(آخر) واذا الامور عليك يوما اشكلت * فاعمد لرأي أخ نصيح مرشد
واحفظ نصيحة من بدالك وده * وبرأي أهل الخير جهدك فاهتد

(من) طاوع طرفه تابع حتفه
(من) استقبل الامور أبصر ومن استدبرها تحير (من) لم يعرف الموارد كان بالمصادر اجهل (من) احبك نهاك ومن ابغضك اغراك
(من) اقتصد في الغنى والفقر فقد استعد لنائبة الدهر

(ومن الشعر في هذا الفصل قولهم)

من يسأل الناس يحرموه
وسائل الله لا يخيب
وكل ذي غيبة يؤب
وغائب الموت لا يؤب

﴿آخر﴾

من آنسته البلاد لم يرم
منها ومن أوحشته لم يقم
ومن يبت والهموم قادحة
في صدره بالزناد لم ينم

﴿آخر﴾

من قال لا في حاجة
مطلوبة فما ظلم
وانما الظالم من * يقول لا بعد نعم

﴿آخر﴾

من لم يكن كاملا في العقل والادب
وقد قرا سالف الاشعار والكتب
فلا يرومن سلطانا ولا ملكا
فانه مشرف منه على العطب

﴿آخر﴾

من شاب قد مات وهو حي
يمشي على الارض مشي هالك
لو كان عمر الفتى حسابا
كان له شيبه فذلك

﴿آخر﴾

من كان يبغي الذل في دهره
فليطلع الناس على سره
ما للفتى ان خانه دهره
معول الا على صبره

﴿آخر﴾

من عاش عيشا جيدا يستفيد به
في دينه ثم في دنياه اقبالا

(آخر) فما كل ذي ود بمؤتيك نصحه * ولا كل مؤت نصحه بلبيب
ولكن اذا ما استجمعا عند واحد * فحق له من طاعة بنصيب

(وقال) الاحنف بن قيس لا تشاور المعزول فان رأيه مغلول * وقالوا لا تشاور الجائع حتى يشبع ولا العطشان حتى يروى ولا الاسير حتى يطلق ولا المقل حتى يجد ولا الراغب حتى ينجح (وقال افلاطون) اذا استشارك عدوك فجرد له النصيحة لانه قد خرج بالاستشارة من عداوتك الى موالاتك * ولما نوى ابن أبى مريم قاضى مرو أن يزوج ابنه استشار جارا له مجوسيا فقال سبحان الله يستفتونك وأنت تستفتيني قال لا بد أن تشير على فقال ان كسرى رئيس الفرس كان يختار المال وقيصر رئيس الروم كان يختار الجمال ورئيس العرب كان يختار النسب ومحمد نبيكم كان يختار الدين فانظر بمن تقتدى (وقالوا) لا تشاور بخيلا فى صلة ولا جبانا فى حرب ولا شابا فى جارية (وقال) بعض الحكماء عليكم بمشورة من حلب ضرع دهره ومرت عليه صروف خيره وشره وبلغ من العمر أشده ومن التجربة أورى زنده ولذلك كانت العرب تقتدى برأى الشيوخ وتعتمد فى النوازل على مشورة الكهول لما يوجد فيهم من أصالة الرأى واصابة الحدس وصحة النظر مع ما نحوا من حسن الاختيار وسمت الوقار * وقد عدل قوم عن هذا المرتع ونزعوا غير هذا المنزع فجعلوا للشباب أيسر الاقسام من توقد الفطنة وأوفر السهام من نشاط النفس وقوة المنة فربما قصرت عن مقاومتهم الكهول ولجأت اليهم فى كثير من تنقيح الفروع والاصول لتوفر غريزة العقل فيهم وحدة الخاطر التى ترشدهم الى الصواب وتهديهم ولهذا قال الشاعر

رأيت العقل لم يكن انتهابا * ولا يقسم على عدد السنينا
ولو أن السنين تقسمته * حوى الآباء أنصبة البنينا

(وكان بعض الحكماء) يقول عليكم بآراء الاحداث ومشورة الشبان لان لهم اذهانا تقد القواصل وتحطم الذوابل (وقالوا) آراء الشبان خضرة نضرة لم يهصر غصنها هرم ولا أذوى زهرها قدم ولا أخبا من ذكائها بطول المدة ضرم وقال الشاعر

عليكم بآراء الشباب فانها * نتائج ما لم يبل له قدم العهد
فروع ذكاء تستمد من النهى * بأنور فى الآراء من قمر السعد

(ومن) أحسن ما قيل فى مدح شاب غزير العقل كثير الفضل طاهر الفعل قول الشاعر

أدركت ما فات الكهول من الحجا * فى عنفوان شبابك المستقبل
واذا أمرت فلا يقال لك اتئد * واذا قضيت فلا يقال لك اعدل

(وقيل) بل العاقل من أخذ بالاستبداد فى الامور وأجراها مختارا على حكم القضاء المقدور (قال المهلب بن أبى صفرة) لو لم يكن فى الاستبداد بالرأى الا صون السر وتوفير العقل لوجب التمسك به (وقال بزرجمهر) أردت نصيحا أثق به فما وجدت غير فكرى واستضأت بنور الشمس والقمر فلم أستضئ بشئ أضوأ من نور قلبى (وقال) على بن الحسين رضى الله عنهما الفكر مرآة ترى المؤمن سيآته فيقلع عنها وحسناته فيكثر منها فلا تقع مقرعة التقريع عليه ولا تنظر عين العواقب شزرا اليه (وقال) عبد الملك بن صالح ما استشرت أحدا قط الا تكبر على وتصاغرت له ودخلته العزة ودخلتنى الذلة فعليك بالاستبداد فان صاحبه جليل فى العيون مهيب فى الصدور وانك متى استشرت تضعضع شأنك ورجفت بك أركانك وما عز سلطان لم يغنه عقله عن عقول وزرائه وآراء نصحائه فاياك والمشورة وان ضاقت عليك المذاهب واشتبهت لديك المسالك وأنشد

فلينظرن الى من فوقه أدبا
ولينظرن الى ما دونه مالا

(آخر)
من يسأل الله فلا ينبغى
ان يسأل الله سوى العافية
فهى اذا ما حصلت لامرئ
غنية عن غيرها كافية

(آخر)
من لم يكن ذا خليل
يفضى اليه بسره
ويستريح لديه
فى خير أمر وشره
فليس يعرف طعما
لحلو شئ ومره

(آخر)
من لم يكن أكثره عقله
أهلكه أكثر ما فيه

(آخر)
من لم يعد نا اذا مرضنا
ان مات لم نشهد الجنازه

(آخر)
من يفعل الخير لم يعدم جوازيه
لا يذهب العرف بين الله والناس

(آخر)
من كان مرعى عزمه وهمومه
روض الامانى لم يزل مهزولا

(آخر)
من يدع الحلم أغضبه لتعرفه
لا يعرف الحلم الا ساعة الغضب

(آخر)
من آثر البخل عن وفر عن جدة
فقد لعمرى أضحى وهو مغبون

(آخر)
من يكشف الناس لا يجد أحدا
تصح له منه سرائر

(آخر)
من لم يؤدبه والداه
أدبه الليل والنهار

(آخر)
من يزرع الخير يحصد ما يسر به

فما كل ذي لب بمؤتيك نصحه * ولا كل مؤت نصحه بلبيب

(وقال) عبد الله بن طاهر ماحك ظهري مثل ظفري ولأن أخطئ مع الاستبداد ألف خطأ أحب الي من أن أستشير فألحظ بعين النقص والتقصير (وما أصدق قول القائل)

ليس احتيال ولا عقل ولا أدب * يجدي عليك اذا لم يسعد القدر
ولا توان ولا عجز بضر اذا * جاء القضاء بما فيه لك الخير

* وعلى المستبد أن يتروى في رأيه فان أفضل الرأي ما أجادت الفكرة نقده وأحكمت التروية عقده (وقالوا) كل رأي لم تتمحض به الفكرة ليلة كاملة فهو مولود لغير تمام

(شاعر) اذا كنت ذا رأي فكن ذا اناءة * فان فساد الرأي أن تتعجلا
وما العجز الا أن تشاور عاجزا * وما الحزم الا أن تهم فتفعلا

(وقال شاعر في مستبد)

ذهب الصواب برأيه فكأنما * آراؤه خلقت من التأييد
واذا دجا خطب تبلج رأيه * صبحا من التوفيق والتسديد

(وقالوا) فلان الخير معقود في نواصي آرائه واليمن منقاد في نواحي أنحائه فلان اذا أذكى سراج الفكر أضاء ظلام الامر (وقال ابن العميد) العاقل من استنبح في كل أمر خاتمته وعلم من كل بدء عاقبته وطالع بقلبه من كل غصن ما يخفى منه ومن كل زرع ما يحصد عنه (ولله من قال) ما دحا اصابة الرأي

وذو يقظات مستمر مريرها * اذا الدهر لاقاها اضمحلت نوائبه
بصير بأعقاب الامور كأنما * يخاطبه من كل أمر عواقبه
وأين يفر الحزم منه وانما * مرائي الامور المشكلات تجاربه

(وقال أبو عبادة البحتري في سليمان بن عبد الله)

يريك بالظن ما فاق اليقين به * اذا تلبس دون الظن ايقان
كأن آراءه والحزم يتبعها * تريه كل خفي وهو اعلان
ما غاب عن عينه فالقلب يكلؤه * وان تنم عينه فالقلب يقظان

(ومنها) يرى العواقب في أثناء فكرته * كأن افكاره بالغيب كهان
لا فكر منه الا انتهى عمل * كالدهر لا دورة الا لها شان

(وله) يريك بالظن ما قال اليقين به * والشاهدان عليه العين والاثر
كأنه وزمام الدهر في يده * يرى عواقب ما يأتي زما يذر

(آخر) بديهته وفكرته سواء * اذا ما نابه الخطب الخطير
وأحزم ما يكون الدهر يوما * اذا عجز المشاور والمشير

والعاقل من نصب من تحيله الحبائل واقتنص بها شوارد المطالب والوسائل

قالوا بالحيلة يستنزل الطير من جو السماء ويستخرج الحوت من جوف الماء (فن المحكي في ذلك) ما ذكر أن رجلين وشيا على أحد مرازبة كسرى أنوشروان فقتلاه ولم يعرفا فخشي ان هو لم يقتلهما كان ذلك عارا عليه وعجزا ينسب اليه فقال في مجمع من الناس ان من قتل المرزبان لعظيم القدرة شديد الباس ولو ظهر لجازيناه بما يستحق ورفعناه على الناس فلما بلغهما كلامه ظهرا وأقرا فقال أنوشروان اني مجازيكما بما تستحقان فانه لا يكون جزاء من قتل سيده وغدر به الا القتل وأما رفعكما على الناس فاني أصلبكما على أطول جذع أجده فأمر ففعل بهما ذلك (واحسن منها) حيلة عملت على الاسكندر خفي عليه الصواب في

(آخر)
من لم يكن حسب له من نفسه
فهو الوضيع وان غدا ابن فلان

(آخر)
من يحمد الناس يحمدوه
والناس من عابهم معيب

(فصل ليس)

(فن الحديث الوارد عن النبي صلى الله عليه وسلم)

(ليس) الخبر كالمعاينة (ليس) في فاسق غيبة (ليس) بعد الموت مستعتب (ليس) منا من لم يوقر الكبير ويرحم الصغير ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر (ليس) يوم الا وهو ينادي ابن آدم انا خلق جديد وانا فيما تعمل فيه عليك شهيد فاعمل في خيرا أشهد لك به فاني لو قد مضيت لم ترني (ليس) بكذاب من أصلح بين اثنين فقال خيرا أو نمى خيرا (ليس) الغنى عن كثرة العرض انما الغنى غنى النفس (ليس) شيء خيرا من ألف مثله الا المؤمن (ليس) لك من مالك الا ما أكلت فأفنيت أو لبست فأبليت أو تصدقت فأمضيت (ليس) من العقل الثقة بالظن (ليس) الاعمى من عمي بصره انما الاعمى من عميت بصيرته (ليس) بمؤمن من لم يأمن جاره بوائقه (ليس) من خلق المؤمن الملق (ليس) من خلق المؤمن الحسد (ليس) منا من لم يؤتمن (ليس) منا من غش مسلما أو ضره

(ومن الحكمة المأثورة عن السلف وغيرهم)

(ليس) اللئيم مثل الهوان (ليس) يعد حكيما من لم يكن لنفسه خصيما (ليس) من العدل سرعة العذل (ليس) بخالص ولا لبيب

التخلص منها وهي ما حكي عنه أنه كان لا يدخل مدينة عنوة الا هدمها وقتل من فيها فقدم على مدينة كان فيها مؤدب له فخرج اليه فأعظمه وأكرمه وأكبره ثم قال له ما جاء بك قال أيها الملك ان أحق من زين لك أمرك وأعانك عليه لأنا وان أهل هذه المدينة أوطاعتك وطمعوا فيك لمكاني منك وأحب أن لا تشفعني فيهم وأن تخالفني في كل ما أسألك فيه من أمرهم فلما سمع الاسكندر مقالته ظن ذلك نصحا له وان غرض المعلم وافق غرضه وسر بذلك فلما رأى المعلم سروره طلب منه العهد على ذلك فعاهده فلما استوثق منه ذلك قال أيها الملك اني أرى من الرأي أن تهدم هذه المدينة وتقتل أهلها فقال الاسكندر لا سبيل الى ذلك ولا بد من مخالفتك قال فارتحل عنها اذا فارتحل (أمر) عمر بن الخطاب بقتل الهرمزان فشكا العطش فأتي باناء فيه ماء فلما تناوله أظهر رعشة في يده وهو يوهم أنها من خوف فقال عمر لا بأس عليك حتى تشرب فرمى الاناء من يده فكسره فأمر عمر بقتله قال أوليس قد أعطيتني الامان قال متى قال ألست قلت لا بأس عليك حتى تشرب ولم أشرب فقال عمر قاتله الله أخذ منا الامان ولم نشعر (ومن ظريف الحيل) ما حكي ان سلمان الفارسي خطب بنتا لعمر بن الخطاب رضي الله عنه فأجابه الى تزويجه فشق ذلك على ولده عبد الله وشكاه الى عمرو بن العاص فقال له أنا أرده عنك فقال ان رددته بما يكره غضب أمير المؤمنين فقال لك على أن أرده راضيا ثم أتى سلمان فضرب بين كتفيه وقال هنيأ لك أبا عبد الله هذا أمير المؤمنين يتواضع بتزويجك بنته فالتفت اليه مغضبا وقال اني متواضع والله لا أتزوجها (وأسر) معاوية عمرو بن أوس الاودي وكان من أصحاب علي يوم صفين فقدمه للقتل فقال لا تقتلني فانك خالي فقال من أين أنا خالك ولم يكن بيننا وبين أود صهارة فقال ان أخبرتك يكن نافعي عندك قال نعم قال أليست أختك أم حبيبة زوجة النبي صلى الله عليه وسلم أم المؤمنين قال بلى قال فأنا ابنها وأنت أخوها فاستظرف قوله وخلى سبيله (وحاصر) سعد ابن أبي وقاص حصن تيماء فطلب من فيه الامان فأجابهم الى ذلك فلما تسلمه قتل كل من فيه الا رجلا واحدا (وعزم معن بن زائدة) على قتل جماعة من الاسراء فلما مثلوا بين يديه قام أصغر القوم وقال أيها الامير أتقتل أسراك وقد جاعوا وعطشوا فأمر لهم بطعام وشراب فلما أكلوا وشربوا قام اليه وقال أيها الامير أتقتل اضيافك فخلع عليهم وخلى سبيلهم * ولما قبض على ابن المقنع وكل به رجل يعذبه في مال طلب منه فلما طال عليه ذلك وخشي على نفسه التلف اقترض من صاحب العذاب مائة ألف درهم فكان بعد ذلك يرفق به خوفا على ماله (واقتحم رجل) على الاحنف بن قيس مجلسه فلطمه فقال له ما حملك على ما فعلت فقال لطمني رجل من تميم فأقسمت أن أقتص من سيدهم فقال له الاحنف لم تبر في يمينك ولست بسيد تميم وانما سيدهم حارثة بن قدامة فذهب الرجل اليه فوجده بين قومه فلطمه فأمر بقطع يده فقطعت فيقال ما قطع يده الا الاحنف الذي جرأه على غيره ولم يؤدبه على فعله وان كانت هذه الحكاية ليست جارية على المعهود من حلم الاحنف فان النفوس الشريفة تأبى الاسترسال في الاحتمال لما يحصل في حقها من اهمال الجهال كما قال أبو تمام حبيب بن أوس الطائي معتذرا عمن أحوجه الذب عن سيادته الى الخروج عن عادته

اذا أحوجت ذا كرم تخطى * اليك ببعض أخلاق اللئام
وما خرق اللئيم وان تعدى * بأبلغ فيك من حقد الكرام

(ولي عبد الملك بن مروان) أخاه بشرا العراق وضم اليه روح بن زنباع فلما دخل العراق اغري بالشراب وثقل عليه ابن زنباع فقال يوما من يحتال لي فيه فقال ثمامة الباهلي أنا ثم

فمن لم يعاشر بالمعروف من لم يجد من معاشرته بدا حتى يجعل الله تعالى له مخرجا (ليس) الى السلامة من الناس سبيل فعليك بما ينفعك فالزمه (ليس) العاقل الذي اذا وقع في الامر احتال له لكن العاقل الذي يحتال للامر ولا يقع فيه (ليس) للجوج تدبير ولا لسيء الخلق عيش ولا للمتكبر صديق (ليس) حسن الجوار كف الاذى ولكنه الصبر على الاذى (ليس) من أحد وان ساعدته المقادير يستخلص غضارة عيش الا من خلال مكروه (ليس) للامور بصاحب من لم ينظر في العواقب (ليس) من العدل القضاء بالظن على الثقة (ليس) بيسير تقويم العسير (ليس) الحكيم بكثرة العلم انما الحكيم في الانتفاع به في العمل (ليس) من شرط الحليم ان لا يضجر لكن ان يضجر بوزن (ليس) لانفسكم ثمن الا الجنة فلا تبيعوها بغيرها (ليس) الانسان الصورة انما الانسان العقل (ليس) من توكل المرء اضاعة الحزم (ليس) للجائر جار (ليس) من عادة الكرام سرعة الانتقام (ليس) العاقل الذي يعرف الخير والشر انما العاقل الذي يعرف أقل الشرين (ليس) الناس بشيء من اقسامهم أقنع منهم بأوطانهم (ليس) بعاقل ولا لبيب من لم يصف ما به الى الطبيب (ليس) الاسير من أوثقه عداه انما الاسير من أوثقه هواه قسرا أو أرهقه خسرا

(ومن الشعر في هذا الفصل قولهم)

ليس بالمغبون عقلا * مشترى عز بمال
انما يدخر المال * لحاجات الرجال
فاشترا العز بما شئـ * ـت فما العز بغال

صار الى دهليز روح وكتب على حائطه

يا روح من لزنابير محرشة * اذا يقال لاهل المغرب الباغي
ان الخليفة قد شالت نعامته * فاحتل لنفسك يا روح بن زنباغ

فلما قرأه ما ظن الا أن بعض الجن كتبه ما نعدا الى بشر فاستأذنه فى الرجوع الى الشام فامتنع بشر من الاذن له وجعل يسأله أن يقيم فأبى فأذن له فلما دخل على عبد الملك قال الحمد لله على سلامتك يا أمير المؤمنين قال وما ذاك فأخبره الخبر فقال له سخر بك بشر وأهل العراق لما ثقلت عليهم فاحتالوا للراحة منك (وقدم قوم) غرماء لهم الى قاض وادعوا عليه مالا فصدقهم فأمره القاضى أن يدفع لكل ذى حق حقه فقال ان لى ربعا وقد حان استغلاله فان رأوا أن يؤجلونى أياما حتى أستغله وأؤدى اليهم حقوقهم فلا بأس فسألهم القاضى ذلك فقالوا والله ما نعلم له سبدا ولا لبدا فقال له القاضى اذهب فقد فلسك غرماؤك (وحكى) أن رجلا أراد الحج فأودع عند رجل مالا فلما رجع طلبه منه فجحده اياه فأتى اياسا القاضى فأخبره فقال له لا تعلم أحدا انك جئتنى وعد الى بعد يومين ثم دعا اياس ذلك الرجل المودع عنده وقال له انه قد تحصل عندنا مال للأيتام واريد دفعه اليك ليكون وديعة فى حرزك فحصن بيتك وانتخب اقواما ثقات يحملونه معك فرجع الرجل واصلح منزله ثم دعا اياس صاحب المال وقال له انطلق الى صاحبك واطلب منه مالك وقل له ان انت لم ترده على شكوتك للقاضى فذهب الرجل اليه وطلب منه المال فرده عليه فأخبر الرجل اياسا بذلك فقال ربما كانت الحيلة وسيلة الى درك المطلوب ولم يعاود اياسا ذلك الرجل المودع عنده فيما وعده به

﴿ والحازم من اضاف الى تاج رياسته عقودا من جواهر سياسته ﴾

فانهم قالوا من طلب الرياسة فليصبر على مضض السياسة (ويقال) اذا صحت السياسة تمت الرياسة (وصف) انوشروان سياسته فقال لم أهزل فى امر ولا نهى ولم أخلف فى وعيد ولا وعد وأعاقب للأدب لا للغضب واثيب للغنى لا للهوى فأودعت قلوب الرعية هيبة لا يشينها منهم هلع ومحبة لا يشوبها فيهم طمع وعممت بالقوت وحذفت الفضول (وقال اردشير) لاصحابه وقد سعى عنده بانسان انما املك الظواهر لا النيات واحكم بالعدل لا بالرضا وافحص عن الاعمال لا عن السرائر (ومن كلامه) لا سلطان الا برجال ولا رجال الا بمال ولا مال الا بعمارة ولا عمارة الا بعدل (وقالت الحكماء) اسوس الملوك لرعيته من قادأبدانها بقلوبها وقلوبها بخواطرها وخواطرها بأسبابها من الرغبة والرهبة (وقالوا) قلوب الرعية خزائن ملكها فما اودعها من شئ فليعلم انه فيها (وقال بزرجمهر) العقل حديقة سياجها الشريعة والشريعة سلطان يجب لها الطاعة والطاعة سياسة يقوم بها الملك والملك راع يعضده الجيش والجيش اعوان يكفلهم المال والمال رزق تجمعه الرعية والرعية سواد يستعبدهم العدل والعدل اساس به قوام العالم (وقالوا) ينبغى للملك ان يتفقد امر رعيته فى كل شهر وامر خاصته فى كل يوم وامر نفسه فى كل ساعة (وقال ابو منصور الثعالبى) اذا كان الملك واضح ميسم العدل فارش مهاد الفضل باسط جناح البر منبت نور المحبة ممتد ظل الهيبة مالك عنان السياسة فقد ارخ الزمان بحسن آثاره وشق على الملوك شق غباره (ومن كلام بعض البلغاء) خير الملوك من كفى وكف وعفا وعف (وقال الشاعر فى بعض ولاة بنى مروان)

اذا ما قضيتم ليلكم بمنامكم * وافنيتم ايامكم بمدام
فمن ذا الذى يغشاكم فى ملمة * ومن ذا الذى يلقاكم بسلام

فالغنى من جعل الاثمـ
وال أثمان المعالى

﴿ آخر ﴾

ليس الكريم بمن يدنس عرضه
ويرى مروءته تكون بمن مضى
حتى يشيد بناءهم ببنائه
ويزين صالح ما أتوه بما اتى

﴿ آخر ﴾

ليس فى كل ساعة وأوان
تتأتى صنائع الاحسان
فاذا أمكنت فبادر اليها
حذرا من تعذر الامكان
احزم الناس من اذا احسن الده
ر تلقى الاحسان بالاحسان

﴿ آخر ﴾

ليس الاديب اخا الرواية
للنوادر والغريب
ولشعر شيخ المحدثين
ابى نواس او حبيب
بل ذو التفضل والمروءة
والعفاف هو الاديب

﴿ آخر ﴾

ليس للحاجات الا من * له وجه وقاح
ولسان وبيان * وغدو ورواح

﴿ آخر ﴾

ليس العدو بشر
من الصديق الحسود
فعم أمرك عنه
وداره من بعيد

﴿ آخر ﴾

ليس الكريم الذى ان ذل صاحبه
بث الذى كان من أسراره علما
بل الكريم الذى تبقى مودته
ويحفظ السر ان صافى وان صرما

﴿ آخر ﴾

ليس الغبى بسيد فى قومه
لكن سيد قومه المتغابى

﴿ آخر ﴾

ليس الذى تكرمه لغيره
مثل الذى تكرمه لنفسه

رضيتم من الدنيا بأيسر بلغة * بلثم غلام اوبشرب مدام
الم تعلموا ان اللسان موكل * بمدح كرام اوبذم لئام

(ويقال) ينبغي للملك ان تعمل بخصال ثلاثة تأخير عقوبة المسيء وتعجيل ثواب المحسن والعمل بالاناة فيما يحدث له فان في تأخير العقوبة امكان العفو وفي تعجيل ثواب المحسن المسارعة بالطاعة وفي الاناة انفساح الرأي واتضاح الصواب (وسأل المأمون) رسول الروم لما قدم عليه عن سيرة ملكهم فقال بذل عرفه وسل سيفه فاجتمعت عليه القلوب رغبة ولجأت اليه رهبة سهل النوال حزن النكال فالرجاء والخوف معقودان في يده قال له فكيف حكمه قال يردع الظالم ويحنو على المظلوم فالرعية اثنان راض ومغتبط قال فكيف هيبته فيهم قال يتصور في القلوب فتخشع له الابصار فقال له المأمون لله ابوك لقد احسنت فيما وصفت (ومما حسن) قول معاوية لمسلم بن زياد لما ولاه خراسان ان اباك كفاك اخاه عظيما وقد استكفيتك صغيرا فلا تتكلن على عذر مني فقد اتكلت على كفاية منك واياك مني قبل ان اقول اياي منك فان الظن اذا اخلف مني فيك اخلف منك في وانت في ادنى حظك فاطلب اقصاه وقد اتعبك ابوك فلا تريحن نفسك (وقال انوشروان) الناس ثلاث طبقات نسوسهم ثلاث سياسات طبقة هم خاصة الابرار نسوسهم بالعطف واللين والاحسان وطبقة هم خاصة الاشرار نسوسهم بالغلظة والعنف وطبقة هم العامة نسوسهم بالشدة واللين كيلا تحرجهم الشدة ولا يبطرهم اللين (وقال) عبد الله بن طاهر

اذا كنتم للناس أهل سياسة * فسوسوا كرام الناس بالرفق والبذل
وسوسوا لئام الناس بالذل يصلحوا * على الذل ان الذل أوفق للنذل

(وقال معاوية بن أبي سفيان) اني لا أضع سيفي حيث يكفيني سوطي ولا أضع سوطي حيث يكفيني لساني ولو أن بيني وبين العامة شعرة لما انقطعت قيل له وكيف ذاك قال ان جذبوها أرخيتها وان أرخوها مددتها (وكان زياد) اذا ولى رجلا عملا قال له خذ عهدك وسر الى بلدك واعلم بأنك مصروف رأس سنتك وأنك تصير الى أربع خلال فاختر لنفسك ان وجدناك أمينا ضعيفا استبدلنا بك لضعفك وسلمتك من معرتنا أمانتك وان وجدناك قويا خائنا استعنا بقوتك وأحسنا على خيانتك أدبك وان جمعت علينا الجرمين جمعنا عليك المضرتين وان وجدناك قويا أمينا زدنا في عملك ورفعنا ذكرك وأوطأنا عقبك (وقالوا) اذا كان للمحسن من الحق ما لا يقنعه وللمسيء من أليم العذاب ما يقمعه بذل المحسن النصح رغبة وانقاد المسيء الى الحق رهبة (ولا ينبغي) لاحد من الملوك أن يعدل عن قول أردشير بن بابك المستفاد منه والمستفاض عنه وهو قوله لبعض موابذته (اعلم) ان الملك والدين اخوان توأمان لا قوام لاحدهما الا بالآخر لان الدين هو أس الملك وعماده والملك هو قائم سيف الدين ونجاده ولا بد للملك من أس ولا بد للدين من حارس فان من لا حارس له ضائع ومن لا أس له مهدوم (واعلم) أنه يجب على الملك وعلى الرعية أن لا يكون للفراغ عندهم موضع فان التضييع في فراغ الملك وفساد الملك من فراغ الرعية (ويقال) شيآن ان صلح أحدهما صلح الآخر السلطان والرعية (وقال المأمون) أسوس الملوك من ساس نفسه لرعيته فأسقط عنه مواقع حجتها وقطع مواقع حجته عنها (كان الرشيد) في بعض غزواته فالح عليه الثلج ليلة فقال له بعض أصحابه يا أمير المؤمنين أما ترى ما نحن فيه من الجهد والنصب وعثاء السفر والرعية قارة وادعة نائمة فقال اسكت فللرعية المنام وعلينا القيام ولا بد للراعي من حراسة الرعية وتحمل الاذية واليه أشار بعض مداحه

﴿آخر﴾
ليس لرب البيت في بيته
عيش اذا ما فسد الاهل
﴿آخر﴾
ليس لمن ليست له حيلة
موجودة خير من الصبر
﴿آخر﴾
ليس من الظرف والتأدب أن
يسمع منك الصديق ما كرها
﴿آخر﴾
ليس الظريف بكامل في ظرفه
حتى يكون من الحرام عفيفا
﴿آخر﴾
ليس النعيم ولا الشقاء بدائم
لا بد للاقبال من ادبار
﴿آخر﴾
ليس ارتحالك ترتاد الغنى سفرا
بل المقام على خسف هو السفر
﴿آخر﴾
ليس ملك الذي يموت بملك
انما الملك ملك من لا يموت

(فصل رب)

﴿فمن الحديث الوارد عن النبي صلى الله عليه وسلم﴾

(رب) حامل حكمة الى من هو أوعى منه (رب) حامل فقه ليس بفقيه (رب) طاعم شاكر أعظم أجرا من صائم صابر (رب) مبلغ أوعى من سامع (رب) ملوم لا ذنب له (رب) ذميم الوجه حسنه عند الحاجة ورب حسن الوجه دميمه عند طلب الحاجة (رب) مكرم لنفسه وهو لها مهين ورب مهين لنفسه وهو لها مكرم (رب) أمن سببه الخوف (رب) طرف أنم من لسان (رب) صلف أدى الى تلف (رب) حيلة أهلكت المحتال (رب) صديق يؤتى من جهله لا من نيته

غضبت لغضبتك الصوارم والقنا * لما نهضت لنصرة الاســلام
ناموا الى كنف بعدلك واسـع * وسهرت تحرس غفلة النوام

﴿والعاقل من شغله عيبه عن عيب من سواه ولم يطع في جواب السفيه أمير هواه﴾

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس وأنفق الفضل من ماله ورحم أهل الذلة والمسكنة وخالط أهل الفقه والحكمة (وقال عليه الصلاة والسلام) لاتتبعوا عورات المسلمين فان من تتبع عورة أخيه المسلم تتبع الله عورته ومن تتبع الله عورته يوشك أن يفضحه ولو في رحله (وقال أكثم بن صيفي) استر عيب أخيك لما تعلم من نفسك (وقالوا) أحق الناس من أنكر من غيره ما هو مقيم عليه (قيل) للربيع بن خيثم مالك لاتعيب أحدا قال لست عن نفسي راضيا فأتفرغ لعيوب الناس ومن أمثالهم (وقالوا) من أسرع الى الناس بما يكرهون قالوا فيه ما لا يعلمون ومن تتبع مساوى العباد فقد جعلهم عرضه قال الشاعر

لاتكشفن من مساوى الناس ما ستروا * فيكشف الله سترا من مساويكا
واذكر محاسن ما فيهم اذا ذكروا * ولا تعب أحـــدا منهم بما فيكا

(وما أحسن قول القائل)

اذا شئت أن تحيا سليما من الاذى * ودينك موفور وعرضك صين
فـلا ينتطق منك اللسان بسوءة * فللناس سوآت وللناس ألسن
وعينك ان أبدت اليك مساويا * لقوم فقل ياعين للناس أعين
فعاشر بانصاف وكن متوددا * ولا تلق الا بالتي هي أحسـن

(وقالوا) فلان يصم أذنه عن الفحشاء ويخرس لسانه عن التكلم بها (وقال الشاعر) عدى غني عن الفحشاء أما لسانه * فعف وأما طرفه فكليل

(آخر) كريم له عينان عين عن الخنا * تنام وأخرى في المكارم تسهر
(آخر) واذا أتوا خالك امرئ بقبيحة * فأجبه بالاحسان والاجمال

(حكى) أن رجلا عاب رجلا عند المأمون فقال له المأمون قد استدللنا على كثرة عيوبك بما تذكر من عيوب الناس لان طالب العيوب انما يطلبها بقدر ما هي فيه لا بقدر ما فيه منها وقال الشاعر أرى كل انسان يرى عيب غيره * ويعمى عن العيب الذي هو فيه
وماخير من تخفى عليه عيوبه * ويبدو له بالعيب عيب أخيـه

(وقالت رابعة العدوية) الانسان اذا نصح لله في نفسه أطلعه الجبار على مساوى عمله فيتشاغل بها عن خلقه

﴿والعاقل من جعل اغضاءه عن المساوى حصنا اليه من ذم اللئام ياوى﴾

يقال رب ساخط العاذل فيبدى الرضا ويغضى عن مثل جمر الغضا (وقيل لبزرجمهر) من أعقل الناس قال من لم يجعل سمعه غرضا لسماع الفحشاء وكان الغالب عليه التغافل (وقال أبو بكر الصديق) رضي الله عنه من امتطى زمام التغافل ملك زمام المروأة (وقالوا) أشرف الكرم تغافلك عما تعلم (ويقال) التغافل من الكرام يمنحهم الاجلال والاكرام أنشد الباخرزي في الدمية لابي الفضل عبد الله بن محمد الخيري رحمه الله تعالى

يامن يعرض بالخنا متوهما * جهلي به مهلا فانك جاهل
كم مرة أغضيت منك على قذا * لولا النهى لرأيت ما أنا فاعل

(آخر)

﴿ومن الحكمة المأثورة عن السلف وغيرهم﴾

(رب) قول أشد من صول (رب) أخ لك لم تلده أمك (رب) عجلة تهب ريثا (رب) مغبوط بمسرة هي داؤه ومرحوم من سقم هو شفاؤه (رب) ضيق أفضل من سعة (رب) عناء خير من دعه (رب) مملول لا يستطاع فراقه (رب) طبع صالح أفسده مصاحبة الاشرار والسفلة (رب) حسن المنظر قبيح المخبر (رب) مزاح في غوره جد (رب) مواصلة أدت الى تثقيل وتخفيف أدى الى قطيعة (رب) صلابة غرست من لحظة ورب حرب شبت من لفظة (رب) كلمة سلبت نعمة وجلبت نقمة (رب) وحشة انفع من أنس (رب) وحدة أمتع من جليس (رب) منع ألذ من عطاء (رب) شوك أمهد من وطاء (رب) جهل وقى به علم وسفه حمى به حلم (رب) صديق أود من شقيق (رب) عاجل لذة قد أعقبت طول حسرة (رب) مستسلم ومحترز ندم (رب) ساع لقاعد آكل غير حامد

﴿ومن الشعر في هذا الفصل قولهم﴾

رب من انضجت غيظا صدره
قد تمنى لي موتا لم يطع
ويحييني اذا لاقيته
واذا يخلو له لحمي رتع

﴿آخر﴾

ورب غريب ناصح الجنب
وابن اب متهم الغيب
ورب عياب له منظر
مشتمل الثوب على العيب

﴿آخر﴾

رب مغروس يعاش به
عدمته كف مغترسه

(آخر) ويشتمني النذل اللئيم فلا أرى * كفؤ العرض عرضه فاحامله
أجرله ذيلي كأني غافل * أضاحكه طورا وطورا أخاتله

(وقيل) لبعضهم من العاقل قال الفطن المتغافل قال الشاعر

أعرض عن العوراء ان أسمعتها * واسكت كأنك غافل لم تسمع

(ولبعضهم معربا بكرمه ومعرفا بشيمه)

واني لأغضي عن أمور كثيرة * ومن دونها قطع الحبيب المواصل
وأعرض حتى يحسب الناس انني * جهلت الذي آتي ولست بجاهل

(آخر) وأغضي عن العوراء حتى يقال لي * بأذنيه وقر عندها حين ينطق
حياء وإكراما لعرض أصونه * ولا خير في عرض يظل يمزق

(آخر) دعي ملاحاة من هجاني * يا نفس أن تغفلي تصاني
اذا حكيت البذا عليه * فما هجاني سوى لساني

(وأما ما قيل في التغاضي والاحتمال والكف عن جواب قبيح المقال)

(قالوا) أعقل الناس من لم يتجاوز الصمت في عقوبة السفيه (وقال) بعض الحكماء السكوت عن السفيه جواب والاعراض عنه عقاب (قال الشاعر)

اذا نطق السفيه فلا تجبه * فخير من اجابته السكوت
فان جاوبته فرجت عنه * وان خليته كمدا يموت

(وقال بعضهم) لا ترجعن الى السفيه حكاية * الا جواب تحية حياكها
فمتى تحركه تحرك جيفة * تزداد نتنا ما أردت حراكها

(آخر) أرى الكف عن شتم السفيه تكرما * أضر به من شتمه حين يشتم

(وقالوا) اذا سكت عن الجاهل فقد أوسعته جوابا وأوجعته عذابا (ويقال) ثلاثة لا ينتصفون من ثلاثة حليم من أحمق وبر من فاجر وشريف من دنيء (شاعر)

اذا أنت لم تعرض عن الجهل والخنا * أصبت حليما أو أصابك جاهل
فأصبحت اما نال عرضك جاهل * سفيه واما نلت ما لا تحاول

(وقال بعض الاعراب يمدح قومه)

تخالهم صما وعميا عن الخنا * وخرسا عن الفحشاء عند التهاجر
ومرضى اذا لوقوا حياء وعفة * وعند الحفاظ كالليوث الجواذر
لهم ذل انصاف ولين تواضع * وعفو عن المولى وحسن تصابر
تخالهم داء يخافون عاره * وما وصمهم الا اتقاء المعاذر

(والعاقل من قنع من الدنيا باليسير وحصل فيها من التقوى زاد المسير)

وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم الدنيا فقال من صح فيها سقم ومن سقم فيها برم ومن افتقر فيها حزن ومن استغنى فيها فتن حلالها حساب وحرامها عقاب ومتشابهها عتاب من طلبها فاتته ومن قعد عنها أتته ومن بصر بها بصرته ومن نظر اليها أعمته (ووصف) ابن السماك الدنيا فقال من نال منها مات فيها ومن لم ينل منها مات عليها (ووصف) محمد بن توم الدنيا فقال لحظة بين عدمين فيها شركاء متشاكسون (وقال حكيم) الدنيا تطلب لثلاثة أشياء للغنى والعز والراحة فمن قنع استغنى ومن زهد فيها عز ومن قل سعيه استراح (وقال) عيسى عليه السلام أنا الذي كببت الدنيا على وجهها وجلست على ظهرها فليس

أقرب الاشياء من عرسه

(آخر)

رب حلم أضاعه عدم الما
ل وجهل غطى عليه النعيم

(آخر)

رب مهزول سمين حسبه
وسمين الجسم مهزول الحسب

(آخر)

رب مكروه مخوف
فيه لله لطائف

(آخر)

رب عير يرعى ويعلف في الخصـ
ب وليث يجوع في الصحراء

(فصول الاعداد المذكورة قبل)
(في الاحاديث والحكم والشعر)
(فصل واحد)
(فمن الحديث الوارد في ذلك
عن النبي صلى الله عليه وسلم)

(طلب) الدين أحد العسرين (الزوجة) الصالحة أحد الكاسبين (قلة) العيال أحد اليسارين (المال) احد الصحيحين

(ومن الحكمة المأثورة عن السلف وغيرهم)

(افشاء السر) احد المفسرين (اعلان) التوبيخ أحد الضربين (ادمان) النظر أحد الفسقين (المطل) احد المنعين (العري) احد الكفنين (المشفق) احد الوالدين (العين) احدى الرسولين (العشق) احد الرقين (الفرار) احد الحاسين (المكيدة) احدى الحسامين (الفكرة) احدى الهاديين (اللسان) أقطع السيفين (الدهر) احد المؤدبين (الشيب) احد الميتتين (حسن الثناء) احد العمرين (ذهاب العدة) أحد الهلاكين

لى زوج تموت ولادار تخرب (وقال) ابن السماك من جرعته الدنيا حلاوتها بميله اليها جرعته الآخرة مرارتها بتجافيه عنها (وقال) على رضى الله عنه الدنيا والآخرة كالمشرق والمغرب ان قربت من أحدهما بعدت عن الآخر (ويروى عنه) أنه قال الدنيا والآخرة ضرتان متى ارضيت احداهما أسخطت الاخرى ثم قال لا بل أختان ولا يمكن الجمع بين الاختين (وقال) عليه الصلاة والسلام الدنيا كم هذه أهون فى عينى من عراق جروفى يد مجذوم (ويقال) عين الدهر تطرف بالمساوى والخلائق نيام بين أجفانها (وقال) بعض المتقدمين منها وأحسن

أن الدنيا ليست تواتينى * الا بنقض طاعتى دينى

عينى بجنبى تدير مقلتها * تريد ما ساءها لتردينى

(مر) محمد بن واسع على قوم فسأل عنهم فقيل له هؤلاء الزهاد قال وما قدر الدنيا حتى يزهد فيها (وقال) على رضى الله عنه الدنيا جيفة فمن أرادها فليصبر على مخالطة الكلاب (وقال) منصور بن عمار الدنيا أولها بكاء وأوسطها عناء وآخرها فناء (وقال) لقمان لابنه يا بنى بع دنياك بآخرتك تربحهما جميعا ولا تبع آخرتك بدنياك فتخسرهما جميعا (وقال) الفضيل بن عياض لو عرضت على الدنيا بحذافيرها حلالا لا أحاسب عليها فى الآخرة لكنت أتقذرها كما يتقذر أحدكم الجيفة اذا مربها أن تصيب ثوبه (وقال) جعل الخير كله فى بيت وجعل مفتاحه الزهد فى الدنيا (وقال) يوسف بن اسباط ان الدنيا لم تخلق لينظر اليها انما خلقت لينظر بها الى الآخرة (وقال) ابراهيم بن أدهم مساكين الاغنياء طلبوا الراحة فعدموها ووجدها الزهاد فلزموها (ومن المنظوم فى ذلك)

تبا لطالب دنيا لا بقاء لها * كأنما هى فى تصريفها حلم

صفاؤها كدر سراؤها ضرر * أمانها غدر أنوارها ظلم

شبابها هرم راحاتها سقم * لذاتها ندم وجدانها عدم

لا يستفيق من الانكاد صاحبها * لو كان مامنحت ماضمنت ارم

فخل عنها ولا تركن لزهرتها * فانها نعم فى طيها نقم

واعمل لدار نعيم لا نفاد له * ولا يخاف به موت ولا هرم

(وقال بعض الزهاد وأحسن)

ومن يحمد الدنيا لشئ يسره * فسوف لعمرى عن قليل يلومها

اذا أدبرت كانت على المرء حسرة * وان أقبلت كانت كثيرا همومها

(آخر) ياخاطب الدنيا الى نفسه * انته عن خطبتها تسلم

ان التى تخطب غرارة * قريبة العرس من المأتم

(وقال أحمد بن عبد ربه صاحب العقد)

الا انما الدنيا غضارة أيكة * اذا اخضر منها جانب جف جانب

هى الدار ما الآمال الا فجائع * عليها وما اللذات الا مصائب

فكم سخنت بالامس عين قريرة * وقرت عيون دمعها الآن ساكب

فلا تكتحل عيناك منها بعبرة * على ذاهب منها فانك ذاهب

(وذكرت) الدنيا عند الحسن البصرى فقال

الا انما الدنيا كاحلام نائم * وما خير عيش لا يكون بدائم

تأمل اذا حاولت بالامس لذة * فأفنيتها هل أنت الا كحالم

(آخر) انما الدنيا كظل زائل * طلعت شمس عليه فاضمحل

(التدبير) أحد الثروتين (الزوجة) الصالحة أحد الكاسبين (المشورة) أحد الدليلين (الميزان) أحد الصادقين (القلم) أحد اللسانين (سوء الرأى) أحد الجارين (سامع الغيبة) أحد المغتابين (البيان) أنفذ السهمين (الثروة) احدى الامارتين (الناصر) أحد الساعدين (الطيف) أحد الزيارتين (السلو) أحد العتيقين (الصبر) أحد المفيدين (التثبت) أحد الناصحين (التوفيق) أحد الخليلين (الزمانة) أحد الاسرين (التجارة) احدى الجابيين (الثقة بالله) أحد الامانين (الرد الجميل) أحد الجودين (التودد) للناس احد الحسنيين (الالفة) احدى العمارتين (الاحسان) أحد القدين (الرحلة بالادب) احد الزادين (الدار) أحد النسبتين (العسر) احد الغربتين (اليسار) احد الوطنين (العدة) احد العطاءين (السلامة) احد الغنيمتين (المبلغ) احد الشامتين

(ومن الشعر فى هذا الفصل)

تأمل صورة العدد

فمن ينظر اليه هدى

كما الاعداد راجعة

وان كثرت الى الاحد

كذاك الخلق مرجعهم

لرب واحد صمد

(فصل اثنين)

(فمن الحديث الوارد عن النبى صلى الله عليه وسلم)

(ثنتان) لا تردان الدعاء عند النداء وعند البأس حين يلحم بعضه بعضا (خلقان) يحبهما الله

كان فى دار سواها داره * علته بالمنى ثم ارتحل

(آخر) لعمرك ما الدنيا بدار إقامة * ولكنها دار انتقال لمن عقل

اذا رفعت حطت وان هى أحسنت * أساءت وان أعطت فايامها دول

(آخر) مزمومة بالهم مخطومة * بسم زعاق سم اخلافها

ولم تزل تقتل ألافها * أف لقتالة ألافها

(ويقال) ليس الزاهد فى الدنيا من زهد فيها وقد أعرضت عنه وانبتت منه ولم تمكنه من متاعها وضاقت عليه مع اتساعها وهو مضطر الى ذلك لظهور عسرته ونفود يسرته وانما الزاهد فى الدنيا من أقبلت عليه وحشدت فوائدها اليه وحسنت له فى ذاتها وأمكنته من لذاتها فأعرض عنها وزهد فيها (شاعر)

اذا المرء لم يزهد وقد جمعت له * ضروب من الدنيا فليس بزاهد

(وروى) عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال انما الزاهد فى الدنيا من يكون بما فى يد الله أغنى منك بما فى يدك (وما أكثر انصاف من قال)

نراع بذكر الموت فى حال ذكره * ونعترض الدنيا فنلهو ونلعب

ونحن بنو الدنيا خلقنا لغيرها * وما كان منها فهو شئ محبب

(وقال بعض البلغاء) صاحب الدنيا ساكن راحل وأيامه مراحل وأنفاسه رواحل صاحب الدنيا بين فرحة وترحة وحبرة وعبرة صاحب الدنيا بين العسل والصاب والصحة والاوصاب (حكى) أن سليمان بن عبد الملك قال لعمر بن عبد العزيز وقد أعجبه سلطانه كيف ترى ما نحن فيه فقال عمر سرور لولا أنه غرور وحرم لولا أنه عدم وملك لولا أنه هلك وحياة لولا أنه موت ونعيم لولا أنه عذاب أليم فظهر فى وجه سليمان الكآبة من كلام عمر ولم ينتفع بنفسه بعد ذلك وتوفى سنة ثمان وتسعين وهو ابن خمس وأربعين سنة وكانت ولايته سنة ست وتسعين

﴿الفصل الثالث من الباب الثالث فى أن هفوات العقال لا يغضى عنها ولا تقال﴾

(كما قيل) لا يحقر الرجل الرفيع دقيقة * للسهو فيها للوضيع معاذر

ذو العلم يعسر أن تقال عثاره * وتقال عثرته الجهول العاثر

ولسليمان بن عبد الملك فيما قصدناه كلام هو أنور اللائح والهادى الى الطريق الواضح (وهو قوله) السكوت عما لا يعنيك خير من الكلام فيما يضرك والسكوت عما لا يضرك خير من الكلام فيما لا يعنيك (وقال) عمر بن الخطاب رضى الله عنه زلة الرجل تجبر وزلة اللسان لا تبقى ولا تذر (قال بعضهم)

يموت الفتى من عثرة من لسانه * وليس يموت المرء من عثرة الرجل

(وقالوا) طعن اللسان أنفذ من طعن السنان وجرح الكلام أصعب من وقع السهام (وقالوا) رب لسان أتى على انسان

﴿ذكر من أرسل سهما من فيه فأصاب مقتله ولم يكد يخطيه﴾

(حكى) أن رجلا من الفرس وقف الى شيرويه لما قتل ابرويز فقال الحمد لله الذى قتل ابرويز على يدك وملكك ما كنت أحق به منه وأراحنا من عتوه وكبره وتجبره وبخله وجهله فانه كان يأخذ بالاحنة ويقتل بالظنة ويخيف البرى ويذل السرى فلما سمع شيرويه كلامه قال للحاجب احمله الى فلما مثل بين يديه قال كم كان رزقك قال ألفين قال والآن قال

ورسوله الحلم والاناءة (وخلقان) يبغضهما الله ورسوله البخل وسوء الخلق (قطرتان) من افضل الاشياء قطرة دم فى سبيل الله وقطرة دمع من خشية الله (خصلتان) ليس فوقهما من الخير شئ الايمان بالله والنفع لعباد الله (غنيمتان) غبنهما كثير من الناس الصحة والفراغ (اثنان) ليس فى الدنيا أقل منهما ولا يزدادان الا قلة درهم حلال وأخ فى الله يسكن اليه (خصلتان) لا ثمن لهما العلم والعمل الصالح (منهومان) لا يشبعان منهوم فى العلم ومنهوم فى المال شيئان لا يجتمعان الايمان والحسد (شيئان) لا يفترقان الحرص والتعب (صنفان) من الناس اذا صلحا صلح الناس واذا فسدا فسد الناس العلماء والامراء (ذنبان) لا يغفران البغى وقطيعة الرحم (ركعتان) فى جوف الليل خير من الدنيا وما فيها

(ومن الحكمة المأثورة عن السلف وغيرهم)

(اثنان) يقطعان الظهر عالم فاسق يصد الناس عن علمه بفسقه وجاهل ناسك يدعو الناس الى جهله بنسكه (اثنان) معذبان فى الدنيا رجل أعطى الدنيا فهو بها مشغول متعب ورجل فقير زويت عنه الدنيا فهو يطلبها ونفسه تتقطع عليها حسرات (شيئان) ان أحرزتهما لم تبال ما ضيعت بعدهما درهمك لمعاشك ودينك لمعادك (موطنان) لا يعتذر من العى فيهما اذا خاطبت جاهلا أو طلبت حاجة (شيئان) لا يعرفان الا بعد ذهابهما الصحة والشباب (اثنان) ظالمان يأخذان غير حقهما رجل وسع له فى مجلس

ما زيد شيأ قال فما دعاك الى الوقوع فيه وانما ابتداء نعمتك من عنده ولم تورع له ذلك وأمر بنزع لسانه من قفاه (ولما) ظهر محمد بن عبد الله بن الحسن بن حسين بالمدينة فى أيام أبى جعفر المنصور ودخل عليه سديف بن ميمون فانشده أبياتا يحرضه فيها على اظهار الدعوة ويطعن فى دولة بنى العباس يقول فيها

انا لنأمل أن ترتد الفتنا * بعد التبعد والشحناء والاحن
وتنقضى دولة أحكام قادتها * فينا كاحكام قوم عابدى وثن
فانهض ببيعتكم ننهض ببيعتنا * ان الخلافة فيكم يابنى حسن

فبلغت المنصور الابيات فكتب فيه الى عبد الصمد بن على وكان عامله على مكة فاختنه وقطع يديه ورجليه وجدع أنفه فلم يمت فدفنه حيا (وكان) دعبل الخزاعى هجاء للملوك جسورا على أعراضهم متحاملا لا يبالى ما صنع حتى عرف بذلك واشتهر فصنع على لسانه بكر بن حماد الباهرى ممن كان دعبل يؤذيه ويهاجيه أبياتا يهجو فيها المعتصم وذكر قوم أنها له وهى

ملوك بنى العباس فى الكتب سبعة * ولم يأتنا عن ثامن لهم كتب
كذلك أهل الكهف فى الكهف سبعة * كرام اذا عدوا وثامنهم كلب
وما أنت عندى فى الوفاء كبهم * لانك ذو ذنب وما أذنب الكلب

فبلغت المعتصم الابيات فأمر بطلبه فهرب الى زويلة بلد بالسودان بناحية المغرب فمات بها وقيل بالاهواز * وقيل لدعبل أنت القائل هذه الابيات قال لا والله ولكن من حشا الله قبره نارا يعنى ابراهيم بن المهدى اشاط بدمى لما هجوته بقولى فيه وهو خليفة

يامعشر الاعراب لاتقنطوا * خذوا عطاياكم ولا تسخطوا
فسوف نعطيكم شريجية * لاتدخل الكيس ولاتربط
والمعبديات لقوادكم * وما بهذا أحد يغبط
وهكذا يرزق أصحابه * خليفة مصحفه البربط

(وكان المعتصم) يلقب بالثمانى لانه اتفق له عدد الثمانية فى كثير من أموره ولد فى شهر شعبان وهو الشامن من شهور السنة وهى سنة ثمان وسبعين ومائة وهو ثامن بنى العباس مولدا وثامنهم ولاية وكانت خلافته ثمان سنين وثمانية أشهر وعمره ثمانيا وأربعين وغزوانه وفتوحاته ثمان وقتل ثمانية أعداء وخلف ثمان بنين وثمان بنات وترك ثمانمائة ألف دينار ومثلها دراهم الى غير ذلك من عدد الثمانية (رجع ما انقطع) * ذكر أبو القاسم الايادى أن جماعة من بنى أمية دخلوا على أبى العباس السفاح وفيهم الغمر بن هشام بن عبد الملك فألح أبو العباس بالنظر فلما رأى الغمر ذلك منه أنشده

عبد شمس أبوك وهو أبونا * لا نناديك من مكان سحيق
والقرابات بيننا واشجات * محكمات العرى بعقد وثيق

فأعجبه ذلك منه وأجلسه معه على السرير وأقعد أصحابه يمينا وشمالا وقال لهم انى أريد أن أخالطكم بنفسى واستخلصكم لها فاشكروه على ذلك فبينما هم يتحدثون اذ دخل عليهم سديف فأنشد السفاح القصيدة التى أولها

عمر الدين فاستبان مليا * حتى أتى على آخرها فقال السفاح ياابن هشام كيف ترى شاعرنا فقال قولا مجملا لحينه وأرباب بنى أمية ان شاعرنا الاشعر من شاعركم وأكثر بيانا وأفصح لسانا فقال السفاح وما قال شاعركم فقال

ضيق قبر بعج وانتفخ ورجل هديت له نصيحة فجعلها ذنبا

(خصلتان) فيهما خير الدنيا والاخرة الغنى والتقى وخصلتان فيهما شر الدنيا والآخرة الفقر والفجور (خصلتان) من الكرم انصاف الناس من نفسك ومواساة الاخوان (شيئان) العجلة فيهما محمودة اطعام الضيف اذا حل وقضاء الدين (اثنان) لا يجتمعان ابدا فى بشر الكذب والمروءة (اثنان) يهون عليهما كل شئ الحكيم الزاهد والجاهل الذى لا يدرى ما هو فيه (خصلتان) لا تجتمعان فى منافق الفقه فى الدين وحسن السمت (خصلتان) يحبهما العاقل ويكرههما الجاهل الصبر عند النوائب والعفو عند المقدرة (اثنان) أعيت الحيلة فيهما اقبال الامر اذا أدبر وادباره اذا اقبل (أمران) يستصلح بهما المرء دنياه أدب يقوم نفسه واجتهاد يحسن به عيشه وأمران يستصلح بهما آخراه عقل يعرف به خطاءه من صوابه ورشده من غيه ونزاهه يقهر بها هواه ويصرف بها شهوته

(ومن الشعر)

اثنان لو بكت الدماء عليهما
عيناى حتى تؤذنا بذهاب
لم يبلغا المعشار من حقيهما
فقد الشباب وفرقة الاحباب

(فصل ثلاثة)

(فمن الحديث الوارد عن النبى صلى الله عليه وسلم)

(ثلاثة) من الموبقات فاحذروهن الحرص والحسد والكبر (ثلاثة) لا ترد دعوتهم الامام المقسط والصائم حتى يفطر والمظلوم (ثلاثة) لا يضر معها شئ الدعاء

لو تحمل البخت والافيال مثقلة * أحلامهم تركت عقرى الاباهير
لا يعبثون اذا سجت مجافلهم * زين المجالس فرسان المنابير

فاحمرت عينا السفاح وهاجت به حمة كانت فيه قد سكنت ثم ضرب على فخذ الغمر وقال

طمعت أمية أن تجاوزها شما * عنها ويذهب زندها وحسينها
كلا ورب محمد ومليكه * حتى يبيد كفورها وخؤونها

ثم قال قوموا الى مقصورتكم ثم دعا بثلاثة وسبعين رجلا من أهل خراسان فاعطاهم الخشب وقال اشدخوهم فشدخوهم عن آخرهم قال سديف والله ما خرجت من الانبار حتى رأيتهم معلقين بعراقيبهم قد نهشت الكلاب رؤسهم (ولما) بنى زياد بيضاء البصرة وهي أول بناء بني بالجص والآجر بالبصرة أمر أصحابه أن يسمعوا من أفواه الناس ما يقولون فيها ويبلغوه ويأتوه بالقائل فأتى بانسان قيل انه لما رآها تلا قوله تعالى أتبنون بكل ريع آية تعبثون وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون فقال زياد ما حملك على هذا قال لم يكن أيها الامير هذا عن قصد وانما خطرت على قلبي فتلاها الثاني فقال والله لاعملن فيك بما في الآية واذا بطشتم بطشتم جبارين وأمر به فبني عليه ركن من أركانها (وكان) أحمد بن يوسف الكاتب كثير السقطات وكان يجالس المأمون وكان المأمون اذا تبخر لا يستقصي البخور وتخرج المجمرة بما بقي فيها فتوضع تحت الرجل والرجل من الجلساء اكراما لهم واعتناء بهم فجاءت النوبة يوما لاحمد بن يوسف فقال هاتوا المردود فسمعها المأمون فقال ألنا يقال هذا ونحن نجيز رجلا واحدا من خدمنا بعشرة آلاف درهم وأكثر ويحك انما قصدنا اكرامك أن أكون أنا وأنت اقتسمنا بخورا واحدا ولا يأبى الكرامة الا لئيم ثم أمر المأمون أن يطرح في المجمرة ثلاث مثاقيل من العنبر ويتبخر بها أحمد ويدخل رأسه في طوقه حتى ينفذ بخرها ففعل به ذلك وهو يستغيث فلا يغاث حتى احترق دماغه وقام من المجلس الى منزله فمات من ليلته

﴿وممن أسقط من العقلاء في كلامه فكان سببا مؤكدا للومه وايلامه﴾

ذو الرمة فانه وصف لعبد الملك بن مروان ذكاؤه وجودة شعره فأحب أن يراه فأمر باحضاره فلما دخل عليه استنشده فأنشده قصيدته المذهبة وافتتحها بقوله

ما بال عينك منها الماء ينسكب * كأنه من كلا مفرية ينسرب

واتفق ان كانت عينا عبد الملك يسيلان دائما وظن أنه عرض به فغضب فقال له مالك يا ابن اللخناء ولهذا السؤال ثم قطع انشاده وأمر باخراجه فأقام حتى أذن للشعراء مرة ثانية فدخل معهم وقد غير ما قال أولا وأنشده

ما بال عيني منها الماء ينسكب * حتى انتهى الى قوله
كحلاء في برج صفراء في نعج * كأنها فضة قد مسها ذهب

فأجازه وأكرمه وقال له لو أنها قيلت في الجاهلية لسجدت لها العرب (ودخل) أبو النجم الشاعر على هشام بن عبد الملك مع الشعراء فأنشده أرجوزته التي أولها * الحمد لله الوهوب المجزل * حتى انتهى الى قوله يصف الشمس * وهي على الافق كعين الاحول * ولم يقل الاحول وقطع انشاده وارتج عليه ولم أنها زلة عاقل خشي أن تكون غفلة جاهل لان هشاما كان أحول فقال له هشام ويلك اتمم البيت وأمر بوجء عنقه واخراجه من الرصافه (ولما مات عبد الملك بن مروان) وذلك في النصف من شوال سنة ست وثمانين وكان عمره يومئذ ستين سنة وأياما وقيل اثنين وستين وكانت مدة خلافته احدى وعشرين سنة وأياما سجاه ابنه الوليد فأنشده هشام أخوه

عند الكرب والاستغفار عند الذنب والشكر عند النعمة (ثلاثة) لا يسأل أحد عنها يوم القيامة ما أنفق في مرضه وفي افطاره وما أنفق في قرى ضيفه (ثلاثة) من نعيم الدنيا وان كان لا نعيم لها مركب وطيء والمرأة الصالحة والمنزل الواسع (ثلاثة) يبغضهم الله البخيل المنان والشيخ الزاني والفقير المختال (ثلاثة) مرحومون عزيز قوم ذل وغني قوم افتقر وصاحب دين رجع عن دينه (ثلاثة) معانون الملك حتى يضم أهله والغازي حتى يقضي غزوه والحاج حتى يقضي حجه (لا كذب) في احدى ثلاث الاصلاح بين الناس والحرب فانها خدعة والزوجات فيما يستاعه الزوج (ثلاثة) لا ينتصفون من ثلاثة بر من فاجر وشريف من دنيء وحليم من سفيه (ثلاثة) لا يعرفون الا في ثلاثة مواطن الحلم عند الغضب والشجاع في الحرب والاخ عند الحاجة (ثلاثة) لا يلامون على سوء الخلق المريض والصائم والمسافر (ثلاثة) يطلبون المرء وان فر منهم الموت والرزق والمصيبة (ثلاثة) من كن فيه ستر الله كنفه وأدخله جنته رفق بالضعيف وشفقة على الوالدين والاحسان الى المملوك (ثلاثة) من لم يكن فيه واحدة منهن لم يجد طعم الايمان حلم يرده عن جهل الجاهل وورع يحجزه عن محارم الله وخلق يداري به الناس (ثلاثة) من أخلاق الايمان من اذا غضب لم يدخله غضبه في باطل واذا رضي لم يخرجه رضاه من حق واذا استقل لم يعط ما ليس له (ثلاثة) من هذه الامة على منابر يوم القيامة من در

فما كان قيس هلكه هلك واحد * ولكنه بنيان قوم تهدما

فلطمه الوليد على فمه وقال اسكت يا ابن الاشجعية فانك أحول أكشف تنطق بلسان شيطان (ودخل) جرير بن عطية الخطفي على عبد الملك بن مروان بعد ما منعه من الدخول عليه كراهة فيه وفي شعره فأنشد

أتصحو أم فؤادك غير صاح * عشية هم قومك بالرواح

فقال له بل فؤادك يا ابن الخناء فقصر جرير وخرج خائبا وفي هذه القصيدة يقول مادحا بما لم يأت أحد بمثله ألستم خير من ركب المطايا * وأندى العالمين بطون راح

(خاصم رجلا) خالد بن أبي صفوان وكان قد كف بصره فترافعا الى بلال بن أبي بردة وكان أمير الكوفة وقاضيها فقضى على خالد ثم مر به مركب بلال فسأل من هذا قالوا بلال فقام خالد وهو يقول

سحابة صيف عن قليل تقشع * فسمعه بلال فقال له والله لا تقشع حتى يصيبك منها شؤبوب برد ثم أمر به فضرب مائتي سوط وأمر بحبسه فقال له خالد علام تفعل بي هذا ولم أجن جناية فقال بلال يخبرك بذلك باب مصمت وأقياد ثقال وقيم يقال له حفص ثم ضرب الدهر ضربانه فنكب بلال بعد ذلك واحضره يوسف بن عمر الثقفي عامل هشام في قيوده وكان خالد جالسا عنده فقال له أيها الامير ان بلالا عدو الله ضربني وحبسني ولم أفارق جماعة ولا خلعت يدا من طاعة ثم التفت الى بلال وقال الحمد لله الذي أذل سلطانك وهد أركانك وأزال جمالك وغير حالك والله لقد كنت شديد الحجاب مستخفا بالشريف مظهرا للعصبية فقال بلال يا خالد انما استطلت علي بثلاث الامير عليك مقبل وعني معرض وأنت طليق وأنا عان وأنت في وطنك وأنا غريب فأفحمه

﴿ومن الهفوات الجارية مجرى التطير المؤذن لفظها بالزوال والتغير﴾

قال علوية كنت مع المأمون لما خرج الى الشأم فدخلنا دمشق وجعلنا نطوف فيها على قصور بني أمية فدخلنا قصرا من قصورها فوجدناه مفروشا بالرخام الاخضر كله وفيه بركة يدخلها الماء ويخرج منها فيسقي روضة قد جمعت فيها أنواع الاشجار وفي القصر من اجناس الاطيار وما يغني صوتها عن العود والمزمار فاستحسن المأمون ما رأى وعزم على الصبوح فدعا بالطعام والشراب وأكلنا وشربنا ثم قال غنني بأطيب صوت والذه فلم يمر بخاطري غير هذا الصوت لو كان حولي بنو أمية لم * ينطق رجال اراهم نطقوا

فنظر الي مغضبا وقال عليك وعلى بني أمية لعنة الله فعلمت اني قد أخطأت فأخذت اعتذر من هفوتي وقلت يا أمير المؤمنين أتلومني أن أذكر بني أمية وزرياب عبدهم كان يركب في مائتي غلام ومملوك له وملك ثلثمائة ألف دينار الى غير ذلك من الضياع والاثاث وأنا عبدكم أموت جوعا فقال ما وجدت شيأ تذكرني به نفسك غير هذا ثم سكت ساعة وقال اعدل عن هذا وغنني بما اقترحت عليك فلم يحضرني غير هذا الصوت

الحين ساق الى دمشق ولم * أرضى دمشق لاهلها وطنا

فرماني بالقدح فأخطأني وقال قم الى لعنة الله وحر سقره ثم قام وركب فكان آخر عهدي به حتى مات ومات المأمون لثلاث عشرة ليلة خلت من رجب سنة ثمان عشرة ومائتين وكانت خلافته منذ قتل الامين محمد عشرين سنة وأشهرا وله من العمر ثمان وأربعون سنة ومات المعتصم أيضا في هذا العمر وكانت ولايته ثمان سنين وثمانية أشهر وكذلك عمر عبد الله بن طاهر وتوفي في ربيع الاول سنة ثلاثين ومائتين وكانت مدة امارته بخراسان تسع

عشرة

وياقوت التاجر الصدوق في تجارته والسلطان العادل في حكومته والبار بوالديه (ثلاث) للمرء المسلم من دعوته اما خير يعجل له في دنياه واما خير يؤخر له الى آخرته واما يستجاب له (ثلاث) علامات للكسلان يتوانى حتى يفرط ويفرط حتى يضيع ويضيع حتى يأثم (ثلاث) منجيات وثلاث مهلكات فاما المنجيات فخشية الله في السر والعلانية والحكم بالحق عند الغضب والرضي والاقتصاد عند الفقر والغنى وأما المهلكات فشح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه (ثلاث) ساعات من كان له الى الله حاجة فليطلبها فيهن عند زوال الشمس يوم الجمعة تفتح هنالك أبواب السماء وتنزل الرحمة وتصوت الطير وتنفث الريح وساعة تغيب الشمس فان الاعمال ترفع الى الله تعالى في ذلك الوقت وساعة ما بين طلوع الفجر الى طلوع الشمس (ثلاث) ساعات للمؤمن ساعة يناجي فيها ربه وساعة يروم فيها معاشه وساعة يخلي بين نفسه ولذتها فيما يحل ويجمل (ثلاث) من كن فيه فهو منافق من اذا وعد أخلف واذا حدث كذب واذا اؤتمن خان وثلاث من كن فيه فهو مؤمن اذا قال صدق واذا وعد وفى واذا أؤتمن لم يخن (ثلاث) من رزقهن فقد جمع له خير الدنيا والآخرة الرضى بالقضاء والصبر عند البلاء والدعاء في الرخاء (ثلاث) يصفين لك ود أخيك تسلم عليه اذا لقيته وتوسع له في المجلس وتدعوه بأحب أسمائه اليه (ثلاث) من أعطيهن فقد أعطي خير الدنيا والآخرة الكفاف والقنوع والورع

عشرة سنة (ولما) فرغ المعتصم من بناء قصره بالميدان جلس فيه مع جميع من أعيان جلسائه وندمائه سرورا به فما رأى الناس أحسن من ذلك اليوم فقام اسحق بن ابراهيم الموصلي وأنشده قصيدة يهنئه فيها أولها

يا دار غيرك البلى ومحاك * ياليت شعري ما الذى أبلاك

فتطير المعتصم وتغامز الناس وتعجبوا من بادرته وهفوته مع علمه وفهمه وطول خدمته للملوك وقام المعتصم من ذلك المجلس متطيرا فذكر انه لم يعد اليه بعد (ومن قبيح ما وقع لابى نواس الذى اساء فيه ادبه وخالف به مذهبه) ماحكى ان جعفر بن يحيي البرمكى بنى دارا وتأنق فيها وانتقل اليها فدخل عليه ابونواس مع من دخل اليه من الشعراء لهنائها فأنشده

ادارا البلى ان الخشوع لبادى * عليك وانى لم اخنك ودادى

فعذرة منى اليك بأن ترى * رهينة ارواح وصوت غوادى

ولا ادرأ الضراء عنك بحيلة * فاأنا منها قائل بسعادى

فان كنت مهجورا العناة فارمت * يد الهجر عن قوس المنون فؤادى

فان كنت قد بدلت بؤسا بنعمة * فقد بدلت عينى قذى برقاد

وختمها بقوله

سلام على الدنيا اذا ما فقدتم * بنى برمك من رائحين وغاد

فتطير جعفر لها واظهر الوجوم ثم قال نعيت الينا انفسنا يا ابا نواس فلم تكن الامدة يسيرة حتى اوقع بهم الرشيد (وزعم بعض اهل التاريخ) ان ابا نواس قصد التشاؤم لهم لشئ كان فى صدره من الممدوح وسبب ذلك ان ابا نواس دخل عليه يوما فلم يهش له ولم يدن مجلسه وكلح فى وجهه ثم دخل مسلم بن الوليد فهش له وادنى مجلسه واقبل عليه فحمل ابا نواس واغراه الحسد فعمل هذه القصيدة على طريق التطير وقال المبرد فى الروضة ان ابا نواس عملها فى الفضل بن يحيي (وحكى الصابى فى كتاب الهفوات) ان شرف الملك ابا سعيد الوزير جلس يوم عيد والناس يدخلون عليه يهنئونه ويمدحونه فأنشده احد الشعراء من قصيدة يعاتبه

وانت حصنى الذى الوذ به * فماله قد تهدمت شرفه

فتطير من ذلك لمناسبة شرفه بشرف الملك فى لقبه ثم انشد آخر قصيدة اولها

عقد الصيام بيوم الفطر محلول * فقدم الكاس فالقنديل معزول

فازداد تطيره وعجب الحاضرون من سوء ما اتفق فاما كان السابع من شوال قبض عليه

من استدرك هفوة لسانه من العقلاء ورد بالاعتذار عنه ما نزل به من البلاء

(يحكى) أن المنصور قال حججت سنة احدى وأربعين ومائة وأنا خليفة ماشيا لنذر لزمنى فانفردت عن الناس فاذا أنا بأعمى كنت أعرفه يتردد الى مروان بن محمد فسلمت عليه وأخذت بيده فقال من أنت قلت رفيقك الى الشام وأنت تريد مروان بن محمد فرد على السلام وأنشد

آمت نساء بنى أمية منهم * وبناتهم بمضيعة أيتام

نامت جدودهم وأسقط نجمهم * والنجم يسقط والجدود نيام

خلت المنابر والاسرة منهم * فعليهم حتى الممات سلام

فقلت له والغضب مستول على والرفق به مشير الى كم كان مروان أعطاك قال أغنانى حتى لا أسأل أحدا بعده أبدا املكنى الغلمان والجوارى والمال والعقار قلت وأين ذاك قال بالبصرة قال المنصور فلولا أن حق الصحبة منعنى عنه كنت هممت به وشفيت نفسى منه فقلت له أتعرفنى قال ما أثبت لك معرفة ولا أنكرك من سوء فلت أنا المنصور فأسقط فى يده ووقعت عليه الرعدة ثم قال يا أمير المؤمنين أقلنى جبلت القلوب على حب من أحسن اليها

(ثلاث) لن ينفع المرء بعد وفاته الا هن صدقة تجرى من بعده وسنة يعمل بها من بعده وولد يدعو له (ثلاث) تتبع الميت الى قبره فيرجع عنه اثنان وتتبعه واحدة أهله وماله وعمله فاما أهله وماله فيرجعان ويتبعه عمله (ثلاث) نهى الله عز وجل عنهن قيل وقال وكثرة السؤال واضاعة المال (ثلاث) لا يهلك مؤمن معهن شهادة أن لا اله الا الله وشفاعتى ورحمة الله التى وسعت كل شئ

(ومن الحكمة المأثورة عن السلف وغيرهم)

(ثلاثة) أشياء لا ينبغى للعاقل تركها علم يحث على عمل نافع فى المعاد وطب يكف به عن البدن الاسقام وصناعة يستعين بها على المعاش (ثلاثة) لا يتهمون المخبر عن سقمه والمقر على نفسه والذى يدعو الناس الى الاخذ بما يجمل به (العيش فى ثلاث) سعة المال وكثرة الخدم وموافقة الاهل (ليس) للثلاث حيلة فقر يخالطه كسل وخصومة داخلها حسد ومرض مازجه هرم (ثلاثة) لا يستخف بهم عاقل السلطان والعالم والصديق لان من استخف بالسلطان أفسد دنياه ومن استخف بالعالم أفسد دينه ومن استخف بالصديق أفسد مروءته (ثلاثة) لا يأنف الكريم من القيام عليهم أبوه وضيفه ودابته (للسفر) ثلاث عقبات الاولى العزم والثانية العدة والثالثة الرحيل وأشدهن العزم (ثلاثة) مسهرة فرض فار وانين مريض ووكف بيت (ثلاثة) لا راحة لها الا بالمفارقة السن المأكلة المتحركة والعبد الفاسد على مولاه والمرأة الناشز

وأقلته وانصرفت ثم طلبته بعد ذلك ليسامرني فلم أجده فكان البيداء أبادته قال أبو الفرج الاصفهاني وهذا الاعمى هو أبو العباس بن السائب فروخ من بني الليث وقيل من بني الديل بن بكر له في بني أمية مدائح أجزلوا له بها المنائح فمنها قوله

وكل خليفة وولي عهد * لكم يا آل مروان الفداء
امارتكم شفاء حيث كنتم * وبعض امارة الاقوام داء
وكنتم تحسنون اذا ملكتم * وغيركم اذا ملكوا أساؤا
هم أرض لارجلكم وأنتم * لايديهم وأعينهم سماء

(ولى عمر) رضي الله عنه رجلا من قريش عملا فبلغه عنه أنه قال

اسقني شربة ألذ لديها * واسق بالله مثلها ابن هشام

فعزله فلما قدم عليه قال له أنت القائل وأنشده البيت قال نعم والقائل بعده

عسلا باردا بماء سحاب * انني لا أحب شرب المدام

فقال له عمر قاتلك الله كذا قلت ورده الى عمله (وأتى) عبد الملك بمصلقة بن هبيرة الشيباني وكان ممن أخذ مع الخوارج فأمر بقتله وقال ألست القائل

ومنا سويد والبطين وقعنب * ومنا أمير المؤمنين شبيب

فقال يا أمير المؤمنين انما قلت أمير وفتح الراء فاستحسن ذلك منه وأطلقه (فانظر) الى حذق هذا الرجل سكن حاشا بحركة أمد عمره من أجلها بالبركة وذلك بفتح الراء من كلمة وجعل الهمزة حرف النداء والمنادى المضاف منصوب ابدا وقبل هذا البيت

ألا ابلغ أمير المؤمنين رسالة * وذو النصح ما ترعاه منك قريب
فانك الا ترض بكر بن وائل * يكن لك يوم بالعراق عصيب
فان يك منكم كان مروان وابنه * وعمرو ومنكم هاشم وحبيب

فمنا سويد البيت (وقال الحجاج) لعبد الرحمن بن ابي بكرة ما مالك قال لقد ختمت على الف الف درهم ثم أن عبد الرحمن بن أبي بكرة شعر بزلة لسانه وخاف غائلة الحجاج فتداركها بسرعة وقال ولقد أصبحت وما أملك الا حاتمي (وأتى المأمون) برجل ادعى النبوة فقال له ما اسمك قال انا احمد النبي فقال له لقد ادعيت زورا ثم امر به ليضرب فلما راى الرجل الاعوان قد أحاطت به قال يا أمير المؤمنين أنا أحمد النبي فهل تذمه أنت فتدارك المأمون ما بقي من رمق المنه بالمنة وأورى له زند المحبة بالمحنة وهذا الفن كثير لا يحصى ولا يعز وجوده عند الاستقصا

﴿ الباب الرابع في الحمق وفيه ثلاثة فصول ﴾

الفصل الاول من هذا الباب

في ذم الجهالة والجنون * وما اشتملا عليه من الفنون

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تزوجوا الحمقاء فان صحبتها بلاء وفي ولدها ضياع وفي حديث آخر لا تسترضعوا الحمقاء فان لبنها يغير الطباع (وقال) عمر رضي الله عنه لم يقم جنين في بطن حمقاء تسعة أشهر الا خرج الولد مئقا (حد الحمق) قالوا هو قلة الاصابة ووضع الشيء في غير الموضع الذي وضع له * وقيل هو فقدان ما يحمد من العاقل * وقيل لعمرو بن هبيرة ما حد الحمق قال لا حد له كالعقل (وقال) أبو يوسف الناس ثلاثة مجنون ونصف مجنون وعاقل فأما المجنون فأنت منه في راحة لتركك الاختلاط به وأما نصف المجنون فأنت معه في تعب لضرورتك اليه وأما العاقل فقد كفيت مؤنته

على زوجها (ثلاث) خصال اذا كن في الرجل فلا تشكن في صلاحه اذا حمده جاره ورفيقه وقرابته (كدر) العيش في ثلاث الجار السوء والولد العاق والمرأة السيئة الخلق (ثلاثة) الاقدام عليها غرر شرب السم للتجربة وركوب البحر للغنى وافشاء السر الى النساء (ثلاثة) من عازهم عادت عزته ذلا السلطان والوالد والغريم (ثلاثة) تزيد في المودة الزيارة في الرحال والمحادثة على الموائد ومعرفة الرجل حشم أخيه وخدمه (ثلاثة) تنفع في الدنيا مع ثوابها في الآخرة الحج ينفي الفقر والصدقة ترد البلاء والبر يزيد في العمر (مطالع) العلوم ثلاثة قلب مفكر ولسان معبر وبيان مصور (ثلاث) من كن فيه فقد أصاب البر سخاء النفس والصبر على الاذى وطيب الكلام (يستدل) على تقوى المؤمن بثلاث حسن التوكل فيما لم ينل وحسن الرضا بما قد نال وحسن الصبر على ما قد فات (ثلاث) خلال من برئ منهن نال ثلاثة من برئ من الشره نال العز ومن برئ من البخل نال الشرف ومن برئ من الكبر نال الكرامة (ثلاث) من كن فيه كن عليه البغي والنكث والمكر (الملوك) تحتمل كل شئ الا ثلاثة القدح في الملك وافشاء السر والتعرض للحرم (ثلاثة) تدل على عقول أصحابها الرسول والكتاب والهدية (ثلاث) من خير خصال النساء وهن من شر خصال الرجال الزهو والجبن والبخل (العيش) في ثلاث اقبال الزمان وعز السلطان وكثرة الاخوان (ثلاث) من لم يرغب فيهن بلى بست من لم

﴿ فن قولهم فى ذم الحمق واظهار خلقيه وأنه داء عضال لايمكن تلافيه ﴾

ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الاحمق أبغض الخلق الى الله تعالى اذحرمه أعز الاشياء عليه وهو العقل (وقيل) أوحى الله تعالى الى موسى عليه الصلاة والسلام أتدرى لم رزقت الاحمق قال لا يارب قال ليعلم العاقل أن طلب الرزق ليس بالاجتهاد (وقيل) من لا عقل له لا دين له ومن لا دين له لا آخرة له (وقال الشعبى) اذا أراد الله أن يزيل عن عبد نعمته فان أول ما يغير منه عقله (وقالوا) الحمق داء دواؤه الموت وقال الشاعر

لكل داء دواء يستطب به * الا الحماقة أعيت من يداويها

(وقال بعض الحكماء) لو جاز لوم الاحمق على أن يعقل جاز لوم الاعمى على أن يبصر (وروى) أن عيسى عليه السلام أتى بأحمق ليداريه فقال أعيانى دواء الاحمق ولم يعينى مداواة الاكمه والابرص وقال الشاعر

وعلاج الابدان أيسر خطبا * حين تعتل من علاج العقول

(وقال) معلم موسى الهادى له فى معرض التقريع له يا أحمق فهشم أنفه فسأله أبوه المهدى عن السبب فقال قال لى يا أحمق ولو قال لى يا مجنون لاحتملته (وقال الشعبى) خطب الحجاج يوم جمعة فأطال فقام اليه رجل أعرابى وقال ان الوقت لا ينتظرك وان الرب لا يعذرك فأمر به فحبس فأتاه أهله وقالوا انه مجنون فقال الحجاج ان أقر بالجنون خليت سبيله فجاء الى الرجل أهله وسألوه أن يقر لهم بالجنون فقال لا والله ولا أزعم أن الله ابتلانى وقد عافانى فبلغ الحجاج كلامه فعظم فى نفسه وأطلقه (وقال الاصمعى) قلت لغلام من أبناء العرب أيسرك أن يكون لك مائة ألف درهم وأنت أحمق قال لا والله قلت ولم قال أخاف أن يجنى على حمقى جناية تذهب مالى ويبقى حمقى (وقال) سعيد بن عمار مكتوب فى التوراة ان من صنع لاحمق معروفا فهو خطيئة مكتوبة عليه (وقيل) اذا قيل لك ان فقيرا استغنى أو غنيا افتقر أو حيا مات أو ميتا عاش فصدق واذا بلغك أن أحمق استفاد عقلا فلا تصدق (وقالوا) الاحمق تتمنى أمه لو ثكلته وتتمنى زوجته أنها عدمته ويتمنى جاره منه الوحدة ويريد جليسه منه الوحشة

﴿ ومما اخترناه من حكم أولى التجارب فى ذم التعرف بمن هو للنهى محارب ﴾

قول عبد الله بن عباس رضى الله عنه مجامعة العاقل فى الغل والوثاق خير من مجامعة الجاهل على السندس والاستبرق (وقال) الاحنف بن قيس انى لاجالس الاحمق ساعة فأتبين ذلك فى عقلى (وقال) لقمان لابنه لا تعاشر الاحمق وان كان ذا جمال فانه كالسيف حسن مخبره قبيح أثره (وقال الجاحظ) لا تجالس الحمقى فانه يعلق بك من مجالستهم يوما من الفساد ما لا يعلق بك من مجالسة العقلاء دهرا من الصلاح فان الفساد أشد التحاما بالطبائع (وقال بزرجمهر) مقاساة الاحمق عذاب الروح (وقال) مسلم بن قتيبة لا تطلب حاجتك الى أحمق فانه يريد أن ينفعك فيضرك فسكوته خير من نطقه وبعده خير من قربه وموته خير من حياته (وقالوا) العاقل مرجو خيره على كل حال والاحمق مخوف شره على كل حال (وقالوا) صحبة العاقل فى لجج البحار وأهوال القفار ألذ من صحبة الجاهل بين جنات وأنهار وألوان أطعمة وثمار (وقالوا) صحبة الاحمق غدر ومجاورته خطر والبعد عنه ظفر (وقال) الحسن بن على بن أبى طالب رضى الله عنه هجران الاحمق قربة الى الله تعالى (وقال) ابن المعتز ان الاحمق ضال مضل ان أونس تكبر وان أوحش تكدر وان استنطق تخلف وان ترك تكلف مجالسته تضر وموالاته تغر ومقارنته شقاء ومفارقته شفاء (وقال) على

يرغب فى الاخوان بلى بالعداوة والامتحان ومن لم يرغب فى السلامة بلى بالشدائد والامتهان ومن لم يرغب فى المعروف بلى بالندامة والخسران (رؤس) النعم ثلاثة فأولها نعمة الاسلام التى لا تتم النعم الا بها والثانية نعمة العافية التى لا تطيب الحياة الا بها والثالثة نعمة الغنى التى لا يتم العيش الا بها (أولى) الناس بالرحمة ثلاثة البر يكون فى تدبير الفاجر فهو الدهر حزين لما يرى ويسمع والعاقل يكون فى تدبير الجاهل فهو الدهر متعب مغبون والكريم يحتاج الى اللئيم فهو خاضع ذليل (أسباب) الفتن ثلاثة عين ناظرة وصورة ناضرة وشهوة قادرة (ثلاثة) ان لم تظلمهم ظلموك عبدك وولدك وزوجتك (الكمال) فى ثلاثة الفقه فى الدين وبر الوالدين وحسن تدبير المعيشة (ثلاثة) لا ندم فيما سلف اليهم الله عز وجل فيما عمل له والمولى المشكور فيما أسدى اليه والارض الكريمة فيما بذر فيها (ثلاثة) لا تكون الا فى ثلاثة الغنى فى النفس والشرف فى التواضع والكرم فى التقوى (عليكم) بثلاثة جالسوا الكرماء وخالطوا الحكماء وسائلوا العلماء (ثلاثة) لا يصلح فسادهن شئ من الحيل العداوة بين الاقارب وتحاسد الاكفاء والركاكة فى العقول (ثلاثة) لا يفسد صلاحهن بنوع من المكر العبادة فى العلماء والقنوع فى المستبصرين والسخاء فى ذوى الاخطار (ثلاثة) لا يشبع منهن الحياة والعافية والمال (ثلاثة) اشياء تفسد العقل طول النظر فى المرآة والاستغراق فى الضحك ودوام النظر فى البحر (ثلاثة) تبطل مع ثلاث الشدة مع الحيلة والعجلة

ابن بسام لاتيأسن من اللبيب وان جفا * واقطع حبالك من حبال الاحمق
فعداوة من عاقل متجمل * أولى وأسلم من صداقة أخرق

(وقالت الحكماء) العاقل يبذل عقله عند مجاورة الاحمق (وقالوا) مثل الاحمق كالثوب الخلق ان رفأته من موضع تخرق من موضع آخر (وقال) مسكين الدارمي

اتق الاحمق لاتصحبه * انما الاحمق كالثوب الخلق
كلما رقعت منه جانبا * حركته الريح وهنا فانخرق
أو كصدع في زجاج فاسد * هل ترى صدع زجاج يرتتق
واذا عاتبته كي يرعوى * زاد جهلا وتمادى في الحمق

(وقالوا) الاحمق كالرمل المنهار كلما قومت منه جانبا انهار عليك جانب آخر

﴿ما يستدل به من ذميم الخلائق على خفي حمق الاهوج والمائق﴾

(قالوا) مما حكمت به التجربة أن من طالت قامته وصغرت هامته وانسدلت لحيته كان حقيقا على من يراه أن يقرئه عن عقله السلام (ابن الرومي) يهجو الحي

ان تطل لحية عليك وتعرض * فالمخالي مخلوقة للحمير
علق الله في عذاريك مخلا * ولكنها بغير شعير
لو رأى مثلها النبي لاجرى * في لحى الناس سنة التقصير

(وقال آخر) صاحبنا الخياط ذو لحية * كأنها في عرضها والكمال
ملحفة للهو مضروبة * ووجهه من فوقها كالخيال

(في التوراة) ان اللحية مخرجها من الدماغ فمن أفرط عليه طولها قل دماغه ومن قل دماغه قل عقله ومن قل عقله فهو أحمق (وقالت) أعرابية لقاض قضى عليها صغر رأسك فهمك وانسدالت لحيتك فأشمر عقلك وما رأيت ميتا يقضي بين حيين غيرك (وقال) المأمون اذا طالت اللحية نكوسج العقل (وقال) مسلمة بن عبد الملك يوما لجلسائه يعرف حمق الرجل في أربع طول لحيته وبشاعة كنيته وافراط شهوته ونقش خاتمه فدخل عليهم رجل طويل اللحية فقال لهم أما هذا فقد أتاكم بواحدة فانظروا أين هو من الثلاث فقيل له ما كنيتك قال أبو الياقوت قيل فما نقش خاتمك قال وتفقد الطير فقال مالي لا أرى الهدهد أم كان من الغائبين قيل فأي الطعام أحب اليك قال الجلنجبين وهو الورد المربي فأنشد مسلمة

مابعد كنيته وطول لحيته * ونقش خاتمه شك لمعتبر

﴿وممن شهر بالعقل النافر وعرف بالحمق الوافر﴾

المعلمون (قال الجاحظ) قسم الله الحمق مائة جزء فجعل منه تسعة وتسعين جزأ في المعلمين والجزء الآخر في سائر الناس * وقال الشاعر

كفى المرء نقصا أن يقال بانه * معلم صبيان وان كان فاضلا

(آخر) وان أحمق خلق الله كلهم * من كان بالفضل والتعليم مشتغلا
الله صاغهم حمقى وكونهم * نوكى وأوجدهم بين الورى سفلا
ذاعت حماقتهم في الناس واشتهرت * بين البرية حتى أصبحوا مثلا

(وحكى الجاحظ) قال مررت بمعلم شاب حسن الهيئة فجعلت أصعد نظري فيه عني وأنشدني ما طار تحت الخافقين أقل عقلا من معلم

ولقد جلسنا في الصنا * عة من قريب رب سلم
فكأنما ألقم في حجرا فانصرفت وتركته * وكان الجاحظ كثيرا ما ينشد

وكيف

مع التأني والاسراف مع القصد (ثلاثة) من الافعال من علامات الاحمق كثرة الالتفات من غير مناد ولا متكلم وسرعة الجواب والمسئول غيره والضحك في غير وقته (ثلاثة) من حقيقة الايمان الاقتصاد في الانفاق والابتداء بالسلام والانصاف في الامور (ثلاث) نواطق وان كن خرسا كسوف البال دليل على رقة الحال وحسن البشر دليل على سلامة الصدر والهمة الدنية دليل على الغريزة الردية (الرجال) ثلاثة عاقل وفاجر وأحمق فاما العاقل فالكرم شريعته والحكم طبيعته وحسن الرأي سجيته وان كلم أجاب وان نطق أصاب وان سمع العلم وعاه وان اطمأن اليه مطمئن رعاه وأما الفاجر ان ائتمنته خانك وان حادثته شانك وان علم العلم لم يتعلم وان ذكر بالله لم يتذكر وان وثقت به لم يرعك وان استكتم لم يكتم والاحمق ان تكلم عجل وان حدث أوهم وان استنزل عن رأيه نزل وان حمل على قبيح ركبه وان حدث لم يفقه وان حدث لم ينبه (النساء) ثلاث فهينة لينة عفيفة مسلمة تعين أهلها على العيش ولا تعين العيش على أهلها وأخرى وعاء للولد وأخرى غل قمل يضعه الله في عنق من يشاء ويفكه عمن يشاء (ثلاثة) لا غربة معهن مجانبة الريب وحسن الادب وكف الاذى (ثلاثة) أشياء موكل بها ثلاثة أشياء الحرمان على المقدم في صنعته وتحامل الايام على ذوي الادوات الكاملة ومعاداة العامة لاهل المعرفة (ثلاثة) أشياء من أخذها من الديك تم بها أدبه سخاؤه وشجاعته وغيرته (ثلاثة) أشياء من أخذها من الغراب تمت بها

وكيف يرجى العقل والرأى عندمن * يروح على أنثى ويغدو على طفل

(ومن أمثالهم) أحمق من معلم ومن راعى ضأن * قال المتنبي

يموت راعى الضان فى جهله * ميتة جالينوس فى طبه

والنساء (قالوا) لاتدع أم صبيك تؤدبه فانه أعقل منها وان كانت أسن منه بل أدبه بزجرك وهذبه بهجرك (ويقال) عقل مائة صبى بعقل معلم وعقل مائة معلم بعقل خصى وعقل مائة خصى بعقل امرأة * ويكفى فى ذمهن قول رسول الله صلى الله عليه وسلم النساء ناقصات عقل ودين وقوله لما بلغه أن الفرس ملكوا عليهم بوران لن يفلح قوم ولوا عليهم امرأة * والخصيان (قال الجاحظ) فى الخصى عشر خصال متضادة لم يخرج من ظهر مؤمن ولا يخرج من ظهره مؤمن وهو أكثر الناس غيرة وأشدهم قادة وهو أضعف الناس معدة وأشرههم على الطعام وهو أسوأ الناس أدبا ويعلمهم الادب وهو أغزر الناس دمعة وأقساهم قلبا ما خلا مع رجل الاحدثته نفسه أنه امرأة ولا خلا مع امرأة الاحدثته نفسه أنه رجل (بعض الشعراء) يذم الخصيان

ليس حمد الخصيان فى الناس الا * شدة الصبر عند سد الفقاح

معشر اشبهوا القرود ولكن * خالفوها فى خلقة الارواح

(وقد بالغ المتنبي) فى هجو كافور الاخشيدى وتعداد معايبه واوصافه فلا حاجة الى ذكرها فى هذا المختصر ولابد من ايراد شئ منها (فمن ذلك) قوله

من أية الطرق يأتى نحوك الكرم * أين المحاجم يا كافور والجلم

جاز الاولى ملكت كفاك قدرهم * فعرفوا بك أن الكلب فوقهم

لاشئ أقبح من فحل له ذكر * تقوده أمة ليست لها رحم

وقوله

العبد ليس لحر صالح بأخ * لو أنه فى ثياب الحر مولود

لاتشتر العبد الا والعصا معه * ان العبيد لانجاس مناكيد

من علم الأسود المخصى مكرمة * أقومه البيض أم آباؤه الصيد

أم أذنه فى يد النخاس دامية * أم قدره وهو بالفلسين مردود

أولى اللئام كويفير بمقدرة * فلا جميل ولا عفو ولا جود

وذاك أن الفحول البيض عاجزة * عن الجميل فكيف الخصية السود

(قبح الله الشعراء) ما أقل حفاظهم وأكثر ما تتفاوت بالكذب فى المدح والذم ألفاظهم يقول هذا بعد أن قال فيه وقد وصف خيلا أركبها اليه

فجاءت بنا انسان عين زمانه * وخلت بياضا خلفها ومآقيا

قواصد كافور توارك غيره * ومن قصد البحر استقل السواقيا

لقد باع من الوفاء علقا خطيرا واعتاض من الطمع شيأ يسيرا وحال بينه وبين العهد الوفاء وكان تضايق نفسه فى اختيار المتاع ويسامحها فى اختيار المبتاع ويخلع خلعة تساوى بدرة على عرض يساوى نقرة ويزف كريمة من كرائم شعره الى من لم تقم عنه كريمة ولم يعرف له قيمة لو رأى الطمع فى بحر النار لدخله ولو أتاه الدرهم من دبر كلب لاخذه وما غسله فلاجرم ان الناس كما استحسنوا قوله استقبحوا فعله وكما أعجبوا بشعره تعجبوا من غدره يشكر ثم يشكو ويمدح ثم يهجو ويشهد ثم يجرح شهادته ويعطى ثم يسترجع عطيته فكم حر سلبه رداءه وكم عرض جرد عنه كساءه ومن صحفه أكل منها ثم شرق فيها ومن طويه زهدها ثم عكف عليها (ووصف بعضهم) الخصيان ومادحهم فقال هم الامناء على الحرم البعداء عن التهم

مروءته بكونه فى طلب الرزق وشدة حذره وستره سفاده (الناس) ثلاث طبقات تسوسهم ثلاث سياسات طبقة من خاصة الاحرار تسوسهم بالعطف واللين والاحسان وطبقة من خاصة الاشرار تسوسهم بالغلظة والعنف والشدة وطبقة من العامة تسوسهم باللين والشدة لئلا تحرجهم الشدة ولئلا يبطرهم اللين (الرجال) ثلاثة فهين عفيف مسلم يصدر الامور مصادرها ويوردها مواردها وآخر ينتهى الى رأى ذى اللب والمقدرة فيأخذ بقوله وينتهى الى أمره وآخر حائر بائر لا يأتمر الرشد ولا يطيع المرشد (ثلاثة) متقاربة السفر والسقم والقتال فالسفر سفينة الاذى والسقم حريق الجسد والقتال منبت المنايا (الاخوان) ثلاثة أخ يخلص لك وده ويبلغ فى مهمك جهده وأخ ذونية يقتصر بك على حسن نيته دون رفده ومعونته وأخ يجاملك بلسانه ويتشاغل عنك شانه ويوسعك من كذبه وأيمانه (الرقاب) ثلاثة رقبة تملك بالمن ورقبة تملك بالصفح ورقبة لاينفع فيها الا السيف (ثلاثة) ما اجتمعت فى حر مباهتة الرجال والغيبة للناس والملل لاهل المودة (ثلاثة) ليس لهم رأى صاحب الخف الضيق وصاحب المرأة السوء وحابس البول (ثلاثة) تسمن ولا تؤكل دخول الحمام وعرف البخور ولبس الكتان الناعم (ثلاثة) تؤكل ولا تسمن الطلع والجمار والكمأة (الانس) فى ثلاثة صديق تأمن منه فى صداقتك ما يرتصدك به عدوك وامرأة تسرك ان دخلت عليها وتحفظك اذا غبت ومملوك يأتى كل

ولهم التظرف والتلطف والوقار وقلة الضحك وهم طراز الملك وجمال الدول وعنوان النعم وكثيرا ما أدبوا أولاد الملوك وهذبوهم وعرفوهم طريق السياسات ودربوهم * والحاكة (يقال) الحمق عشرة أجزاء تسعة منها في الحاكة وواحد في سائر الناس (وقالوا) لو أن للحائك قرنا لنطح به (وسأل رجل) الأعمش عن الصلاة خلف الحائك فقال لا بأس بها على غير وضوء قيل فما تقول في شهادته قال تقبل مع شاهدين عدلين (وقال الحسن) البصري من نظر الى طراز حائك لم يرجع اليه عقله أربعين يوما والسبب في زوال عقولهم ما ذكر أن مريم عليها السلام ذهبت تطلب عيسى وكان قد ضل منها فلقيت حائكا فسألته كيف أخذ فدلها على غير الطريق التي سلك فقالت اللهم توهه فلا يوجد الا تائها وفي رواية أنها قالت اللهم اجعلهم سفلة الناس وأقلهم عقلا (قيل) لرجل من الحاكة هل في بلدكم حائك قال لا قيل فمن ينسج ثيابكم قال كل منا ينسج ثوبه لنفسه قيل له فاذا كلكم حاكة (قالوا) فلان مجنون وأحمق منه لا يكون فلان اذا رأيته نسيت مجنون بني عامر

طرف مما ذم به أهل الجهالة المتمسكون بعرى الغواية والضلالة

يحكى ان أبا الاسود الدؤلي قال اذا أردت أن تفهم العالم فأحضره جاهلا (وقالوا) لا مصيبة أعظم من الجهل ولا صاحب أخذل منه (وقالوا) لا مصيبة أعظم من الجهل (وقالوا) الجهل في القلب كالأكلة في الجسد (وقال) بزرجمهر العالم كبير وان كان صغيرا والجاهل صغير وان كان كبيرا (وقال) جعفر بن محمد الصادق رضي الله عنهما الادب عند الجاهل كالماء في أصول الحنظل كلما ازداد ريا ازداد مرارة (وقال) وهب بن منبه يقال ان الجاهل اذا تكلم فضحه عيبه واذا سكت فضحه جهله لا علم نفسه يغنيه ولا علم غيره ينفعه ان قال لم يحسن وان قيل له لم يفقه وذم اعرابي رجلا فقال فلان ان أعرضت عنه اغتم وان أقبلت عليه اعتز وان حلمت عليه جهل عليك وان جهلت عليه حلم عنك * البشامي يهجو جاهلا

لنا جليس تارك الادب * جليسه من نوكه في تعب
مخالف يغضب في حال الرضا * عمدا ويرضى عند حال الغضب
كأنه من سوء تأديبانه * أسلم في مكتب سوء الادب

(وقال بزرجمهر) الجاهل عدو نفسه فكيف يكون صديق غيره * وسئل أبو العيناء عن مالك بن طوق فقال لو كان في بني اسرائيل ووقعت قصة البقرة ما ذبح غيره * شاعر يهجو جاهلا

ليس يدري من الجهالة من ذا * دوّر البعر في بطون الجمال

آخر

يظن بأن الحمل في القطف نابت * وأن الذي في باطن التين خردل

وقالوا فلان لا يعرف اليمين من الشمال ولا الجنوب من الشمال ولا السماء من الارض ولا الطول من العرض ينظر الى العلم نظر المغشي عليه من الموت ان أصاب أحجم وان أخطأ صمم (وقالوا) فلان خطؤه بعد اجتهاد وصوابه عن غير اعتماد * وقال الشاعر

يصيب ولا يدري ويخطي وما درى * وكيف يكون النوك الا كذلكا

(وقالوا) الجهل رأس الفضائح ومعدن القبائح ومضمار العثار وهو الدليل على غلظ الطبع وجرد الخاطر وفساد التركيب واعتلال الذهن وكذب النفس وخبث الطوية (ويقال) أشد حوادث الدنيا عالم يجري عليه حكم جاهل * وكانت ملوك الفرس اذا غضبت على عالم وأرادت عقوبته حبسته مع جاهل * شاعر

واذا بليت بجاهل متحكم * يجد المحال من الامور صوابا
أوليته مني السكوت وربما * كان السكوت عن الجواب جوابا

ما في نفسك حتى كأنه يطلع على غيبك (ثلاث) تعقب العداوة المباهتة والمفاخرة والممازحة (ثلاث) تزري بالمرء الحسد والنميمة والطيش (الخير) كله في ثلاثة في السكوت والكلام والنظر فكل سكوت لا يكون فكرة فهو سهو وكل كلام لا يكون حكمة فهو لغو وكل نظر لا يكون عبرة فهو لهو (ثلاث) تدل على ضعف العقل سرعة الجواب وطول التمني والاغراق في الضحك (ثلاث) تفسد المروءة الشح والحرص والغضب (الرجال) ثلاثة رجل بنفسه ورجل بلسانه ورجل بماله (ثلاثة) يصيرون أجن المجانين وان كانوا أعقل العقلاء الغضبان والغيران والسكران (الايدي) ثلاث بيضاء وخضراء وسوداء فاليد البيضاء الابتداء بالمعروف واليد الخضراء المكافأة على المعروف واليد السوداء المن بالمعروف (تمام) المعروف ثلاثة تعجيله وتصغيره وستره (احذر ثلاثا) الكبر والغضب والطمع (أرج) ثلاثا عفو الله عن ذنوبك ومحاسن عملك وشفاعة نبيك صلى الله عليه وسلم (استح) ثلاثا مطالعة الله تعالى وأنت مقيم على ما يكره ومن الحفظة الكرام الكاتبين ومن صالحي المؤمنين (خذ) من الدنيا ثلاثا من الكنوز العلم ومن الزاد التقوى ومن الاعمال العبادة (تلق) النعمة من الله بثلاث كثرة الشكر ولزوم الطاعة واجتناب المعصية (أفزع) الى ثلاث الى الله في مهمات أمورك والى التوبة من مساوي عملك والى أهل العلم والادب (اهرب) من ثلاث من الكذاب ومن الظالم وان كان والدك أو ولدك ومن

(وفى منثور الحكم) من عرف بالجهل فهو لكل قبيحة أهل (وقالوا) لا يرى الجاهل الا مفرطا أو مفرطا يسئ عمدا ويحسن غلطا (وقيل لبزرجمهر) ما لكم لا تعاتبون الجهال على أن يعقلوا فقال لانا لا نكلف العمى بأن يبصروا ولا الصم بأن يسمعوا (وقال) بعض الحكماء عمى الجهل أشد من عمى العين لان الاعمى يتوقع أن يعثر فيما ارتفع من الارض أو يسقط فيما انخفض منه والجاهل ربما عثر فيما لا يستقيل منه ووقع فيما لا مخرج له عنه *ابن الرومى كالثور عقلا ومثل التيس معرفة* فلا يفرق بين الحق والفند

الجهل شخص ينادى فوق هامته* لا تسأل الربع ما فى الربع من أحد

(وقالوا) الجاهل يجنى على نفسه وليس شئ أحب اليه منها * استأذن رجل من ثقيف على الوليد وعنده عبد الله بن جعفر الصادق وهما يلعبان بالشطرنج فستر عبد الله الشطرنج فلما دخل الرجل وسلم سأله الوليد عن حاله فأخبره ثم قال له أقرأت القرآن قال لا والله يا أمير المؤمنين شغلنى عنه أمور وهنات قال أرويت من الحديث شيأ قال لا والله يا أمير المؤمنين قال أتعرف الفقه قال لا والله يا أمير المؤمنين فكشف عن الشطرنج وقال شاهك يا أبا جعفر فقال عبد الله لو رفعت فقال العب فما عندنا أحد

﴿ومن صفات من عدم خلال النهى واعتراه فى عقله اختلال فوهى﴾

ان تكلم عجل وان حدث وهل وان استنزل عن رأى نزل وان حمل على باطل فعل (ومن علاماته) الغضب فى غير شئ والكلام فى غير نفع وافشاء السر والثقة بكل أحد وأن لا يعرف صديقه من عدوه (ومن علاماته) العجلة والخفة والتوانى والضياع والتفريط والغفلة والسهو (ومن علاماته) ان استغنى بطر وان افتقر قنط وان فرح أشر وان بكى خار وان ضحك نهق وان أعطيته كفرك وان أعطاك من عليك (وقالوا) من علامات المائق كثرة الالتفات وسرعة الجواب وتحريك الرأس اذا مشى واذا اعتبرنا هذه الخلال الرذلة وجدناها فى كثير من الناس فلا نكاد نعرف العاقل من كثرة الالتباس كما قال عليه الصلاة والسلام ليس من أحد الا وفيه حمقة فبها يعيش * وقال وهب بن منبه خلق ابن آدم أحمق ولولا ذلك لما هنأه العيش (نادرة) قيل لبهلول عد لنا المجانين فقال هذا يطول ولكنى أعد العقلاء * نظر الى هذا المعنى بعض الشعراء فقال وأجاد

ومابقيت من اللذات الا * محادثة الرجال ذوى العقول
وقد كانوا اذا ذكروا قليلا * فقد صاروا أقل من القليل

﴿الفصل الثانى من الباب الرابع﴾
فى ذكر النوادر الصادرة عن مجانين البادية والحاضرة

فمن شهر منهم بالملح وعرف واستحسن كلامه النادر واستطرف جعيفران واسمه جعفر وانما صغر للتحبيب وهو القائل فى نفسه

ماجعفر لابيه * ولا له بشبيه
أضحى لقوم كثير * فكلهم يدعيه
هذا يقول بنى * وذا يخاصم فيه
والام تضحك منهم * لعلمها بأبيه

ويقال ان هذه الابيات وضعها فى دعبل فيكون قوله * ماد عبل لابيه والرواية الاولى هى التى رواها أبو الفرج الاصفهانى فى كتاب الاغانى وكان جعيفران متشيعا قيل له يوما اشتم

مواطن الامتحان التى تحتاج فيها الى صبرك (من) عرف بثلاث استوجب ثلاثا من عرف بالبخل استوجب الذم ومن عرف بالكذب استوجب المقت ومن عرف بالغيبة استوجب الخزى (علامة) فضل المرء فى ثلاث الفصاحة والسماحة والرياسة وعلامة همته فى ثلاث اذا رأيته يمشى راكبا وسمعته يعرب فى كلامه وشممت عليه رائحة طيبة (ثلاث) هن فى ذهاب العقل أسرع من النار فى يابس العرفج اعمال الفكرة وطول التمنى والاستغراق فى الضحك

(ومن الشعر)

ثلاث بهانلت المعالى والغنى
وأصبحت معتز الجناب مولا
طويت على قصد المروءة باطنى
وفى ظاهرى أبديت فيه التجملا
وأغضيت عما فى يد الخلق ناظرى
وأبصرت ما لله عندى أفضلا

(فصل أربعة)

﴿فن الحديث الوارد عن النبى صلى الله عليه وسلم﴾

(أربع) من سنن المرسلين الختان والسواك والتطيب والنكاح (أربع) يذهبن ضياعا الاكل مع الشبع والسراج فى القمر والزرع فى السبخة والصنيعة الى غير أهلها (أربع) خصال من سعادة المرء ان تكون زوجته صالحة وولده ابرارا وخلطاؤه صالحين ومعيشته فى بلاده (أربع) لو شد اليهن المطايا كان قليلا لا يرجو عبد الا ربه ولا يخاف الا ذنبه ولا يستحى الجاهل أن يتعلم ولا يستحى العالم اذا سئل عما لا يعلم ان يقول لا أعلم (اربع) من كن فيه وجبت له الجنة من ملك نفسه حين يرغب وحين

يرهب وحين يغضب وحين يشتهي (أربع) خصال لن تعدموهن اذا مس احدكم ضر فليحدث اخوانه فاما مواساة أو معونة بجاه أو مشورة مباركة أو دعاء مستجاب (أربع) لن يجد الرجل طعم الايمان حتى يؤمن بهن لا اله الا الله وحده لا شريك له وانى رسول الله بعثنى بالحق وانه ميت ثم مبعوث بعد الموت ويؤمن بالقدر كله (أربع) من كن فيه كان منافقا خالصا ومن كانت فيه خلة منهن كانت له خلة من نفاق حتى يدعها اذا حدث كذب واذا عاهد غدر واذا وعد أخلف واذا خاصم فجر (الاذلاء) أربعة النمام والكذاب والمديان والفقير (من) اجتنب أربعة دخل الجنة الدماء والاموال والفروج والاشربة (أحب) الكلام الى الله أربع لا يضرك بايهن بدأت سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر (أربع) مواطن يستجاب فيها الدعاء وتفتح أبواب السماء عند التقاء الصفين فى سبيل الله وعند نزول الغيث وعند اقامة الصلاة وعند رؤية الكعبة (ومن الحكمة المأثورة عن السلف وغيرهم) أربعة يسود بها المرء الادب والعلم والعفة والامانة (أربعة) ينبغى للعاقل ان يمنع نفسه منها العجلة واللجاجة والعجب والتوانى (أربع) لا بقاء لها مودة الاشرار والبيت الذى ليس فيه تقدير والمال الحرام والكسب الذى ليس معه تدبير (أربع) لا يستطاع اشباعهن النار من الحطب والبحر من الماء والموت من الارواح والشره من المال (اربع) اذا كن فى الرجل أهلكته

فاطمة وخذ درهما قال لا بل أشتم عائشة وآخذ نصف درهم * واستقبلته امرأة صبيحة فبدر اليها وقبلها فانكب الناس عليه يضربونه فأنشد

علقوا اللحم للبزا * ة على ذروتى عدن
ثم لاموا المحب فيـ * ـه على خلعه الرسن
لو أرادوا عفافه * نقبوا وجهها الحسن

(ووقف) على على بن اسمعيل الهاشمى فقال له أعطنى درهما فأمر الغلمان بطرده فطردوه فولى وهو ينشد

قد زعم الناس ولم يكذبوا * أنك من غير بنى هاشم

فقال لغلمانه ردوه وأعطوه درهمين فأخذهما وانصرف وهو ينشد

قد كذب الله أحاديثهم * يا هاشمى الاصل من آدم

(وحكى الجاحظ) قال كان جعيفران يماشى رجلا فدفع الرجل على كلب فقال له ما هذا قال أردت ان أقرنك به قال فمن أنا منذ الغداة * وتشاجر رجلان فى رجل ادعياه فقال أحدهما هو من طفاوة وقال الآخر هو من بنى راسب وتحاكما الى جعيفران فقال ألقوه فى الماء فان طفا فهو من طفاوة وان رسب فهو من بنى راسب قال النسابون راسب بن سعد بطن من الازد وطفاوة من ولد اعصر وهو منبه بن سعد بن قيس عيلان وهذه الحكاية نقلها الميدانى فى كتاب الامثال لهبنقة الذى المضروب به المثل فى التغفل والحمق

﴿ومن مشاهير مجانين الكوفة البهلول ذو العقل السقيم والذهن المفلول﴾

ولد لاسحق بن محمد الصباح بنت فساءه ذلك وامتنع من الطعام والشراب فدخل عليه بهلول وقال أيها الامير ما هذا الجزع والحزن جزعت لخلق سوى وهبة الملك العلى أيسرك أن يكون مكانها ابن وأنه مثلى فضحك الامير ودعا بالطعام والشراب وأذن للناس بالدخول عليه للهناء (ومر) بهلول بقوم فى أصل شجرة يستظلون بفيئها فقال بعضهم لبعض تعالوا حتى نسخر من بهلول فلما اجتمع واليه قال أحدهم يا بهلول تصعد هذه الشجرة وتأخذ من الدراهم عشرة قال نعم فأعطوه الدراهم فصرها فى كمه ثم قال هاتوا سلما فقالوا لم يكن فى شرطنا سلم قال كان فى شرطى دون شرطكم * وسئل عن مسئلة من الفرائض وهى رجل مات وخلف ابنا وبنتا وزوجة ولم يترك من المال شيأ فقال للابن اليتم وللبنت الثكل وللزوجة خراب البيت وما بقى من الهم فللعصبة * وحمل عليه الصبيان يوما فالجؤوه الى دار مفتوحة فولجها فوجد فيها قوما وبين أيديهم مائدة فيها من أنواع الاطعمة مما تشتهى الانفس وتلذ الاعين فرجع وغلق الباب ودخل وهو يقرأ فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب * وتبعه الصبيان يوما آخر فالتجأ الى دار بعض العلويين فرأى رجلا ضخما بضفيرتين فقال يا ذا القرنين ان يأجوج ومأجوج مفسدون فى الارض فهل نجعل لك خرجا على أن تجعل بيننا وبينهم سدا فخرج الرجل واغلق الباب وحماه من الصبيان * وحمل عليه الصبيان يوما فالجؤوه الى مضيق فشد عليهم بالقصبة وهو يقول

اذا تضايق أمر فانتظر فرجا * فأضيق الامر أدناه من الفرج

(وسمع البهلول) مجنونا يقول يوم عيد يا أيها الناس انى رسول الله اليكم فلطم وجهه وقال ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى اليك وحيه وقال له الرشيد يوما من أحب الناس اليك قال من أشبع بطنى قال انى أشبعك فهل تحبنى قال له الحب لا يكون بالنسيئة فأحضره يوما وأجلسه فى صحن الدار وجلست أم جعفر حيث لا يراها وعيسى بن جعفر جالس مع الرشيد فقال له الرشيد عد لنا المجانين فقال أولهم أنا وثانى هذه وأشار الى أم جعفر فقال له عيسى يا ابن

الخنساء تقول هذا الاخى قال بهلول وأنت الثالث ياصاحب العربدة فقال الرشيد أخرجوه فقال بهلول وأنت الرابع (وقال) رجل لبهلول قد أمر الامير لكل مجنون بدرهم فقال له امض وخذ نصيبك لئلا يفوتك (وقيل) أيما أفضل أبو بكر أو على فقال أما وأنا فى كندة فعلى واذا كنت فى بنى ضبة فأبو بكر وكندة فى الكوفة من غلاة الشيعة وبنو ضبة أهل نصب وهم أصحاب الجمل

﴿نبذ مما يجلب التسلى لقلب المحزون من الفكاهات المحكية عن عليان المجنون﴾

ذكر أنه وصف للمأمون فأمر باحضاره فلما مثل بين يديه ازدراه وأمر به أن يجلس فى مجالس العامة ثم قال له ما اسمك قال عليان فضحك منه فقال عليان ان تسخروا منا فانا نسخر منكم كما تسخرون فسوف تعلمون فهابه المأمون وعظم فى عينه بها (ومر به) رجل وهو يأكل تمرا والصبيان يؤذونه فقال للرجل انظر الى هذا التمر من رحمة الله وهؤلاء الصبيان من عذاب الله * وتولع الصبيان به يوما فقال له رجل هل لك فى طردهم عنك قال نعم وأنت معهم (ورآه رجل) وهو يأكل تمرا فى السوق فقال له ياعليان أتأكل فى السوق قال من جاع فى السوق أكل فى السوق * ورآه من لا يعرفه فقال له أنت مجنون فقال كل الناس مجانين ولكن حظى أوفر * وقال له رجل ما الذى صيرك الى ما أرى قال محتوم القضا * وقال له من لا يعرفه أغريب أنت قال أما عن العقل فنعم وأما عن البلد فلا * وأدخل بهلول على الرشيد وعنده عليان فكلمهما فأغلظا له فى القول وأمر بالنطع والسيف فقال عليان كنا مجنونين فصرنا ثلاثة فضحك الرشيد وعفا عنهما * ومات أبوه وخلف ستمائة درهم فأخذها القاضى وحجر عليه ليختبر عقله فجاءه بعد مدة فقال له انك حجرت على لما علمت أنى مصاب فى عقلى وأنا جائع فادفع لى مائتى درهم حتى أتعهد بها فى أصحاب الخلقان أبيع واشترى فان رأيت منى رشدا دفعت الى الباقى وان أتلفتها كان الذى أتلفت أقل مما بقى فأعطاه مائتى درهم وأخذها ولزم الحيرة حتى أنفدها ورأى القاضى بعد ذلك فقال ياعليان ما صنعت بالدراهم قال أنفقتها فليزن القاضى أعزه الله من ماله مائتى درهم ويردها الى الكيس حتى يرجع المال الى ما كان عليه

﴿طرف من لطائف أخبارهم الانيقة ونتف من لطائف نوادرهم الرشيقة﴾

(حكى) أن ثمامة بن أشرس قال بعثنى الرشيد الى دار المجانين لاصلح ما فسد من حالهم فرأيت فيهم شابا حسن الزى كأنه صحيح العقل فقال لى يا ثمامة انك تقول ان العبد لا ينفك من نعمة يجب الشكر عليها وبلية يجب الصبر لديها وأنت تبيح المطبوخ أرأيت لو سكرت ونمت وقام اليك غلامك وأولج فيك مثل ذراع البكر فقل لى أهذه نعمة يجب الشكر عليها أو بلية يجب الصبر لديها قال ثمامة فلم أدر بماذا أجيبه فقال مسئلة قلت ما هى قال متى يجد النائم لذة النوم ان قلت فى حال نومه فمحال وان قلت اذا استيقظ فبعيد أن يجد لذة شئ انقضى ومضى فبهت لا أحير جوابا فقال مسئلة أخرى قلت وما هى قال انك تزعم ان لكل أمة نذيرا فما نذير الكلاب قلت لا أدرى فقال أما الجواب عن المسئلة الاولى فيجب أن تقول النعم ثلاثة نعمة يجب الشكر عليها وبلية يجب الصبر لديها وبلية يجب الصبر عنها فهذه من القسم الثالث وهى البلية التى يجب الصبر عنها وأما المسئلة الثانية فالجواب عنها انها محال لان النوم داء ولا لذة مع وجود الداء وأما المسئلة الثالثة وأخرج من كمه حجرا وقال اذا عدا عليك كلب فهذا نذيره ورمانى بالحجر فأخطأنى وأصاب الاسطوانة فلما رآه قد أخطأنى قال فاتك النذير يا أيها الكلب العقير فعلمت أنه مجنون وأن عقله مصاب فتركته

محبة النساء والقمار والصيد والخمر (أحب) الاشياء الى الله أربعة القصد عند الجده والعفو عند القدرة والحلم عند الغضب والرفق بعباد الله فى كل حال (الناس) أربع طبقات بين امارة وتجارة وزراعة وصناعة فمن لم يكن منهم كان كلا عليهم (اربع) فيهن العلم كله أولها ان تعرف ربك والثانى ان تعرف ما صنع بك والثالث ان تعرف ما أراد منك والرابع ان تعرف ما يخرجك من ذنبك (أربعة) اعداء للمؤمن شيطان يضله وكافر يقاتله ومنافق يفتنه ومؤمن يحسده (أربع) كلمات اجتمعت العرب والعجم عليها لا تحملن على قلبك ما لا يطيق ولا تعملن عملا ليس لك فيه منفعة ولا تثق بامرأة ولا تغتر بمال وان كثر (أربع) يهزمن العمر وربما قتلن الحمام على البطنة والمجامعة على الامتلاء وأكل القديد الجاف وشرب الماء البارد على الريق (اربعة) تذهب ماء الوجه الكذب والوقاحة والكبر والنظر الى المقتول (أربعة) تزيد ماء الوجه الوفاء بالعهد والكرم والكلام الطيب وطاعة الله سبحانه وتعالى (أربع) تدل على حمق الرجل طول لحيته وشناعة كنيته وافراط شهوته ونقش خاتمه (أربعة) لا تدرك بأربع الشباب بالخضاب والغنى بالمنى والبقاء بالدواء والصحة بالحمية (أربع) من كنوز البر كتمان الفاقة وكتمان المصيبة وكتمان الوجع (لا ينبغى) للعاقل أن يخلى نفسه من أربع عدة لمعاد واصلاح لمعاش وفكر يقف به على ما يصلحه مما يفسده ولذة فى غير محرم يستعين بها على الحالات الثلاث (أربع) ترفع

وانصرفت وقنعت من الغنيمة بالاياب (وكان) في بني أسد مجنون يسمى لغدان فر بقوم من بني تيم الله بن ثعلبه فعبثوا به فقال يابني تيم الله ما أعلم في الدنيا خيرا منكم قالوا وكيف ذلك قال لان بني أسد ليس فيهم مجنون غيري وقد قيدوني وسلسلوني وكلكم مجانين وليس فيكم مقيد (وكتب) بعض المجانين الى عساوة كتابي اليك انلاث ساعات من ليلة الميلاد التي صبحها يوم المهرجان ودجلة تطفح بالماء هياها وا والحجارة لا تزداد الا كثرة والصبيان قاتلهم الله وبدد شملهم لا يزدادون الا وقاحة فان قدرت أن لا تبيت الا وسواك جارة فافعل واستعمل قول الله تعالى وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم (وركب) بختيشوع المأمون فعلق به مجنون وقال أيها الطبيب جس نبضي فجسه وقال له ما تشتكي قال الشبق فقال له خذ سوالك أراك وأدخله من ورائك فانه صالح لذلك فرفع المجنون فخذه وضرط وقال خذ هذا اجزائك حتى نجرب دواك فان كان صالحا لذلك شكرناك وزدناك ولا يكون لنا طبيب سواك فخجل بختيشوع وضحك المأمون من كلام المجنون (ووقف) صباح الموسوس على قوم فسألهم شيأ فردّوه فولى وهو ينشد

أساء اذا أحسنت ظني بكم * والحزم سوء الظن بالناس

(وقال بعضهم) رأيت مجنونين يتنازعان رغيفا يؤثر كل واحد منهما صاحبه به وهما يتقاسمان عليه فقلت لهما وأنا أظن أني أربح عليهما أنا آكله ان لم تأكلاه فقال أحدهما يا أحمق ان معه ادما لا يسوغ الا به قلت وما هو قال ضيق الحلق ووجع العنق فوليت عنهما فقالا يا مجنون لولا غضاضة الادم لأكلناه متذحين (وسمع) أبو سترا مجنونا يستسقاه يصيح في يوم حر هذا يوم يسقى فيه الماء فقال وأي يوم يطعم فيه الخبز (وحكى) علي بن الجهم الشاعر قال مررت بمجنون والناس مجتمعون عليه يعبثون به فلما رآني تقدم الي دونهم وأخذ بعنان بغلتي ثم أنشد

لا تحفلن بمعشر الـ * ـهمج الذين تراهم

فوحق من أبلى بهم * نفسي ومن عاداهم

لو قيس موتاهم بهم * كانوا هم موتاهم

ثم جال بطرفه في الحلقة فرأى فيها شابا مليح الوجه حسن الهيئه فوثب اليه وضرب ما كان عليه ثم نظر الي وأنشد

هذا السعيد لديهم * قد صار بي أشقاهم

(ووقف) بعض المجانين على باب مسجد يبال فأرادت العامة ضربه فقال لهم أرأيتم لو بال ههنا حمارا كنتم ضاربيه قالوا لا قال فهبوني حمارا فانه لا عقل لي مرقوا له وأطلقوه (وقال المبرد) دخلت دار المجانين فوقفت تجاه مجنون وأخرجت لساني فحوّل وجهه عني فجئت الى الناحية التي حوّل وجهه اليها وأخرجت لساني فحوّل وجهه الى ناحية أخرى فجئت اليه وفعلت مثل ذلك فلما أضجرته رفع رأسه الى السماء وقال انظر يارب من حلوا ومن ربطوا

﴿وما اختير من شعرهم الرقيق الجزل المنظوم في سلكه جواهر الجد والهزل﴾

(حدّث) ابن حبيب في كتابه الذي صنفه في أخبار عقلاء المجانين باسناده الى أبي اسحق ابراهيم الايلي قال رأيت غورثا المجنون يوما خارجا من الحمام والصبيان قيام يضربونه ويؤذونه وهو يبكي فقلت له ما خبرك يا أبا محمد قال اذاني هؤلاء الصبيان اما يكفيني ما أنا فيه من العشق والجنون قلت ما ظننتك مجنونا قال بلى والله وعاشق قلت وهل قلت في عشقك شيأ قال نعم ثم أنشد

جنون وعشق ذا يروح وذا يغدو * فهذا له حدّ وهذا له حدّ

وقد كنا تحت الحشا فئ لفا * على مهجتي أ[illegible] يفري به الجهد

الرجل الى أعالي الدرجات وان قل علمه الحلم والتواضع والسخاء وحسن الخلق (أربعة) أشياء لا تطلبها في آخر الزمان فانك لا تجدها لا تطلب عالما يعمل بعلمه فتبقى جاهلا ولا تطلب طعاما بغير شبهة فتبقى جائعا ولا تطلب صديقا بغير عيب فتبقى وحيدا ولا تطلب عملا بغير رياء فتبقى بلا عمل (أربعة) لا تدل معها ملك حفظ الدين واستكفاء الامين وتقديم الحزم وامضاء العزم وأربعة لا يثبت معها ملك غش الوزير وسوء التدبير وخبث النية وظلم الرعية (أربعة) تؤكد المحبة حسن البشر وبذل البر وقصد الوفاق وترك الشقاق (أربعة) من علامات الكرم بذل الندى وكف الاذى وتعجيل المثوبة وتأخير العقوبة وأربعة من علامات اللؤم افشاء السر واعتقاد الغدر وغيبة الاخوان واساءة الجوار (أربعة) من علامات الايمان حسن العفاف والرضى بالكفاف وحفظ اللسان واعتقاد الاحسان (أربعة) تتولد من أربعة الشر من الممازحة والبغض من المكادحة والوحشة من الخلاف والبؤس من الاستخفاف (أربعة) لا تنتصف من أربعة الشريف من الدنيء والرشيد من الغوي والبر من الفاجر والمنصف من الجائر (أربعة) تؤدي الى أربعة الصمت الى السلامة والبر الى الكرامة والجود الى السيادة والشكر الى الزيادة (أربعة) تعرف بأربعة الكاتب بكتابته والعالم بجوابه والحكيم بأفعاله والحليم باحتماله (أربعة) لا يستغني عن أربعة الرعية عن السياسة والجيش عن

وأى طبيب نستطيع بحيلة * يعالج من داء بن ما منهما بد

قال الايلى فوليت عنه فقال قف واسمع * أقول فان شرح غرامى على الخلى يطول فوقفت فأنشد

جنون ليس يضبطه الحديد * وحب لا يزول ولا يبيد
فجسمى بين ذاك وذا نحيل * وقلبى بين ذاك وذا عميد

ثم قال لى انصرف ما سمعته يكفيك * وأخذ يوما بيد المتهم بعشقه فقال له المعشوق رجاء الخلاص منه كيف أصبحت فقال

أصبحت منك على شفا جرف * متعرضا لموارد التلف
وأراك نحوى غير ملتفت * منحرفا عن غير منحرف
يامن أطال بهجره أسفى * أسفى عليك أشد من تلفى

(وحكى أيضا) أن هرون الرشيد مر بدير فى ظاهر الرقة فلما أقبلت مواكبه أشرف أهل الدير ينظرون اليه وفيهم مجنون مسلسل فلما رأى هرون رمى بنفسه بين يديه وقال ياأمير المؤمنين قد قلت فيك أربعة أبيات فأنشدك اياها قال نعم فأنشده

لحظات طرفك فى العدا * تغنيك عن سل السيوف
وغريم رأيك فى النهى * يكفيك عاقبة الصروف
وسيول كفك بالندى * بحر يفيض على الضعيف
وضياء وجهك فى الدجى * أبهى من البدر المنيف

ثم قال ياأمير المؤمنين هات أربعة آلاف درهم أشترى بها كيسا وتمرا فقال هرون تدفع له فحملت الى أهله (وحكى أيضا) قال ادريس بن ابراهيم اللخمى سمعنى مجنون أنشد فى يوم غيم

أرى اليوم يوما قد تكاثف غيمه * وأقتامه فاليوم لاشك ماطر

فقال بديها من غير روية

وقد حجبت فيه السحائب شمسه * كما حجبت ورد الخدود المعاجر

(ومر) ابراهيم بن المدبر بالاهواز وقد صرف عنها فتعرض له مانى الموسوس واسمه محمد ابن القاسم فأخذ بلجام بغلته وقال

ليت شعرى أى قوم أجدبوا * فأغيثوا بك من طول العجف
نظر الله اليهم دوننا * وحرمناك لذنب قد سلف
ياأبا اسحق سر فى دعة * وامض محمودا فما عنك خلف
انما أنت سحاب هاطل * حيثما صرفه الله انصرف

فأمر له بستمائة درهم (ونظر) اليه انسان وهو يأكل تمرا ويبلع نواه فقال له لم لاترمى نواه قال هكذا وزن على * وقيل له فى كم يصير الانسان مجنونا فقال على قدر الصبيان * ومن شعره

زعموا أن من تشاغل باللـذات يوما عن حبه يتسلى
كذبوا والذى تساق له البدن ومن دار بالطواف وصلى
ان نار الهوى أحر من الجمر على قلب عاشق يتصلى

وأخبار مانى أحلى من مسامرة الامانى لكن استيفاؤها مما يخرج عن الغرض ويدل جوهر ما شرطناه بالعرض (وحكى المبرد) قال خرجنا من بغداد الى واسط فملنا الى دير هرقل ننظر الى المجانين فنظرنا الى فتى منهم ناحية عنهم فملنا اليه وسلمنا عليه فلم يرد علينا السلام فقلنا له ماتجد فقال

الله يعلم أننى كمد * لا أستطيع أبث ما أجد
روحان لى روح تضمنها * بلد وأخرى حازها بلد

القادة والرأى عن الاستشارة والعزم عن الاستخارة (أربعة) تقوى البدن أكل اللحم وشم الطيب وكثرة الغسل من غير جماع ولبس الكتان (أربعة) تمرض الجسم الكلام الكثير والنوم الكثير والاكل الكثير والجماع الكثير (أربعة) تقوى البصر الجلوس مستقبل القبلة والكحل عند النوم والنظر الى الخضرة وتنظيف المجلس (أربعة) توهن البصر النظر الى العدو والنظر الى المصلوب والنظر الى فرج المرأة والجلوس مستدبر القبلة (أربعة) تزيد فى العقل ترك فضول الكلام والسواك ومجالسة الصالحين والعلماء (أربعة) يفرح بها القلب النظر الى الخضرة والنبات والى زرقة السماء الصاحية والى المحبوب والقعود على طرف ماء جار (أربع) يفنين العمر وان لم يفن قلة ذات اليد وفساد الولد وسوء الخلق وفقد الاخوان (أربع) خصال تلزم قلب من كانت الدنيا همه فقر لا يدرك غناه وهم لا ينقضى مداه وشغل لا تنفد أولاه وأمل لا يبلغ منتهاه (من) أعطى أربعا لم يحرم أربعا من أعطى الشكر لم يحرم المزيد ومن أعطى التوبة لم يحرم القبول ومن أعطى الاستخارة لم يحرم الخيرة ومن أعطى المشورة لم يحرم الصواب (أربعة) لا يقدر على مكافاتهم رجل بات وحاجته تغلغل فى صدره حتى أصبح فقصدك بها ورجل افشى اليك سره نوضعك مكان قلبه ورجل ابتدأك بالسلام ورجل دعوته فاجابك (اربعة) اذا افسدهم البطر لاتز يدهم التكرمة الافسادا

وأرى المقيمة ليس بنفعها * صبر وليس بفوتها جلد
وأظن غائبتي كشاهدتي * بمكانها تجد الذي أجد

فقلنا له أحسنت دأ وما أبيده الى شيء لم يمينا به فوالله اهاربين فقال سألتكم بالله الا ما سمعتم حتى أنشدكم فان أحسنت فلتم أحسنت وان أسأت فلتم أسأت قال فرحمنا فقلنا قل وأنشدنا

لما أناخوا قبيل الصبح عيسهم * ورحلوها وسارت بالدمى الابل
وقلبت من خلال السجف ناظرها * ترنو الي ودمع العين ينهمل
وودعت ببنان زانها عنم * ناديت لاحملت رجلاك ياجمل
ويلي من البين ويل حل بي وبها * من نازل البين جد البين وارتحلوا
ياحادي العيس عرج كي نودعهم * ياراحل العيس في ترحالك الاجل
اني على العهد لم أنقض مودتهم * ياليت شعري لطول الدهر مافعلوا

قال فقلنا له ماتوا فصاح وقال أنا والله أموت واستلقى على ظهره وتمدد فمات فما برحنا حتى دفناه رحمة الله عليه

﴿الفصل الثالث من الباب الرابع﴾
في احتجاج الاريب المتحامق على أن الحمق أزكى الخلائق

قال الله تعالى فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا افئدتهم من شيء عبر بالافئدة وهي القلوب عن العقول لانها مقرها (وقال) النبي صلى الله عليه وسلم يحاسب الله الناس على قدر عقولهم وفي طريق آخر ان الله يحاسب كل امرئ على مقدار عقله * وفي بعض الآثار ما جعل الله لرجل عقلا وافرا الا احتسبه عليه من رزقه وقيل من زيد في عقله نقص من رزقه

﴿ما قيل في ان لذاذة العيش لاتحصل الا بالجهالة والطيش﴾

(ذكر) ان بعض الحكماء سئل من أقر الناس عينا وأحسنهم حالا وأطيبهم عيشا وأنعمهم بالا فقال من كفي أمر دنياه ولم يهتم لآخرته * أخذه المتنبي فقال

نصفوا الحياة لجاهل أو غافل * عما مضى فيها ولا يتوقع
ولمن يغالط في الحقيقة نفسه * ويسومها طلب المحال فيطمع

(ولابي بكر الكاتب)

من رزق الحمق فذو نعمة * آثارها واضحة ظاهره
يحط ثقل الهم عن نفسه * والفكر في الدنيا وفي الآخره

(وقال حكيم) ثمرة الدنيا السرور ولا سرور للعقلاء * وقال الشاعر

الروح والراحة في الحمق * وفي زوال العقل والخرق
فمن أراد العيش في راحة * فليلزم الجهل مع الحمق

(ومن أمثالهم) ما سر عاقل قط * وقولهم الهم والعقل لا يفترقان * وقولهم استراح من لاعقل له * وقال بعض الحكماء العاقل في رتبة من عقله تحجبه عن اللذات وتصده عن الشهوات فتى جرى على حكم البشر به فأطاع هواه واتبع غرضه وما قيل زلة عاقل وهفوة ذاكر نعوذ بالله من شرها ونرغب الى الله في الكفاية منها * وقال الشاعر

أرى العقل بؤسا في المعيشة للفتى * ولا عيش الا ما حباك به الجهل

(وقالوا) الجاهل ينال اغراضه ويظفر بآرابه ويطيع قلبه ويجري في عنان هواه وهو بريء من اللوم سليم من العيب تغفر زلاته وتتعمد هفواته * وقال آخر الجاهل رخي الذرع خالي البال عازب الهم حسن الظن لا يخطر خوف الموت بفكره ولا يجري ألم الاشفاق على ذكره

الزوجة والولد والخادم والرعية (اربعة) ترتفع الرحمة عنهم اذا نزل بهم المكروه من كذب طبيبه فيما يصف له من دائه ومن تعاطى مالا يستقل باعبائه ومن بذل ماله في لذاته ومن اقدم على ما حذر من آفاته (السعادة) اربع سلامة الخلقة وجودة العقل وتأتي المطلوبات والمحبة في الناس (الجماع) اربعة فالاول شهوة والثاني لذة والثالث شفاء والرابع داء (الرجال) اربعة رجل يدري ويدري انه يدري فذلك عالم فسلوه ورجل يدري ولا يدري انه يدري فذلك غافل فنبهوه ورجل لا يدري ويدري انه لا يدري فذلك مسترشد فعلموه ورجل لا يدري ولا يدري انه لا يدري فذلك جاهل فارفضوه (الناس) في الخير اربعة منهم من يفعله ابتداء وهو الكريم ومنهم من يفعله اقتداء وهو الحكيم ومنهم من يتركه استجماما وهو الردي ومنهم من يتركه حرمانا وهو الشقي (اركان) الدين والدنيا اربعة الصبر والصدق والحلم والوفاء (اربعة) لا يدري قدرها الا اربعة لا يعرف قدر الحياة الا الموتى ولا قدر الصحة الا المرضى ولا قدر العافية الا اهل البلاء ولا يعرف قدر الغنى الا الفقراء (اربعة) لا يطاقون عبد ملك ونذل شبع وامة ورثت وقبيحة تزوجت

﴿ومن الشعر﴾

بأربعة أرجو نجاتي وانها
لأكرم مذخور لدي وأعظم
شهادة اخلاصي وحبي محمدا
وحسن ظنوني ثم اني مسلم

(فصل خمسة)

(من الحديث الوارد عن النبي

(وقالوا) الجهل مطية المسرة والمراح ومسرح الفكاهة والمزاح وحليف الهوى والتصابى صاحبه فى زمام من عهدة اللوم والعتب وأمان من قوارص الذم والسب * وقال الشاعر

ورأيت الهموم فى صحة العقـــل فداويتها بامراض عقلى

(وقال) المغيرة بن شعبة ما العيش الا فى القاء الحشمة

ومن احتجاج من أطلق نفسه من عقال العقل
وألقى عصاه عامدا فى بيداء الجهل

قول بعضهم لما كان العقل فى المعنى زائداعى الآراب وحائلا دون الاعراض جعل اسمه مأخوذا من لفظة العقال فكم بين الطليق والعانى وأين المعقود من الشارد وهل من يتصرف على اختياره ويجيب داعى أهوائه كمن يقسر ويحصر ويكره ويجبر (وقالوا) لولم تكن فضيلة الجهل غير الاقدام وورود الحمام اذ هما عين الشجاعة والبسالة وسببان لتحصيل الرفعة والجلالة وقال شاعرهم

مالى وللعـقل لا استصحبته أبدا * فالعقل ينزل دار الذل والهـون
لقـد تعاقلت دهرا لا ارى فرحا * ومذ تحامقت صار الناس يدنونى

(وقال يحيى بن أكثم) ما رأيت العـقل وط الاخادم للجهل (وقالوا) كم عاقل أحرد عقله وجاهل صدره حوله (وقال) الشريف أبو يعلى بن الهبارية

تجاهلت لما لم أرى العقل شافعا * وأنكرت لما كنت بالعلم ضائعا
وما نافعى عقلى وفضلى وفطنتى * اذا بت صفر الكف والبطن جائعا

(وما أحسن) قول عبد الله بن المعتز فى هذا المعنى مع زيادة للمصنف العقل كالمرآة المصقولة يرى صاحبها فيها مساوى الدنيا فلا يزال فى صحوه مهموما منعـذر السرور حتى يشرب الخمر فان أكثر منها غشيه الصدا كله حتى لا تظهر تلك المساوى فيفرح ويمرح * والجهل كالمرآة الصدية لا يرى صاحبها الا مسرورا أبدا قبل الشرب وبعده من هنا المصنف (فالعاقل) يستدعى حالة الجهل الى نفسه لترادف الهموم عليـه فى العواقب وانغرض فى اكتساب المحامد والمناقب واذا ضاق بها ذرعا ولم يستطع لردائها ردعا احتال على ذهابها بالشراب ليفصل عنه عقال الهموم والاتراح بأيدى المسرات والافراح (ومن) مستظرف ما نظم فى هذا المعنى قول أبى معاذ بشار بن برد

لما رأيت الحظ حظ الجاهل * والعيش فى الدنيا لغـير العاقل
رحلت عيسا من كرائم بابـل * فغدوت من عقلى ببعد مراحل

ومن أحاسن أقوالهم فى أن العقل طريق الى العنا
وسدّ يمنع صاحبه من الوصول للغنى

(روى) عن الامام محمد بن الحنفية رضى الله عنـه أنه قال وكل الله الجهل بالغنى والعـقل بالحرمان ليعتبر العاقل وليعلم أن ليس له من الامر شئ (وفى مثل هذا) يقول نصر بن احمد المعروف بالخبزارزى

سبحان من قدر الاشياء منزلها * وصير الناس مرفوضا ومرموقا
فعاقل فطـن أعيت مذاهبـه * وأحمـق جاهـل تلقاه مرزوقا
هـذا الذى ترك الاوهام حائرة * وصـير العالم النحرير زنديقا

(قال رجل) لبزرجمهر تعال نتناظر فى القدر قال وما أصنع بالمناظرة رأيت الظاهر فاستدللت

صلى الله عليه وسلم)

(خمس) لا يجتمعن الا فى مؤمن حقا النور فى القلب والفـقه فى الاسلام والورع فى الدين والمودة فى الناس وحسـن السمت فى الوجـه (خمس) يفطرن الصائم وينقضن الوضوء الغيبة والنميمة والكذب والنظرة بالشهوة واليمين الغموس (خمس) دعوات لا ترد دعوة الغازى حتى يرجع ودعوة المريض حتى يبرأ ودعوة المظلوم ودعوة الصائم حتى يفطر ودعوة الرجل لاخيه بظهر الغيب (خمس) لا بتعداهن كل عبد عمله وأجله وأثره ورزقه ومضجعه (خمس) من الايمان من لم يكن فيه شئ منهن فلا ايمان له التسليم لامر الله والرضى بقضاء الله والتفويض الى الله والتوكل على الله والصبر عنـد الصدمة الاولى (خمس) يقبحن فى خمسة من الناس الفتوة فى الشيخ والحرص فى القارى وقلة الحياء فى ذى الحسب والبخل فى الاغنياء والحدة فى ذوى القدرة (خمس) خصـال من السعادة اليقين فى القلب والورع فى الدين والزهد فى الدنيا والحياء والعمل وخمس خصال من الشقاء القسوة فى القلب وجمود العين وقلة الحياء والرغبة فى الدنيا وطول الامل (خمس) تجب للمسلم على أخيه رد السلام وتشميت العاطس واجابة الداعى وعيادة المريض واتباع الجنائز

(ومن الحكمة المأثورة عن السلف وغيرهم)

(خمسة) تقبح بخمسة ضيق الذرع بذى المال وسرعـة الغضب بالعلماء والبـذاء بالنساء والمرض

به على الباطن رأيت الاحمق مرزوقا والعاقل محروما فعلمت ان التدبير ليس من [illegible]
(وقيل) أعجب الاشياء نجح الجاهل واكداء العاقل حتى قيل لو جرت الارزاق على قدر العقول لم تعش البهائم (قال حبيب بن أوس الطائى)

ينال الفتى من عيشه وهو جاهل * ويكدى الفتى فى دهره وهو عالم
فلو كانت الارزاق تجرى على الحجى * هلكن اذا من جهلهن البهائم

(المتنبى) ذو العقل يشقى فى النعيم بعقله * وأخو الجهالة فى الشقاوة ينعم

(آخر) العقل ليس بمسعد خلقا اذا * ما عال حتى يسعد المقدور
وحكومة الايام يسعد جاهل * فيها ويشقى العالم النحرير

(آخر) لو كانت الارزاق يدركها الفتى * بجلادة أو نبوة وشراس
لاخذت أفضلها بيارع همتى * وبمنطقى وبحيلتى ومراسى
لكنها قسم وليس بمدرك * مالم يقدره الاله الناس

(حدث ابن حبيب) فى كتابه عقلاء المجانين قال حدث سعيد بن على بن عطاف قال كان عندنا رجل عاقل ظريف أديب يسمى عامرا وكان مع كثرة أدبه محروما فاقيل لى انه قد تحامق فجعلت أتطلبه حتى ظفرت به فى بعض الطرق والصبيان حوله يضحكون منه فقلت يا عامر ما هذه الحالة فأنشد محلا ومرتجلا

ياعاذلى لاتلم أخا حمق * يضحك فالحمق ألوان
حمقت نفسى لكى أنال غنى * فالعقل فى ذا الزمان حرمان

(وكان) الحمدونى الشاعر يتحامق فعذله بعض أصحابه على ذلك فقال حماقة تعولنى خير من عقل أعوله ثم أنشد

عذلونى على الحماقة جهلا * وهى من عقلهم ألذ وأحلى
حمقى اليوم قائم بعيالى * ويموتون ان تعاقلت ذلا

﴿ومن المنظوم فى أن من أعمال الزمن الناس العقلاء أعمال الحرمان﴾

(أبو يعلى بن الهبارية)

الجهل أروح للفتى من عقله * يمسى ويصبح آمنا مسرورا
ترك العواقب جانبا عن فكره * وسعى رواحا فى الهوى وبكورا
والعقل يعقله على حسراته * ويصده فيرده محسورا
وتراه مهتما كثيرا همه * يحيا أسيرا أو يموت فقيرا
لما علا الجهال فى أيامنا * ورقوا ونالوا منزلا وسريرا
أخفيت علمى وأطرحت فضائلى * على أكون اذا جهلت أميرا

(آخر) دع عنك عقلى فالعقول مخارق * لا ينفع الانسان الا جهله
كم عاقل أمسى عقالا عقله * دون المنى وغدا فضولا فضله

(آخر) ولما رأيت الدهر أحمق جاهلا * يصيب ولا يدرى ويخطى ولا يدرى
ينيل ويعطى الاحمق الغمر سؤله * ويقصد أبناء الفضائل بالعسر
فيمنعهم من القرى ويذودهم * اذا وردا النونى تحامقت للدهر

(عبد القاهر الجرجانى)

كبر على العقل ياخليلى * وملى الى الجهل ميل هائم
وكن حمارا تعش بخير * فالسعد فى طالع البهائم

بالاطباء والكذب بالقضاة (لاتتم) مروءة الرجل الا بخمس أن يكون عالما عاقلا صادقا ذا بيان مستغنيا عن الناس (مفاتيح) الارزاق خمس حسن الخلق وحسن المداراة وكف الاذى وصدق الحديث وأداء الامانة (خمسة) من الاطعمة لوازم الوليمة والعقيقة والعذيرة والعتيرة والنقيعه فالوليمة طعام الاعراس والاملاك والعقيقه طعام أسبوع المولود والعذيرة طعام الختان والعتيرة الطعام الذى يبعث الى أهل الميت والنقيعة ان تكون بين القوم عداوة فيصلح بينهم فيجتمعون على طعام انتهى والنقيعة أيضا طعام القادم من السفر (قال على رضى الله عنه) خمس خذوها عنى الا لايرجون أحد الا ربه ولا يخافن الا ذنبه ولا يستنكف أن يتعلم ما ليس عنده واذا سئل عما لا يعلم فليقل لا أعلم والصبر من الايمان بمنزلة الرأس من الجسد (خمسة) مرحومون عزيز ذل وغنى ذل وحبيب مل وفصيح كل وفقيه ضل

(ومن الشعر)

أقبل على صلواتك الخمس
كم مصبح وعساه لا يمسى
واستقبل اليوم الجديد بتوبة
تمحو ذنوب صحيفة الامس

(فصل ستة)

(فى الحديث الوارد عن النبى صلى الله عليه وسلم)

(ست) خصال من لقى الله تعالى ولم يعمل بهن دخل الجنة لم يشرك بالله شيأ ولم يسرق ولم يزن ولم يرم محصنة ولم يعص ذا أمر ويقول الحق أو يصمت (ست) ليال أجهدوا فيهن أنفسكم أول ليلة من رجب وليلة النصف من شعبان وليلة

(آخر) طاب عيش الرقيع فى ذا الزمان * والجهول الغفول والصفعان
فاغتنم حقك الذى أنت فيه * تحظ بالمكرمات والاحسان

(آخر) اذا كان الزمان زمان حمق * فان العقل حرمان وشوم
فكن حمقا مع الحمقى فانى * أرى الدنيا بدولتهم تدوم

(آخر) ان عاما فيه تسربلت خزا * وتردیت فى الرجال البرودا
لزمان أبدى النحوس الى النا * س واخفى عن العيون السعودا

(آخر) قد كسد العقل وأصحابه * وفتحت للجهل أبوابه
فاستعمل الحمق تكن ذاغنى * فقد مضى العقل وأربابه

(آخر) تحامق مع النوكى اذا ما لقيتهم * ولا تلقهم بالعقل ان كنت ذا عقل
وخلط اذا لاقيت يوما مخلطا * يخلط فى قول صحيح وفى فعل
فانى رأيت المرء يشقى بعقله * كما كان قبل اليوم يسعد بالعقل

(آخر) أرى زمنا نوكاه أسعد أهله * ولكنما يشقى به كل عاقل
مشى فوقه رجلاه والرأس تحته * فكب الأعالى بارتفاع الاسافل

(وقال) بعض ظرفاء الادباء وهو أبو الحسن المائق

طلبت الرزق بالحذق * من الغرب الى الشرق
فلم يكسبنى العقل * سوى البعد من الخلق
فأدبرت عن العقل * وأقبلت على الحمق
فخاف الناس اشعارى * وقالوا أحمق الخلق
وجاؤا لابى الجحش * بما شاء من الرزق
فمن لام على الحمق * فقد حاد عن الحق

ومما ذكر ان الحظ أجدى لصاحب الحجا
وأهدى فى طرق ما ربه من نجوم الدجى

ما حكى أهل التجارب فانهم قالوا العقل وسوء الحظ كالعلة والمعلول لا ينفصل لاحدهما عن الآخر (قالوا) افراط العقل مضر بالجد (وقيل) استأذن العقل على الجد فحجبه فقال اذهب انت بى لا انا بك (قال شاعر)

عش بجد ولا يضرك نوك * انما عيش من ترى بالجدود

(آخر) لا تنظرن الى عقل ولا ادب * ان الجدود حد يقات الحماقات

(آخر) الجد أنهض بالفتى من عقله * فانهض بجدك فى الحوادث اوذر
ما أقرب الاشياء حين يسوقها * قدر وأبعدها اذا لم تقدر

(آخر) متى ما ترى الناس الغنى وجاره * فقير يقولوا عاجز وجليد
وليس الغنى والفقر من حيلة الفتى * ولكن أحاظ قسمت وجدود

(آخر) لا تنظرن الى الجهالة والحجا * وانظر الى الادبار والاقبال
كم من صحيح العقل أخطأه الغنى * وعديم عقل فاز بالاموال

(ودعت) ام الاسكندر لولدها فقالت رزقك الله حظا يخدمك به ذووا العقول ولا رزقك عقلا تخدم به ذوى الحظوظ (وخير رجل) بين امرين فابى أن يختار وقال انا بجدى أوثق منى بعقلى (ومن أمثالهم) أن تجد فلا تكد (قال) أبو العلاء أحمد بن سليمان المعرى

* لا تطلبن بغير حظ رتبة * قلم البليغ بغير حظ مغزل
سكن السماكان السماء كلاهما * هذا له رمح وهذا أعزل

الفطر وليلة عرفة وأول ليلة من المحرم وليلة عاشوراء (ست) خصال فى الزنا ثلاث فى الدنيا وثلاث فى الآخرة فاما اللواتى فى الدنيا فتذهب بنور الوجه ويقطع الرزق ويسرع الفناء وأما اللواتى فى الآخرة فغضب الله تعالى وسوء الحساب والدخول فى النار (ست) خصال أكفلوهن لى أكفل لكم الجنة الصلاة والزكاة والصيام والبطن واللسان والفرج (ست) من المروءة ثلاثة منها فى الحضر تلاوة القرآن واتخاذ الاخوان وعمارة المساجد وثلاثة منها فى السفر بذل الزاد وحسن الخلق والمزاح فى غير معاصى الله

(ومن الحكمة المأثورة عن السلف وغيرهم)

(ست) خصال من كن فيه فهو انسان كامل الالفة والحياء والادب والانفة والشكر والرجاء (ستة) لا بقاء لها ظل الغمام وخلة الاشرار وعشق النساء والمال الكثير والسلطان الجائر والثناء الكاذب (ستة) من علامات الجاهل الثقة بكل انسان وأن لا يميز عدوه من صديقه وان يفشى سره الى كل أحد من الناس وكثرة الكلام فيما لا يعنيه والغضب من غير شئ ووضع الشئ فى غير محله (فروع) الشرستة حب الدنيا وحب الرياسة وحب الثناء وحب الشبع وحب النوم وحب الراحة (ستة) لا تفارقهم الكآبة حديث عهد بغنى ومكثر يخاف على ماله وطالب مرتبة فوق قدره والحسود والحقود وخليط أهل الادب وهو غير أديب (من) جمع ست خصال لم يدع للجنة مطلبا ولا عن النار

(وقال بعضهم)

قالوا أقمت وما رزقت وانما * بالسير يكتسب اللبيب ويرزق
فاجبتهم ما كل سير نافع * الحظ ينفع لا الرحيل المقلق
كم سيرة نفعت وأخرى مثلها * ضرت ويكتسب المريض ويمحق
كالبدر يكتسب الجمال بسيره * وبه اذا حرم السعادة يمحق

(آخر) لا يوجد الرزق بالامعان في الطلب * ولا بكد ولا حرص ولا تعب
بل الحظوظ التي تعلو بصاحبها * لا بالخطوط التي في سائر الكتب
كم من غلام أديب فيصل ذكر * شهم مهيب كحد السيف ذي الشطب
عسى ويضحى من الاملاس في تعب * يقلب الكف بالنيران واللهب
وآخر جاف طبع لا خلاق له * مذبذب العقل ثور امتن الذنب
لا يعرف الميم من واو اذا كتبا * ولا يميز بين التين والعنب
قد أقبلت نحوه الايام ضاحكة * وأخدمته الليالي كل ذي حسب

(وللشافعي رضي الله عنه)

بالجد يدنو كل أمر شاسع * والجد يفتح كل باب مغلق
فاذا سمعت بأن مجدودا حوى * عودا فاثمر في يديه فحقق
واذا سمعت بأن محروما أتى * ماء ليشربه فغاض فصدق
لو كان بالحيل الغنى لوجدتني * بنجوم أقطار السماء تعلقي
لكن من رزق الحجا حرم الغنى * ضدان مفترقان أي تفرق
ومن الدليل على القضاء وحكمه * بؤس اللبيب وطيب عيش الاحمق
وأحق خلق الله بالهم امرؤ * ذو همة يبلى برزق ضيق
فلربما عرت بقلبي ضجرة * فأودها أنني لم أخلق

(ويقال) اذا أقبل جد المرء فالاقدار تسعده والاوطار تساعده واذا أدبر فالايام تعاديه والنحوس تراوحه وتغاديه (ويروى) عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان السعادة لتلحظ الحجر فيدعى ربا والى هذا أشار حبيب بن أوس في قوله

واذا تأملت البلاد وجدتها * تثرى كما تثرى الرجال وتعدم

(وقال آخر) وهو أبدع ما قيل في هذا الباب

واذا السعادة لاحظتك بعينها * نم فالمخاوف كلهن أمان
واصطد بها العنقاء فهي حبائل * واقتد بها الجوزاء فهي عنان

وقال ابن نباتة

الا لا تخش ما يرجى وجدك هابط * ولا تخش من شيء وجدك رافع
فلا نافع الا مع النحس ضائر * ولا ضائر الا مع السعد نافع

(آخر) اذا كنت مرموقا بعين سعادة * فلا تخش يوما من رجوع الكواكب
فان الذي قد قرب الله سعده * بعيد لعمري من صروف النوائب

(ومن الظريف) المطبوع في هذا الباب قول محمد بن شرف القيرواني

اذا صحب الفتى جد وسعد * تحامته المكاره والخطوب
ووافاه الحبيب بغير وعد * طفيليا وقاده الرقيب

(الباب

مهر يا من عرف ربه فأطاعه وعرف شيطانه فعصاه وعرف الحق فاتبعه وعرف الباطل فاتقاه وعرف الدنيا فرفضها وعرف الآخرة فطلبها

(ومن الشعر)

ست بليت بها والمستعاذ به
من شرها من اله الخلق يبتهل
نفسي وابليس والدنيا التي فتنت
من قبلنا والهوى والحرص والامل
ان لم تكن منك يا مولاي واقية
من شرها فقد أعيت عبدك الحيل

(فصل سبعة)

(فمن الحديث الوارد عن النبي صلى الله عليه وسلم)

(سبعة) يظلهم الله في ظله يوم لا ظل الا ظله امام عادل وشاب نشأ في عبادة الله ورجل قلبه معلق بالمسجد حتى يرجع اليه ورجلان تحابا في الله اجتمعا على ذلك وتفرقا عليه ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه ورجل دعته امرأة ذات حسن وجمال فقال اني أخاف الله ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما أنفقت يمينه

(سبعة) لعنهم الله الزائد في كتاب الله والمكذب بقدر الله والمستحل بحرم الله والمستحل من عترتي ما حرم الله والمتعدي بالجبروت ليذل ما أعز الله والمؤذي لاهل بيتي والتارك لسنتي

(ومن الحكمة المأثورة عن السلف وغيرهم)

(سبع) خصال من كانت فيه لم يعدم سبعا من كان جوادا لم يعدم الشرف ومن كان ذا وفاء لم يعدم المنعة ومن كان صدوقا لم يعدم القبول ومن كان شكورا لم يعدم الزيادة ومن كان ذا رعاية للحقوق

﴿الباب الخامس فى الفصاحة وفيه ثلاثة فصول﴾

الفصل الاول من هذا الباب

﴿فى ان الفصاحة والبيان أزين ما تحلت بهما الاعيان﴾

قال الله تعالى الرحمن علم القرآن خلق الانسان علمه البيان * وقال عليه الصلاة والسلام ان من البيان لسحرا (حد البيان) قال الجاحظ فى كتابه الذى سماه البيان والتبيين البيان اسم جامع لكل كلام كشف لك عن قناع المعنى وهتك الحجاب عن الضمير حتى يفضى السامع الى حقيقة اللفظ ويهجم على محصوله كائنا ما كان (وقيل) لجعفر بن يحيى بن خالد البرمكى ما البيان فقال أن يكون الاسم محيطا بمعناك كاشفا عن مغزاك (وقال آخر) خير البيان ما كان مصرحا عن المعنى ليسرع الى الفهم تلقنه وموجز ايخف على اللسان تعاهده

﴿فمما ورد عن جهابذة هذا العقيان مدح موهبتى الفصاحة والبيان﴾

قول ابن المعتز البيان ترجمان القلوب وصيقل العقول * وقال سهل بن هرون البيان ترجمان اللسان وروض القلوب (وقال بعض الاعراب لولده عليك بالفصاحة فى منطقك فانها مع صواب لفظك كالريش البهى فى حسن الصورة (ويقال) من عرف بفصاحة اللسان لحظته العيون بالوقار (وقال) هشام بن عروة ما أحدث الناس مروأة أعجب الى من الفصاحة (وقال) بعض البلغاء فصاحة أوثق شاهد عدل على اجتماع شمل الفضل وأقوى دليل على استكمال الذكاء والنبل لم تزل تشيد لاهلها فى ربوع المجد فخرا وترفع لهم فى مراتب العلوم ذكرا وربما سودت غير مسود ورفعت من الحضيض الاوهد الى محل النسر والفرقد (ويقال) بالفصاحة والبيان استولى يوسف عليه السلام على مصر وملك زمام الامور وأطلعه ملكها على الجلى من أمره والمستور فان العزيز لما رأى فصاحة لسانه وحسن بيانه أعلى مكانه وأعظم شأنه

﴿ومما يتميز به نوع الانسان فصاحة المنطق وذلاقة اللسان﴾

(قال) بعض الحكماء الكلام حد الانسان الحى الناطق (وقالوا) الصمت منام والكلام يقظة وقال عبد الملك بن مروان ان الكلام قاض يحكم بين الخصوم وضياء يجلو الظلم حاجة الناس الى مواده كحاجتهم الى مواد الاغذية (ويقال) حد الانسان أنه ناطق فمن كانت رتبته فى النطق أبلغ كان بالانسانية أخلق (وقال) أبو الفرج الببغا فى رسالة له مدح فيها الكلام الحيوان كله متساو بنعت الحركة والنمو فالانسان والبهيمة باشتمال هذا الوصف عليهما سيان وانما فضل العالم الانسى بالنطق المترجم عن مراد العقل المظهر للحكمة من القلب الى العقل فاذا صحت بهذه القاعدة أن الانسان بفضيلة النطق أشرف مصنوع وأفضل مطبوع فقد وجب أن يكون أكمل هذا الجنس فضلا وأحد هذا العالم فعلا ومن كان قسطه بفضيلة النطق موفورا فمحله من ربع البلاغة معمورا (وقال أيضا) من زعم أن الصمت أشرف مرتبة وأرفع منزلة من الكلام فقد حكم على الكلام بالنقصان وأحل الى محل البيان ولو كان الصمت أفضل من الكلام لتعبدنا الله به فيما اتصل بنا له بالالهام وكان توحيد الله بحجج العقول فى غنى عن واسطة أو رسول (وقيل) لبعض الحكماء أيما أفضل الصمت أو النطق فقال ان الله تعالى بعث أنبياءه بالنطق لبيان الحجة وانك تمدح الصمت بالنطق ولا تمدح النطق بالصمت وما عبرت به عن شئ فهو أفضل منه (ويقال) من فضل الناطق على الصامت ان الناطق يهدى ضالا ويرشد غاويا ويعلم جاهلا (وقيل) لزيد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم الصمت

لم يعدم السودد ومن كان منصفا لم يعدم العافية ومن كان متواضعا لم يعدم الكرامة (اللذات) اللاتى لا يمل منهن سبع خبز البر ولحم الضأن والماء البارد والثوب الناعم والرائحة الطيبة والفراش الوطى والنظر الى الحسن من كل شئ (سبع) خصال لا توحد معهن غربة حسن الادب واجتناب الريب وكف الاذى وسعة الخلق واحتمال الصبر وجميل العشرة ومحبة الناس على أخلاقهم

(ومن الشعر)

جاء الصيام ومن صاداته بيدى
سبع فقد أكسبتنى بالقبول ثقه
صوفينى وصفائى فى صلاحيتى
والصبر والصون ثم الصدق والصدقه

(فصل ثمانية)

(قال المؤلف) لم أجد فى هذا الفصل حديثا عن النبى صلى الله عليه وسلم (قال على بن أبى طالب رضى الله عنه) لابنه الحسن رضى الله عنه (يا بنى) احفظ عنى هذه الثمانية خصال لا يضرك ما عملت بهن شئ أغنى الغنى العقل وأكبر الفقر الحمق وأوحش الوحشة العجب وأكرم الحسب حسن الخلق واياك ومصاحبة الاحمق فانه يريد أن ينفعك فيضرك واياك ومصادقة الكذاب فانه يقرب لك البعيد ويبعد عنك القريب واياك ومصادقة البخيل فانه يقعد عنك أحوج ما تكون اليه واياك ومصادقة التاجر فانه يبيعك بالتافه اليسير

(ومن الحكمة المأثورة عن السلف وغيرهم)

(ثمانية) ان أهينوا فلا يلوموا الا أنفسهم الآتى الى صنيع لم يدع

خير أم الكلام فقال لعن الله المساكتة فما أفسدها للبيان وأجلبها للعي والله للمماراة أسرع في هدم العي من السنان في نبش العرفج (وقال آخر) الصمت مفتاح السلامة ولكنه قفل الهم (وقال الشاعر)

خلق اللسان لنطقه وكلامه * لا للسكوت وذاك حظ الاخرس

فاذا نطقت فكن مجيبا سائلا * ان الكلام يزين رب المجلس

(وقالوا) اللسان عضو ان مرنته مرن وان تركته حرن (وقالوا) اللسان اذا كثرت حركته رقت عذبته كالرجل اذا عودت المشي سعت (وقال) خالد بن صفوان ما الانسان لولا اللسان الاصورة ممثلة أو بهيمة مرسلة أو حالة مهملة (وقال أيضا) لسان الفتى أوجه شفعائه وأنفذ سلاحه على أعدائه به تتصل الود وينحسم الحقد (شاعر)

لسان الفتى نصف ونصف فؤاده * ولم يبق الاصورة اللحم والدم

(وقال) بعض البلغاء مغرس الكلام القلب وزارعه الفكر وقيمه العقل وزهره الاعراب وثمره الصواب وجانيه اللسان

﴿ومما شرف به اللسان من خصائص الاحسان﴾

قالوا اللسان جوهر الانسان من خصائصه ان الله رفع قدره على سائر الاعضاء فأنطقه بتوحيده وألهمه لتمجيده ومن خصائصه أنه اداة تظهر بها البيان وظاهر يخبر عن باطن في الجنان وحاكم يفصل بالخطاب وناطق يرد الجواب وواصف تعرف به الاشياء وواعظ ينهى عن الفحشاء وشاهد يسأل به عن الغائب وشافع تدرك به المطالب ومونق يلهي الخاطر ومؤنس يزيل وحشة النافر ومعز تسكن به غلة الخليل ومزين يدعو الى الجميل وزارع ينبت الوداد وحاصد يذهب الضغائن والاحقاد

﴿ومما ينال به الخامل أعلى الرتب التحلي بأنواع جواهر الادب﴾

الادب نوعان نفسي وكسبي فالنفسي بتوفيق الله يهبه الله لمن يريده وهو ما كان من محاسن الافعال الدالة على كرم الطباع والكسبي ما استفادته الانفس من أحاسن الاقوال الآخذة بأعنة القلوب والاسماع وهو الذي ترجمت عليه في هذا الموضع ليقع ذكره في النفوس أحسن موقع لترمقه لاجله العيون بالاجلال وتحمل النفوس بميلها اليه بتتابع الاذلال وهو الظرف في اللسان الكائن عن الاشتغال بفنون علوم الآداب الحسان كالنحو واللغة ونظم الشعر وانشاء النثر وما يتعلق بذلك من علم البديع والمعاني والبيان وما ذكرناه فهو الذي نال به حماد الراوية والاصمعي واسحق الموصلي العلا من الخلفاء والحواشي من الوزراء وسموا تشريفا لهم بالجلساء والندماء (قال) أكثم بن صيفي الرجل بلا أدب شخص بغير آلة وجسد بلا روح (وقال بزرجمهر) الادب سر يفنى لا ينطبع الا في مثله (وقال الاحنف) لكل شئ ذؤابة وذؤابة الشرف الادب (وقال أنوشروان) عجبت لمن يشهره الادب كيف تدعوه نفسه الى مكرمة (وقال) بعض الاعراب لولده عليك بالادب فانه يرفع العبد المملوك حتى يجلسه في مجالس الملوك (وقال) عبد الملك لبنيه تأدبوا فان كنتم ملوكا برزتم وان كنتم أوساطا فقتم وان أعوزكم المعاش عشتم استفيدوا من الادب ولو كلمة واحدة (وقال) بعض الاعراب تعلموا الادب فانه زيادة في العقل ودليل على العقل وصاحب في الغربة وأنيس في الوحدة وجمال في المحافل وسبب الى درك الحاجة (وقال المأمون) والله لان أموت طالبا للادب خير من أن أموت قانعا بالجهل (ويقال) ذكاء القلب بالادب كما تذكى النار بالحطب (وقال الخليل) من أجد من

اليه والمتأمر على رب البيت في بيته والداخل بين اثنين في حديث لم يدخلاه فيه والمستخف بالسلطان والجالس مجلسا ليس له بأهل والمقبل بحديث على من لا يسمعه وطالب الخير من أعدائه وطالب الفضل من اللئام (ثمانية) من أضيع الاشياء عالم بين جهال فلا يسئل عن علمه وعلم عند من لا يعمل به ورأى صواب عند من لا يقبل منه وآلة جهاد عند جبان ومسجد عند قوم لا يصلون فيه ومصحف عند من لا يقرأ فيه وطول عمر عند من لا يتزود فيه للمعاد ومال عند من لا ينفق منه في الحقوق والمواساة (مفاتيح) الرزق في ثمان في حسن الخلق وحسن الجوار ولين الجانب وكف الاذى وصدق الحديث وأداء الامانة وحسن المعونة وقبول المعذرة

(ومن الشعر)

ثمانية قام الوجود بها فهل
ترى من محيص للورى عن ثمانيه
سرور وحزن واجتماع وفرقة
وعسر ويسر ثم سقم وعافيه
بهن انقضت أعمار أولاد آدم
فهل من رأى أحوالهم متساويه

﴿فصل تسعة﴾

(فمن الحديث الوارد عن النبي صلى الله عليه وسلم)

(أمرني ربي بتسع) خصال الاخلاص في السر والعلن والعدل في الرضى والغضب والقصد في الغنى والفقر وان أعفو عمن ظلمني وأصل من قطعني وأعطي من حرمني وان يكون نطقي ذكرا وصمتي فكرا ونظري عبرا

(ومن الحكمة المأثورة عن السلف وغيرهم)

من لم يكتسب بالادب مالا اكتسب به جمالا (وقال آخر) الادب أكرم الجواهر طبيعة وأرفع الاحساب الوضيعة ويفيد الرغائب الجليلة وينجح القصد والوسيلة فاسموه حلة وتزينوه حلية فانه أنفق معاش وأجمل رياش (وقال) الشعبي الادب للفقير مال وللغني جمال وللحكيم كمال

﴿ومما ذكر أن التحلي بالآداب يلحق الدنيء بذوي الاحساب﴾

(قالوا) من قعد به نسبه نهض به حسبه (وقالوا) من تأدب وليس له حسب ألحقه الادب بأهل الرتب (وقد) يستغني بالادب عن الحسب كما حكى عن سيبويه قال تكلم رجل بين يدي المأمون فأحسن فقال له المأمون ابن من أنت قال ابن الأدب يا أمير المؤمنين وقال نعم الحسب الذي انتسبت اليه (ولهذا قيل) المرء من حيث يثبت لا من حيث ينبت ومن حيث يوجد لا من حيث يولد وبآدابه لا بثيابه وبفضيلته لا بفصيلته وبعقله لا بعقائله وبأنسابه لا بآبائه وبكماله لا بجماله قال الشاعر

كن ابن من شئت واتخذ أدبا * يغنيك محموده عن النسب
ان الفتى من يقول ها أنا ذا * ليس الفتى من يقول كان أبي

(وقال بزرجمهر) من كثر أدبه كثر شرفه وان كان وضيعا وبعد صيته وان كان خاملا وساد وان كان غريبا وكثر حوائج الناس اليه وان كان فقيرا (وقالوا) من دأب في طريق الأدب أدرك حاجته وملك ناصيته ونبل قدره ونبه ذكره قال الشاعر

لكل شيء زينة في الورى * وزينة المرء تمام الأدب
قد يشرف المرء بآدابه * فينا وان كان وضيع الحسب

﴿وما أحسن قول بعض الاعاجم يفتخر ويعتذر﴾

مالي عقلي وهمتي حسبي * ما أنا مولى ولا أنا عربي
واذا انتمى منتم الى أحد * فانني منتم الى أدبي

(ويقال) حسن الادب يستر قبيح النسب (وقالوا) الفضل بالعقل والادب لا بالاصل والنسب (ويقال) الادب ينوب عن الحسب ولا ينفع حسب بلا أدب شاعر

كم من خسيس وضيع القدر ليس له * في العز بيت ولا ينمى الى نسب
قد صار بالادب المحمود ذا شرف * عال وذا حسب محض وذا نشب
يعلي التأدب أقواما ويرفعهم * حتى يساووا ذوي العلياء في الرتب

﴿ذكر من دأب في طلب الادب فنال به أعلى المناصب والرتب﴾

يكفي دليلا على ما ذكرناه وانموذجا لما هو فينا حال أحمد بن أبي دواد في ترقيه الى بقاع المجد من الحضيض الأوهد (يحكى أنه) كان يختلف الى مجلس بشر المريسي في حالة رثة وهيئة رديئة وينصرف عنه في قائم الظهيرة معلقا محبرته متأبطا دفتره فيقيل عند أخ له فلما وجه المأمون المعتصم الى مصر التمس من بشر رجلا من أصحابه يكون في صحبة المعتصم يوليه على المظالم ويكتب اليه أخباره فقال يا أمير المؤمنين معنا قوم لهم فقه ولكن لم يجمعوا اليه الادب ومعرفة أمور السلطان ثم وصف له أحمد ابن أبي دواد قال انه جمع الى فقه أدبا وبيانا وعقلا فأرسل اليه وقلده المظالم ففعل ثم حل من المعتصم محلا عظيما لاختياره له أيام مقامه بمصر معه (ومنهم) الفضل بن سهل ذو الرياستين كان أهل بيته مجوسا وتجارا وصناعا فيهم الدهقان وبائع الخمر فبلغ به الادب الى أرفع الرتب (ذكر عنه) انه كان يتقلد

(تسعة) أشياء تحتاج الى تسعة لا تصلح الا بها ولا تحسن الا معها العقل محتاج الى التجارب والنجدة محتاجة الى الجد والحسب محتاج الى الادب والسرور محتاج الى الامن والقرابة محتاجة الى الصداقة والشرف محتاج الى التواضع والعمر محتاج الى الصحة والمال محتاج الى الكفاية والاجتهاد محتاج الى التوفيق (شروط) العلم تسعة العقل والمعانة والذكاء والشهرة والكفاف من العيش والفراغ وعدم الموانع وطول العمر ومعلم عارف سمح

(ومن الشعر)

بتسع ينال العلم قوت وصحة * وحرص وفهم ثاقب في التعلم
ودرس وحفظ للعلوم وهمة * وشرخ شباب واجتهاد معلم

(فصل عشرة)

(فمن الحديث الوارد عن النبي صلى الله عليه وسلم)

سهام الاسلام عشرة خاب من لا سهم له فيها أولها شهادة أن لا اله الا الله وهي الملة والصلاة وهي الفطرة والزكاة وهي الطهر والصيام وهو الجنة والحج وهو الشريعة والجهاد والامر بالمعروف والنهي عن المنكر والطاعة وهي العصمة والجماعة وهي الالفة والغسل من الجنابة وهي السريرة

(ومن الحكمة المأثورة عن السلف وغيرهم)

(عشرة) من أخلاق العاقل الحلم والعلم والرشد والعفاف والتعاون والحياء والرزانة والمداومة على الخير وكراهية الشر وطاعة الناصح (مكارم) الاخلاق عشرة العقل والدين والعلم والحلم والصبر

بسيفين أحدهما أحمر الجفن مكتوب عليه رياسة الحرب والآخر أسود الجفن مكتوب عليه
رياسة التدبير ولهذا سمي ذو الرياستين وصحب الفضل المأمون في حداثته أيام أبيه الرشيد
وهو مجوسي فغلب عليه وحمله على ايثار الادب وطلب الحكمة وكان الفضل يتم بأحكام
النجوم فأخبره انه يرى في طالعه أنه يلي الخلافة سلما وان تدبيره بعد عنه شرقا وغربا فبلغ
الرشيد شأنه وخبره فهدر دمه فاستتر حينا ثم بدا له أن يظهر فأتى الرشيد وهو في ابلق فمثل
بين يديه وهو يقول أعوذ يا أمير المؤمنين برضاك من سخطك واعترف بالذنب واسلم لله
على يديك فقال الرشيد من هذا قالوا المجوسي الذي هدرت دمه فقال قد وهبنا لك دمك اذ
أسلمت له فاياك ومعاودة ما بلغنا عنك (ومنهم) محمد بن عبد الملك الزيات قال له العلاء بن
أيوب يوما وقد دارت بينهما محاورة في مناظرة ليس هذا كيل الزيت ولا عد ... فقال له
أبالتجارة تعيرني قد كنت تاجرا وكنت متأخرا فقدمني الله بالادب واصارني بعد التجارة الى
الوزارة وليس المعيب من كان خسيسا فارتفع وانما هو من كان شريفا فاتضع ولو كنت
عاملتك معاملة الفضل بن سهل وأذللتك كما أذلك لم تتقدم على مثل هذا القول الذي لم
تفعله فقد كنت تدخل دار الخلافة تلوذ بالجدران وتتبع الافياء ناكس الرأس [illegible]
أطارف خوفا منه لكني رفعتك في المجلس فوق من هو أرفع منك وقدمتك على من هو
متقدم عليك فقال له العلاء مهلا انما قلت كلمة مقولة وتمثلت بمثل مضروب ولم اقصد به
فأما قولك اني كنت ألوذ بالجدران وأتبع الافياء خوفا من الفضل فقد كان ذلك ولكني لم
أكن أراك هناك وان أولى الناس أن لا يعير أحدا باستخفاف الفضل لانت فقال ابن
الزيات هذا شر من ذلك ونهض من مجلسه وقال احجبوه عني فكان العلاء يأتي ابن الزيات كل يوم
فيقف حتى ينصرف الناس ثم يمضي فلما رأى ابن الزيات صبره ودبه صلحه وقربه
(وأراد) العلاء بقوله فان أولى الناس أن لا يعير أحدا باستخفاف الفضل انت ان الفضل
رأى على بن الزيات سوادا فأمر بتمزيقه عليه وقال لا تتشبه بأصحاب السلطان وأرباب
المراتب ثم لم تطل مدة الايام والليالي حتى قلد ابن الزيات الوزارة وجلس الفضل بن سهل بين
يديه وكان ابن الزيات مليا بعلم الادب كما تماشاعر الا يشق في شيء منها غبار ولا تدرك
آثاره (يحكى) في سبب تقدمه بعد ان كان يتولى قهرمة الدار ويشرف على المطبخ انه ورد
على المعتصم كتاب البريد يخبر فيه ان بلاد الجبل نزل بها مطر عظيم كثر منه الكلأ فقال
المعتصم لاحمد بن عمار وكان متقلد العرض عليه ما الكلأ قال لا أدري فقال المعتصم انا لله
وانا اليه راجعون أخليفة أمي وكاتب عامي ثم قال من يقرأ الكتاب ويعرف ... فقيل محمد بن
عبد الملك الزيات فطلبه فلما مثل بين يديه قال له ما الكلأ قال النبات كله رطبه ويابسه
فالرطب خاصة يقال له العشب واليابس خاصة يقال له الحشيش ثم اندفع في صفة النبات
من ابتدائه الى انتهائه فهذا هو السبب لما ذكرناه

﴿ومن ممادح أهل هذه الصناعة الآخذين أعنة الفصاحة والبراعة﴾

وصف مسلم بن بلال بني العباس وقد سئل عنهم فقال أولئك قوم بنور الخلافة يشرقون
وبلسان النبوة ينطقون (ومدح) خالد بن صفوان رجلا ببراعة المنطق فقال كان والله جزل
الالفاظ عذب مقال اللسان فصيح مأخذ البيان رقيق حواشي الكلام بليل الريق قليل
الحركات ساكن الاشارات (ومدح) اعرابي رجلا فقال فلان أخذ بزمام الكلام فقاده
أسهل مقاد وساقه أجمل مساق فاسترجع به القلوب الجامحة واستصرف به الابصار الطامحة
(ووصف) ابن المقفع بليغا فقال ما زالت ينابيع حكمته تترقرق في مغاني الألباب حتى

والصدق والشكر والجود والرفق
واللين

﴿ومن الشعر﴾

ان المكارم أخلاق مطهرة
فالعقل أولها والدين ثانيها
والعلم ثالثها والحلم رابعها
والصبر خامسها والصدق سادسها
والشكر سابعها والجود ثامنها
والرفق تاسعها واللين عاشيها
والنفس تعلم من عيني محدثها ان
كان من حزبها أو من أعاديها
واست محري في حا. أصدقها
ولا أرى لرشد الاحين أعصيها

(وقد) ضرب بعض الحكماء مثل
الحكمة والحكيم الذي يلقيها الى
القلوب فقال ان الباذر خرج
ببذره الطيب ليبذره فنثره فوقع
بعضه في أرض محجرة بل في
جنبات الطريق فلم يلبث ان
اختطفه الطير فذهب به ووقع
بعضه في أرض محجرة الا أن عليها
ندى وطين فرسخ البذر في ذلك
الندى والطين ونبت شيأ حتى اذا
وصلت عروقه الى الحجر لم يجد
مساغا ينفذ فيه فتاف وفسد ويبس
ووقع بعضه في أرض رخوة الا ان
فيها شوكا نابتا فنبت حتى اذا كان
عند الاثمار خنقه الشوك فلم يأت
بثمره ووقع بعضه في أرض طيبة
نقية ليست على ظهر طريق
ولا على حجر ولا فيها شوك فنما
وطاب وزكا ونبت وأثمر فجاءت
الحبة باضعاف مضاعفة ثم فسره
فقال فالباذر هو الحكيم الزارع
الحكمة في القلوب وبذره الطيب
هو حكمته وموعظته الحسنة التي
يلقيها الى القلوب والقلوب في
تلقي ذلك منقسمة الى الاقسام
الاربعة المذكورة فمنها قاسي
الذى اذا سمع الحكمة لم تعقد

اعشبت

أعشبت بها القلوب عقولا (وقد) ألم بهذا المعنى المتنبي في قوله

نطق اذا ما القول حط لثامه * اعطى بمنطقه القلوب عقولا

(ولأبي اسحق الصابي في الوزير أبي محمد المهلبي رحمه الله تعالى)

قل للوزير أبي محمد الذي * قد أعجزت كل الورى أوصافه
لك في المحافل منطق يشفي الجوى * ويسوغ في أذن الأريب سلافه
فكأن لفظك لؤلؤ متنخل * وكأنما آذاننا أصدافه

(قيل) فلان اذا أنشأ وشى واذا عبر حبر فلان اذا أنشأ انتثرت زهرات الآداب من عذوبة لسانه واذا أنشد حرك ذا الوقار طربا باحسانه لله در فلان ما أبسط لسانه وأطول عنانه وأفصح بيانه وأجود افتنانه

(أبو عبادة البحتري يصف بليغا)

حكم فسائحها خلال بنانه * متدفق وقليبها في قلبه
كالروض مؤتلفا بحمرة نوره * وبياض زهرته وخضرة عشبه
وكأنها في السمع معقود بها * شخص الحبيب بدا لعين محبه

(ولبعض شعراء العصر)

مقال تفديه أوائل وائل * وتفديه أحقابا أعارب يعرب
هو الزهر الغض الذي في كمامه * أو اللؤلؤ الرطب الذي لم يثقب

آخر قول هو الماء الزلال لمطعمه * وكل قول سواه كالزبد

(وقال) حسان بن ثابت رضي الله عنه

اذا قال لم يترك مقالا لقائل * بملتقطات لا ترى بينها فصلا
كفى وشفى ما في النفوس ولم يدع * لذي اربة في القول جدا ولا هزلا

(آخر) كلام كوقع القطر في المحل يشتفي * به من جوى في باطن القلب لاصق

(الفصل الثاني من الباب الخامس)

(فيما يحلى به ألباب الادباء من بلاغات الكتاب والخطباء)

ولنورد امام هذا الفصل نبذة يسيرة في حد البلاغة وأقسامها والطريق الذي يوصل سلوكه الى معرفة نقصها وتمامها (قال لعتابي) واسمه كلثوم بن عمر والبلاغة اظهار ما غمض عن الحق وتصوير الباطل في صورة الحق (وقال) علي بن عيسى الرماني أبلغ الكلام ما حسن ايجازه وكثر اعجازه وتساوت صدوره وأعجازه (وقالوا) البلاغة ايصال المعنى الى القلب في أحسن صورة من اللفظ (وقيل) لبعض البلغاء من البليغ قال الذي اذا قال أسرع واذا أسرع أبدع واذا أبدع حرك كل نفس بما أودع (وقالوا) لا يستحق الكلام اسم البلاغة حتى لا يكون لفظه الى سمعك أسبق من معناه الى قلبك (وقال) عبد الحميد بن يحيى كاتب مروان الحمار البلاغة ما رضيته الخاصة وفهمته العامة

(والعرب سباق حلبة البيان * يعترف لهم بذلك فصحاء كل زمان)

قال بعضهم نحن أمراء الكلام فينا وشجت عروقه وعلينا تهدلت غصونه فنحن نجني منها ما احلولى وعذب ونترك ما املولح وخبث (وقال الجاحظ) ليس في الارض كلام هو أمتع ولا أنفع ولا آنق في الاسماع ولا أذود للطباع ولا أفتق للسان ولا أجود تقويما للبيان من كلام الاعراب الفصحاء العقلاء (وسئل) بعض البلغاء بما أشرف العرب أو العجم فقال

عليها القساوة فلم تثبت فيه ومنها قلب ظاهره دقة وباطنه قساوة فهو في أول سماع الحكمة يرق لها ويلتذ بسماعها ويحن الى ذلك بتلك الرقة الظاهرة على قلبه ولا يعقد عليها بعزم لقساوته ومنها قلب يسمع الحكمة ويحبها ويحب العمل بها الا انه قلب قد امتحن بلصوق الشهوات به حتى صارت له طباعا فاذا عزم على العمل بما سمع اعترضت له تلك الشهوات فمنعته من اقامة وظائفها وأفسدت عليه ما سمع فاختلط عليه أمره ولم يتم له مراده ومنها القلب النقي الصافي العالم بفضل الحكمة المؤثر لها الذي لا همة له في غيرها ولا شغل له الا بها ولم تعلق به شهوة تناقضها ولا داء يقطعه عنها فهذا القلب الذي تنمي فيه الحكمة ايمانا وفهما وحفظا وعلما وقولا وعملا وتبلغ به الى أفضل العواقب وأعلى المراتب (القسم الثاني في السودد والمروءة ومكارم الاخلاق ومداراة الناس والتأدب معهم في حالي الغنى والاملاق) (اعلم) انه يجب على الانسان أن يتخلق بالاخلاق الموجبة للسيادة ويعتني في طلب المكارم والمجادة وأن لا يشتغل عنها بسواها ولا يصرف همته الى ما عداها (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم) من أسرع به عمله لم يبطئ به حسبه ومن أبطأ به عمله لم يسرع به حسبه (قال) حكيم لحكيم ما السودد فقال اصطناع العشيرة واحتمال الجريرة قال فما الشرف فقال كف الاذى وبذل الندى قال فما السناء فقال استعمال الادب ورعاية الحسب قال فما المجد فقال احتمال المغارم وابتناء المكارم

لعرب أحلى وأحلم وأعلى وأعلم وأقوى وأقوم وأنكى وأنكر وأذكى وأذكر وأقبل وأعطف وأحصى وأحصف وأبلى وأبلغ وأحمى وأسمح وأشرى للفخار وأشرف وأنفى للعار وآنف (وسأل كسرى) الحرث بن كلدة لما وفد عليه ما الذي يحمد من أخلاق العرب ويحفظ من مذاهبهم فقال لهم أنفس سخية وقلوب جرية وعقول صحيحة وأنساب صريحة يمرق الكلام من أفواههم مروق السهم من الرمية أعذب من الماء وأرق من الهواء يطعمون الطعام ويضربون الهام عزهم لا يرام وجارهم لا يضام ولا يروع اذا نام

﴿فن وشائع ألفاظهم البارعة * وبدائع معانيهم الرائعة﴾

ما يحكى ان اعرابيا قال عند ضجره في طلب الرزق والله لقد تقلبت بي الاسباب وقرعت جميع الابواب واضطربت غاية الاضطراب وسافرت حتى بلغت منقطع التراب وعنيت من الغنيمة بالاياب فما رأيت الحرمان الا فائضا والنجح الا غائضا * واعترضت اعرابية المنصور بطريق مكة بعد موت السفاح فقالت يا أمير المؤمنين قد أحسن الله اليك في الحالتين وأعظم عليك النعم في المنزلتين سلبك خليفة الله وأفادك خلافة الله فاحتسب عند الله ما سلبك واشكر له ما منحك (ووقف اعرابي) على قوم يسألهم فقال يا أرباب الوجوه الصباح والعقول الصحاح والصدور الفساح والنفوس السماح والألسن الفصاح والمكارم الرباح هل فيكم من يسمع كلامي فيعذرني من مقامي (ووقف اعرابي) بقوم فقال يا قوم أشكو اليكم زمانا كلح لي بوجهه وأناخ علي بكلكله بعد نعمة من المال وثروة من المال وغبطة من الحال اعتورتني حدده بنبال مصائبه عن قسي نوائبه فما ترك لي ثاغية أجتدي ضرعها ولا راغية أرتجي نفعها فهل فيكم معين على صرفه أو معد على حيفه فردوا عليه ولم ينيلوه شيأ فولى عنهم وهو يقول

قد ضاع من يأمل من أمثالكم * جودا وليس الجود من أفعالكم
لا بارك الله لكم في مالكم * ولا أزاح السوء عن عيالكم
فالموت خير من صلاح حالكم

(ومن كلامهم) في الاوصاف وصف اعرابي امرأة فقال هي السقم الذي لا برء منه والبرء الذي لا سقم معه أسهل من الماء وأبعد من السماء (ووصف) آخر امرأة فقال كأنها الغزال يكونها الولاء انتقص منه وتم منه (وقال آخر) سقانا الحي وفيهم أدوية السقام فقرأن الحذاق السلام وخرست الالسن عن الكلام (قال آخر) خرجت حين انحدرت النجوم وشالت أرجلها فما زالت أصدع الليل حتى انصدع الفجر (وأرسل) اعرابي ولده في حاجة فرجع خائبا فسأل عن سبب خيبته فقال أنت سوق الظماء فبكت السماء وضحك البرق ونهق الرعد نخفت الهاطلة فرجعت (ووصف أعرابي مصيبة) فقال انها مصيبة تركت سود الرؤس بيضا وبيض الوجوه سودا (وقيل لبعض الاعراب) هل عندكم في البادية طبيب قال كلا ان حمر الوحش لا تحتاج الى بيطار (وقيل لاعرابي) كيف حالك فقال أمرق ديني بالذنوب وأرقعه بالاستغفار (وقيل لاعرابي) مالك من فلان قال وجه صبيح وصدر فسيح وقلب نصيح ونسب صريح وخلق سجيح وسعي نجيح ووعد مريح

﴿ملح من بدائع ألفاظ الكتاب الافاضل التي حلالة سحرها بحرام سحر بابل﴾

ولنورد امام ذلك كلاما في فضل الكتابة كافيا للكتاب من أدواء الجزل شافيا (قلت) الكتاب ساسة الملك وعماده وأركان تراره وأطواده بأقلامهم تبسط الارزاق وتقبض الآجال وبأحلامهم تصان المعاقل اذا عجز عن صونها الرجال (وقالوا) الكاتب مالك الملك

قال فما المروءة فقال عرفان الحق وتعاهد الصنيعة قال فما السماحة فقال حب السائل وبذل النائل قال فما الكرم فقال صدق الاخاء في الشدة والرخاء (قال بعض العلماء) الكرم هو اسم واقع على كل نوع من أنواع الفضل ولفظ جامع لمعاني السماحة والبذل فكل خصلة من خصال الخير وحلة من خلال البر وشيمة تعزى الى مكارم الأخلاق وسجية تضاف الى محاسن الطبائع والاعراق فهي واقعة على اسم الكرم فالكرم أبدا واقع على كل فعل من الافعال المرضية لازم لكل حال من الاحوال الجليلة السنية (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم) مكارم الاخلاق عشرة تكون في الرجل ولا تكون في ابنه وتكون في الابن ولا تكون في أبيه وقد تكون في العبد ولا تكون في سيده يقسمها الله تعالى لمن أراد به السعادة وهي صدق الحديث وصدق البأس وأن لا يشبع وجاره وصاحبه جوعان واعطاء السائل والمكافأة بالصنائع وحفظ الامانة وصلة الرحم والتذمم للصاحب وقرى الضيف وأسهن الحياء (ومن المنقول) في تأليفنا كمال البغية والنيل في باب حفظ السودد راجب على ذي النسب الشريف والمجد الرفيع ان لا يجعل ذلك سلما الى التراخي عن الاعمال الموافقة لنسبه والاتكال على آبائه فان أشرف الانساب يحض على أفضل الاعمال والشريف بهذا أولى اذ كان الشرف يدعو الى الشرف كما ان الحسن يدعو الى الحسن وأكثر الممدوحين انما مدحوا بأعمالهم

يصرفه بقلم الانشاء حيث شاء (وقالوا) لو أن فى الصناعات صناعة مربوبة لكانت الكتابة ربا لكل صناعة (وقالوا) الكتابة قطب الادب وفلك الحكمة ولسان ناطق بالفضل وميزان يدل على رجاحة العقل * وبالكتاب قامت السياسة والرياسة واليهم ألقى تدبير الاعنة والازمة وعليهم يعتمد فى حصر الاموال وانتظام شتات الاحوال (شاعر)

قوم اذا أخذوا الاقلام عن غضب * ثم استمدوا بها ماء المنيات
نالوا بها من أعاديهم وان بعدوا * مالا ينال بحد المشرفيات

(آخر) قوم اذا خافوا عداوة امرئ * سفكوا الدما بأسنة الاقلام
ولضربة من كاتب ببنانه * أمضى وأنفذ من رقيق حسام

(قال ابن المقفع) الملوك أحوج الى الكتاب من الكتاب للملوك (ومن فضل الكتابة) ان صاحب السيف يزاحم صاحب القلم فى قلمه ولا يزاحمه الكاتب فى سيفه

﴿فمن موجز بلاغتهم ومعجز صياغتهم﴾

ما كتب به للنبى صلى الله عليه وسلم من كتاب أما بعد فكاننا فى الثقة بك منك وكأنك فى الرقة علينا منا لا نالم نرجك فى أمر الا نلناه ولا نخفناك عليه الا أمناه (ومن بليغ مكاتبتهم) ما كتب به يزيد بن الوليد الى مروان بن محمد وقد بلغه تلكؤه فى بيعته اما بعد فانى أراك تقدم رجلا وتؤخر أخرى فاذا أتاك كتابى هذا فاعتمد على أيهما شئت والسلام (ومنها) ما كتب به عبد الحميد لرجل بالوصاية على انسان حق موصل هذا الكتاب اليك كحقه على اذ رآك موضعا لامله ورآنى أهلا لحاجته وقد أنجزت حاجته فحقق أمله (ومنها) ماذكر ان المأمون قال لعمرو بن مسعدة اكتب الى عاملنا فلان كتاب عناية بانسان فى سطر واحد فكتب هذا كتاب واثق بمن كتب اليه معتن بمن كتب له ولن يضيع بين الثقة والعناية حامله (ومن بدائعها) ما كتب به أبو بكر الخوارزمى جوابا عن هدية وصلت التحفة ولم يكن لها عيب الا ان باذلها مسرف فى البر وقابلها مقتصد فى الشكر والسرف مذموم الا فى المجد والاقتصاد محمود الا فى الشكر والحمد (وكتب) ابن العميد الى محمد بن يحيى يستعطفه من رسالته وما احسبنا اشتركنا الا فى الاسم فقط وشتان بين محمد ومحمد فلو كنا السماكين لكنت الرامح وكنت الاعزل ولو كنا النسرين لكنت الطائر وكنت الواقع ولو كنا السعدين لكنت السعود وكنت الذابح اخذه من قول الفرزدق

وقد تلتقى الاسماء فى الناس والكنى * كثيرا ولكن لا تلاقى الخلائق

(وكتب) ابو الفضل احمد بن الحسين الهمدانى بديع الزمان يستعطف ايضا انى خدمت مولاى والخدمة رق بغير اشهاد وناصحته والمناصحة للمودة أوثق عماد ونادمته والمنادمة رضاع ثان وطاعمته والمطاعمة نسب دان وسافرت معه والسفر والاخوة رضيعا لبان وقمت بين يديه والقيام والصلاة شريكا عنان وأثنيت عليه والثناء من الله بمكان وأخلصت له والاخلاص مشكور بكل لسان (وكتب) أبو العيناء الى ابى الوليد يستجديه مسنا واهلنا الضر وبضاعتنا الود والشكر فان لم تعطنا فلسنا ممن يلمزك فى الصدقات فان اعطوا منها رضوا وان لم يعطوا منها اذا هم يسخطون * وابو العيناء كما قال فيه محمد بن مكرم وقد سئل عنه من زعم ان عبد الحميد اكتب من ابى العيناء اذا احسن كرم اوشرع فى طمع فقد ظلم (وبعث) ملك الروم الى المعتصم كتابا يتوعده فيه ويتهدده وأمر الكتاب ان يكتبوا جوابه فكتبوا فلم يعجبه مما كتبوا شيأ فقال لبعضهم اكتب بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فقد قرأت كتابك وفهمت خطابك والجواب ما ترى لا ما تسمع وسيعلم الكافر

دون أنسابهم (وقد قال الشاعر) فى هاشم بن عبد مناف وهو امام ذوى الانساب

عمرو لذى هشم الثريد لقومه
ورجال مكة مسنتون عجاف

فقدمه بفعله وان كان ثم يعارفيه (واعلم) أن الناس أشد تحفظا على السيد الشريف فى قومه وأكثر اجتلاء لافعاله وتصفحا لاخلاقه وتنقيرا عن خصاله منهم عن خامل لا يعبأ به وساقط لا يكترث اليه فيسير عيب الرجل الجليل يقدح فيه وصغير الذنب يكبر منه (قال بعضهم) وشرف الوالد جزء من ميراثه منتقل الى ولده كانتقال ماله فان رعى وحرس ثبت وازداد وان أهمل وضيع هلك وباد وكذلك شرف الولد يعم القبيلة وللوالد منه الحظ الاكبر والقسم الاوفر (قال أبو على) حسن بن رشيق والذى يقع عليه الاختيار عندهم قول المتوكل الليثى

انا وان أحسابنا كرمت
لسنا على الاحساب نتكل
نبنى كما كانت أوائلنا
تبنى ونفعل مثل ما فعلوا

(وقول عامر بن الطفيل)

وانى وان كنت ابن سيد عامر
وفارسها المشهور فى كل موكب
فما سودتنى عامر عن وراثة
أبى الله أن أسمو بام ولا أب
ولكننى أحمى حماها وأتقى
أذاها وأرمى من رماها بمقنب

(وأنشد) أبو حيان للمنصور أبى عامر محمد بن أبى عامر المعافرى

وانى لمقتاد الجيوش الى الوغى
اسودا تلاقيها اسود حواذر
اسدت بنفسى أهل كل سيادة
وفاخرت حتى لم أجد من أفاخر
وما شدت بنيانا ولكن زيادة

لمن عقبى الدار (ومن محاسن لطائفهم) ما حكى ان الرشيد قال ليحيى بن خالد انى أردت أن أجعل الخاتم الذى فى يدى الفضل الى جعفر فاحتشمت منه فاكفنيه فكتب يحيى الى الفضل قد أمر أمير المؤمنين أعلى الله قدره وأنفذ أمره أن ينقل خاتمه من يمينك الى شمالك فأجاب الفضل قد سمعت ما قال أمير المؤمنين فى أخى وما انتقلت عنى نعمة صارت اليه ولا غربت عنى رتبة طلعت عليه فانظر الى هذه المآثر والمكارم التى هى للسماء غرر وللثغور مباسم (ومن ملحهم) ما كتبه أبو العبر وهو أحمد بن محمد بن عبد الله الهاشمى تقليدا لابى الفضل يا أبا الفضل وفقك الله وسددك والى كل خير أرشدك وليتك خراج ضيع الهواء ومساحة الفضاء وكيل ماء الانهار وعدورق الاشجار وطراز الاوبار وصدقات اليوم والشوم بين الهندوالروم وأجريت لك من الارزاق ما يقوم باودك فى الانفاق بعض أهل حمص لاهل العراق وأمرتك أن تجعل عيالك بنيسان واصطبلك بهمدان ومطبخك بحران وبيت مالك بسجستان وديوانك ببغانه ومجلسك بفرغانه وخلعت عليك خفى حنين وقميصا من شين وسراويل من دين وعمامة من سخنة عين وحملتك على حمار مقطوع الذنب والاذنين مكسور اليدين والرجلين مدر فى عملك كل يوم مرتين واحمد الله على ما أعطيناك وقابلنا بالشكر على ما نوالنا.

ولنذكر من كلام الخطباء ذوى البراعة واللسن ما كان ذا لفظ بديع
ومعنى حسن بعد أن نورد فى شرف الخطابة والخطباء
كلاما يمتزج بالقلوب امتزاج الماء بالصهباء

قال الله تعالى فى حق داود عليه السلام مبينا عن شرف ما أجزل له فى العطاء وأطاب وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب (ذكر) أن فصل الخطاب هو أما بعد فى الخطبة وانه أول من قالها * وقالت العرب ان أول من قالها قس بن ساعدة الايادى * وأول من خطب لقمان بعد داود عليه السلام وبه يضرب المثل فى الحكمة والموعظة الحسنة (وفى الحديث) ان شعيبا خطيب الانبياء (وفى المثل) أخطب من قس هو قس بن ساعدة الايادى ولاياد وتميم شرف ليس لاحد من العرب لان النبى صلى الله عليه وسلم روى كلام قس وموعظته بعكاظ وهذا استناد تعجز عنه أمانى الرجال وتنقطع دونه الآمال وبذلك كان خطيب العرب ناطبه (وأما تميم) فان النبى صلى الله عليه وسلم سأل عمرو بن الاهتم عن الزبرقان واسمه حصين بن بدر فاجابه بكلام مدحه فيه بما فيه فلم يرض الزبرقان باقتصاره على ما قال ورأى أنه غض منه وانها حسده لا تقل فقال فى الحالة الراهنة كلاما ذمه فيه بما فيه وصدق فى الاول ولم يمن فى الثانى فعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم لسرعة فهمه وتحريه الصدق فى مدحه وذمه وقال فى وصف كلامه ما هو به أحرى عطفا على قوله لبيد ان من الشعر لحكما وان من البيان لسحرا قال قيس بن عاصم يمدح قوما بالخطابة

خطباء حين يقوم قائلهم * بيض الوجوه مصاقع لسن

(وقال آخر يفتخر بقومه فى المعنى)

وانى من قوم كرام أعزة * لاقدامهم صيغت رؤس المنابر

(وقال) أبو العباس الاعمى واسمه السائب بن فروخ مادحا لبنى أمية بالخطابة فى المعنى أيضا

خطباء على المنابر فرسان * ن عليها وقالة غير خرس
لا يعابون صامتين وان قا * لوا أصابوا ولم يقولوا بلبس

(والخطابة) جزالة اللفظ وشدة المعارضة (وقال الجاحظ) رأس الخطابة الطبع وعمودها الدربة

على ما بنى عبد الملك وعامر
رفعنا المعالى بالعوالى حديثة
وأورثناها فى القديم معافر

(ومن بديع) الافتخار بالسودد وحفظه قول السموءل بن عاديا

صفونا فلم نكدر وأخلص سرنا
اناثا أصابت حملنا وبعول
علونا الى خير الظهور وحطنا
لوقت الى خير البطون نزول
اذا سيد منا خلا قام سيد
قؤول لما قال الكرام فعول

(قال أبو على حسن بن رشيق) وقد أنكر قدامة أن يمدح الانسان بآبائه دون أن يكون ممدوحا بنفسه (قال) والذى ذهب اليه حسن وأنكر الجرجانى على أبى الطيب المتنبى قوله

ما بقومى شرفت بل شرفوا بى
وبنفسى فخرت لا بجدودى

(قال) وهذا معنى سوء يقصر بالممدوح ويغض من نسبه ويحقر من شأن سلفه وانما طريقة المدح أن يجعل الممدوح يشرف بآبائه والآباء تزداد شرفا به فيجعل لكل منهم فى الفخر حظا وفى المدح نصيبا (قلت) واذا كان هذا لا يجمل ولا يحسن فى الشعر ويعد نقصا فى معناه وهو من قبيل المجازات والتخيلات فكيف يجمل بالعاقل أن يرتضى ذلك حقيقة فى ذاته ويهمل تأديب نفسه ويدع اكتساب المحامد واقتناء المكارم اتكالا على حسب آبائه واعتمادا على كرم أسلافه ولو لم يسع آباؤه فى طلب المجد وكانوا كسالى عن ذلك لم يكن له بهم فخر ولا سمع لهم ذكر (قال) وما المرء لا حيث يجعل نفسه ففى صالح الاخلاق نفسك فاجعل (وقال بعضهم)

الدر به وجمالها عار وابه الكلام وحليها الاعراب وبهاؤها تخير اللفظ والمحبة مقرونة بالايجاز (وقال) ابن أبي دواد تلخيص المعاني رفق والاستعانة بالغريب عجز والتشادق بغض والنظر في عيون الناس عي ومس اللحية هلك والخروج مما بني عليه أول الكلام اسهاب

ولرسول الله صلى الله عليه وسلم الخطب التي حكمت فصاحتها بالعي لقس وافهه هة لسحبان وجعت خاشئة عن مجاراتها في ميدان البلاغة سوابق الاذهان غير أنا نوردمنها في هذا المكان قطرة من سحابها الصائب لصيب الغرض المقصود واصابة الهدف السهم الصائب

(خطب) عليه الصلاة والسلام فقال أيها الناس ان لكم معالم فانتهوا الى معالمكم وان لكم نهاية فانتهوا الى نهايتكم الاوان المؤمن بين مخافتين بين أجل قد قضى لا يدري ما الله صانع فيه وبين أجل قد بقي لا يدري ما الله قاض فيه فليأخذ العبد من نفسه لنفسه ومن دنياه لآخرته ومن الشبيبة قبل الهرم ومن الحياة قبل الموت فوالذي نفس محمد بيده ما بعد الموت مستعتب وما بعد الدنيا دار الا الجنة أو النار فيالها كلمات لو صادفت سمعا واعيا وقلبا لجناب الله داعيا (وخطب) أبو بكر الصديق رضي الله عنه عند موت النبي صلى الله عليه وسلم وقد غشي المسلمين بمصيبتهم به ما غشيهم فقال أيها الناس من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات ومن كان يعبد الله فان الله حي لا يموت ان الله اختار لنبيه ما عنده على ما عندكم وقبضه الى ثوابه وخلف فيكم كتاب الله وسنته فمن أخذ بهما عرف ومن فرق بينهما أنكر ثم تلى وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل الاية ثم قال أشهد أن الكتاب كما انزل وان الحديث كما حدث وان الله حي لا يموت وانا لله وانا اليه راجعون * وكان اذا فرغ من خطبته يقول اللهم اجعل خير زماني آخره وخير عملي خواتمه وخير أيامي يوم لقائك (وكان عمر) يقول آخر خطبته اللهم لا تدعني في غمرة ولا تأخذني على غرة ولا تجعلني من الغافلين (وخطب) علي رضي الله عنه فقال أما بعد فان الدنيا قد آذنت بوداع وان الاخرة قد أقبلت وأشرفت باطلاع وان المضمار اليوم وغدا السباق فاعملوا لله في الرغبة كما تعملون له في الرهبة وان أخوف ما أخاف عليكم اتباع الهوى وطول الامل (وخطب) معاوية رضي الله عنه في يوم شديد الحر فقال بعد التحميد ان الله خلقكم فلم ينسكم ووعظكم فلم يهملكم فقال يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وانتم مسلمون (وخطب) يزيد بن معاوية بعد موت أبيه فقال الحمد لله ما شاء صنع من شاء أعطى ومن شاء منع ومن شاء خفض ومن شاء رفع ان أمير المؤمنين معاوية كان حبلا من حبال الله تعالى مده ما شاء أن يمده ثم قطعه حين أراد قطعه وكان دون من قبله وخير من بعده ولا أزكيه عند ربه وقد صار اليه فان يعف عنه فبرحمته وان يعاقبه فبذنبه وقد وليت الامر بعده ولست اعتذر من جهل ولا آسى على طلب علم وعلى رسلكم اذا كره الله شيأ غيره واذا أراد أمرا يسره (خطب) سليمان بن عبد الملك فقال ألا انما الدنيا دار غرور ومنزل باطل تضحك باكيا وتبكي ضاحكا وتخيف آمنا وتؤمن خائفا وتفقر مثريا وتثري فقيرا اعلموا عباد الله أن هذا القرآن يجلو كيد الشيطان كما يجلو ضوء الصبح اذا تنفس ظلام الليل اذا عسعس (وخطب) عمر بن عبد العزيز فقال أيها الناس أصلحوا سرائركم تصلح لكم علانيتكم وأصلحوا دنياكم تصلح لكم آخرتكم وان امرأ ليس بينه وبين آدم أب حي لعريق في الموتى وكان يقول في آخر خطبته اللهم ان ذنوبي عظمت عن أن

تزين الفتى اخلاقه وتشينه وتذكر افعال الفتى حيث لا يدري الافعال المحمودة والاخلاق الجميلة توجب السودد والرياسة والافعال المذمومة والاخلاق الدنيئة تمنع من ذلك (وقد) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يحب معالي الاخلاق ويكره سفسافها (قال الامام) ابو بكر الطرطوشي واعلم ان زهر الفضائل وحسن المناقب وبهاء المحاسن وما ضاد ذلك من قبح المثالب وفحش الرذائل كل ذلك يظهر عليك ويعظم منك بقدر ما اوتيته من علو المنزلة وشرف الخطوة فيكون حسنك احسن ما يكون وقبحك اقبح (قلت) فيجب على المرء ان يجهد نفسه في الاقتداء بصالح سلفه ويرغب الى الاعمال اللائقة بمجده وشرفه وينافس في المعالي ويسارع الى المكارم ليحفظ مزية آبائه الرفيعة لا ان يجعل تلك المزية للتقصير ذريعة (قال ابو الطيب)

ولم أر في عيوب الناس عيبا
كنقص القادرين على التمام

(وقال ابن المعلى لابنه) تشبه بأهل الفضل تكن منهم وتصنع للشرف تدركه واعلم ان كل امرئ حيث يضع نفسه وحسبك الحديث الوارد من تشبه بقوم فهو منهم (قال بعضهم) اعلموا ان مجد كم الذي بناه آباؤكم متى لم تعمروه بافعالكم خرب وذهب (قال الشاعر)

المجد ان خان التليد طريفه
للمدعي مفر به خوان
حسب الفتى عار ابه الاثرى
الابكر تديمه يزدان

تحصى وهى صغيرة فى جنب عفوك فاعف عنى * وخطب فى زواج فقال الحمد لله ذى الكبرياء وصلى الله على سيدنا محمد خاتم الانبياء أما بعد فان الرغبة منك دعتك الينا والرهبة منا فيك أجابت وقد زوجناك على كتاب الله وسنة رسوله اما امساك بمعروف أو تسريح باحسان (وخطب) السفاح لما قتل مروان بن محمد وبويع فقال ألم تر الى الذين بدلوا نعمة الله كفرا وأحلوا قومهم دار البوار الآية ثم قال نكص بكم يا أهل الشام آل حرب وآل مروان ماذا يقول زعماؤكم يقولون ربنا هؤلاء أضلونا فآتهم عذابا ضعفا من النار اذا يقول الله وفاء بما وعد لكل ضعف ولكن لا تعلمون أما انا فقد غفرت لكم الزلة وبسطت لكم الاقالة وعدت بفضلى على نقصكم وبحلمى على جهلكم فليسكن روعكم ولتطمئن بكم داركم ولتعظكم مصارع أوائلكم فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا (وخطب) المنصور فقال أحمد الله حمده وأستعينه وأتوكل عليه وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله أيها الناس اتقوا الله فقام اليه رجل وقال أذكرك من ذكرتنا به وأنت فى ذكره يا أمير المؤمنين فقال المنصور مرحبا مرحبا لقد ذكرت جليلا وخوفت عظيما وأعوذ بالله أن أكون ممن اذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالاثم والموعظة منا بدت ومن عندنا خرجت وفى رواية قال سمعا وطاعة لمن سمع عن الله وذكر به وأعوذ بالله أن أذكر به وأنساه لقد ضللت اذا وما أنا من المهتدين ثم التفت الى الرجل وقال وأما أنت يا قائلها فوالله ما الله أردت بهذا ولكن ليقال قام فلان فقال فوعظ فعوقب فصبر فأهون بها من قائل لو كانت وأنا أنذركم أيها الناس أختها ان الموعظة الحسنة علينا نزلت وفينا أنبتت ثم قال رحم الله امرأ أنظر فى دنياه لآخرته فمشى القصد وقال القصد وجانب الهجر ثم أخذ قائم سيفه وقال ان بكم داء هذا شفاؤه وأنا زعيم لكم بشفائه فليعتبر عبد قبل أن يعتبر به فما بعد الوعيد الا الايقاع وانما يفترى الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله (وخطب) المأمون فى يوم عيد فقال أيها الناس عظم قدر الدارين وتباين جزاء العاملين وطالت مدة الفريقين الله الله انه الجد لا اللعب والحق لا الكذب وما هو الا الموت والبعث والميزان والحساب والصراط والقصاص والثواب والعقاب فمن نجا يومئذ فقد فاز ومن هوى فقد خاب الخير كله فى الجنة والشركله فى النار (ولله) هذه الكلمات ما أجلاها لصدا الذنوب وأجلاها وتعاى القلوب ولم تزل خلفاء بنى العباس يخطبون على المنابر فى الجمع والاعياد وآخر من فعل ذلك منهم الراضى (خطب العمال) قال الشعبى ما سمعت أحدا يتكلم لا تمنيت ان سكت مخافة أن يخطئ الا زيادا فانه كان لا يزداد اكثارا الا ازداد احسانا فخطب فقال أيها الناس لا يمنعكم سوء ما تعلمون أن تنتفعوا منا بأحسن ما تسمعون فان الشاعر يقول

اعمل بقولى وان قصرت فى عملى * ينفعك قولى ولا يضررك تقصيرى

كذا وقعت لى هذه الحكاية ثم وجدت بعد ذلك فى بعض التعاليق هذا البيت منسوبا للخليل بن أحمد ويجوز أن يكون الخليل أنشده متمثلا به والله أعلم وقال بعد انشاده البيت اسمعوا قولى هذا وعودوا فاغ على ما حملت وعليكم ما حملتم (وخطب) مصعب بن الزبير لما قدم العراق واليا عليه من قبل أخيه عبد الله فقال (بسم الله الرحمن الرحيم طسم تلك آيات الكتاب المبين نتلوا عليك من نبأ موسى وفرعون بالحق لقوم يؤمنون) وأشار بيده نحو الشام والحجاز والعراق (ان فرعون علا فى الأرض وجعل أهلها شيعا يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم ويستحيى نساءهم انه كان من المفسدين) وأشار بيده نحو الشام يريد عبد الملك بن مروان (ونريد أن نمن على الذين استضعفوا فى الأرض

ونجعلهم

وكفاه نبلا أن يكون لذاته
ان شال وزن قديمه رجحان
وأتم ذلك مفخرا ما طابقت
فى طيبهن اروسها الاغصان

(قال الامام أبو بكر بن أبى جمرة) وما أجدر بالاولاد الاقتداء بالآباء والاجداد اذ الشرف والمجد لا يكونان الا بالآباء يقال رجل شريف ورجل ماجد اذا كان له آباء متقدمون فى الشرف وأما الحسب والكرم فيكونان فى الرجل وان لم يكن له آباء كرام لهم شرف يقال رجل حسيب ورجل كريم بنفسه فينبغى للرجل أن يطلب خلال آبائه المحمودة ويتبعها ويتعلمها ويعلمها والاصل فى ذلك قوله صلى الله عليه وسلم ارموا بنى اسمعيل فان أباكم كان راميا (و) اذا كان هذا فى الرمى فما ظنك بغيره (قال الله تعالى) حاكيا عن الكريم ابن الكريم واتبعت ملة آبائى ابراهيم واسحق ويعقوب (وعلى) الجملة فقى معارج اللطف على مدارج السلف فخر الشرف وذلك معتبر فى النسب عند العجم والعرب (وفى الخبر) المرفوع من نعمة الله على الرجل أن يشبهه ولده (ذكر ابو عثمان الجاحظ) فى كتاب البيان والتبيين ان عمرو بن سعيد دخل على معاوية بعد موت أبيه عمرو ويومئذ غلام فقال له معاوية الى من اوصى بك أبوك يا عمرو قال ان أبى اوصى الى ولم يوص بى قال وبأى شئ اوصاك قال اوصانى ان لا يفقد اخوانه منه الا شخصه فقال معاوية لاصحابه ان ابن سعيد هذا الاشرف (قال الشاعر)

ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين ونمكن لهم في الارض) وأشار نحو الحجاز يريد أخاه عبد الله (ونري فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون) وأشار نحو العراق يريد أجناد عبد الملك (وكان الحجاج) من الفصحاء البلغاء (قال الشعبي) كنت ممن شاهده على المنبر ما رأيت أحدا أبين من الحجاج ان كان ليرقى المنبر فيذكر احسانه الى أهل العراق وصفحه عنهم واساءتهم عليه حتى أقول في نفسي اني لأحسبه صادقا واني لأظنهم كاذبين (خطب) فقال أما بعد فان الله كتب على الدنيا الفناء وكتب على الآخرة البقاء ولا بقاء لما كتب عليه الفناء ولا فناء لما كتب عليه البقاء فلا يغرنكم شاهد الدنيا عن غائب الآخرة واقصروا طول الامل بقصر الاجل قال الشعبي كلام حكمة خرج عن قلب خرب (وخطب) سليمان بن علي بالعراق لما قتلت الامويون فقال ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الارض يرثها عبادي الصالحون ان في هذا البلاغا لقوم عابدين قضاء مبرم وقول فصل وما هو بالهزل الحمد لله الذي صدق عبده وأنجز وعده وبعدا للقوم الظالمين الذين اتخذوا الكعبة غرضا والفيء ارثا وجعلوا القرآن عضين لقد حاق بهم ما كانوا به يستهزؤن فكأين من قرية أهلكناها وهي ظالمة فهي خاوية على عروشها وبئر معطلة وقصر مشيد ذلك بما قدمت أيديهم وأن الله ليس بظلام للعبيد أمهلوا والله حتى نبذوا الكتاب والسنة واعتدوا واستكبروا وخاب كل جبار عنيد ثم أخذتهم فكيف كان نكير فهل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزا (وخطب) داود أخوه بالمدينة فقال ايها الناس حتام يهتف بكم صريخا أما آن لراقدكم أن ينتبه كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون أغركم الامهال حتى حسبتموه الاهمال هيهات منكم وكيف بكم والسوط والسيف مشيم ثم أنشد

حتى تبيد قبيلة وقبيلة * ويعض كل مثقف بالهام
ويقمن ربات الخدور حواسرا * يمسحن عرض نواصي الايتام

قال الجاحظ داود وسليمان من أفصح خطباء بني هاشم كانا في البيان فرسي رهان الا أن داود أفتق لسانا وأروق بيانا وكان لا يتقدم في تحبير خطبة قط

(وواجب أن يكون بهذا الفصل لاحقا ذم من ظل بمستثقل التقعير ناطقا)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أبغضكم الي الثرثارون المتفيهقون قال أبو العباس محمد بن يزيد المبرد الثرثارون الذين يتكلمون بالكلام تكلفا وتجاوزا وخروجا عن الحد من قولهم نهر ثرثار لكثرة مائه والمتفيهقون نأكيد وهو مأخوذ من قولهم فهق الغدير يفهق اذا امتلا (وقال) بشر بن المعتمر اياك والتقعير فانه يسلمك الى التعقيد فتستهلك * نيلك ويمنعك من اصابة مراميك (وقال) بعض البلغاء أحذركم والتعمق في القول والتكلف وعليكم بمحاسن الالفاظ والمعاني المستخفة المستملحة فان المعنى المليح اذا كسي لفظا حسنا وأعاره البليغ مخرجا سهلا كان في قلب السامع أحلى ولصدره أملى (وقال) بعض الحذاق اياك والتقعير بين العامة فانه كاللحن بين الخاصة وما احسن قول أبي عمرو بن العلاء في نحو هذا المعنى

لعمرك ما اللحن من شيمتي * ولا انا من خطا اللحن
ولكنني قد قسمت الكلام * أخاطب كلا بما يحسن

(وقالوا) خير الكلام ما لم يكن عاميا سوقيا ولا عربيا وحشيا (وقال) أبو الاسود الدؤلي لولده يا بني اذا كنت في قوم فلا تكلمهم بكلام لم يبلغه سنك فيستثقلوك ولا بكلام هو دونك فيزدروك ويحتقروك

﴿فن بوارد نوادر المتقعرين وشوارد بوادر المتفيهقين﴾

ان القديم اذا ما ضاع آخره
كساعد فله الايام محطوم
(وقال مسلم بن الوليد)
واذا جهلت من امرئ أعراقه
وقديمه فانظر الى ما يصنع
(وقال ابن الرومي)
اذا شئت تعرف أصل الفتى
أجل لحظ طرفك في منظره
فان لم يبن لك فانظر الى
أفاعيله فهي من جوهره
وان غاب عنك بهذا وذا
فلا تطلبن سوى مخبره
فان المحاضر سبر الرجال
بها يعرف النذل من مخبره
بلوت الرجال وأخبارهم
فكل يعود الى عنصره
(وقال أبو الفتح كشاجم)
واذا افتخرت بأعظم مقبورة
فالناس بين مكذب ومصدق
فأقم لنفسك لا تسائلك شاهدا
بحديث مجدك القديم محقق
(قال بعض الحكماء) من جمع الى شرف أصله شرف نفسه فقد استدعى الفضل بالجملة ومن أغفل نفسه واعتمد على شرف آبائه فقد عقهم واستحق أن لا يقدم بهم على غيرهم (و) الافتخار نوعان فخر الانسان بنفسه وفخره بسلفه (و) الكمال في الجمع بين الامرين (قال الشاعر)
ما السودد المكسوب الادون ما
يومي اليه السودد المولود
فاذا هما اجتمعا تكسرت القنا
ان غرلبا وتضعضع الجلمود
(أما) فخر الانسان بنفسه فهو الذي تسميه العرب الخارجي يريدون انه خرج من أولية كانت له (قال كثير في الخارجي)
أبا مروان لست بخارجي
وليس قديم مجدك بانتحال

ما حكي عن أبي علقمة النحوي أنه هاج به الدم فأتي بحجام فقال يا هذا اشدد قصب الملازم وأرهف ظبة المشارط وأسرع الوضع وعجل النزع وليكن شرطك وخزا ومصك نهزا ولا تكرهن آتيا ولا تردن آبيا فقال له الحجام جعلت فداك ان هذه الصنعة لا أحسنها وهذه حرب لا أشب نارها ولا أشق غبارها الا بعمرو بن معديكرب . ثم تركه وانصرف ولم يحجمه (ومن أطرف ما ينسب اليه) ما يحكى عنه أنه هاج به يوما مرارة فسقط على وجهه وأقبل قوم يعصرون ابهامه ويؤذنون في أذنه ظنا منهم أنه مصروع فلما أفاق من غمرات غشيته رآهم محدقين به فقال ما لي أراكم تتكأكؤن علي تكأكؤكم على ذي جنة افرنقعوا عني فقال بعضهم لبعض دعوه فان جنيته تتكلم بالهندية (اشترى) اللغوي الجمل من الجباب جارية فوجدها ضيقة المسلك فقال يا جارية هل من بساق أو بزاق أو بصاق لان العرب تبدل السين صادا وزايا فقالت الجارية الحمد لله الذي لم يمتني حتى رأيت حرى قد صار ابن الاعرابي يقرأ عليه اللغة (وأتي) رجل بعض الولاة فقال أعز الله الامير ان لي ابن أخ أشرا بطرا فاذا اضطوى لي كل نكير رجعت الى عود فخبطته ورضضته فقطر وطمطن حتى فطن به فأحب عقوبته حتى ينتهي عن ذلك فأمر الامير باحضاره فلما مثل بين يديه قال له يا ابن أخي الم أطعمك ألذ الطعام ألم أسقك أطيب الشراب قال بلى يا عم قال ما لك والتعدي أضجعوه وجردوا عنقه وانقت اليه الشاب وقال والله يا عم لوقع السياط على بدني أحب الي من وقع كلامك في أذني فضحك الامير وأطلقه (أنشد) الحجاج واعرابي حضر عند الوليد بن عبد الملك

أمست الغانيات ترمي صدودا * وأراني للغانيات مصيدا

فقال الاعرابي للعباس بن الوليد تنح عنه لئلا تسقط عليك من فيه كلمة تتشدخ لها ومن أجل هذا النادر استثقل التقعير أهل الرشاقة في الالفاظ والحلاوة وقادوا أنفسهم الى اللطافة والطلاوة فقالوا متى كان اللفظ كريما في نفسه متخيرا في جنسه وكان سالما من التقعير والتعقيد حبب الى النفوس واتصل بالاذهان والتحم بالعقول وهشت له الاسماع وارتاحت اليه القلوب وخف على ألسنة الرواة وشاع في الآفاق ذكره (ومدحوا) التارك للتقعير فقالوا فلان لا يرضى بالتكلف مذهبا ولا يتخذ التصنع مركبا (وقالوا) فلان له ألفاظ لا يشوبها كدر العي ولا يطمس رونقها التكلف ولا يحوطها التشدق والتفيهق أعذب من الماء وأبعد من السماء

(الفصل الثالث من الباب الخامس)

(في ان معرفة حرفة الادب مانعة من الترقي الى الرتب)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ازداد الرجل حذقا في صنعة الا كان ذلك نقصانا من رزقه (وقالوا) المتقدم في الحذق متأخر في الرزق (وقالوا) حرفة الادب اعتصى بها من الجرب (وقالوا) الرزق عند ذوي الادب أروغ من ثعلب * ومن أمثال عوام بغداد جهل يعولني خير من عقل أعوله (وقال) الخليل بن أحمد اذا كثر الادب قل خيره واذا كثر خيره كثر ضيره (وقال) أبو بكر الخوارزمي في هذا المعنى

ان سرك حرمان * به تصبح مقليا

فكن ذا أدب جزل * وكن مع ذاك نحويا

* ويقال حرفة الادب لا تسلم من حرمانها أديب (وقالوا) التأديب تعذيب وأنشد الخليل ابن أحمد

ازدد من أدب حرمانا فرب به * ان الاديب حرمانه شؤم

وكل من كان خارجية ليس له قديم قيل له عصامي وكذلك من يفتخر بالآباء وليس بشريف في نفسه يقال له عظامي وله انشد قالوا كن عصاميا لا عظاميا أي افتخر بنفسك لا بآبائك الذين ماتوا وبقيت عظامهم (قلت) وهذا ترغيب في الافعال المحمودة والاخلاق الجميلة (و) هو الذي أراده أبو الطيب (بقوله)

ولست بقانع من كل فضل
بأن أعزى الى جد همام

وآنف من أخي لأبي وأمي
اذا ما لم أجده من الكرام

وعصام المذكور هو عصام بن شهبر حاجب النعمان الذي يقول فيه النابغة الذبياني

فاني لا ألام على دخول
ولكن ما وراءك يا عصام

(وفيه قيل)

نفس عصام سودت عصاما
وعلمته الكر والاقداما
وجعلته ملكا هماما

أي انه انما شرف بهمته وقدره لا بقديم كان له (قال المأمون) لرجل سمعه يفخر بنفسه أنت عظامي لا عصامي أراد المأمون قول الشاعر

نفس عصام سودت عصاما

(وقول الآخر)

اذا ما الحي عاش بعظم ميت
فذاك العظم حي وهو ميت

(ومن وصية الرشيد للمأمون) المذكور لا تتكل على أن تقول كان أبي الرشيد واعمل على ما يتكبر عليه من يقول كان أبي المأمون (وذكر أبو عثمان الجاحظ) ان زياد بن ظبيان التميمي قال لابنه عبيد الله بن زياد وزياد يومئذ يجود بنفسه وعبيد الله غلام

ان المقدم في حذق بصنعته * أنى توجه فيها فهو محروم

(وقال ابن رشيق)

أشقى بجدك أن تدعى أديبا * أو أن يرى فيك الورى تهذيبا
ان كان مستويا ففعلك أعوج * يوما وان أخطأت كنت مصيبا
كالفص ليس يبين معنى نقشه * حتى يكون بناؤه مقلوبا

(ابن طباطبا)

أليس عجيبا أنني مع تسببي * وشعري ما أعطيت حدا ولا جدا
واني اذا مازرت قوما مسلما * عجبت فظنوا أنني ابتغي رفدا
وقد طال افلاسي واحسب مثريا * فأصبحت لا يجدي علي وأستجدي

(آخر)

قالوا أديب وأين المال قلت لهم * قوسي بلا وتر سهمي بلا فوق
من لا يكون له جد يساعده * تكون آدابه كالنفخ في البوق

(ولما) خلع المقتدر وبويع عبد الله بن المعتز بن المتوكل ولقب المرتضى بالله أدركته حرفة الادب فلم يقم في الخلافة غير يومين ثم اضطرب حبله وهطل عليه طل الحرمان ووبله فهرب الى دار ابن الجصاص التاجر واختفى عنده ثم أخرج منها الى القضاة والشهود العدول ميتا بعد أيام يسيرة وذلك في يوم الخميس لليلتين خلتا من شهر ربيع الاول سنة ست وتسعين ومائتين فقال فيه ابن بسام من أبيات يرثيه بها

لله درك من ميت بمضيعة * ناهيك في العلم والآداب والحسب
ما فيه لولا ولا ليت فتنقصه * وانما أدركته حرفة الادب

(وقال) أبو عبيدة معمر بن المثنى قال لي أبي اذا كتبت كتابا فالحن فيه فان الصواب حرفة والخطأ نجح أخذه بعض الشعراء فنظمه في قوله

ان كنت يوما كاتبا رقعة * تبغ بها نجح وصول الطلب
اياك أن تعرب ألفاظها * فتكتسي حرفة أهل الادب

(وقال) أبو عبيدة من أراد أن يأكل الخبز بأدبه فليبك عليه البواكي (ولقد) أجاد أبو اسحق الصابي في قوله قد كنت أعجب من مالي وكثرته * وكيف تغفل عني حرفة الادب

حتى انثنت وهي كالغضبى تلاحظني * شزرا فلم تبق لي شيأ من النشب
واستيقنت أنها كانت على غلط * واستدركته وأدت بي الى الحرب
الضب والنون قد يرجى اجتماعهما * وليس يرجى اجتماع الفضل والذهب

﴿والسبب في حرمان الادباء موهبة الحظ وخمول الحكماء﴾

ما ذكره بعض المنصفين منهم في قوله ان ذا الادب لا يزال متسخطا على دنياه ذاما لحاله لما يرى من ميل الزمان للئامه وجهاله فهو لا يمدحهم لعلمه بقصورهم عن ادراك منظومه ولا يثاب اما بجهل ممدوحه واما من افراط بخله الناتج عن لومه (وقيل) للحسن البصري لم صارت الحرفة مقرونة بمن حمل العلم والادب شعارا واتخذوه من كساه الجهل والحمق عارا فقال ليس القول كما قلتم ولا الامر كما زعمتم ولكنكم طلبتم قليلا في قليل فأعجزكم طلبتم المال وهو قليل عند أهل العلم والادب وهم قليل ولو نظرتم لمن تحارف من أهل الجهل لوجدتموهم أكثر اقترارا والمال عنهم أشد نفارا (وقال) أبو الحسن علي المعروف بابن البنل متضجرا من الخمول

الدهر ضد ذوي الفضائل كلهم * حتى كأن عدوه من يفهم

يا بني الا أوصي بك الامير قال لا قال ولم قال اذا لم يكن للحي الا وصية الميت فالحي هو الميت (قال أبو العباس المبرد في كتاب الكامل) قال الكلبي قال لي خالد بن عبد الله القشيري ما تعدون السودد فقلت أما في الجاهلية فالرياسة وأما في الاسلام فالولاية وخير من ذا وذاك التقوى فقال لي صدقت كان أبي يقول لم يدرك الاول الشرف الا بالفعل ولا يدركه الآخر الا بما أدركه به الاول (وانتسب) رجل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بلغ عشرة آباء فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا حسب الا بالتواضع ولا نسب الا بالتقوى ولا عمل الا بالنية ولا عبادة الا باليقين (قال) الشاعر

لعمرك ما الانسان الا بدينه
فلا تترك التقوى اتكالا على
النسب
فقد رفع الاسلام سلمان فارس
وقد وضع الشرك الشريف ابا لهب

(وقال الراعي)

لا احد عروة الخلائق الا
الدين لما اختبرت والحسبا

(وقال منصور الفقيه)

اذا جمع الفتى حسبا ودينا
فلا يعدل به ابدا قرينا

(قال ابو عمرو بن العلاء) كان اهل الجاهلية لا يسودون الا من كانت فيه ست خصال وتمامها في الاسلام سابعة السخاء والنجدة والصبر والحلم والبيان والحسب وفي الاسلام زيادة العفاف (وقيل) لقيس بن عاصم بم سودك قومك قال بكف الاذى وبذل الندى ونصرة المولى (قال) وجيه الدين ابو المطاع بن حمدان

اذا لم تكن فيه خلائق اربع
يحسن الى العليا و يغضى على
القذى
و يسخو بما تحوى يداه و يشجع
(وقال الاشعث بن قيس) يوما
لقومه انما انا رجل منكم ليس
لى فضل عليكم لكنى ابسط لكم
وجهى وابذل لكم مالى واقضى
حقوقكم واحوط حريمكم فمن فعل
مثل فعلى فهو مثلى ومن زاد على
فهو خير منى ومن زدت عليه
فأنا خير منه قيل له يا ابا محمد
ما يدعوك الى هذا الكلام قال
حضهم على مكارم الاخلاق (قال)
رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثت
لاتمم مكارم الاخلاق (ولما) اتى
صلى الله عليه وسلم بسبايا طيئ
كانت فى السبايا جارية جميلة
فصيحة فقالت يا رسول الله بل يا محمد
هلك الوالد وغاب الرافد فان رأيت
ان تخلى عنى ولا تشمت بى أحياء
العرب فانى بنت سيد قومى كان
أبى يفك العانى ويحمى الذمار
و يقرى الضيف و يشبع الجائع
و يفرج عن المكروب ولم يردد
سائلا قط أنا بنت حاتم طيئ فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه
صفة المؤمن ولو كان أبوك مسلما
لترحمت عليه خلوا عنها فان أباها
كان يحب مكارم الاخلاق (ولما)
توفى عبد الله بن طاهر صلى عليه
ابنه طاهر بن عبد الله ودفنه وأعتق
عند كل زاوية من زوايا قبره قبه
من غلمانه وفعل ذلك اخوته ثم
كل رجل منهم الى كل غلام خمسمائة
درهم وكان عبد الله بن طاهر قد
خلف أربعين ولدا ذكرا فقال أبو
العميثل الاعرابى الشاعر
لمصعب بن عبد الله وكان مختص

لو كنت أجهل ما علمت لسرنى * جهلى كما قد ساءنى ما أعلم
كالصعو يرتع فى الرياض وانما * حبس الهزار لانه يترنم

(آخر) يطرى لاهل الفضل دون الورى * مصائب الدنيا وآفاتها
كالطير لا يحبس من بينها * الا التى تطرب أصواتها

(الخدلجى) قل عنى غناء عقلى ودينى * ودخولى فى العلم من كل باب
أدركتنى وذاك أعظم دائى * حسنات من حرفة الآداب

(آخر) قد عقلنا والعقل شر وثاق * وصبرنا والصبر مر المذاق
ان من كان فاضلا كان مثلى * فاضلا بعد قسمة الارزاق

وربما أعدت حرفة الادب أهل الوراقة
فأظلتهم منها سحائب الحرمان والفاقة

(قال) أحمد بن عبد الله بن حبيب المعروف بأبى هفان سألت وراقا عن حاله فقال عيشى
أضيق من محبرة وجسمى أدق من مسطرة وجاهى أوهى من الزجاج وحظى أشد سوادا
من العفص اذا خلط بالزاج وسوء حالى ألزم لى من الصمغ وطعامى أمر من الصبر وشرابى
أكدر من الحبر والهم والالم يجريان فى علة قلبى مجرى المداد فى شق القلم فقلت يا أخى
عبرت ببلاء عن بلاء فأنشد

المال يستر كل عيب فى الفتى * والمال يرفع كل وغد ساقط
فعليك بالاموال فاقصد جمعها * واضرب بكتب العلم وجه الحائط

(آخر) ان الوراقة والتفقه والتشاغل بالعلوم
أصل المذلة والاضافة والمهانة والهموم

(وأنشدت لابى النصر بن أبى الفتح كشاجم)

غبط الناس بالكتابة قوما * حرموا حظهم بحسن الكتابه
واذا أخطأ الكتابة حظ * سقطت تاؤه فصارت كآبه

(وقال) اسحق بن ابراهيم بن حمدويه المعروف بالحمدوى

ثنتان من أدوات علم قد ثنتا * عمان حظى عن مرامى من هم
وحبرت لى محابر الحبر محبرة * تذود عنى سوام المال والنعم
والعلم يعلم أنى حين آخذه * لعصمتى نادر خلو من العصم

(سمع) بعض محان الادباء رجلا يقول لا خير فى علم لا يدخل مع صاحبه الحمام فقال الدنيا
أنه متى لم يكن معه دانق يخرج به بقى رهنا (ابن صادة الاندلسى)

أما الوراقة فهى أنكد حرفة * أغصانها وثمارها الحرمان
شبهت صاحبها بابرة خائط * تكسو العراة وجسمها عريان

(وأنشد) أبو منصور عبد الملك بن اسمعيل الثعالبى فى اليتيمة لابى حاتم الوراق

* ان الوراقة حرفة هزلت * محرومة عيشى بها زمن
ان عشت عشت وليس لى أكل * أو مت مت وليس لى كفن

(وقال الشريف) أبو على بن الهبارية من قصيدته المخمسة التى أولها
حى على خير العمل * يذم الوراقه

بيا لرب المحبرة * يا ويله ما أدبره
وعيشه ما أكدره * ورزقه ما فتره

ان لم تصدقني فسل

(آخر) أدمى البكاعيني والمآقي * وظلت ذاهم وذا احتراق
ما ان أرى في الارض والآفاق * أزرى ولا أشقى من الوراق
اذا بدا في القمص الاخلاق * بفرح بالحبر والاوراق
كفرحة الجندي بالارزاق

(آخر) هربت من الوراقة مل شوطي * فردني الزمان الى الوراقه
وترك المرء حرفته فرارا * لامر ليس يدريه حماقه

﴿والسبب في حرمان ذوي النباهة فقدان أهل الفضل والوجاهة﴾

(يروى) ان عائشة بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما ذكرت يوما قول لبيد

ذهب الذين يعاش في أكنافهم * وبقيت في خلف كجلد الاجرب

وقالت لله أبوه ما كان أشعره لقد صدق قالوا وكيف يا أم المؤمنين قالت كان أحدهم اذا علم من أخيه خلة سدها من حيث لا يعلم ثم ذهب أولئك وجاء قوم كان أحدهم اذا علم من أخيه خلة سدها من حيث يعلم ثم جاء من بعدهم قوم اذا علم أحدهم من أخيه خلة أحب أن يسأله فاذا سأله أعطاه ثم جاء من بعدهم قوم اذا علم أحدهم من أخيه خلة أحب أن يسأله فاذا سأله منعه ثم بعد ذلك يفضحه فيقول جاءني فلان يسألني فلم أعطه ولله در القائل

لا يغرنك اللباس * ليس في الاثواب ناس
هم وان نالوا الثريا * بخلاء وخساس
كل من يدعى رئيسا * هو في الخسة راس
كم يد تصلح للقطع فتفدى وتباس

(آخر) علام تحركني والحظ ساكن * وما قصرت في طلبي ولكن
أرى نذلا تقدمه المساوي * على حر تؤخره المحاسن

بحظة لي حاجة لو أنها قضيت * لعشت في خير وظل ظليل
حياة من مات وموت الذي * ليس الى احيائه من سبيل

(دخل) بعض الظرفاء على يحيى بن خالد بن برمك وهو في السجن يريد زيارته فقال له ما تشتهي فقال أن أرى انسانا فأحذ الرجل المرآة وأراه وجهه فيها فشكر له ذلك ثم أنشده

ما أكثر الناس بل ما أقلهم * الله يعلم أني لم أقل فندا
اني لافتح عيني حين أفتحها * على كثير ولكن لم أرى أحدا

(وقيل) لسعيد بن المسيب وكان في عينيه ماء ألا تقدح عينيك فقال حتى أنظر بهما الى من

(ومثل ذلك) ما قاله أبو العيناء معتذرا عن عماه

قالوا العمى منظر قبيح * قلت بفقدي لكم يهون
والله ما في الانام حر * تأسى على فقده العيون

(وسأل رجل) من رجل حمارا عارية فخرج له كافا وقال له احمله على من شئت

(ومر رجل) بصديق له فرآه واقفا على الطريق فقال له ما وقوفك ههنا فقال

(وقيل لابي العيناء) هل بقي من يلقى فال نعم في البئر (ومر) ببعض السكك فسمع انسانا يريد العبث به فقال له أبو العيناء من أنت قال ابن آدم فأقبل يسلم عليه سلام مستوحش وقال عجب والله ما ظننت الا أن هذا النسل قد انقطع بشيراى شياعه من أهل زمانه

(وقال الشاعر)

بطاهر ويناديه ألا أدلك على شئ تفعله فتتقدم به سائر اخوتك عند الامير طاهر قال بلى فأنشده هذه الابيات وقال اكتب بها الى الامير

يا من يحاول ان تكون خلاله * كخلال عبد الله أنصت واسمع
فلاقصدنك بالنصيحة والذي * حج الحجيج اليه فاقبل أودع
ان كنت تطمع أن تحل محله * في المجد والشرف الاشم الارفع
فاصدق وعف وبر وانصر واحتمل * واحلم ودار وكاف واصبر واخشع
والطف ولن وتأن وارفق واتئد * واحزم وجد وحام واحمل وادفع
هذا الطريق الى المكارم مهيعا * فابصر فقد أسلكت قصد المهيع

فاستحسن طاهر الابيات وقال والله لقد أفدتني بما يجب به شكرك علي فقلده نيسابور وأعمالها ثلاث سنين وأكسبه ألف ألف درهم (وقد) جمعت هذه الابيات خلال المكارم وموجبات السودد وتفاريق المروءة (وكان) سلم بن نوفل سيد كنانة فوثب رجل على ابنه وابن أخيه فجرحهما فأتي به اليه فقال له من أمنك من انتقامي قال ما وداك الا أن تكظم الغيظ وتعفو عن الزلة وتحلم عن الجاهل وتحتمل المكروه قال صدقت وخلى سبيله (وفي) سلم هذا يقول الشاعر

نسود أقواما وليسوا بسادة * بل السيد المعلوم سلم بن نوفل

(قيل لعرابة الاوسي) بم سودك قومك قال باربع خلال انخدع لهم في مالي وأذل لهم في عرضي ولا أحقر صغيرهم ولا أحسد كبيرهم (وفي) عرابة الاوسي يقول الشاعر

الـمادحون اليوم اهل زماننا * أولى من الهاجين بالحرمان
ذهب الذين يهزهم مداحهم * هز الكماة عوالي المران
كانوا اذا امتدحوا رأوا ما فيهم * فالاريحية منهم بمكان

(وقال بشار بن برد) لقد عشت فى زمان وأدركت أقواما والاختلفت الدنيا ما تجملت الابهم وأنا الآن فى زمان ما أرى فيه عاقلا حصيفا ولا فاتكا ظريفا ولا ناسكا عفيفا ولا جوادا شريفا ولا خادما نظيفا ولا جليسا خفيفا ولا من يساوى على الخبرة رغيفا وأنشد

فما الناس بالناس الذين عهدتهم * ولا الدار بالدار التى كنت أعرف

(ابن الرومى)

أبست من دهرى ومن أهله * فليس فيهم احد يرتضى
ان رمت مدحا لم احد اهله * اورمت هجوا لم اجد عرضا

(وله)

قيل لى لم ذممت كل البرايا * وهجوت الانام هجوا قبيحا
قلت هب أننى كذبت عليهم * فأرونى من يستحق المديحا

(بعض العرب)

ذهب الذين اذا رأونى مقبلا * هشوا الى ورحبوا بالمقبل
وبقيت فى خلف كان حديثهم * ولغ الكلاب تهارشت فى المنزل

(ابن منير الطرابلسى)

قالوا هجرت الشعر قلت ضرورة * باب الدواعى والبواعث مغلق
فسد الزمان فلا كريم يرتجى * منه النوال ولا مليح يعشق

(ابن الهباريه)

خذ جملة البلوى ودع تفصيلها * ما فى البرية كلها انسان
واذا البيادق فى الدسوت تفرزنت * فالرأى ان تتبيذق الفرزان

﴿الباب السادس فى العى وفيه ثلاثة فصول﴾

﴿الفصل الاول من هذا الباب﴾

﴿فيما ورد عن ذوى النباهة فى ذم العى والفهاهة﴾

قال الله تعالى أومن ينشأ فى الحلية وهو فى الخصام غير مبين (وقال الله تعالى) حكاية عن فرعون عن موسى بالبيان فى قوله أم أنا خير من هذا الذى هو مهين ولا يكاد يبين ذكر أهل التفسير أن موسى عليه السلام لما سمع هذا القول من فرعون قال رب اشرح لى صدرى ويسر لى أمرى واحلل عقدة من لسانى يفقهوا قولى فاستجاب الله دعاءه وسمع نداءه فقال قد أوتيت سؤلك يا موسى وحل الله ملك العقدة وأطلق لك الحبسة (حد العى) قالوا هو معنى قصير يحويه لفظ طويل (وقال) أكثم بن صيفى هو أن تتكلم فوق ما تقتضيه حاجتك (وقالوا) العى الناطق أعيى من العى الساكت لان المفهم يأتى بما لا يرضاه ويطلب فوق ما فى قواه (وقالوا) العى بلاغة بى (كما ذكر) أن ربيعة خطب فاطال وأعجبته نفسه والحاجة أعيت فالتفت الى أعرابى ما تعدون البلاغة فيكم قال قلة الكلام مع الاصابة قال فما تعدون العى قال ما كنت فيه منذ اليوم فلا تلام

واذا خطبت على الرجال فلا تكن * خطل الكلام تقوله مختالا
واعلم بأن من السكوت سلامة * ومن التكلم ما يكون خبالا

وقال كسرى) عى الصمت خير من عى الكلام (وقال الجاحظ) يذم رجلا بالعى

والبين

رأيت عرابة الاوسى يسمو
الى الخيرات منقطع القرين
اذا ما راية رفعت لمجد
تلقاها عرابة باليمين

(وقال بعضهم)

ان السيادة فاعلمن مؤنة
لولا صعوبتها السادالرذل
ما كل من طلب السيادة نالها
ما نالها الا الجواد المفضل
يمسى ويصبح بالهموم موكلا
وأخو المكارم بالهموم موكل
وتراه من طلب المعالى ناحلا
وكذا الذى من طلب المعالى ينحل

(وقال أبو الطيب)

اذا لم يكن للمرء فضل ولم يكن
يدافع عن اخوانه لم يسود
وكيف يسود الناس من كان دهره
بلا منة منه عليهم ولا يد

(وكان) أسماء بن خارجه الفزارى سيد أهل الكوفه فقال له يوما عبد الملك بن مروان ما أشياء تبلغنى عنك يا أسماء فقال يحدثك غيرى عنى يا أمير المؤمنين فقال له عبد الملك وعلى ذلك فأحب أن أسمعها منك يا أسماء فقال نعم يا أمير المؤمنين ما مددت رجلى بين يدى جليس لى قط مخافة أن يرى أنى تكبرت عليه ولا سألنى رجل قط حاجة فكان أكبر همى من الدنيا الا قضاء حاجته ولا أكل رجل عندى قط أكلة الا كان له الفضل على أيام حياتى ولا ظلمنى رجل قط بمظلمة الا رأيت عقوبته العفو عنه فقال عبد الملك حسبك بهذا شرفا يا أسماء ثم أنشد عبد الملك يقول

اذا ما مات خارجة بن حصن
فلا مطرت على الارض السماء
ولا رجع الوفود بغنم عيش
ولا حملت على الطهر النساء

والجبر لم أرجبانا أجرأ منه ولاجرأ أبين منه نظم بعض الشعراء معناه فقال
حصر مسهب جرىء جبان * خير عي الرجال عي السكوت

﴿فيما بشين حسان الصور التي في البيان والحبر﴾

(قالوا) فضل الانسان على الحيوان بالبيان فاذا نطق ولم يفصح عاد بهيما (ويقال) ما للعي مروأة ولا لمنقوص البيان بهاء ولوحك يافوخه في عنان السماء (وقالوا) العي داء ودواؤه الخرس (وتكلم رجل) عند معاوية وكان ذا عي فقال عمرو بن العاص سكوت الالكن نعمة وقال معاوية وكلام الاحمق نقمة (وقالوا) البيان بصر والعي عمى والبيان من نتاج العلم والعي من نتاج الجهل (يحكى) أن رجلا قام الى محمد بن عبد الملك الزيات فقال له اني مظلوم فقال له هذا كلام يحتاج الى شهود وبينة وأشياء غير ذلك فقال الرجل أصلحك الله الشهود هم البينة والبينة هي الشهود والأشياء غير ذلك حصر وعي وزيادة هي نقص في القيام بحجتك فضحك منه وكشف ظلامته (وقيل لبزرجمهر) أي شيء أستر للعي قال عقل قالوا فان لم يكن له عقل قال فمال قالوا فان لم يكن له مال قال فاخوان يعبرون عنه قالوا فان لم يكن له اخوان قال يكون شيأ صامتا كالحجر ولا يلحقه ذم ر وقال الشاعر وأحسن الرجل لهم بزين * اذا لم يسعد الحسن لبيان
كفى بالمرء عيبا أن تراه * له وجه وليس له لسان
(آخر) والصمت أزين للفتى * ما لم يكن عي يشينه
والقول ذو خطل اذا * ما لم يكن لب يعينه

(وقال الجاحظ) لا يعاب الاخرس ولا يلام من استولى على بيانه العجز وبذم الحصر ويؤنب العي (وصف) اعرابي قوما بالعي فقال منهم من ينقطع كلامه قبل أن يصل الى اسنانه ومنهم من لا يبلغ كلامه أذن جليسه ومنهم من يلجلج كلامه الاذان فيحملها عبأ ثقيلا الى الادهان قال شاعر ينزه لسانه عن العي
ومابي من عي ولا أنطق الخنى * اذا جمع الاقوام في الخطب محفل
(آخر) وقلنا بلا عي وسنا بطانة * اذا النار يوم الحرب طال اشتعالها

﴿ومن علامات العي الواضحة وسمات اللكن الفاضحة﴾

(الاستعانة) وهو أن يرى المخاطب اذا كل لسانه يقول عند مقاطع كلامه للمخاطب استمع الي واسمع مني وأستفهم وافهم عني * ومنهم من يقول في خلل كلامه أما ترى كذا وأعني به كذا ولا يريد التفسير ولكن يعيد كلامه بصيغة أخرى تكون غير مراده الاول فبيانه أبدا يقصر عن ايضاح أشكاله وان أتى بأنواع الكلام وأشكاله (وذم) بعض البلغاء عييا فقال قلبه ميت الفطنة ولسانه بادي اللكنة ولفظه ظاهر الهجنة شديد التعاون بين التهافت اذ عضته ولدغته المساحلة والمساورة تثاءب للعطاس وتثاقل للنعاس وتشاغل بمسح اللحية ومس الجبهة وفرع السن وفتل الاصابع فعجزه ظاهر وعيه حاضر شاعر في مثل ذلك ملي ببهر والتفات وسعلة * ومسحة عثنون وفتل الاصابع
(ومن علامته) التنحنح من غير داء والتثاؤب من غير ريبة والاكباب في الارض من غير علة (وقال ابن المعتز)
ومن الكبائر قول متتعتع * جم التنحنح متعب منهور

﴿ومن عيوب اللسان المزيلة للاحسان المزرية بقدر الانسان﴾

التمتمة والفأفأة والعقلة والحبسة واللفف والرتة والغمغمة والطمطمة واللكنة والغنة

ليوم منك خير من أناس
كثير حولهم نعم وشاء
فبورك في بنيك وفي بنيهم
اذا ذكروا ونحن لك الفداء
وهذه الابيات لعبد الله بن الزبير الاسدي في مدح أسماء بن خارجة المذكور ولها حكاية تتعلق بها ليس هذا الباب موضع ذكرها
(قال الشاعر)
والابن ينشا على ما كان والده
ان العروق عليها ينبت الشجر
(قال جميل بن معمر)
أرى كل عود نابتا في أرومة
أبى منبت العيدان أن يتغيرا
بنو الصالحين الصالحون ومن يكن
لآباء صدق يلقهم حيث صيرا
(وقال زهير بن أبي سلمى) في قصيدة تائية مدح بها قوم سنان ابن حارثة المري
لارتحلن بالفجر ثم لادأبن
الى الليل الا أن يعرجني طفل
الى معشر لا يورث اللؤم جدهم
أصاغرهم بل كل مجد له نجل
فما يك من خير أتوه فانما
توارثه آباء آبائهم قبل
وهل ينبت الخطي الا وشيجه
وتغرس الا في منابتها النخل
(وهذا) البيت من أشرد مثل قيل في شبه البنين بالآباء ان مجدا فمجدوا ان لؤما فلؤم (وقال بشر بن هذيل) الفزاري وهو أحد قومنا
ولا تنظري ما يعجب العين وانظري
الى عنصر الاحساب أين يؤول
فكم قد رأينا من فروع طويلة
تموت اذا لم يحيهن أصول
ومن محض النصيحة بمقتضى مضمن هذا الباب قول ابن دريد
وانما المرء حديث بعده
فكن حديثا حسنا لمن وعى
(وكان أبو عمرو بن العلاء) يتمثل

واللثغة (قال الاصمعى) التمتمة اذا تعتع فى التاء فهو تمتام (واذا) تردد فى الفاء فهو فأفاء قال الراجز

ليس بفأفاء ولا تمتام * ولا كثير الهجر فى الكلام

(والعقلة) التواء اللسان عند الكلام (والحبسة) تعذر النطق ولم يبلغ حد الفأفاء ولا التمتام ويقال انها تعرض أول الكلام فاذا مر فيه انقطعت (واللفف) ادخال بعض الكلام فى بعض قال الراجز

كان فى فيه لف فان نطق * من طول تحبيس وهم وأرق

(والرتة) ايصال بعض الكلام ببعض دون افادة (والغمغمة) أن يسمع الصوت ولا يبين لك تقطيع الحروف ولا يفهم معناه (والطمطمة) أن يكون الكلام شبيها بكلام العجم وهى حميرية * وقال هى ابدال الطاء بالتاء لانهما من مخرج واحد فيقولون السلتان والشيتان بمعنى السلطان والشيطان وكانت فى لسان زياد بن سلمى الاعجم وكان خطيبا شاعرا كاتبا (واللكنة) هى ادخال بعض حروف العرب فى بعض حروف العجم وتشترك فيه اللغة التركية والنبطية هى ابدال الهاء من الحاء وانقلاب العين همزة وكانت فى لسان عبيد الله بن زياد وصهيب الرومى رضى الله عنه صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم (وذكر) أن مولى لزياد قال أيها الامير احدوا لنا همار وهش يريد اهدوا لنا حمار وحش فلم يفهم زياد قوله فقال ما تقول ويلك فقال احدوا لنا ايرا فقال زياد رجعنا الى الاول فهو خير (وحكى الجاحظ) ان وازدانقار الفارسى كان له كاتب حلف فى لسانه لكنة فأملى عليه يوما فى كتاب انا أعتبرنا الحاصل بالهاء فوجدناه ألف كر فكتبها الكاتب كما لفظ بها فلما أعاد عليه ما أملاه فطن لاجتماعهما على الجهل فقال أنت لا تحسن أن تكتب وأنا لا أحسن أن أملى فاكتب الحاصل ولا تعجم الجيم (والغنه) ان يشرب الصوت الخيشوم (والخنة) ضرب منها (والترخيم) حذف بعض الكلمة لتعذر النطق به (واللثغه) قال الجاحظ فى كتابه البيان الحروف التى يدخلها اللثغة أربعة وهى القاف والسين والراء واللام (فالتى) تعرض للقاف فان صاحبها يجعل القاف طاء فاذا أراد أن يقول قلت وقال قال طلت وطال بمعنى قلت وقال ومنهم من يبدلها كافا فيقول كلت كال بمعنى قلت وقال وكانت فى لسان أبى مسلم وعبيد الله بن زياد * وقال بعض الشعراء فى أم ولد له يصفها بذلك

أكثر ما أسمع منها فى السحر * تذكيرها الانثى وتأنيث الذكر

والسوأة السوء فى ذكر القمر

لانها كانت اذا أرادت أن تقول القمر قالت الكمر والكمر جمع كمرة وهى حشفة الذكر (وأما) التى تعرض للسين فانهم يبدلونها ثاء فيقولون بثم الله اذا أرادوا بسم الله وبثره الله بمعنى يسره الله وهى مستحسنة من الجوارى والغلمان واحسن ما سمع فيها قول بعضهم

واهيف كالهلال شكوت وجدى * اليه بحسنه واطلت بثى

وقلت له فدتك النفس صلنى * تحز حسن الثواب فقال بثى

(ومن قبيح الابدال) ابدال الثاء المثلثة بالتاء المثناة وكانت فى لسان شعبة وذلك فاش فى لغة اهل صعيد مصر وما افحجهم اذ قالوا تلاتة آلاف وتلتمائة وتلاتة وتلاتين وتلت وفى الناس من يبدل الجيم ضادا وهم من اهل صعيد مصر ايضا فاذا اجتمع لاحدهم جيم وضاد فى كلمة مثل ضج وضجر قال رجض وجضر يجعل الجيم ضادا والضاد جيما وفى الناس من يبدل الخاء المعجمة حاء مهملة فيقول فى خوخ حوح وفى خلخال حلحال وهى مستحسنة من الغلمان والجوارى (واما) التى تعرض فى الراء فهى اربعة احرف فمنهم من يجعلها غينا معجمة فاذا

يقول الشاعر فى معناه

وسيبقى الحديث بعدك فانظر * خير أحدوثة تكون فكنها

(قال أزدشير) الايام صحائف آجالكم فخلدوا فيها أحسن أعمالكم (وقد) قال المفسرون فى قول الله عز وجل عن خليله ابراهيم صلوات الله وسلامه على نبينا وعليه واجعل لى لسان صدق فى الآخرين أى ثناء حسنا انتهى المنقول من تأليفنا المذكور (ومن المنقول) من غيره فى هذا الفصل قيل لعدى بن حاتم ما السودد فقال يكون السيد فى الرجل الاحمق فى ماله الذليل فى عرضه المطرح لحقده (وقالوا) يسود المرء باربعة أشياء بالعقل والادب والعلم والمال (قال عبيد ابن الابرص)

اذا أنت لم تعمل برأى ولم تطع * أولى الرأى أو تسكن الى أمر مرشد

ولم تجتنب ذم العشيرة كلها * وتدفع عنهم باللسان وباليد

وتحلم عن جهالها وتحوطها * وتقمع عنهم نخوة المتهدد

فلست وان عللت نفسك بالمنى * بذى سودد باد ولا قرب سودد

(وقال قس بن ساعدة) من فاته حسب نفسه لم ينفعه حسب أبيه

(قال الشاعر)

لا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم * ولا سراة اذا جهالهم سادوا

والبيت لا يبتنى الا بأعمدة * ولا عماد اذا لم ترس أوتاد

فان تجمع أوتاد وأعمدة * يوما فقد بلغوا الامر الذى كادوا

تهدى الامور بأهل الخير ما صلحت * فان تولت فبالاشرار تنقاد

(وقيل لبعض الحكما) متى يبلغ الرجل درجة الكمال قال اذا اتقى

ارادوا ان يقولوا عمرو قال عمغ وهي غالبة على لسان غالب اهل دمشق والعجب انه اذا اجتمع لهم راء مع غين في مثل رغيف نطقوا بالراء غينا وبالغين راء فيقولون غريف ومنهم من يجعلها عينا مهملة فاذا اراد ان يقول عمرو قال عمع ومنهم من يجعلها ياء فيقول عمي ومنهم من يجعلها زايا فيقول عمز وهي لغة خسيسة ومنهم من يقولها بالظاء اخت الطاء والاولى كانت في لسان محمد بن شبيب الخارجي والثانية كانت في لسان واصل بن عطاء المعتزلي وكان لاقتداره على الكلام يتجنب النطق بها حتى كانها ليست من حروف المعجم (ومن عجب ما يحكى عنه) أنه ذكر بشار بن برد بكلام أسهب فيه وأطنب فلم يأت بكلمة فيها راء وهو أما لهذا الاعمى المكنى بأبي معاذ من يقتله والله لولا أن قتله خلق من أخلاق الغالية لبعثت اليه من يبعج بطنه على مضجعه يريد بقوله الاعمى يعني الضرير وقال المكنى بأبي معاذ ولم يقل بشار ولا ابن برد وقال من أخلاق الغالية ولم يقل المغيرة وقال من يبعج ولم يقل يبقر وقال على مضجعه ولم يقل على فراشه

﴿ولبعضهم فيمن يلثغ بالراء﴾

ويجعل البر قمحا في تصرفه * وجانب الراء حتى احتال للشعر
ولم يطق مطرا والقول يعجله * فعاذ بالغيث اشفاقا من المطر

ولبعضهم فيمن يلثغ بالراء أيضا

ولثغته لو أن واصل حاضر * ليسمعها ما أسقط الراء واصل

(وأما) التي تعرض في اللام فان من أهلها من يبدلها ياء فيقول اعتييت بمعنى اعتللت وبدل جمل جمي وهي أوضعهن لذي المروءة وقوم يجعلون اللام كافا وهي قبيحة ولا حاجة بنا الى تكملة بيان هذه الحروف (قال الجاحظ) وليس اللجلاج والتمتام والالثغ والفأفاء وذو اللفف والحبسة والرتة في سبيل من حصر في خطبته وعي في مناضلته وخصومته

وقد يكون البليغ عييا عند سؤال مطلوبه
كالعاشق متى رام شكوى حاله لمحبوبه

(سئل) محمد بن أبي دواد متى يكون البليغ عييا قال اذا سأل ما يتمناه وشكا حبه الى من يهواه ثم أنشد

بليغ اذا يشكو الى غيرها الهوى * وان هو لاقاها فغير بليغ
(آخر) قالت عييت عن الشكوى فقلت لها * جهد الشكاية ان أعيا عن الكلم
(آخر) وكم من حديث قد خبأت له اللقا * فلما التقينا صرت أخرس أبكما
(آخر) عي المحب لدى الحبيب بلاغة * ولربما قتل البليغ لسانه

(قال بعضهم) موطنان لا آنف من العي فيهما اذا شكوت الى محبوبي عشقي واذا سألت حاجة لنفسي فان السائل قد يهاب المسؤول ويتبعه مع الهيبة ذل السؤال (وسأل العتابي) رجلا حاجة فأقل في كلامه فقال له ما لك من طوق في ذلك فقال كيف لا يقل كلامي ومعي حيرة الطلب وذل المسألة وخوف الرد (وحكي) أن الفضل بن الربيع سار بعد نكبته الى أبي عباد واسمه ثابت بن يحيى يسأله حاجة فارتج عليه فقال يا أبا العباس أبهذا البيان خدمت خليفتين فقال انا تعودنا أن نسئل ولا نسأل فاستعبر لكلامه ورق لحاله وقضى حاجته (علي بن الجهم)

ان دون السؤال والاعتذار * خطة صعبة على الاحرار

من خلقه وجاد بما رزقه فذلك الذي أنهج الى الكمال طرقه (قال ابن سلام)

اذا كنت صبارا لدفع الشدائد
وسطوة جبار وجفوة صاحب
ودنت بمنع النفس عن شهواتها
ونيل هواها خوف سوء العواقب
فقد حزت أشتات المكارم كلها
وأحرزت سبق الفضل من كل جانب

(قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه) ان الله تعالى جعل مكارم الاخلاق ومحاسنها وصلا بينكم وبينه بحسب الرجل أن يتصل اليه بخلق منها (وقال بعضهم) اذا رغبت في المكارم فاجتنب المحارم قال بعض الحكماء من أخذ نفسه بمكارم الاخلاق جرى من الفضل في ميدان السباق فاستوجب حسن الثناء بالاستحقاق (وقالوا) بكثرة الصمت تكون الهيبة وبعدل المنطق تكون الجلالة وباحتمال السود يجب السودد وبحلمك عن السفيه يكثر انصارك عليه وبنفي العجب عنك تأمن الحاسدين وبتركك ما لا يعنيك يتم الفضل فيجب على المرء أن يأخذ نفسه ما استطاع بمتابعة أهل الفضل والاقتدا بأهل العقل والنبل واجتناب مقاصد أهل النقص والجهل فيتحلى بحسن الشمائل ويسبق في مضمار الفواضل (قال عمرو بن العاص) في كل شئ سرف الا في ابتناء مكرمة واصطناع معروف قال الشاعر

ولم أر أمثال الرجال تفاوتوا
الى المجد حتى عد ألف بواحد

(وقال الشاعر)

اذا أعجبتك خصال امرئ
فكنه تكن مثل ما يعجبك

اذا جئتها حاجب يحجبك

(الفصل الاول فى الادب)

(قالت الحكماء) الادب أحد المنصفين (وقالوا) نعم العون لمن لاعون له الادب (وقال الاحنف) الادب نور العقل كما ان النار فى الظلمة نور البصر (واعلم) ان الادب كما قيل أربعة ادب لسان وادب جنان وادب زمان وأدب ايمان فادب اللسان الفصاحة والبلاغة وذكر ماصدر عن أربابها وادب الجنان الانقياد والسهولة والتزين بهما وأدب الزمان سيرة كبراء أهله فى مخاطباتهم وتصرفاتهم وحفظ أخبارهم وادب الايمان ماجاء به الشرع من المحاسن المكملة فى الاخلاق والاقوال والافعال (وقال بعض العلماء) الادب على ثلاثة أقسام كسبي وطبيعي وصوفي (أما) الادب الطبيعي فهو ما يفطر عليه الانسان من الاخلاق الحسنة السنية والاتصاف بالصفات المرضية مثل الحلم والكرم وحسن الخلق والحياء والتواضع والصدق وترك الحسد الى غير ذلك من الصفات المحمودة التى يطول هنا استقصاؤها ولا يمكن استيفاؤها وكلها نعم من الله سبحانه على عباده لاشتمالها على المكارم والمآثر واحتوائها على المحاسن والمفاخر (وأما) الادب الكسبي فهو ما يكتسبه الانسان بالدرس والقراءة والحفظ والنظر وهو عبارة عن ستة أشياء الكتاب والسنة والنحو واللغة والشعر وأيام الناس (واما) الادب الصوفي فهو ضبط الحواس ومراعاة الاساس (وقيل) الادب

ارض للسائل الخضوع وللقا * ذف ذنبا مضاضة الاعذار

(واما مايعترى العاشق المشوق من الافحام عند رؤية المعشوق)

فكما قال ابو بكر الصنوبرى

آية من علامة العشاق * اصفرار الوجوه عند التلاقى

وانقطاع يكون من غير عى * وولوع بالصمت والاطراق

(آخر) فما هو الا أن أراها فجاءة * فأبهت لاعرف لدى ولا نكر

وأنسى الذى قد كنت فيما أقوله * كما يتناسى لب شاربها الخمر

(عمرو بن ربيعة)

ضل عنى لشدة الوجد عقلى * وجفان الذكا وعى لسانى

ونسيت الذى نظمت من القو * ل لديها وغاب عنى بيانى

(آخر) أفكر ما أقول اذا التقينا * واحكم دائما حجج المقال

فانساها اذا نحن التقينا * فانطق حين أنطق بالمحال

(ولبعض الصوفية)

ينوى العتاب له من قبل رؤيته * فان رآه فدمع العين مسكوب

لا يستطيع كلاما حين ينظره * كل اللسان وفى الاحشاء تلهيب

(وقال) أبو المعالى شيدله الصبوة والشوق والارتياح والتوق والفراق والتلهف والفوت والتأسف دواع تستأثر الصبر وتحصر عن وصفها للمحبوب ألسنة الحصر

(ومما يشين البليغ بين أترابه عطل بيانه من حلى اعرابه)

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه تعلموا النحو كما تتعلمون السنن والفرائض (وكان) أيوب السختيانى يقول تعلموا النحو فانه جمال الوضيع وتركه هجنة للشريف (شاعر)

النحو يصلح من لسان الالكن * والمرء تكرمه اذا لم يلحن

فاذا أردت من العلوم أجلها * فأجلها منها مقيم الالسن

لحن الشريف يحطه عن قدره * وتراه يسقط من لحاظ الاعين

وترى الدنى اذا تكلم معربا * نال النباهة باللسان المعلن

* ماورث الآباء فيما ورثوا * أبناءهم مثل العلوم فأتقن

(آخر) لولم يكن فى النحو الا أنه * يذر الضئيل من الرجال مهيبا

يخشى التكلم حيث حل كأنما * أضحى بأفواه الانام رقيبا

(وقال) عمر تعلموا العربية فانها تقوى العقل وتزيد فى المروأة (وقال) عبد الملك بن مروان اللحن فى المنطق أقبح من آثار الجدرى فى الوجه (وسمع) المأمون لحنا من بعض ولده فقال ماعلى أحدكم أن يتعلم العربية يصلح بها لسانه ويفوق أقرانه ويقيم أوده ويزين مشهده ويفل حجج خصمه بمسكتات حكمه أيسر أحدكم أن يكون كعبده أوأمته فلا يزال الدهر أسير كلمته (سمع) الاعمش انسانا يلحن فقال من هذا الذى يتكلم وقلبي منه يتألم (وقال) الحسن البصرى ربما دعوت فلحنت فأخاف أن لا يستجاب لى (وفى الحديث) ان الله لا يسمع دعاء ملحونا * والعلماء لايرون الصلاة خلف اللحنة وكيف لايكون كذلك وأدنى حركة مغيرة للمعنى مؤدية الى الكفر (قال) سعيد بن مسلم دخلت على الرشيد فلا قلبي رعبه فلما لحن خف على أمره (يحكى) أنه لم يسمع من الحسن البصرى ولا من الشعبى ولا من أيوب بن القرية ولا من عبد الملك بن مروان لحن قط فى

حدّ ولا هزل (وكان) سيبويه واسمه عمرو بن قنبر يختلف الى حماد بن زيد يقرأ عليه الحديث فكان يلحن فى قراءته فيردّ عليه حماد فأبرمه يوم لحنه فقال له كم تلحن أما لك مروأة فخجل ووجم فلما قام من مجلسه انقطع الى الخليل بن أحمد فقرأ عليه النحو فمهر فيه وفاق وسار ذكره فى الآفاق

*(وهذه نبذة مستحسنة من التعريف بنوادرهم المستظرفة فى التحريف) *

قال يوسف بن خالد لعمرو بن عبيد ما تقول فى دجاجة ذبحت من قفاها قال أحسن قال من قفاءها قال أصلح قال من قفاؤها قال له عمرو وما عناك بهذا قل من قفاها واسترح وأرح وكان يوسف يقول هذا أحمر من هذا أى أشد حمرة (وكان) الوليد بن عبد الملك لحنة خطب الناس يوم عيد فقرأ فى خطابته ياليتها كانت القاضية وضم التاء فقال عمر بن عبد العزيز عليك وأراحنا منك *ودخل اليه أعرابى وعنده عمر بن عبد العزيز فقال له من أنت ووصل الهمزة فظن الاعرابى أنه يقول منعت فقال المنة لله ولامير المؤمنين فقال عمر للاعرابى ان أمير المؤمنين يقول لك من أنت قال فلان بن فلان قال ما شأنك وفتح النون قال جدرى فى وجهى وفدع بساقى قال عمر ويحك ان أمير المؤمنين يقول لك ما شانك وضم النون قال ظلمنى ختنى قال ومن ختنك وفتح النون قال وما سؤالك عن ذلك يا أمير المؤمنين حجام عندنا بالبادية قال عمر ان أمير المؤمنين يقول لك من ختنك وضم النون قال فلان وقيل للوليد ان العرب لاتحب أن يتولى عليها الا من يحسن كلامها فجمع أهل النحو ودخل بيتا ليتعلم فيه النحو فأقام فيه ستة أشهر ثم خرج منه أجهل من يوم دخل وكان بشر المريسى ممن شهر باللحن دعا القوم فقال قضى الله لكم الحوائج على خير الوجوه وأهناها فأنكروا عليه لحنه فقال قاسم التمار يصح هذا على قول الشاعر

ان سليمى والله يكلاها * ضنت بشئ ما كان يرزاها

فكان احتجاج قاسم أظرف من لحن بشر (وكان) خالد بن عبد الله القسرى لحنة وفيه يقول ابن نوفل من أبيات

وألحن الناس كل الناس قاطبة * وكان يولع بالتشديق والخطب

(قرأ) سابق الاعمى ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا فقال بعض المجان ولا ان آمنوا (ترافع) الى زياد رجل وأخوه فى ميراث فقال ان أبوه مات وان اخينا وثب على مال أبانا فأكله فقال زياد الذى أضعت من نفسك أضر عليك مما أضعت من مالك *وأما القاضى فقال لا رحم الله أباك ولا جبر عظم أخيك قم فى لعنة الله وحر سقره (وقال رجل) للاعمش من أين أقبلت قال من السوق قال وما اشتريت قال عسل قال هلا زدت ألف فقال له الاعمش وهلا زدت فى ألفك ألفا (وعكسها) ما حكى ان رجلا قال لسعيد بن عبد الملك تأمر نا بشيأ قال نعم بتقوى الله واسقاط الالف (ويحكى) ان خالد بن صفوان دخل الحمام يوما وفى الحمام رجل معه ابنه فأراد الرجل أن يعرف خالدا ما عنده من البيان فقال لولده يابنى اغسل يداك قبل وجهك والتفت الى خالد وقال يا ابا صفوان هذا كلام قد ذهب أهله فقال خالد هذا كلام ما خلق الله له اهلا قط

الفصل الثانى من الباب السادس
فى ذكر من قصر باع لسانه عن ترجمة ما فى جنانه

قيل لابن المقفع وكان مفحما عن نظم الشعر لم لا تقول الشعر قال الذى ارضاه لا يجيء والذى يجيء لا ارضاه

أدبان ادب شريعة يؤدّى به الفرض وادب سياسته تعمر به الارض فأدب السياسة كما قال ابن القرية للحجاج وقد سأله ما الادب هو تجرع الغصة حتى تمكن الفرصة وأدب الشريعة كما قال اعرابى فى مجلس معتمر بن سليمان ادب الدين هو داعية الى التوفيق وسبب الى السعادة وزاد من التقوى وهو ان تعلم شرائع الاسلام وأداء الفرائض وان تأخذ لنفسك بحظها من النافلة وتؤيد ذلك بصحة النية واخلاص اليقين وحب الخير شافيا به مبغضا للشر نازعا عنه ويكون طلبك للخير رغبة فى ثوابه ومجانبتك للشر رهبة من عقابه فتفوز بالثواب وتسلم من العقاب ذلك اذا اعتزلت الذنوب الموبقات وآثرت الحسنات المنجيات (وقيل) التأدب نوعان ما يلزم الانسان فى تأديب ولده أو فيمن يلزمه تأديبه وهو ان يأخذه بمبادى الادب ليأنس بها حتى تصير له كالطبع وما يلزم الانسان فى تأديب نفسه (فاما) ما يلزم الانسان فى تأديب نفسه فقسمان أدب مواضعة واصطلاح وأدب رياضة واستصلاح (فالاول) ما اصطلح عليه العقلاء واستحسنه الادباء والثانى ما هو مجبول على حال لا يجوز فى العقل أن يكون على خلافها (قال المفضل) رأس الادب معرفة الرجل نفسه (وقال بعضهم) رأس الادب المنطق ولا خير فى قول الا بفعل ولا فى مال الا بجود ولا فى صدق الا بوفاء ولا فى فقه الا بورع ولا فى صدقة الا بنية (لما دخل) ضمرة بن ضمرة على المنذر بن ماء السماء وهو اذ

وزهدنى فى الشعران قريحتى * بما تستجيد الناس ليس تجود

وقال ابن عبدون الكاتب

قلبى من العلم مملوء جوانبه * وذا اللسان كليل لا يواتينى

(فمن ارتج عليه من خطباء المحافل وفرسان المنابر والجحافل)

(يزيد بن ابى سفيان) كان ابو بكر رضى الله عنه ولاه ربعا من ارباع الشأم فلما رقى المنبر ارتج عليه فقطع الخطبة وقال سيجعل الله بعد عسر يسرا و بعد عى بيانا وأنتم الى أمير فعال أحوج منكم الى أمير قوال ثم نزل و روى هذا الكلام لعثمان بن عفان وعليه أكثر المؤرخين (وصعد) عبد الله بن عامر منبر البصرة فى يوم عيد الاضحى فحصر فقال لا أجمع عليكم عيا وبخلا ادخلوا سوق الغنم فمن أخذ شاة فهى له وعلى ثمنها (ثم صعد مرة أخرى) فحصر فالتفت يمينا وشمالا فرأى عتاب بن ورقاء وكان شيخا أصلع فقال أما بعد يا أصلع فوالله ما غلطنى غيرك فلعنها الله من صلعة على به فلما مثل بين يديه امر أن يضرب عشرين سوطا ومنعه من دخول المسجد الجامع بعدها (وصعد) عدى بن ارطاة المنبر فلما رأى جمع الناس ارتج عليه فقال الحمد لله الذى يطعم هؤلاء و يسقيهم ثم نزل (وصعد) روح بن حاتم المنبر فلما رأى الناس قد أصغوا اليه بأسماعهم و رمقوه بأبصارهم قال نكسوا رؤسكم وغضوا أبصاركم فان المنبر مركب صعب واذا الله يسر فتح فقلا تعسر ثم نزل (وخطب) مصعب ابن حيان أخو مقاتل بن حيان خطبة نكاح فحصر فقال لقنوا موتاكم قول لا اله الا الله فقالت أم الجارية عجل الله موتك وأراح هنك ألهذا دعوناك (وصعد) وازع اليشكرى المنبر يوم جمعة فلما رأى جمع الناس هابهم فحصر فقال لولا ان امرأتى حملتنى على اتيان الجمعة ما جمعت وأنا أشهدكم انها طالق ثلاثا ثم نزل (وخطب) ثابت مولى يزيد بن المهلب فارتج عليه فنزل وهو يقول

فالا أكن فيكم خطيبا فاننى * بسيفى اذا جد الوغى لخطيب

فبلغ ذلك المهلب فقال لو قال هذا على المنبر لكان من أخطب الناس (وخطب) خالد بن عبد الله القسرى فارتج عليه فقال ان هذا الكلام يجىء أحيانا و يعسر أحيانا و ربما كوبر فأبى وعولج فنبا والتأنى لمجيئه خير من التعاطى لابيه وتركه عند تنكره أفضل من طلبه عند تعذره وقد يختلط من الجرىء جنانه و ينقطع من الذرب لسانه وسأعود فأقول ثم نزل (وارتج) على أبى العباس السفاح فنزل ثم صعد وقال أيها الناس ان اللسان بضعة من الانسان يكل لكلاله و يرتجل لارتجاله ونحن أمراء الكلام بنا تفرعت فروعه وعلينا تهدلت غصونه وانا لا نتكلم هذرا ولا نسكت حصرا بل نسكت معتبرين وننطق مرشدين (وذكر المسعودى) ان المعتضد خرج يوم الفطر وكان يوم الاثنين سنة تسع وسبعين ومائتين الى مصلى أحدثه بالقرب من داره ليصلى بالناس فكبر فى الركعة الاولى ست تكبيرات وفى الثانية تكبيرة واحدة فلما فرغ من الصلاة صعد المنبر فحصر ولم يسمع له خطبة وفى ذلك يقول الشاعر يعتذر عنه فى هذا المقام

حصر الامام ولم يبين خطبة * للناس فى حل ولا احرام

ماذاك الا من حياء لم يكن * ما كان من عى ولا افحام

(وخطب) داود بن على فارتج عليه فقال اتقوا الله واعملوا لما أمركم به وانتهوا عما نهاكم عنه ثم نزل ولقد جمع فى هذه الكلمات بين الحكمة وفصل الخطاب وأحسن لهم فى النصيحة وأطاب (وصعد) بعض الخطباء المنبر فحصر بعد الجدلة فكرر هامرارا فقال بعض من

ذاك ملك الحيرة واليمامة وكان ضمرة ذا عقل وعلم وحلم وحكمة وشجاعة الا انه كان دميم الخلقة قصير القامة وكان ذكره قد شاع فى الآفاق لما فيه من الخصال المحمودة فلما رآه المنذر احتقره لدمامة خلقته وقصر قامته فقال سماعك بالمعيدى خير من ان تراه فقال له ضمرة أيها الملك ليس المرء بحسنه وجماله وبهائه وكماله وهيئته وثيابه لا والله حتى يشرفه أصغراه لسانه وقلبه وبعلولهما أكبراه همته ولبه وقد قال الشاعر

وما المرء الا الاصغران لسانه
ومعقوله والجسم خلق مصور

(وقال آخر)

رأيت العز فى أدب وعلم
وفى الجهل المذلة والهوان
وما حسن الرجال لهم بفخر
اذا لم يسعد الحسن البيان
كفى بالمرء عيبا ان تراه
له وجه وليس له لسان

(وفى هذا المعنى قول بعضهم)

وكائن ترى من صامت لك معجب
زيادته ونقصه فى التكلم
لسان الفتى نصف ونصف فؤاده
فلم يبق الا صورة اللحم والدم

(ودخل المختار) بن أبى عبيد على معاوية وكانت عليه عباءة رثة فاستحقره فقال له المختار يا امير المؤمنين ان العباءة لا تكلمك ولكن يكلمك من فيها (وانشد)

أما وان كان أثوابى ملفقة
ليست بخز ولا من نسج كتان
فان فى المجد هماتى وفى لغتى
فصاحة ولسانى غير لحان

وقولهم فلان لا اصل له ولا فصل الاصل الحسب والفصل اللسان (قالت الحكماء) جاهل بالمال انما يصيبك ما صحبك المال وجاهك

حضره على ما أبلانا منك فانه لا يحمد على المكروه غيره ثم ولى وهو ينشد

ختم الاله على لسان عذافر * ختما فليس على الكلام بقادر
فاذا أراد النطق خلت لسانه * لحما تحركه لصقر نافر

(قال) ابن ذولاق فى أخبار ولاة مصر لم يكن الناس يصلون بالجامع العتيق صلاة العيد حتى كانت سنة ست وثلثمائة أو ثمان صلى فيه العيد احمد بن عبد الملك الفهمى المعروف بابن أبى سجر صلاة عيد الفطر ويقال انه خطب يومئذ فى دفتر فكان مما حفظ منه ان قال اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وانتم مشركون فقال فيه الشاعر

وقام فى العيد لنا خاطبا * يحرض الناس على الكفر

وممن ارتج عليه من الائمة فى محرابه وكان تركه للصلاة خوف الخجل احرى به

رجل صلى بقوم فقرأ فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم وارتج عليه فجعل يكررها فقال له من بد والله انك لا تحسن القرآن فما ذنب الشيطان (وصلى) سيفويه القاص بقوم فقرأ سورة الاخلاص فارتج عليه عند رأس آيتين منها فالتفت الى من خلفه وقال من أراد أن يسمع باقى السورة فليحضر مسجد بنى فلان ثم خرج وتركهم (وصلت) أعرابية مع قوم فقرأ الامام وأنكحوا الايامى منكم ثم ارتج عليه فجعل يرددها مرارا فخرجت المرأة تعدو حتى لحقت باختها وقالت يا أختاه لم يزل الامام يأمرهم بنكاحنا حتى خشيت أن يقعوا على (وخرج رجل) من بيته مغلسا فرمسجدا تصلى فيه الصبح فدخل ليصلى فقرأ الامام الفاتحة وابتدأ سورة يوسف فلما انتهى الى قوله تعالى فلن أبرح الارض حتى يأذن لى ابى أو يحكم الله لى فردده مرارا فقال الرجل من خلفه فان لم يأذن لك أبوك الى الظهر يطول مقامى معك ويفوتنى قضاء حاجتى ثم مضى وتركه (وارتج) على الحجاج فى صلاته فلم يحسر احد أن يهديه لما ضل عنه فتلى قوله تعالى ردوها على فردت عليه فلله دره ما احسن ما أجال فكره حتى أدرك به الفهم العازب ولم تبطل صلاته بكلامه بل كان من أشرف المواهب (وأحسن منها) ما حكى أن المهدى لما ولى الخلافة صلى بالناس من الغداة فى داره فارتج عليه فهيب أن يلقن ما نسى فلما طال عليه انتظار من يرشده تلى قوله تعالى أليس منكم رجل رشيد فرد الراشد الشارد على الناشد (اجتمع) الكسائى واليزيدى عند الرشيد فحضرت صلاة المغرب فتقدم الكسائى فصلى فارتج عليه فى سورة قل يا أيها الكافرون فلما سلم قال اليزيدى قارئ الكوفة يرتج عليه فى سورة قل يا أيها الكافرون فحضرت صلاة العشاء فتقدم اليزيدى فارتج عليه فى سورة الفاتحة فلما سلم قال له

احفظ لسانك أن تقول فتبتلى * ان البلاء موكل بالمنطق

(حدث) أبو الحسن بن راهويه قال صلى يحيى بن المعلى الكاتب فقرأ قل هو الله أحد فغلط فيها وارتج عليه وكان فى المجلس أبو نواس والعباس بن الاحنف والخليع وصريع الغوانى فقال أبو نواس

أكثر يحيى غلطا * فى قل هو الله أحد

(فقال الاحنف)

قام طويلا ساكتا * حتى اذا أعيا سجد

(فقال الخليع)

يزحر فى محرابه * زحير حبلى لولد

(فقال الصريع)

كأنما لسانه * شد بحبل من مسد

واتصلت هذه الحكاية بأبى على بن رشيق فقال

ونسى الحمد فما * مرت له على خلد

هذا ما أورده ابن رشيق فى كتاب العمدة (ثم) انى عثرت عند مطالعتى لكتاب بدائع

بالادب غير زائل

(قال على بن الجهم)

لو قيل لى تملك الدنيا بأجمعها
ولا تكون اديبا تحسن الادبا
لقلت لا ابتغى هذا بذاك ولا
ارى الى غيره مستبدلا ارباً
لجلسة مع اديب فى مذاكرة
انفى به الهم او استجلب الطربا
اشهى الى من الدنيا وزخرفها
ومثلها فضة ومثلها ذهبا

(وقال بزرجمهر) ما ورث الآباء الابناء خيرا من الادب لان بالادب يكسبون المال وبالجهل يتلفونه (قال الشاعر)

يطيب العيش ان تلقى اديبا
غذاه العلم والرأى المصيب
فيكشف عنك حيرة كل جهل
وفضل العلم يعرفه الاديب

وقالت الحكماء الادب افضل من الحسب لان الرجل ينطق به فيعرف قبل حسبه ومن فقد نسبه نهض به ادبه (فالادب) اكرم الجواهر وانفسها فانه يرفع الخسيس ويفيد الرغائب ويعز بغير عشيرة ويكثر الانصار بغير رؤية فالبسوه حلة تزينوه حلية يؤنسكم فى الوحشة ويجمع لكم القلوب المختلفة ويكسبكم خير العاجلة والآجلة (قال) شعيب بن شيبة اطلبوا الادب فانه عون على المروءة وزيادة فى العقل وصاحب فى الغربة وصلة فى المجلس (وقد) جمع الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم جملة من الادب فى قوله سبحانه ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون وأمر بذلك عباده فيجب على الانسان ان يشد

البدائة على زيادة وجب ذكرها وهو ما حكي ان أبا العباس بن الحطيئة لما سمع هذه قال
ورام شيأ غيرذا * يقرؤه فما وحد

﴿ومن أخذ الى بعنان قلمه وظهر كاف التكاف فى صفحات كلمه﴾

ما حكي أن بعضهم كتب الى بعض العمال على مدينة حلب يخبره أن سلنديين من شواني المسلمين غرقا (وأمثاله) اعلم أيها الامير أعزه الله ان سلنديين أي مركبين صفقا أي غرقا نهلك من فيهما أي تلفوا فكتب اليه العامل كتابا على الحكايه يستخف به ورد كتابك أي وصل وفضضناه أي فتحناه وفهمنا ما فيه أي علمناه فأدب كاتبك أي اصفعه واصرفه أي اعزله واستبدل به أي غيره فانه مائق أي أحمق والسلام أي قد تقضي الكتاب (وكتب) بعض عمال طاهر بن الحسين اليه كتابا وفيه وقد وجهت الى الامير ثوب دبياج أحمر أحمر فكتب طاهر اليه قد قرأت كتابك فعلمت أنك أحمق أحمق أحمق فاقدم أقدم اقدم وا لسلام (ومما) عابه ابن الاثير من كلام المترسلين القدماء وادعى انه قصور وعي فى صناعة الانشاء وهو أشبه شئ بالاقواء والايطاء قال فى فصل من كتابه المثل السائر فى أدب الكاتب والشاعر اذا وردت فى كلام المترسل سجعتان يدلان على معنى واحد كانت احداهما كافية فى الدلالة عليه والاخرى من حشو الكلام الذى لا يحتاج اليه (وقد) وجدت كثيرا من ذلك فى كلام المفلقين من أهل هذا الشأن كالصابى وابن العميد (فمن ذلك قول الصابى فى تحميده) الحمد لله الذى لا تدركه الأعين بألحاظها ولا تحده الالسن بألفاظها ولا تخلقه العصور بمرورها ولا تهرمه الدهور بكرورها ثم انتهى الى الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فقال لم ير للكفر أثرا الا طمسه ومحاه ولا رسما الا أزاله وعفاه فلا فرق بين مرور العصور وكرور الدهور وكذلك لا فرق بين محو الاثر وتعفية الرسم (ومن كلامه أيضا من كتاب) وقد علمت ان الدولة العباسية لم تزل على سالف الايام وتعاقب الاعوام تعتل طورا وتصح أطوارا وتلتاث مرة وتستقل مرارا من حيث أصلها راسخ لا يتزعزع وبنيانها ثابت لا يتضعضع فمعلوم أن الاعتلال والالتياث بمعنى والطور والمرة بمعنى والرسوخ والثبوت بمعنى (وله من كتاب) وصلى كتابه مفتتحا من الاعتزاء الى امارة المؤمنين والتقليد لامور المسلمين بما اعراقه الزكية مجوّزة لاستمراره وأرومته العلية مسوغه لاستقراره (ومنه) فلابد من ان فاق أشراف كل قطر واماثله واعيان كل صقع وأماثله فهذا السجع كله متساوى الالفاظ والمعانى فان امارة المؤمنين وتقليد أمور المسلمين بمعنى وكذلك الاعراق والارومه بمعنى والتجويز والتسويغ بمعنى وكذلك الاعيان والاماثل والقطر والصقع (ومن كلام ابن العميد فى كتاب) وهو لا يوجه همته الى أعظم مرغوب الاطماع ودان ولا تمتد عزيمته الى مطلوب الا كان واستكان وكل هذه الالفاظ مستوية المعانى (قلت) وفيما ذكرناه من هذا الفن كفاية ومقنع على أن الخاطر اذا الشرح انقادوا اذا كل تمنع (ورأيت صوابا) الحاق هذه الحكاية بهذا الفصل وهي ما حكاه دعبل الخزاعي قال خرجت أنا ورفيقان لى من قرية تسمى طهيانا وهي من قرى بغداد للتنزه فيها فاقمنا بها يوما فلما أردنا الانصراف قلت لرفيقي ليقل كل منا فى صفة يوم ناشيا قالا ابتدئ أنت فقلت

قالا ابتدئ أنت فقلت	* نلنا لذيذ العيش فى طهيانا *
فقال أحدهما	* لما حثثنا القدح احتثاثا *
وارتج على الآخر فقال	* وأم عمرو طالق ثلاثا *

فقلنا له ويحك ماذنب المرأة فقال والله ما لها ذنب الا أنها قعدت على طريق القافية

نفسه قبل ان يأدب لسانه وان يهذب أخلاقه قبل ان يهذب ألفاظه (قال) أبو بكر بن شيبة قيل للعباس بن عبد المطلب رضي الله عنه أأنت أكبر أم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال هو أكبر مني وأنا اسن منه (وقال بعضهم) الاديب من اعتصم بعز الادب من ذلة الجهل ولم يتورط فى هفوة وكان أدبه زلفة له فى دنياه وأخراه (وقال عبد الله بن عمر بن عبد العزيز) قال لى رجاء بن حيوة ما رأيت رجلا أكمل أدبا ولا أجل عشرة من أبيك وذلك انى سهرت معه ليلة فبينما نحن نتحدث اذ غشي المصباح وقد نام الغلام فقلت له يا أمير المؤمنين قد غشي المصباح أفنوقظ الغلام ليصلح المصباح فقال لا تفعل فقلت أفتأذن لى ان أصلحه فقال لا لانه ليس من المروءة ان يستخدم الانسان ضيفه ثم قام هو بنفسه وحط رداءه عن منكبيه وأتى الى المصباح فأصلحه وجعل فيه الزيت واشخص الفتيل ثم رجع واخذ رداءه وجلس ثم قال قمت وانا عمر ابن عبد العزيز وجلست وانا عمر ابن عبد العزيز رضي الله عنه (ووصف) الشعبي أدب عبد الملك بن مروان فقال والله ما أعرفه قط الا آخذا بثلاث تاركا لثلاث آخذا بحسن الحديث اذا حدث وبحسن الاستماع اذا حدث وبأيسر المؤنة اذا خولف تاركا للمحاورة مع اللئيم ومماراة السفيه ومنازعة اللجوج (قال) بعض الحكماء من لزم الادب أمن من العطب (وقال بزرجمهر) أفضل منازل الشرف لاهلها العلم والادب (وقال) عبد الملك بن مروان

الفصل الثالث من الباب السادس
في أن اللسن المكثار لا يأمن آفة الزلل والعثار

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجرير بن عبد الله اذا قلت فأوجز واذا بلغت حاجتك فلا تتكلف (وقال) بعض الحكماء الاكثار يزل اللسان ويزيل الاحسان (وقال) لبدى ابن حاتم أي شئ أوضع للانسان قال كثرة الكلام (وقال) جعفر بن يحيى اذا كثر الكلام اختل واذا اختل اعتل * وقال خير الكلام ماقل ودل ولم يطل فيمل (وقال معاوية) لعمرو بن العاص من أبلغ الناس قال من ترك الفضول واقتصر على الايجاز (وقال) خالد ابن صفوان ليس البلاغة بخفة اللسان ولا كثرة الهذيان ولكنها اصابة المعنى والقصد الى الحجة (وقال) خير الكلام ما كان عن الحصر بعيدا وللاسماع مفيدا وهو أن يكون لا مائلا الى الحصر فتضعف الحجة ولا الى الهذر فتتلف المهجة قال الشاعر

للقول مستمع يزرى بصاحبه * منه الغلو وقد يزرى به الحصر
وخير حال الفتى في القول أقصدها * بين الطريقين لا عي ولا هذر

(وقال) عي يذرى بك خير من هذر يأتى عليك (قال شاعر)

وصمتك من غير عي اللسا * ن أزين من هذر المنطق

(وقال) عمرو بن العاص الكلام كالدواء ان أقللت منه نفع وان أكثرت منه صرع * وقال لولده عبد الله قصر اذا قلت واقتصر اذا أطلت واياك والاكثار فانه شين العاقل وحين الجاهل (وقالوا) العثار مع الاكثار (وقال بزرجمهر) من ملكه طول لسانه أهلكه فضل بيانه (ويقال) من طال لسانه بطل احسانه قال الفقيه منصور

لا تكثرن فخير الكلام * قليل الحروف كثير المعاني

احتجاج من أمسك عن الكلام من غير خرس
وخاف من الملام فحذر واحترس

(قال الاحنف بن قيس) اللسان قيمة الانسان فمن قومه زادت قيمته * وقال أكثم بن صيفي هلك الانسان في طول اللسان (وقال) سفيان الثوري لان أرمى عدوى بسهمي خير له من أن أرميه بلساني لان رمي اللسان لا يخطئ ورمي السهم يصيب ويخطئ قال الشاعر

ورب كلام قد جرى من ممازح * فساق اليه سهم حتف معجل

(وقال ابن مسعود) لسانك سيف قاطع يبدأ بك وكلامك سهم نافذ يرجع عليك فاقتصد في المقال واياك وما يوغر صدور الرجال (وقال اعرابي) الكلمة أسيرة في وثاق الرجل فاذا تكلم عاد أسيرا في وثاقها (اجتمع) أربعة من الملوك على أربع كلمات تواردوا فيها موارد النصائح وأخرجوا درر معانيها من بحار القرائح قال كسرى أنا على مالم أقل اقدر مني على رد ما قلت وقال ملك الصين انا اذا تكلمت بالكلمة ملكتني واذا لم تكلم بها ملكتها وقال ملك الهند عجبت لمن يتكلم بالكلمة ان ذكرت عنه ضرت وان لم تذكر عنه لم تنفعه وقال قيصر لأن أندم على مالم أقل أحب الي من أن أندم على ما قلت فهذه كلمات صدرت عن صدور صافية من كدر الغل وغشه ليحذر بها العاقل من لدغ الكلام ونهشه (وقالوا) من أطلق لسانه بما يجب كان أكثر مقامه حيث لا يحب (وقال) صلى الله عليه وسلم ما أعطى العبد شرا من طلاقة اللسان (وقال) لقمان لابنه يا بني ان من الكلام ما هو أشد من الحجر وأنفذ من الابر وأمر من الصبر وأحر من الجمر وان من القلوب مزارع فازرع فيها الكلمة الطيبة فان لم تنبت كلها نبت بعضها (وقال زياد) ان الرجل ليتكلم بالكلمة يقع بها

لبنيه يا بني لو عدا كم ما أنتم فيه ما كنتم تعولون عليه فقال الوليد أما أنا ففارس حرب وقال سليمان أما أنا فكاتب سلطان وقال يزيد فأنت فقال يا أمير المؤمنين ما تركنا غاية لمختار فقال عبد الملك فأين أنتم عن التجارة التي هي أصلكم ونسبكم قالوا تلك صناعة لا يفارقها ذل الرغبة والرهبة ولا ينجو صاحبها من الدخول في جملة الدهماء والرعية قال فعليكم اذن بطلب الادب فان كنتم ملوكا سدتم وان كنتم وسطا رأستم وان أعوزتكم المعيشة عشتم (ومن) المنقول في تأليفنا كمال البغية والنيل الادب أدبان أدب الغريزة وهو الاصل وأدب التعلم وهو الفرع ولا يتفرع شئ الا عن أصله ولا ينمى الاصل الا باتصال المادة (قال الشاعر)

ولم أر فرعا طاب الا باصله
ولم أر بدأ العلم الا تعلما

(وقال آخر)

من خانه نسب فليطلب الادبا
ففيه منبهة ان حل أو ذهبا
فاطلب لنفسك آدابا تعز بها
حتى تسود بها من علك الذهبا
ان الاديب ليحيي ذكر والده
كالغيث يحيي نداه حيثما انسكبا

(قال ابن أبي دؤاد) الادب المتوارث خير من النسب المتلاحق (وكان) يقال لا زينة أحسن من زينة الادب ولا حسب لمن لا أدب له ولا أدب لمن لا مروءة له ومن كان من أهل الادب ممن لا حسب له فقد يبلغ به أدبه مراتب ذوي الاحساب (قال الشاعر)

كن ابن من شئت واكتسب
أدبا يغنيك مأثوره عن الحسب

ربقة عنزتبلغ امامه فيسفك دمه (ويقال) حفظ اللسان راحة الانسان (وقال) صعصعة ابن صوحان طول اللسان يقصر الاجل وخطأ القول يصيب المقتل (ويقال) من خزن لسانه حقن دمه ومن ملك كلامه أمن ندمه فاللسان سيف مرهف لاينبو حده والكلام سهم مرسل لايمكن رده (وقال بعض الحكماء) الجاهل يستعجل باظهار المعانى قبل احكامها واخراجها وان لم يحن أوان تمامها فاذا سددها تخطى غرض الصواب (وقال) الخبزارزى

اذا ما لسان المرء أكثر هذره * فذاك لسان بالبلاء موكل

اذا شئت أن تحيا عزيزا مسلما * فدبر وميز ما تقول وتفعل

﴿ومما اخترت من كلام الحكماء الاعلام فى مدح الصمت وذم الكلام﴾ قول رسول الله صلى الله عليه وسلم انك لا تزال سالما ماسكت واذا تكلمت فلك أو عليك (وقال) ابن مسعود ان كان الشؤم فى شئ ففى اللسان (وقال) أبو نواس

خل جنبيك لرام * وامض عنه بسلام مت بداء الصمت خير * لك من داء الكلام

ربما استفتحت بالنطق مغاليق الحمام انما السالم من ألجم فاه بلجام

(وقالوا) صمت يعقب الندامة خير من نطق يسلب السلامة (وقالوا) الصمت زين الحلم وعوذة العلم يلزمك السلامة ويصحبك الكرامة ويكفيك مؤنة الاعتذار ويلبسك ثوب الوقار (وقال شاعر)

الصمت زين والسكوت سلامة * فاذا نطقت فلا تكن مكثارا

ما ان ندمت على سكوتى مرة * ولقد ندمت على الكلام مرارا

(وقالوا) لسانك كالسبع ان عقلته حرسك وان أرسلته افترسك (ويقال) اخزن لسانك كما تخزن مالك واعرفه كما تعرف ولدك وزنه كما تزن نفقتك وأنفق منه بقدر وكن منه على حذر فان انفاق ألف درهم فى غير وجهها أيسر من اطلاق كلمة فى غير حقها (وقال الشاعر)

احفظ لسانك واحتفظ من شره * ان اللسان هو العدو الكاشح

وزن الكلام اذا نطقت بمجلس * فيه يلوح لك الصواب اللائح

والصمت من سعد السعود بمطلع * تحيا به والنطق سعد الذابح

(وقال) بعض الحكماء عليك بالصمت وان أصبت فى القول وبرزت فى الفضل فانه زينة العادل وحلية الفاضل (شاعر)

احفظ لسانك أن تقول فتبتلى * ان البلاء موكل بالمنطق

(آخر) وزن الكلام اذا نطقت فانما * يبدى الرجال من الستور المنطق

(وقالوا) رب كلمة جلبت مقدورا وخربت دورا وعمرت قبورا (شاعر)

اذا المرء لم يخزن عليه لسانه * فليس على شئ سواه بخازن

(آخر) احفظ لسانك أيها الانسان * لايلدغنك انه ثعبان

كم فى المقابر من قتيل لسانه * كانت تخاف لقاءه الاقران

(وقالوا) كلام الرجل بيان فضله وترجمان عقله فاقصره على الجميل واقتصر منه على القليل واياك ومايسخط سلطانك ويوحش اخوانك فمن أسخط سلطانه تعرض للمنية ومن أوحش اخوانه تبرأ من الحرية (شاعر)

يدل على جهل الفتى فضل نطقه * ونطق أخى العقل الرصين قليل

وان لسان المرء مالم يكن له * حصاة على عوراته لدليل

﴿وما أحسن عذر من غص بالملام على كثرة صمته وقلة الكلام﴾

ان الفتى من يقول ها أناذا

ليس الفتى من يقول كان أبى

(وتكلم) عند عبد الملك بن مروان رجل وذهب كل مذهب فأعجب عبد الملك فقال ابن من أنت فقال ابن نفسى التى توسلت بها اليك (قال الشاعر فى معناه)

أنا ابن نفسى وهمتى حسبى

ما أنا مولى ولا أنا عربى

ان انتمى منتم الى أحد

فاننى منتم الى أدبى

(قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه) من قعد به أدبه لم يرفعه حسبه (وقال الشاعر)

خير ماورث الرجال بنيهم

أدب صالح وحسن ثناء

ذاك خير من الدنانير والاو

راق فى يوم شدة ورخاء

تلك تفنى والدين والادب الصا

لح لايفنيان حتى اللقاء

(قال) محمد بن الحنفية أفضل ماورث الآباء الابناء الادب النافع والثناء الحسن والاخوان الصالحون (وكان) يقال فى الجاهلية الجهلاء شخص بغير أدب كجسم بلا روح وكلفظ بغير معنى (وقيل) لارسطاليس ما أحسن الحيوان قال الانسان المزين بالادب وقال بعض العرب ان لكل شئ ذؤابة وذؤابة الشرف العقل والادب وان لكل شئ عروة وعروة العز الادب (قال الشاعر

ماوهب الله لامرئ هبة

أفضل من عقله ومن أدبه

هما حياة الفتى فان عدما

ففقده للحياة أليق به

(وقال الزهرى)

لم يركب العزمن لم يركب الادبا

حيث قال قالوا لك كثير الصمت قلت لهم * ما طول صمتي من عي ولا خرس
الصمت أحمد في الاشياء عاقبة * وأزين الآن لي من منطق شكس
أأنشر البز فيمن ليس يعرفه * وأنثر الدر للعميان في الغلس

(ومن الخرافات) الموضوعة على ألسنة الحيوانات في مدح الصمت وذم الكلام أنه اجتمع برغوث وبعوضة فقالت البعوضة للبرغوث اني لاعجب من حالي وحالك انا أفصح منك لسانا وأرجح ميزانا وأوضح بيانا وأكبر منك شأنا وأكثر طيرانا ولي في بحر العبودية سباحة وفي ساحته سياحة ومع هذا كله فقد أحاط بي الفضوع وأحرمني الجوع المجوع وأنت على علاتك في جميع حالاتك تأكل وتشبع وفي نواعم الابدان ترتع قالت نعم أنت بين الملأ مطنطنة وعلى رؤوسهم مدندنة وطول لسانك سبب حرمانك وأما أنا فالتلطف صناعتي والصمت بضاعتي وانما توصلت الى قوتي بسكوتي

ومما له في هذا الموضع من النفوس حسن موقع حفظ الاسرار
أن تدال على الاحرار والانذال

قال الله تعالى حكاية عن قول يعقوب ليوسف عليهما السلام حين قص عليه رؤياه فعلم منها بدء أمره ومنتهاه يابني لاتقصص رؤياك على اخوتك فيكيدوا لك كيدا (وقال) رسول الله صلى الله عليه وسلم استعينوا على قضاء حوائجكم بالكتمان (وكان) عليه الصلاة والسلام اذا أراد غزاة ورى بغيرها (ومن أمثالهم) صدرك أوسع لسرك (وقيل) اذا انتهى السر من الجنان الى عذبة اللسان فالاذاعة مستولية عليه وعيون الحوادث تنظر شزرا اليه (وقال) عمرو بن العاص الصدور خزائن الاسرار والشفاه أقفالها والالسن مفاتيحها فليحفظ كل امرئ مفتاح سره (وقالوا) اذا ضاق صدرك عن نحوالك فكيف تستكتمه سواك (وقال) بعض الحكماء سرك من دمك فلا تجره في غير أوداجك فانك متى تكلمت به أرقته وكما أنه لاخير في آنية لاتمسك ما فيها فكذلك لاخير في انسان لايملك سره (وقال آخر) كن على سرك أحرص منك على حقن دمك (وقالوا) سرك أسيرك فان بذلته كنت أسيره

(ابن نباته السعدي) صن السر عن كل مستخبر * وحاذر فما الحزم الا الحذر
أسيرك سرك ان صنته * وانت أسير له ان ظهر

(آخر) ولا تخبر بسرك بل أمته * وصير في حشاك له حجابا
فما أودعت مثل القلب سرا * ولا أغلقت مثل الصدر بابا

(وقال) عمرو بن العاص ما وضعت سري عند أحد وأفشاه فلمته لاني كنت أضيق صدرا منه حين استودعته اياه (وقال الشاعر)

اذا ضاق صدر المرء عن سر نفسه * فصدر الذي يستودع السر أضيق
اذا المرء أفشى سره بلسانه * ولام عليه غيره فهو احمق

(وقال معاوية) الحازم من كتم سره عن صديقه مخافة أن تنتقل صداقته فيذيع سره

(شاعر) احذر عدوك مرة * واحذر صديقك ألف مرة
فلربما انقلب الصديق * فكان أعلم بالمضرة

(وكان يقال) الكاتم سره بين احدى فضيلتين الظفر بحاجته أو السلامة من شر اذاعته (ويقال) اصبر الناس من صبر على كتمان سره فلم يبده لصديقه (وقال آخر) كتمانك سرك يعقبك السلامة وافشاؤه يعقبك الندامة والصبر على كتمان السر أيسر من الندامة على افشائه (ابراهيم بن خفاجة)

(وقال أكثم بن صيفي) أفسد كل حسب من ليس له أدب (قال شهاب الدين القرافي) ومن نفاسة الآداب وكثرة جدواها ان قليله خير من كثير العمل ولذلك ذلك ابليس لعنه الله وضاع أكثر عمله بقلة أدبه نسأل الله السلامة في الدنيا والآخرة (وقالوا) حسب الرجل مروءته وحسن فعله فاذا كان الرجل طاهر الاثواب كثير الآداب صلح بصلاحه وتأدب بأدبه جميع أهله (قال الشاعر)

رأيت صلاح المرء يصلح أهله * ويعديهم داء الفساد اذا فسد
يعظم في الدنيا لفضل صلاحه * ويحفظ بعد الموت في الاهل والولد

انتهى المنقول من تأليفنا المذكور (ومن) المنقول في تأليفنا المذكور مقالات الادباء من كثر أدبه كثر شرفه وان كان قبل وضيعا وبعد صيته وان كان خاملا وساد وان كان غريبا وكثرت الحاجات اليه وان كان مقترا ومن لم تكن استفادة لادب أحب اليه من الاهل والمال لم ينجب (دخل) أعرابي على أبي جعفر المنصور فتكلم فأحسن وأعجبه كلامه فقال له المنصور سل حاجتك فقال يبقيك الله يا أمير المؤمنين ويزيد في سلطانك قال المنصور ليس في كل وقت يمكنني أن آمر لك بما تحب فقال والله يا أمير المؤمنين ما استقصر عمرك ولا أخاف بخلك ولا أغتنم مالك وان سؤالك لزين وان عطاءك لشرف فأطال الله للامة بقاءك وأحسن عنها جزاءك فأمر المنصور بحشو فيه جوهرا وكتبه في العطاء (ودخل) رجل يوما على

لا نودعن ولا الجماد سريرة * فمن الجوامد ما يشير وينطق
واذا المحل اذاع سرا خانه * وهو النضار فمن به يستوثق

(وقال الاحنف) ادنى اخلاق الشريف كتمان سره واعلى اخلاقه كتمان ما اسر اليه (قال الشاعر)

ولست بمبد للرجال سريرتي * ولا أنا عن أسرارهم بسؤول
ولا أنا بوما للحديث سمعته * الى ههنا من ههنا بنقول

(آخر)
تبوح بسرك ضيقا به * وتحسب كل أخ يكتم
وكتمانك السر ممن تخاف * ومن لا تخافهم أحزم
اذا ذاع سرك من مخبر * فأنت اذا لمته ألوم

(وقال كعب بن زهير)
لا تفش سرك الا عند ذي ثقة * أولا فأفضل ما استودعت أسرارا
صدرا رحيبا وقلبا واسعا صمتا * لم تخش منه لما أودعت اظهارا

(وقيل) لابي مسلم الخراساني باي شيء ادركت ما ادركت قال ائتزرت بالحزم وارتديت بالكتمان وحالفت الصبر وساعدني القدر فأدركت مرادي وحزت ما في نفسي ثم انشد

أدركت بالحزم والكتمان ما عجزت * عنه ملوك بني مروان اذ حشدوا
ما زلت أسعى عليهم في دمارهم * والقوم في غفلة بالشام قد رقدوا
حتى ضربتهم بالسيف فانتبهوا * من نومة لم ينمها قبلهم أحد
ومن يدع غنما في أرض مضيعة * ونام عنها تولى رعيها الاسد

﴿وأما المزاح وما ورد فيه عمن اباحه ومن يجافيه﴾

فيروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من مزح استخف به (وقال آخر) تجنب الهزل ونكد المزاح فانهما باب اذا فتحا لم يغلقا الا بعد عسر وفلان اذا ألقحا لم يتنتج الا عن ضر (وقالوا) المزاح يضع قدر الشريف ويذهب هيبة الجليل (وقال) حكيم لولده يا بني اياك والمزاح فانه يذهب بهاء الوجه ويحط من المروءة (شاعر)

الأرب قول قد جرى من ممازح * فساق اليه الموت في طرف الحبل
وان مزاح المرء في غير حينه * دليل على فرط الحماقة والجهل

(آخر)
اياك اياك المزاح فانه * يطمع فيك الطفل والرجل النذلا
ويذهب ماء الوجه بعد بهائه * ويورث بعد العز صاحبه ذلا

(ويقال) أوكد أسباب القطيعة المزاح وان كان لا غنى للنفس عنه فليكن بمقدار ما يحتاج الطعام من الملح كما قال ابو العباس البستي

أفد طبعك المكدود بالهم راحة * براح وعلله بشيء من المزح
ولكن اذا أعطيته المزح فليكن * بمقدار ما تعطي الطعام من الملح

(وقال) سعيد بن العاص لولده اقتصد في مزاحك فان الافراط فيه يذهب البهاء ويجرئ السفهاء (ويقال) المزح أوله فرح وآخره ترح (شاعر)

امزح بمقدار الطلاقة واجتنب * مزحا تضاف به الى سوء الادب
لا تغضبن أحدا اذا مازحته * ان المزاح على مقدمة الغضب

(أبو جعفر الطبري)
لي صاحب ليس يخلو * لسانه من جراح
يجيد تمزيق عرضي * على سبيل المزاح

الاسكندر رث الهيئة فتكلم فأحسن وسئل فأصاب الجواب فقال له الاسكندر لو أعطيت جسمك حقه من الزينة كما أعطيت نفسك حقها من العلم والمعرفة لاشبه بعضك بعضا فقال له أيها الملك أما الكلام فأقدر عليه فاني مالكه وأما الزينة فلا أقدر عليها الاني لا أملكها فعلم انه محتاج فخلع عليه وأحسن اليه وقربه (ودخل) بعض العلماء على الرشيد وكان دميم الصورة قصير القامة فاستحقره الرشيد فقال ما أقبح هذا الوجه فقال العالم يا أمير المؤمنين ان حسن الوجه ليس مما يتوسل به الى الملوك هذا يوسف عليه السلام أحسن الناس وجها قال اجعلني على خزائن الارض اني حفيظ عليم ولم يقل اني حسن الوجه جميل قال صدقت ارتفع فرفع قدره وقرب مجلسه (ومن) الواجب على من عري من الادب وتخلى عن المعرفة والفهم ولم يتحل بالعلم ان يلزم الصمت ويأخذ نفسه به فان ذلك حظ كبير من الادب ونصيب وافر من التوفيق لانه يأمن من الغلط ويعتصم من دواعي السقط فالادب رأس كل حكمة والصمت جماع الحكم (قال الشاعر)

وفي الصمت ستر للعيي وانما
صحيفة لب المرء ان يتكلما

(قال ابن عائشة) كان شاب حسن الوجه يجالس الاحنف ويطيل الصمت فأعجب به الاحنف فخلت الحلقة يوما فقال له تكلم يا ابن أخي فقال يا عم لو ان رجلا سقط من شرافة هذا المسجد أكان يضره شيء فقال الاحنف

﴿الباب السابع فى الذكاء وفيه ثلاثة فصول﴾

﴿الفصل الاول من هذا الباب﴾
فى مدح الفطن والاذهان المعظمة من بدر المهان

قال ابن الانبارى فى كتابه الذى سماه بالزاهر قولهم فلان ذكى معناه كامل الفطنة ثاقبها من قول العرب ذكت النار تذكو اذا زادوقودها (ويقال) مسك ذكى اذا كان طيب الريح (قال جميل)

صادت فؤادى بعينيها ومبتسم * كأنه حين أبدت لنا برد
عذب كان ذكى المسك خالطه * والزنجبيل وماء المزن والبرد

(فمن) انشقت كمائم مبانيه عما أخفته من زهرات معانيه فعطفت اليه قلب شانيه بعدما أنف أن يدانيه سعد بن ضمرة قالوا كان كثيرا ما يغير على بلاد النعمان بن المنذر و ينتقص أطرافها حتى عيل صبره و بداضره فبعث اليه النعمان ان لك ألف ناقة حمراء على أن تدخل فى طاعتى فوفد عليه وكان سعد ابن ضمرة نحيفا قصيرا دميما وكان ملتفا بعباءة فلما رآه النعمان ازدراه وقال لان تسمع بالمعيدى خير من أن تراه فقال سعد أبيت اللعن ان الرجال لا تكال بالقفزان ولا يوزن بالميزان وليست بمسوك يستقى بها من الغدران وانما المرء بأصغريه قلبه ولسانه ان نطق نطق ببيان وان قاتل قاتل بجنان فقال له النعمان أنت ضمرة بن ضمرة (ونظر) عمر بن الخطاب الى الاحنف وعنده الوفد والاحنف ملتف بعباءة فترك عمر القوم واستنطقه فتكلم بكلامه البليغ المصيب وذهب فيه ذلك المذهب العجيب فلم يزل عنده فى الذروة العليا الى أن عقد له من الرياسة على تميم ما كان له ثابتا الى أن فارق الدنيا (قال) عبد الملك بن عمير قدم علينا الاحنف الكوفة أصلع الرأس متراكب الاسنان أشدق مائل الذقن ناتئ الجبهة جاحظ العينين خفيف العارضين أحنف ولكنه كان اذا تكلم جلى عن نفسه سائر العيوب (خرج) عثمان رضى الله عنه من داره فرأى عامر بن عبد قيس على بابه وقد ألقى رأسه بين ركبتيه وكان عامر شيخا دميما أسيء فظا فانكره وأنكر مكانه فقال يا أعرابى اين ربك قال بالمرصاد فيقال ان عثمان لم يفحمه أحد غيره (ونظر معاوية) الى النخار بن أوس العدوى الخطيب النسابة فى عباءة فى ناحية من مجلسه فانكر مكانه وازدراه فتبين للنخار ذلك فى وجهه فقال يا أمير المؤمنين ان العباءة لا تكلمك انما يكلمك من فيها وكمال الرجل آدابه لا ثيابه وأنشد

انى وان كنت أثوابى ملفقة * ليست بخز ولا من نسج كتان
فان فى المجد هماتى وفى لغتى * فصاحة ولسانى غير لحان

وأراد بعض الاعراب مخاطبة انسان فازدراه الرجل لرثاثة ثوبه وخسة حاله وأبى أن يكلمه فقال مالكم يا عبيد الثياب واشباه الكلاب حقرتمونى لاطمارى ولم تسألونى عن مكنون أخبارى ثم أنشد

المرء يعجبنى وما كلمته * ويقال لى هذا اللبيب اللهذم
فاذا قدحت زناده ووزنته * بالنقد زاف كما يزيف الدرهم

ودخل كثير بن عبد الرحمن وكان يلقب بزب الذباب لقصره على عبد الملك بن مروان فى أول خلافته فاقتحمته عينه ففهم عنه فقال كثير يا أمير المؤمنين كل عند نفسه واسع الفناء شامخ البناء عالى السناء ثم أنشد للعباس بن مرداس

ترى الرجل النحيف فتزدريه * وفى أثوابه أسد هصور

ليتناثر كذلك مستورا (قيل) لبزرجمهر أى الاشياء خير للمرء قال عقل يعيش به قيل فان لم يكن قال فاخوان يسترون عليه قيل فان لم يكونوا قال فمال يتحبب به الى الناس قيل فان لم يكن مال قال فأدب يتحلى به قيل فان لم يكن قال فصمت يسلم به قيل فان لم يكن قال فموت يريح منه العباد والبلاد (قال يحيى بن خالد) ما رأيت رجلا قط الا هبته حتى يتكلم فان كان فصيحا عظم شانه فى صدرى وان كان مقصرا سقط عن عينى (قال الشاعر)

لسان المرء ينبئ عن حجاه
وعى المرء يستره السكوت

(و) كان يقال الجمال فى اللسان والمرء مخبوء تحت لسانه (واعلم) ان على الجوارح أدبا فالبصر ينظر به لاخوانه نظر المودة والسمع أن يسمع منهم مشتهى حديثهم واللسان يكلمهم بما يحبون بمقدار فهمهم وعلمهم واليدان تكونان مبسوطتين لهم بالبر والمعذرة والرجلان على حد التبع ولا يتقدمهم ولا يقعد الا بقعودهم الى غير ذلك من الادب والآداب مع اختلافها تنتقل الاحوال وتغير العادات لا يقدر على حصره وانما يعرف الانسان ما بلغه وسعه من آداب أهل زمانه (قال ابن مسعود) ان كل مؤدب يحب ان يؤخذ بأدبه وان ادب الله هو القرآن ولولا ما قد جبلت عليه النفوس من ارتياحها الى انواع تختلف وارتياحها بل واسترواحها الى فنون تستطرف لكان كتاب الله كافيا وذكر غيره مستحسن

(الفصل الثانى فى المروءة)

(اعلم) ان المروءة داعية للتحلى كرم

ويجعل الطير برفتيليه * ويخلف ظنك الرجل الطرير
بغاث الطير أطولها رقابا * ولم تطل البزاة ولا الصقور
خشاش الطير أكثرها فراخا * وأم الباز مقلاة نزور
ضعاف الاسد أكثرها زئيرا * وأصرمها اللواتي لا تزير
وقد عظم البعير بغير لب * فلم يستغن بالعظم البعير
يصرفه الصغير بكل أرض * ويحبسه على الخسف الجرير
ينوخ ثم يضرب بالهراوى * ولا عرف لديه ولا نكير
فما عظم الرجال لهم بزين * ولكن زينهم كرم وخير

فقال عبد الملك قاتله الله أطول لسانه وأمتعنانه وأجرأ جنانه فقال انى لاحسبه كما وصف نفسه وأمر له بصلة حسنة (وقال) أبو عبيد البكرى فى لآلئه ان كثيرا كان لا يبلغ طوله ضروع الابل لقصره وكان اذا دخل على عبد الملك يقول له حين يراه طأطئ رأسك لئلا يصيبه السقف تهكما به وفيه يقول الحزين الشاعر

قصير قميص فاحش عند بيته * يعض قراد باسته وهو قائم

(وكان الجاحظ) واسمه عثمان بن بحر دميم الصورة قبيح الوجه ناتئ العينين يحكى عنه أنه قال ما أخجلنى أحد مثل امرأة أخذت بيدى وحملتنى الى نجار وقالت له مثل هذا ثم تركتنى وانصرفت فبقيت متعجبا من أمرها فسألت الصانع فقال ان هذه المرأة سألتنى أن أصنع لها مثال شيطان تفزع به ولدها فقلت لها انى لم أر شيطانا قط حتى أعمل على مثاله وطلبت منها مثالا فقالت أنا آتيك به فجاءتنى بك * ونزع الباب بواب في غلامه فسئل عنه فقال هاهو ذا يكذب على ربه فيه لكونه كذلك قال نظرف المرآة وقال فقال الحمد لله الذى خلقنى فأحسن صورتى الا أنه كان اذا كتب وشى حلل الطروس بأقلامه واذا تكلم لفظ الدرمن منثور كلامه (وفيه) يقول أحمد بن سلامة الكتبى يهجوه ويذكر قبحه

لو يمسخ الخنزير مسخا ثانيا * ما كان الا دون قبح الجاحظ
واذا المرآة جلت له وجهه * لم تخل مقلته بها من واعظ

﴿وعلى اثر قبح الصورة يقول بعض الشعراء فى جحظة﴾

من كان مشتاقا الى منكر * فجحظة أنكر من منكر
لو عذب الله به ناره * أطفأها بردا ولم تزفر

وأنشد أعرابى

خبرتها أنى محب لها * فأقبلت تضحك من منطقى
والتفتت نحو فتاة لها * كالرشا الوسنان فى قرطق
قالت لها قولى لهذا الفتى * انظر الى وجهك ثم اعشق

(لقى) أعرابى شيخ قبيح الصورة فتاة حسناء فعرض عليها نفسه فأعرضت عنه وقالت أمخادع غافل أم ركيك هازل قال بل لبيب عاقل محب مائل قالت فما أصنع بك قبيحا فقيرا شيخا كبيرا قال أستمنح لفقرى ملوكا فيزول وأصبغ شيبى حتى كأنه يحول قال فقالت فقبحك الى م يؤول فولى عنها وهو يقول

تزهى على بدعا وشبابها * وتقول لى يا شيخ أنت مخادع
قبح وافلاس وشيب شاسع * وطمعت فينا ان ذا لمطامع
فأجبتها الافلاس يذهبه الغنى * والشيب يذهبه الخضاب اليانع
قالت فقبحك ليس فيه حيلة * والقبح ليس له دواء نافع

(و) هى مراعاة الاحوال التى يكون الانسان على أفضلها (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم) من عامل الناس فلم يظلمهم وحدثهم فلم يكذبهم ووعدهم فلم يخلفهم فهو ممن كملت مروءته وظهرت عدالته ووجبت اخوته (وقال) عليه السلام لا دين الا بمروءة (وقال) عليه السلام المروءة فى الاسلام استحياء المرء من الله أولا ثم من نفسه آخرا (قال ابن سلام) حد المروءة رعى مساعى البر ورفع دواعى الضر والطهارة من جميع الادناس والتخلص من عوارض الالتباس حتى لا يتعلق بحاملها لوم ولا يلحق به ذم وما من شئ يحمل على صلاح الدين والدنيا ويبعث على شرف الممات والمحيا الا وهو داخل تحت المروءة (قيل) لبعض الحكماء ما المروءة قال طهارة البدن والفعل الحسن (وقال بعضهم) من سلك المروءة سبيلا أصاب الى كل خير دليلا (وسئل بعضهم) اى الخلال أجمع للخير وأبعد من الشر وأحمد للعقبى فقال الجنوح الى التقوى والتحيز الى ثنية المروءة (وقال بعض العلماء) اتق مصارع الدنيا بالتمسك بحبل المروءة واتق مصارع الاخرى بالتعلق بحبل التقوى تفز بخير الدارين وتحصل ارفع المنزلتين (وقال بعضهم) اذا طلب رجلان أمرا ظفر به أعظمهم مروءة (قال) الشاعر

كمال المروءة صدق الحديث
وستر القبيح عن الشامتينا

(قيل) للاحنف بن قيس ما المروءة قال صدق اللسان ومواساة الاخوان (وعن ابن عباس رضى

ياصدقهام كان أصدق حتى * لوكان يدفع قبح وجهي دافع

رحمنا (قال بعضهم) كنت بفناء الكعبة اذ مر بنا رجل أصلع أرسح أفلج كان انفه بعرة أشد سوادا من است اقدرة عليه ثوبان قطوبان فرأيت الناس يهرعون اليه من كل حدب يطلبون السبق في السلام عليه فقلت من هذا قالوا هذا سيد فقهاء الحجاز عطاء بن أبي رباح * وصفه آخر فقال كان أعور أفطس أشل أعرج ثم عمي بعد ذلك (قال) عثمان بن عطاء الخراساني انطلقت مع أبي نريد هشام بن عبد الملك فلما قربنا اذا بشيخ على حمار أسود عليه قميص دنس وجبة دنسة وقلنسوة لاطية دنسة وركاباه من خشب فضحكت منه وقلت لأبي من هذا الاعرابي قال اسكت هذا سيد فقهاء الحجاز عطاء بن أبي رباح فلما قرب منا نزل أبي عن بغلته ونزل هو عن حماره فاعتنقا وتساءلا ثم عادا فركبا وانطلقا حتى وقفا على باب هشام فما استقر بهما الجلوس حتى أذن لهما فلما خرج أبي قلت له حدثني ما كان منكما قال لما قيل لهشام ان عطاء بن أبي رباح بالباب أذن له فوالله ما دخلت الا بسببه فلما رآه هشام قال مرحبا مرحبا ههنا ههنا ولا زال يقول له ههنا ههنا حتى أجلسه معه على سريره ومس بركبته ركبته وعنده اشراف الناس يتحدثون فسكتوا فقال له ما حاجتك يا أبا محمد قال يا امير المؤمنين أهل الحرمين أهل الله وجيران رسوله تقسم عليهم ارزاقهم وعطياتهم قال يا غلام اكتب لأهل مكة والمدينة بعطاياهم وارزاقهم لسنة ثم قال هل من حاجة غيرها يا أبا محمد قال نعم يا امير المؤمنين أهل الحجاز وأهل نجد هم أصل العرب وقادة الاسلام ترد فيهم فضول صدقاتهم قال نعم يا غلام اكتب بأن ترد فيهم فضول صدقاتهم هل من حاجة غيرها يا أبا محمد قال نعم يا أمير المؤمنين أهل الثغور يردون من وراءكم ويقاتلون عدوكم تجري لهم أرزاقا تدرها عليهم فانهم ان هلكوا ضاعت الثغور قال نعم يا غلام اكتب بحمل أرزاقهم اليهم هل من حاجة غيرها يا أبا محمد قال نعم يا أمير المؤمنين أهل ذمتكم لا يجبى صغارهم ولا يتعتع كبارهم ولا يكلفون ما لا يطيقون فان ما تجبونه منهم معونة لكم على عدوكم قال نعم يا غلام اكتب لأهل الذمة بأن لا يكلفوا ما لا يطيقون هل من حاجة غيرها يا أبا محمد قال نعم اتق الله في نفسك فانك خلقت وحدك وتموت وحدك وتحشر وحدك وتحاسب وحدك ولا والله ما معك ممن ترى أحد فاكب هشام ينكت في الارض وهو يبكي فقام عطاء فلما كنا عند الباب اذا رجل قد تبعه بكيس لا أدري ما فيه دنانير أم دراهم فقال ان أمير المؤمنين أمر لك بهذا فقال لا أسألكم عليه أجرا ان أجري الا على رب العالمين فوالله ما شرب عنده قطرة ماء

وأكثر ما يوجد الذكا المفرط عند العميان
فانهم عوضوا عن البصر سرعة الحفظ وبطء النسيان

كان قتادة بن دعامة أكمه وكان يقول لقائده سعيد بن أبي عروبة تجنب بي الحلق التي فيها الخطاء فانه ما وصل الى سمعي شيء فأداه الى ذهني فنسيته (ومنهم) رجل أكمه بشار بن برد وكان رأس طبقة في الشعراء المولدين وهم أشجع السلمي ومسلم بن الوليد وأبو العتاهية وأبو نواس وغيرهم وقال الشعر وله من العمر احدى عشرة سنة (ومنهم) أبو العلاء أحمد بن سليمان المعري ومن عجيب حكاياته ان أبا زكريا التبريزي كان يقرأ عليه فأتاه رسول من عند أهله من تبريز فجاء حلقة أبا العلاء فسأل عنه فأخبره انه غائب في بعض شأنه فقال له أبو العلاء ما تريد به قال حشت برسالة من عند أهله فقال هاتها حتى توصلها اليه قال انها مشافهة قال ما سمعها حتى توصلها اليه قال انها بالعربية قال لا عليك ان تسمعنيها ولا تسقط منها حرفا فأوردها عليه فلما جاء التبريزي أخبره رسول الجاسر بريز ومعه رسالة من أهلك فقال ايتكم أخذتموها منه فاني

الله عنه) قال رفع رجل الى عمر بن الخطاب رضي الله عنه في جرم اقترفه فأراد معاقبته فاخبر انه ذو مروءة فقال استوهبوه ممن صاحبه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تجافوا عن عقوبة ذوي المروءة ما لم تبلغ حدا واذا أتاكم كريم قوم فأكرموه واسباب المروءة انما هي من تبطنة بشرف النفس وعلو الهمة اذا اجتمعا ولم يتفرقا (قال بعض الحكماء) المروءة سجية جبلت عليها النفوس الزكية وشيم طبعت عليها الهمم العلية وضعفت عنها الطباع الدنية فلم نطق حمل اشراطها السنية (وقال) غيره لا تدرك المروءة الا من حوى خصالها وجمع خلالها (و) في ذلك يقول الشاعر

ان المروءة ليس يدركها امرؤ
ورث المكارم عن اب فأضاعها
امرته نفس بالدناءة والخنا
ونهته عن سبل العلى فأطاعها
فاذا اصاب من المكارم خلة
يبني الكريم بها باعها

(قال ابن عائشة القرشي) لولا ان المروءة صعب محملها ما ترك اللئام للكرام منها بيتة ليلة (و) للمروءة وجوه وآداب لا يحصرها عدد ولا حساب وقلما اجتمعت شروطها قط في انسان ولا اكتملت وجوهها في بشر فان كان ففي الانبياء صلوات الله عليهم دون سائرهم (و) أما الناس فيها فعلى مراتب بقدر ما أحرز كل واحد منهم من خصالها واحتوى عليه من خلالها (قال بعض الحكماء) لا تفارق الصبر فتعظم عليك البلوى ولا المروءة فتسمت بك الاعداء قال الشاعر

مشوق لما يرد من أخبارهم فقيل له انه قال انها مشافهة فتأسف لذلك فلما رأى أبو العلاء أسفه قال لا عليك انى سمعتها منه وحفظتها ثم أملاها عليه فحل التبريزى يضحك مرة ويبكى مرة فسأله أبو العلاء عن ضحكه وبكائه فقال تارة تخبرنى بما يسرنى فاضحك وتارة تخبرنى بما يحزننى فابكى وعمى أبو العلاء وله من العمر ثلاث سنين من جدرى أصابه وقال الشعر وله احدى عشرة سنة (ولبشار)

وعيرنى الاعداء والعيب فيهم * وليس بعار أن يقال ضرير
اذا أبصر المرء المروأة والتقى * فان عمى العينين ليس يضير
رأيت العمى أجرا وذخرا وعصمة * وانى الى تلك الثلاث فقير

(ولعبد الله بن عباس)

ان يأخذ الله من عينى نورهما * ففى فؤادى وقلبى منهما نور
قلبى ذكى وعقلى غير ذى دخل * وفى فى صارم بالقول مشهور

ولبعضهم بتوجع

عزائى أيها العين السكوب * وصبرك انها نوب تنوب
وكنت كريمتى وجمال وجهى * وكانت لى بك الدنيا تطيب
وانى قد ثكلتك فى حياتى * وفارقنى من الدنيا الحبيب
على الدنيا السلام فما لشيخ * ضرير العين فى الدنيا نصيب

من اخترع من الاوائل حكمة بثاقب فكره فكانت سببا لتنويه قدره وابقاء ذكره

(اردشير بن بابك) والمخترعات أربعة اثنتان فى صدر الاسلام وهما النرد والشطرنج واثنتان اسلاميان وهما النحو والعروض (فأما النرد) فوضعها اردشير بن بابك وهو أول ملوك الفرس الاخيرة وأول من وضع النرد وضربها مثلا للقضاء والقدر وان الانسان ليس له تصرف فى نفسه لا يملك لها نفعا ولا يدفع عنها ضررا ولا يقدر أن يجلب لها موتا ولا حياة ولا سعدا ولا شقاء بل هو مصرف على حكم القضاء والقدر معرض طورا للنفع وطورا للضرر وجعلها أيضا تمثيلا للحظ الذى ينالها عاجز بما يجرى لديه من الملك والحرمان الذى يبتلى به الحازم بما دار به عليه الفلك وضعها على مثال الدنيا وأهلها فرتب الرقعة اثنى عشر بيتا بعدد شهور السنة والبروج وجعل القطع ثلاثين قطعة بعدد أيام كل شهر والدرج التى هى لكل برج ثلاثين درجة ومعناهما أن كل ثلاثين درجة على سبعة أيام ومعناها الكواكب السبعة السيارة ثم جعل لها تشبيها فوضع ٢ وشبهها بالنير وصور فيها أربعة وعشرين بيتا بعدد ساعات الليل والنهار فى كل ناحية منها اثنا عشر بيتا وصير لها ثلاثين كلما تشبيها بأيام الشهر ودرج الفلك ثم عمل فصين شبههما بالليل والنهار وتوصل الى ايصال ذلك للعقول بأن جعل اللعب بالفصين اللذين أنزلهما منزلة الليل والنهار فجعل لكل فص ستة أوجه لجهات الانسان فوق وأسفل ووراء وأمام ويمين وشمال لانه عدد له نصف وثلث وسدس وجعل فى كل جهة من الفصين سبع نقط تحت الستة واحدة وتحت الخمسة اثنتين وتحت الاربعة ثلاثة تشبيها بعدد الايام وعدد الكواكب السيارة وأنزلهما منزلة القضاء والقدر ثم جعلها محنة بين رجلين أنزلهما منزلة الليل والنهار يشير الى أن الانسان لا يعلم من أين يأتيه الخير والشر فكما أن الانسان لا يعلم بما يرد عليه من خير أو شر أو نفع أو ضرر فكذا لا يعلم ما يعطيانه الفصان أو يسلبانه هل يكون غالبا أو مغلوبا اذ ليس له من الامر شئ وأشار فيها أيضا الى قلب القدر بالانسان فتارة يكون شريفا ثم يكون مشروفا

أمكن من نفسه عدوه

قيل لعبد الملك بن مروان كان مصعب بن الزبير يشرب الطلا قال لو علم مصعب ان الماء يفسد مروءته ما شرب به قال الشاعر

أعف عن الامر القبيح تكرما * وان لم أكن حبرا ولا متخشعا
وأمنع نفسى ما تلذ وتشتهى * اذا أنا يوما خفت عينا ومقرعا
ولو خلت ان الماء يوما يشيننى * لمت ولم أجرع من الماء مجرعا

(قيل) لسفيان بن عيينة قد استنبطت من القرآن كل شئ فأين المروءة فيه فقال فى قوله تعالى خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين ففيه المروءة وحسن الآداب ومكارم الاخلاق فجمع فى قوله خذ العفو صلة القاطعين والعفو عن المذنبين والرفق بالمؤمنين وغير ذلك من أخلاق المطيعين ودخل فى قوله وأمر بالعرف صلة الارحام وتقوى الله فى الحلال والحرام وغض الابصار والاستعداد لدار القرار ودخل فى قوله وأعرض عن الجاهلين الحض على التخلق بالحلم والاعراض عن أهل الظلم والتنزه عن منازعة السفهاء ومساواة الجهلة والاغبياء وغير ذلك من الاخلاق الحميدة والافعال الرشيدة (وقال الله) عز وجل حكاية عن قوم قارون وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله اليك ولا تبغ الفساد فى الارض وفيها عين المروءة وحقيقتها (وقال بهرام بن بهرام) المروءة اسم جامع للمحاسن كلها (وقال) أنوشروان المروءة أن لا تعمل عملا فى السر تستحى منه فى

٢ بياض بالاصل

و بالعكس أو يكون فقيرا ثم يصير غنيا وبالعكس الى ما لا نهاية له من تقلب الاطوار فى تغاير الاوطار (ولقد) أحسن السرى الرفاء فى وصفها من أبيات

ومحكمان على النفوس وربما * لم يحكما فيهن حكما عادلا
اخوان قد وسما على متنيهما * سمة تحث على البليد غوائلا
يلقاهما المرزوق سعدا طالعا * ويراهما المحروم سعدا آفلا
فاذاهما اصطحبا الى كف الفتى * ضراه أو نفعاه نفعا عاجلا

(وأما الشطرنج) فان الفرس لما افتخرت بوضع النرد وكان ملك الروم يومئذ بلهيث فوضع له رجل من الحكماء يسمى صصة الشطرنج وضربها مثلا على أن لا قدر وان الانسان قادر بسعيه واجتهاده يبلغ المراتب العلية والخطط السنية وان هو أهملها صارت به من الخمول الى الحضيض وأخرجته من روض العيش الاريض ومما جعله دليلا على ذلك ان البيدق ينال بحركته وسعيه منزلة الفرزان فى الرياسة وجعلها صورة تماثيل على صورة الناطق والصامت وجعلها درجات ومراتب وجعل الشاه المدبر الرئيس والفرس والفيل مركوبان له والفرزان وزيره والبيادق رعاياه فكما ان الواحد من الرعية اذا أعطى الاجتهاد حقه فى تهذيب نفسه وتأدبها كان ذلك عونا له على أن ينال رتبة الفرزان فكذلك الفرزان اذا علت همته وتمكنت قدرته طمحت نفسه الى نيل رتبة الشاه وقتاله وكذلك ما يليها من القطع (ويقال) فى سبب وضعها ان بعض ملوك الهند كان له ولد يسمى شاه أحوجه الى بعض الحروب فقتل فيها فهاب الناس الملك أن يعلموه بموته فوضع بعلمهم بعض حكمائهم الشطرنج وبين لهم فيها ما خفى عنهم من مكايد الحروب وكيفية ظفر الغالب وخذلان المغلوب وبين فيها التدبير والحزم والاحتياط والمكيدة والاحتراس والتعبية والنجدة والقوة والجلد والشجاعة والباس فمن عدم شيأ من ذلك علم موضع تقصيره ومن أين أتى بسوء تدبيره لان خطأها لا يستقال والعجز فيها متلف المهج والاموال واعلم ان فى ترك الحزم ذهاب الملك وضعف الرأى جالب للعطب والهلك والتقصير سبب الهزيمة والتلاف وعدم المعرفة بالتعبية داع الى الانكشاف وأمرهم أن يلعبوا بها بين يدى الملك فلما لعبها قال الغالب للمغلوب شاه مات ففطن الملك للمراد وأمر أن يعزى بولده ثمرة الفؤاد (ويقال) ان صصة لما وضع الشطرنج وعرضها على الملك وأظهر له مكنون سرها قال له اقترح ما تشتهى قال أن تضع حبة بر فى البيت الاول ولا تزال تضعفها حتى تنتهى الى آخر البيوت فما بلغ تعطينى فاستخف الملك عقله واحتقر ما طلبه وقال كنت أظن برجاحة عقلك وتوقد فكرك أن تطلب شيأ نفيسا فقال أيها الملك انك لما صرفتنى الى التمنى لم يخطر ببالى غير ذلك ولا سبيل الى الرجوع عنه فانعم له الملك بما سأل وتقدم باحضار الحساب وأمرهم بحساب ذلك فاعملوا فى بلوغ قصده مطايا الافكار حتى لاح لهم نجم صدقه فعرفوه بعد الانكار فلم يجدوا فى بلاد الدنيا من البر ما يفى للحكيم بمراده ولو كانت الرمال من أمداده (وذلك) انهم وضعوا حبة فى البيت الاول وفى الثانى حبتين وفى الثالث أربعة وفى الرابع ثمانية وفى الخامس ستة عشر وهكذا ولولا خشية التطويل لذكرنا تضعيف عددها ونهاية مددها ولم أهمل ذلك الا انى وجدت بعض الحذاق حصرها بالاعداد الهندية ونظمها فى بيت من الشعر فذكرت ذلك استحسانا لوجازته (والبيت)

العلانية (وكان) يحيى بن خالد يقول المروءة سعة المنزل وكثرة الخدم ووطاءة الفرش وطيب الرائحة والاحسان الى الحاشية والافضال على الاخوان (وكان) الحسن بن سهل يقول المروءة والشرف فى البشر ولا يصلح للصدر الا واسع الصدر (وكان) الفضل البلعمى يقول المروءة الجمع بين الدين والدنيا والتوقى من سخط الخالق وذم المخلوقين (وكان) عبد الله بن أحمد بن يوسف يقول المروءة الكبرى اطعام الطعام ومجالسة الكرام (وقال المهلب) المروءة عشرة أجزاء تسعة منها فى المائدة وجزء منها فى سائر الاشياء (وقال) يحيى اذا أردت أن تنظر مروءة المرء فانظر الى مائدته فان كانت حسنة فاحكم له بالشرف وان رأيت تقصيرا فما وراءها خير (وقال أبو منصور الثعالبى) لا مروءة لمن لا يجتمع الاخوان على خوانه ولا نقع الاجفان على جفانه (وقال) بعضهم المروءة ادامة الاهداء وترك الاستهداء (قال) أبو منصور الهداية عمارة المروءة وهى سنة الرسول ورسم الملوك واستمالة القلوب ومفاتيح المودة واللطف الاكبر والبر الاعظم (وكان) يقال ما أرضى الغضبان ولا استعطف السلطان ولا سلت السخائم ولا دفعت المغارم ولا توقى المحذور ولا استعمل المهجور بمثل الهدية قال الشاعر

هدايا الناس بعضهم لبعض
تولد فى قلوبهم الوصالا
وتزرع فى الضمير هوى وودا
ويكسوهم اذا حضروا جمالا

والطيب لسان المروءة (قال) محمد ابن عبد الله اعتنى فى الطيب أربعم

هاو ادهـط وسـمر بعده ز جز*وثن صفراوقل دذر و دد حا

١٨٤٤ ٦ ٧٤٤ ٠٠٧٣ ٧ ٠ ٩ ٥١ ٦١٥

والعدد ١ ٨ ٤٤ ٦ ٧٤٤٠٠ ٧٣ ٧ ٠٩ ٥٥١ ٦١٥

(وقال السرى) من الابيات التى تقدم ذكرها فى صفة النرد بصف الشطرنج وابدأحسن فى قوله

وكتيبتا زنج وروم اذكيا * حربا يسل بها الذكاء مناصلا
فى معرك قسم النزال بقاعه * بين الكماة المعلمين منازلا
لم يسفحا فيه دما وكأنما * رشح الدماء أعاليا واسافلا
تبدى لعينك كلما عاينتها * قرنين جالا مقدما ومخاتلا
فكأن ذا صاح يسير مقوما * وكأن ذا نشوان يخطر مائلا
فاعجب لهاجر بأتثيراذا التطمت*فضل الرجال ولاتثير قساطلا

(وقالوا) ان اصل شطرنج شش رنك ومعناه ستة ألوان لان شش عندهم ستة ورنك لون فكأنهم قالوا ستة ألوان فالشاه لون والفرزان لون والفيل لون والرخ لون والفرس لون والبيدق لون (واما) ما اخترع فى الاسلام فالنحو والعروض (فاما النحو) فان على بن أبى طالب رضى الله عنه هو الذى ابتكره واخترعه (وقالوا) فى أصل وضعه ان أبا الاسود الدؤلى كان ليلة على سطح بيته وعنده بنت له فرأت السماء ونجومها وحسن تلألؤ انوارها مع وجود الظلمة فقالت يا أبت ما أحسن السماء بضم النون فقال أى بنية نجومها وظن أنها أرادت أى شئ أحسن منها فقالت يا أبت انما أردت التعجب من حسنها فقال قولى ما أحسن السماء فلما أصبح غدا على على رضى الله عنه وقال يا أمير المؤمنين حدث فى أولادنا ما لم نعرفه وأخبره بالقصه فقال هذا بمخالطة العجم ثم أمره فاشترى صحفا وأملى عليه بعد أيام أقسام الكلام ثلاثة اسم وفعل وحرف جاء لمعنى وجملة من باب التعجب وقال انح هذا فكان ذلك أول ما ألف فى النحو ثم قال تتبعه وزد فيه ما وقع لك واعلم يا أبا الاسود أن الاشياء ثلاثة ظاهر ومضمر وشئ ليس بظاهر ولا مضمر قال فجمعت منها أشياء وعرضتها عليه فكان من ذلك حروف النصب فذكرت منها ان وأن وليت ولعل وكان ولم أذكر لكن فقال لى لم تركتها فقلت لم أحسبها منها قال بل هى منها فزدتها فيها ثم جاء بعد أبى الاسود ميمون الاقرن فزاد على ما الفه أبو الاسود ثم تلاه فى ذلك عنبسة بن معدان الذى يقال له عنبسة الفيل فزاد فيه ثم جاء عبد الله بن أبى اسحق الحضرمى وأبو عمرو بن العلاء فزادا فى ذلك ثم الخليل بن أحمد وكان على بن حمزة الكسائى رسم فى ذلك رسوما أخذها عنه الكوفيون ثم أخذ ذلك سيبويه عن الخليل وكل من جاء بعده فمن بحر كتابه يغترفون وبتقدمه عليهم يعترفون (وأما العروض) فاول من اخترعه وابتدعه الخليل بن أحمد وأبوه أول من سمى أحمد فى الاسلام وهو أول من وضع العروض واستخرج غرائبه واستنبط عجائبه وجعله ميزانا للشعر يعرف به التام من الناقص وصاغ له من التفاعيل ثمانية أجزاء لا يخرج شعر موزون عنها صيرها له كالمثاقيل وهى فعولن فاعلن مفاعيلن مستفعلن فاعلاتن مفاعلتن متفاعلن مفعولات وهذه المثاقيل مركبة من سبب ووتد (فالسبب) نوعان خفيف وثقيل فالخفيف متحرك بعده ساكن نحو ما وهل والثقيل متحركان نحو لم وبم اذا سألت (والوتد) نوعان مجموع ومفروق فالمجموع متحركان بعدهما ساكن نحو على ورمى وسعى والمفروق متحركان بينهما ساكن نحو كيف وجعل البيت الشعر مثال بيت الشعر لان البيت من الشعر لا يقوم الا بالاسباب وهى الاطناب والاوتاد التى تضرب فى الارض

خصال سنة وهى مروءة ولذة وقوة (قال المبرد فى كتاب الكامل) ثلاثة تحكم لهم بالشرف والمروءة قبل أن تعرفهم رجل شممت منه طيبا ورجل تربيته فى بلاد العجم وهو يعرب فى كلامه ورجل راكب فرسا جوادا (قال بعضهم) ومن المروءة للفتى

ماعاش دار فاخرة
فاقنع من الدنيا بها
واعمل لدار الآخرة

ودار الرجل عشه وفيها عيشه وهى مقر نفسه ومأوى أهله ومحرز ماله وموضع أنسه ومجمع مروءته (قال أبو الحسن القزوينى) من المروءة أن يقعد الرجل فى باب داره وينظر فى دفتر (قالوا) واذا اجتمع فى الدار الحمام والقصر والبستان وخزانه الكتب فقد اجتمع فيها المروءة (قال) بعض السلف المروءة اصلاح المال وحسن التدبير وتعاهد الصنيعة والافضال على الاخوان (وقال) ابو منصور المروءة ان تكون عن ذلك متبرعا وعنه لغيرك متورعا (قال) مسلمة بن عبد الملك ما أعان على مروءة المرء كالمرأة الصالحة قال الشاعر

اذا لم يكن فى منزل المرء حرة
مدبره ضاعت مروءة داره

(وقال بعض الحكماء) المروءة أن لا تبخل ولا تسب ولا تسن (وسئل) مسعر بن كدام عن المروءة فقال التفقه فى الدين ولزوم المسجد الى أن تطلع الشمس (وسئل) عبد الله القناسى عنها فقال هى الألف والنصرف والتنظف وترك التكلف (أنشد أبو بكر الاسماعيلى)

الارض وتربط فيها الاطناب فيقوم البيت وانما مثل بذلك لان فى الشعر حروفا مضطربة يطرأ عليها الزحاف فسميت أسبابا لاضطرابها تشبيها بأسباب البيت الشعر وفيه حروف ثابتة لا يطرأ عليها الزحاف فسميت أوتادا لثباتها والى ما قصده الخليل فى هذا التمثيل أشار أبو العلاء المعرى فى قوله

والحسن يظهر فى شيئين رونقه * بيت من الشعر أو بيت من الشعر

وفسر الناس هذا البيت بأن بيت الشعر يحتوى على المعانى كاحتواء بيت الشعر على الصور * وسمى نصف البيت الاول صدرا والنصف الاخير عجزا وآخر جزء فى الصدر عروضا وآخر جزء فى العجز ضربا * وحصر أقسامه فى خمس دوائر يستخرج منها الخمسة عشر بحرا وهى المختلف والمؤتلف والمجتلب والمشتبه والمتفق (فالطويل) وهو أصل دائرة المختلف مبنى على فعولن مفاعيلن ثمانية أجزاء وسمى طويلا لانه أكثر الشعر عدد حروف وعدد حروفه سبعة وأربعون حرفا وربما كان مصرعا فجاء على ثمانية وأربعين حرفا (والمديد) وهو مبنى على فاعلاتن فاعلن ثمانية أجزاء وانما سمى مديدا لامتداد سببه فصار سبب فى أول جزء ابتدائه وسبب فى آخره (والبسيط) وهو مبنى على مستفعلن فاعلن ثمانية أجزاء وانما سمى بسيطا لانبساط الاسباب فى أول أجزائه فى الدائرة وهن يفككن من دائرة المختلف (والوافر) وهو أصل دائرة المؤتلف وهو مبنى على مفاعلتن مفاعلتن فعولن ستة اجزاء وسمى بذلك لانه استوفى عدد أجزائه فى الدائرة فهو موفور الحركات ناقص الحروف (والكامل) وهو مبنى من متفاعلن متفاعلن ستة أجزاء وانما سمى بذلك لكمال أجزائه وحركاته وحروفه ولم ينقص منه شئ كما نقص من الوافر ومنها انه جاء على اثنين وأربعين حرفا منها ثلاثون متحركات فلما كثرت حركاته وزادت على سائر الاجناس سمى كاملا وهما يفكان من دائرة المؤتلف (والهزج) وهو أصل دائرة المجتلب وهو مبنى على مفاعيلن مفاعيلن ستة أجزاء وهو مشتق من تهزج الصوت وهو التردد لانه يتوالى فى آخر كل جزء سببان فتواليهما هو التهزج (والرجز) وهو مبنى على مستفعلن مستفعلن ستة أجزاء سمى بذلك لان فى كل جزء منه سببين فهو سريع لاضطرابه والرجز هو أن تتحرك قوائم البعير مرة وتسكن أخرى (والرمل) وهو مبنى على فاعلاتن فاعلاتن ستة أجزاء وهو مشتق من السرعة فى السير وهن يفككن من دائرة المجتلب (والسريع) وهو أصل دائرة المشتبه وهو مبنى على مستفعلن (١) فاعلاتن ستة أجزاء وسمى بذلك لسرعته على اللسان (والمنسرح) وهو مبنى على مستفعلن مفعولات ستة أجزاء سمى بذلك لانسراحه فى سهولته (والخفيف) كالرمل فى السرعة وانما غير بينهما فى التسمية وهو مبنى على فاعلاتن مستفع لن فاعلاتن ستة أجزاء (والمضارع) وهو مبنى على مفاعيلن فاع لاتن مفاعيلن ستة أجزاء وسمى بذلك لمضارعته الهزج وقيل المجتث وقيل المنسرح وقيل الخفيف ولكل قول من هذه الاقوال حجة مذكورة فى كتب العروض يضيق عنها الوقت ويفوت الغرض المقصود فى هذا الكتاب (والمقتضب) وهو مبنى على مفعولات مستفعلن ستة أجزاء سمى بذلك لانه اقتضب من المنسرح وقيل من السريع (والمجتث) وهو مبنى على مستفع لن فاعلاتن فاعلاتن ستة أجزاء وسمى بذلك لانه اجتث من الخفيف كما اقتضب المقتضب من المنسرح وهن يفككن من دائرة المشتبه (والمتقارب) وهو رب دائرة المتفق لا يشركه

(١) قوله على مستفعلن فاعلاتن الخ صوابه على مستفعلن مستفعلن مفعولات الخ كما هو ظاهر اهـ

واذا جلست وكان مثالك قائما
فمن المروءة أن تقوم وان أبى
واذا اتكأت وكان مثالك جالسا
فمن المروءة أن تزيل المتكا
واذا ركبت وكان مثالك ماشيا
فمن المروءة ان مشيت كما مشى

(قال الامام أبو الحسن الماوردى) الفرق بين العقل والمروءة ان العقل يأمر بالانفع والمروءة تأمر بالاجمل ولا ينقاد للمروءة الا من سهلت عليه المشاق رغبة فى الحمد ولذلك سيد القوم أشقاهم (قال أبو الطيب)

لولا المشقة ساد الناس كلهم
الجود يفقر والاقدام قتال

(وقال أيضا)

واذا كانت النفوس كبارا
تعبت فى مرادها الاجسام

والداعى الى استسهال المشاق علو الهمة وشرف النفس فعلو الهمة يبعث على التقدم وبشرف النفس يكون قبول التأديب والتهذيب وبه تعرف النفس قدرها وشروط المروءة وحقوقها لا تكاد تحصى لانتشارها وخفاء أكثرها ولكن الاظهر منها ينحصر فى قسمين شروط مروءة المرء فى نفسه وهى العفة والنزاهة والصيانة وشروط مروءة المرء فى غيره وهى المعاونة والمياسرة والافضال

(العفة)

وهى اما عن المحارم واما عن المآثم (فالعفة) عن المحارم ضبط الفرج وكف اللسان (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم) من وقى شر ذبذبه ولقلقه وقبقبه فقد وقى والذبذب الفرج واللقلق اللسان والقبقب البطن (وقال) عليه السلام أحب العفاف الى الله عفاف البطن والفرج (والعفة) عن المآثم

فيها غيره وهو مبني على فعول ثمانية أجزاء وسمي بذلك لتقارب أوتاده من أسبابه لانه سبب ووتد ووتد وسبب فأسبابه كأوتاده وأوتاده كأسبابه (و زاد الاخفش) بحرا آخر وسماه الخبب وهو مبني على (١) فعلن فعلن ثمانية أجزاء وهو عند الخليل غير مستعمل و يسمى المتدارك والمخترع و ركض الخيل وهو والمتقارب يفكان من دائرة المتفق (نادرة) يحكى أن الخليل كان له ولد جاف فدخل عليه يوما فوجد أباه قد أدخل رأسه في حب وهو يقطع بيت شعر فخرج صارخا وقال ادركوا أبي فقد جن فدخل اليه أصحابه وأعلموه بما قال ولده فأنشد مخاطبا له

لو كنت تعلم ما أقول عذرتني * أو كنت أجهل ما تقول عذلتكا
لكن جهلت مقالتي فعذلتني * وعلمت أنك جاهل فعذرتكا

ومن بديع فصاحة البلغاء وصنيع بلاغة الفصحاء
في وصف ذي الذهن الوقاد والطبع السليم المنقاد

وصف بعض البلغاء ذكيا فقال فلان يعلم من مفتتح الامر خاتمته ومن بديهه عاقبته فلان له بصيرة حاضرة ورؤية مستأمرة كل علم في سكناته وكل دها في حركاته فلان له رأي كاهن وطنة منجم متى حصل في عارض مشكل وأمر معضل دله فؤاده على الهداية وأمنه من الجهالة والغواية فلان عنده مشكل الامر مشكول أخذه من قول حبيب

يرى الحادث المستعجم الخطب معجما * لديه ومشكولا اذا كان مشكلا
(ولعنان جارية الناطفي في جعفر بن يحيى)
بديهته وفكرته سواء * اذا اشتبهت على الناس الامور
وصدر فيه للهم اتساع * اذا ضاقت من الهم الصدور

(وصف) رجل عضد الدولة فقال له وجه فيه ألف عين وفم فيه ألف لسان وصدر فيه ألف قلب (وصف) سهل بن هرون رجلا فقال ما رأيت أكثر فهما للجليل ولا أحسن تفهما لدقيق منه (وصف) الباحرزي أطروشا يفهم ما يكتب له على ظهر الكف فقال اذا حاول لصاحبه عرض ببنانه على ظهر كف وقف لي المراد و رضي نيابة البنان عن الانبوب المغموس في المداد حتى كأن لكل شعرة من بدنه واعيا مصغيا باذنه وذلك لعمري كالرقم على بسيط الماء بالخيال أو كالنقش على قائم الهواء بالهباء ومن عجيب أمره أنه في الصمم بحيث أقول في غيره

وأصلخ في منفذي سمعه * صمام من الصمم المطبق
فلو نفخ الصور في عصره * لافلت حيا ولم يصعق

(وصف) اليوسفي غلاما بالذكاء فقال كان يعرف المراد باللحظ كما يعرفه باللفظ و يعاين في الناظر ما يجري في الخاطر أقرب الى داعيه من يد متعاطيه حديد الذهن ثاقب الفهم يغنيك عند الملامة ولا يحوجك الى الاستزادة (قال أبو نواس) يصف نفسه في محبة مخدومه بالذكاء

اذا جعل اللفظ الخفي كلامه * جعلت له عيني لتفهمه اذنا
(وقال) الشريف بن طباطبا يمدح صاحبا له بهذه الصفة
لي صاحب لا غاب عني شخصه * أبدا وظلت ممتعا بوداده

(١) قوله على فعلن الخ الاولى على فاعلن لانه الاصل اه مصححه

كالكف عن الظلم والخيانة والمكر ولا يحيق المكر السيئ الا بأهله والباعث على الظالم الجرأة والقسوة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أصبح ولم ينو ظلم أحد غفر له ما اجترم (وقال علي ابن أبي طالب رضي الله عنه) اتق دعوة المظلوم فانه يسأل حقه وان الله لا يمنع ذا حق حقه والخيانة مما تعجل عقوبتها (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم) أد الامانة الى من ائتمنك ولا تخن من خانك وقال خالد الربعي قرأت في بعض الكتب ان مما تعجل عقوبته الامانة تخان والاحسان يكفر والرحم تقطع والبغي على الناس

(النزاهة)

وهي اماعن المسامع الدنية أو عن مواقف الريبة (وكان) رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في دعائه اللهم أعوذ بك من طمع يهدي الى طبع (وفي المعنى قال الشاعر)

لا تضرعن لمخلوق على طمع
فان ذلك نقص منك في الدين
واسترزق الله مما في خزائنه
فانما هو بين الكاف والنون

والباعث على الطمع الشره وقلة الانفة فلا يقنع بما أوتي ولا يستنكف عما منع وحسم الطمع باليأس والقناعة ومواقف الريبة التردد بين منزلتي حمد وذم والوقوف بين حالتي سلامة وسقم (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم) دع ما يريبك الى ما لا يريبك والمانع مما يريب الحياء والحذر وقد تنتفي الريبة بحسن الثقة وترتفع التهمة بطول الخبرة والصلاح (كما حكي) ان بعض الحواريين رأى عيسى عليه السلام

فطن بما يوحى اليـه كأنما * قد نيط هاجس فكرتي بفؤاده

وكل الناس الاذكياء عيال على زياد بن أبيه (حكى عنه) انه كان يوما جالسا في مجلس عمر فاملى عمر على كاتبه كتابا فاسرافكتب الكاتب خلافه فقال زياد يا أمير المؤمنين انه كتب غير ما أمليته فتناول عمر الكتاب فوجد الامر كما قال زياد فقال عمر لزياد من أين علمت هذا قال رأيت رجع فيك وحركة قلمه فلم أر بينهما اتفاقا

﴿الفصل الثاني من الباب السابع﴾

في ذكر بداهة الاذكياء البديعة واجوبتهم المفحمة السريعة

(قالوا) البديهة قدرة روحانية في حلية بشرية كما أن الرؤية صورة بشرية في حلية روحانية (ويقال) بالاحسان في البديهة تفاضلت العقول (ويقال) ميسور الرأي عند البديهة خير من الاطناب بعد الفكرة (فمن أبدع) في بديهته من الفضلاء من غير ما سؤال ولا ابتلاء (أبو نواس) وذلك أنه اجتمع ندماء الامين في مجلس أنس وخلاعة وهو فيهم فخرج عليهم الأمين في زينته مخمورا والجواري يحملنه على سرير فلما رآه أبو نواس قال ان آية ملكه أن يأتيكم التابوت فيه سكينة من ربكم وبقية مما ترك آل موسى وآل هرون تحمله الملائكة فلله حسن انتزاع هذا الرجل ما أبدعه وأبرعه وفكره ما أصدعه وأسرعه لقد حاز رشأو الاختراع في الانتزاع وتعدى الغاية وصرف العقول لاستحسان ما أشار اليه بهذه الآية لان أباه هرون الرشيد وعمه موسى الهادي وهو وارثهما (وصعد) سليمان بن عبد الملك يوم جمعة المنبر ويقال الوليد وعليه أكثر المؤرخين فسمع صوت ناقوس فقال ما هذا قالوا البيعة يا أمير المؤمنين فأمر بهدمها فهدمت فبلغ ذلك ملك الروم فكتب اليه ان هذه البيعة أقرها من كان قبلك فان كانوا أصابوا فقد أخطأت وان تكن أصبت فقد أخطؤا فسأل سليمان من خواص دولته الجواب فأعياهم فقال الفرزدق عن اذن أمير المؤمنين قل قال يكتب اليه ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما فسر بذلك وأمر له بعشرة آلاف درهم (وخطب) قتيبة بن مسلم على منبر خراسان عند ما قدمها واليا فسقطت العصا من يده فتطير من ذلك فقام بعض الاعراب فمسحها وناوله اياها وقال أيها الامير ليس كما طن العدو وساء الصديق ولكنه كما قال الشاعر

فألقت عصاها واستقر بها النوى * كما قر عينا بالاياب المسافر

فسرى عنه ما كان وجده من الغم وأمر له بخمسة آلاف درهم (وخرج) طاهر بن الحسين لقتال علي بن عيسى بن ماهان وفي كمه دراهم يفرقها على الضعفاء وسها انها في كمه فأسبل كمه فتبددت فتغير لذلك وتطير منه فأنشده شاعر كان معه

هذا تفرق جمعهم لا غيره * وذهابها منه ذهاب الهم

شئ يكون الهم نصف حروفه * لا خير في امساكه في الكم

(ودخل) أبو الشمقمق واسمه مروان بن محمد على خالد بن يزيد بن مزيد الشيباني وقد قلده المأمون الموصل فلما دخل الموصل مر ببعض الدروب فاندق منه اللواء في بعض أبوابها فتطير خالد من ذلك فقال أبو الشمقمق يسليه عن الطيرة

ما كان مندق اللواء لطيرة * تخشى ولا سوء يكون معجلا

لكن هذا الرمح أضعف متنه * صغر الولاية فاستقل الموصلا

فسرى عنه ما كان وجده وكتب صاحب البريد الى المأمون بذلك فزاده ديار ربيعة وأعطى خالد أبا الشمقمق عشرة آلاف درهم

وقد خرج من منزل ذات طهور فقال يا روح الله ما تصنع هنا قال الطبيب انما يداوي المرضى (ووقف رسول الله صلى الله عليه وسلم) مع زوجته صفية ذات ليلة على باب مسجده يحادثها وكان معتكفا فمر بهما رجلان من الانصار فأسرعا فقال لهما على رسلكما أنها صفية بنت حيي فقالا سبحان الله أيتخالجنا فيك شك يا رسول الله فقال مه ان الشيطان يجري من ابن آدم مجرى لحمه ودمه فخشيت أن يقذف في قلوبكما سوأ (وقال) صلى الله عليه وسلم اذا لم يشن المرء الا بما عمل فقد سعد قال أبو بكر الصولي

حسنت ظني باهل دهري * فحسن ظني بهم دهاني

لا آمن الناس بعد هذا * ما الخوف الا من الامان

(الصيانة)

وهي اما بالاقتصاد أو بالاستغناء عن الناس (أما) الاقتصاد فلان المحتاج مهتضم ولكن لا بد مما يسد الخلة وشروطه ثلاثة أحدها أخذه من حله الثاني عدم ابتذال العرض فيه لان العرض لا يبتذل في كسبه الثالث حسن التدبير لان سوء التدبير فساد (وقيل) الكمال في ثلاث الفقه في الدين والصبر على النوائب وحسن التدبير في المعيشة وما أفضل من الكفاية مجلبة للشغب والتعب (واما) الاستغناء عن الناس فلان تحمل منن الناس ذل والاسترسال في الاستعانة بهم تثقيل عليهم (قال بعضهم) من قبل صلاتك فقد باعك مروءته وأذل لك عزته وانشد ثعلب

﴿ومن سئل من الاذكياء فأجاب وأتت سرعة بديهته بالشئ العجاب﴾

ما يحكى أن المأمون دخل يوما ديوانه فمر بغلام جميل على أذنه قلم فأعجبه حسنه فقال من الشاب فقام وقال الناشئ في دولتك والمؤمل لخدمتك والمتقلب في نعمتك الحسن بن رجاء فاستحسن كلامه وأمر له بمائة ألف درهم (ودخل) محمد بن عبد الملك بن صالح على المأمون فسلم فقال من أنت قال سليل نعمتك وابن دولتك وغصن من أغصان دوحتك فأعجبه وسأله عن حاجته فقضاها له (وقال ابو عبادة البحتري) دخلت يوما دار الفتح بن خاقان فوجدت الشعراء في دهليز داره وبينهم صبي صغير السن قصير القامة فقلت ما أنت يا غلام فقال شاعر فتبسمت عجبا منه ثم قلت أجز ليت ما بين من أحب وبيني * قال من البعد أم من القرب قلت من القرب فقال مثل ما بين حاجبي وعيني * فقلت فان أردناه من البعد فقال مثل ما بين ملتقى الخافقين * فأخذت بيده وأوصلته الى الفتح واخبرته بما دار بيني وبينه فعجب منه وأجازه (لام السفاح) خالد بن برمك على كثرة عطائه وصلاته فقال له خالد لم أر شكري يحيط بنعم أمير المؤمنين فاستعنت بألسنة الناس عليها (ومثلها) ما حكي ان الواثق قال يوما لاحمد بن ابي دواد وقد ضجر من كثرة حوائجه يا احمد قد أخليت بيوت الاموال من افراطك في الطلب للائذين بك فقال يا امير المؤمنين نتائج شكرها متصلة بك وذخائر أجرها مكتوبة لك وما لي من ذلك الا عشق اتصال الالسن بخلود المدح فيك فقال الواثق والله يا أبا عبد الله ما منعناك ما يزيد في عشقك ويقوي من همتك وامره ان يجري على عادته في عرض حوائجه (وكان) الفضل بن يحيي يرسل الى القاسم بن اسحق البصري مع حوائزه رقاعا مختومة فيرد الجواب برقاع منشورة فنقم عليه وكره ذلك منه فكتب اليه القاسم رقاعك تشتمل على برو رقاعي تشتمل على شكر فانت تكتم برك وانا انشر شكري فكل منا فعل ما وجب عليه وندب اليه (وفد) حاجب بن زرارة على باب كسرى وكان قد منع تميم ريف العراق فقال لحاجبه قل للملك ان بالباب رجلا من العرب يريد الوفود عليك والمثول بين يديك فاعلم الحاجب كسرى بما قال فاذن له فلما وقف بين يديه قال له من أنت قال سيد العرب قال ألست القائل للحاجب انك رجل من العرب قال نعم قلت ذلك قبل وصولي اليك ومثولي بين يديك واما وقد تشرفت بخدمتك وحظيت برؤيتك فقد صرت سيد العرب فقال كسرى زه وامر أن يحشى فمه جواهر ورمى اليه وسادة تكرمة له فأخذها ووضعها على رأسه فتغامز عليه من كان حاضرا من المرازبة واستجهل فقال له كسرى ليس هذا مكانها انما هي للجلوس عليها فقال علمت انها لذلك ولكني لما رأيت عليها صورتك أجللتها فوضعتها على أشرف اعضائي ليتشرف بها فقال كسرى زه وامر ان يسور فسور (وروى كثير) راكبا ومحمد بن علي الباقر رضي الله عنه يمشي معه فقيل أتركب ومحمد يمشي فقال هو امرني بذلك فطاعتي له في الركوب افضل من عصياني له في المشي (ودخل) عدي بن أرطاة على شريح القاضي فقال اني رجل من اهل الشام قال بعيد سحيق قال واني قدمت بلدكم هذه قال خير مقدم قال واني تزوجت قال بالرفاء والبنين قال وان امرأتي ولدت غلاما قال يهنئك الفارس قال وقد كنت شرطت لها صداقا قال الشرط أملك قال وقد اردت الخروج بها الى بلدي قال الرجل احق بأهله قال فاقض بيننا قال قد فعلت قال بشهادة من قال بشهادة ابن اخت خالتك (ودخل) عروة بن الزبير بستانا لعبد الملك بن مروان وقد فتحت ازهاره واينعت ثماره وبسقت اشجاره واطردت انهاره وتغردت اطياره فقال له عبد الملك ما احسن هـ

من عف خف على الصديق لقاؤه *
وأخو الحوائج وجهه مبذول
وأخوك من وفرت ما في كيسه *
فاذا استعنت به فانت ثقيل

ومن دعاه الى الاستعانة اضطرار ألم أو حادث هجم فلا لوم على مضطر (وقد) اقترض رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قضى فأحسن وقال من أعياه رزق الله حلالا فليستدن على الله ورسوله (قال البحتري)

ان لا يكن مال ففضل عطية *
يبلغ بها باغي الرضى بعض الرضى
أولا تكن هبة فقرض يسرت *
أسبابه وكواهب من أقرضا

وقد كر شروط مروءة المرء في غيره

(المعاونة)

تكون بالجاه والمال والبدن (قال) رسول الله صلى الله عليه وسلم الخلق كلهم عيال الله فاحب خلق الله اليه أحسنهم صنيعا الى عياله (وقال) عليه السلام من عظمت نعمة الله عنده عظمت مؤنة الناس عليه فمن لم يحتمل تلك المؤنة عرض للزوال تلك النعمة وعلى المعاون التلقي بالبشر ومجانبة الامتنان وترك التعرض للتقريع بما كان (قال الشاعر)

ألم تعلما أن الملامة نفعها قليل *
اذا ما الشئ ولى فادبرا

(قال) عليه السلام أقيلوا ذوي الهيئات عثراتهم قال عدي بن زيد

كفى زاجر للمرء أيام دهره *
تروح له بالواعظات وتغتدي

(وقال عليه السلام) خير من الخير معطيه وشر من الشر فاعله والمعاونة واجبة للاهل والاخوان والجيران وتبرع لغيرهم

(المياسرة)

وهي العفو عن الهفوات والمسامحة

البستان فقال انت أحسن منه لانه يؤتى أكله كل عام وانت تؤتى أكلك كل حين (وقف المنذر) على عجوز من العرب فقال ممن انت قالت من طيء فقال ما منع طيأ أن يكون فيهم مثل حاتم قالت الذى منع الملوك ان يكون فيهم مثلك فعجب من سرعة جوابها ووصلها (وركب الرشيد) وجعفر بن يحيى يسايره فرأى الرشيد فى طريقه اجمالا مقبلة فسأل عنها فقيل له هدايا خراسان بعث بها على بن عيسى بن ماهان وكان الرشيد ولاه اياها بعد الفضل بن يحيى فقال الرشيد لجعفر أين كانت هذه أيام أخيك قال فى منازل أصحابها يا أمير المؤمنين (نادرة) ولى المنصور سليمان بن راشد الموصل وضم اليه ألفا من العجم وقال له قد ضممت لك ألف شيطان تذل بهم الخلق فلما أتى الموصل عاثوا فى البلاد وقطعوا السبل فانتهى خبرهم الى المنصور فكتب اليه أكفرت النعمة يا سليمان فأجابه وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا فقبل المنصور عذره وصرفهم عنه (وقال المتوكل) لابى العيناء ما أشد ما مر عليك فى ذهاب بصرك قال فوت رؤيتك يا أمير المؤمنين (وحكى) أن الحجاج طاف ليلة فظفر برجلين سكرانين فقال من أنتما فقال أحدهما

أنا ابن الذى لا ينزل الدهر قدره * وان نزلت يوما فسوف تعود
ترى الناس أفواجا الى ضوء ناره * فمنهم قيام حولها وقعود

وسأل الآخر فقال

أنا ابن من ذلت الرقاب له * ما بين مخزومها وهاشمها
تأتيه بالرغم وهى صاغرة * يأخذ من مالها ومن دمها

فسأل الحجاج عن أبويهما فاذا أبو الاول باقلانى وأبو الآخر حجام فقال الحجاج أطلقوهما لادبهما لا لنسبهما لئن أخطأ النسب فما أخطأ الادب (وقد) أخذ بعض الشعراء قول الثانى فقال يمدح حجاما فى معرض التهكم والاستهزاء

أبوك حز الحجا دعاتقه * كم من كمى أدمى ومن بطل
يأخذ من ماله ومن دمه * لم يمس من ثائر على وجل

﴿ومن رشق من الفهماء بسهام المقال فزبرها بعارضة أحد من النصال﴾

عروة بن الزبير وذلك أنه دخل على عبد الملك بن مروان يوما فلما استقر به المجلس تجاذب الجلساء اذيال المذاكرة وتساقوا أكواب المحاورة فذكر أخاه عبد الله فقال كان أبو بكر يفعل كذا وكذا وكان أبو بكر يقول كذا فقال له انسان تكنيه عند أمير المؤمنين لا أم لك فقال الىّ يقال لا أم لك وأنا ابن عجائز الجنة يعنى أن صفية بنت عبد المطلب عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم جدته وعائشة أم المؤمنين خالته واسماء ذات النطاقين أمه (ودخل) شاب على المنصور فسأله عن والده فقال مرض والدى رحمه الله يوم كذا ومات رحمه الله يوم كذا وترك من المال رحمه الله كذا فانتهره الربيع وقال بين يدى أمير المؤمنين توالى بالدعاء لابيك فقال الشاب لا ألومك يا ربيع لانك لم تعرف حلاوة الآباء فضحك المنصور وخجل الربيع وذلك أن الربيع كان مولى للمنصور لا يعرف له أب (قال أبو الفرج الاصفهانى) كان الربيع يدعى أنه ابن يونس بن أبى فروة وبنو فروة يدفعون ذلك ويزعمون انه لقيط وجد منبوذا وكفله يونس فلما كبر وهبه يونس للمنصور قبل الخلافة فلما ولى الخلافة جعله حاجبا ثم جعله وزيرا وقال ابن عبدوس الجهشيارى هو الربيع بن يونس بن محمد بن أبى فروة واسم أبى فروه كيسان مولى الحرث الحفار مولى عثمان بن عفان وكان يونس شاطرا بالمدينة فعلق أمه دوم بالمدينة ووقع عليها فجاءت بالربيع فاستعبد ولم يكن ليونس مال فيبتاعه فابتاعه زياد بن

فى الحقوق والواجبات فاما العفو عن الهفوات فشيمة أهل الفضل وعنوان ذوى العقل وتدقيل لا صديق لمن أراد صديقا لا عيب فيه وقيل لابى نوفل هل من أحد لا عيب فيه قال من لا موت له (قال أبو العتاهيه)

وشر الاخاء من لم يزل * يعاتب طورا وطورا يذم
يريك النصيحة عند اللقا * ويبريك فى السر برى القلم

والهفوات صغائر وكبائر فالصغائر مغفورة لتعذر الاحتراس منها والكبائر منها ما يقع سهوا وهو هدر ومنها ما يقع عمدا فان كان مجازاه فاللائمة على البادى (قال بعض الحكماء) من نالته اساءتك هيئته مساءتك وان كان لكف عدو فالشر لا يطفأ الا بالشر ان كان اطفاؤه بالخير أولى (قال جعفر بن محمد) كفاك من الله نصرا أن ترى عدوك يعصى الله (وقال البحترى)

فأقسم لا أجزيك بالشر مثله * كفى بالذى جازيتنى لك جازيا

وان كان لكف لئيم كان التغافل أولى وقيل شرف الكريم تغافله عن اللئيم (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم) الناس كشجرة ذات جنى ويوشك أن يعودوا كشجرة ذات شوك ان ناقدتهم ناقدوك وان هربت عنهم طلبوك وان تركتهم لم يتركوك قيل يا رسول الله وكيف المخرج قال أقرضهم من عرضك ليوم فاقتك (وقال) شر ما فى الكريم ان يمنعك خيره وخير ما فى اللئيم ان يكف عنك شره (قال ابن دقيقة)

والخير والشر مقرونان فى قرن * فالخير متبع والشر محذور

عبد الله خال أبي عبد الله السفاح أهداه اليه ولم يزل يخدمه حتى مات فخدم أبا جعفر بعده فخص به واستولى على أمره لحذاقته ونباهته (وحكى) ان قرشيا سأل خالد بن صفوان الاهتم التميمي عن اسمه فانتسب له فقال القرشي ان اسمك لكذب ما أحد في الدنيا يخلد وان أباك لحجر يعبد من الرشح وان جدك لاهتم والصحيح خير من الاهتم فقال له خالد لقد سألت فأجبتك فمن أنت قال من قريش قال من أي قريش أنت قال من بني عبد الدار قال خالد لم تصنع شيأ يا أخا عبد الدار فمثلك يشتم تميما في عزها وشرفها وقد هشمتك هاشم وامتك أمية وجمحت بك جمح ورضخت رأسك فهر وخزمت أنفك مخزوم ولوت بك لؤي وغلبتك غالب ونفتك مناف وزهرت عليك زهرة وأقصتك قصي فجعلتك عبد داره ومنتهى عارها تفتح اذا دخلوا وتغلق اذا خرجوا فانصرف الرجل ميتا من شدة الغيظ فكانت امرأته تنادي في أزقة البصرة صارخة خالد قتل بعلي بلسانه وادعى أهله على خالد بديته لانه مات بسبب كلامه (وافتخر) قوم باليمن عند هشام بن عبد الملك فقال لخالد بن صفوان أجبهم فقال ما عسى ان أقول لقوم هم بين ناسج برد ودابغ جلد وسائس قرد ملكتهم امرأة ودل عليهم هدهد وغرقتهم فأرة (وقال) معاوية لعقيل ما حال عمك أبي لهب قال في النار يفترش عمتك حمالة الحطب (ودخل) عقيل بعد ما كف بصره على معاوية يوما فقال له ما بالكم تصابون في أبصاركم يا بني هاشم يعرض به وبعبد الله بن عباس قال كما تصابون أنتم في بصائركم يا بني أمية (وحكى) ان هندا ابنة عتبة بن ربيعة وقفت بالموسم وقالت يا بني هاشم أين أبي أين أخي أين عمي أين الذين كانت وجوههم تضيء للساري في الليل العاكر ونسق بمدحهم لسان الذاكر فقال لها عقيل بن أبي طالب اذا دخلت النار فخذي على شمالك (ودخل) يزيد بن أبي مسلم على سليمان بن عبد الملك فلما رآه دميما حقيرا قال له لعنة الله على رجل أجرك رسنه وولاك حبله فقال يا أمير المؤمنين رأيتني والامر عني مدبر فلو رأيتني والامر علي مقبل لاستعظمت مني ما استصغرت فقال له سليمان أترى الحجاج بلغ قعر جهنم بعد فقال يا أمير المؤمنين يجيء الحجاج يوم القيامة بين أبيك وأخيك قابضا على يمين أبيك وشمال أخيك فضعه حيث شئت (ودخل) بعض الشعراء على أمير يريد مدحه فقال له الامير ممن أنت قال من تميم قال الذي يقول فيهم الشاعر

تميم بطرق اللؤم أهدى من القطا * ولو سلكت سبل المكارم ضلت

(أخذت امرأة) في زنا فطيف بها على جمل فقال لها بعض المجان كيف خلفت الحاج قالت بخير وكانت أمك في النفر الاول * وقال رجل للفرزدق كيف عهدك بالحر قال منذ ماتت عجوزك * وقال عبد الله بن طاهر لرجل ما بال شدقك معوجا قال عقوبة عاقبني الله بها لكثرة ثنائي عليك بالباطل (اجتمع) أبو حنيفة النعمان بن ثابت وشيطان الطاق ابراهيم بن هرون عند المهدي بعد موت جعفر بن محمد الصادق رضي الله عنه وعن آبائه فقال أبو حنيفة لشيطان الطاق يعرض به مات امامك فقال له أبشر فان امامك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم فقال المهدي لله درك لقد أجدت وأمر له بعشرة آلاف درهم * ومازح المتوكل أبا العيناء فقال هل أبصرت طالبيا حسن الوجه فقال يا أمير المؤمنين وهل يسئل أعمى عن مثل هذا قال انما سألتك عما سلف اذ كنت بصيرا قال نعم رأيت منهم ببغداد منذ ثلاثين سنة فتى ما رأيت أجمل منه ولا ألطف شمائل قال المتوكل نجده كان مؤاجرا ونجدك كنت قوادا عليه قال أبو العيناء وتفرغت لهذا يا أمير المؤمنين أتراني كنت أدع مواليّ وأقود على الغرباء قال اسكت يا مأبون قال مولى القوم منهم قال المتوكل أردت أن أشتفي منهم به فاشتفى لهم مني (وقال رجل لمغنية) أشتهي أن أقتلك قالت ولم قال لانك زانية قالت فكل

وان كان تنكرا من صديق عولج بالاغضاء (وقال) دواء المودة كثرة التعاهد

(قال كشاجم)

أقل ذا الود عثرته وقفه
على سنن الطريق المستقيمه
ولا تسرع بمعتبة اليه
فقد يهفو ونيته سليمه

ومن الناس من يرى متاركة من تنكر كالعضو يقطع اذ فسد لان رغبتك فيمن يزهد فيك ذل وزهدك فيمن يرغب فيك صغر همة (قيل للمهلب) بن أبي صفرة ما تقول في العفو والعقوبة قال هما بمنزلة الجود والبخل فتمسك بأيهما شئت ومن حقوق الصفح الكشف عن سبب الهفوة وهو اما ملل او زلل فالملل موده صاحبه ظل غمام وحلم منام فيترك للملل فيميل ويرجع والزلل ينبغي ان يؤول كما فعل خالد ابن صفوان وقد مر به صديقان عرج أحدهما وطواه الآخر فقيل له في ذلك فقال عرج الواحد لفضيلته وطواه الآخر لثقته فان لم يقبل الزلل تأويلا ووقع عليه ندم فالندم توبة ولا ذنب لتائب ولا يكلف التائب عذرا (وقال) عليه السلام اياكم والمعاذر فانها مفاجر (وقال علي رضي الله عنه) كفى بما يعتذر منه تهمة ومن عجل العذر قبل توبته قبل عذره فالعذر توبة

(قال الشاعر)

اقبل معاذير من يأتيك معتذرا
ان بر عندك فيما قال أو فجرا
فقد أطاعك من يرضيك ظاهره
وقد أجلك من يعصيك مستترا
واحلم عن الناس اذ ما كنت مقتدرا
فالسيد الحر من يعفو اذا قدرا

وتارك التوبة والاعتذار ان كف عن

زانية

زانية تقتل قال نعم قالت فابدأ بمن تعول * لقي خالد بن صفوان الفرزدق وكان كثيرا ما يداعبه وكان الفرزدق دميما فقال له أبا فراس ما انت بالذي لما رأينه أكبرنه وقطعن أيديهن فقال الفرزدق ولا أنت أبا صفوان بالذي قالت الفتاة لابيها في حقه يا أبت استأجره ان خير من استأجرت القوي الامين (رأى أبو نواس) غلاما جميلا يمشي في بعض السكك فقال له ما تصنع الحور بين الدور فقال الصبي ما يصنع الشيطان بين الحيطان (وحبس) عمرو بن العاص عن جنده العطاء فقام اليه رجل حميري وقال أصلح الله الامير اذا لم تعطنا شيأ فاتخذ جندا من حجارة لا يأكلون ولا يشربون فقال له عمرو اخسأ يا كلب فقال الحميري ان كنت كما ذكرت فانت اذن أمير الكلاب

﴿ومن تهكم في خطابه واعتمد الهزل في جوابه﴾

ما حكي أن خالد بن الوليد لما قدم اليمامة نزل عسكره على قصر من قصور الحيرة يقال له قصر بني بقيلة فسألهم أن يبعثوا له رجلا من عقلائهم وذوي أنسابهم فبعثوا اليه عبد المسيح بن بقيلة فأقبل يدب في مشيه فقال خالد بعثوا الينا شيخا لا يفهم شيأ فلما وصل اليه قال أنعم صباحا فقال خالد ان الله أكرمنا بتحية خير من هذه ثم قال له أين أقصى أثرك قال ظهر أبي فقال من أين خرجت قال من بطن أمي قال علام أنت قال على الارض قال فيم أنت قال في ثيابي فقال له تعقل قال نعم وأقيد قال ابن كم أنت قال ابن رجل وامرأة قال كم أتى عليك قال لو أتى علي شئ لقتلني قال كم سنك قال ست وثلاثون قال خالد ما رأيت كاليوم أسألك عن شئ وتجيبني عن غيره قال ما أجبتك الا عما سألت قال كم عمرك قال ثلثمائة وخمسون سنة فجعل لا يسأله عن شئ الا أجابه (وقال الحجاج) لرجل من الخوارج أجمعت القرآن قال ما كان مفرقا فاجمعه قال افتحفظه قال ما خشيت فراره حتى أحفظه قال ما تقول في أمير المؤمنين قال لعنه الله ولعنك معه قال انك مقتول فكيف تلقى الله قال ألقاه بعملي وتلقاه بدمي (وكان المنصور) قد ألزم الناس بلباس قلانس طوال وان يطيلوا حمائل سيوفهم وان يكتبوا عليها فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم وذلك في سنة خمس وخمسين ومائة وفي هذه السنة وفد الشافعي رضي الله عنه فدخل عليه (١) أبو دلامة واسمه زيد بن الجون في هذا الزي فقال له كيف أنت يا أبا دلامة قال كيف حال من صار وجهه في وسطه وسيفه في استه ونبذ كتاب الله وراء ظهره فضحك منه وأمر بتغيير ذلك الزي (وماتت) حمادة بنت عيسى عمة المنصور فخرج في جنازتها فرأى أبا دلامة واقفا على شفير قبرها فقال ما أعددت لهذه الحفرة يا أبا دلامة قال عمة أمير المؤمنين يؤتى بها الساعة فتدفن فيها فغلب المنصور الضحك حتى ستر وجهه بطرف ردائه حياء من الناس (قال فتى لابيه) زوجني قال أوتحسن أن تعمل قال نعم أقيم ايري وأسد طعني وألصق عانتي واشد ضمي فقالت امه لابيه تعلم أسخن الله عينك من ابني فديته (عرض رجل) يقال له أبو البقر وكان ظريفا مطبوعا ماحنا على موسى بن عبد الملك فقال والله ما أعرف هذا فقال والله انك لاعرف به من الترك بالبوم والغزاة بالروم والعرب بالشيح والقيصوم ولكنك ضجرت ضجر المحب من الرقيب فقال انت ابو البقر قال انا ابو القوم الذين بين يديك فضحك منه وقضى حاجته (وتعرض) ابو العبر للمتوكل والمتوكل مشرف من قصره الجعفري وقد جعل في رجليه قلنسوتين وعلى رأسه خفا وجعل سراويله قميصا وقميصه سراويل فقال المتوكل علي بهذه المثلة فلما مثل بين يديه قال له انت شارب قال لا بل عنفقة يا أمير المؤمنين قال اني اضع رجلك في الادهم وانفيك الى فارس قال

(١) أي على المنصور اهـ

الاساءة فالكف احدى التوبتين والاقلاع احد العذرين وان استمر على اساءته فان امكن استصلاحه استصلح والا فآخر الداء الكي ومن سل سيف البغي أغمد في رأسه (وأما) المسامحة في الحقوق الواجبات فلان الاستقصاء منفر وذلك لمقت الطباع لمن شاحها وحب من سامحها (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم) أجملوا في طلب الدنيا فان كلا ميسر لما كتب له منها (وقال) عليه السلام ألا أدلكم على شئ يحبه الله ورسوله قالوا بلى يا رسول الله قال التغابن في الضعيف واشترى عمرو بن عبيد ازارا للحسن البصري وكان بستة دراهم ونصف فاعطى التاجر سبعة دراهم فقال التاجر انما ثمنه ستة ونصف قال هو لرجل لا يقاسم اخاه درهما والمسامحة في الاموال اسقاط وتخفيف وانظار وفي كلها حسن الثناء وجزيل الاجر (قال محمود)

المرء بعد الموت أحدوثة
يفنى وتبقى منه آثاره
فأحسن الحالات حال امرئ
تطيب بعد الموت اخباره

(الافضال)

وهو اصطناع واستكفاف (فاما) الاصطناع فهو ما اعطاه المرء جودا لشكور او تألف به نبوة نفور ومن قلت صنائعه في الشاكرين واعرض عن تألف النافرين بقي محقورا وفردا مهجورا (قال عمر ابن عبد العزيز) رضي الله عنه ما طاوعني الناس على شئ اردته من الحق حتى بسطت لهم طرفا من الدنيا (قال اسحق بن ابراهيم الموصلي)

يبقى الثناء وتذهب الاموال
ولكل دهر دولة ورجال

ضع رجلي في الاشهب وانفني الى راحل قال اتراني في قتلك مأثوم قال لا بل ما بصل يا أمير المأثوم بن فضحك منه ووصله

(ومن ليم على قبيح فعاله فسدده بمغالطات مقاله)

ما ذكر ان رجلا كان له ارض الى جانب ارض لرجل آخر فكان الرجل يضم كل سنة قطعة منها الى أرضه فقال له يوما ما هذا النقصان في ارضي والزيادة في أرضك قال ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء قال فمن أين أوتيت النقص قال يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء ان تبد لكم تسؤكم (وسئل) بعض الوعاظ لم تنصرف أشياء فلم يفهم ما قيل له فقال له يا هذا اقتف آثار المهتدين ولا تسأل سؤال الملحدين أما سمعت قول من يحيي الموتى ويميت الاحياء يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء لقد ارتكبت بمخالفتك ذنبا عظيما فاستغفر الله ان الله كان غفورا رحيما (وقرأ قارئ) في روضة تخبزون (١) فقال ماجن خشكار ام حواري فقال ما اراد وافقها ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين (وقال) يحيى ابن أكثم لشيخ من أهل البصرة بمن اقتديت في تحليل المتعة قال بعمر بن الخطاب قال يحيى كيف هذا وعمر كان اشد الناس فيها لان الخبر الصحيح أتى عنه انه صعد المنبر فقال ان الله ورسوله احل لكم متعتين واني محرمهما عليكم وأعاقب من فعلهما قال فنحن نقبل شهادته ولا نقبل تحريمه (وحكي) ان الفضل بن الربيع قال كنت اقرأ كتابا ورد علي والى جانبي رجل مد في ينظر فيه فقلت له ما تصنع ويحك قال بلغني ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من نظر في كتاب أخيه المؤمن بغير اذنه فكانما نظر في النار ولنا اشياخ تقدمونا فأردت اعرف أين مكانهم منها فشغلني الضحك منه عن الانكار عليه (ولما) قتل الحجاج بن يوسف عبد الله بن الزبير ارتجت مكة بالبكاء فأمر الحجاج الناس ان يجتمعوا الى المسجد ثم صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه وقال يا أهل مكة بلغني بكاؤكم على ابن الزبير وكان من أحبار هذه الامة حتى رغب في الخلافة ونازع أهلها فيها فخلع طاعة الله واستكن بحرم الله ولو كان شيأ مانعا للعصاة لمنعت آدم عليه السلام حرمة الجنة لان الله خلقه بيده ونفخ فيه من روحه وأسجد له ملائكته وأباحه جنته فلما أخطأ أخرجه من الجنة بخطيئته وآدم أكرم على الله من ابن الزبير والجنة أكبر حرمة من الكعبة (وجلس نحوي) الى جانب منبر واعظ فلحن الواعظ فقال له النحوي أخطأت يا لحنة فقال الواعظ بديها أيها المعرب في أقواله اللاحن في أفعاله مالي أراك تائها منكرا أكل ذلك لانك رفعت ونصبت وخفضت وجزمت هلا رفعت الى الله يديك في جميع الحاجات ونصبت بين عينيك ذكر الممات وخفضت نفسك عن الشهوات وجزمتها عن اتباع المحرمات أما علمت انه لا يقال يوم القيامة ألا كنت فصيحا معربا وانما يقال لم كنت عاصيا مذنبا فلو كان الامر كما زعمت لخوطب كما حكمت لكان هرون احق بالرسالة من موسى اذ قال الله تعالى اخبارا عنه وأخي هرون هو افصح مني لسانا فجعل الرسالة في موسى لفصاحة بيانه لا لفصاحة لسانه فالفصاحة فصاحة الجنان لا فصاحة اللسان ثم انشد

مجازف في الفعال ذو زلل * حتى اذا جاء قوله وزنه
قال وقد أعجبته لفظته * تيها وعجبا أخطأت يا لحنه
فقلت أخطأ الذي يقوم غدا * ولا يرى في كتابه حسنه

(ومن أطرف ما قيل)

(١) أي بجعل على الحاء نقطة وعلى الراء نقطة اه

ما نال محمدة الرجال وشكرهم
الا الجواد بماله المفضال
لا ترض من رجل حلاوة قوله
حتى يصدق ما يقول فعال

(قال الاحنف) ما ادخرت الآباء للابناء ولا أبقت الموتى للاحياء أفضل من اصطناع المعروف عند ذوي الاحساب (وأما) الاستنكاف فكل ما كف به لسان حاسد واستدفع ضر معاند (وقال عليه السلام) ما وقى المرء به عرضه فهو صدقة (وامتدح) الزهري رجل فأعطاه قميصه فقيل له تعطي في مثل هذا فقال ان من ابتغاء الخير اتقاء الشر وشرط عطاء الاستنكاف اخفاؤه حتى لا يطمع في مثله السفهاء وأن يظهر المعطي لما يعطيه وجها يقرن الاعطاء به وليغتنم المرء غناه وليأخذ من دنياه لاخراه (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم) اغتنم خمسا قبل خمس شبابك قبل هرمك وصحتك قبل سقمك وغناك قبل فقرك وفراغك قبل شغلك وحياتك قبل موتك

(الفصل الثالث في المال)

(اعلم) انه قد يحتاج الى الزيادة في المال أهل التكرم والافضال فالمال على المروءة من اكبر العون وللحسب والمجد من اعظم الصون وهو ستر العوار وعدمه يطفئ الانوار (قال بعض العرب) المروءة طعام مأكول ونائل مبذول وبشر مقبول وكلام معسول (وقال) أحيحة بن الجلاح

رزقت لبا ولم أرزق مروءته
وما المروءة الا كثرة المال
اذا أردت مساماة تقاعد بي
عما ينوه باسمي رقة الحال

يا على الناس باعرابه * أى فاحذرونى اننى ملسن
ان كان فى أفواله معربا * فانه فى فعله يلحن

(نظر رجل) الى مخنث ينتف لحيته فعنفه فقال له أتحب أن يكون فى أستك قال لا فقال شئ لا تحبه أن يكون فى أستك كيف أحب ان يكون فى وجهى (وقيل لمخنث) لم تنتف لحيتك فقال لسائله وانت أيضا لم لا تنتفها * وسمع بعضهم قارئا يقرأ الا كراد أشد كفرا ونفاقا فقال له و يحك انما هى الاعراب فقال كلهم يقطعون الطريق عليهم لعنة الله وسخطه

الفصل الثالث من الباب السابع
فيمن سبق بذكائه وفطنته الى ورود حياض منيته

(ينبغى) لنا أن نذكر مقدمة تنتج عنها حقيقة ما ترجمنا عليه وسقنا الغرض اليه وهى ان الانسان اذا كان ذا فكر ثاقب وقريحة وقادة ربما تشكل له فيها خيالات وهمية وأمور حدسية تؤيدها اصابات اتفاقية خارقات للعوائد أفعلية كالحدقة اذا ازداد شعاع باصرها عن حد الاعتدال ربما أدركت من المرئيات ما لا يمكن العبارة عنه فكان كالنقص والاختلال وكذلك السمع أيضا من شدة حدة الحاسة ربما عرض له طنين لكثرة ما يعى من السمعيات كما قلنا فى ادراك حدة البصر من المرئيات فتقرطس سهام تلك الخيالات الفكرية أعراض الاقدار ولا يعلم صاحبها أن الله أجراها بارادته شريكى عنان عبرة لاولى البصائر والابصار فمن لم يجعل الله له نورا فادته فرعنة طبعه الى القول والعناد وحسنت له أن يتصف بغير صفات العباد أو يقول ان السعادة اذا كانت مناطة بافعال الانسان فى حركاته وسكناته مساعدة له فى سائر حالاته حتى انه اذا ائتمر متعسرا تيسر أو صعبا هان أو شديدا لان ربما سولت له خيالات شيطانية ان تلك الافعال انفعلت بقدرته لا بالقدرة الالهية فتخرج النفس بدعاويها عن صفاتها البشرية وأطوارها الطينية كما فعل النمرود وذو فرعون ومن تابعهما بتخيلاتهم الفاسدة من أصحاب المقالات وأرباب المحالات وكل منهم عبد صنم هواه فأضله وأغواه ورقاه بدعواه أصعب مرتقى فهوى به الى أسفل دركات الشقاء (فمنهم) من نازع الله رداءه فاشمت به مخالفيه واعداءه المقنع الخراسانى واسمه عطاء وكان أعور قصارا من أهل مرو وكان لا يدع القناع عن وجهه لئلا يرى قبحه وكان يعرف بسرعة السحر والنيرنجيات والهندسة وكان أصل معتقده الحلول والتناسخ فادعى الربوبية فى قومه فتابعوه وقالوا بقوله واسقط عمن تبعه الصلاة والزكاة والصوم والحج فمن مفصل اباطيله أنه زعم ان الله تعالى عما يقول الظالمون والجاحدون علوا كبيرا حل فى آدم ثم من آدم فى نوح ثم الى صورة بعد صورة من صور الانبياء والحكماء حتى وصل الى صورة ابى مسلم الخراسانى فحل فيها ثم منه اليه فعبده قومه وقاتلوا دونه واتخذ وجها من ذهب لئلا يرى قبح وجهه فلا يعبد ولهذا سمى المقنع * وكان ظهوره فى خلافة المهدى ومحمد بن قحطبة والى خراسان يومئذ واشتدت شوكته ودامت فتنته اربع عشرة سنة وكانت بما وراء النهر بنواحى الصغد وايلاق وما داناها من بلاد الترك ولما تمادى أمره أنفذ اليه المهدى عسكرا فقاتله فكانت الحرب بينه و بين جوعه سجالا فلما أحس بالغلبة صنع له أخدودا من نار وألقى نفسه فيه وقيل أمر أن يغلى له سكر وقطران ثم ألقى نفسه فيه فذاب لم يبق له أثر فازداد أصحابه بذلك ضلالا وقالوا قد رفع الى السماء وذلك فى سنة ستين ومائة من الهجرة (ومن كان) يقول بالحلول وأجمع معاصروه على ضلالة من يقول حسين الحلاج وهو الحسين بن منصور ويكنى أبا محمد وأبا عبد الله وأبا مسعود وأبا مغيث وكان ظهوره فى سنة

قيل لا مروءة لمقل قال بعض الحكماء شر الزمان اذا كانت السماحة عند من لا مال له وكان المال عند من لا سماحة له وفى ذلك يقول الشاعر

اذا كان من يعطى فقيرا وذو الغنى
بخيلا فمن ذا يستعان على الدهر

(قال بعضهم) المال والمروءة رضيعا لبان وشريكا عنان وغزيا حصان وفرسا رهان (رفع) الى المنصور كثرة نفقات محمد بن سليمان والى البصرة فوقع أعظم الناس مروءة أكثرهم مؤنة قال بعضهم لا مروءة الا بالمال والفعال (و) قال عبد الله بن جعفر بن على بن أبى طالب

أرى نفسى تتشوق الى أمور
يقصر دون مبلغهن مالى
ولا نفسى تطاوعنى ببخل
ومالى ليس يبلغه فعالى
فلا والله ما أحببت مالا
لشئ قط الا للنوال
أفيد و يستفيد الناس منى
وما يبقى يصير الى الزوال

(قال بعض الحكماء) الجدة على المروءة مجدة (قال الشاعر)

فلو مد سروى بمال كثير
لجدت ولم ترنى باخلا
فان المروءة لا تستطاع
اذا لم يكن مالها فاضلا

(وقال ابن نباتة)

مثل خلعت على الزمان رداءه
عون الدراهم آفة الاجواد

(وقال غيره)

احتل لنفسك أيها المحتال
فمن المروءة أن يرى لك مال
انى رأيت المرسرين اعزة
والمعسرين عليهم الاذلال
فمال الرجل موئله وعمدته وعدته وجماله ومروءته (وعن) هشام بن

احدى وثلثمائة فى خلافة المقتدر (فمما) أورده المؤرخون الثقاة من كلامه المنتقد عليه قوله أنا الحق وقوله ما فى الجبة الا الله وقوله أيضا

سبحان من أظهر ناسوته * سر سنا لاهوته الثاقب
ثم بدا محتجبا ظاهرا * فى صورة الآكل والشارب

(ومن كلامه لمن تابعه) من عذب نفسه فى الطاعة وصبر عن اللذة والشهوة وصفا حتى لا يبقى فيه شئ من البشرية حل فيه روح الاله كما حل فى عيسى عليه السلام ولا يريد الا ذاك شيأ الا كان كما أراده ويكون جملة فعله فعل الله * وكان يظهر أنه سنى لمن كان من أهل السنة وشيعي لمن كان من أهل الشيعة ومعتزلي لمن كان يعتقد الاعتزال وكان مع ذلك شعبذيا يستعمل المخاريق حتى استهوى به من لا تحصيل عنده ثم ادعى الربوبية وقال بالحلول وعظم افتراؤه على الله وكان يدعى أنه المغرق لقوم نوح والمهلك لعاد وثمود وكان لا يحسن من القرآن شيأ ولا من الحديث ولا من الفقه ولا من الشعر شيأ وكان عنوان كتبه الى أصحابه من الهو هو رب الارباب الى عبده فلان وكانوا يكتبون اليه يا ذات الذات يا منتهى غاية الغايات نشهد أنك مصور فيما شئت من الصور وانك لتتصور فى صورة الحسين بن منصور الحلاج ونحن نستجير بك ونرجو رحمتك يا علام الغيوب فاتصل خبره بعلى بن عيسى الوزير فاحضره وأحضر له الفقهاء فسألوه فلم يجدوه يعرف شيأ وأسقط فى كلامه فأمر به فضرب وصلب حيا فى الجانب الشرقى ثم فى الجانب الغربى ليراه الناس ثم حبس فى دار الخلافة مدة ثم أطلق ثم ظهر فى سنة تسع وثلاثين بعد أن دخل الهند وما وراء النهر وبلاد تركستان وخراسان وسجستان وكرمان وفارس وبلاد الجبل والعراق وكان كثير التلون له فى كل بلد اسم وكنية ولقب يلبس تارة المسوح وتارة الدراعة وتارة الثياب المصبغة وتارة الفوطة والمرقعة وتارة العباءة وأشكل حاله على الناس فقائل ساحر مشعبذ ومنهم من يثبت له الكرامات وذلك لما يظهر عنه من خوارق العادات فلما ظهر فى المرة الثانية اختدع جماعة من أصحاب المقتدر وكان وزيره يومئذ أحمد بن العباس فعرض حاله على الفقهاء فافتى بقتله خمسة وثمانون بفتاوى وافقت رأى المقتدر وممن أفتى بقتله القاضى أبو عمر ومحمد بن يوسف المالكى وأبو العباس أحمد بن شريح الشافعى وأبو بكر ابن فورك وداود الظاهرى فأمر به فضرب مائة سوط وقطعت أطرافه وصلب حيا ثم ضرب عنقه من الغد وأحرق بالنفط وذرى رماده فى دجلة فلما فعل به ذلك جعل أصحابه يعدون نفوسهم برجوعه بعد أربعين يوما وادعى بعض أصحابه أنه لم يقتل ولم يصلب وانما ألقى شبهه حالة القتل والصلب كعيسى عليه الصلاة والسلام * وقد حمل الغزالى اطلاقاته التى تنبو عنها مسامع العقلاء وترفضها مسامع العلماء محملا حسنا وتأولها تأويلا بديعا وقال هذا من فرط المحبة والوجد ذكره فى كتابه المسمى مشكاة الانوار والله تعالى عالم الاعلان من أمره والاسرار وكان قتله فى يوم السبت (١) لثلاث بقين من ذى القعدة (٢) الحرام سنة تسع وثلثمائة (وظهر) فى أيام الراضى بالله على بن محمد السلمغانى المعروف بابن أبى القراقر وكان غاليا فى التشيع يقول بالتناسخ والحلول وكان ممن وافقه وخلع ربقة الاسلام ابن أبى عوانة الكاتب وابن الفرات وابنه الحسن والحسن بن القاسم بن عبد الله ابن سليمان بن وهب فوشى بهم الى الراضى فاحضرهم وكان الحسن بالرقة فسألهم عن مواله فأنكروه فأمر أن يحمل ما فى بيت أبى القراقر من الاوراق فوجدوا خط الحسن

(١) فى نسخة الثلاثاء (٢) فى نسخة الحجة

وابن

عروة عن أبيه أن سعد بن عبادة رضى الله عنه كان يدعو اللهم هب لى حمدا وهب لى مجدا لا مجد الا بفعال ولا فعال الا بمال اللهم لا يصلحنى القليل ولا أصلح عليه (وكان رضى الله عنه) اذا انصرف من صلاة يقول اللهم ارزقنى مالا أستعين به على فعالى فانه لا تصلح الفعال الا بالمال (احتجم) داود الطائى فأعطى الحجام دينارا فقيل له هذا اسراف فقال لا عبادة لمن لا مروءة له (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم) نعم العون على تقوى الله عز وجل هذا المال (وقال عليه السلام) نعم صاحب المسلم هذا المال لمن يأخذه بحقه ويجعله فى سبيل الله تعالى (وقال عليه السلام) لا حسد الا فى اثنتين رجل آتاه الله مالا فهو ينفقه فى الحق ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضى بها ويعلمها (قال ابن سلام) ومن الحق الواجب على من ساعدته دنياه وأقبلت عليه وحشدت مسراتها اليه أن يتلقى ذلك بشكر الخالق ويقابله بجد المحسن فيمتثل فى عباده جميل صنعه اليه وينشر فيهم جزيل انعامه عليه فيحسن العشرة ويحمل الصحبة ويقيل العثرة ويجبر الكسير ويمنح الفقير ويعين الضعيف وينصف العسيف ويأخذ بالعفو ويعرض عن السهو الى ما يشبه ذلك ويتعلق به من فعال البر التى تحسن ذكراه وتحصن عقباه وكما يلزمه أيضا ويتعين عليه اذا أعرضت الدنيا عنه مواهبها ومنعته أن يتلقى صنيعها بالصبر الجميل والشكر الجزيل والرضى بالمقسوم والتسليم للمحتوم لما له فى ذلك

وابن أبي عوانة يخاطبانه بالالهية فأمر الراضي ابن أبي عوانة أن يصفع ابن أبي القراقر فلما نهض لذلك أظهر رعشة في يده ودنا الى رأسه فقبلها وقال استغفر ربك يا الهي وخالقي ورازقي فقال الراضي لابن أبي القراقر أليس قد أنكرت ما نسب اليك من ادعائك الالهية فقال والله ما أمرته بذلك فأمر الراضي بهما فصلبا حيين أياما ثم قتلا وأحرقا وبعث الى الحسن من قتله بالرقة وذلك في ذي القعدة سنة اثنتين وعشرين وثلثمائة

ومنهم من ارتقى بادعائه النبوة مرتقى صعبا فصير جسمه للطير مرعى وللهوام نهبا

أول من ارتكب هذا المحظور وامتطى فيه صهوة الغرور بعدما نسخ نور صبح الرسالة ظلام ليل الضلالة مسيلمة وهو مسيلمة بن حبيب بن ثمامة بن اثال بن حبيب بن حنيفة بن عجل وكان صاحب نيرنجيات وهو أول من أدخل البيضة في القارورة* وسجاح وهي سجاح ابنة الحرث من بني يربوع تنبأت وزعمت ان الوحي يأتيها وتابعها كثير من العرب ورؤساء الجزيرة (قال) ابن أبي الرلازل في كتاب أنواع الاسجاع كان من حديث سجاح اليربوعية بنت سويد بن خلف بن أسامة بن العنبر بن يربوع انه لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم واستخلف أبو بكر رضي الله عنه تنبأت سجاح وخرجت من تغلب فتبعها منهم ناس كثير ومن النمر بن قاسط واياد وسارت بهم الى بلاد بني تميم فقالت الامرة منكم والملك مالككم وقد بعثت نبية فقالوا لها مرينا بأمرك فقالت ان رب السحاب والتراب يأمركم ان توجهوا الركاب وتستعدوا للذهاب حتى تغيروا على الرباب فليس دونهم حجاب فسارت بنو حنظلة الى بني ضبة وهم من الرباب وسارت سجاح ومعها بنو تغلب والنمر واياد الى حفير تميم ولما بلغها حديث مسيلمة بن ثمامة قالت لهم عليكم باليمامة زفوا زفيف حمامة فانها دار ثمامة نلقى مسيلمة بن ثمامة فان كان نبيا فالنبي علامة وان كان كذابا فلقومه الندامة فانها عبرة مدامة لا يلحقكم بعدها ملامة فخرجوا معها وتبعها عطارد بن حاجب وعمرو بن الاهتم والاقرع بن حابس وشبيب بن ربعي وغيرهم من سادات العرب حتى نزلوا بالصمان فلما بلغ مسيلمة مسيرها اليه بمن جاء معها خافها وهابها وأهدى لها ثم أرسل اليها يستأمنها على نفسه فأمنته واذنته في القدوم عليها فجاء اليها وافدا في أربعين من بني حنيفة وكانت راسخة في النصرانية فقال مسيلمة لاصحابه اضربوا لها قبة وجمروها لعلها تذكر الباه ففعلوا وأرصدوا حول القبة أناسا منهم للحراسة فلما دخلت عليه حدثته وحادثها وقالت ما أوحي اليك قال أوحي الي الم تر كيف فعل ربك بالحبلى أخرج منها نسمة تسعى من بين صفاق وحشي قالت ثم ماذا قال أوحي الي ان الله خلق النساء أفواجا وجعل الرجال لهن أزواجا فنولج فيهن غراميلنا ايلاجا ثم نخرجها اذا شئنا اخراجا فينتجن لنا سخالا انتاجا قالت أشهد أنك نبي قال هل لك أن أتزوجك فأذل بقومي وقومك العرب قالت نعم فقال

الا قومي الى النيك * فقد هيي لك المضجع
فان شئت ففي البيت * وان شئت ففي المخدع
وان شئت سلقناك * وان شئت على أربع
وان شئت بثلثيه * وان شئت به أجمع

قالت به أجمع فهو للشمل اجمع صلى الله عليك قال كذلك أوحي الي وأقامت عنده قليلا ثم انصرفت الى قومها فقالوا لها ما عندك قالت وجدته على حق فتبعته وتزوجته قالوا فهل أصدقك شيأ قالت لا قالوا ارجعي اليه فقبيح بمثلك أن ينكح بغير صداق فرجعت اليه فلما رآها قال لها مالك قالت أصدقني صداقا قال من مؤذنك قالت شبيب بن ربعي الرياحي قال

من الاجر المذخور والثواب الموفور فما زال الدين مصلحا لفساد الدنيا مهونا على المؤمن فيها جميع الاشياء وهو المنفرد بصلاح الآخرة المؤدي الى خيراتها الوافرة فما للعاقل عذر في التخلف عما يجمع له صلاح الدارين ويفوز منه بعلو المنزلين (وقد قال بعض الحكماء) خير الدارين التقى والغنى وشر الدارين الفقر والعجز فأجمل في الطلب فلن يعدوك ما قدر لك (وكان) يقال الشكر زينة الغنى والعفاف زينة الفقر (قال الشبلي) الغنى أفضل من الفقر لان الغنى من صفات الله تعالى والفقر من صفات المخلوقين وصفة الحق التي تجب له أفضل من صفات الخلق التي لا تجوز على الله تعالى (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم) الحسب المال وبه تبلغ الآمال (ويقال في المثل) رب شرف عالي الذرى ألحقه عدم الثراء بالثرى (قال الشاعر)

يغدو الفقير وكل شيء ضده
والناس تغلق دونه أبوابها
حتى الكلاب اذا رأت ذا ملبس
هشت اليه وبصبصت أذنابها
واذا رأت يوما فقيرا خاطرا
هرت عليه وكشرت أنيابها

(وقال الآخر)

المال يرفع مالا يرفع الحسب
والود يعطف ما لا يعطف النسب
والحلم آفته الجهل المضربه
والعقل آفته الاعجاب والغضب

(ويروى) ان لقمان الحكيم قال لابنه يابني استعن بالكسب الحلال على الفقر فانه ما افتقر أحد الا أصابته ثلاث خلال رقة في دينه وضعف في عقله وذهاب

عليّ به فلما جاء قال قد وضعت عنكم صلاة الغداة وصلاة العتمة وجعلت ذلك صداقها فتلك في أصحابك ان مسيلمة بن حبيب رسول الله قد وضع عنكم صلاتين مما أتاكم به محمد صلى الله عليه وسلم الفجر وصلاة العشاء الآخرة فكان عامة بني تميم لا يصلونهما (وكان مما شرع لهم) من أصاب ولدا من امرأة لا يعود يطؤها الا أن يموت الولد وحرم النساء على من ولد له ولد ذكر (وفيه وفي سجاح) يقول قيس بن عاصم المنقري

أضحت نبيتنا أنثى طاف بها * وأصبحت أنبياء الناس ذكرانا
فلعنة الله والاقوام كلهم * على سجاح ومن بالافك اغرانا
أعني مسيلمة الكذاب لاسقيت * اصداؤه ماء مزن حيثما كانا

ولما تبعته العرب وارتدت بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد الى اليمامة فقاتل بني حنيفة واستشهد خلق كثير من المهاجرين والانصار وانهزم مسيلمة ومن بقي معه فادركه وحشي بن حرب فقتله وأسلمت سجاح فيما بعد وحسن اسلامها ووحشي هذا هو الذي قتل حمزة بن عبد المطلب يوم أحد ووحشي يومئذ كافر وقال عند قتله لمسيلمة يامعشر العرب ان كنت قتلت بهذه الحربة أحب الخلق الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد قتلت بها اليوم أبغض الخلق الى رسول الله فهذه بتلك * وكان خروجه لعنه الله آخر سنة عشر من سني الهجرة قبل حجة الوداع وكتب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم سلام عليك أما بعد فاني قد أشركت في الامر معك وان لنا نصف الارض ولقريش نصفها ولكن قريشا قوم يعتدون أي يجحفون فلما قرئ كتابه على رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب اليه بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى مسيلمة الكذاب لعنه الله السلام على من اتبع الهدى أما بعد فان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين وكان كتاب مسيلمة بخط عمرو بن الجارود وكتاب النبي صلى الله عليه وسلم بخط أبي بن كعب ذكره ابن عبدوس الجهشياري ثم كان من أمره ماذكرناه آنفا (وممن تنبأ وزعم) ان الوحي يأتيه الاسود العنسي واسمه عبهلة بن كعب وكان يلقب ذا الخمار بالخاء المعجمة لانه كان يخمر وجهه أبدا وقيل بالحاء المهملة لانه كان له حمار يقول له اسجد فيسجد وابرك فيبرك وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما عاد من حجة الوداع توعك بلغ ذلك العنسي فادعى النبوة وكان يعرف شيأ من الشعبذة والنيرنجيات ويرى منها عجائب فتبعته مذحج وقصد نجران فأخرج منها عمرو بن حزم وملكها ثم قصد صنعاء وغلب على الطائف الى عدن الى البحرين واستفحل أمره فلما بلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب الى من باليمن من المسلمين أن اقتلوا الاسود العنسي اما مصادمة واما غيلة وكان باليمن قوم من الفرس يسمون الابناء اسلموا مع باذام وكان باذام عاملا للفرس على اليمن فلما اسلم ولاه رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان بيده وأقره عليها فلما مات فرق النبي صلى الله عليه وسلم بلاد اليمن على جماعة من أصحابه وكان الاسود لما قتل شهر بن باذام وملك صنعاء استصفى زوجته فاتفق الابناء معها على قتله غيلة وواعدتهم على ليلة كانت عادته يشرب فيها ودلتهم على مكان ينقبونه يصلون منه اليه فوجدوه قد سكر ونام فوثبوا عليه فسمع الحرس ضوضاء فقالوا لزوجته ماهذا قالت نزل عليه الوحي فلما قتلوه خرجوا مظهرين شعار الاسلام فوثب المسلمون من كل جانب وقتلوا خلقا ممن كان معه ورجع العمال الى أعمالهم وكتب بذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فوافى الرسول المدينة فوجد رسول الله صلى الله عليه وسلم قد مات قال عبد الله بن عمر أتانا الخبر من السماء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم في الليلة التي قتل فيها فقال قتل العنسي فقيل من قتله قال رجل مبارك من اهل بيت

مبارك

مروءته وأعظم من هذه الثلاث استخفاف الناس به (قال قيس ابن عاصم) لبنيه يابني عليكم باصطناع المال فانه منبهة للكريم ويستغنى به عن اللئيم (قال الشاعر)

أرى الغني الناس يسعون حوله
وان قال قولا تابعوه وصدقوا
فذلك دأب الناس مادام ذا غنى
فان زال عنه المال يوما تفرقوا

(وقال آخر)

أحرص على الدرهم والعين
تنج من العيلة والدين
فانما العين بانسانها
وانما الانسان بالعين

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه حسب الرجل ماله وكرمه دينه ومروءته خلقه (وقال) حكيم لابنه اطلب المال فانه عز في قلبك وذل في قلب غيرك (قال ابن عباس رضي الله عنه) الدنيا العافية والشباب الصحة والمروءة الصبر والكرم التقوى والحسب المال (وقالت الحكماء) يجمع المال ليصان به العرض وتحيي به المروءة وتوصل به الرحم (قال الثوري) المال صلاح المؤمن في هذا الزمان (وقال عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه) ياحبذا المال أصون به عرضي وأتقرب به الى ربي وقال معاوية ان الشرف والسودد لينتقلان مع الغنى كما ينتقل الظل (قال بعضهم) الغنى حسب من لاحسب له (وقال) ارسطاطاليس المال علة البقاء للنفس الحيوانية فهو جزء منها ولابقاء للنفس بفساد ذلك الجزء (قال الشاعر)

يسود هذا المال غير مسود
ويحرمه ليث فصيح ثعلبا

مبارك قيل من هو قال فيروز وفي صبيحة تلك الليلة قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت مدة العنسي من اولها الى آخرها ثلاثة أشهر *(ومن)* امتطى مطاه ذا الغرر فرمته الايام من تغيظها بالشرر المختار بن أبي عبيد الثقفي وكان قد جمع ليطلب ثار الحسين عليه الرحمة والرضوان وكان المختار لا يوقف له على مذهب كان خارجيا ثم صار رافضيا في ظاهره ثم تنبأ وزعم أن جبريل يأتيه بالوحي فلما بويع عبد الله بن الزبير بالخلافة بعث أخاه مصعبا الى العراق فقاتل المختار فقتله وقتل معه خلق كثير ممن تابعه وذلك في سنة سبع وستين (وتنبأ) ابو الحسين المتنبي في بادية السماوة ونواحيها وتبعه من فيها من كلب وغيرها فخرج اليه لؤلؤ أمير حمص من قبل الاخشيد فقاتله واسره وشرد من كان اجتمع عليه وحبسه مدة طويلة فاعتل وكاد ان يتلف فسئل فيه فاستتابه وكتب عليه وثيقة أشهد عليه فيها ببطلان ما ادعاه ورجوعه الى الاسلام وأن لا يعود الى مثله (وتنبأ) حائك بالكوفة وأحل الخمر فقال رجل لابن عباس ذلك فقال لا يقبل منه حتى لا يبرئ الاكمه والابرص فاتى به والى الكوفة فاستتابه فابى ان يتوب ويرجع فاتته أمه تبكي فقال لها تنحي ربط على قلبك كما ربط على قلب ام موسى وأتاه أبوه فسأله أن يرجع فقال له تنح يا آزر فامر الوالي بقتله فقتل وصلب (وظهر) في ايام ابى مسلم بنهافريد المجوسي وكان قد غاب عن اهله سبع سنين في الصين فاصاب من طرفها قميصا تحويه قبضة الرجل فجاء مختفيا فظهر في ناووس تجاور بلده وادعى انه كان مرفوعا في السماء وانه نبي فضل به خلق كثير وجاء بسبع صلوات وحرم الميتة وتزويج الام والاخت وبنات العم وبنات الاخ وهذا مما يخالف دين المجوسية وفرض عليهم السبع في الاموال وحظر أن يتجاوز بالمهر أربعمائة درهم فاجتمع موابذة المجوس الى ابى مسلم وقالوا هذا أفسد علينا ديننا ودينكم فانفذ اليه ابومسلم من أخذه وقتله وصلبه (وادعى) رجل النبوة في زمن خالد بن عبد الله القسري وعارض القرآن فاتى به خالد فقال له ما تقول قال عارضت القرآن قال بماذا قال يقول الله تعالى انا اعطيناك الكوثر وتلا السورة الى آخرها وقلت انا اعطيناك الجماهر فصل لربك وهاجر ولا تطع كل ساحر فضربت رقبته وصلب فمر به خلف الشاعر فضرب بيده على الخشبة وقال انا اعطيناك العود فصل لربك من قعود وأنا ضامن لك ان لا تعود

﴿ ومنهم من ادعى انه الامام المنتظر فصير عبرة لمن أمعن في العواقب النظر ﴾

ظهر في شوال سنة خمس وخمسين ومائتين في قرى البصرة رجل ادعى انه علي بن محمد بن احمد ابن عيسى بن زيد بن علي بن ابى طالب واستعمل الزنج الذين يعملون في السباخ واطمعهم في مواليهم ووعدهم انه يملكهم ما في أيدي مواليهم فاجتمع له خلق كثير وجم غفير وعبر دجلة ونزل قرية تسمى الدينارية وزعم ان سحابة أظلته ونودي منها اقصد البصرة تملكها وانه يطلع على ما في ضمائر أصحابه وما يفعل كل واحد منهم فلما كان يوم عيد الاضحى من هذه السنة صلى بهم وخطب لهم وذكرهم ما كانوا فيه من الشقاء وسوء الحال وان الله أنقذهم من ذلك وانه يريد أن يرفع اقدارهم ويملكهم العبيد والاموال وشن بهم الغارات على اطراف بلاد العراق فاجلى اهل الضياع منها واستفحل أمره وقصد البصرة فملكها سنة تسع وخمسين وقتل من فيها من الرجال والنساء والصبيان وأحرق المسجد الجامع وبنى مدينتين على شاطئ دجلة وحصنهما بالاسوار والخنادق فانتدبت اليه العساكر من بغداد براً وبحراً فكانت الحرب بينه وبينهم سجالا الى أن كانت الدائرة عليه في صفر سنة سبعين ومائتين ونسبه الذي ادعاه لم يكن صحيحا والصحيح أن اسمه علي بن محمد بن عبد الرحيم ونسبه

واول من يجفوا الفقير لفقره
بنوه وان يرضوه في فقره ابا
كان فقير القوم في الناس مذنب
وان لم يكن من قبل ذلك اذنبا
(وقال آخر)
والمرء يحقر ان قلت دراهمه
وليس ينفعه ان كان ذا حسب
(ومن) اقوال الحكماء المال يستر القبائح والفقر يحجب المحاسن الامن رفض الدنيا اختيارا وتركها تهاونا لها واستصغارا (وقالوا) المال يوقر الدني والفقر يذل السني ويخرس الفصيح اللسان ويسلب الحسن من الوجوه الحسان (واعلم) ان تثمير المال آلة للمكارم وعون على الدين والمروءة وتألف للاخوان وان من فقد المال قلت الرغبة فيه والهيبة له ومن لم يكن بموضع رغبة أو رهبة استهان به من لا يعرفه فاجهد جهدك كله ان تكون القلوب معلقة بك برغبة أو رهبة في دين أو دنيا ولا يجمح بك الرغبة في الازدياد من المال الى الطلب المحظور عليك فان قليل ما خبث من المال يمحق كثير ما طاب منه (قال الشاعر)
اذا اكتسب المال الفتى من وجوهه
وأحسن تدبيراله حين يجمع
وميز في انفاقه بين مصلح
معيشته فيما يضر وينفع
وأرضى به أهل الحقوق ولم يضع
به الذخر زاد التي هي أنفع
فذاك الفتى لا جامع المال ذاخرا
لاولاد سوء حيث حلوا أو وضعوا
وصاحب الدنيا يطلب ثلاثا لا يدركها الا بأربعة فأما الثلاثة التي يطلب فالسعة في المعيشة والمنزلة في الناس والمنزلة في الآخرة وأما الاربعة التي يدرك بها الثلاثة فاكتساب المال من

فى عبد قيس وكان ظهوره فى أيام المهدى وقتل فى أيام المعتمد على يد أخيه الموفق (وظهر) فى ايام خلافة المعتمد سنة ثمان وسبعين ومائتين بقرية من سواد الكوفة رجل أحمر العينين يسمى كرميتة فاستثقلوا هذه اللفظة فخففوها وقالوا قرمط فكان يظهر الزهد والتقشف وكثرة الصلاح فاجتمع اليه اهل القرية وعظموه فلما تمكن منهم أعلمهم انه الذى يشير اليه النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله سيخرج لكم من اهل بيتى رجل اسمه كاسمى يملأ الأرض عدلا كما ملئت جورا فلما أطاعوه أعلمهم ان الصلاة المفروضة عليهم خمسون صلاة فى اليوم والليلة فشكوا اليه كثرتها وانها تعطلهم عن أشغالهم فسوفهم أياما ثم أتاهم بكتاب يقول الفرج بن عثمان يقول فيه انه المسيح وهو عيسى وهو الكلمة وهو المهدى وهو محمد بن الحنفية وهو جبريل وذكر ان المسيح تصوّر له على صورة انسان وقال له انك الداعية وانك الحجة وانك الناقة وانك الدابة وانك روح القدس وانك يحيى بن زكريا وعرفه ان الصلاة أربع ركعات ركعتان قبل الفجر وركعتان قبل الغروب وان الاذان فى كل صلاة أربع تكبيرات وبتشهد مرتين ثم يقول أشهد أن آدم رسول الله أشهد ان نوحا رسول الله أشهد ان ابراهيم رسول الله اشهد ان موسى رسول الله أشهد أن محمدا رسول الله اشهد ان أحمد بن محمد بن الحنفية رسول الله (ومن شرائعه) ان الصوم يومان فى السنة يوم المهرجان ويوم النيروز وان النبيذ والخمر غير حرام ولا غسل من جنابة ويؤكل كل ذى ناب وذى مخلب وان القبلة الى بيت المقدس ويوم الجمعة يوم الاثنين ويشترك فى المرأة جماعة من الرجال فأجابه زهاء من عشرة آلاف رجل واتخذ منهم اثنى عشر نقيبا وقال لهم أنتم كحوارى عيسى ثم ان هذا الشقى المذكور اختفى وأقام رجلا يعرف بأبى الفوارس واسمه خلف بن عثمان داعيا المذهب فتعطل على المعتضد الخراج من سواد الكوفة ونفضوا أيديهم من طاعته وشقوا العصا بمخالفته فأرسل اليهم مسكا غلام أحمد بن محمد الطائى فى عشرة آلاف فارس فظفر بهم وقتلهم وأخذ أبا الفوارس أسيرا وحمله الى المعتضد فأمر به فقلعت اضراسه وخلعت أعضاؤه ثم قطعت يداه ورجلاه وضرب عنقه وصلب بالجانب الشرقى سنة تسع وثمانين ومائتين (وفى شهر ربيع الآخر) من هذه السنة مات المعتضد وله من العمر سبع وأربعون سنة وكانت مدة خلافته تسع سنين وتسعة أشهر وأياما ثم قام فيهم آخر يسمى على بن عبد الله فعاث فى بلاد الشام عيثا ذريعا وأخرب مدنا وقرى كثيرة وكان بينه وبين طفج بن حف الاخشيدى صاحب مصر والشام حروب كثيرة اجلت عن قتل الاخشيد الفرغانى فخرجت اليه الجيوش من مصر فحاربوه فقتل فى بعض الحروب على دمشق سنة تسعين ومائتين وكان يسمى صاحب الجمل فقام بعده أخوه ويسمى أحمد وتلقب بذى الشامة لشامة كانت فى وجهه وأقام له داعيين سمى أحدهما المدثر وزعم انه المذكور فى القرآن وسمى الآخر المطوق فاشتدت فى العناد شوكته وسلطت على العباد فتكته وسار الى دمشق فصولح عليها بمال فرجع عنها فى سنة تسعين وكانت عادته اذا فتح بلدا عنوة قتل من فيها من الرجال والنساء والولدان والبهائم فضاق المسلمون به ذرعا فاستغاثوا بالمكتفى فجهز لهم جيشا عظيما وقدم عليهم الحسين بن حمدان والقاسم بن عبيد الله الكاتب وأمر الجيش بالسمع والطاعة له فواقعهم فى شهر المحرم سنة احدى وتسعين فانهزم وأسلم من كان معه فقتلوا وهرب معه المدثر والمطوق والجأتهم الهزيمة والخوف الى قرية من أعمال الفرات تسمى دالية فانكرهم أهلها واستفحصوا أحدهم عن أمرهم فجمجم فى كلامه فعوقب حتى أقر فأخذهم متوليها وحملهم الى المكتفى وكان بالرقة

أحسن وجوهه ثم حسن القيام عليه ثم التثمير له ثم انفاقه فيما يصلح المعيشة ويرضى الاهل والاخوان ويعود فى الآخرة نفعه فان أضاع شيأ من هذه الاربعة لم يدرك شيأ من الثلاثة وان لم يكتسب لم يكن له مال يعيش به وان كان ذا مال واكتساب ولم يحسن القيام عليه يوشك أن يفنى ويبقى بلا مال وان هو أنفقه ولم يثمره لم تنفعه قلة الانفاق من سرعة النفاد كالكحل الذى انما يؤخذ على مثل الغبار ثم هو مع ذلك سريع نفاده وان هو أصلح واكتسب وثمر ثم لم ينفق المال فى أبوابه كان بمنزلة الذى لا مال له ثم لا يمنع ذلك له من ان يفارقه ويذهب حيث لا منفعة فيه كحابس الماء الذى تنصب فيه المياه ان لم يخرج منه بقدر ما يدخل فيه نصل وسال من نواحيه فيذهب ضياعا (قال الله عز وجل) لنبيه صلى الله عليه وسلم ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا (قال الثورى) من كان فى يده مال فليصلحه فانه فى زمان ان احتاج اليه أول ما يبذل فيه دينه (وقال بعض الحكماء) آفة المال سوء التدبير وآفة الكامل من الناس العدم (وقال) ارسطاطاليس الغنى فى الغربة وطن والفقر فى الاهل غربة (وفى) كتاب الهند ما التبع والاعوان والاهل والاخوان والاصدقاء والحشم الامع المال وما يظهر المروءة الا المال ولا الرأى والقوة الا بالمال ووجدت من لا مال له اذا أراد ان يتناول أمرا قعد به العدم فيبقى مقصرا

فرحل بهم الى بغداد فدخلها ومن معه من الاسراء فى شهر ربيع الاول وأمر ببناء دكة فى المصلى العتيق ارتفاعها عشرة أذرع ثم أصعدوا عليها فقطعت أيديهم وأرجلهم من خلاف ثم ضربت رقابهم بين يديه ثم أمر بالقرمطى فضرب مائتى سوط وكويت خواصره ثم قتل وصلب على الجسر الاعظم (ثم ظهر فيهم) رجل يسمى زكرويه بن مهرويه فى سنة ثلاث وتسعين ونعت نفسه بالمهدى فقطع الطريق على الحاج ونهب القوافل وقتل أهلها وسبى حريمهم فبعث اليه من بغداد جيشا فحاربه بذى قار وهو موضع بين الكوفة والبصرة فانهزم واخذ أسيرا جريحا فى شهر ربيع الاول سنة أربع وتسعين فحمل الى بغداد فمات فى الطريق فى شهر ربيع الآخر (ثم) ظهر فيهم رجل يسمى على بن شبيب ويعرف بالمبرقع فحورب وانهزم وأخذ أسيرا وأدخل بغداد على جمل وضربت عنقه (ثم ظهر فيهم) أبو سعيد الحسن بن يوسف بن كودركان الجبائى بالبحرين فقتله خادمان له صقلبيان فى سنة عشرة وثلثمائة فقام بعده سليمان بن الحسن الجبارى وعاث فى البلاد وأفسد وقصد مكة شرفها الله تعالى فدخلها يوم التروية سنة سبع عشرة وثلثمائة فى خلافة المقتدر فقتل من وجد من الحاج فى المسجد الحرام ورمى بالقتلى فى بئر زمزم وعرى الكعبة وقلع بابها وأخذ الحجر الاسود فبقى الحجر عندهم اثنتين وعشرين سنة الا اشهرا ثم ردوه مكسورا على يد سنان بن الحسن بن سنان فى ذى القعدة سنة تسع وثلاثين وثلثمائة ونصب فى مكانه يوم النحر من السنة المذكورة وكان بحكم الرائقى بذل لهم فيه خمسين ألف دينار فأبوا وكان موت سليمان فى سنة ثلاث وثلاثين وثلثمائة (ثم) لما دخل المعز لدين الله مصر بعد أخذ جوهر مولاه لها وذلك فى سنة اثنتين وستين وثلثمائة فى أيام المطيع قصدا القائم فيهم يومئذ رجل يعرف بابن غزوان فخرج اليه جعفر بن فلاح فالتقاه بالرملة فقاتله وهزم عسكره وقتله فى سنة تسع وستين وثلثمائة (ثم) قام فيهم رجل يسمى حسنا ويعرف بالاعصم فملك الشأم وأخرج منه عمال المعز فانهزموا بين يديه فتبعهم الى مصر وملك الصعيد وأسفل الارض ووصل الى مصر ونزل بعسكره عليها فخرج اليهم القائد جوهر فحاربهم فاقتتلوا قتالا شديدا وقتل من العسكر خلق كثير وذلك يوم الجمعة غرة شهر ربيع الاول سنة احدى وسبعين وثلثمائة ثم انصرفوا وتركوا الحرب يوم السبت ورجعوا يوم الاحد وهم واثقون بالظفر فلما التقى الجمعان أعطى الله النصر لعساكر القائد جوهر وانكشفت القرامطة بالانهزام وساروا الى البحرين على نية العود اليها والى الشأم فوجدوا بنى حمدان قد ملؤا شعابه واوديته ورفعوا به قواعد الدين والويته ولم يجمع الله للاعصم على شق عصا الاسلام شملا ولم يمض له بعد فى الاسلام قولا ولا فعلا وتفرق أصحابه فى البلاد أيدى سبا واسترجع منه الدهر ما نهب وسبى وكانت مدة دولتهم ستا وثمانين سنة وهذا الذى ذكرنا يشترك فى القول به أصحاب الآراء والمقالات الخابطون فى عشواء الجهالات كاصحاب النحل والملل المتمسكين بآرائهم مع ما فيها من الفساد والخلل كالمعتزلة والحشوية وغلاة الرافضة وسائر الفرق الاسلامية غير الفرقة الناجية التى هى لعواطف لطف الله راجية وكل منهم قد أضله الله على علم فنعوذ بالله من الغواية بعد الهداية ومن الحور بعد الكور ومن الانكار بعد الاستبصار انه سميع قريب تواب مجيب

﴿الباب الثامن فى التغفل وفيه ثلاثة فصول﴾

الفصل الاول من هذا الباب
فى ذم البلادة والتغفل من ذوى التغالى والتنزل

عما اراد كالماء الذى يبقى فى الاودية من مطر الصيف فلا ينمى الى بحر ولا نهر ويبقى مكانه حتى تنشفه الارض ووجدت من لا مال له لا اخوان له ومن لا ولد له لا ذكر له ومن لا عقل له لا دنيا له ولا آخرة ومن لا مال له لا شئ له لان الرجل اذا افتقر رفضه اخوانه وقطعه ذوو رحمه وربما اضطرته الحاجة لنفسه وعياله الى التماس الرزق بما يغرر فيه بدينه ودنياه فلا شئ أشد من الفقر والشجرة النابتة على الطريق المأكولة من كل ناحية أمثل حالا من الفقير المحتاج الى ما فى أيدى الناس والفقر داعية الى مقت الناس ومسلبة للعقل والمروءة ومذهب للعلم والادب وموضع للتهمة ومجمع البلايا ووجدت الفقير يسيء به الظن من كان مؤتمنا له وليس من خصلة هى للغنى مدح وزين الا وهى للفقير ذم وشين فان كان شجاعا قيل أهوج وان كان جوادا قيل مفسد وان كان حليما قيل ضعيف وان كان وقورا قيل بليد وان كان صموتا قيل عيي وان كان بليغا قيل مهذار فالموت أهون من الفقر الذى يضطر صاحبه الى المسئلة لاسيما مسئلة اللئام فان الكريم لو كلف أن يدخل يده فى فم التنين ويخرج منه سما يبتلعه كان عليه أسهل وأخف من مسئلة البخيل اللئيم (قال أكثم بن صيفى) كل سؤال وان قل أكثر من كل نوال وان جل (وقال بعض الحكماء) من أبدى الى الناس فقره فليس له عندهم قدر ومن أراد أن يعلم هوانه عليهم فليسئل اليهم حاجته ومن استغنى عنهم عظموه ووقروه (سأل) رجل الحكيم اليونانى

ومعنى التغفل الغلط فى الوسيلة والطريق الى المطلوب مع صحة القصد فالمغفل مقصده صحيح ولكن سلوكه الطريق فاسد ورؤيته فى الوصول الى الغرض غير صحيحة كما قال بعض الحكماء اذا فقد العالم الذهن قل على الاضداد احتجاجه وكثر اليهم احتياجه وتعاورته أسنة الشكوك واشتبهت عليه مناهج السلوك (وقالوا) التغفل تحريف الشئ عن مواضعه مع تيقن ان ذلك صواب كما ذكر ان أحمد بن أبى خالد عرض القصص يوما على المأمون وهو بين يديه فمر بقصة مكتوب عليها فلان اليزيدى فصحفه وقال الثريدى فضحك المأمون وقال يا غلام ثريدة ضخمة لابى العباس فانه أصبح جائعا فخجل أحمد وقال ما أنا جائع يا أمير المؤمنين ولكن صاحب هذه الرقعة أحمق وضع على يائه ثلاث نقط كاثافى القدر فقال المأمون دع عن هذا فان النقط شهود الزور والجوع اضطرك الى ذكر الثريد فلما أتى بالثريد احتشم أحمد أكله فقال له المأمون بحق عليك الا ما أكلت فترك القصص ومال الى الصحفة وأكل قليلا ثم دعا بالماء فغسل يديه ورجع الى القصص فمر بقصة عليها مكتوب فلان الحمصى فقرأها الحميصى فضحك المأمون وقال يا غلام جام خبيص فان غذاء أبى العباس كان أبتر فخجل وقال يا أمير المؤمنين صاحب هذه الرقعة أحمق من الاول فتح الميم فصارت كأنها سنتان قال دع عنك هذا فلولا حمق هذا وصاحبه مت أنت جوعا فأتى بجام خبيص فأبى أن يأكل كثرة الاستحياء فقال له المأمون بحق عليك الا ما ملت نحوه وأكلت فانحرف اليه وأكل منه ثم غسل يده وانصرف الى القصص واحترز فى قراءتها وتثبت فى حروفها فما حرف حرفا حتى أتى على آخرها

وقد اخترت من مدام المتغفلين محاسن وراق
درراضمنتها أصداف هذه الاوراق

ذم أبو عبيدة معمر بن المثنى كيسان مستمليه وقد أملى عليه شيأ فعجز عن ادراكه فقال والله ما فهم ولو فهم لوهم (وقال الجاحظ) كان كيسان مستملى أبى عبيدة يكتب غير ما يسمع ويستفهم غير ما يكتب ويقرأ غير ما يستفهم أمليت عليه يوما

عجبت لعشر عدلوا * بمعتمر أبا عمرو

فكتب أبا بسر واستفهم أبا زيد وقرأ أبا حفص (وسأله) أبو عبيدة عن رجل من العرب ما اسمه فقال هو خداش أو حراش أو رياش أو خماش أو شئ آخر وأظنه قرشيا فقال له أبو عبيدة من أين علمت ان نسبه فى قريش قال رأيت اكتناف الشينات عليه من كل جانب (وذكر الجاحظ عنه) أنه شهد على رجل عند بعض الولاة فقال سمعت بأذنى وأشار الى عينه ورأيت بعينى وأشار الى أذنه انه أمسك بتلابيب هذا الرجل وأشار الى كمه ومازال يضرب خاصرته وأشار الى فكه فضحك الوالى وقال أحسبك قرأت كتاب خلق الانسان على الاصمعى قال نعم مرتين (وذم) بعض البلغاء قدما فقال لا يفهم ولا يفهم ويقبض ما يبرم ولا يعلم ولا يتعلم ويستصغر من يتعلم وسأل أبو عون رجلا عن مسئلة فقال على الخبير بها سقطت سألت عنها أبى فقال سألت عنها جدك فقال لا أدرى (وقالوا) فلان يسمع غير ما يقال ويحفظ غير ما يسمع ويكتب غير ما يحفظ ويقرأ غير ما يكتب (وقالوا) فلان ذو بصيرة عمياء عند تأمل العواقب وتجربة صماء عند تشابه النوائب * وقال شاعر يهجو رجلا

جهول غاص فى لحم وشحم * ولم ينسب الى عقل وفهم
اذا لبس البياض فعدل جص * وان لبس السواد فعدل فحم

ومن

فقال علمنى ما يقربنى من الله ومن الناس فقال أما ما يقربك من الله فسئلته وأما ما يقربك من الناس فترك مسئلتهم (قال بعضهم) أشرف المال ما قوى كريما على ما يدخله كريم (وقالوا) أفضل المال ما قضى به الحقوق (وكان) يقال شر مالك ما لزمك اثم مكسبه وحرمت لذة انفاقه (قال بعضهم) الرزق الواسع لمن لا يستمتع به بمنزلة طعام موضوع على قبر (وقال على رضى الله عنه) أفضل المال ما أكسب حمدا وأعقب أجرا (قال الشاعر)

ذهاب المال فى حمد وأجر
ذهاب لا يقال له ذهاب

(ومن) أمثال الحكماء خير الاموال ما استرق حرا وخير الاعمال ما استحق شكرا (وفى) كتاب الهند لينفق ذو المال ماله فى ثلاثة وجوه فى الصدقة ان أراد الآخرة وفى مصانعة السلطان ان اراد الذكر وفى النساء ان أراد نعيم العيش (وقالت الحكماء) من اصلح ماله فقد صان الاكرمين الدين والعرض (قيل) لابن أبى الزناد لم تحب الدراهم وهى تدنيك الى الدنيا فقال هى وان أدنتنى منها فقد صانتنى عنها (وقيل) لبعض الحكماء ما بالنا نجد من يطلب المال من العلماء أكثر ممن يطلب العلم من ذوى الاموال قال لمعرفة العلماء بمنافع المال وجهل ذوى الاموال بمنافع العلم (قال الحاتمى) أشعر بيت قيل فى الحض على طلب الغنى قول كعب ابن سعد الغنوى

أعص العواذل وارم الليل عن عرض
بذى شبيب يقاسى ليله خببا

(وممن تقاصر فهمه) عن ادراك الصواب الذى فتطاول بذمه لسان الحاضر والبادى أحمد بن الخصيب وزير المستنصر ووزير أيضا للمستعين عمل أبو العيناء كتابا فى ذمه حكى فيه ان جماعة من الفضلاء اجتمعوا فى مجلس وكل منهم يكره ابن الخصيب لما كان فيه من الفدامة والجهالة والتغفل فتجاذبوا أطراف الملح فى ذمه فقال على بن بسام كان جهله غامرا لعقله وسفهه قاهر الحلمه وقال المعرة الرابض لو كان دابة لتقاعس فى عنانه وحرن فى ميدانه وقال آخر كنت اذا وقع لفظه فى سمعى أحسست النقصان فى عقلى وقال بعض كتابه كنت أرى قلم ابن الخصيب يكتب بما لا يصيب ولو نطق لنطق بنوك عجيب وقال ابراهيم بن المدبر كنت يوما عنده فقدم الطعام وفيه هليون فأكب عليه فقلت له أراك راغبا فى الهليون فقال انه يزيد فى الباه (وسئل) عنه أبو العيناء بعد هذا التصنيف فقال ان دنوت منه غرك وان بعدت عنه ضرك حياته لا تنفع وموته لا يضر (وقال آخر) لو غابت عنه العافية لنسيها (وكان) ابن الخصيب اذا ناظر شغب وجلب وربما رفس من ناظره اذا أفحم عن الجواب وخفى عنه الصواب واستولت عليه البلادة وعرى كلامه عن الافادة * وفيه يقول محمد بن الفضل

قل للخليفة يا ابن عم محمد * أشكل وزيرك انه ركال
قد أحجم المتظلمون مخافة * منه وقالوا ما نروم محال
ما دام مطلقة علينا رجله * أو دام للنزق الجهول مقال
قد نال من أعراضنا بلسانه * ولرجله بين الصدور مجال
امنعه من ركل الرجال فان ترد * مالا فعند وزيرك الاموال

(وحكى عنه) أنه رأى جرادا كثيرا يطير فقال لجلسائه لا تغتموا الى أحسبه كانه ميت وفيه يقول بعض الشعراء يهجوه من أبيات

حمار فى الكتابة يدعيها * كدعوى آل حرب فى زياد
فخل عن الكتابة لست منها * ولو لطخت ثوبك بالمداد

(وقد) هجا أبو العيناء أسد بن جوهر ونحا فيه هذا المعنى فقال

تعس الزمان لقد أتى بعجاب * ومحا رسوم الظرف والآداب
وافى بكتاب لو انبسطت يدى * فيهم رددتهم الى الكتاب
جيل من الانعام الا أنهم * من بينها خلقوا بلا أذناب
لا يعرفون اذا الجريدة جردت * ما بين عياب الى عتاب
أو ما ترى أسد بن جوهر قد غدا * متشبها لاجلة الكتاب
لكن عزق ألف طومار اذا * ما احتيج منه الى جواب كتاب
فاذا أتاه سائل فى حاجة * رد الجواب له بغير جواب
وسمعت من غث الكلام ورثه * وقبيحه باللحن والاعراب
ثكلتك أمك هبك من بقر الفلا * ما كنت تغلط مرة بصواب

(ولآخر يهجو كاتبا خراج)

لو قيل كم خمس وخمس لارتأى * يوما وليلته يعد ويحسب
يرمى بمقلته السماء مفكرا * ويظل يرسم فى التراب ويكتب
ويقول معضلة عظيم أمرها * ولئن فهمت فان فهمى أعجب
حتى اذا خدرت أنامل كفه * عدا وكادت عينه تصوب

حتى تحول مالا أو يقال فتى لاقى التى

تشعب الفتيان فانشعبا

وفى الامثال كاد الحريص يكون عبدا وكاد الفقر يكون كفرا وكاد البخيل يكون كلبا (وفى) الحكم المال خير مآل وقد يشرف الوضيع بالمال (قال الشاعر)

ولم أر مثل الفقر أوضع للفتى
ولم أر مثل المال أرفع للنذل
ولم أر عز الامرئ كعشيرة
ولم أر ذلا مثل نأى عن الاهل

(وقال آخر)

وكل مقل حين يغدو لحاجة
الى كل من يلقى من الناس مذنب
وكان بنو عمى يقولون مرحبا
فلما رأونى معدما مات مرحب

(وقال ابن حبناء التميمى)

الناس أتباع من دانت له النعم
والويل للمرء ان زلت به قدم
المال عز ومن قلت دراهمه
حتى يكن مات الا انه صنم
مالى رأيت أخلائى كانهم
اثنان منقبض عنى ومحتشم
لما رأيت الذى يبدون قلت لهم
اذنبت ذنبا فقالوا ذنبك العدم

(وقال آخر)

ألم تعلمى ان الغنى يجعل الفتى
سنيا وان الفقر بالمرء قد يزرى
فما رفع النفس الوضيعة كالغنى
ولا وضع النفس الرفيعة كالفقر

(وقال آخر)

اذا كنت ذا ثروة من غنى
وأنت المسود فى العالم
وحسبك من نسب صورة
تخبر انك من آدم

(قال بزرجمهر) ان كان شئ فوق الحياة فالصحة وان كان شئ مثلها فالغنى وان كان شئ فوق الموت فالمرض وان كان شئ مثله فالفقر

أوفى على نشز وقال ألا اسمعوا * قد كدت من طرب أحن وأسلب
خمس وخمس ستة أو سبعة * قولان قالهما الخليل وثعلب
فيه خلاف ظاهر ومذاهب * لكن مذهبنا أصح وأصوب
وخواطر الحساب فيها كثرة * وأظن قولي فيهم لا يكذب

(وممن كان صوابه) عن غير اعتماد وخطؤه بعد تروّ واجتهاد شجاع بن القاسم كاتب أوتامش التركي وكان أميا لا يقرأ ولا يكتب ولا يفهم ولا يغماء ام علامات كان يكتبها في التوقيعات (قال) الحسن بن المخلد كنت يوما عند المستعين ومعنا أوتامش اذ دخل شجاع بن القاسم وسراويله قد خرج من خفه حتى وقع على قدمه وهو يسحبه ويدوسه فقال له المستعين ويحك يا شجاع ما هذه الحالة فقال الساعة يا سيدي داسني كاتب فخرقت سراويله وثيابه فضحك المستعين وقال لاوتامش مثل هذا ينبغي أن يستعمل في الكتاب (ومن ظريف ما يخبر عنه) أن أحمد بن عمار عمل شعرا مختلف القوافي ولا معنى له مما يليق بفهمه وعقله متعمدا ذلك ليضحك منه اخوانه ووقف اليه وقال أيها الوزير ليس الشعر صناعتي ولكنك أحسنت الي والى أهلي بما أوجب علي شكرك فعملت أبياتا أمدحك بها فتفضل بسماعها فقال له أغناك شرفك عن التكسب بالشعر وانشاده فقال لا بد أن تتفضل وتاذن لي فاذن له فأنشد

شجاع لجاج كاتب لاتب معا * كجلمود صخر حطه السيل من عل
خبيص لبيص مستمر مقوم * كثير أثير ذو شمائل مهذب
بليغ لبيغ كل ما شئت قلته * لديه وان أسكت عن الامر يسكت
فطين لطين أمره لك زاجر * خصيف لصيف كل ذلك يعلم
أديب لبيب فيه فهم وعفة * عليم بشعري حين أنشد يشهد
كريم حليم قابض متباسط * اذا جئته يوما الى البذل يسمح

فسر بذلك وشكره على انشاده ووصله بعشرة آلاف درهم وأجرى له ألف درهم في كل شهر * وكان محمود الوراق عنى هذا المذكور بقوله من أبيات

يا ناظرا يرنو بعيني راقد * ومشاهد الامر غير مشاهد

أو أبا تمام بقوله

ولو نشد الخليل له امحت * بلادته على فطن الخليل

أو قول هذا القائل فيه فلان لا ينتبه ولو أدخل في الكور ونفخ عليه الى أن ينفخ في الصور (وحكى الجاحظ) في كتاب البيان أن المأمون كان يستثقل سهل بن هرون فدخل عليه يوما والناس جلوس وقد أسبلوا أبراقع النقلة على وجوه الفطن والفهم عنهم قد رحل والتبلد فيهم قد قطن فلما فرغ المأمون من كلامه أقبل سهل على الناس وقال ما لكم تسمعون ولا تعون وتفهمون ولا تفقهون وتشاهدون ولا تتعجبون والله انه ليقول ويفعل في اليوم القصير مثل ما يفعله بنو مروان في الزمن الطويل عربكم كعجمهم وعجمكم كعبيدهم لكن كيف يعرف الدواء من لا يشعر بالداء فاستحسن المأمون منه ذلك وأنزله منزلته الاولى * وكلام سهل يحتمل مدح فصاحة المأمون وذم البلادة التي أنزلت جلساءه المنزل الدون واثباته في حقهم بالذم أوجب علينا وألزم

الفصل الثاني من الباب الثامن
فيمن تأخرت منه المعرفة ونوادر أخبارهم المستظرفة

(وقال بعضهم) الحاجة الموت الاكبر (وقال) مجاهد الخير في القرآن كله المال (وقال) السدي وابن زيد في قوله تعالى ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة ان الحسنة في الدنيا المال وفي الآخرة الجنة (وقال) الدراهم والدنانير خواتم الله في الارض حيث قصدت بها قضيت حاجتك
(قال الشاعر)

وقائلة ما العلم والحلم والحجا
وما الدين والدنيا فقلت الدراهم
تداوي جراح الفقر حتى تزيلها
فما هي في التحقيق الا مراهم

(قالت الحكماء) الدراهم مواسم تسمي جدا وذما فمن حبسها كان لها ومن أنفقها كانت له وما كل من أعطي مالا ارزق به جمالا ولا كل معدوم مذموم واتفق الناس على ان ما أحوج من الفقر مكروه وما أبطر من الغنى مذموم واختلفوا في تفضيل ما سوى ذلك ففضل قوم الغني لان الغني قادر والفقير عاجز والقدرة أفضل من العجز وهذا مذهب من غلب النباهة وفضل قوم الفقر لان الفقير تارك والغني ملابس وترك الدنيا أفضل من ملابستها وهذا مذهب من غلب السلامة وتوسط قوم لان خيار الامور أوساطها وخير المال التقوى وهي الفائدة العظمى والغاية القصوى والاقرب الى السلامة من خداع الدنيا قال الشاعر

يريد المرء أن يؤتى مناه
ويأبى الله الا ما أرادا
يقول المرء فائدتي ومالي
وتقوى الله أفضل ما استفادا

(لما) نزل قوله تعالى ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به أزواجا منهم

وواجب أن نبدأ بأخبار من أساء فى التفقد والعيادة ولم يحسن خطابه فى السؤال ولا الاعادة (قال عامر بن شراحيل الشعبي) عيادة النوكى أشد على المريض من مرضه فانهم حمى الروح وطليعة ملك الموت (دخل) حمصي على عروة بن الزبير يعوده لما قطعت رجله لألم أوجب عليه فعل ذلك من أكلة أصابتها فقال أقطعت رجلك قال نعم قال حميد قال أوجعك شديد قال نعم قال حميد ثم قال لا تغتم فانك لو رأيت ثوابها لتمنيت ان الله قد قطع رجليك ويديك وأعمى بصرك ودق صلبك فكان مصاب عروة بعائده المزيد فى نكده أكثر من مصابه بما قطع من رجله ويده (وأين) هذا الجافى من عيسى بن طلحة بن عبيد الله فانه دخل على عروة هذا يعوده لما قطعت رجله فقال والله ما كنا نعدك للصراع ولا للتسابق ولكن نعدك للخير ونوالك المنساق ولئن أعدمنا الله أقلك لقد أبقى لنا أكثرك سمعك وبصرك ولسانك وعقلك ويديك واحدى رجليك فقال يا عيسى ما عزانى أحد بمثل ما عزيتني به (ودخل آخر) على مريض يشكو من رأسه فقال لأهله لا ضير اذا رأيتم المريض هكذا فاغسلوا أيديكم منه (وعاد آخر مريضا) فقال له ما بك قال وجع الركبة قال ان جريرا ذكر بيتا ذهب عني صدره وبقي عجزه وهو

وليس لداء الركبتين دواء * فقال المريض ليت عجزك ذهب كما ذهب صدره (وعاد) آخر مريضا فقال لأهله أجركم الله فقالوا انه لم يمت بعد قال يموت ان شاء الله (وعاد آخر مريضا) فلما خرج قال لأهله لا تفعلوا فى هذا كما فعلتم بالآخر مات وما أعلمتموني به (وعاد آخر مريضا) فلما خرج قال لأهله أحسن الله عزاكم فقالوا انه لم يمت قال قد عرفت ولكني شيخ كبير لا أستطيع النهوض فى كل وقت وأخاف أن يموت وأعجز عن المجيء لأعزيكم به (وعاد رجل الشعبي) فأبرم ثم قال له ما تشتهي قال أشتهي ان لا أراك (وعاد آخر مريضا) فقال له ما تشتكي قال وجع الخاصرة قال والله كانت علة أبي فمات منها فعليك بالوصية يا أخي فدعا المريض ولده وقال يا بني أوصيك بهذا لا تدعه يدخل علي بعد هذه (وعاد) آخر مريضا فلما رآه أنشد متمثلا بما أملى عليه الغبي على لسانه العي

تموت الصالحون وأنت حي * تخطاك المنايا لا تموت

(وذكر المسعودي) ان عمرو بن العاص لما قدم من مصر على معاوية أنشده هذا البيت فأجابه عمرو

أترجو أن أموت وأنت حي * ولست بميت حتى تموت

(دخل) عبد الله بن أبي عتيق ومحمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر على عائشة رضي الله عنها يعودانها فقالا لها كيف حالك يا عمة جعلني الله فداءك قالت فى الموت قال الآن لا جعلني الله فداءك فاني كنت أظن ان فى الوقت فسحة

(ومن) عرف بالتغافل واشتهر وفاق فيه أهل زمانه ومهر أبو عبد الله الحسين بن عبد الله الجصاص الجوهري كان رئيسا فى المترفهين ورئيسا للمتجلفين وجد الجد فهو ذو جدة ويسار وعدم العقل فسيان اليمين واليسار وكان عند المقتدر من خواص أحبته وممن له الكلمة المطاعة فى دولته ثم نقم عليه فصادره فأخذ منه ستة آلاف ألف دينار وغير ذلك من مواش وأثاث وعقار ومن نفائس الأعلاق والذخائر ما لا يوجد قليله عند عقلاء الأخاير * ومما يدل على كثرة ماله ان المعتضد لما عقد نكاحه على قطر الندى بنت أحمد ابن طولون بعث الى ابن الجصاص ليتولى جهازها فلما فرغ منه دخل على ابن طولون ليودعه فلم يذكر له ما صرف وكان مبلغه أربعمائة ألف دينار فسأله ابن طولون عنه فدافعه فأبى ذلك وقال لا بد منه فذكر له فقال له راجع طومارك لعلك نسيت شيئا فراجعه

الآية أمر النبي صلى الله عليه وسلم مناديا ينادي من لم يتأدب بآداب الله تقطعت نفسه على الدنيا حسرات

(الفصل الرابع فى التحبب)
(الى الناس ومداراتهم
والمسالمة لهم)

(أجمعت الحكماء) وأهل الفضل على ان السيادة والمروءة وجميع خلال العشرة فى المسارعة الى المعونة وفى العفو مع القدرة وفى التودد الى الناس والتحبب لهم (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم) لن تسعوا الناس بأموالكم فسعوهم ببسط الوجه وحسن البشر (وقال) عليه السلام أحب الناس الى الله عز وجل أكثرهم تحببا الى الناس (وقال) عليه السلام اذا أحب الله عبدا حببه الى الناس (قال الشاعر)

وجه عليه من الحياء سكينة
ومحبة تجري مع الأنفاس
واذا أحب الله يوما عبده
ألقى عليه محبة فى الناس

(كتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه) الى سعد بن أبي وقاص ان الله عز وجل اذا أحب عبدا حببه الى خلقه فاعتبر منزلتك من الناس واعلم ان مالك عند الله مثل ما للناس عندك (وقالوا) مكتوب فى التوراة لتكن كلمتك لينة ووجهك بسيطا تكن أحب الى الناس ممن يعطيهم العطاء (وفى) المثل الكلام الحسن مصايد القلوب والعبوس من طبعه البوس (وقال) أبو دهمان لسعيد ابن مسلم وقد وقف الى بابه فحجبه حينا ثم أذن له فمثل بين يديه فقال ان الأمر الذي صار اليك وفى يديك قد كان فى يدي غيرك فأمسوا

واذا فيه تكاثة قيمتها عشرون ألف دينار ولم يدخلها في حسابه فاطلق له الجميع فانظر الى مال ينفق من عرضه أربعمائة ألف دينار وعشرون ألف دينار كم يكون أصله * فمن ملح أخباره وملح آثاره ما حكى ان انسانا سئل عن صفته فقال رأيته شيخا طويلا طويل اللحية خفيف العارضين صغير الرأس تشهد صورته عليه بالنوك (وحكى) عنه انه دخل عليه علي بن الفرات يحدثه وهو غافل عنه ساه تارة يعس وتارة يبهت فقال له كم ذا السهو والنعاس فقال يا سيدي عندنا في المحلة كلاب لا تدعنا ننام من كثرة صياحها وهراشها فقال له ابن الفرات لم لا تأمر عبيدك تضربها فاني أحسبها جراء فقال لا تقل ذلك ايها الوزير فان كل كلب منها مثلي ومثلك (نوع منها لغيره) تغذى أبو لسربال عند سليمان بن عبد الملك وهو يومئذ ولي عهد أبيه فقدم امامه جديا وقال كل من كليته فانها تزيد في الدماغ فقال لو كان كما يقول الامير لكان رأسه مثل رأس البغل (وقال) بعضهم دخلت على ابن الجصاص يوما والمصحف في حجره وقد بل كاغده بدموعه وأذل نفسه بتضرعه وخشوعه فسألته ما الذي دهاك وازال بهاك فقال أكلت مع الجواري الخبيص فتعديت امر الله وخالفته وكنت لا اعرف ان الله نهى عنه وحذر منه قلت وما الذي أوصى الله به ونهى عنه وحذر منه قال أكل الخبيص مع الجواري قلت وكيف قال الله في ذلك قال ألم تسمع قوله تعالى يسألونك عن الخبيص قل هو اذى فاعتزلوا النساء في الخبيص ولا تقربوهن ونرأى بالداء ثم قال يا أخي هل تعرف لي من توبة اغسل بها هذه الحوبة قلت التضرع في بالاقالة والابتهال الى الله بصدق المقالة فقام وكشف عن رأسه وحسر عن ذراعيه يديه وقال اللهم انك تجد من ترحمه سواي ولا أجد من يعذبني سواك فتركته وانصرفت متعجبا من هذا الحال موقنا ان الجد لا يكون بسعي المحتال (وسمع يوما) يقول في سجوده سجد لك بياضي وسوادي خاضعا ضارعا رعاما صابظر أمه ومن أنا هل أنا الا عبدك وابن عبدك الزاني ابن الزانية حتى لا يغفر له (ومما يشبه هذا القول لغيره) ما حكى ان شعيبا العلاف كان لا يصوم ولا يصلي ويقول من أنا حتى أصوم وأصلي انما يصلي المتكبرون الذين أريد منهم التواضع ويصوم الشباع حتى يعرفوا قدر ما فيه الجياع وكانه اقتدى في قوله بما حكى ان الرستمي كان عنده قوم من التجار فحضرت الصلاة فنهض ليصلي فنهضوا معه فقال ما لكم ولهذا وما أنتم منه الصلاة ركوع وسجود وقيام وقعود وانما فرض الله هذا على المتجبرين والمتكبرين والملوك الاعاجم مثلي ومثل ذي الاوتاد وعمرو ذو أنوشروان ولستم من هؤلاء فما لكم ولها لكنه المغرور اقتدى به في القول دون العمل وحمل أوزار الجهل وبئس والله ما حمل (وأهدى) ابن الجصاص الى العباس بن الحسن الوزير نبقا وكتب معه

تفيلت بأن تبقى * فاهديت لك النبقا

فكتب له الوزير ما تفيلت ولكن تمقرب

﴿ذكر من اخطأ في سؤال أو جواب وظن ان كلامه عين الصواب﴾

ذكر ان انسانا كان يكثر الجلوس في حلقة الشافعي وكان ذا رواء وهيبة وكان الشافعي يجله ويكرمه فسأله يوما اي وقت يحرم على الصائم الاكل فقال الشافعي عند طلوع الفجر قال فان طلع الفجر بعد طلوع الشمس فقال الآن عد الشافعي رحله ومدها ولم يحتشم منه (وقال الجاحظ) دخل رجل على الشعبي وبين يديه الفقهاء فقال بعدما أطال جلوسه أيها الشيخ اني أحدث في فمي حدثا فما ترى أن أحجم فقال الشعبي الحمد لله الذي رفع منزلتنا فحولنا من

حديثا ان خيرا فخير وان شرا فشر فتحبب الى عباد الله بحسن البشر ولين الجانب وتسهيل الحجاب فان حب عباد الله عز وجل موصول بحب الله وبغضهم موصول ببغضه لانهم شهداء الله على خلقه ورقباؤه على من اعوج عن سبيله (وقال) ارسطاطاليس للاسكندر أعظم ما أوصيك به أن لا تتبغض الى أحد من خلق الله فرأس العقل بعد الايمان التحبب الى الناس كما قال الشاعر

البشر يكسب أهله
صدق المودة والمحبه
والتيه يستدعي لصا
حبه المذمة والمسبه

(وقيل ان معاوية بن أبي سفيان) قيل له من أحب الناس اليك قال من كانت له عندي يد صالحة (و) قال اليزيدي النحوي أتيت الى الخليل بن أحمد فوجدته جالسا على طنفسة صغيرة فرحب بي ووسع لي فكرهت أن أضيق عليه فانقبضت عنه فأخذ بعضدي وقربني من نفسه وقال لي انه لا يضيق سم الخياط بمتحابين ولا تسع الدنيا متباغضين أخذ هذا المعنى أحمد بن عبد ربه فقال

صل من هويت وان أبدى معاتبة * فأطيب العيش وصل بين خلين
واقطع حبائل خدن لا تلائمه * فربما ضاقت الدنيا على اثنين

(وأقرب منه قول الآخر)

صبر فؤادك للمحبوب منزلة
سم الخياط مجال للمحبين
ولا تسامح بغيضا في معاشرة
فقلما تسع الدنيا بغيضين

قال معاذ بن جبل اذا أحببت رجلا فابذل له مالك وأخلص له

الفقه الى الحجامة وأكثر ما تقع هذه النوادر من القصاص (سئل بعضهم) عن أربعين ماشية نصفها ضان ونصفها معز كيف تخرج زكاتها فقال يخرج عنها رأس نصفها ضان ونصفها معز (وقيل لبعضهم) ان نصرانيا قال لا اله الا الله لا غيره يجب له وعليه قال يؤخذ منه نصف الجزية ويؤمر باداء نصف ما على المسلمين من الفرائض والسنن وان مات دفن بين مقابر اليهود والنصارى كما قال الله تعالى لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء فهو من المذبذبين (وأتى) بعض القصاص بنصرانى يريد أن يسلم فقال قم عنى أتريدون أن توقعوا بينى وبين عيسى بن مريم يوم القيامة (وسئل) بعض القصاص عن لوط عليه السلام فقال كان رجلا لوطيا نعوذ بالله من فعله فانكر عليه الناس ولامه بعض أصحابه بعد انصرافهم وأعلمه ان لوطا نبى مرسل بعث الى قوم كان ذلك القبيح فعلهم وان لوطا نهاهم عنه فندم على ماقاله فلما كان فى المجلس الآخر سئل عن فرعون فقال دعونا من حديث الانبياء واسألوا الله السلامة قوم لا رأيناهم ولا رأونا كيف نتكلم فى اعراضهم (وسئل بعضهم) ما تقول فى خلق القرآن فقال دعونا من القرآن هو مخلوق غير مخلوق (وسئل آخر) وكان ناصبيا عن معاوية فقال معاوية ليس بمخلوق لانه كاتب الوحى والوحى ليس بمخلوق وكاتب الوحى من الوحى (وحكى) سعيد بن خالد اليمانى قال كان عندنا قاض يسمى أبا خالد فقال فى دعائه يوما ياساتر عورة الكبش لما علم من فضله وصلاحه وهاتك عورة التيس لما علم من قذره وفجوره استر علينا وارحمنا واهتك ستر أعدائنا فقيل له وما فضيلة الكبش قال لانه كبش ابراهيم الذى فدى به ابنه ولا يذبح فى العقيقة غيره قيل له فما ذنب التيس قال يشرب بوله وينزو على الشاه التى لم تستحق النزو ويؤذى الناس بنتن ريحه ويعلم الناس الزنا وهو عيب على أصحاب اللحى يقال جاء فلان فى لحية التيس (وقرأ قارئ) فى مجلس سيفويه ان فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين فقال لمن حضره ارفعوا أيديكم وقولوا اللهم اجعلنا منهم (وقال) الفضل بن اسحق الهاشمى سمعت قاصا وقد قرأ فى مجلسه يتجرعه ولا يكاد يسيغه فقال اللهم اجعلنا ممن يتجرعه ويسيغه (وكان) سيفويه ممن يتلاوط فبينما هو يقص على الناس اذ أقبل جماعة صبيان حسان كأنهن الياقوت والمرجان فقال يا أصحابنا أقبل العدو ارفعوا أيديكم وقولوا اللهم ولنا أدبارهم وكبهم على وجوههم وأرناسوآتهم ومكن رماحنا من ظهورهم انك على كل شئ قدير وسيفويه بضم الفاء وفتح الياء هكذا ضبطه الامير أبو نصر ابن ماكولا فى كتاب الاكمال

﴿ومن تأخرت معرفته من الحكام وتقدم جهله فى القضايا والاحكام﴾

حكى أن عاملا للمنصور بن النعمان كتب اليه من البصرة أنى أصبت سارقا سرق نصابا من حرز فما أصنع فيه فكتب منصور اليه اقطع رجله ودعه يكد بيديه على عياله فأجابه العامل ان الناس ينكرون هذا لقول الله تعالى فى القرآن والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله والله عزيز حكيم فكتب اليه ان القرآن نزل من السماء ونحن فى الارض والشاهد يرى مالا يرى الغائب (وتقدم) رجل الى بعض القضاة بخصم فقال ان هذا باعنى ثوبا وجدت فيه عيبا وسألته ان يقيلنى فأبى فالتفت اليه القاضى وقال أقله عافاك الله فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قيلوا فان الشياطين لاتقيل (وقيل) لقاضى حمص كيف تحكم على اللوطى قال بنصف حكومة الزانى قيل له ولم قال لان الحمار لا يحمل الا نصف ما يحمل الجمل وهذا حكم مفهوم (وادعت امرأة) على زوجها مهرا عند بعض القضاة فأنكر فأمر القاضى أن يجلد احدين فقيل له ولم حكمت

فدك ولذوى الفاقة رفدك وللعامة بشرك واعدولك عدلك وشح بدينك وعرضك على كل أحد (قال الشاعر)

أحسن الى الناس تستعبد قلوبهم
فطالما استعبد الانسان احسان
وان أساء مسيئ فليكن لك فى
عروض زلته عفو وغفران

(قال أبو جعفر المنصور) ان أحببت أن يكثر الثناء الجميل عليك من الناس بغير نائل فالقهم ببشر حسن (وقالوا) ثلاثة لا يقوم للمرء الرشد الا فيهن مشاورة ناصح ومداراة حاسد والتحبب الى الناس (وقالوا) التودد الى الناس احدى الحسنيين (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم) رأس العقل بعد الايمان التودد الى الناس (وقالت الحكماء) لا تكمل المروءة الا بثلاث قطع الرجاء عما فى أيدى الناس والصبر على أذاهم وأن تحب لهم ما تحب لنفسك (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم) أمرت بمداراة الناس كما أمرت ان أصلى على سبة أعظم (وقالت الحكماء) من لم يحسن المداراة للناس أدبه المكروه (وقال بعضهم) مداراة الناس نصف العقل وقال العتابى المداراة سياسة لطيفة لا يستغنى عنها ملك ولا سوقة يجتلبون بها المنافع ويدفعون بها المضار فمن كثرت مداراته كان فى ذمة الحمد و لسلامة (قال بعضهم) رأس المداراة ترك المراء (قال لشاعر)

فمن لم يدار الناس قل صديقه
ومن ذمهم كان الغبى المذمما
ومن يهن الاخوان لا يكرمونه
ومن يكرم الاخوان كان المكرما

وقال بعضهم ينبغى للعاقل أن

بهذا قل لانهما زنيا ان لم يكن بينهما مهر قبل فلا يجب على المرأة قال بلى ان النخلة اذا لم يحمل رأسها أحرق أصلها (وتقدم جماعة) الى قراقوش وكان عاملا لصلاح الدين على مصر ومعهم قتيل وثور ورجل مكتوف فقالوا أيها الامير ان هذا الثور صال على هذا الرجل فقتله وهذا مالكه وهو العادلة ففكر ساعة ثم أمر بالثور أن يشنق ويطلق صاحبه قيل له ما هذا حكم الله فقال لو جرى هذا في زمن فرعون ما فعل غير هذا فانه القاتل ولا يحل ان أقتل غير القاتل * وهذه الحكاية ذكرها القاضي الاسعد بن مماتي في كتابه الذي وضعه وسماه الفاشوش في أحكام قراقوش ذكر فيه من هذه الاحكام شيأ كثيرا والعهدة عليه في ذلك فيما حكى والله أعلم (وكان) نصر بن مقبل عاملا للرشيد على الرقة فأتى برجل من الظرفاء وجد ينكح شاة فقال أيها الامير انها والله ملك يميني وقد قال الله تعالى أو ما ملكت أيمانكم فاطلقه وأمر ان تضرب الشاة الحد فان ماتت تصلب قالوا أيها الامير انها بهيمة قال وان كانت بهيمة فان الحدود لا تعطل وان عطلتها فبئس الوالي أنا فانتهى خبره الى الرشيد ولم يكن رآه قبل فدعا به فلما مثل بين يديه قال له ممن أنت قال مولى لكلب فضحك منه ثم قال له كيف بصرك بالحكم قال يا أمير المؤمنين الناس والبهائم عندي فيه سواء ولو وجب الحد على بهيمة وكانت أمي أو أختي لحددتها ولم تأخذني في الله لومة لائم فعزله الرشيد وأمر أن لا يستعان به في عمل فلم يزل معطلا الى أن مات (وكان) الربيع بن عبد الله العامري واليا على اليمامة فبلغه أن كلبا قتل كلبا آخر فأمر أن يقتل به فقال فيه بعض الشعراء

شهدت بان أنه حق لقاؤه * وان الربيع العامري رقيع
أقادلنا كلبا بكلب ولم يدع * دماء كلاب المسلمين تضيع

(وكان) أبو الضحاك ميمون قد ولي القضاء ببعض الاهواز فأتى برجل قد سرق ثمانين وأتى برجل قذف فقطع يده فقال فيه محمد بن مساور

قد ذهب العلم وأشياعه * الا أبا الضحاك ميمونا
يقطع كف القاذف المفترى * ويجلد السارق ثمانينا

﴿ ومن التغفل الواقع من الشعراء في مدائح السادات والكبراء ﴾

قال الخفاجي في كتاب سر الفصاحة ينبغي للشاعر ذي التمييز في فنه والتبريز ان لا يعبر عن المدح بالالفاظ المستعملة في الذم ولا يعبر في الذم بالالفاظ المستعملة في المدح بل يستعمل في جميع الاغراض الالفاظ اللائقة بها في موضع الجد ألفاظه وفي موضع الهزل ألفاظه ألا ترى أن الانسان اذا مدح ذكر الرأس والهامة والكاهل واذا هجا ذكر الاخادع والقفا والقذال وان كانت معاني الجميع متقاربة فقبيح بالشاعر وغيره أن يقول للملك وحق قذالك مكان وحق رأسك لان الاستعمال مختلف في الالفاظ وان كان في المعنى غير مختلف (فمن السقطات المعدودة في ذلك قول أبي نواس)

جاد بالاموال حتى * حسبوه الناس حمقا

وكقول أبي تمام مازال يهذي بالمكارم دائبا * حتى ظننا أنه محموم

وكقوله يا أبا جعفر جعلت فداكا * فاق كل الوجوه حسن قفاكا

الى غير ذلك من شعر المولدين والمحدثين والعصريين فالحق ويهدي ومحموم من الالفاظ اللائقة بالهجاء * وقد سقط المتنبي في افتتاحه قصيدة مدح بها كافورا الاخشيدي اذ قال

كفى بك داء أن ترى الموت شافيا * وحسب المنايا أن تكون أمانيا

وليت

يداري زمانه مداراة السابح الماء الجاري (قال الشاعر)

ان ترمك الغربة في معشر
تطابقوا فيك على بغضهم
فدارهم مادمت في دارهم
وأرضهم مادمت في أرضهم

(وقال آخر)

مادمت حيا فدار الناس كلهم
فانما أنت في دار المداراة
من يدر داري ومن لم يدر سوف يرى
عما قليل نديما للندامات

(وقال آخر)

دار من تخشى أذاه
والقه في باب داره
انما الدنيا مدارا
ة فمن تخشاه داره

وينبغي مع مداراة العدوان يحترز منه ولا يوثق به وانما يدفع بالمداراة اظهار العداوة (قال بعض الحكماء) سالم عدوك مااستطعت وان كنت ذا قوة وقهر (قال الشاعر)

سالم الناس مااستطعت ودار
أخسر الناس أحمق لا يداري
ضرك الناس ضر نفسك يجني
لا يقوم الدخان الا النار

(قالت الحكماء) المسالمة السلامة (وقالوا) سالم تسلم (قال الشاعر)

سالم جميع الناس تسلم منهم
ان السلامة في مسالمة الورى
واذا أتاك من امرئ يوما أذى
لا تجزه أبدا بما منه ترى

(وقال آخر)

من سالم الناس سالموه
وكان في ذمة السلامه

(المأمون) حاتم الاصم الى أحمد بن حنبل قال له أحمد بعد بشاشته به أخبرني كيف التخلص الى السلامة من الناس فقال له حاتم

(قلت) وقد أشبه ماعيب ماحكى أن زبيدة ابنة جعفر بن أبي جعفر المنصور أنشدها قاصد من الاعراب فقال

أزبيدة ابنة جعفر * طوبى لسائلك المثاب

تعطين من رجليك ما * تعطي الاكف من الرغاب

فوثب اليه خدمها وهموا بضربه فمنعتهم من ذلك وقالت أراد خيرا فأخطأ وهو أحب الينا ممن أراد شرا فأصاب سمع قولهم شمالك أندى من يمين غيرك فظن انه اذا قال هكذا كان أبلغ اعطوه ما أمل وعرفوه ما جهل وعاب الفضل بن يحيى على أبي نواس قوله في قصيدة مدحه بها

سأشكو الى الفضل بن يحيى بن خالد * هواكم لعل الفضل يجمع بيننا

فقال له الفضل ما زدت على ان جعلتني قوادا فقال انه جمع تفضل لا جمع تواصل * وقد تابعه أبو الطيب المتنبي في قوله من قصيدة يمدح بها سعيد بن كلاب

عل الامير يرى ذلي فيشفع لي * الى التي صيرتني في الهوى مثلا

(وعيب) عليه أيضا قوله من قصيدة يمدح بها سيف الدولة بن حمدان

ليت انا اذا ارتحلت لك الخيل * وانا اذا نزلت الخيام

فانه أنزل نفسه منزلة الاغلة وعبر عن همته بالقلة يحملها مركوبة ولم يكفه ذلك حتى ألبس الممدوح شعاره وأكسبه عاره بجعله راكبا تارة ومركوبا أخرى واتصف بصفات المدح التي هو بها أحوى فأساء الادب وأخطأ الطريق وعدم الرشد وعن التوفيق (ودخل بعضهم) على رئيس الرؤسا أبي الغنائم فأنشده قصيدة جاء منها

فسبحان الذي أعطاك ملكا * وعلمك الجلوس على السرير

(وتمامه) أتذكر اذ لباسك جلد شاة * واذ نعلاك من جلد البعير

فقال له رجل من الجلساء أتقول مثل هذا للرئيس لا أم لك فقال والله ما ظننت اني قلت عيبا غير اني مدحت الرئيس بما مدحت به فضحك منه و وصله وهذان البيتان ذكرهما الجاحظ في كتاب البيان والتبيين لاعشى همدان وأنشد قبلهما

فلست مسلما مادمت حيا * على زيد بتسليم الامير

أمير يأكل الفالوذ سرا * ويطعم ضيفه خبز الشعير

(وحدث) أحمد بن أسماعيل بن الخصيب قال دخلت على سليمان بن وهب بأبيات أعزيه فيها عن أمه فأخذت في انشادها فقال انا أعزك الله في مصائب قد انثالت علي من كل جانب قلت وماهي أطال الله بقاءك قال ماتت أمي وغير رسمي ورثى ميتي بمثل هذا الشعر ورمى لي رقعة مكتوب فيها

لام سليمان علينا مصيبة * مجللة مثل الحسام البواتر

وكنت سراج البيت يا أم سالم * فاضحى سراج البيت بين المقابر

فاشتغلت بالضحك عن البكاء وبالتسلي عن العزاء وكان الشعر لابي أيوب واسمه صالح ابن شهريار بن أخت ابي الوزير (ومدح بعضهم اميرا فقال)

انت الامام الاريحي * الواسع بن الواسعة

فقيل له من اين عرفت هذا قال سمعت الناس يثنون عليك بذلك

﴿ومن شوارد هذا النوع وافراده ما يفي بغرض المتأمل ومراده﴾

ما حكى أن عبد الله بن رواحة رأته امرأته على بطن جارية له فخرجت وشحذت شفرة ثم

بثلاثة أشياء فقال له أحمد ماهي قال تعطيهم مالك ولا تأخذ مالهم وتقضي حقوقهم ولا تطالبهم بقضاء حقوقك وتصبر على أذاهم ولا تؤذيهم فقال أحمد انها اصعبة قال له حاتم وليتك تسلم (قالت الحكماء) من غض بصره عن عيوب الناس غضوا أبصارهم عنه (قال الشاعر)

لا تلتمس من مساوي الناس ما ستروا * فيكشف الله سترا عن مساويكا

واذكر محاسن ما فيهم اذا ذكروا * ولا تعب احدا منهم بما فيكا

(وفي المثل) استر عورة اخيك لما تعلم فيك (وقال الشاعر)

أحب معالي الاخلاق جهدي * واكره ان اعيب وان اعابا

فمن عز الرجال تهيبوه * ومن حقر الرجال فلن يهابا

(قال بعض الحكماء) استشعروا السلامة للناس والبسوا لهم اللين والقوهم بالبشاشة وعاشروهم بالتودد وتفضلوا عليهم بحسن الاستماع وان كان ما يأتون به نزرا فان لكل امرئ عند نفسه قدرا فالقوهم بما يستنبطون به اليكم وخرجوا عقولكم بأدب كل زمان واجروا مع اهله على مناهجهم تقل مساويكم وتسلم لكم أعراضكم وضعوا عنكم مؤنة الخلاف واللجاجة في المنازعة فربما ورثت الشحناء ونقضت هرم المودة والاخاء فليكن المرء مقبلا على شأنه راضيا عن زمانه سلما لاهل دهره جاريا على عادة عصره ولا يباينهم بالعزلة فيمقتوه ولا يجاهرهم بالمخالفة فيعادوه فان موافقة الناس رشاد ومخالفتهم ضلال وعناد (وفي المثل) ادمان الخلاف

دخلت عليه تريد قتله فوجدته قد خرج من عندها فقال لها ما همّ فقالت اما اني لو وجدته حيث كنت لوجأت بها بطنك فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم نهانا ان يقرأ أحدنا القرآن جنبا قالت اقرأ فأنشد

اتانا رسول الله يتلوا كتابه * كما لاح مشهور من الصبح ساطع
اتى بالهدى بعد العمى فقلوبنا * به موقنات ان ما قال واقع
يبيت يجافي جنبه عن فراشه * اذا ما استقرت بالجنوب المضاجع

فلما سمعت مقاله قالت آمنت بالله وكذبت بصري فأخبر بذلك عبد الله بن رواحة رسول الله صلى الله عليه وسلم فضحك حتى بدت نواجذه (وأسر) عتاب بن ورقاء جماعة من الخوارج فوجد فيهم امرأة فقال وانت ياعدوة الله ممن مرق من الدين وخرج على المسلمين اما سمعت قول الله تعالى

كتب القتل والقتال علينا * وعلى الغانيات جر الذيول

فقالت حسن معرفتك بكتاب الله دعانا الى الخروج عليك ياعدو الله * وصعد المنبر باصبهان لخطاب وقال في اثناء خطبته وذلك كما قال الله في كتابه العزيز

ليس شئ على المنون بباق * غير وجه المسبح الخلاق

فقال له رجل ليس هذا قول الله انما هو قول عدي بن زيد قال فنعم والله ما قال عدي (ومن ذلك) ما حكي أن علي بن زياد الايادي قال في بعض خطبه أقول لكم كما قال العبد الصالح ما أريكم الا ما أرى وما أهديكم الا سبيل الرشاد فقام اليه انسان وقال ماهذا قول عبد صالح انما هو قول فرعون فقال من قال هذا فقد أحسن (وأم رجل) من الظرفاء بقوم اياما وكانوا من المتغفلين بمكان فكانوا يطعمونه الخبز والكامخ لايزيدونه عليهما شيأ فصلى بهم يوما الصبح فقرأ في الركعة الاولى بعد الفاتحة يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولا تطعموا أئمتكم كامخا بلا لحم فان لم تجدوا لحما فشحما فان لم تجدوا شحما فبيضا ومن لم يفعل ذلك فقد ضل ضلالا بعيدا وخسر خسرانا مبينا وقرأ في الركعة الثانية فان لم تجدوا بيضا فسمكا واطبخوه سكباجا فان لم تجدوا سمكا فلا ولا تحمضوه تحميضا ومن يفعل ذلك فقد افترى اثما عظيما فلما فرغ من صلاته جاؤه واعتذروا اليه من التقصير في حقه وأنهم لم يكن عندهم علم بان الله أنزل في الوصية بالائمة شيأ وسألوه في أي سورة هذه الآيات فقال لهم في سورة المائدة (وكان) بعض الحمقى يتعشق جارية فهام بها دهرا لايقدر على الوصول اليها فزارته يوما فنام وتركها فقالت له ويحك ما دعاك الى النوم وقد ظفرت بمن تهواه فقال ياسيدتي أتناوم لعلي أراك أيضا في المنام كما قال الشاعر

واني لاستغشي ومابي نعسة * لعل خيالا منك يلقى خياليا

وكتب آخر الى محبوبته ان رأيت أن تزوريننا عصمنا الله واياك فافعلي فكتبت اليه يا أحمق متى عصمنا لانجتمع أبدا (ووقع) بين سليمان بن مهران الاعمش وبين زوجته وحشة فسأل بعض أصحابه الاصلاح بينهما فدخل اليها وقال ان ابا محمد شيخنا وفقيهنا فلا يزهدنك فيه عموشة عينيه ونتن ابطيه وبخر شدقيه وجمود كفيه وحموشة ساقيه وذلك على رأى من الاعمش وسمع منه فقال له الاعمش كف لا أم لك فقد ذكرت لها من عيوبي مالم تكن تعرفه (وذكر) أن عبد الله بن فضلويه وكان عامل قزوين أنشد يوما

يوم القيامة يوم لادواء له * الا الطلاء والا الطيب والطرب

فقال له من حضره انه ليس انما هو يوم الحجامة فقال اعذروني فاني لا اعرف ايهما (قاع)

بعض

من اسباب التلف (عن ابن عباس رضي الله عنه) ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله اي الناس احب اليك قال أنفعهم للناس وان من أحب الاعمال الى الله تعالى سرورا تدخله على مسلم أو تكشف عنه كربة أو تسد عنه جوعا ولان أمشي مع أخ لي في حاجة أحب الي من ان أعتكف شهرين في المسجد ومن كف غضبه ستر الله عورته ومن كظم غيظه ولو شاء ان يمضيه لامضاه ملأ الله قلبه يوم القيامة رضى ومن مشى مع أخ له في حاجة حتى يثبتها ثبت الله تعالى قدمه يوم تزل الاقدام وسوء الخلق يفسد العمل كما يفسد الخل العسل (وفي المثل) الاخلاق الصالحة ثمرة العقول الراجحة فمن لقي الناس بالاحسان وعاملهم بالخلق الحسان فهو الذي يخف عليهم جانبه وتحمد أنحاؤه ومذاهبه ولن يعدم منهم حسن الثناء ومن الله جزيل الجزاء انتهى (قال الشاعر)

اذا حويت خصال الخير اجمعها * فضلا وعاملت كل الناس بالحسن
لم تعدم الخير من ذي العرش تحرزه * والشكر من خلقه في السر والعلن

القسم الثالث في طرف من الحكايات

(والآداب الصادرة عن اولي الالباب والاحساب)

(اعلم) ان في الحكايات والاخبار سلوة للنفوس وآدابا نافعة للرئيس والمرؤس والقلوب ترتاح الى مامن شجونها والآذان تصغى لسماع طرفها وفنونها والرحيد يأنس بطالعتها والجليس ينبسط بمذاكرتها ومحاضرتها والطباع

بعض المتخلفين بستانا واشترى بثمنه حمارا فقيل له صاحب له ومت ما كان به لقيه السماء فيعوضك الشعير واشتريت ما تعلفه الشعير فيعوضك الماء (ومن هذا الباب) تخلف ابى غبشان وكان سادن الكعبة فانه باع الكعبة بزق خمر حتى ضرب به المثل فى التخلف فقيل اخسر صفقة من ابى غبشان وتخلف سلم الخاسر فانه باع مصحفا واشترى بثمنه طنبورا فضرب به المثل فقيل أخسر من سلم

الفصل الثالث من الباب الثامن

فى ان أنواع التغفل والبله ستور على الاولياء مسبله

قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن (وقال) صلى الله عليه وسلم رب أشعث أغبر ذى طمرين لو أقسم على الله لابره (وقال) عيسى عليه السلام للحواريين كونوا بلها كالحمام حلما كالحيات (وقال) رسول الله صلى الله عليه وسلم اطلعت على الجنة فرأيت أكثر أهلها البله (قال العلماء) هم البله فى طلب الدنيا الاكياس فى طلب الآخرة

﴿فمنهم عليان الذى كان قالبه مع الخلق وقلبه مستغرقا فى أسرار الحق﴾

يحكى عنه أن رجلا قال له مر العاقل وهو يهزأ به فقال من حاسب نفسه وراقب ربه (وقال) حفص بن عتاب قاضى الكوفة مررت بعليان وهو جالس فى السوق فلما رآنى قال من أراد أن يتعجل سرور الدنيا والنار فى الآخرة فليتمن ما هذا فيه قال ابن عتاب والله لقد تمنيت لما سمعت كلامه أن أمى لم تلدنى أو أنى مت قبل أن ألى القضاء (وقال) لابى الوفاء وقد مر به راكبا أسمنت دابتك واهزلت دينك اما والله ان امامك لعقبة كؤدا لا يجوزها الا المخفون (وعن) ابن أبى فديك قال رأيت عليان وقد دلى رجليه فى قبر وهو يلعب بالتراب فقلت له ما تصنع ههنا قال أجالس أقواما لا يؤذوننى ان حضرت ولا يغتابوننى ان غبت فقلت قد غلا السعر فهلا تدعو الله فيكشف عنا الضر فقال والله لا أبالى ولو حبة بدينار ان الله أخذ علينا العهد ان نعبده كما امر وان عليه رزقنا كما وعد ثم صفق بيديه وقام قائلا

يامن تمتع بالدنيا وزينتها * ولا تنام عن اللذات عيناه
شغلت نفسك فيما ليس تدركه * تقول لله ماذا حين تلقاه

وتروى هذه الحكاية عن بهلول الآتى ذكره (وقال) الحسن بن سهل بن منصور رايت الصبيان يرمون عليان بالحجارة وقد ادماه حجر منهم فقال

حسبى الله توكلت عليه * من نواصى الخلق طرا فى يديه
ليس للهارب فى مهربه * ابدا من راحة الا اليه
رب رام لى باحجار الاذى * لم اجد بدا من العطف عليه

فقال له رجل تعطف عليهم وهم يرمونك بالحجارة فقال اسكت لعل الله يطلع على غمى ووجعى وشدة فرح هؤلاء فيهب بعضا لبعض (ومن شعره)

أنلح الزاهدون والعابدونا * اذ لمولاهم اجاعوا البطونا
اقرحوا الاعين القريرة شوقا * فمضى ليلهم وهم ساجدونا
حيرتهم مخافة الله حتى * زعم الناس ان فيهم جنونا

(وممن كانت نفسه عن الشبهات مكفوفة بهلول المعدود من مجانين الكوفة)

قال عبد العزيز المتكلم رأيت بهلولا يوما باكرا فقلت يا بهلول كيف أصبحت قال بخير انتظر

تحمهامن مللها ويذهب عنها قلة نشاطها بكثرة كسلها والملوك يتحفون بها وينال الجاه والرفعة منهم بسببها (وقال عمر بن الخطاب) عليكم بطرائف الاخبار فانها من علم الملوك والسادة وبها تنال المنزلة والحظوة منهم (قال على رضى الله عنه) قيمة كل امرئ ما يحسن وقال بعض ملوك الهند لبنيه اكثروا من النظر فى الكتب وازدادوا فى كل يوم حرفا فان ثلاثة لا يستوحشون فى غربة الفقيه العالم والبطل الشجاع والحلو اللسان الكثير مخارج الرأى (وقيل للمأمون) ما الذ الاشياء قال التنزه فى عقول الناس يعنى قراءة افوالهم قال محمد بن بشير

لله من جلساء لا جليسهم
ولا خليطهم للسوء مرتقب
لا بادرات الاذى يخشى رفيقهم
ولا يلاقيه منهم منطق ذرب
أبقوا لنا حكما تبقى منافعها
أخرى الليالى على الأيام وانشعبوا
ان شئت من محكم الآثار يرفعها
الى النبي ثقات خيرة نجب
أو شئت من عرب علما بأولهم
فى الجاهلية تنبيني بها العرب
أو شئت من سير الأملاك من عجم
تنبي وتخبر كيف الرأى والادب
حتى كأنى قد شاهدت عصرهم
وقد مضت دونهم من دهرنا حقب
فصرت فى البيت مسرورا تحدثنى
من علم ما غاب عنا فى الورى الكتب
فردا تخبرنى الموتى وتنطق لى
فليس لى فى أناس غيرهم أرب
ما مات قوم اذا أبقوا لنا أدبا
وعلم دين ولا ماتوا ولا ذهبوا

سأل الرشيد يوما الاصمعى عن أنساب بعض العرب فقال على الخبير بها سقطت يا أمير المؤمنين

لقاء من يوجب الاجر ويحط الوزر وينشد الازرثم قال لى ياعبد العزيز احسن مجاورة النعم بالشكر عند الرخاء والصبر عند البلاء (ولما) دخل الرشيد الكوفة خرج الناس لينظروا اليه فناداه بهلول ياهرون ثلاثا فقال الرشيد من يجترئ علينا فى هذا الموضع فقيل له بهلول فرفع طرف السجف فقال ادن فقال يا امير المؤمنين روينا بالاسناد عن قدامة بن عبد الله العامرى قال رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم رمى جمرة العقبة لاضرب ولا طرد ولا قيل بين يديه اليك اليك وتواضعك فى شرفك هذا خير من تجبرك وتكبرك قال فبكى الرشيد حتى بدت دموعه على الارض وقال أحسنت يابهلول زدنا يرحمك الله قال روينا عنه صلى الله عليه وسلم انه قال أيما رجل آتاه الله مالا وسلطانا وجمالا فانفق من ماله وعف فى جماله وعدل فى سلطانه كتب فى ديوان الله من الابرار قال الرشيد أحسنت يابهلول وأمر له بجائزة فقال أرددها على من اخذتها منه فلا حاجة لى بها قال يابهلول ان كان عليك دين قضيته عنك قال ياأمير المؤمنين ان هؤلاء أهل الرأى بالكوفة أجمعوا على أن قضاء الدين بالدين لايجوز قال فهل لك أن أجرى عليك رزقا يقوم بك ويكفيك فرفع طرفه الى السماء وقال ياأمير المؤمنين أناوانت عيال الله ثم تركه ومضى وهذه الحكاية لذوى العقول كافية وللقلوب من ادواء الذنوب شافية

﴿ومن مشاهير هذه الطائفة سعدون الطالب للعلا والراغب عن الدون﴾

روى خالد بن عبد الله الطوسى قال لما حج هرون الرشيد فرش له من جوف العراق الى مكة لبود مرعزية فمشى عليها القضاء نذر وجب عليه فاستند يوما الى ميل من تعب ناله وابن بسعدون قد عارضه وهو يقول

هب الدنيا تواتيكا * أليس الموت ياتيكا
فما تصنع بالدنيا * وظل الميل يكفيكا
ألا ياطالب الدنيا * دع الدنيا لشانيكا
كما أضحكك الدهر * كذاك الدهر يبكيكا

فبكى هرون وقال الويل لنا ان لم يعف الله عنا (وقال) عيسى بن على رأيت سعدونا والصبيان يرمونه بالحجارة فصرفتهم عنه فقال لى بعض الصبيان انه يزعم انه يرى ربه فقلت له ما تسمع مقالة الصبيان فقال ياأخى مذ عرفت الله ما فقدته ثم قال

زعم الناس أننى مجنون * كيف أسلو ولى فؤاد مصون
علق القلب بالبكا فى الدياجى * وهو بالله مغرم محزون

(وعن) عطاء بن سعيد قال كتب سعدون الى والينا أما بعد ياهذا ان لم تستح من الخلق فاستح من الخالق واحذر سهما من سهامه فان سهامه لاتخطئ ولا يغرنك حلمه عنك فانه ان عاقب اهلكك وهتكك ثم كتب عنوانه ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسؤلا وقال اسماعيل بن عطاء مررت بسعدون فلم أسلم عليه فنظر الى وقال

ياذا الذى ترك السلام تعمدا * ليس السلام بضائر من سلما
ان السلام تحية مبرورة * ليست تحمل قائليها مغرما

(ورؤى سعدون يكتب بفحم على جدار)

ماحال من سكن الثرى ماحاله * أمسى وقد رثت هناك حباله
أمسى ولا روح الحياة تصيبه * ابدا ولا لطف الحبيب يناله
أمسى وقد درست محاسن وجهه * وتفرقت فى قبره اوصاله
واستبدلت منه المحاسن غبرة * وتقسمت من بعده أمواله
مازالت الايام تلعب بالفتى * والمال يذهب صفوه وحلاله

وكان

فقال له الفضل بن الربيع أسقط الله حسك أتخاطب أمير المؤمنين بمثل هذا فكان الفضل على قلة علمه أعرف بما يستعمل فى مخاطبة الخلفاء من الأصمعى مع امامته وليس يكمل أدب المرء حتى يعرف المثل السائر والبيت النادر وما يحكى عن أهل العصور من الاخبار العجيبة وماوقع لهم من الالفاظ البليغة والمعانى الغريبة فى ذلك العلم بالامور والعقل المكتسب والأدب الصادر عن ذى المروءة والحسب لم تزل الحكايات والاخبار تذكر فى معرض الاعتبار وترد موارد الاستبصار وهذا القسم لاتضبطه الفصول والابواب ولا يستوفيه مصنف فى كتاب غير انه يأتى بما يناسب تبويبه ويشاكل تفصيله وترتيبه وانى أذكر هنا من ذلك مااستحسنه فى فنه وأستظرفه وأستملحه فى نوعه واستطرفه فى فصلين اثنين بحول الله

(الفصل الاول فى الاخبار التى تتعلق بذى الامرة والسياسة)

(قال المسعودى فى كتابه عيون المعارف) مما حفظ من كلام أزدشير عند ماوضع التاج على رأسه ان قال الحمد لله الذى خصنا بنعمه وشملنا بفوائده وقسمه ومهد لنا البلاد وقاد الى طاعتنا العباد (نحمده) حمد من عرف فضل ما آتاه (ونشكره) شكر الدارى بما منحه وأعطاه ألا وانا ساعون فى اقامة منار العدل وادرار الفضل وتشييد المآثر وعمارة البلاد والرأفة بالعباد وزم أقطار المملكة ورد ما تخرم فى سائر الايام منها فليسكن طائركم أيها الناس فانى

(وكان) اذا اشتد به الجوع رمق بطرفه الى السماء وقال

أتتركني وقد آليت حلفا * بانك لا تضيع من خلقتا
وانك ضامن للرزق حتى * تؤدي ما ضمنت وما قسمتا
فاني واثق بك يا الهي * ولكن القلوب كما علمتا

(ومن) محاسن أخبارهم وأحاسن آثارهم التي هي للقلوب الممحلة ربيع وللصدور الصدئة غيث مريع ما حكى ان سمنون قال لرجل يعظه اجعل قبرك خزانتك واحشها من كل عمل صالح فاذا وردت على ربك سرك ما ترى * ومن كلامه اذا بسط الجليل بساط العفو دخلت ذنوب الاولين والآخرين تحت حواشيه واذا بدت ذرة من عين الجود ألحقت المسيئين بالمحسنين (ومن شعره)

لئن امسيت في ثوبي عديم * لقد بليا على حر كريم
فلا يحزنك ان أبصرت حالا * مغيرة عن الحال القديم

(وقيل) لشقران من الحكيم قال الذي لا يتعرض للعذاب الاليم قيل وما العذاب الاليم قال البعد عن الرب الكريم (وقال) بعضهم رأيت فليتاء والصبيان حوله يؤذونه يرمونه بالحجارة وهو يقول ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الامور (وقال) أبو عمام اسرائيل بن محمد القاضي رأيت سابقا المعتوه وهو يكتب على حائط بالفحم هذه الابيات

نظرت الى الدنيا بعين مريضة * وفكرة معتوه وتأميل جاهل
فقلت هي الدنيا التي ليس مثلها * ونافست منها في غرور وباطل
وضيعت أياما طوالا كثيرة * بلذات أيام قصار قلائل

(وقيل لمجنون) فيم يسعى هذا الخلق قال في طلب ما لا يكون من الدنيا قيل فما يطلبون قال الراحة وذلك ما لا يجدون

﴿ الباب التاسع في السخاء وفيه ثلاثة فصول ﴾

(الفصل الاول من هذا الباب)
(في ان التبرع بالنائل من أشرف الخلال والشمائل)

(قال) رسول الله صلى الله عليه وسلم الجود من جود الله تعالى فجودوا يجد الله عليكم ألا ان السخاء شجرة في الجنة أغصانها مدلاة في الارض فمن تعلق بغصن منها أدخله الجنة ألا وان السخاء من الايمان والايمان في الجنة رواه أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب باسناد متصل في كتاب البخلاء له (وقال) صلى الله عليه وسلم تجاوزوا عن ذنب السخي فان الله آخذ بيده اذا عثر ان السخي قريب من الله قريب من الناس قريب من الجنة بعيد من النار ولجاهل سخي أحب الى الله من عالم بخيل (وقال) صلى الله عليه وسلم الخلق كلهم عيال الله وأحب الخلق الى الله أنفعهم لعياله (وروى) ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى باسرى من بني العنبر فامر بقتلهم وأفرد منهم رجلا فقال علي رضي الله عنه يا رسول الله الرب واحد والدين واحد والذنب واحد فما بال هذا من بينهم فقال عليه الصلاة والسلام نزل علي جبريل صلى الله عليه وسلم فقال اقتل هؤلاء واترك هذا فان الله شكر له سخاء فيه (وقال) صلى الله عليه وسلم أحب العباد الى الله من حبب اليه المعروف وانما سمي المعروف معروفا لان الكرام عرفته فألفته والسخاء سخاآن سخاء نفس الرجل بما في يده يصون به عرضه عن ذم اللئام وتركه ما في أيدي الناس يغلق عنه باب الملام وهو ان جمعهما فقد وهب أشرف اخلاق

أعم بالعدل سنة محمودة وشريعة موروثة وستترون في سيرتنا ما تحمدوننا عليه وتصدق أقوالنا أفعالنا ان شاء الله تعالى (وكتب ازدشير بن بابك الى الملوك الكائنين بعده) الخراج عمود المملكة بكنفه نقش الرعية وحفظ الاطراف والبيضة فاختاروا العمل عليه أولى الطبيعة الحرة وذوي العقل والحنكة وكفوهم سني الارزاق تحسموا أنفسهم عن الارتفاق فما استعز بمثل العدل ولا استنذر بمثل الجور (وجعل) أنوشروان يوما للحكماء ليأخذ من آدابهم فقال لهم وقد أخذوا مراتبهم من مجالسه دلوني على حكمة فيها منفعة لخاصة نفسي وعامة رعيتي فتكلم كل واحد منهم بما حضره من الرأي وأنوشروان مطرق مفكر في أقاويلهم وانتهى القول الى بزرجمهر بن البختكان فقال أيها الملك أنا جامع لك ذلك في اثنتي عشرة كلمة قال له هات ما هن فقال أولاهن تقوى الله تعالى في الشهوة والرغبة والرهبة والغضب والهوى فاجعل ما عرض من ذلك كله لله لا للناس والثانية الصدق في القول والوفاء بالعادات والشروط والعهود والمواثيق والثالثة مشورة العلماء في ما يحدث من الامور والرابعة اكرام العلماء والاشراف وأهل الثغور والقواد والكتاب والحول والخامسة التعهد للقضاة والفحص عن العمال محاسبة عادلة ومجازاة المحسن منهم باحسانه والمسيء على اساءته والسادسة تعاهد أهل السجون بالعرض لهم فيستوثق من المسيء ويطلق البريء والسابعة تعاهد سبل الناس واسواقهم وأسعارهم

وتجاراتهم والثامنة حسن تأديب الرعية على الجرائم واقامة الحدود والتاسعة اعداد السلاح وجمع آلات الحرب والعاشرة اكرام الولد والاهل والاقارب وتفقد ما يصلحهم والحادية عشرة اذكاء العيون في الثغور لتعلم ما يخوف فتؤخذ أهبته قبل هجومه والثانية عشرة تفقد الوزراء والعمول والاستبدال بذوى الغش منهم فأمر أنوشروان أن يكتب هذا الكلام بالذهب وقال هذا كلام فيه جميع أنواع السياسة الملوكية (وحدث) الفضل بن سهل قال كانت رسل الملوك اذا جاءت بالهدايا تحمل اختلافها الى فكنت أسأل الرجل منهم عن سيرة ملوكهم وأخبار عظمائهم فسألت رسول ملك الروم عن سيرة ملكهم فقال ملك بذل عرفه وجرد سيفه فاجتمعت عليه القلوب رغبة ورهبة لا يبطر جنده ولا يحرج رعيته سهل النوال حزين النكال الرجاء والخوف معقودان في يديه قلت فكيف حكمه قال يرد الظلم ويردع الظالم ويعطي كل ذي حق حقه فالرعية اثنان راض ومغتبط قلت فكيف هيبتهم له قال يتصور في القلوب فتغض له العيون قال فنظر الى رسول الحبشة وأنا أصغي اليه وأقبل عليه فسأل ترجمانه ما الذي يقول الرومي فقال يذكر ملكهم ويصف سيرته فتكلم مع الترجمان بشئ فقال لي الترجمان انه يقول ان ملكهم ذو أناة عند القدرة وذو حلم عند الغضب وذو سطوة عند المغالبة وذو عقوبة عند الاجرام قد كسا رعيته جميل نعمته وخوفهم حسف عقوبته فهم يترأونه ترائي الهلال خيالا

الكرام وتواطأ على مدحه الخاص والعام (ويقال) في مدح مثل هذا فلان بماله متبرع وعن مال غيره متورع (ويقال) مراتب العطاء ثلاث سخاء وجود وايثار فالسخاء اعطاء الاقل وامساك الاكثر والجود اعطاء الاكثر وامساك الاقل والايثار اعطاء الكل من غير امساك لشئ وهذه أشرف الرتب وأعلاها وأحقها بالمدح وأولاها فان ايثار المرء غيره على نفسه أفضل من ايثاره نفسه على غيره وكفى بهذه الحالة شرفا مدح الله تعالى أهلها في قوله ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون (وقالوا) الجواد من لم يكن جوده لدفع الاذى وطلب الجزاء كما قال عبد الله بن جعفر أمطر معروفك فان أصاب الكرام كانوا له أهلا وان أصاب اللئام كنت له أهلا *(فما)* ورد عن ذوى الافضال في الحث على الاعطاء والنوال ما ذكر عن عبد الملك بن مروان أنه كان يقول لبنيه يا بني أمية ان المرء من الكريم يتقي عرضه بماله فلا تبخلوا اذا شئتم فان خير المال ما أفاد حمدا أو نفى ذما ولا يقولن أحدكم أبدا أبعي تعول فانما الناس عيال الله تكفل بأرزاقهم فمن وسع وسع عليه ومن ضيق ضيق عليه ثم تلا قوله تعالى وما أنفقتم من شئ فهو يخلفه وهو خير الرازقين فيا لله العجب ما أشد ما بين قول هذا الخليفة وفعله وخالف سخاؤه بخله وكيف قسم خليقته بين الايجاب والسلب وخص لسانه بالمدح وقلبه بالثلب (وقال) زهير بن جذيمة لولده عليكم باصطناع المعروف واكتسابه وتلذذوا بطيب نسيمه ورضائه وارضوا مودات الرجال من أعانه فرب رجل قد صفر من ماله وعاش هو وعقبه في الذكر الجميل (وقال) شاعر في مثل هذا

اذا كنت ذا حظ من المال فاكتسب * به الاجر وارفع ذكر أهل المقابر

(الفقيه منصور يرثى)

سألت رسوم القبر عمن ثوى به * لاعلم ما لاقى فقالت جوانبه
أتسأل عمن عاش بعد وفاته * بمعروفه اخوانه وأقاربه

(وقال) أبو نصر الميكالي

الجود رأى موفق ومسدد * والبذل فعل مؤيد ومعان
والبر أكرم دوحة حقيقة * والشكر أفضل ما حوته يدان
واذا الكريم مضى وولى عمره * كفل الثناء له بعمر ثان

(وقال) بعض الاعراب الدراهم مياسم تسم حمدا وذما فمن حبسها كان لها ومن أنفقها كانت له * أخذ شاعر هذا المعنى فقال

اذا المرء لم يعتق من المال نفسه * تملكه المال الذى هو مالكه
ألا انما مالى الذى أنا منفق * وليس لى المال الذى أنا تاركه

(وأوصى) قيس بن معد يكرب بنيه فقال يا بني عليكم بهذا المال فاطلبوه أجمل الطلب ثم اخرجوه في أجمل مذهب فصلوا به الارحام واصطنعوا به الكرام واجعلوه جنة لاعراضكم ووسيلة تصلون بها الى أغراضكم تحسن في الناس مقالتكم فان بذله تمام الشرف وثبات المروأة وانه ليسود غير السيد ويقوى غير الايد حتى يكون في الناس نبيلا وفي القلوب مهيبا جليلا (وقال الجاحظ) ليس شئ ألذ ولا أسر ولا أنعم من عز الامر والنهي ومن الظفر بالاعداء ومن تقليد عقود المنن في أعناق الرجال لان هذه الامور هي نصيب الروح وحظ الذهن وقسمة النفس فان أحببت أن تزداد في الاحسان اليك وان يثبت لديك ما أنعم الله به عليك فاقض حاجة من قصدك وابسط له بالبشر وجهك وبالمعروف يدك (وقال) الحجاج في

بعض

بعض خطبه لايملن أحدكم المعروف فان صاحبه يعوض خيرا منه ماشكرا في الدنيا وثوابا في الآخرة (وكان يقال) المعروف كنز لا تأكله النار وثوب لا يدنسه العار (وقال الاحنف بن قيس) ما ادخر الآباء للابناء ولا ابقت الاموات للاحياء افضل من المعروف عند ذوي الاحساب والآداب (وكان يقال) انما مالك لك أو للحاجة أو للوارث فلا تكن اعجز الثلاثة (وقال) بشار بن برد من قصيدة مدح بها خالد بن برمك

أخالد ان المال يبقى لأهله * جمالا ولا يبقى الكنوز مع الحمد
فأطعم وكل من عارة مستردة * ولا تبقها ان العواري للرد

(المتنبي) وأحسن شيء في الورى وجه محسن * وأيمن كف فيهم كف منعم
وأشرفهم من كان أشرف همة * وأعظم اقداما على كل معظم
لمن تطلب الدنيا اذا لم ترد بها * سرور محب أو اساءة مجرم

(بعضهم) اذا المال لم ينفع صديقا ولم يصب * قريبا ولم يجبر به حال معدم
فعقباه أن تحتازه كف وارث * ولا اخل الموروث عقبى الندم

(محمود الوراق) تمتع بمالك قبل الممات * والا فلا مال ان أنت متا
شقيت به ثم خلفته * لغيرك سحقا وبعدا ومقتا
يجود عليك بزور البكاء * وجدت له بالذي قد جمعتا
وأوهبته كل ما في يديك * وخلاك رهنا بما قد كسبتا

﴿وينتظم في سلك هذه الابيات ما يروى من واعظ الحكايات﴾

(يحكى) ان هشام بن عبد الملك لما احتضر رأى اهله يبكون عليه فقال لهم جاد لكم هشام بالدنيا وجدتم له بالبكاء وترك لكم ما كسب وتركتم عليه ما اكتسب ياسوء حال هشام ان لم يغفر الله له (بعضهم)

لا تجبهن بالرد وجه مؤمل * فلخير وقتك أن ترى مسؤلا
واعلم بانك عن قليل صائر * خبرا فكن خبرا يروق جميلا

(الشريف الرضي)

أحق من كانت النعماء سابغة * عليه من أسبغ النعماء على الامم
وأجدر الناس أن تعنو الرقاب له * من يسترق رقاب الناس بالنعم

﴿الحض على انتهاز فرصة الامكان في اسداء المرجو من الاحسان لمن كان﴾

(قال) رسول الله صلى الله عليه وسلم من فتح عليه باب من الخير فلينتهزه فانه لا يدري متى يغلق عنه (وقال) حكيم الدنيا غرارة ان بقيت لك لم تبق لها (وقال) عبد الله بن شداد لابنه يابني عليك باصطناع المعروف فان الدهر ذو صروف وللايام دول نوائب تقضي على الشاهد والغائب كم من ذي رغبة صار مرغوبا اليه وكم من طالب صار مطلوبا ما لديه

(شاعر) ليس في كل ساعة وأوان * تتهيأ صنائع الاحسان
واذا امكنت فبادر اليها * حذرا من تعذر الامكان
واغتنمها اذا قدرت عليها * حذرا من تغير الازمان
أحزم الناس من اذا أحسن الدهر تلقى الاحسان بالاحسان

(ابن النقيب الكناني)

احمد الله ما اجتناه المجتني * والمجد أرفع ما ابتناه المبتني

ويخافونه مخافة الموت نكالا وسعهم عدله وردعتهم سطوته اذا أعطى أوسع واذا عاقب أوجع فالناس اثنان راج وخائف فلا الراجي خائب الامل ولا الخائف بعيد الاجل قلت فكيف هيبتهم له قال لا ترفع اليه العيون أجفانها ولا تتبعه الابصار انسانها كأن رعيته قطا رفرفت عليهم صقور صوائد فحدثت المأمون بهذين الحديثين فقال كم قيمتهما عندك قلت ألف درهم قال يافضل ان قيمتهما عندي أكثر من الخلافة أما عرفت قول علي بن أبي طالب رضي الله عنه قيمة كل امرئ ما يحسن أتعرف أحدا من الخطباء البلغاء يحسن أن يصف أحدا من خلفاء الله الراشدين بمثل هذه الصفة قلت لا قال فقد أمرت لك بعشرين ألف دينار واجعل العذر مادا بيني وبينهما في الجائزة عن العود فلولا حقوق الاسلام وأهله لرأيت اعطاهما ما في الخاصة والعامة دون ما يستحقانه (سئل رجل من بني أمية) عاقل فقيل له أخبرنا عن أي شيء كان بدء زوال ملككم فقال سألت فاسمع واذا سمعت فافهم انا تشاغلنا بلذاتنا عن تفقد ما كان تفقده يلزمنا ووثقنا بوزراء آثروا مرافقهم وأبرموا أمورا أسروها عنا وظلمت رعيتنا ففسدت نياتهم لنا وجذب معاشنا فخلت بيوت أموالنا وقل جندنا فزالت هيبتهم لنا واستدعاهم أعداؤنا فظافروهم علينا وكان أكبر الاسباب في ذلك استتار الاخبار عنا (وقد قال بعض الحكماء) خير الولاة من عدل في رعيته فيما يخصه منهم وفيما يخصهم منه فأما الذي يخصه

منهم تحسين النظر لنفسه فيما يجب له عليهم من التزام طاعته فلا يبلغ فيه من العنف عليهم منزلة تحملهم على الندم فى أمره والبرم لولايته ولا يبلغ بهم من التراخى والاهمال منزلة تقودهم الى الاستخفاف بأمره والاخلال بحقه وأما الذى يخصهم منه فحسن النظر لهم والرفق بهم والجرى الى مصالحهم بحسن الذب عنهم ورفع الايدى المعتدية اليهم وأخذه بالحق فيما لهم وعليهم وانتصاف المظلوم من الظالم والمساواة فى الحقائق بين القوى والضعيف والغنى والفقير حتى يعم عدله الكبير والصغير والقريب والبعيد كما قال عثمان بن عفان رضى الله عنه فى خطبته اعلموا انه لا أحد أضعف عندى من القوى حتى آخذ الحق منه ولا أقوى من الضعيف حتى آخذ الحق له فن الحق على من ملكه الله تعالى على بلاده وحكمه فى عباده ان يكون لنفسه مالكا وللمثوى تاركا وللغيظ كاظما وللظالم كارها وللعدل فى الرضى والغضب مظهرا وللحق فى السر والعلانية مؤثرا فاذا كان كذلك ألزم النفوس طاعته وأشرب القلوب محبته فاشرق بنور عدله زمانه وكان الناس على أعدائه أعوانه (كتب ابرويز) لابنه يا بنى ان كلمة منك تسفك دما وكلمة تحقن دما وأمرك نافذ وكلامك ظاهر فاحترس فى غضبك من قولك أن يخطئ ومن لونك ان يتغير ومن جسدك ان يخف فان الملوك تعاقب قدرة وتعفوا حلما (وكتب بعض الصالحين الى بعض الولاة) مثلك اعزك الله من تواضع لعظمة الله وتقرب

فاذا وليت وكان أمرك نافذا * فادخر صنيعا فى الولاية وابتنى
من قبل أن يسعى لها فتفوته * وتقول عند فواته ياليتنى

(ابن هندو) اذا هبت رياحك فاغتنمها * فان لكل خافقة سكون
ولا تغفل عن الاحسان فيها * فما تدرى السكون متى يكون

(آخر) لا تقطعن عادة الاحسان عن أحد * مادمت تقدر والايام تارات
واذكر فضيلة صنع الله ذ جعلت * اليك لا لك عند الناس حاجات

﴿ومن﴾ أحسن ما قيل من الابيات فى انتهاز الفرصة بالمعروف واغاثة المكروب والملهوف قول سالم الانبارى

تمتع من الدنيا ساعتك التى * ظفرت بها مالم تعقك العوائق
فلا يومك الماضى عليك بعائد * ولا يومك الآتى به أنت واثق

﴿احتجاج المتجمح بالمعروف على السائل المجهول والمعروف﴾

(قال) رسول الله صلى الله عليه وسلم من عظمت نعمة الله عنده عظمت مؤنة الناس اليه فان لم يحمل تلك فقد عرض تلك النعمة للزوال (وقيل) لعبد الله بن جعفر وكان جوادا اقتصد فى العطاء فان من ذهب ماله ذل فقال ان الله عودنى بالافضال على وعودته بالافضال على عباده فأخاف ان أقطع العادة فيقطع عنى المادة ثم تلا قوله تعالى ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم (وقيل) احسن الناس عيشا من حسن عيش غيره فى عيشه (وقيل) لعبد الله بن طاهر وكان جوادا انفق وامسك بعض الامساك فقال ان سمن الكيس ونبل الذكر لا يجتمعان ابدا * نظمه بعض الشعراء فقال

اراك تؤمل حسن الثناء * ولم يرزق الله ذاك البخيلا
وكيف يسود اخو فطنة * يمن كثيرا و يعطى قليلا

(آخر) ما اجتمع المال وحسن الثناء * مذ كانت الدنيا لانسان
وأى هذين تخيرته * ضنا به فاله عن الثانى

(آخر) صون الفتى عرضه عما يدنسه * وصونه ما حواه ليس يجتمع
المال يتلفه دهرا ويرجعه * اليه والعرض لا يمضى فيرتجع

(أبو تمام من أبيات)

ولم يجتمع شرق وغرب لقاصد * ولا المجد فى كف امرئ والدراهم
ولم أر كالمعروف يدعى حقوقه * مغارم فى الاقوام وهى مغانم

(وقال) ابن عباس لا يزهدنك فى المعروف كفر من كفره فانه يشكرك عليه من لم تصطنع اليه (شاعر) انى اذا أمكنتنى ساعة سعة * زينت بالبذل أوصافى وأحوالى
اما شكور فزير لى اعانته * أو الكفور فعرضى صنت بالمال

(آخر) يد المعروف غنم حيث كانت * تحملها شكورا وكفور
ففى شكر الشكور لها جزاء * وعند الله ما جحد الكفور

(آخر) وأفضل ما ذخرت على الليالى * صنائع عند مصطنع شكور

﴿ومن﴾ المفاخر التى لا نزاع فيها ولا خلاف بسط الوجه وبذل القرى للاضياف * أول من شرع سنة قرى الاضياف سيدنا ابراهيم الخليل عليه السلام كان اذا لم يجد من يأكل معه يخرج الى الطرقات ليأتى بمن يأكل معه ثم تبعته العرب على سنته وأول من وضع الموائد على الطرق سيدنا عبد الله بن عباس وكانت نفقته فى كل يوم خمسمائة دينار (قال شاعر

يمدح من هذه صفته)

أبلج بين حاجبيه نوره * اذا تغذى رفعت ستوره

(وفي مثله) يقول الشاعر في خالد بن برمك

نأبى خلائق خالد وفعاله * أن لا يجيب لكل أمر غائب
واذا حضرنا الباب عند غدائه * أذن الغداء لنا برغم الحاجب

(وقال بعضهم)

أبيت خميص البطن غرثان طاويا * وأوثر بالزاد الرفيق على نفسي
وأمنحه فرشي وأفترش الثرى * وأجعل قرا الليل من دونه لبسي
حذار مخازاة الاحاديث في غد * اذا ضمني وحدي الى صدره رمسي

(آخر)

أضاحك ضيفي قبل انزال رحله * ويخصب عندي والزمان جديب
وما الخصب للاضياف أن تكثر القرى * ولكنما وجه الكريم خصيب

(آخر) أوقد فان الليل ليل قر * والريح ماسرك ريح صر
عسى يرى نارك من يمر * ان جلبت ضيفا فانت حر

(آخر)

يسترسل الضيف انسا في منازلنا * فليس يعلم خلق أينا الضيف
والسيف ان قسته يوما بناشبها * لم تدر من عز منا من ذا هو السيف

(آخر)

قالت سليمى لحاك الله من رجل * ما تحفظ العهد والميثاق والذمما
وحرمة الضيف ما ان خنت عهدكم * وقد حلفت يمينا برة قسما
لو يعلم الضيف عندي قدر منزله * لتاه حتى يرى لا يرجع الكلما
أقول للاهل والقربى وقد حضروا * قفوا قليلا فان الضيف قد قدما

(آخر) لحا الله من يمسي بطينا وجاره * لفرط الطوى محني الضلوع خميص
لعمرك ما ضيفي على بهين * واني على ما سره لحريص

(ابراهيم بن هرمة)

يبيتون في المشتى خماصا وعندهم * من الزاد فضلات تعد لمن يقرى
اذا ضل عنهم ضيفهم رفعوا له * من النار في الظلماء ألوية حمرا

(وتبعه ابن المعتز فقال)

وليل يود المصطلون بناره * ولو أنهم حتى الصباح وقودها
رفعت به ناري لمن يبتغي القرى * على شرف حتى أتاها وفودها

(آخر) ومستنبح بعد الهدو برندة * بشقراء مثل البحر بادوقودها
فقلت له أهلا وسهلا ومرحبا * بوارد نار منجد من يرومها
فان شئت أوينك في الحي مكرما * وان شئت بلغناك أرضا ترومها

(آخر)

لا تبعدن قومي وان كانوا خوى * فلنعم ماوى الضيف والجيران
الضيف فيهم لا يحول رحله * والجار مضمون من الحدثان

(آخر) الضيف أكرم ما استطعت محله * وتلقه بتودد وتهلل
واعلم بان الضيف يوما مخبر * بمبيت ليلته وان لم يسئل

(١) (٢) بياض بالاصل

اليهما برضاه وقدم العدل في عباد الله فاغاث المستغيث واجار المستجير وأمن الخائف وعاد على الراجي وآثر الحلم فاغتفر ذنوب الجاني طائعا الله مقتديا برسول الله مستشعرا (١) أجل عزائم الصبر وأوضح معالم البر (٢) من أسماء الله سبحانه وصفة من صفاته لانه جل ذكره يرى عصيان العاصين ويطلع على جناية الجانين ويشاهد جور الظالمين ويحصي ذنوب الخاطئين فلا يحتجب عنه عمل عامل ولا يغيب عنه شئ في عاجل ولا آجل وهو لا يعجل بالانتقام مع القدرة ولا يستفزه الغضب مع امهال القوة ولا تبعثه العجلة على انفاذ حكمه مع وضوح الحجة بل يؤثر الأناة والامهال ليكون له الفضل والمنة وحسبنا قوله تعالى وربك الغفور ذو الرحمة الآية وقوله تعالى ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم الآية الاخرى (قال الشاعر)

لن يدرك المجد أقوام وان شرفوا
حتى يذلوا وان عزوا لاقوام
ويصفحوا عن كثير من اساءتهم
لا صفح ذل ولكن صفح أحلام

(روى عن الرشيد) انه أحضر رجلا يوليه القضاء فقال يا أمير المؤمنين اني لا أحسن القضاء ولا أنا فقيه فقال الرشيد فيك ثلاث خلال فيك شرف والشرف يمنع أهله من الدناآت ولك حلم والحلم يمنعك من العجلة ومن لم يعجل قل خطاؤه وأنت رجل تشاور في أمرك ومن شاور كثر صوابه وأما الفقه فسينضم اليك من تتفقه به فولى فما وجد فيه طعن وقال بعضهم من أخلاق الوالي السعيد أن لا

﴿وصية كريم بالسودد عليم﴾ لا رضا ملغاء سودد بلا جود كلك بلا جنود (وقالوا) جود الرجل يحببه الى اضداده وبخله يبغضه الى أولاده (وما أصدق من قال)

اذا المرء لم يكن لمرء فضـــل ولم يكن * بدافع عن اخوانه لم يسوّد
وكيف اسود القوم من هو مثلهم * بلا منة منـــه عليهم ولا بد

(وقال) بعض الحكما ثواب الجود خلف ومكافأة ومحبة وثواب البخل حرمان و تلاف ومذمة (وقال) على بن أبى طالب رضى الله عنه ان النعمة اجخصة فان أمسكت بالاحسان قرت والا فرت (وقال) محمد بن الحنفية رضى الله عنه ان افضل المال ما أفاد شكرا وأورث ذكرا وأوجب أجرا ولو رأيتم المعروف لرأيتموه حسنا جميلا (وقال) المأمون لان اخطئ معطيا أحب الى من ان أصيب مانعا

العرف زينة ذى النهى وذخـيرة * باقى حوائزها بكل مكان
ماضاع معروف أتيت الى امرئ * فغدا وراح يذيمه بلسان

﴿ذكر الاجواد المعروفين ببذل الاموال﴾
﴿والموصوفين باصلاح فساد الاحوال﴾

أسخاهم وأجودهم سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم * فى الحديث الصحيح انه ماسئل شيأ قط فقال لا فان يكن عنده اعطى وان لم يكن عنده استدان اعطى عيينة بن حصن مائة من الابل واعطى الاقرع بن حابس مثلها وأعطى اعرابيا غنما بين جبلين فانطلق الاعرابى وقال لقومه اسلموا فان محمدا صلى الله عليه وسلم يعطى عطاء من لا يخاف الفقر (وقال) أنس بن مالك أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بمال من البحرين لم يؤت قبله بمثله فوضع فى المسجد ثم خرج وصلى فلما فرغ من صلاته جلس ثم دعا بالمال فما رأى أحدا الا أعطاه منه فجاءه عمه العباس فقال يارسول الله انى فاديت نفسى وفاديت عقيلا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم خذ فحثا فى ثوبه ثم ذهب ليقوم فلم يستطع فقال يارسول الله مر من يرفعه على قال لا قال فارفعه أنت قال لا فنثر منه ثم احتمله على كاهله وذهب فمازال رسول الله صلى الله عليه وسلم يتبعه بصره حتى خفى علينا تعجبا من حرصه وما قام رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى فرق المال جميعه

﴿وممن﴾ عمرت الوفود ارجاء ناديه وغمرت بالجود فواصله وأياديه أجواد العرب فى الجاهلية الذين ضرب بهم المثل فى الجود ثلاثة لا رابع لهم وهم كعب بن مامة الايادى وهرم ابن سنان المرى وحاتم الطائى وقد جمعهم بعض الشعراء فى بيت واحد فقال مادحا من أحباب

لو أدرك العصر من كعب ومن هرم * وحاتم جود كفيه لما ذكروا

(ومن أجواد العرب) عمرو بن عبد مناف فانه أول من هشم الثريد وجمع قومه عليه فسمى لذلك هشاما وفيه يقول الشاعر

عمرو العلا هشم الثريد لقومه * ورجال مكة مسنتون عجاف

* ويقال فى المثل ما أحد كهاشم وان هشم ولا كحاتم وان حتم (وأجواد العرب فى الاسلام) عبد الله بن عباس وأخوه عبيد الله * فى المأثور عن عبد الله أن رجلا أراد مضارته فأتى وجوه قريش وهم جلوس فى فناء الكعبة وقال يقول لكم عبد الله تغدوا عنده اليوم فأتوه وقت الغداء حتى ملؤا البيت فسألهم عن مجيئهم فأخبروه الخبر فأمر قوما بشراء فاكهة وقوما بالخبز وقوما بالطبخ وقدمت الفاكهة اليهم فما فرغوا من أكلها حتى قدمت الموائد فأكلوا وانصرفوا ثم قال عبد الله لو كيله أيوجد مثل هذا كل يوم

نعاقب أحدا وهو غضبان لان هذه حال لا يسلم معها من التعدى والتجاوز بحد العقوبة فاذا سكن غضبه ورجع الى طبعه أمر بعقوبته على الحد الذى سنته الشريعة نتلته الملة فان لم يكن فى الشريعة ذكر عقوبة ذنبه ففى العدل أن يجعل عقوبة ذلك الذنب واسطة بين غليظ الذنوب ولينها وأن يجعل الحكم عليه فيـــه ونفسه طيبة وذكر القصاص منه على بال (وقالت الحكماء) السياسة أن يخلط الوعد بالوعيد والعطاء بالمنع والحلم بالايقاع فان الناس لا يصلحون الا على الثواب والعقاب والاطماع والاخافة ومن أخاف ولم يوسع وعرف بذلك كان كمن أطمع لم يحز فخير الخبر ما كان ممزوجا وشر الشر ما كان صرفا واذا كان الناس انما يصلحون على الشدة واللين وعلى العفو والانتقام وعلى البذل والمنع وعلى الخير والشر عاد ذلك الشر خيرا وذلك المنع عطاء وذلك المكر ونفعا قال الله عز وجل ولكم فى القصاص حيوة ياأولى الالباب لعلكم تتقون فأسوس الناس لرعيته من قاد أبدانها بقلوبها وقلوبها بخواطرها وخواطرها بأسبابها من الرغبة والرهبة (قال الشاعر)

ياابن أبى العباس أنت الذى
سماؤه للجود مــدرار
يرجو ويخشى حالتيك الورى
كانك الجنـــة والنار

(وقال بعضهم) الرغبة والرهبة أصلان لكل تدبير وعليهما مدار كل سياسة عظمت أو صغرت فلذلك بعث الله الرسل وأنزل الكتب وأقام الوعد مع الوعيد والثواب

أردناه قال نعم قل فليتغد واعدنا كل يوم (وأما عبيد الله) فانه كان مفرط الجود يسمى معلم الجود وهو أول من وضع الموائد على الطرق وكانت نفقته في كل يوم خمسمائة دينار وكان اذا خرج من دوره طعام الى رحابه ومساجده لا يرد اليها منه شئ فان لم يجد من يأكله ترك مكانه فربما أكله السبع وكان هو والناس في ماله سواء من سأله أعطاه ومن لم يسأله ابتدأه فلا يرى أنه يفتقر فيقصر ولا يرى أنه يحتاج فيدخر (وكان يقال) من أراد الجمال والفقه والسخاء فليأت دار العباس فالجمال للفضل والفقه لعبد الله والسخاء لعبيد الله (ومن الاجواد) عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال الاعمش كنت عنده يوما فأتى باثنين وعشرين ألف درهم فلم يقم من مجلسه حتى فرقها وكان اذا أعجبه شئ من ماله تصدق به وكان كثيرا ما يتصدق بالسكر فقيل له في ذلك فقال انى أحبه وقد قال الله تعالى لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون واعتق ألف عبد كان اذا رأى عبدا من عبيده ملازما للصلاة أعتقه فقيل له انهم يخدعونك فقال من خدعنا بالله انخدعنا له (ومن الاجواد) الحسن بن على ابن أبي طالب رضى الله عنه سمع رجلا يقول اللهم اعطنى عشرة آلاف درهم فأخذ بيده وانطلق به الى منزله فاعطاه عشرة آلاف درهم وخرج لله من ماله مرتين وقاسم الله ماله ثلاث مرات حتى انه اعطى نعلا وأمسك نعلا (ومن أجود الصحابة العشرة رضى الله عنهم) عثمان بن عفان والزبير وعبد الرحمن بن عوف وسعيد بن العاص كانوا رضى الله تعالى عنهم اذا رأوا أموالهم كثرت وزادت نقصوها بالاء البر واسداء المعروف خوفا من أن تحملهم نفوسهم على البطر والطغيان وان تلهيهم بكثرتها عن الاشتغال بعبادة الرحمن (فمن المأثور عن عثمان بن عفان) أنه اشترى بئر رومية باربعين ألف درهم وأوقفها على المسلمين وانفق في جيش العسرة عشرة آلاف دينار ذهبا فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقلبها بيده ظهرا لبطن ويقول غفر الله لك يا عثمان ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت ولا تبالى ما عمل بعد اليوم * وأصاب الناس قحط في خلافة أبي بكر الصديق رضى الله عنه فلما اشتد بهم الامر جاؤا الى أبي بكر وقالوا يا خليفة رسول الله ان السماء لم تمطر والارض لم تنبت وقد توقع الناس الهلاك فما نصنع فقال لهم انصرفوا واصبروا فانى أرجو الله أن لا تمسوا حتى يفرج الله عنكم فلما كان آخر النهار ورد الخبر بأن عيرا لعثمان بن عفان جاءت من الشأم وتصبح المدينة فلما جاءت خرج الناس يتلقونها فاذا هي ألف بعير موسوقة برا وزيتا وزبيبا فأناخت بباب عثمان فلما جعلها في داره جاء التجار فقال لهم ما تريدون قالوا انك لتعلم ما نريد بعنا من هذا الذى وصل اليك فانك تعلم ضرورة الناس اليه قال حبا وكرامة كم تربحونى على شرائى قالوا الدرهم درهمين قال أعطيت زيادة على هذا قالوا أربعة قال أعطيت زيادة على هذا قالوا خمسة قال أعطيت أكثر من هذا قالوا يا أبا عمرو ما بقى في المدينة تجار غيرنا وما سبقنا اليك أحد فمن ذا الذى أعطاك قال ان الله أعطانى بكل درهم عشرة أعندكم زيادة قالوا لا قال فانى أشهد الله أنى جعلت ما حملت هذه العير صدقة لله على المساكين وفقراء المسلمين * ومن المأثور عن الزبير بن العوام رضى الله عنه أنه كان له ألف عبد يؤدون اليه الخراج كل يوم فما يدخل بيته منه درهم واحد بل يتصدق بذلك كله (ومن المأثور عن عبد الرحمن بن عوف) انه باع أرضا من عثمان بن عفان بأربعين ألف دينار وقسم ذلك في بنى زهرة وفقراء المسلمين وامهات المؤمنين وبعث الى عائشة رضى الله عنها من هذا المال بأربعين ألف درهم فقالت سقى الله ابن عوف من سلسبيل الجنة * وحمل مرة في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم على خمسمائة فرس في سبيل الله ثم حمل مرة أخرى على ألف

مع العقاب والرجاء مع المخافة والعفو مع السطوة قال عز وجل فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره فكل عامل على ثقة مما وعده فتعلقت قلوب العباد بالرغبة والرهبة فاطرد التدبير واستقامت السياسة لموافقتها ما في الفطرة ومن ظن أحدا من الخلق فوقه أو دونه يصلح بخلاف ما دبرهم الله عليه خالف الرب في تدبيره وظن أن رحمته فوق رحمة ربه ولو كان الناس يصلحون على الخير وحده لكان الله عز وجل أولى بذلك الحكم قال الله تعالى في محكم كتابه انى لا يخاف لدى المرسلون الا من ظلم ثم بدل حسنا بعد سوء فانى غفور رحيم وقال في هذه الآية وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم وان ربك لشديد العقاب فقال لو يعلم الناس قدر نعمة الله وعفوه وتجاوزه لقرت أعينهم ولو يعلمون قدر عذاب الله ونكاله ونقمه وبأسه ما رقأ لهم دمع ولا قرت أعينهم بشئ (قال الله سبحانه) أدعونى أستجب لكم ان الذين يستكبرون عن عبادتى سيدخلون جهنم داخرين فوصف في هذه الآية منزلة أقرب من الله فذكر نفسه تبارك وتعالى بأقرب القرب ممن عبده وبأبعد البعد ممن استكبر عن عبادته (وكان أنوشروان) اذا ولى رجلا أمر الكاتب أن يضع في كتاب العهد موضع ثلاثة أسطر فيوقع فيه بخطه سس خيار الناس بالمحبة وامزج للعامة الرغبة بالرهبة وسس سفلة الناس بالمخافة (قال الشاعر)

اذا كنتم للناس أهل سياسة

وخمسمائة راحلة في سبيل الله وشاطر الله تعالى ماله ثلاث مرات وأمر أن يتصدق بعد موته بثلث ماله فعوف فتصدق به بنفسه وجلس ليلة في بيته على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وكتب جريدة بتفريق جميع ماله على فقراء المهاجرين والانصار حتى كتب قميصه الذي على بدنه هذا الفلان وهذا الفلان ولم يترك شيأ من ماله الا كتبه فلما صلى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الصبح ناوله الجريدة فنزل جبريل عليه السلام وقال يا محمد يقول الله لك اقرأ السلام مني على عبد الرحمن و يأمرك أن ترد له جريدته وقل له ان الله قد قبل صدقتك وهو وكيل الله و وكيلك فيها فليصنع في ماله ما شاء و يتصرف فيه كما كان يتصرف فيه من قبل ولا حساب عليه * ويروى أنه أعتق ثلاثين ألف عبد * ومن المأثور عن سعيد بن العاص رضي الله عنه أن رجلا سأله فقال لغلامه أعطه خمسمائة فمضى الغلام ثم رجع اليه مستفهما أدينارا أو درهما فقال ما كنت أردت الا دراهم أما اذ قد رجعت فصيرها دنانير فحمل الرجل يبكي فقال له ما يبكيك قال أبكي على أن تأكل الارض مثلك * ويروى عنه أنه عزل عن المدينة فانصرف ليلة من المسجد الى منزله وحده فرأى رجلا يتبعه فقال له ألك حاجة قال لا ولكني رأيتك وحدك فوصلت جناحك فقال وصلك الله يا ابن أخي اطلب لي جلدا وادع لي مولاي فلانا فأتاه به فكتب له صكا بعشرة آلاف درهم وأشهد عليه مولاه بها وقال اذا جاءت غلتنا دفعنا اليك ذلك فمات سعيد في تلك السنة فجاء الرجل بصكه الى ولده عمرو فأمضاه وأعطاه عشرة آلاف درهم * ولما احتضر سعيد قال لبنيه لا يفقد أصحابي بعد موتي غير وجهي أجروا عليهم ما كنت أجري واصنعوا اليهم ما كنت أصنع بهم واكفوهم مؤنة الطلب فان الرجل اذا طلب الحاجة اضطربت أركانه وارتعدت فرائصه مخافة أن يرد عنها والله لرجل بات يتململ على فراشه رآكم موضعا لحاجته أعظم منة عليكم منكم بما تعطونه ويروى أيضا أنه لما احتضر قال لبنيه أيكم يتكفل لي بثلاث فقال ابنه عمرو أنا قال اقض عني ديني وهو ثمانون ألف دينار والله ما استدنتها الا لكريم سددت خلته أو لئيم وقيت عرضي منه قال علي دينك يا أبت قال قد بقيت اثنتان قال وما هما قال بناتي لا تزوجهن الا الا كفاء ولو تقلعن من خبز الشعير قال أفعل قال و بقيت واحدة وهي أشدهن علي قال ما هي قال ان فقد أصحابي وجهي ولا يفقدون معروفي يا بني ثلاث ضقت بهن ذرعا رجل أغبر وجهه في التردد للتسليم علي ورجل ضيق في مجلسي فتزحزح لي ورجل نزل به مهم من الامور فبات متململا على فراشه يتقلب من أمره ظهر البطن فلما أصبح رآني موضعا لحاجته فلم أكافئه وان خرجت من جميع ما أملك (ومن الاجواد) طلحة بن عبيد الله التيمي فرق في يوم واحد مائة ألف درهم * وقال قبيصة بن جابر صحبت طلحة بن عبيد الله فما رأيت أعطى لجزيل من غير مسئلة منه وهو أحد مشاهير الطلحات الذين يضرب بهم المثل في الجود وكانوا ستة ويسمى هذا طلحة الفياض * وطلحة بن عمر بن عبيد الله بن معمر التيمي أيضا وهو طلحة الجود * وطلحة ابن عبد الله بن عوف أخي عبد الرحمن بن عوف الزهري ويسمى طلحة الندى * وطلحة ابن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه وهو طلحة الخير * وطلحة بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق ويسمى طلحة الدراهم * وطلحة بن عبد الله بن خلف الخزاعي وهو طلحة الطلحات وسمي بذلك لانه كان أجودهم وقيل سمي بذلك لانه وهب في عام واحد ألف جارية فكانت كل جارية منهن اذا ولدت غلاما تسميه طلحة على اسم سيدها * وعن الحسن قال باع طلحة بن عبد الله بن خلف الخزاعي أرضا بسبعمائة ألف درهم فبات ذلك المال عنده ليلة فبات أرقا مخافة ذلك المال حتى أصبح ففرقه (ومن أجواد الصحابة) معاوية

فسوسوا كرام الناس باللين والبذل
وسوسوا لئام الناس بالذل يصلحوا
على الذل ان الذل يصلح للنذل

لما أراد عمرو بن العاص المسير الى مصر قال لمعاوية يا أمير المؤمنين اني موصيك قال أجل فأوصني قال انظر فاقة الاحرار فاعمل في سدها وطغيان السفلة فاعمل في قمعها واستوحش من الكريم الجائع ومن اللئيم الشبعان فانما يصول الكريم اذا جاع واللئيم اذا شبع (كان زياد) اذا ولى رجلا عملا قال له خذ عهدك وسر الى عملك واعلم انك مصروف رأس سنتك وانك تصير الى أربع خلال فاختر لنفسك انا ان وجدناك أمينا ضعيفا استبدلنا بك لضعفك وسلمتنا من معرتنا أمانتك وان وجدناك قويا خائنا استهنا بقوتك وأحسنا عن خيانتك أدبك وأوجعنا ظهرك وثقلنا غرمك وان جمعت الجرمين علينا جمعنا عليك المضرتين وان وجدناك قويا أمينا زدناك في عملك ورفعنا ذكرك وكثرنا مالك وأوطأنا عقبك (عزل) الاسكندر عاملا عن عمل نفيس وولاه عملا خسيسا فقدم عليه بعد حين فقال له كيف رأيت عملك قال له أيها الملك انه ليس بالعمل الكبير ينبل الرجل ولكن الرجل ينبل عمله به وان كان خسيسا بحسن السيرة وانصاف الرعية (وقال بعض الحكماء) أحسن خلة الولاة اصابة السياسة ورأس اصابة السياسة العمل بطاعة الله وفتح بابين للرعية أحدهما رأفة ورحمة وبذل وتحنن والآخر غلظة ومباعدة وامساك ومنع (وكتب) عبد الملك الى الحجاج يأمره أن

أبي سفيان قال عبد الله بن عمر ما رأيت أحدا بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أجود من معاوية وهو أول من أعطى ألف ألف في صلة وكان يعطيها للحسن والحسين وعبد الله بن جعفر رضي الله تعالى عنهم ولما مات معاوية وولى ابنه يزيد دخل وفد عبد الله بن جعفر على يزيد فقال له يا أمير المؤمنين ان ولدك كان يصل رحمي في كل عام بألف ألف درهم فقال يزيد نعم وكرامة أعطوه ألف ألف وألف ألف وألف ألف فقال له عبد الله بأبي أنت وأمي يا أمير المؤمنين وما قلتها لاحد غيرك قال يزيد لاجرم اني أضعفها لك فلك عليها ألف ألف أخرى فخرج عبد الله بأربعة آلاف ألف درهم وقيل ليزيد أتقطع لرجل واحد أربعة آلاف ألف درهم فقال لهم ويحك انما أعطيتها لاهل المدينة وما هي في يده الاعارية ولم تزل عطيات الخلفاء ألوف الالوف وكان آخر من فعلها من الخلفاء المنصور ومن الوزراء الحسن بن سهل (ومن غرر) حكايات معاوية في العطاء أنه حج فلما انصرف من المدينة قال الحسين بن علي لاخيه الحسن لا تلقه ولا تسلم عليه فقال ان علي دينا ولا بد من اتيانه فركب في أثره حتى لحقه وسلم عليه وأخبره بدينه فبينما هما يتحادثان اذ مر بختي قد أعياه جله وقوم يسوقونه ليلحقوا به الحمول فقال معاوية ما شأن هذا البعير فذكر والله أنه أعياه ما عليه من المال قال وكم عليه قالوا ثمانون ألف دينار قال اصرفوها لابي محمد (ومن الاجواد) عبد الله بن جعفر الطيار وكان يسمى بحر الجود لجوده ويقال انه لم يكن في عصره أجود منه (فمن المأثور عنه) انه وقف على بابه يوما وكان أرباب الحاجات ينتظرون خروجه فنهضوا اليه فما طلب أحد حاجة الا قضاها له وكان فيمن حضر نصيب الشاعر فلما نظر الى ما يسمع عنه تقدم اليه وقبل يده وأنشد

ألفت نعم حتى كأنك لم تكن * عرفت من الاشياء شيأ سوى نعم
وعاديت لا حتى كأنك لم تكن * سمعت بلا في سالف الدهر والامم

فقال له عبد الله ما حاجتك قال هذه راحلتي تميرني عليها قال أنخ ثم أوسقها له براوغرا وأمر له بعشرة آلاف درهم وثياب فلما انصرف نصيب قال قائل لعبد الله يا ابن الطيار أتعطي هذا العطاء كله لمثل هذا العبد الاسود فقال ان كان اسود فان شعره لابيض وان كان عبدا فان ثناءه لحر وهل أعطيناه الا رواحل تمضي وطعاما يفنى وثيابا تبلى وكان يعتق في غرة كل شهر مائة عبد (ومن حكاياته) انه ابتاع حائط نخل من رجل أنصاري بمائة ألف درهم فرأى ابنا له يبكي فقال له ما يبكيك قال كنت أطلب أنا وأبي أن نموت قبل خروج هذا الحائط من أيدينا ولقد غرست بعض نخله بيدي فدعا أباه ورد عليه الصك وسوغه المال (ومن الاجواد) عرابة الاوسي يحكى عنه أنه اجتمع جماعة بفناء الكعبة فتذاكروا الاجواد فقال أحدهم أجود الناس عبد الله بن جعفر وقال آخر أجود الناس قيس بن سعد بن عبادة وقال آخر أجود الناس عرابة الاوسي فقال رجل من الجماعة ليمض كل واحد منكم لصاحبه يسأله حتى ننظر ما يعطيه ونحكم على العيان فقام صاحب عبد الله فصادفه قد وضع رجله في الركاب يريد سفرا فقال له يا ابن بنت عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ابن سبيل ومنقطع به فأقام ثنى رجله وقال خذ الناقة بما عليها ولا تخل عن السيف فانه من سيوف علي بن أبي طالب فقوم علي بألف دينار وجاء بالناقة بما عليها من مطارف خز وأربعة آلاف دينار وأعظمها السيف ومضى الآخر الى قيس بن سعد فوجده نائما فقال له غلامه وهو نائم فما حاجتك قال ابن سبيل ومنقطع به قال حاجتك أيسر من أن أوقظه هذا كيس فيه سبعمائة دينار والله ما في دار قيس اليوم غيرها خذها وامض الى معاطن

يكتب اليه بسيرته فكتب اليه اني أيقظت رأيي وأمت هواي وأدنيت السيد المطاع في قومه ووليت الحرب الحازم في أمره وقلدت الخراج الموفر لامانته وقسمت لكل امرئ من نفسي قسما فأعطيته حظا من نظري ولطيف عنايتي وصرفت السيف الى الطرف المسيء والثواب الى المحسن البريء فخاف المريب صولة العقاب وتمسك المحسن بحظه من الثواب ورغب أهل العفاف في اداء الامانة وتجنب أهل الطمع الخيانة وأملت على ذلك من الله النجاة ومن خليفته المكافاة (وخطب) سعيد بن شربك بحمص فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أيها الناس ان الاسلام حائط منيع وباب وثيق فحائط الاسلام الحق وبابه العدل ولا يزال الاسلام منيعا ما اشتد السلطان وليس شدة السلطان قتلا بالسيف ولا ضربا بالسوط ولكن قضاء بالحق وأخذ بالعدل (قال ابو وائل الثقفي) دعاني سليمان بن وهب وقال لي اني قدمت حسن الظن بك والثقة بأمانتك وليتك قلادة في عنقي فصدق ظني فيك وحقق ثقتي بك ولا تفارق العدل في المخلوقين ظاهرا والعدل بينك وبين الخالق باطنا والله تعالى المستعان ثم دفع الي رقعة فيها توليتي على بعض الامور (وروى) ان المهدي ولى الربيع بن أبي الجهم فارس وقال له يا ربيع انشر الحق والزم القصد وارفق بالرعية واعلم ان اعز الناس من أنصف من نفسه وان أجورهم من ظلم الناس لغيره (وفي) كتاب الهند انما يسلم العاقل بالاخذ بالاناة ولا يزل

الابل بعلامة كذا الى من فيه فخذ راحلة وعبدا وامض الى شأنك قيل ان فيسالما تقدم أعلم غلامه بما صنع فاعتقه وقال له هلا أيقظتني فكنت أزيده وممضى صاحب عرابة فلقيه وقد خرج من منزله يريد الصلاة وهو متوكئ على عبدين وقد كف بصره فقال يا عرابة ابن سبيل ومنقطع به فتخلى عن الغلامين وصفق بيديه وقال أواه والله ما تركت الحقوق لعرابة مالا حيذا العبدين فقال الرجل ما كنت بالذي أقص جناحك قال ان لم تأخذهما فهما حران فان شئت فخذ وان شئت فاعتق ورفع يديه عنهما وتركهما وأقبل يلتمس الحائط بيده فأخذ الرجل الغلامين وجاء بهما الى أصحابه فأجمعوا على أن عرابة أجود الثلاثة لانه جهد من مقل وان الغير أعطى من سعة وفي عرابة يقول الشماخ

رأيت عرابة الاوسي يسمو * الى العلياء منقطع القرين
اذا ما راية رفعت لمجد * تلقاها عرابة باليمين

(ومن الاجواد) عبيد الله بن أبي بكرة واسمه نفيع كناه رسول الله صلى الله عليه وسلم بها ولافراطه في الجود كتب عبد الملك بن مروان الى الحجاج ان لا توليه عملا فانه أريحي (ومن حكاياته) أنه أوسع له رجل في مجلس فلما قام قال للرجل الحقني الى منزلي فلحقه فأمر له بعشرة آلاف درهم * وابتنى دارا بالبصرة أنفق عليها عشرة آلاف دينار فدخل عليه فيها بعض أصحابه واستحسنها فقال هي لك بما فيها من الفرش والاثاث والرقيق فقال الرجل يعمرها الله بك ويمتعك بها فقال والله لتقبلنها فقبلها * وولاه عبد الله بن زياد سجستان وأمره بهدم ما فيها من بيوت الاشراف فهدمها وأخذ ما فيها من الاموال المعدة للنفقة على سنة فكانت أربعة آلاف درهم فما أتى عليه الحول حتى استدان (ومن الاجواد) اسماء بن خارجة مما يحكى عنه أنه رجع يوما الى داره فرأى فتى بالباب جالسا فقال ما أجلسك ههنا قال خير قال والله لتخبرني قال جئت سائلا أهل هذه الدار ما آكل فخرجت الي منها جارية اختطفت قلبي وسلبت عقلي فأنا جالس لعلها تخرج ثانية فانظر اليها قال فتعرفها اذا رأيتها قال نعم فدعا بمن في الدار من الجواري وجعل يعرضهن عليه واحدة بعد واحدة حتى مرت الجارية فقال هذه فقال قف مكانك حتى أخرج اليك ثم دخل الدار وخرج والجارية معه وقال للفتى انما أبطأت عليك لانها لم تكن لي وانما كانت لبعض بناتي ولم أزل بها حتى ابتعتها منها خذ بيدها فقد وهبتها لك وهذه الالف أصلح بها شأنك (ومن الاجواد) يزيد بن أبي صفرة وله حكايات شهدت بكرم نجاره ونكب عن لحاقه فيها كل كريم فلم يجاره (منها) أنه دخل عليه الكوثر بن زفر الكلابي حين ولاه سليمان بن عبد الملك العراق فقال له يعني ابن زفر أنت أكبر قدرا من أن يستعان عليك الا بك ولست تصنع من المعروف شيأ الا وهو أصغر منك وليس العجب منك أن تفعل ولكن العجب منك أن لا تفعل قال سل حاجتك قال تحملت عشر ديات وقد هاضني ذلك قال قد أمرت لك بها فقال الكوثر أما ما أسألك لوجهي فاقبله منك وأما الذي بدأتني به فلا حاجة لي به قال ولم وقد كفيتك ذل السؤال قال رأيت الذي رمته بذل مسئلتي اياك وبذل وجهي لك أكثر من معروفك عندي فكرهت الفضل لك علي فقال يزيد فأنا أسألك كما سألتني أسألك بحقك لما أهلتني له من انزال الحاجة بي لما قبلتها ففعل (وأول) من عمل البيمارستانات وأجرى الصدقات على الزمنى والمجذومين والعميان والمساكين واستخدم لهم الخدام الوليد بن عبد الملك * وهو أول من تكبر من الخلفاء وانف أن يدعى باسمه كما كان يدعى من قبله من الخلفاء وكفيه منقبة بناؤه جامع دمشق الذي هو أحد عجائب مباني الدنيا (ومن الاجواد) معن ابن زائدة الشيباني ويكفيه أن يقال فيه حدث عن البحر ولا حرج وعن معن ولا حرج

وسنورد

صاحب العجلة يجتني منها ثمرة الندامة وضعف الرأي وليس احد أحوج الى التؤدة والتثبت من الملوك فان المرأة انما هي بزوجها والمولود بأبويه والمتعلم بمؤدبه والجند بالقائد والناسك بالدين والعامة بالملوك والملوك بالتقوى والتقوى بالتثبت فالحزم للملك معرفة أصحابه وانزالهم منازلهم واتهام بعضهم على بعض فانهم يلتمسون هلاك بعضهم بعضا واظهار مساءة المسيئين واخفاء احسان المحسنين

فلم يستأثروا بكم برجع
وكانوا للصالح مؤثرينا
وكان الحزم فيما حاولوه
شعارهم فصاروا مكتفينا
ويسرهم لفعل الخير فيما
اليهم من امور المسلمينا
وان يشأ الاله فساد قوم
اتاح لهم اكابر معتدينا
ذوي كبر ومجهلة وجبن
واهمال لما يتوقعونا
فظلوا يشرهون ويجمعون
وليسوا في العواقب يفكرونا
وجاروا حيث ما امروا بعدل
كأن قد قيل كونوا جائرينا

(قال الحجاج) لعبد الملك بن مروان يا أمير المؤمنين انك أعز ما تكون أحوج ما تكون الى الله فاذا اعززت بالله فاعف له فانك به تقدر واليه ترجع (وقال بعض الحكماء) وجدت المسيء الى عبد الله ولو أساء الى عبد لاخي اصفحت عنه اكراما له فكيف لا أصفح عن مسيء هو عبد الله (قال الشاعر)

ارحم أخي عباد الله كلهم
وانظر اليهم بعين اللطف والشفقه
وقر كبيرهم وارحم صغيرهم
وراع في كل مخلوق وجه من خلقه

وستورد شيأ من اخباره فى الفصل الثانى من هذا الباب (ومن الاجواد) الذين توا ثوا الكرم خلفاعن سلف بنو برمك وهم ستة خالد وله يحيى وأولاده أربعة وهم الفضل وجعفر وموسى ومحمد (وأما خالد) فلم يزل يرتضع ثدى الخلافة صبيا الى أن بلغ سن الكبر عتيا (من جوده) أنه لم يكن لاحد من أصحابه ولد الا من جارية قد وهبها له ولا دار الا من دور أنفق على بنائها ماله وكان القصاد يسمون فى ايامه بالسؤال فكره هذه التسمية ورأى انها نقص فيهم وقال ان فيهم من له بيت وشرف وعلم وأدب فسماهم بالزوار وكانوا يقصدونه فى المواسم للهناء بها فيكتبون اسماءهم وتعرض عليه فيخص كل واحد منهم على حدته ويسأله عما نمت اليه حتى يعطيه بقدر رماتته ومنزلته * وتقدم اليه رجل فقال له بماذا نمت فقال والله مابى من ماتة ولا حرمة ولا وسيلة ولكن رغبت اليك بحسن الظن فيك والتيه بكرمك وما بلغنى من جودك فقال ماههنا أحد أدلى منك بالعطية فاجزل صلته * ثم سأل آخر فقال حرمتى بالامير أنه جمعنى واياه مسجد بجرجان يوم كذا فى شهر كذا فصلينا فيه فقال حرمة لا تدفع وأمر له بصلة وفيه يقول بشار بن برد

لعمرك قد أجدى على ابن برمك * وما كل من كان الغنى عنده يجدى
حلبت بشعرى راحتيه فدرتا * على كما در السحاب على الرعد
أخالد ان الحمد يبقى لاهله * جمالا ولا تبقى الكنوز مع الكد
فأطعم وكل من عارة مستردة * ولا تبقها ان العوارى للرد

(ثم) كان ابنه يحيى سالكا فى سننه آخذا فى الجود بفرائضه وسننه ففيه يقول سلم الخاسر

يا أيها الملك الذى * أضحى وهمته المعالى * أنت المنوه باسمه
عند الملمات الثقال * ثم الذى أمواله * عند المحامد خير مال
لله درك من فتى * ما فيك من كرم الخلال * يحيى بن خالد الذى
يعطى الجزيل ولا يبالى * أعطاك قبل سؤاله * ركفاك مكروه السؤال
ملك خلا من ماله * ومن المروأة غير خال
واذا رماك بوعد * كان النوال مع المقال

(وأولاده) سادوا فشادوا ما أسس وجادوا فزادوا المن بما غرس فلهم طارف السخاء وتليده وكهل الثناء ووليده فالفضل فى جوده ونزاهته وجعفر فى بلاغته وفصاحته وموسى فى نجدته وشجاعته ومحمد فى مروأته وبعد همته وفيهم يقول الشاعر

أولاد يحيى أربع * كالاربع الطبائع فهم اذا اختبرتهم * طبائع الصنائع

لكن الفضل كان لتلقى العفاة أبسطهم وأمضاهم بالصلة عزيمة وأنشطهم وأمدهم بالانعام يدا لا سيما ان ترنم شاعر بمدحه أو شدا وفيه يقول الخياط المدنى

لمست بكفى كفه أبتغى الغنى * ولم أدر أن الجود من كفه يعدى
فلا أنا مما قد أفاد ذوو الغنى * أفدت وأعدانى فاتلفت ما عندى

(وفيهم يقول سلم الخاسر)

سأرسل بيتا قد وسمت جبينه * يقطع أعناق البيوت الشوارد
أقام الندى والجود فى كل بلدة * أقام بها الفضل بن يحيى بن خالد

(وفيهم يقول مروان بن أبى حفصة وجمعهم على النسق)

لك الفضل يا فضل بن يحيى بن خالد * وما كل من يدعى بفضل له الفضل
رأى الله فضلا منك فى الناس شائعا * فسماك فضلا فالتقى الاسم والفعل
وزادك فضلا أن أهلك فى الورى * كرام اذا ازرى بذى الشرف الكهل

(قال الشعبى) دخلت على ابن هبيرة وقد أتى بقوم فأمر بضرب أعناقهم فقال له رجل منهم أيها الامير ان الذى جعل السجن كان حكيما جعله قيدا للعجلة وبابا الى التثبت وسببا الى الاناءة فعليك بالتؤدة واياك والعجلة فانت على عقوبتنا أقدر منك على ردها فأمر بحبسهم ثم عفا عنهم وأحسن اليهم (وفى سير العجم) آثر بالقيادة والسيادة والرياسة أهل الشرف فى المواضع وأهل القدم والنصيحة والشهرة والنجدة والخبرة بالحروب وحسن المواساة للاتباع وسخاء النفس لبذل المال (قال محمد بن نصر الكاتب)

اذا ما الله شاء صلاح قوم
اتاح لهم أكابر مصلحينا
ذوى رأى ومعرفة وفهم
وأعداد لما قد يحذرونا

(ذكروا) ان عبد الملك بن مروان لما ولى ابنه الوليد دمشق عهد اليه بما أحب ثم قال له يا بنى لا يبيدك صنائع بدرسخت فى المجد أصولها وأورقت فى العلى فروعها وانتشر عند الناس ذكرها فلا تهدمن ما قد شرف لك بناؤه وأضاء لك ضياؤه فكفى من سوء رأى المرء وقبح أثره وضعة نفسه ان يهدم ما قد شيد له من فضيلة البناء ورفيع الثناء اياك وأعراض الاحرار فان الحر لا يرضيه من عرضه عوض واجتنب العقوبة فى الابشار فانه وترمطلوب وعار باق ولا يمنعك من ذى فضل سبقت اليه صنيعة غيرك ان تصطنعه فان صنيعة ذى الفضل شكر تستوجبه وكنز تدخره واستعمل اهل الفضل دون أهل الهون ولا تعزل الا عن عجز او خيانة وليكن جلساؤك غير

اسنانك فان الشباب شعبة من جنون وان نازعتك نفسك على اخذ شئ من المال فلا يكن خصمك الا بيت المال وليكن رسولك فيما بيني وبينك من يفهم عني وعنك واذا كتبت كتابا فأكثر النظر فيه فان الكتاب موضع عقل الرجل ورسوله موضع عقله وأستودعك الله العظيم (قال عمارة الفقيه) كنت أجالس عبد الملك ابن مروان كثيرا في ظل الكعبة فبينا انا معه اذ قال لي يا عمارة ان تعش قليلا فسترى الاعناق مائلة الي والآمال نحوي سامية واذا كان ذلك فلا عليك ان تجعلني لرجائك بابا ولا لملك ذريعة فوالله ان نعلت لاملأن يديك غبطة ولا كسونك نعمة سابغة قال ثم ان عبد الملك سار الى دمشق وصارت اليه الخلافة نخرجت اليه زائرا واستأذنت فأذن لي ودخلت فسلمت عليه فلما انقضى سلامي قال مرحبا بأخي ونادى احد غلمانه فقال بوئه دارا واحسن مهاده ونزهه وآثره على خاصتي قال ففعل واقمت عنده عشرين ليلة احضر غداءه وعشاءه فلما اردت الانصراف والاوبة الى أهلي أمرلي بعشرين ألف دينار ومائتي ألف درهم ومائة ناقة برقيقها وكسوتها وقال لي أتراني يا عمارة ملأت يديك غبطة قال فقلت يا سبحان الله يا أمير المؤمنين وانك لمتذاكر لذلك قال نعم والله لا خير فيمن يذكر ما وعد به وينسى ما أوعد كم لهذا الامر يا عمارة نلت والله لكأنه بالامس ولدهر يا أمير المؤمنين قال فوالله ما كان ذلك عن خبر سمعناه ولا حديث كتبناه ولا أثر رويناه غير اني عقلت في الحداثة أشياء

ولم يبق فيك الجود للبخل موضعا * فأصبح يستعدي على جودك البخل
اذا كذبت اسماء قوم عليهم * فاسمك صديق له شاهد عدل

(وفيه يقول الحسن بن مطير رحمه الله تعالى)

رأى الله للفضل بن يحيي فضيلة * ففضله والله بالناس اعلم
له يوم بؤس فيه للناس أبؤس * ويوم نعيم فيه للناس أنعم
فيمطر يوم الجود من كفه الندى * ويمطر يوم البؤس من كفه الدم
ولو أن يوم الجود خلى يمينه * على الناس لم يصبح على الارض معدم
ولو أن يوم البؤس خلى شماله * على الناس لم يصبح على الارض مجرم

﴿ومن فاه ببديع مدحه اللسان من ذوى الانعام والاحسان﴾

وصف أعرابي رجلا فقال ذاك رجل اشترى عرضه من الاذى فهو وان أعطى الدنيا باسرها رأى بعد ذلك ان عليه حقوقا منها (ومدح) أعرابي قوما بالجود فقال هم الذين جعلوا أموالهم مناديل اعراضهم فالحسد فيهم زائد والجود لهم شاهد يعطون أموالهم بطيب أنفس اذا اطلمت اليهم ويباشرون المنكر وباشراق الوجوه اذا بغي عليهم (ومدح) آخر رجلا فقال ما رأيت الرزق أبغض أحدا بغضه (وقالوا) فلان دواء الفقر ان سئل أعطى وان لم يسئل ابتدأ (وقالوا) فلان يبذل ما جل ويجبر ما اعتل ويكثر ما قل (ومن كلام الثعالبي) فلان يحيي القلوب بلقائه قبل أن يميت العدم بعطائه فلان يوجب الصلات وجوب الصلاة فلان لو أن البحر مدده والسحاب يده والجبال ذهبه لقصرت عما يهبه (وقالوا) فلان له نفس فيحاء لا تضيق بالبذل وأذن صماء لا تصغي للعذل (وأما المنظوم في هذا فكثير) فمن ذلك قول المهلب بن أبي صفرة

قوم اذا نزل الغريب بأرضهم * ردوه رب صواهل وقيان
لا ينكتون الارض عند سؤالهم * لتطلب الحاجات بالعيدان
بل يبسطون وجوههم فترى لها * عند السؤال كأحسن الالوان

(آخر)

نزلت على آل المهلب شاتيا * بعيدا عن الاوطان في زمن محل
فما زال بي اكرامهم وافتقادهم * والطافهم حتى حسبتهم أهلي

(آخر)

لو قيل للعباس عم محمد * قل لا وأنت مخلد ماقالها
ان المكارم لم تزل معقولة * حتى فككت براحتيك عقالها
واذا الكرام تسايروا في بلدة * كانوا كواكبها وأنت هلالها
ما ان أعد من المكارم خصلة * الا وجدتك عمها أو خالها

(الحطيئة) تزور امرأ يعطى على الحمد ماله * ويعلم ان الشح غير مخلد
كسوب ومتلاف اذا ما لقيته * تهلل واهتز اهتزاز المهند
متى تأته تعشو الى ضوء ناره * تجد خير نار عندها خير موقد

(ابو العتاهية) وانا اذا ما تركنا السؤال * فلم نبغ نائله يبتدينا
وان نحن لم نبغ معروفه * فمعروفه ابدا ابتغينا

وقال مسلم بن الوليد مادحا من ابيات

قبل أنامله فلسن أناملا * لكنهن مفاتح الارزاق
واذكر صنائعه فلسن صنائعا * لكنهن قلائد الاعناق
بلقاك منه ثناؤه وعطاؤه * بذكاء رائحة وطيب مذاق
كالشمس فى كبد السماء محلها * وشعاعها قد شاع فى الآفاق

(مروان بن أبى حفصة)

له سحائب جود فى أناملها * أمطارها الفضة البيضاء والذهب
يقول فى العسر ان أيسرت ثانية * اقصرت عن بعض ما أعطى وما أهب
حتى اذا عدن أيام اليسار له * رأيت أمواله فى الناس تنتهب

وما أحسن قول الكميت بن خالد بن عبد الله القسرى

ما أنت فى الجودان عدت فضائله * ولا ابن مامة الا البحر والوشل
أنسيتنا فى الندى أمثال أولنا * فانت للجود فيما بعدنا مثل

(آخر) فضح الغمام نواله أوما ترى * ضحك البروق على الغمام الهاطل

(وقال عامر بن الظرب العدوانى مادحا لقومه)

اولئك قوم شيد الله فخرهم * فما فوقه فخر وان عظم الفخر
اناس اذا ما الدهر اظلم وجهه * فأيديهم بيض واوجههم زهر
يصونون احسابا ومجدا مؤثلا * ببذل أكف دونها المزن والبحر
سموا فى المعالى رتبة فوق رتبة * أحلتهم حيث النعائم والنسر
اضاءت لهم احسابهم فتضاءلت * لنورهم الشمس المنيرة والبدر
فلو مس الصخر الاصم اكفهم * لفاض ينابيع الندى ذلك الصخر
شكوت لهم آلاءهم وبلاءهم * وما ضاع معروف يكافئه شكر
ولو كان فى الارض البسيطة منهم * لمختبط عاف لما عرف الفقر

(آخر) يبيتون فى المشتا خماصا وعندهم * من الزاد فضلات تعدلمن يقرى
اذا ضل عنهم ضيفهم رفعوا له * من النار فى الظلماء ألوية حمرا

(آخر) سهل الحجاب اذا حللت ببابه * طلق اليدين مؤدب الخدام
واذا رايت شقيقه وصديقه * لم تدر ايهما اخو الارحام

(وقال محمد بن هانى الاندلسى)

اعطى واكثر واستقل هباته * فاستحيت الانواء وهى هوامل
فاسم الغمام لديه وهو كنهور * آل واسماء البحار جداول
لم تخل ارض من نداه ولا خلا * من شكر ما يولى لسان قائل

(آخر) له راحة لو أن معشار جودها * على البركان البرا ندى من البحر
اذا ما اتاه السائلون توقدت * عليه مصابيح الطلاقة والبشر
له فى ذرى المعروف نعمى كانها * مواقع ماء المزن فى البلد القفر

(آخر) اصبح اهل الارض زواره * فما له نهب لزواره
كأنما ادر بين الورى * مجارى الارزاق من داره

(بكر بن النطاح)

اقول لمرتاد الندى عند مالك * تمسك بجدوى مالك وصلاته
فتى جعل الدنيا وقاء لعرضه * واسداءه المعروف عند عداته
ولو خذلت امواله جود كفه * لقاسم من يرجوه شطر حياته

رجوت أن يرفع الله بها درجتى وينشر بها ذكرى قلت وما هى يا أمير المؤمنين قال نعم كنت لا اشارى ولا امارى ولا اهتك سترا ستره الله دونى ولا اركب محرما حظره الله على ولا حسدت ولا بغيت وكنت من قومى بواسطة القلادة وكنت اكرم جليسى وان كان ذميما وكنت ارفع قدر الاديب واكرم ذا الثقة وادارى السفيه وارحم الضعيف فبذلك رفع الله قدرى يا عمارة خذ أهبة السفر وامض راشدا (وروى) ان مروان ابن الحكم لما ولى ابنه عبد العزيز مصر قال له حين ودعه انه يقال ارسل حكيما ولا توصه فانظر الى اهل عملك فان حل لهم قبلك حق غدوة فلا تؤخره عنهم الى العشى وان حل لهم عشية فلا تؤخره عنهم الى غد أعطهم حقوقهم عند محلها فتستوجب بذلك الطاعة واياك يا بنى ان يظهر لرعيتك منك كذب فانهم ان جربوا عليك الكذب لم يصدقوك فى الحق ولا تحابين فى القضاء قريبا ولا بعيدا واقض فى ذلك بالحق واستشر جلساءك واهل العلم فان لم يستبن لهم فاكتب الى يأتيك فيه رأيى ان شاء الله وان كان للغضب على احد من رعيتك فلا تؤاخذه عند سورة الغضب واحبس عنه عقوبتك اياه حتى يسكن غضبك ثم ليكن منك ما كان اليه وانت ساكن الغضب مطفئ الجمرة فان أول من جعل الحبس كان حليما ذا أناة ثم انظر الى أهل الحسب والدين والمروءة والعقول فليكونوا جلساءك وأهل دخلتك ثم أعرف منازلهم منك على غيرهم فى غير استرسال منك

ولا انقباض أقول هذا وأستغفر الله عليك (كان أزدشير) يقول ماشئ أضر على نفس ملك أو رئيس أوذي معرفة صحيحة من معاشرة سخيف أو مخالطة وضيع لانه كما ان النفس تصلح على مخالطة الشريف الاديب الحسيب كذلك تفسد بمعاشرة الخسيس حتى يقدح ذلك فيها ويزيلها عن فضيلتها ويبينها عن محمود شريف أخلاقها وكما ان الريح اذا مرت بالطيب حملت طيبا تحيي به النفوس وتقوى به جوارحها كذلك اذا مرت بالنتن فحملته آلمت النفوس وأضرت بأخلاقها اضرارا تاما والفساد أسرع اليها من الصلاح اذ كان الهدم أسرع من البنيان وقد يجد ذو المعرفة من نفسه عند معاشرة السفل الوضيع شهرا فساد عقله دهرا (قال بعض الحكماء) أوحش الاشياء رأس صار ذنبا وذنب صار رأسا (وقال عمرو بن العاص) لأن يموت مائة من الاشراف خير من أن يرتفع واحد من السفلة لان عمرا اذا ارتفع وضع الاشراف وحط الاوزار

(قال الشاعر)

من كان يرجو أن يرى
من ساقط أمرا سنيا
فلقد رجا أن يجتني
من عوسج رطبا جنيا

(روى ان معاوية) ركب يوما مجولا في بعض أزقة دمشق وهو على بغلة شقراء له ومعه المغيرة بن شعبة فبيناهما كذلك اذ عرض لهما شخص من بعيد فلما نظرا اليه عمدا نحوه فاذا هو معبد الجهني فقال له معاوية ما الذي اقدمك يا معبد اراغب ام راهب فقال كل لم يأتني ولكن اتيت وارجع

لو لم يجز في العمر قسمة الطالب * وجازله الاعطاء من حسناته
لجادبها من غير كفر لربه * وأشركه في صومه وصلاته

(آخر)

يا أيها الملك الذي انواله * ظل تغرس دونه الآمال
أنعمت حتى ليس يقصد قاصد * وبذلت حتى قلت السؤال
رجعت اشتات المكارم والعلا * فاهنأ وأنت الواهب المفضال

(على بن الجهم في المتوكل)

يسر من امام عدل * تغرق في بحره البحار
مؤمل يرتجي ويخشى * كأنه جنة ونار
الملك فيه وفي بنيه * مادار بالانجم المدار
لازال في الملك ذا اغتباط * ماطرد الليل والنهار
يداه بالجود ضرتان * عليه كلتاهما تغار
لم تأت منه اليمين شيأ * الا أتت مثله اليسار

﴿ المتنبي ﴾

لولا المشقة ساد الناس كلهم * الجود يفقر والاقدام قتال
تملك الحمد حتى ما لمفتخر * في الحمد حاء ولا ميم ولا دال

﴿ ومما ينبغي أن يكون لاحقا بما ذكرناه ومتمما للغرض الذي أردناه ﴾
(نوعان هما في هذا الموضع لمن تأملهما أحسن موقع)

﴿ النوع الاول في ذم من أتبع الاحسان بالتعديد والامتنان ﴾

قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى (وقال) عليه الصلاة والسلام إياكم والامتنان بالمعروف فانه يبطل الشكر ويمحق الاجر (وقالوا) المنة تهدم الصنيعة (ويقال) تعداد المنة من ضعف المنة ومنه قول عمر رضى الله عنه في ذم منان شوى أخوك حتى اذا نضج رمد (شاعر يذم منانا)

أفسدت بالمن ما أوليت من حسن * ليس الجواد اذا أسدى بمنان
المن يهدم ما شيدت من كرم * هل يرغب الحر في هدم لبنيان

(وقالوا) لا خير في المعروف اذا أحصى (وقالوا) ما يعد لا يعتد (ويقال) أحسن العطاء موقعا ما لم يشب بمن وينشد في مثله

أحسن من كل حسن * في كل وقت وزمن
صنيعة مشكورة * خالية من المنن

(وينسب للامام الشافعي رضى الله عنه)

لا تحملن لمن يمـ ـن من الانام عليك منه
واختر لنفسك حظها * واصبر فان الصبر جنه
منن الرجال على القلو * ب أشد من وقع الاسنه

(وقال) بعضهم لاعرابي ان فلانا يزعم أنه كساك فقال ان المعروف اذا من به كفر واذا ضاق فلم اتسع لسانه (وقال) انما من عدد نعمه محق كرمه (وقالوا) اذا طوقت مرأجوهر احسانك فلا تحمل المنة به حظ لسانك فينحل معقود نظامه ويصير بدره الى السرار بعد تمامه (وقالوا) خير المعروف ما لم يتقدمه مطل ولم يتبعه من ولقد أحسن

قائل

قائل هذين البيتين

اذا زرعت جميلا فاسقه غدقا * من المكارم كي يغولك الشجر
ولا تشبه بمن فالذي ذقلوا * من عادة المن أن يؤذي به الثمر

(ويقال) عليك حق لمن أحويت عليه المعروف أن تستره ولا تظهره وتقدمه ولا تؤخره وتستقله ولا تستكثره ولا تتبعه منا ولا تبطله بأذى (وقال) موسى شهوان يمدح حمزة بن عبد الله بن الزبير بترك المن

حمزة المبتاع بالمال الثناء * ويرى في بيعه أن قد غبن
واذا أعطى عطاء مفضلا * ذا احلم يكدره بمن

(وقال) ابرهيم بن العباس الصولى مفتخرا بترك المن

أفرق بين معروفي ومنى * وأجمع بين مالي والحقوق

(وكان يقال) الايادي ثلاثة يد بيضاء ويد خضراء ويد سوداء فاليد البيضاء الابتداء بالمعروف والخضراء المكافأة عليه والسوداء المن به

(شاعر) أراك تؤمل حسن الثناء * ولم يرزق الله ذاك البخيلا
وكيف يسود أخا فطنة * يمن كثيرا ويعطى قليلا

﴿ومن أطرف الحكايات﴾ وألطف الفكاهات ما يحكى أن الاشعث بن قيس قال لرجل أسدى اليه معروفا فلم يشكره عليه ما شكرت معروفي عندك فقال الرجل ان معروفك كان من غير محتسب فوقع عند غير شاكر * ولام بعضهم على منه بمعروف اسداه فقال اذا كفرت النعمة وجبت المنة * ولام آخر فقال اذا جحد الاحسان وجب الامتنان

﴿النوع الثاني﴾

(في ان من تمام المعروف ترك المطل به واعانة المستجدي على حصول مطلبه)

قال جعفر الصادق نظرت ان المعروف فوجدته لا يتم الا بثلاث تعجيله وستره وتصغيره فانك اذا عجلته هنأته واذا سترته تممته واذا صغرته عظمته مدح بعضهم من هذه خلته فقال

زاد معروفك عندي عظما * انه عندك مستور حقير
تتناساه كأن لم تأته * وهو عند الناس مشهور كثير

(آخر) أمت ذكر معروف تريد حياته * فاحياؤه حقا اماتة ذكره
وصغره يعظم في النفوس محله * فتصغيره في الناس تعظيم قدره

(وقال) عمرو بن العاص ما استبطأني صاحب حاجة قط لأني لا اعد شيأ قط حتى أعدله مجازا ولا امنع شيأ حتى أعدله عذرا (ويقال) إياك والمطل بالمعروف فانه مفسدة للمروأة مهدمة للصنيعة ممحقة للشكر داعية للذم * شاعر

ياصانع المعروف لا تمطلن * يزداد ذو الحاجة في حاجته
فشر معروفك ممطوله * وخيره ما كان في ساعته
لكل خير يرتجى آفة * ومطلك المعروف من آفته

وسأل رجل رجلا فاعتذر اليه وتجمل صرفه فقال اصبت في الشكر من حيث أخطأت في الرد لانك صرفتني وفي الرد بقية وفي النفس رمق وفي الوجه بقية ماء الحياة * شاعر

جود الكرام اذا ما كان عن عدة * وقد تأخر لم يسلم من الكدر
ان السحائب لا تجدي بوارقها * نفعا اذا هي لم تمطر على الاثر
وماطل الوعد مذموم وان سمحت * يداه من بعد طول المطل بالبدر

زاهدا فثنى معاوية عنان بغلته فقال له المغيرة ما ولدت قرشية قرشيا اضعف قلبا منك فقال يا مغيرة انما احب الي احلم عنهم ويجتمعون الى ام اسفه عليهم ويتفرقون عني فقال المغيرة لا بل تحلم عنهم ويجتمعون اليك فضرب معاوية بيده على صدر نفسه ثم قال ما ولدت قرشية قرشيا مثل هذا القلب (وروى) انه لما ولى الحسن بن عمارة مظالم الكوفة اسمع الاعمش يقول ظالم ولى المظالم فبلغ الحسن بن عمارة قوله فوجه اليه بنفقة وثياب فلما أصبح الاعمش قال مثل هذا يولى علينا يوقر كبيرنا ويرحم صغيرنا ويعود على فقيرنا فقال له رجل من جلسائه يا ابا محمد ما هذا قولك بالامس قال حدثني خيثمة عن عبد الله بن مسعود قال جبلت النفوس على حب من احسن اليها وبغض من اساء اليها (قال بعض الحكماء) من اراد ان تنقاد له القلوب بالطاعة ويسعد بقبول ما يأمر به وينهى عنه فليتول ذلك في نفسه فان قدر عليها ووقف بها حيث يجب من المحامد فليثق بسرعة نفاذ أمره في غيره وقبول ما يراه ويأمر به فان لمهذب مطاع والعاجز عن مصلحته مخالف ولا يحظى ببغضه (سأل) رجل عبد الملك بن مروان الخلوة فأقبل على أصحابه فقال اذا شئتم فقاموا فلما خلا المجلس وهيأ الرجل الكلام قال له عبد الملك على رسلك اياك أن تمدحني فأنا اعلم بنفسي منك او تكذبني فانه لا رأي لكذوب او تغتاب عندي احدا قال فتأذن لي في الانصراف قال نعم (قال عبد الله بن العباس) قال لي ابي ان هذا

(آخر) كم خوّيل من النوال أمالي * بعد مطل وكان غير جزيل
أي فرق بين الكريم اذا استبـ * ـطأت معروفه وبين البخيل

(آخر) رأيت المطل سيدا طويلا * يروض طباعه فيه البخيل
يراود عن جداه نفس سوء * يرى أن الندى حمل ثقيل

(آخر) جميل جود المرء أكرومة * ينشر عنه أطيب الذكر
والحر لا يمطل معروفه * ولا يليق المطل بالحر

(وقالوا) المنع بالعذر الجميل خير من المطل الطويل (وقالوا) المطل مرض المعروف والانجاز برؤه والمنع تلفه (وقالوا) المسؤل حر حتى يعد ومسترق بالوعد حتى ينجز (وقالوا) من مروأة المطلوب اليه أن لا يلجئ الى الالحاح عليه (وقالوا) الاسراع بالرد خير من الابطاء بالوعد (أبو تمام)

وخير عداة المرء مختصراتها * كما أن خير الليالي قصارها
وان الليالي الصالحات كبارها * اذا وقعت تحت المطال صغارها
وما العرف بالتسويف الا تخلة * تسليت عنها حين شط مزارها

(آخر) اذا قلت في شيء نعم فأتمه * فان نعم دين على الحر واجب
والا فقل لا واسترح وأرح بها * لكيلا يقول الناس انك كاذب

(وقالوا) لولا أن انجاز الوعد فضيلة محمودة في أكثر الناس لما وصف الله سبحانه وتعالى نبيه اسمعيل بصدق الوعد (شاعر)

ان الحوائج ربما أودى بها * متطلب يقضى له ممطولها
واذا قصدت لطالب لك حاجة * فاعلم بأن تمامها تعجيلها

الفصل الثاني من الباب التاسع
في منح الاماجد الاجواد وملح الوافدين والقصاد

﴿فمما يجب أن يقدم مما به تلطف الراغب السائل مع تقدمه﴾

(يقال) التلطف في السؤال سبب لتحصيل النوال (وقالت) الحكماء لطف الاستماح سبب النجاح (وقال العتابي) اذا طلبت حاجة الى ذي سلطان فاجمل في الطلب اليه واياك والالحاح عليه فان اللحاحة تكلم عرضك وتريق ماء وجهك فلا تأخذ عوضا مما أخذ منك ولعل الالحاح يجمع عليك اخلاف الوجه وحرمان النجاح ولقد أحسن الادب القائل

واذا طلبت الى كريم حاجة * فلقاؤه يكفيك والتسليم
فاذا رآك مسلما عرف الذي * حملته فكأنه ملزوم

(نقض بعضهم هذا بقوله)

حث الجواد على الندى وتقاضه * بالوعد واحمله على الانجاز
ودع الوثوق بطبعه فلربما * نشط الجواد بشوكة المهماز

(وقال بعضهم مقيما عذر من منع)

واذا طلبت الى كريم حاجة * فأبى فلا تقعد عليه بحاجب
فلربما منع الجواد وماله * بخل ولكن سوء حظ الطالب

﴿في أخبار بدائع تلطف به من استماح من الكلام الخادع لذوي السماح﴾

ما حكي أن زياد بن أبيه نظر الى أعرابي يأكل على مائدته أكلا ذريعا وهو من أقبح الناس

وجها

الرجل يعني عمر بن الخطاب رضي الله عنه يدنيك ويستخليك دون الناس فاحفظ عني ثلاثا لا تفشين له سرا ولا تغتابن عنده احدا ولا يطلعن منك على كذب (وفي كتاب العجم) ان بعض الملوك استشار وزراءه فقال احدهم لا ينبغي للملك ان يستشير منا احدا الا خاليا به فانه اموت للسر واحزم للرأي واجدر بالسلامة واعفى لبعضنا من غائلة بعض فان افشاء السر الى واحد اوثق من افشائه الى اثنين وافشاؤه الى ثلاثة كافشائه الى العامة لان الواحد رهن بما افشي اليه والثاني يطلق عنه ذلك الرهن والثالث علاوة فاذا كان سر الرجل الى واحد كان احرى ان لا يظهره رغبة منه ورهبة واذا كان عند اثنين دخلت الى الملك شبهة واتسعت على الرجلين المعارض فان عاقبهما عاقب اثنين بذنب واحد وان اتهمهما اتهم بريئا بجناية مجرم وان عفا عنهما كان العفو عن احدهما ولا ذنب له (قال الشاعر)

شاور سواك اذا نابتك نائبة يوما
وان كنت من اهل المشورات
فالعين تنظر منها ما دنا ونأى
ولا ترى نفسها الا بمرآت

(قال الوليد بن عتبة) اسر الي معاوية حديثا فأتيت ابي فقلت له ان امير المؤمنين اسر الي حديثا ولا اظنه كان يطوي عنك ما بسطه الي افاخبرك به قال لا يا بني ان من كتم سرا كان الخيار اليه ومن افشاه كان الخيار عليه فلا تكن مملوكا بعد ان كنت مالكا قال فقلت يا أبت ان هذا لا يدخل بين الرجل وابنه قال لا يا بني ولكن اكره ان يتذلل لسانك بأحاديث

وجها فقال يا أعرابي كم عيالك قال سبع بنات انا أجمل منهن وهن آكل مني فضحك زياد وقال لله درك ما ألطف جوابك افرضوا للكل واحدة منهن مائة دينار ويجملوا لحقن ذلك وقد روى الاصمعي هذه الحكاية وذكر أنها جرت لسعيد بن المحسن مع زياد وأنه لما وصله ووصل أولاده خرج وهو ينشد

اذا كنت مرتادا السماحة والندى * فنادر زيادا أو أخا لزياد
يجبك امرؤ يعطي على الحمد ماله * اذا ضن بالمعروف كل جواد
ومالي لا أثني عليه وانما * طريفي من معروفه وتلادي

(وحكي) أن نصيبا قال لعبد الملك بن مروان يا أمير المؤمنين ان لي بنات نفضت عليهن من سوادي فضحك منه وأمر له بصلة (وقال) المأمون للعتابي سلني فقال بيداك بالنوال انطق من لساني بالسؤال (وقصد) بعض الشعراء معن بن زائدة الشيباني يستجديه فاذن عليه فلم يأذن له الحاجب وكان معن في بستان له فعمد الشاعر الى قطعة خشب وكتب عليها

أيا جود معن ناج معنا بحاجتي * فمالي الى معن سواك رسول

وأرسلها في ساقية تصل اليه فلما وصلت اليه وقرأها اذن له ووصله بعشرة آلاف درهم (وأمر) المأمون محمد بن حازم أن يرتجل بيتين من الشعر فقال

أنت سماء ويدي أرضها * والارض قد تأمل غيث السماء
فازرع بها عندي مجودة * تحصد بها مني حسن الثناء

فاستحسن ذلك منه وأعطاه عشرة آلاف درهم (سأل) اعرابي عبد الملك بن مروان فقال له سل الله تعالى فقال قد سألته فاحالني عليك فضحك منه وأعطاه (وقدم) على مخلد بن يزيد بن المهلب رجل كان قد ازدراه وأجازه فقال ألم تكن قد أتيتنا فاجزناك قال بلى قال فما ردك قال قول الكميت فيك

سألناك الجزيل فما تلكى * وأعطى فوق منيتنا وزادا
وأحسن ثم أحسن ثم عدنا * فأحسن ثم أحسن ثم عادا
مرارا لا أعود اليه الا * تبسم ضاحكا وثنى الوسادا

فاضعف له ما كان أعطاه وقد نسب ابن عبدوس هذه الابيات لزياد بن عمرو العتكي في عبد الرحمن بن زياد في كتاب الوزراء له (ودخل) اعرابي على خالد بن عبد الله القسري فقال

أخالد اني لم ازرك لحاجة * سوى انني عاف وأنت جواد
أخالد بين الحمد والاجر حاجتي * فأيهما تأتي فأنت عماد

فقال له خالد سل حاجتك قال مائة ألف درهم قال خالد أسرفت فاحططنا منها قال حططتك ألفا فقال خالد ما أعجب ما سألت وما حططت فقال لا يعجب الامير سألته على قدره وحططته على قدري فضحك منه وأمر له بما طلب (وسأل رجل) أسد بن عبد الله فقال اني لا أسألك من حاجة ولكني رأيتك تحب من أعطيت فاحببت أن تحبني فاعطاه عشرة آلاف درهم (وقصد) تمام بن حبيب بن أوس الطائي عبد الله بن طاهر بعد موت أبيه أبي تمام فاستنشده فانشده

حياك رب الناس حيا كا * اذ بجمال الوجه روا كا
بغداد من نورك قد أسرقت * وأورق العود بجدوا كا

فأطرق عبد الله ساعة ثم قال

حياك رب الناس حيا كا * ان الذي أملت أخطا كا
أتيت شخصا قد خلا كيسه * ولو حوى شيأ لأعطا كا

فقال أيها الامير ان بيع الشعر بالشعر ربا فاجعل بينهما فضلا من المال فضحك منه وقال

السرف دخلت على معاوية فحدثته بما جرى بيني وبين ابي فقال ويحك يا وليد اعتقل اخي من الخطأ (قال الشاعر)

تحفظ من لسانك فهو عضو * اشد عليك من وقع اليماني
فلا والله ما في الارض شيء * أحق بطول سجن من لسان

(قال بعض الحكماء) يجب للوالي ان يعلم ان أيه لا يتسع للامور كلها فليتفرغ للمهم منها وليعلم انه متى شغل نفسه بغير المهم ازرى بالمهم (وقالوا) يستدل على ادبار الملك بخمسة امور احدها ان يستكفي الملك بالاحداث ومن لا خبرة له بالعواقب الثاني ان يقصد اهل مودته بالاذى الثالث ان ينقص خواصه عن قدر مؤنة ملكه الرابع ان يكون تقريبه وتبعيده للهوى لا للرأي الخامس استهانته بنصائح العقلاء وآراء ذوي الحكمة (وقالوا) راس اعمال الملك اربعة اشياء حفظ المملكة وتحصين الديانة واثابة المحسن وانصاف المظلوم (قال بعض الحكماء) الدول تشب وتكهل وتخرف فاذا كان عائدها اكثر مما يستحقه الملك فهي شابة تنذر بطول البقاء وان كان عائدها بمقدار ما يحتاج اليه فهي مكتهلة وان كان عائدها اقل مما يحتاج اليه فهي خرفة متولية (نقل ابن سعيد في كتاب الزهرات) ان المقتدر من خلفاء بني العباس خلا يوما ببطانته وقال انا كنا في اول امرنا لا ننكر من حالنا ولا من حال الجند ولا حال الرعية شيأ ثم صرنا ننكر حال الرعية ثم صرنا ننكر حال الرعية والجند ثم صرنا الآن ننكر

الاحوال الثلاث فليتكلم كل بما عنده فأطرق الجماعة فقال مالكم لاتتكلمون فقال على بن عيسى ابن الجراح أيد الله أمير المؤمنين ان مثل هذا لا يقدر أحد من عبيدك ان يتكلم فيه الا خلوة قال فليقعد من عنده جواب عن ذلك فقاموا وقعد ابن عيسى ثم قال سدد الله الآراء العالية وامدها بالمعقبات الحافظة الكالية ان هذه الامور صلاحها واختلالها من قبل الوزراء وهم ولاة التدبير والنظر فى الجبايات فكان اول وزير نظر فى الاعمال امينا فى اموالكم كافيا فى خاصتكم عادلا فى رعيتكم فلم ينكر ولا نأمن الاحوال الثلاث شيأ الا ان اكفاءه حسدوه على مكانه من السلطان وثناء الناس فتوصلوا بكل سبب الى عزله فكان ذلك وولى الثانى فلم يكن له بد من سد المكان الذى أتى منه الاول فاشتغل بمداراة الخاصة وقبول الجاهات واحتاج الى المصانعات فلم يكن له بد من الميل على الرعية وهى أول ما يمد اليه اليد فضجت به فلم يكن للثالث بد من عزله وولى ثالث فاحتاج الى سد المكانين وقد تشعبت الاحوال وتقلصت الاموال فلم يكن له بد من التغيير لما يحتاج اليه السلطان فعم الاختلال الاحوال الثلاث فاستحسن المقتدر ما أتى به وقال فما يصلح ما اختل ويقبل ما أدبر قال أن تولى من يقدم خوف الله فتأمن معه الرعية ثم يخاف فتأمنه فيما يجبيه اليك وفيما يخرجه عنك واذا خاف الله وخافك احتجت ان تسد له مكان الخوف من الناس بكثرة الاستدعاء

لئن عاب المشمر ابيك فما فاتك ظرفه وأمر له بصلة (وقف رجل) لعبد الله بن طاهر فى طريقه فناشده أن يقف له حتى ينشده لانه أبيات فوقف وقال له قل فانشده

اذا قيل أى فتى تعلمون * أهش الى البائس والنائل
واضرب للهام يوم الوغى * واطعم فى الزمن الماحل
أشار اليك جميع الانام * اشارة غرقى الى الساحل

فأمر له بخمسين ألف درهم (وكتب) أحمد ابن أبى طاهر الى اسمعيل بن بلبل رقعة يذكر فيها اختلال حاله وفى آخر الرقعة

* ياسيدا لم يزل * غيثا لكل مؤمليه
ان كنت أملك درهما * فكفرت بالمنقوش فيه

فبعث اليه بثلاثة آلاف دينار (حكى) أن أعرابيا وفد على معن بن زائدة فلما مثل بين يديه قال ممن الرجل قال رجل من العرب وهم أصلك وقومك فلا تشغلنى بالسؤال عما هم فيه من سوء الحال قال فما حاجتك قال نأى بلدى وكثرة ولدى وضعف جلدى وقلة ذات يدى فاتيتك يا مغيث اللهيف وجابرا ضعيف آملا لجودك راجيا لزودك قال فهل من قرابة تمت بها أو يد تتوسل بمثلها قال أنت أفضل من أن يبتدئ مثلى بدا الى مثلك أو يتوسل اليك بغير فضلك أو تتمحل الحيل عليك بذلك وقد قلت فى ذلك شعرا قال هاته فأنشد

أبا جود معن ناج معنا بحاجتى * فمالى الى معن سواك شفيع

قال اذا لا أشفعه فيك فقال الاعرابى ما أنت بالبخيل فأوجه الذم اليك ولا أوليت ما يحسن ثنائى عليك ثم انصرف وهو يقول

بأى الخصلتين عليك أثنى * فانى عند منصرفى سؤل
أبالحسنى وليس لها ضياء * على فهل يصدق ما أقول
أم الاخرى تكون فتلك عار * على من دأبه الفعل الجميل

فرق له وأجزل صلته (وفد) على أبى دلف قاسم بن عيسى العجلى مسجديا فاقام ببابه مدة لا يصل اليه فكتب فى رقعة هذه الابيات

ماذا أقول اذا أتيت معاشرا * صفرا يدى من عند أروع مفضل
ان قلت أعطانى كذبت وان أقل * ضن الجواد بماله لم يجمل
ام ما أقول اذا سئلت وقيل لى * ماذا افدت من الامير المجزل
ولانت أعلم بالمكارم والعلا * من أن أقول فعلت مالم تفعل
فاختر لنفسك ما أقول فاننى * لابد أخبرهم وان لم اسأل

ودفعها فلما وقف عليها ابو دلف امر له عن كل يوم أقامه الف درهم وكتب خلف الرقعة

أعجلتنا فأتاك عاجل برنا * نزرا ولو امهلتنا لم نقلل
فخذ القليل وكن كأنك لم تسل * ونكون نحن كأننا لم نسأل

(ويحكى) ان ابا دلامة دخل على المنصور فأنشده

باتت تعاتبنى من بعد رقدتها * أم الدلامة لما هاجها الجزع
وقالت ابتع لنا نخلا ومزدرعا * كما لجيراننا نخل ومزدرع
خادع خليفتنا عنها بمسئلة * ان الخليفة للسؤال ينخدع

فأمر أن يقطع ألف جريب عامرة وألف جريب غامرة فقال أبو دلامة أما العامرة فقد عرفته فما الغامرة قال ما لا يدركه الماء ولا يسقى الا بالكلفة والمؤنة فقال أبو دلامة اشهدك يا أمير المؤمنين ومن حضر أنى أقطعت عبد الملك بادية بنى أسد فضحك المنصور وقال يا عبد

الملك

الملك اكتب عاهره فقال أبو دلامة للمنصور ائذن لى ان تقبل يدك فلم يفعل وقال ما منعتنى شيأ هو أهون على عيالى من هذا (وكان) المنصور يدخل البصرة فى أيام بنى أمية مستترا فيجلس فى حلقة أزهر السمان المحدث فلما أفضت الخلافة اليه قدم عليه أزهر الكوفة فرحب به وقرب منزله وقال له ما الذى أقدمك علينا قال جئت طالبا فأمر له بعشرة آلاف درهم وقال له قد قضيت حاجتك فاخذها وانصرف ثم عاد اليه فى قابل فلما رآه قال له ما جاء بك قال جئت مسلما فاعطاه عشرة آلاف درهم وقال لا تأتنا طالبا ولا مسلما فاخذها وانصرف ثم رجع اليه بعد عام فقال له ما الذى أقدمك علينا قال عائدا فوصله بعشرة آلاف درهم وقال لا تأتنا طالبا ولا مسلما ولا عائدا فأخذها وانصرف ثم عاد بعد سنة فلما رآه قال له ما الذى أتى بك قال دعاء كنت سمعته من أمير المؤمنين جئت لا كتبه فضحك المنصور وقال انه غير مستجاب لانى دعوت الله به أن لا يرينى وجهك فلم يستجب لى وقد أمرنا لك بعشرة آلاف درهم وتعال متى أردت فقد أعيتنا فيك الحيلة وكان المنصور بخيلا جدا وسنذكر شيأ من أخباره فى باب البخلاء ان شاء الله تعالى (وقصد) الحكم بن عبدل الشاعر اسماء ابن خارجة فانشده

أغفيت قبل الصبح نوم مسهد * فى ساعة ما كنت قبل أنامها
فرأيت أنك رعتنى بوليدة * مغناجة حسن لدى قيامها
و ببدرة حملت لى و ببغلة * شهباء ناجية تصل لجامها
فسألت ربى ان يثيبك جنة * عوضا يصيبك بردها وسلامها

فقال له أصبت كل شئ رأيته عندنا الا البغلة فانها دهماء فقال أذكرنى أيها الامير فانى ما رأيتها الا دهماء فضحك منه أسماء وأمر له بكل ما سأل (وحكى) ابو الفرج الاصفهانى ان هذه الحكاية جرت لابن عبدل مع بشر بن مروان أخى عبد الملك والله أعلم بالصحيح من ذلك (ودخلت) امرأة من هوازن على عبيد الله بن أبى بكرة فوقفت بين السماطين وجعلت تلحظه وجهها مرة وتستره اخرى فلما أبصرها علم ان لها حاجة فقال لجلسائه ما عليكم ان تقوموا حتى تقول هذه المرأة حاجتها فتقدمت وقالت اصلح الله الامير انى اتيتك من أرض شاسعة ترفعنى رافعة وتخفضنى واضعة لملمات قدأ كلن لحمى و برين عظمى وتركتنى أغص بالجريض فضاق بى من البلد العريض وقد جئت بلدا لا أعرف فيها أحدا لاقرابة تكفنى ولا عشيرة تعرفنى بعد أن سألت أحياء العرب من المرجو نائله المعطى سائله فأرسلت اليك ودللت عليك وأنا أصلحك الله امرأة قد هلك عنها الوالد وذهب عنها الطارف والتالد ومثلك يسد الخلة ويزيح العلة فاما أن تحسن صفدى وتقيم أودى واما أن تردنى الى بلدى فقال بل اجمع لك كل ما ذكرت ثم امر لها بعشرة آلاف درهم وزاد وكسوة وراحلة (اصاب) الناس مجاعة على عهد هشام بن عبد الملك فدخل عليه درواس بن حبيب العجلى مع جماعة من قومه فقال يا أمير المؤمنين تتابعت علينا وعلى الناس سنون ثلاثة اما الاولى فأكلت اللحم واما الثانية فاذابت الشحم واما الثالثة فمصت العظم وفى ايديكم فضول اموال فان تكن لله فاعطوها على عباده وان تكن لهم فعلام تحبسونها عنهم وتنفقونها اسرافا وبدارا والله لا يحب المسرفين وان تكن لكم فتصدقوا بها عليهم ان الله يجزى المتصدقين ولا يضيع اجر المحسنين فقال هشام لله ابوك ما تركت لنا واحدة من ثلاث وامر بمائة الف فقسمت فى الناس وامر لدرواس بمائة الف درهم فقال يا أمير المؤمنين لكل واحد من المسلمين مثلها قال لا ولا يقوم بذلك بيت المال قال فلا حاجة لى بما يبعث على ذمك فالزمه بها فلما عاد لى منزله قسم تسعين الفا فى احياء العرب وحبس عشرة آلاف له ولقومه فبلغ ذلك هشاما

والعمل بما أشار به وأن لا تجعل بينك و بينه واسطة فهذا تتوفر الاموال وتصلح الاحوال وتبسط الايدى بالدعاء وتكف أكف الشفاعات والجاهات وقال قد قلدناك ما وراء بابنا واشترطنا لك ما شرطته لمن يتولى ذلك فيصلح الله على يديه فقبل يده وانصرف الى مكان الوزارة فكان أول ما نطق به ان جعل الخرج أقل من الدخل وولى للكفاية لا للعناية وبلغ من السياسة والامانة الى الغاية فصلحت الاحوال وتكاثف ما تقلص من الظلال وكان على بن بسام قد هجاه لما نفى الى مكة فلما ردت اليه الوزارة جلس يوما للمظالم فمرت به فى جملة القصص رقعة مكتوب فيها

وافى ابن عيسى وكنت أضغنه
أشد شئ على أهونه
ماقدر الله ليس يدفعه
وما سواه فليس يمكنه

وقال على بن عيسى صدق هذا ابن بسام والله ما ناله منى مكروه أبدا

(الفصل الثانى فى الاخبار)
(التى تتعلق بذوى الهمم والرياسة)

(حدث) محمد بن عبد الاعلى بن هاشم القاضى قال كان الوزير سليمان بن وانسوس رجلا جليلا اديبا من رؤساء البربر وكان أثيرا عند الامير عبد الله بن محمد صاحب الاندلس من بنى أمية فدخل عليه يوما وكان عظيم اللحية فلما رآه مقبلا جعل الامير ينشد

معلونة كأنها جوالق
نكداء لابارك فيها الخالق
للقمل فى حافاتها نقانق
فيها البانى المتكاسر افق

فقال لله دره ان الصنيعة عند مثله تبعث على مكارم الاخلاق * ومثلها ما يحكى ان عبد الملك ابن مروان حبس عن الناس العطاء فدخل عليه اعرابي فقال يا ابا الوليد بلغني ان عندك مالا فان كان لله فاقسمه على عباده وان يكن لك فتفضل به عليهم وان يكن لهم فادفع اليهم اموالهم وان يكن بينك وبينهم فقد اسأت شركتهم ثم ولى فقال عبد الملك اطلبوا الرجل فطلبوه فلم يقدر عليه فأمر للناس بعطياتهم

﴿ وممن ابرع من القصاد في المدح واجاد فاستحق به الصلة ممن سمح وجاد ﴾

دخل النابغة على النعمان بن المنذر بن ماء السماء بن امرئ القيس بن عمرو بن عدى اللخمي فحياه تحية الملوك ثم قال ايفاخرك ذو فائش وانت سائس العرب وغرة الحسب واللات لامسك أيمن من يومه ولعبدك أكرم من قومه ولقفاك أحسن من وجهه وليسارك أجود من يمينه ولظنك أصدق من يقينه ولوعدك أبلج من رفده ولخالك أشرف من جده ولنفسك امنع من جنده وليومك أزهر من دهره ولفترك أبسط من شبره ثم أنشد

أخلاق مجدك جلت مالها خطر * فى البأس والجود بين الحلم والخفر
متوج بالمعالى فوق مفرقه * وفى الوغى ضيغم فى صورة القمر
اذا دجا الخطب جلاه بصارمه * كما يجلى زمان المحل بالمطر

فتهلل وجه النعمان سرورا ثم أمر أن يحشى فوه درا ويكسى أثواب الرضا وهى جباب أطواقها الذهب فى قصب الزمرد ثم قال النعمان هكذا فلتمدح الملوك وذو فائش المذكور هو سلامة بن يزيد بن سلامة من ولد يحصب بن مالك وكان النابغة متصلا به قبل اتصاله بالنعمان وله فيه مدائح كثيرة مذكورة فى ديوانه وفائش مشتق من المفايشة وهى المفاخرة قاله الاصمعى فى اشتقاقه (ودخل) أبو العتاهية اسمعيل بن قاسم بن سويد العنبرى العتبى على عمرو بن العلاء مولى عمرو بن حريث الذى يقول فيه بشار بن برد من أبيات

اذا أرقتك جسام الامور * فنبه لها عمرا ثم نم
فتى لا يبيت على دمنة * ولا يشرب الماء الا بدم

فأنشده أبياتا يقول منها

انى أمنت من الزمان وريبه * لما علقت من الامير حبالا
لو يستطيع الناس من اجلاله * لحذوا له حر الوجوه نعالا
ان المطايا تشتكيك لانها * قطعت اليك سباسبا ورمالا
فاذا أتين بنا أتين مخفة * واذا رجعن بنا رجعن ثقالا

فأمر عمرو من حضر مجلسه أن يخلعوا عليه فخلعوا عليه حتى لم يقدر على النهوض لما عليه من الثياب فلما خرج حسده من كان ببابه من الشعراء فبلغ عمرا الخبر فقال على بهم ولما دخلوا عليه ومثلوا بين يديه قال لهم ما أحسد بعضكم لبعض يا معشر الشعراء ان أحدكم يريد مدحنا فينسب فى قصيدته بخمسين بيتا فما يبلغ مدحنا حتى تذهب حلاوة شعره وتعرى طلاوته ونقه وأبو العتاهية بدأ بذكرنا وختم بمدحنا ثم أرسل الى أبى العتاهية ان أقم حتى أنظر فى أمرك فأقام اياما فلم ير شيأ وكان عمرو ينتظر مالا يجىء اليه من بعض أعماله فابطأ عليه فكتب اليه أبو العتاهية هذه الابيات

يا ابن العلاء ويا ابن القرم مرداس * انى مدحتك فى صحبى وجلاسى
اثنى عليك ولى حال تكذبنى * فيما أقول فاستحيى من الناس
حتى اذا قيل ما أعطاك من صفد * طأطأت من سوء حال عندها راسى

وفى احترام الضيف ظل رائق
ان الذى يحملها لمائق

ثم قال له اجلس يا بربرى فجلس وقد غضب فقال له أيها الامير ان الناس يرغبون فى هذه المنزلة ليدفعوا عن أنفسهم الضيم وأما اذا صارت جالبة للذل فلنا دور تسعنا وتغنينا عنكم فان حلتم بيننا وبينها فلنا قبور تسعنا لا تقدرون على أن تحولوا بيننا وبينها ثم وضع يديه فى الارض وقام من غير أن يسلم ونهض الى منزله قال فغضب الامير وأمر بعزله عن الوزارة ورفع دسته الذى كان يجلس عليه وبقى كذلك مدة ثم ان الامير عبد الله وجد على فقده لعفافه وأمانته ونصيحته وفضل رأيه فقال للوزراء لقد وجدت لفقد سليمان تأثيرا وان أردت استرجاعه وتبرأ منا كان ذلك غضاضة علينا ولوددت أن يبدأ نا بالرغبة فقال له الوزير أبو محمد بن الوليد بن غانم ان أذنت لى فى المسير اليه استنهضته الى هذا فأذن له فنهض ابن غانم الى دار ابن انسوس وكانت رتبة الوزارة بالاندلس أيام بنى أمية ألا يقوم الوزير الا لوزير مثله فانه كان يتلقاه وينزله معه على مرتبته ولا يحجبه ولا لحظة فابطأ الاذن على ابن غانم حينا ثم أذن له فدخل عليه فوجده قاعدا فلم يتزحزح له ولا قام اليه فقال له ابن غانم ما هذا الكبر عهدى بك وانت وزير السلطان وفى أبهة رضاه تتلقانى على قدم وتتزحزح لى عن صدر مجلسك وأنت الآن فى موجدته بضد ذلك فقال له نعم لانى كنت حينئذ عبدا مثلك وأنا اليوم حر قال فيئس ابن غانم منه وخرج ولم يكلمه ورجع الى الامير فأخبره

فقال عمر ولحاجبه اكففه عنى اياما ففعل فلما طال على أبى العتاهية الانتظار كتب اليه يستحثه

أصابت علينا جودك العين ياعمر و * فنحن لها نبغى التمائم وا نشر
اصابتك عين من سحائك صلبة * ويارب عين صلبة تفلق الحجر
سنرقيك بالاشعار حتى تملها * وان لم تفق منها رقيناك بالسور

فضحك عمرو وقال لصاحب بيت ماله كم عندك قال سبعون ألفا قال ادفعها اليه واعذرنى عنده ولا تدخله على فانى استحى منه (ولقد) أحسن ابن الرومى فى مدح من رأى انه قصر فى عطائه فاعتذر منه

يعطى عطاء المحسن الخضل الندى * عفوا ويعتذر اعتذار المذنب

(وما وقفت) فيما طالعت من كتب الادب على أحسن من قول القائل معتذرا من تقصيره فى معروف أسداه

لوانبسطت فيما تؤمله يدى * لجدت به عفوا ولو أنه الدنيا
ولكننى والله والذى * اليه الحجيج يقطعون الفلا سعيا
طويت هموما لو أصيب ببعضها * يد الدهر ما استطاعت لايسر ها طيا
خذ العفو واعذر صاحبا لو بنفسه * يبر والدنيا غلا ملك لاستحيا

(آخر) خل اذا جئته يوما لتسأله * أعطاك ما ملكت كفاه واعتذرا
يخفى صنائعه والله يظهرها * ان الجميل اذا أخفيته ظهرا

(وحكى) بحظه البرمكى قال أنشد مقدس الحلوقى طاهر بن الحسين بن مصعب بن زريق مولى طلحة الطلحات الخزاعى يمدحه فلم يثبه وتغافل عنه حتى ركب فى حراقته فعارضه وقال له بحق رأس أمير المؤمنين الاسمعتنى ثلاثة أبيات فأمر بايقاف الحراقة وقال هات الابيات فأنشده

عجبت لحراقة بن الحسين كيف تسير ولا تغرق
وبحران من فوقها واحد * وآخر من تحتها مطبق
واعجب من ذاك عيدانها * اذا مسها كيف لا تورق

فأمر له عن كل بيت بألف دينار (وكان) طاهر بن الحسين من الاجواد ذكر انه جلس فى مجلسه يوما فانظر فى قصص ورقاع ووقع عليها بصلات أحصيت فكانت ألف ألف درهم (ركب الرشيد) فى بعض اسفاره ناقة فطلع عليه اعرابى فناشده

اغيثا تحمل الناقة أم تحمل هرونا
أم الشمس أم البدر * أم الدنيا أم الدينا
الا كل الذى قلته قد أصبح مأمونا

فأمر له بعشرة آلاف درهم (قام رجل) بين يدى خالد بن عبد الله القسرى فقال أصلح الله الامير قد قلت فيك بيتين ولست أنشدهما حتى تعطينى قيمتهما قال وكم قيمتهما قال عشرون ألفا قال أنشدهما فأنشد

قد كان آدم قبل حين وفاته * أوصاك حين تجود بالحوباء
ببنيه أن ترعاهم فرعيتهم * فكفيت آدم عيلة الآباء

فأمر له بعشرين ألفا وأن يجلد خمسين سوطا وان ينادى عليه هذا جزاء من لا يحسن قيمة الشعر (وقف اعرابى) لمعن بن زائدة فى طريقه فأنشده

ياواحد العرب الذى * أضحى وليس له نظير
لو كان مثلك فى الورى * ما كان فى الدنيا فقير

فأمر له بألفى درهم (ومن حكاياته) ان رجلا قال له انى جعلت فصلك سببى اليك وكرمك

فابتدأ الامير بالارسال اليه ورده الى أفضل مما كان عليه (لما) جاءت الخلافة هشام بن عبد الملك سجد من معه غير الابرش الكلبى فقال له هشام ما لك لم تسجد يا ابرش فقال مالى وللسجود يا أمير المؤمنين بينا أنت صاحبى اذ ذهبت فى السماء وتركتنى قال فان ذهبنا بك معنا أو تفعل قال نعم قال فالآن طاب السجود فسجد (قال أحمد بن اسمعيل بن على) كان أبى ومشايخ أهلى يجلسون مع أبى جعفر المنصور وكان احداثنا يجلسون دون ذلك وكان يتفقد من أمورنا ما كان يتفقده من أمور ولده حتى يستقرى أحدنا ويسأله ما بلغ من القرآن واذا أدرك المدرك مناخيره بين أن يسريه و بين أن يزوجه ويتعاهدنا حتى يبعث بفاكهة الشام وخراسان وكنا نصل بالغداة والعشى نجلس فى مجلسه حتى يخرج الينا واناصرنا فى مجلسه ذات يوم كعادتنا جلسنا ننتظر خروجه اذ أفاض أبى وعمومتى فى استبطائه واستئثاره عليهم فأطنبوا فى ذلك وكان المتوكل بالباب سليم الاسود يرفع الستر اذا جاء فانت من سليم غفلة وجاء وهو يتسمع عليهم ففهم ماهم فيه و وثب سليم ايرفع الستر فأمسك بيده ومنعه من رفعه حتى استوعب سمعه جميع ما كانوا فيه فلما انقضى كلامهم أمر سليما برفع الستر ودخل فقاموا اليه كنحو ما كانوا يفعلون فقال ما هذا انما ينبغى أن تفعلوا هذا بحضرة العامة لتشدوا بذلك سلطانكم فأما المجالس الحلوة فنحن فيها اخوة ثم أمرهم بالجلوس وأقبل عليهم وقال يا عمومتى يا اخوتى قد سمعت

وسيلتي عندك قال سل قال ألف درهم قال معن قد أربحتني أربعة آلاف درهم وانى حدثت نفسي ان أعطيك خمسة آلاف فقال أنت أكبر من أن تربح على مؤملك فأعطاه خمسة آلاف درهم (وأنشد اعرابي)

كنت نعم بابك حين تدعو * اليك الناس مسفرة النقاب
وقلت لاعليك بباب غيري * فانك لن ترى أبدا ببابي

فأعطاه ألف دينار (وحدث بعضهم) قال كنا مع يزيد بن مزيد فاذا بصائح في الليل يا يزيد بن مزيد فقال علي بهذا الصائح فلما جيء به قال له ما حملك على أن ناديت بهذا الاسم فقال نفقت دابتي ونفدت نفقتي وسمعت قول الشاعر فتمنيت به فقال له وما قال الشاعر فأنشد

اذ قيل من للجود والجود والندى * فناد بصوت يا يزيد بن مزيد

فلما سمع مقالته هش له وقال له أتعرف يزيد بن مزيد قال لا والله قال أنا هو وأمر له بفرس أبلق كان معجبا به وبمائة (قام اعرابي) بين يدي داود بن المهلب وقال اني قد مدحتك فاسمع قال على رسلك ثم دخل بيته فتقلد سيفه وخرج ثم قال قل فان أحسنت حملناك وان أسأت قتلناك فأنشد

أمنت بداود وجود يمينه * من الحدث المخشي والبؤس والفقر
وأصبحت لا أخشى بداود نبوة * من الدهر لما أن شددت به أزرى
له حكم داود وصورة يوسف * وملك سليمان وعدل أبي بكر
فتى تفرق الاموال من جود كفه * كما فرق السلطان من ليلة القدر

فقال له قد حملناك فان شئت على قدرنا وان شئت على قدرك قال بل على قدري فأعطاه خمسين فقال له جلساؤه هلا احتكمت على قدر الامير قال لم يكن في ماله ما يفي بقدره فقال له داود أنت في هذا أشعر منك في شعرك وأمر له بمثل ما أعطاه (وقد رحل) على بعض الامراء فسأله حاجة فقضاها ثم سأله أخرى فقضاها حتى قضى له سبع حاجات فلما خرج من عنده قيل له ما فعل بك قال ما أدري ثم قال

لكن أخبركم عنه بنادرة * لم يأتها قبله عرب ولا عجم
قرأت عليه كتابا منه كاتبه * الى أخ وجبت منه له نعم
حتى اذا ما مضت لا في رسالته * قال اسمع ثم لا عضى بك الصمم
لا تكتبن بلا فيها الى أحد * شق الكتاب ومن فليكسر القلم

(وفد أعرابي) على مالك بن طوق وكان رث الحال رث الهيئة فمنع من الدخول اليه فاقام بالرحبة أياما فخرج مالك ذات يوم يريد النزهة حول الرحبة فعارضه الاعرابي فمنعه الشرطة ازدراء به فلم يثن عنه حتى أخذ بعنان فرسه ثم قال أيها الامير أنا عائذ بك من شرطك فنهاهم عنه وأبعدهم منه ثم قال له هل من حاجة قال نعم أصلح الله الامير قال ما هي قال أن تصغي الي بسمعك وتنظر الي بطرفك وتقبل علي بوجهك قال نعم فانشده

ببابك دون الناس أنزلت حاجتي * وقلت واسعى نحوه وأطوف
ويمنعني الحجاب والليل مسبل * وأنت بعيد والرجال صفوف
يطوفون حولي بالقلوب كأنهم * ذئاب جياع بينهن خروف
فاما وقد أبصرت وجهك مقبلا * وأصرف عنه انني لضعيف
ومالي من الدنيا سواك ومالمن * تركت ورائي مربع ومصيف
وقد علم الحيان قيس وخندف * ومن هو فيها نازل وحليف
تخطيت أعناق الملوك ورحلتي * اليك وقد خنت علي صروف

ما كنتم فيه وقولكم استأثر علينا ولعمري لقد كان ذلك وما استئثاري عليكم الا لكم واقمع عدوكم واشفاقا من ذهاب سلطانكم وزوال أموالكم وانما أبكي لكم رقة عليكم فكأني بالرجل منكم ومن أبنائكم أو من أبناء أبنائكم بين يدي الرجل من ولدي أو ولد ولدي ينتسب له ولا يعرفه حتى لعله أن يبلغ علي بن عبد الله بن العباس قال فذهبوا ليتكلموا فقال أقسمت عليكم لما سكتم أفيضوا بنا في غير هذا الحديث فقطعهم أن يتكلموا وضرب الدهر ضربانه ومات المنصور وولي المهدي ومات وولي الهادي ثم مات وولي الرشيد وخرج الرشيد الى الرقة ونالتنا جفوة ولزمني دين فخرجت اليه الى الرقة فكان أول ما لقيت موكبا عظيما فقلت لمن هذا فقيل لي هذان وليا العهد الامين والمأمون فترجلت وسلمت عليهما فقال الامين أنت فقلت أحمد بن اسماعيل بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب وبكيت فانتهى الخبر من ساعته الى الرشيد فلم أصل الى منزلي حتى لقيني رسوله يدعوني فلما دخلت عليه فقال لي لم بكيت قلت يا أمير المؤمنين كان من القصة كيت وكيت وسقت اليه خبر المنصور وبكيت اذ كنت أنا المبتلي بذلك دون من حضره فقال لي هما ابنا أخيك وهي عورة فاسترها وان تسئل عن نسبك بعد اليوم ما أقدمك قلت دين لزمني قال وكم هو قلت عشرين ألف دينار فقال يا غلام احملها اليه الساعة واجعل معها خمسة آلاف دينار لنقطه الحديث عن المنصور هل من حاجة لك غير ذلك قلت

فجئتك أبغي الخير منك فهزني * ببابك من ضرب العبيد صنوف
فلا تجعلن لي نحو بابك عودة * فقلبي من ضرب العبيد مخوف

فاستضحك مالك حتى كاد يسقط عن فرسه ثم قال لمن حوله من يعطيه درهما بدرهمين وثوبا بثوبين فنثرت الدراهم ووقعت الثياب عليه من كل جانب حتى تحير الاعرابي واختلط عقله لكثرة ما أعطي فقال هل بقيت لك حاجة يا أعرابي قال أما إليك فلا قال فالي من قال الى الله أن يبقيك للعرب فانها لاتزال بخير ما بقيت لها (وحكى) أبو بكر المارداني قال كنت أساير الامير أبا الجيش خمارويه بن أحمد بن طولون وكان قد خرج الى الصيد بدمشق اذ تلقاه أعرابي فاخذ بعنان فرسه وقال

ان السنان وحد السيف لو نطقا * لاخبرا عنك في الهيجاء بالعجب
أقلت مالك تعطيه وتنهبه * يا آفة الفضة البيضاء والذهب

فقال يا غلام اعطه ما معك فأعطاه خمسمائة دينار فقال يا أمير المؤمنين زدني فقال لمن معه من غلمانه اطرحوا له ما معكم من المناطق والسيوف فحصل له منهم ما عجز عن حمله (وقال) علقمة بن عبد الرزاق العليمي قصدت بدر الجمالي بمصر فرأيت أشراف الناس وكبراءهم وشعراءهم قد طال مقامهم على بابه ولم يؤذن لاحد منهم فبينما هم جلوس اذ خرج يريد الصيد فأقمت حتى رجع من صيده فلما قارب دخول البلد خرجت اليه ووقفت على نشز عال من الارض وأومأت اليه برقعة فوقف فأنشدته

نحن التجار وهذه أعلاقنا * در وجود يمينك المبتاع
قلّد وفتشها بسمعك انما * هي جوهر تختاره الاسماع
كسدت علينا بالشآم وكلما * كسد المتاع تعطل الصناع
فأتتك تحملها اليك تجارها * ومطيها الآمال والاطماع
حتى أناخو نحو بابك والرجا * من دونك السمسار والبياع
فبذلت ما لم يعطه في دهره * هرم ولا كعب ولا القعقاع
وطلبت هذا الخلق في طلب العلى * والناس بعدك كلهم أتباع

فلما فرغت من انشادها سار قليلا ثم وقف فاستعادها مني فلما دخل داره واستقر به الجلوس استدعاني فأعدتها فقال لمن كان عنده من خواصه وغلمانه واتباعه من أحبني فليخلع عليه فخلع علي مائة خلعة ووصلني بعشرة آلاف درهم (وحبس) الحجاج بن يوسف يزيد بن المهلب لباق عليه كان بخراسان وأقسم ليستأدينه كل يوم مائة ألف درهم فبينما هو يدحيها له ذات يوم اذ دخل عليه الاخطل فانشده

أبا خالد ضاقت خرسان بعدكم * وقال ذو والحاجات أين يزيد
وما قطرت بالشرق بعدك قطرة * ولا اخضر بالمرين بعدك عود
وما لسرير بعد بعدك بهجة * وما لجواد بعد جودك جود

فقال يا غلام اعطه المائة ألف درهم فانا نصبر على عذاب الحجاج ولا نخيب الاخطل فبلغت الحجاج فقال لله در يزيد لو كان تاركا للسخاء يوما لتركه اليوم وهو يتوقع الموت (ومن أخبار يزيد) أن الفرزدق دخل عليه وهو محبوس فلما رآه مقيدا قال له

أصبح في قيدك السماحة والـ * ـجود وحمل الديات والحسب
لا بطر ان تتابعت نعم * وصابر في البلاء محتسب

فقال له يزيد ويحك ما أردت بمدحتي وانا على هذه الحالة فقال الفرزدق وجدتك رخيصا فأحببت أن أسلفك بضاعتي فرمى اليه بخاتم كان في أصبعه قيمته ألف دينار

أودع أمير المؤمنين وانصرفت (ركب) جلال الدولة يوما الى الصيد على عادته فلقيه سوادي يبكي فقال له مالك فقال لقيني ثلاثة غلمان أخذوا الي حمل بطيخ كان معي هو بضاعتي فقال امض الى العسكر فهناك قبة حمراء فاقعد عندها ولا تبرح الى آخر النهار فأنا أرجع وأعطيك ما يغنيك فلما عاد السلطان قال لنائبه اني قد اشتهيت بطيخا ففتش العسكر وفتش الخيام على شيء منه وأخذ البطيخ فقال عند من وجدتموه قيل له في خيمة فلان الحاجب فقال احضروه وأحضر فقال له من أين هذا البطيخ فقال ان الغلمان جاؤا به فقال أريدهم الساعة فأحسوا بالشر فهربوا خوفا من أن يقتلهم فقال احضروا السوادي فأحضر فقال له هذا هو بطيخك الذي أخذ منك قال نعم قال خذه وهذا الحاجب مملوك لي وقد سلمته اليك ووهبته لك حين لم يحضر الذين أخذوا البطيخ منك والله لئن خليته لاضربن عنقك فأخذ السوادي بيد الحاجب وخرجا فاشترى الحاجب نفسه منه بثلثمائة دينار فعاد السوادي الى السلطان وقال يا مولاي قد بعت المملوك الذي وهبت لي بثلثمائة دينار قال ورضيت بذلك قال نعم قال اقبضها وامض بالسلامة (لما) ولى معاوية عمرا مصر احتبس في بعض الاعوام خراجها عن معاوية فعزم على عزله عنها وأراد استعمال أبي الاعور السلمي عليها وكتب الى عمرو بالتسليم فلما بلغ عمرا الخبر أحضر وردان غلامه فقال له ان أمير المؤمنين قد عزلنا واستعمل أبا الاعور فهل

وقال لي هو بحلّ امسكه الى أن يأتيك رأس المال (ودخل) جيفران واسمه جعفر بن على كركرى على أبي دلف فأنشده

يا أكرم الامة موجودا * و يا أعز الناس مفقودا
لما سألت الناس عن سيد * أصبح بين الناس محمودا
قالوا جميعا انه قاسم * أشبه آباء له صيدا
لو عبد الناس سوى ربهم * لكنت في العالم معبودا

فقال له أحسنت يا غلام أعطه ألف درهم فقال أيها الامير وما أصنع بها مر الغلام يأخذها و يعطيني منها كل يوم عشرة دراهم الى ان تنفد فقال أبو دلف اعطوه الالف ومتى جاء كم أعطوه ما سأل فأكب جيفران على يده يقبلها وقال

يموت هذا الذى أراه * وكل شئ له نفاد
لو ان خلقا له خلود * عمر ذا المفضل الجواد

﴿المختار من غرر نوعي الكلام في استنجاز ما تأخر من صلات الكرام﴾

(يحكى) أن الاحنف بن قيس قدم على معاوية فأقام شهرا لا يسأله فيما جاء فقال يا أمير المؤمنين انك ترعيني مرعى وبيلا و تردني ظمأ طوبلا فأيأس ور واح أم حبس ونجاح تقضي حاجته (ووقف) اعرابي على رحل يستجديه فقال اني امتطيت اليك الرجاء وسرت على الامل ووفدت بالشكر وتوسلت بحسن الظن فحقق الامل وأحسن المثوبة وأقم الاود وعجل السراح (وقال بعض الشعراء يستنجز)

جعلت فداك فدوجب الزمام * وقد طال التلبث والمقام
وقد أزف الرحيل الى بلادى * فرأيك لاعدمتك والسلام

(المتنبي) لقد نظرتك حتى حان مرتحلي * وذا الوداع فكن أهلا لما شئتا

(وكتب آخر يستجدي) بنا الى معروفك حاجة ولك على صلتنا قوة فانظر في ذلك بما أنت له أهل ونحن له أهل (وطلب العتابي) من صديق له حاجة فقضى له نصفها ومطله بباقيها فكتب اليه

بسطت لساني ثم أمسكت نصفه * فنصف لساني بامتداحك مطلق
فان أنت لم تنجز عداتي تركتني * وباقي لسان الشكر باليأس مطلق

(وقال أبو تمام حبيب بن أوس الطائي)

ان ابتدا المعروف مجد باسق * والمجد كل المجد في استتمامه
هذا الهلال يروق أبصار الورى * حسنا وليس كحسنه لتمامه

(وكتب بعضهم يستنجز) حقيق على من أزهر بقول أن يثمر بفعل والسلام (وفد) بشار بن برد على يحيى بن خالد فامتدحه فوعده خالد ومطله فتصدّى له في طريقه وهو يريد الجامع وأخذ بعنان بغلته وأنشد

أظلت علينا منك يوما سحابة * أضاء لها برق وابطا رشاشها
فلا غيمها يجلى فييأس طامع * ولا غيثها يهمي فتروى عطاشها

فقال لن تنصرف السحابة حتى تبلك يا أبا معاذ وأمر له بعشرة آلاف درهم (ولبشار أيضا يستنجز)

هززتك لا أني وجدتك ناسيا * لامري ولكني أردت التقاضيا
ولكن رأيت السيف من بعد سله * الى الهز محتاجا وان كان ماضيا

عندك من حيلة قال نعم اذا قدم عليك فاصنع له طعاما ولا تنظر له في كتاب حتى يأكل ودعنا نستعمل عليه الحيلة فلما قدم أبو الاعور على عمرو قال له هذا كتاب أمير المؤمنين قال عمرو لو جئتنا بغير كتاب لصدقنا مقالتك قال انظر في الكتاب قال ما أنا ناظر لك فيه حتى تأكل قال فدعا عمرو بالطعام و وضع أبو الاعور كتابه وعهده الى ناحية وأقبل على الطعام يأكل بجفاء وردان فسرق الكتاب والعهد فلما فرغ أبو الاعور من طعامه أقبل يطلب الكتاب والعهد فلم يجدهما فقال أين كتابي وعهدي قال له عمرو مه يا أبا الاعور انما جئتنا زائرا فحسن جائزتك فاضطرب من ذلك أبو الاعور ثم صار الى ان قبل الجائزة وبلغ ذلك معاوية فضحك حتى استلقى وأقر عمرا على ما كان عليه من ولاية مصر (حكى) بكر ابن عبد الله المزني ان رجلا كان يقف على رأس بعض الملوك و يقول احسن الى المحسن باحسانه والمسيء سيكفيكه مساعيه وكان الملك يحسن اليه فحسده رجل من أصحابه على مقامه وتمنى أن يكون مكانه في مقامه فبغى عليه الى الملك أشد البغي وسعى في حتفه أبلغ السعي حتى تغير عليه الملك وكان لا يكتب بخط يده الا في صلة أو جائزة فكتب بخط يده الى بعض عماله لشدة حنقه اذا وصلك كتابي هذا فاذبح حامله واسلخه واحش جلده تبنا وابعث به الى ودفعه الى ذلك القائم على رأسه فأخذه وخرج به فلقيه الساعي عليه فقال له ما هذا قال خط يد الملك الى عامله فلان فقال هبه لي

(ولبشار أيضا)

فيك للمجد شيمة قد كفتني * منك عند اللقاء بالمتقاضي
فاذا المجد كان عوني على المر * ء تقاضيته بترك التقاضي

(المفجع البصري يستنجز)

أيها السيد عش في غبطة * ما تغنى طائر الايك الغرد
لي وعد منك لا تنكره * فاقضه أنجز حر ما وعد
أنت أحييت بمبذول الندى * سنن الجود وقد كان همد
فاذا صال زمان أو سطا * فعلى مثلك مثلي يعتمد

(أبو الحسن بن أبي البغل)

وعدت فأنجز ولا تبلني * بكد التقاضي وذل السؤال
وصن وجه حر براه الزمان * بأنيابه مثل بري الهلال
فان ضاق مالك عن رفده * فجاهك أوسع من كل مال

(ابن الرومي)

يا من تزينت الدنيا بطلعته * وأصبحت منه في حلي وفي حلل
أوراد بحركم مثلي ومنصرف * في الواردين بلا عل ولا نهل
وأنت تعلم أن الصبر من صبر * فامزجه بالنجح ان النجح من عسل

(قصد) أحمد بن الجليل سليمان بن حبيب بن المهلب مستجديا فأخر عنه مدة فكتب اليه مستنجزا

وردا العفاة المعطشون وأصدروا * ريا وطاب لهم لديك المكرع
وأراك تمطر جانبا عن جانب * وفناء أرضي من سمائك بلقع
ألنقص منزلتي تؤخر حاجتي * أم ليس عندك لي لخير مطمع

(أبو تمام الطائي)

سحاب خطاني جوده وهو صيب * وبحر عدا في سيله وهو مفعم
وبدر أضاء الارض شرقا ومغربا * وموضع رجلي منه أسود مظلم

(آخر) مالي ظمئت وبحر جودك زاخر * سهل مشارعه على الوراد
ما كان أجمل بالتجمل ملبسي * وأعف في طلب القناعة زادي
لولا زمان أزمنت حالي له * نوب تراوح تارة وتغادي
وأرى فراخا ضاق بي أوكارها * وكذا البغاث كثيرة الاولاد

(آخر) أمرت بأن أقيم على انتظار * لرأيك انه الرأي الاصيل
ورافيت الرسول وقلت اني * سيأتيني فما جاء الرسول
فليس لغير أمرك لي مقام * ولا عن غير ذاتك لي رحيل
وقد أوقفت عزمي والمطايا * فقل شيأ لافعل ما تقول

(المعري) عليك مؤيد الدين اعتمادي * فلا تحتج الى كذب الاعادي
تمادى المطل والآمال درع * وطول الانتظار من الحداد
وقد أزف الرحيل وأنت كهفي * ومن جدواك راحلتي وزادي
زففت اليك أبكار المعاني * فزف الي أبكار الايادي

(آخر) يا جابرا لعظم اذا العظم انكسر * وباعش الجد اذا الجد عثر
أنت ربيعي والربيع ينتظر * وخير أنواع الربيع ما بكر

(أبو تمام) علي بفضلك فادحوك حاجتي * فأتت مسيئتي عقيب ثنائي

بفضلك واحيني به فاني محتاج اليه وأنت غني عنه فرق له ودفعه اليه فأخذه وذهب به فرحا مسرورا فلما قرأه العامل قال أتعرف ما في كتابك قال صلة الامير المعلومة من خط يده قال بل أمرني فيه أن أذبحك وأحشو جلدك تبنا وأوصل به اليه فقال له اتق الله في دمي فان الكتاب لم يكن لي فراجع الملك في أمري قال ليس لكتاب الملك مراجعة الا انفاذ أمره لاسيما اذ كان بخط يده وأمر بانفاذ ما في الكتاب قال وجاء ذلك الرجل على عادته وقام على رأس الملك وجعل يقول أحسن الى المحسن باحسانه والمسيء سيكفيكه مساعيه فلما رآه الملك قال ما فعل الكتاب الذي كتبت لك بخط يدي قال له لقيني فلان فاستوهبه مني فوهبته له قال له الملك انه ذكر لي عنك أمر كذا وسعى عليك بوجه كذا فأوضح الرجل براءته مما نسب اليه وبين حجته في تكذيب سعيه عليه حتى تبين له أمره وظهر عنده صدقه وجيء بجلد الباغي محشوا تبنا فقال له الملك صدقت وصدقت موعظتك قم كما أنت تقوم وقل كما كنت تقول (قال الاصمعي) تطاول رجل من قريش على رجل من أخلاط الناس عند عمر بن الخطاب رضي الله عنه فجعل القرشي يقول أنا من معتلج البطاح وأنا وأنا فغاظ ذلك عمر فقال له يا هذا ان كان لك عقل فلك حسب وان كان لك خلق فلك شرف وان كان لك تقوى فلك كرم والا فلست خيرا من أحد وذلك الحمار خير منك ثم قال عمر ان أحبكم الينا قبل ان نراكم أحسنكم اسما فاذا

فامنن على بنجح ما أملته * ياسيدى ومعولى ورجائى

(آخر) أجرنى لاعدمتك من مطالك * ودعنى من صدودك واعتلالك
لقد كثرت عداتك ثم طالت * فهل وعد يكون لها فذلك

(ابن الرومى)

كم ظهر ميت مقفر جاوزته * خلات ربعا منك ليس بمقفر
جود بجود السيل الا أن ذا * كدر وان نداك غير مكدر
الفطر والاضحى قد انسلخا ولى * أمل ببابك صائم لم يفطر
عام ولم ينتج نداك وانما * تتوقع الحبلى لتسعة أشهر
حسبى ببحر واحد اغرق فى * بحر احيس به بسبعة أبحر

(ومن) أحسن ما استجدى به الاجواد وبلغ به غاية الامل والمراد ما كتب به كلثوم بن عمرو العتابى الى صديق له يستمنحه أما بعد أطال الله بقاءك وجعله يمتد بك الى رضوانه والجنة فانك كنت عندنا روضة من رياض الكرم تبتهج النفوس بها وتستريح القلوب اليها وكنا نعفيها من النجعة استتماما لزهرتها وشفقة على خضرتها وادخارا لثمرتها حتى أصابتنا سنة كانها من سنى يوسف فكذبتنا غيومها وأخلفتنا بروقها فانتجعتك وانى بانتجاعى اياك لشديد المقة بك عظيم الشفقة عليك مع علمى بانك غاية أمل القصاد وأعذب مناهل الوراد وأقول ما قال حماد عجرد

ظل اليسار على العباس ممدود * وحظه أبدا بالسعد معقود
ان الكريم ليخفى عنك عسرته * حتى تراه غنيا وهو مجهود
وللبخيل على أمواله علل * زرق العيون عليها أوجه سود
اذا تكرمت عن بذل القليل ولم * تقدر على سعة لم يظهر الجود
بث النوال فلا تمنعك قلته * فكل ما سد فقرا فهو محمود

قال فشاطره ماله حتى احدى نعليه ونصف قيمة خاتمه (وكتب آخر) الوعد أيسر مغارم الجود وأخف محمول على عاتق الكرم المرفود والمنة يعرب به وقد أسلف المطل آماله وأوسع لخطو الندى مجاله وارتوى ببارق المزن قبل المطر واكتفى بورق الغصن دون الثمر فأى عذر للسماح اذا حرمه طالبه وجفى عنه جانبه وقد وجد المسلك الى المطلوب سهلا والطالب لما يتعلق به الوعد أهلا شاعر

لا أقتضيك الى السماح لانه * لك عادة لكنما أنا مذكر
وكن السحاب اذا تمسك بالحيا * رغبوا اليه بالدعاء فيمطر

(أتى) على بن الجهم رجل فسلم عليه وقال له وعدتنى وعدا ان رأيت أن تنتجه فافعل فقال ما أذكر هذا الوعد فقال له الرجل صدقت فأنت لا تذكر لان من قصدك مثلى كثير وأنا لا أنسى لان من أسأله مثلك قليل فأعجبه كلامه وقضى حاجته فأنشد

فلقد قصدتك راجيا فى حاجتى * ما يرتجيه الطالب الملهوف
فسررتنى وبررتنى بنجاحها * وكذا يكون الجود والمعروف

(آخر) بدأت بتسهيل وثنيت بالرضا * وثلثت بالحسنى وربعت بالكرم
وحققت لى ظنى وأنجزت موعدى * وابعدت لا عنى وقربت لى نعم

(آخر) يامن سهرت الليالى فى الدعاء له * حتى انتهى أمره السامى على الامم
انظر الى بعين لو نظرت بها * الى الليالى نجت من قبضة الظلم
حتى أقول لصرف الدهر كيف ترى * تقابل السادة الاحرار بالخدم

رأيناكم فأحسنكم صمتا فاذا تكلمتم فأبينكم منطقا فاذا اختبرناكم فأحسنكم عملا أحب الينا وشركم عملا أبغض الينا سرائركم بينكم وبين ربكم (قال اياس بن معاوية) خرجت فى سفر ومعى رجل من الاعراب فلما كان فى بعض المناهل لقيه ابن عم له فتعاتبا والى جانبهما شيخ من الحى فقال لهما الشيخ انعما عيشا ان المعاتبة تبعث التجنى والتجنى يبعث المخاصمة والمخاصمة تبعث العداوة ولا خير فى شئ ثمرته العداوة فقلت للشيخ من أنت فقال أنا ابن تجربة الدهر فقلت ما أفادك الدهر قال العلم به قلت فأيه أحمد قال أن يبقى المرء أحدوثة حسنة بعده (روى ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه) قدم الشام على حمار ومعه عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه على حمار فتلقاهما معاوية فى مركب له ردفعاوز عمر حتى أخبر فرجع اليه فلما قرب منه نزل فاعرض عنه عمر وتركه يمشى فقال له عبد الرحمن أتعبت الرجل يا أمير المؤمنين فأقبل على معاوية فقال له أنت صاحب المركب آنفا مع ما بلغنى من وقوف ذوى الحاجات ببابك قال نعم يا أمير المؤمنين قال ولم ذلك قال لانا فى بلاد لا نمتنع فيها من جواسيس العدو ولا بد لهم مما يرهبهم من هيبة السلطان فان أمرتنى بذلك أقمت عليه وان نهيتنى انتهيت فقال يا معاوية ما عاتبتك فى شئ يبلغنى عنك الا تركتنى منه فى أضيق من رواجب الضرس فان كان الذى قلت حقا فرأى أريب وان كان باطلا لخدعة أديب ولست

(آخر) ان أنت لم تحدث الى يدا * حتى أقوم بشكر ما سلفا
لم أحظ منك بنائل أبدا * ورجعت بالحرمان منصرفا

وفيما ذكرناه من هذه الملح كفاية اذ المحاسن لا يفضي الباحث عنها الى غاية ولو استقصينا ذكر ما أمطرته أكف الاجواد من سحائب الجود لخرجنا عما نحوناه عن الغرض المقصود

(ومما يحسن الحاقه بهذا الفصل اطلاق اللسان بشكر أهل الاحسان والفضل) * قال الله تعالى ولا تنسوا الفضل بينكم قال بعض المفسرين انه شكر اصطناع المعروف وفي الحديث المشهور والنبا المأثور من ذكر معروفا فقد شكره ومن ستره فقد كفره (وقال) عليه الصلاة والسلام من كانت عنده نعمة فليكافئ عليها فان لم يقدر فليثن فان لم يفعل فقد كفر النعمة (وقال) لقمان لابنه يابني المعروف غل لا يفكه الا شكر أو مكافأة (وقالوا) المعروف رق والمكافأة عتق وقال الشاعر

كلما قلت أعتق الشكر رقي * صيرتني لك المكارم عبدا
فان عمر الزمان حتى أؤدي * شكر احسانك الذي لا يؤدي

(ويقال) الشكر وان قل ثمن كل نوال وان جل (ويقال) الشكر تميمة لتمام النعمة (وقال) أبو بكر الخوارزمي اذا قصرت يدك بالمكافأة فليطل لسانك بالشكر (وقالوا) موقع الشكر من النعمة موقع القرى من الضيف ان وجده لم يرم وان فقده لم يقم (وما أحسن قول من قال) الشكر غرس اذا أودعه أذن الكريم أثمر بالزيادة وحفظ العادة والسعيد من اذا أظلته نعمة لم يلته بسكرها عن شكرها (وقالوا) لا بقاء للنعمة اذا كفرت ولا زوال لها اذا شكرت (ابن المعتز) شكرك نعمة سالفة يقتضي لك نعمة مستأنفة (وقال) أبو بكر الخوارزمي قد أراحني الشيخ ببدره لكن أتعبني بشكره وخفف ظهري من ثقل المحن لا بل أثقله بأعباء المنن واحياني بتحقيق الرجاء لا بل أماتني بفرط الحياء فأنا له عتيق بل رقيق وأسير بل طليق (ومن كلامه) اللهم ارزقني زمانا أوسع من زماني ولسانا أفصح من لساني وبنانا أجرى من بناني حتى أقضي بالشكر حقوق اخواني ولا بذل الا بمجهود ولا جود الا من موجود ولكن الدعاء غاية من ضاق امكانه ولم يساعده زمانه فكيف يكافئ من قلت بسطته وعجزت قدرته وقطعت عن مسافة همته جدته (ولما) بلغ الصاحب اسماعيل بن عباد موت أبي بكر الخوارزمي قال

سألت بريدا من خراسان مقبلا * أمات خوارزميكم قال لي نعم
فقلت اكتبوا بالجص من فوق قبره * ألا لعن الرحمن من يكفر النعم

والذي أوجب قول الصاحب لهذين البيتين انه بلغه ان أبا بكر الخوارزمي قال فيه هذين البيتين

لا تمدحن ابن عباد وان هطلت * كفاه بالجود حتى جاوز الديما
فانها خطرات من وساوسه * يعطي ويمنع لا بخلا ولا كرما

فلما كفر بما أسدى اليه الصاحب بن عباد من المعروف ذكر هذين البيتين بعد موته

(ذكر من تبجح بذكر المعروف الذي أسدي اليه)
(وأقر بعجز لسانه عن شكر المنعم والثناء عليه)

(الثعالبي) شكري لا يقع في نعمه الظاهرة موقع النقطة من الدائرة لاشكرنك ملء القلب واللسان شكر حسان الى غسان لاشكرنك شكر الاسير لمن أطلقه والمملوك لمن أعتقه لاشكرنك شكر الرياض للديم وزهير لهرم (وقال آخر) لو استعرت الدهر لسانا والريح ترجمانا لا شيع احسانه حق الاشاعة لقصرت عنه يد الاستطاعة (قال) الامير أبو

آمرك به ولا أنهاك عنه فقال عبد الرحمن يا أمير المؤمنين لحسن ما صدر هذا عما أوردته فيه فقال عمر لحسن موارده ومصادره جشمناه ما جشمناه (حكي) انه شكا أهل بعض الاقطار الى المأمون واليا كان عليهم فقال لهم كذبتم فقد صح عندي عدله فيكم واحسانه اليكم فاستحيوا أن يردوا عليه قوله فقال له شيخ منهم يا أمير المؤمنين قد عدل فينا خمسة أعوام فاجعله في قطر غيره حتى يسع عدله جميع رعيتك وتربح الدعاء الحسن فضحك المأمون واستعفى منهم وصرفه عنهم (ووقف) شقيق بن سايك على الحجاج فقال أصلح الله الامير أعرني سمعك واغضض عني بصرك واكفف عني شرك وان سمعت خطأ او زللا فدونك والعقوبة قال هات قال عصى عاص من عرض العشيرة فحلق على اسمي وهدم منزلي وحرمت عطائي فقال الحجاج اما سمعت قول الشاعر

جانيك من يجني عليك وقد
تعدي الصحاح مبارك الجرب
ولرب مأخوذ بذنب عشيرة
ونجا المقارف صاحب الذنب

قال أصلح الله الامير سمعت الله عز وجل يقول غير ذلك قال وما سمعته يقول قال قال الله العظيم يا ايها العزيز ان له ابا شيخا كبيرا فخذ احدنا مكانه انا نراك من المحسنين قال معاذ الله ان نأخذ الا من وجدنا متاعنا عنده انا اذا لظالمون فقال الحجاج علي بيزيد بن مسلم فمثل بين يديه فقال له افكك لهذا عن اسمه واصكك له بعطائه وابن له منزله وأمر مناديا ينادي صدق الله

الفتيان محمد بن حيوس وأحسن كل الاحسان

سأشكر ما دام اللسان بطيعني * صنوفا أتت من جودك المتتابع
توالت على من لا يدل بخدمة * عليك ولا يدلى اليك بشافع

(وقال) ابراهيم بن المهدى مخاطبا للحسن بن سهل وقد شفع له عند المأمون

رددت مالى ولم تضنن على به * وقبل ردك مالى قد حقنت دمى
لئن جحدتك ما أوليت من حسن * انى لفى اللؤم أحظى منك فى الكرم

(آخر) مواهب لو انى كلفت نسخها * لافلست فى اقلامها ومدادها

(آخر) ولو ان لى فى كل منبت شعرة * لسانا يبث الشكر كنت مقصرا

(ابن عمرون)

طوقتنى منك الجميل قلائدا * وبررتنى حتى حسبتك والدا
والله لو حل السجود لمنعم * ما كنت الا راكعا لك ساجدا

(آخر) لو كنت أعرف فوق الشكر منزلة * أعلى من الشكر عند الله فى الثمن
اذا منحتكها منى مهذبة * حذوا على حذو ما أوليت من حسن

(آخر) لقد أفرطت فى برى * وقد قصرت فى الشكر
وشكرى عند احسانك * كالقطرة فى البحر

(آخر) اتظننى انسى اياديك التى * اهدت الى من الزمان أمانا
لا والذى جعل المحبة محنة * وهوى النفوس مذلة وهوانا

(وحبس الرشيد) العتابى على ذنب اقترفه لم يحتمله منه ولا أغضى له عنه فتناساه فى الحبس مدة فشفع فيه خالد بن يزيد بن مزيد فأطلقه فكتب العتابى اليه يشكره

مازلت فى غمرات الموت مطرحا * قد زال عنى لطيف الفكر من حيلى
فلم تزل دائما تسعى بلطفك لى * حتى اختلست حياتى من يدى أجلى

(أبو نواس)

قد قلت للعباس معتذرا * من ضعف شكر به ومعترفا
أنت امرؤ أحلتنى نعما * أوهت قوى شكرى فقد ضعفا
لا تسدين الى عارفة * حتى أقوم بشكر ما سلفا

(آخر) يا زينة الناس والدنيا وما جمعت * بالامر والنهى والقرطاس والقلم
بالله أقسم لو ملكت ألسنة * تبث شكرك من فرقى الى قدمى
لما وفيت بما أوليت من منن * ولا نهضت بما أسديت من نعم

الفصل الثالث من الباب التاسع
فى ذم السرف والتبذير اذ هما من سوء التدبير

(قال) الله تعالى ولا تبذر تبذيرا ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورا (وقال) صلى الله عليه وسلم من السرف ان تأكل كل ما اشتهيت (وقال) صلى الله عليه وسلم آفة الجود السرف *والسرف اسم لما جاوز الجود (وقالوا) السرف هو أن يكون الرجل لا يبالى فيما يشترى أو يبيع أو يغبن فيبيع بوكس ويشترى بفضل *وهذا كما قيل الحر يتغابن فى ابتياع الحمد ولا يتغابن فى الشراء والبيع (وقيل) لعبد الله بن جعفر انك تعطى الكثير اذا سئلت وتضيق فى القليل اذا عوملت فقال أجود بمالى وأضن بعقلى (وقالوا) السخاء خلق مستحسن مالم ينته الى سرف وتبذير فانه من بذل جميع

ما يملكه

وكذب الشاعر (عاد) المعلى بن أيوب صديقا له فرأى علة وخلة فأسرالى وكيله فقال اذهب وجئنى بخمسمائة درهم مختومة فى قرطاس فذهب وجاء بها ووضعها بين يديه فدفعها الى العليل وقال له هذا دواؤك فاستعمله ونهض ففتحها العليل عن منية المتمنى وغيره ما كان من حاله فلما كان الاسبوع عاده ثانيا فرآه متماثلا نشيطا فقال كيف وجدت الدواء قال ياسيدى وجدته نافعا لعلتى وحالى قال أتريد زيادة قال نعم يا مولاى فقال للوكيل اذهب وجئنا بمثل ذلك الدواء فذهب وجاء بخمسمائة اخرى فانشط العليل من عقال العلة وقال هذه اعادة حياة لا عيادة (وكان) لعمرو بن سعيد صديق ينقطع اليه فرأى ثوما ثوبه الذى يلى بدنه من تحت جبته فيه اثر بلى فلما انصرف من عنده وجه اليه بتخت من ثياب وصرة من دنانير فأخذها الرجل وكتب اليه

سأشكر عمرا ان تراخت منيتى
أيادى لم تمنن وان هى جلت
فتى غير محجوب الغنى عن صديقه
ولا مظهر الشكوى اذا النعل زلت
راى خلتى من حيث يخفى مكانها
فكانت قذى عينيه حتى تجلت

*(حكى) انه لما مرض الشافعى رضى الله عنه مرضه الذى مات منه قال لقومه اذا انامت فقولوا لفلان تغسلنى فلما توفى وبلغه الخبر قال ائتونى بتذكرته فجىء بها اليه فوجد فيها على الشافعى سبعون الف درهم دينا لفلان وفلان فكتبها الرجل على نفسه وقال هذا هو الغسل الذى اراده (ص) الشافعى) بسوق الحدادين بمصر

ماعلكه لمن لايستحقه لم يسم سخيا وانما يسمى مبذرا مضيعا (وقال معاوية) مارأيت سرفا قط الا والى جانبه حق مضيع (وقالوا) يوشك من أنفق سرفا أن يموت أسفا (وقالوا) ماوقع تبذير فى كثير الا هدمه ودمره ولا دخل تدبير فى قليل الا كثره وأثمره (وقال) معاوية لولده يزيد انك ان أعطيت مالك فى حق الحق يوشك أن يجيء الحق وليس معك ما تعطى فيه * وقالوا تطول ولا تطاول (وقال) أبو بكر رضى الله عنه انى لابغض أهل بيت ينفقون رزق الايام فى اليوم الواحد (وقالوا) السرف فى الانفاق يفسد من النفس بمقدار ما يصلح من العيش (وقال) عبد الله بن الزبير فى محاورة جرت بينه وبين ابن عباس ان السرف من طينة السخاء ولكنه جاوز الحق وما بعد الحق الا الضلال (وكان) أبو الاسود الدؤلى يقول يابنى اذا بسط الله عليك فابسط واذا أمسك عنك فأمسك ولا تجاوده فانه أكرم منك وأجود * واسم أبى الاسود ظالم بن عمرو ويعد فى التابعين والمحدثين والشعراء والنحويين والبخلاء والعرج والمفاليج والبخر (وقالوا) التدبير ينمى اليسير والتبذير يدمر الكثير (وليم) هشام بن عبد الملك على الامساك فى العطاء فقال انا لا نعطى تبذيرا ولا نمسك تقتيرا انما نحن خزائن الله فى بلاده وأمناؤه على عباده فاذا شاء أعطينا واذا كره أبينا ولو كان كل قائل يصدق وكل سائل يستحق ما جبهنا قائلا ولا رددنا سائلا

(وربما) عوقب المبذر بالافلاس وصير بالفقر مثلة بين الناس (قال الاصمعى) قصد رجل من أهل الشام منزل ابراهيم بن هرمة فاذا بنت له صغيرة تلعب بالطين فقال لها ما فعل أبوك قالت وفد الى بعض الاجواد فمالنا علم منه بعهد فقال لها انحرى لنا ناقة فانى وأصحابى أضيافك فقالت والله ماعندنا قال فشاة قالت والله مانجدها قال فدجاجة قالت والله ماهى لنا فى منزل قال فاعطينا بيضة قالت من أين البيضة اذا لم تكن الدجاجة قال فباطل ما قال أبوك حيث يقول

كم ناقة قد وجأت منحرها * بمستهل الشؤبوب أو جمل
لا أمتع العوذ بالفصال ولا * أبتاع الا قريبة الاجل
لا غنمى فى الحياة مدلها * الى دراك العلا ولا ابلى

قالت فذاك الفعل من أبى أصارنا أن ليس عندنا شئ فتركها ومضى (وكان) عبد الله بن جعفر من الاجواد الذين يعمون بجودهم طوائف العباد وانتهى به الافلاس وضيق اليد الى ان سأله رجل فقال له ان حالى متغيرة بجفوة السلطان وحوادث الزمان ولكنى أعطيك ما أمكننى فأعطاه رداء كان عليه ثم دخل منزله وقال اللهم استرنى بالموت فما أتى بعد دعوته الا الايام حتى مرض ومات رضى الله تعالى عنه (وفد) أبو الشمقمق على محمد بن مروان بنيسابور يريد محمد بن عبد السلام فلما دخلها صار الى منزله فأخبرانه فى دار الخراج مطالب فقصده ودخل عليه وهو قائم فى الشمس وعلى عنقه صخرة عظيمة فتغيرله فلما رآه محمد قال

ولقد قدمت على رجال طالما * قدم الرجال عليهم فتمولوا
أخنى الزمان عليهم فكأنهم * كانوا بأرض أقفرت فتحولوا

(فقال أبو الشمقمق)

الجود فلسهم وغير حالهم * فاليوم ان سئلوا النوال بخلوا

(دخل) مالك بن دينار على أبى عون فى الحبس وكان قد ضربه بلال بن أبى بردة بالسياط واذا فى الحبس جماعة من عمال السلطان فى الحديد فلم يلبث أن حضر غداؤهم فجعل الخدم ينقلون ألوان الاطعمة فقيل له يا أبا يحيى هلم فقال لا أريد أن آكل مثل هذا ولا أن

وسقط قوسه من يده فقام رجل من دكانه فأخذه ومسحه بكمه وناوله اياه فقال الشافعى رضى الله عنه لغلامه كم معك قال سبعة دنانير فقال له ادفعها اليه (خرج) سعيد بن العاصى يوما من عيادة مريض فرآه شاب من قريش يمشى وحده فماشاه حتى بلغ باب داره فلما انتهى الى باب الدار التفت اليه فقال له ألك حاجة قال مالى حاجة ولكنى رأيتك تمشى وحدك فاحببت ان أصل جناحك فقال بارك الله فيك مكانك ثم دخل الى منزله فأخرج اليه بدرة فيها عشرة آلاف درهم فدفعها اليه (مر يزيد) بن المهلب باعرابية عقب خروجه من سجن عمر بن عبد العزيز يريد البصرة فقربته عنزا فقبلها وقال لابنه معاوية ما معك من النفقة قال ثمانمائة دينار فقال ادفعها اليها فقال ابنه انك تريد الرجال ولا يكون الرجال الا بالمال وهذه يرضيها اليسير وهى بعد لا تعرفك قال فان كانت ترضى باليسير فانا لا أرضى الا بالكثير وان كانت لا تعرفنى فانا أعرف بنفسى ادفعها اليها (حكى) ان رجلا أتى على بن سليمان فقال له بالذى أسبغ عليك هذه النعم من غير شفيع كان لك اليه الا تفضلا منه عليك الا انصفتنى من خصمى واخذت الى الحق منه فانه ظلوم غشوم لا يستحى من كبير ولا يلتفت الى صغير فقال له أعلمنى من هو فان لم ينصفك والا اخذت الذى فيه عيناه من هو قال الفقر فأطرق الى الارض مليا ينكت الارض باصبعه ثم رفع رأسه فامر له بعشرة آلاف دينار فاخذها ومضى فلما سار خارجا منه قال ردوه فلما

يوضع فى رجلى مثل هذا وأشار الى القيد (وكان) للاعمش صديق متصرف فى عمل السلطان فبقى عليه مال فحبس فيه فزاره الاعمش متغمما له فلما دخل عليه رأى بين يديه سلة فيها فالوذج وهو يتخذ منها فقال والله ما لازمت الوثاق الا باسرافك فى الانفاق فلو قنعت نفسك وعفت يدك لم يكن مضيق السجن مقعدك * ولهذا الافلاس أكثر الناس كلامهم فى التحذير من عواقب التبذير وما أحسن قول الفقيه منصور رحمه الله

ثوب وكسرة وخبز * وبيت كن وأمن
الذى من كل ملك * عقباه ضرب وسجن

(وومما) يعد من الاسراف فى البذل اصطناع المعروف الى اللئيم والنذل (قالوا) حد الجود أن يبذل الرجل ماله حيث يجب البذل ويحفظه حيث يمكن الحفظ ومن بذل مكان الامساك فهو مبذر ومن أمسك مكان البذل فهو بخيل (وقالوا) من الحزم أن تعلم أن مالك لا يسع الناس كلهم فتوخ به أهل الحق عليك وان كرامتك لا تسع المقلين فاخصص بها أهل الفضل والمروءة ومن تمسه الحاجة اليك والاعطاء بعد المنع أجمل من المنع بعد الانعام (وقال لقمان) المعروف كنز فانظر من تودعه (وقال) عبد الملك بن المقفع ان مالك لا يسع الناس فاخصص به ذوى الكرم من أهلك وخاصتك ودع الاجانب جانبا (وقال) صالح بن عبد القدوس سامحه الله

لا تحمد بالعطاء فى غير حق * ليس فى منع غير ذى الحق محل
انما الجود أن تجود على من * هو للبذل منك والجود أهل

(آخر)

لا تصنع المعروف فى ساقط * ذاك صنيع ساقط ضائع
وضعه فى حر كريم يكن * عرفك مسكا عرفه ضائع

(وقالت الحكماء) أصل كل عداوة اصطناع المعروف الى اللئام (وقالوا) الاحسان الى اللئيم أضيع من الرسم على بساط الماء والخط على بسيط الهواء (وقالوا) زوال الدول باصطناع السفل (وقالوا) كن جوادا فى موضع الجود فان أحمد جود الحر الانفاق فى وجه البر (وقال بعضهم) لا حسرة أعظم من نعمة أسديت الى غير ذى حسب ولا مروأة (وقال آخر) لا تصنعوا الى ثلاثة معروفا اللئيم فانه بمنزلة الارض السبخة لا يظهر فيها البذر وذلك لا يظهر فيه المعروف والفاحش فانه يرى ان الذى صنعت معه انما هو مخافة فحشه والاحمق فانه لا يدرى قدر ما أسديت اليه ولا يشكرك عليه (قال الشاعر)

لعمرك ما المعروف فى غير اهله * وفى اهله الا كبعض الودائع
فمستودع ضاع الذى كان عنده * ومستودع ما عنده غير ضائع
وما الناس فى كفر الايادى وشكرها * الى اهلها الا كبعض المزارع
فمزرعة اجدت فأضعف زرعها * ومزرعة اكدت على كل زارع

(وقالوا) واضع المعروف فى غير اهله كالمسرج فى الشمس والزارع فى السبخ (قال الشاعر)

ومن يصنع المعروف مع غير اهله * يلاقى كما لاقى مجير أم عامر
اعد لها لما استجارت ببيته * احاليب البان اللقاح الدوائر
وامسكها حتى اذا ما تمكنت * فرته بأنياب لها واظافر
فقل لذوى المعروف هذا جزاء من * يجود بمعروف على غير شاكر

(آخر)

عليك بذى الاقدار فاكسب ثناءهم * فمالك فى غير الاكارم ضائع
وما مال من اعطى الكرام بناقص * ولكنه عند الكرام ودائع

آخر

مثل بين يديه قال يا ذا الرجل سألتك بالله متى أتاك خصمك متعسفا الا أتيت الينا فيه متظلما (قدم) أعرابى على على بن أبى طالب رضى الله عنه فقال يا أمير المؤمنين لى اليك حاجة تمنعنى الحياء ان أذكرها لك فقال له اعرابى خطها فى الارض فخط فيها انى فقير فقال على لغلامه قنبر اكسه حلتى فكساه الحلة فانشد الاعرابى يقول

كسوتنى حلة تبلى محاسنها
فسوف أكسوك من حلل الثنا حللا
ان نلت حسن ثناء نلت مكرمة
ولست تبغى بما قد نلته بدلا
ان الثناء ليحيى ذكر صاحبه
كالغيث يحيى نداه السهل والجبلا
لا تزهد الدهر فى عرف بدأت به
كل امرئ سوف يجزى بالذى فعلا

فقال على لغلامه أعطه مائة دينار فاعطاه اياها فلما ولى الاعرابى قال له قنبر يا أمير المؤمنين لو فرقتها فى المسلمين لاصلحت بها من شأنهم فقال له على مه يا قنبر لا تفعل أصحابى معى لست أنساهم مع انى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول تشكروا لمن أثنى عليكم واذا أتاكم كريم قوم فأكرموه (قال اعرابى) لداود ابن يزيد المهلبى انى لم أصن وجهى عن مسئلتك فصن وجهك عن ردى وضعنى من كرمك حيث وضعت نفسى من الثقة بك فامر له بعشرة آلاف درهم وقال له هى أكبر من قدرك فقال له الاعرابى لئن جاوزت قدرى لما بلغت أملى فيك (سأل) رجل اسد بن عبد الله فاعتل عليه فقال له ما سألتك الا عن غير حاجة قال ولم قال لانى رأيتك تحب من لك عنده

(آخر) اذا ما بدأت امرأ جاهلا * ببر فقصر عن حمله
ولم تلقه قابلا للجميل * ولا عرف العز من ذله
فسمه الهوان فان الهوان * دواء لذي الجهل من جهله

(وقالوا) العاقل يتخير لمعروفه كما يتخير الباذر ساز كا من الارض لبذره (وقالوا) رأس الرذائل اصطناع الاراذل وقال الشاعر

متى تسد معروفا الى غير أهله * رزيت ولم تظفر بحمد ولا أجر

﴿ما احتج به سراة الاشراف * في تحسين التبذير والاسراف﴾

قد كنا قدمنا في أول فصل من هذا الباب جملة مما ورد عن الكرماء في الحض على انتهاز الفرصة بالانفاق ثقة بالخلف من الكريم الرزاق مافيه كفاية فلم يقنعنا ذلك فذكرنا في هذا الموضع ما استدركناه ليتم لنا الغرض المقصود فيما نحوناه من كل مستحسن بديع لسر البراعة بلسان اليراعة بذيع (من ذلك) قول الله تعالى وهو اصدق القائلين وما أنفقتم من شئ فهو يخلفه وهو خير الرازقين * وقول النبي صلى الله عليه وسلم ينادي مناد كل ليلة اللهم اجعل لكل منفق خلفا ولكل ممسك تلفا * وقوله صلى الله عليه وسلم أنفق بلال ولا تخش من ذي العرش اقلالا ولقد أجاد علي بن ذكوان في قوله

انفق ولا تخش اقلالا فقد قسمت * بين العباد مع الآجال ارزاق
لا ينفع البخل مع دنيا موليـة * ولا يضر مع الاقبال انفاق

(وحكى) ان علي بن موسى الرضا رضي الله عنه وعن آبائه الكرام فرق في يوم عرفة وكان بخراسان ماله كله فقال له الفضل بن سهل ما هذا المغرم قال بل هو المغنم لا تعدن ما ابتغيت به أجرا أو كرما مغرما * وكان النبي صلى الله عليه وسلم لا يدخر شيأ لغد (وقال) بعض الحكماء أنفق في الحقوق ولا تكن خازنا لغيرك فان اغتممت على ما نقص من مالك فابك على ما نقص من عمرك فانه من لم يعمل في ماله وهو موجود عمل في ماله وهو مفقود (وقال بزرجمهر) اذا أقبلت عليك الدنيا فأنفق منها فانها لا تفنى واذا أدبرت عنك فأنفق منها فانها لا تبقى (طاهر بن الحسين ناظما لهذا المعنى)

لا تبخلن بدنيا وهي مقبلة * فليس ينقصها التبذير والسرف
فان تولت فاحرى أن تجود بها * فالحمد منها اذا ما أدبرت خلف

(ويقال) انفق وأسرف فان الشرف في السرف (وقيل) للحسن بن سهل وكان معداء لا خير في السرف فقال لا سرف في الخير وهذا من بديع الكلام وذلك انه عكس على المنكر كلامه فكان جوابا له وردا عليه من غير أن يزيد فيه ولا ينقص منه (وقال) الراضي بالله يخاطب لائما لامه على السرف

لا تكثرن عذلي على الاسراف * ربح المحامد متجر الاشراف
اجري كآبائي الخلائف سابقا * واشيد ما قد أسست أسلافي
اني من القوم الذين أكفهم * معتادة الاتلاف والاخلاف

(آخر) قامت تلوم على بذل النوال ولي * به ولوع فقلت اللوم في الباقي
لا تجزعي أن ترى بي فاقة أبدا * فمن خزائن رب العرش انفاقي

(آخر) الا لا تلمني على بذل مالي * فصوني لعرضي جمالي حالي
وصوني لمالي بعرضي فساد * لعرضي وديني وجاهي ومالي

(الصولي) لا تلومنني فهمك أن أثري وهمي مكارم الاخلاق

معروف فأردت أن أتعلق بحبل ودمك فأعطاه (واتى) ابن السماك رجل فقال اني قد أتيتك في حاجة واعلم ان الطالب والمطلوب اليه معز بزان ان قضيت ودليلان ان لم تقض فاختر لنفسك عز البذل على ذل المنع واختر لي عز النجح على ذل المنع فقضى حاجته (وقال) محمد بن واسع لقتيبة بن مسلم اني أتيتك في حاجة رفعتها الى الله قبلك فان يأذن الله فيها قضيتها وحمدناك وان لم يأذن الله فيها لم تقضها وعذرناك (وقال) فيض بن اسحق كنت عند الفضيل بن عياض اذ دخل رجل فسأله حاجة وألح في السؤال عليه فقلت لا تؤذ الشيخ فقال لي الفضيل اسكت يا فيض أما علمت ان حوائج الناس اليكم نعمة من الله عليكم فاحذروا ان تملوا النعم فتتحول نقما ألا تحمد ربك أن جعلك موضعا تسئل ولم يجعلك موضعا تسأل (وفد) قوم من قريش على معاوية فقالوا السلام عليك يا معاوية فبسط لهم وجهه والان قوله فطلبوا الموادعة فقال يا وجوه قريش مالكم أتيتم من مكان بعيد ثم لم تجعلوا بين السلام والموادعة حاجة تطلبونها فقالوا والله يا أمير المؤمنين ما أتيناك الا مفاخرين بأحسابنا مباهين لك برجالنا نستعز بن عليك بسيوفنا طالبين من مالك غير راضين باليسير من نوالك ولكنك بسطت لنا الوجه وألنت المقال فاستغنينا بذلك عن طلب المال فقال اذن والله لاجمعن لكم بين الحسنيين ولاصرفنكم بما يقدم من تخلف عنكم (كان) للقاضي أحمد بن أبي داود شخص يختص به ويسعى في

لبس يستطيع حفظ ما ملكت كفاه من ذاق لذة الانفاق

(وقال المأمون) لمحمد بن عباد بلغني أن فيك سرفا فقال يا أمير المؤمنين منع الجود سوء الظن بالمعبود فقال المأمون لا يحسن السرف الا بأهل الشرف

(وقال البحتري يمدح معطاء أسبل الكرم عليه غطاء)

كرم دعتك به القبائل مسرفا * ما مسرف في المكرمات بمسرف

(وقال آخر يحض على الاسراف في الصنائع)

ذهاب المال في حمد وأجر * ذهاب لا يقال له ذهاب

﴿الباب العاشر في البخل وفيه ثلاثة فصول﴾

الفصل الاول من هذا الباب
في ذم الامساك والشح وما فيهما من الشين والقبح

فرقوا بين الشح والبخل (فقالوا) الشح أن تكون النفس كزة حريصة على المنع كما قال الشاعر

يمارس نفسا بين جنبيه كزة * اذا هم بالمعروف قالت له مهلا

وهو اللؤم وأما البخل فهو المنع نفسه (فما جاء في البخل) قول الله تعالى ولا تحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة وقوله تعالى والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لانفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون قال بعض أهل المعاني انما خص هذه الاعضاء دون غيرها بالذكر لان السائل اذا سأل البخيل زوى عنه وجهه فان ألح عليه ازور عنه بشق جنبه الذي يليه فان ألحف ولاه ظهره (وروى الخطيب) أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت باسناده عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لما خلق الله جنة عدن قال لها تزيني فتزينت ثم قال لها أظهري انهارك فاظهرت عين السلسبيل وعين الكافور وعين التسنيم ونهر اللبن ونهر العسل ونهر الخمر ثم قال لها أظهري حورك وحليك وحللك وسررك وحجالك ثم قال لها تكلمي فقالت طوبى لمن دخلني فقال الله عز وجل أنت حرام على كل بخيل أورده في كتاب البخلاء له (وقال) رسول الله صلى الله عليه وسلم لقوم من الانصار من سيدكم قالوا الجد بن قيس على بخل فيه فقال عليه الصلاة والسلام وأي داء أدوأ من البخل (وقال) عليه الصلاة والسلام اياكم والشح فانه دعا من كان قبلكم فسفكوا دماءهم ودعاهم فاستحلوا محارمهم ودعاهم فقطعوا ارحامهم (وعنه) عليه الصلاة والسلام قال اقسم الله بعزته وعظمته وجلاله لا يدخل الجنة شحيح ولا بخيل (وقال) علي بن أبي طالب البخيل يتعجل الفقر لنفسه ويعيش في الدنيا عيش الفقراء ويحاسب في الآخرة حساب الاغنياء (وقال حكيم) لو أن أهل البخل لم يدخل عليهم من ضير بخلهم ومذمة الناس لهم واطباق القلوب على بغضهم الا سوء الظن بربهم في الخلف لكان عظيما فان الله تعالى يقول وما أنفقتم من شئ فهو يخلفه * وكفى بالبخيل معرة أن يمنع نفسه اكتساب الحسنات مع افتقاره اليها ويحرمها مباح الشهوات مع اقتداره عليها وربما ترك التداوي وان أجحفت به العلة وأهمل دفع المكاره عن نفسه وقد نيطت به المذلة لكثرة الاشفاق على الانفاق فهو لا يلقى في الدنيا شكورا ولا يلقى في الآخرة أجرا مذخورا (وقالوا) البخل من سوء الظن وخمول الهمة وضعف الروية وسوء الاختيار والزهد في الخيرات (وقال) الحسن بن علي رضي الله عنهما

قضاء حوائجه فمنعه الوزير محمد بن عبد الملك الزيات من التردد اليه لمنافسة كانت بينه وبين القاضي المذكور وشحناء فبلغ ذلك القاضي فجاء الى الوزير فقال له والله ما جئتك متكثرا بك من قلة ولا متعززا من ذلة ولكن أمير المؤمنين رتبك رتبة أوجبت لقاءك فان لقيناك فله وان تأخرنا عنك فلك ثم نهض من عنده (قال ابن سعيد) كان أحد المغاربة الادباء يتردد الى جمال الدين بن مطروح بالقاهرة وله حينئذ صيت وتمكن من الدولة الصالحية فمدحه بكثير وكتب له من النثر والنظم والامثال كثيرا فما ظهر له منه قبول على جميع ما كتب به اليه وشكا الي ذلك فقلت له اكتب له بقول ابن اللبانة

جمالك ألبس الدنيا جمالا
ومد على مناكبها ظلالا
أجل نظرا السيادة في حديثي
فان الرزق حيث تميل مالا

قال فوالله ما وقف عليها حتى بسط وجهه ونظر في قصته وظهر منه جميع ما فات من القبول والالتفات (كان محمد بن الحسن الشيباني) قد بلغ عند الرشيد مبلغا جليلا وكان امام الحنفية في زمانه واحتاج الامام الشافعي الى مشاركته فكتب له

لست أدري ماذا أقول ولكن
ابتغي من عريض جاهك نفعا
والفتى ان أراد نفع أخيه
فهو أدرى في أمره كيف يسعى

فاعتنى به حتى صدر الى مصر بطلبته (لما) مات عمرو بن مسعدة رفعت الى المأمون رقعة انه خلف ثمانين ألف ألف درهم فوقع في ظهرها هذا قليل لمن اتصل بنا

البخل جامع المساوي والعيوب وقاطع المودات من القلوب (وقال) سقراط الاغنياء البخلاء بمنزلة البغال والحمير تحمل الذهب والفضة وتعتلف التبن والشعير (وحده) قالوا هو منع المستنفد مع القدرة على رفده (وكان) ابو حنيفة لا يرى قبول شهادة البخيل و يقول يحمله بخله على أن يأخذ فوق حقه مخافة ان يغبن فمن هذه حاله لا يكون مأمونا (وقال) بشر ابن الحرث الحافي لاغيبة لبخيل ولشرطي سخي أحب الي من عابد بخيل (وقالوا) صديق البخيل من اطعمه وسقاه وعدوه من تركه وقلاه (وقيل) النظر الى البخيل يقسي القلب (وقالوا) البخل يهدم مباني الشرف ويسوق النفس الى التلف (وقالوا) اتق الشح فانه أدنى شعار واوحش دثار (وقالوا) البخيل يملأ بطنه والجار جائع و يحفظ ماله والعرض ضائع (شاعر)

ومن الجهالة بالمكارم ان ترى * جارا يجوع وجاره شبعان

(و يقال) من جعل عرضه دون ماله استهدف للذم (وقال الراجز)

من يجمع المال فلم يجد به * ويجمع المال لعام جدبه * يهن على الناس هوان كلبه

(وقال اسحق بن ابراهيم الموصلي)

أرى الناس خلان الجواد ولا أرى * بخيلا له في العالمين خليل
واني رأيت البخل يزري بأهله * فأكرمت نفسي أن يقال بخيل

(وقالوا) البخيل لا يستحق اسم الحرية فانه يملكه ماله (وقالوا أيضا) البخيل لا مال له انما هو لماله (وقال) قيس بن معد يكرب لبنيه يا بني اياكم والبخل فانه من اكتسب مالا فلم يصن به عرضا بحث الناس عن أصله فان كان مدخولا هرنوه وان لم يكن مدخولا ألزموه ذنبا رموه به ومقتوه وأكسبوه عرقا هجينا حتى يهجنوه والبخل داء ونعم الدواء السخاء (وقال) الحسن البصري لم أر أشقى بماله من البخيل لانه في الدنيا مهتم بجمعه وفي الآخرة محاسب على منعه غير آمن في الدنيا من همه ولا ناج في الآخرة من اثمه عيشه في الدنيا عيش الفقراء وحسابه في الآخرة حساب الاغنياء أخذه من كلام أمير المؤمنين علي رضي الله عنه (ودخل) رضي الله عنه على عبد الله بن الاهتم يعوده في مرضه فرآه يصعد بصره و يصوبه الى صندوق في زاوية من بيته ثم التفت اليه وقال يا أباسعيد ما تقول في مائة ألف في هذا الصندوق لم أؤد منها زكاة ولم أصل منها رحما قال ثكلتك أمك ولمن كنت تجمعها قال لروعة الزمان وجفوة السلطان ومكاثرة العشيرة ثم مات فشهد الحسن جنازته فلما فرغ من دفنه ضرب بيده على القبر ثم قال انظروا الى هذا أتاه شيطانه فخوفه روعة زمانه وجفوة سلطانه بما استودعه الله اياه انظروا اليه كيف خرج منها مذموما مدحورا ثم التفت الى وارثه وقال أيها الوارث لا تخدعن كما خدع صويحبك بالامس أتاك هذا المال حلالا فلا يكونن عليك و بالا أتاك عفوا صفوا ممن كان جموعا منوعا من باطل جمعه ومن حق منعه قطع فيه لجج البحار ومفاوز القفار لم تكدح لك فيه يمين ولم يعرق لك فيه جبين ان يوم القيامة ذو حسرات وان من أعظم الحسرات غدا أن ترى مالك في ميزان غيرك فيالها حسرة لا تقال وتوبة لا تنال

﴿ما اخترت من محاسن كلام الفصحاء وتأنقهم في ذم اللئام الاشحاء﴾

كتب بعض الادباء الى صديق له يستشيره في قصد بعض الرؤساء تأميلا لنائله وكان معروفا بالبخل (فاجابه) كتبت الي تسألني عن فلان وذكرت انك هممت بزيارته وحدثتك

وطالت خدمته لنا فبارك الله لولده فيما خلف وأحسن لهم النظر فيما ترك (لما) استشعر الاسكندر الوفاة كتب الى أمه يقدم عندها مقدمات التصبر عن مصابه بمواعظ ذكرها في كتابه ثم قال لها يا أمت اذا أنا مت فاصنعي طعاما حسنا كلا وشرابا لذيذا حلوا واحضري له كافة الناس واعهدي اليهم أن لا يحضره من نابته من الدهر نائبة ولا من أصابته من الزمان مصيبة ليكون مأتم الاسكندر خلافا عن مآتم العامة و يكون لك في ذلك الذكر والصيت فلما ماتت امتثلت ذلك واحتفلت في الطعام والشراب ودعت الناس اليه وعهدت اليهم بما أمرها فلم يأتها أحد فقالت ما بال الناس مع تقدمنا اليهم قد تخلفوا عنا فقيل لها أمرت أن لا يحضره من أصابته مصيبة وكل الناس أصابتهم المصائب ونابتهم النوائب فقالت يا اسكندر ما أشبه أواخرك بأوائلك أردت والله أن تعزيني عنك التعزية الكاملة (قال شريح القاضي) اني لاصاب بالمصيبة فأحمد الله عليها لاربعة وجوه أحمده اذ لم تكن أعظم مما هي وأحمده اذ رزقني الصبر عليها وأحمده اذ وفقني للاسترجاع على ما أرجو فيه الثواب وأحمده اذ لم يجعلها في ديني (قال الشاعر)

الحمد لله رب العالمين
كما يحبه الملك الاعلى ويختار
هو الحميد الذي جلت محامده
فليس يبلغ منها الدهر معشار
نثني عليه بما أولى ونشكره
كم نعمة منه والانسان كفار

(روي في بعض الاخبار) ان

نفسك بالقدوم عليه فلا تفعل أمتع الله بك فان حسن الظن به لا يقع الا بخذلان من ا…
وان الطمع فيما عنده لا يخطر على القلب الا من سوء التوكل على الله والرجاء لما في يد…
لا يبتغي الا بعد اليأس من روح الله لانه رجل يرى التقتير الذي نهى الله عنه هو التبذير الذ…
يعاقب عليه وان الاقتصاد الذي أمر الله به هو الاسراف وان بني اسرائيل لم يستبدلوا الم…
بالعدس والسلوى بالبصل الا لفضل حلومهم وقديم علم توارثوه عن آبائهم وان الضيا…
مرفوضة والهبة مكروهة والصدقة منسوخة وان التوسع ضلالة * والجود فسو…
وجهالة والسخاء من همزات الشياطين كانه لم يسمع بالمعروف الا في الجاهلية الاولى
التي نسخ الله جميل أخبارها ونهى عن اتباع آثارها وكان الرجفة لم تأخذ أهل مدين ا…
اسخاء نسب اليهم ولا أهلكت الريح العقيم عادا الا لافضال كان فيهم وهل يخشى العقاب
الا على الانفاق ويرجو العفو لا بالامساك ويعد نفسه بالفقر ويأمرها بالبخل خيفة أ…
ينزل به قوارع الدالمين أو يصيبه ما أصاب الاولين فأقم رحمك الله بمكانك واصبر ع…
خطب زمانك وامض على عسرتك فعسى أن يبدلك الله خيرا منه زكاة وأقرب رحـ…
(وكان) محمد بن يحيى بن خالد مبخلا بالنسبة لابيه وأخويه جعفر والفضل فسئل الجازع…
مائدته فقال فتر في فتر وصحافها منقورة من خشب الخشخاش وبين الرغيف والرغيف
مضرب كرة وبين اللون واللون فترة نبي قيل فمن يحضره قال خير خلق الله وشرهم قيل م…
هم قال الملائكة والذباب قيل له أنت به خاص وثوبك مخرق فقال والله لو ملك بيتا من بغدا…
الى النوبة مملوا ابرا ثم جاءه يعقوب النبي ومعه الانبياء شفعاء والملائكة ضمناء يسألونه اعار…
ابرة يخيط بها قميص يوسف الذي قد من دبر ما فعل أخذه الشاعر ونظمه في قوله

لو أن قصرك يا ابن أغلب ممتلي * ابرا يضيق بها رحاب المنزل
وأتاك يوسف يستعيرك ابرة * ليخيط قد قميصه لم تفعل

(آخر يهجو بخيلا)

لو أن دارك أمطرت عرصاتها * ابرا يضيق لها رحاب المنزل
وأتاك يوسف يوم قد قميصه * يرجو نوالك في ابرة لم تفعل

(وقيل) لابي القاسم خجين تغديت عند فلان قال لا ولكني مررت ببابه وهو يتغدى قيل وقد عرفت ذلك قال رأيت غلمانه بأيديهم قسي البندق يرمون بها الطير في الهواء (وذم اعرابي قوما) فقال لهم بيوت ندخلها حبوا الى غير نمارق ولا وسائد فصح الالسن برد السائل جعد الاكف عن النائل (وذم اعرابي قوما) فقال ما كانت النعمة فيهم الا طيفا فلما انتبهوا لها ذهبت عنهم فقال شاعر وكانه ألم بهذا المعنى في قوله

خنازير ناموا عن المكرمات * فأيقظهم قدر لم ينم
فيا قبحهم في الذي خولوا * ويا حسنهم في زوال النعم

(نزل) أعرابي برجل فقال له بعض قومه لقد نزلت بواد غير ممطور ورجل بقدومك غ… مسرور فأقم بندم أو ارتحل بعدم (وقال) المتوكل لابي العيناء من أبخل من رأيت قا… موسى بن عبد الملك بن صالح قال وما رأيت من بخله قال رأيته يحرم القريب كما يحرم البعي… ويعتذر من الاحسان كما يعتذر من الاساءة (وقال بشار) من استضاف فلانا استغنى ع… الكنيف وأمن من التخمة (وذم آخر بخيلا) فقال ضن بفلسه وجاد بنفسه (وذم اعرا… بخيلا) فقال جعدا لبنان شحيح الكف مقفل اليد لا يسقط من كفه الخردل وان استوا… على أصابعه الجندل قال الشاعر

امرأة من الاعراب وقفت على جماعة فقالت لهم ما الكرم يرحمكم الله قالوا بذل المعروف والايثار على النفس قالت هذا في الدنيا فما هو في الدين قالوا طاعة الله سبحانه وبذل المجهود في عبادته واجتناب محارمه والوقوف عند حدوده طيبة بذلك نفوسنا قالت أفتريدون بذلك جزاء قالوا نعم قالت ولم قالوا لان الله وعدنا بالحسنة عشر أمثالها قالت سبحان الله فاذا أعطيتم واحدة وأخذتم عشرة فأين الكرم قالوا فما هو يرحمك الله قالت هو أن يعبد الله تعالى حق عبادته لا يراد على ذلك جزاء حتى يفعل بكم مولاكم ما يشاء ألا تستحيون من الله أن يطلع على قلوبكم فيعلم منها أنكم انما تريدون شيأ بشئ (دخل) المهدي الكعبة ومعه منصور الحجبي من حجبة البيت فقال ما حاجتك قال اني أستحي ان أسئل في بيته غيره فلما خرج أمر له بعشرة آلاف دينار (قال) خالد بن صفوان لا تطلبوا الحوائج في غير حينها ولا تطلبوها الى غير أهلها ولا تطلبوا ما لستم له بأهل فتكونوا للمنع خلقاء (وقال خالد بن صفوان) شهدت عمرو ابن عبيد ورجل يشتمه فما ترك منه شيأ فلما فرغ قال له عمرو آجرك الله على ما ذكرت من صواب وغفر لك ما ذكرت من خطأ فما حسدت أحدا حسدي عمرا على هاتين الكلمتين (وشتم) رجل الشعبي فقال له ان كنت صادقا يغفر الله لي وان كنت كاذبا يغفر الله لك (وشتم) رجل أبا ذر فقال له يا هذا لا تستغرق في شتمنا ودع للصلح موضعا فانا لا نكافئ من عصى الله فينا بأكثر من ان نطيع الله فيه

تحلى باسماء الشهور فكفه * جمادى وما ضمت عليه المحرم

(وقالوا) فلان ماهو رطب فيعتصر ولا يابس فيكسر مانع للموجود سيئ الظن بالمعبود فلان منعوت على الجمع والمنع لا بعد العيش الاماجمه والحزم الامامنعه فلان بن لبون لا در فيحلب ولا ظهر فيركب (وذم) أعرابي رجلا بالبخل فقال لقد صغر فلان في عيني كبر الدنيا في عينه وكانما يرى السائل اذا رآه ملك الموت اذا أتاه (بشار بن برد)

اذا سلم المسكين طار فؤاده * مخافة سؤل واعتراه جنون

(ومن منظوم نفسات الصدور والمحنقة) في ذم من سلبه السخاء ونقصه قول بن منصور ابن ربيعة يهجو بخلاء

قوم غدوا والطعام عندهم * وزن لجين ووزن يا قوت

ان كان قوتي اليهم وبهم * برئت منهم ومنك يا قوتي

(الاخطل)

مازال فينا رباط الخيل معلمة * وفي كليب رباط الخزي والعار

قوم اذا استنبح الاضياف كلبهم * قالوا لامهم بولي على النار

(ولقد أحسن أبو الشمقمق في قوله)

ما كنت أحسب أن الخبز فاكهة * حتى نزلت على أوفى بن منصور

الحابس الروس في أعفاج بغلته * خوفا على الحب من لقط العصافير

(آخر)

عد الارغفة شنف وقرط * واكليلان من خرز ودر

اذا كسر الرغيف بكى عليه * بكا الخنساء اذ فجعت بصخر

وجاء بكل نائحة عليه * كما بكت الرباب لفقد عمرو

ودون رغيفه دق الثنايا * وحرب مثل وقعة يوم بدر

(وقال أبو نواس يهجو سعيد بن سلم بن قتيبة)

رغيف سعيد عنده عدل نفسه يقلبه طورا وطورا يداعبه

ويأخذه في حضنه ويشمه * ويلثمه حينا وحينا يلاعبه

وان قام مسكين على باب داره * اذا ثكلته أمه وأقاربه

يصب عليه البول من كل جانب * ويخضب ساقاه وينتف شاربه

(ابن طباطبا)

أجاع بطني حتى * شممت ريح المنيه

وجاء لي برغيف * قد أدرك الجاهلية

فقمت بالفأس حتى * أدق منه شظيه

تثلم الفأس وانصا * ع مثل سهم الرمية

فشج رأسي ثلاثا * ودق مني الثنيه

(آخر)

ربي ورب كعبة ان أشبعني * ورزق ربك آت غير مدفوع

ولو عليك اتكالي في الطعام اذا * لكنت اول مدفون من الجوع

(آخر)

وقائلة مادهي ناظريك * فقلت لامر به قدمنيت

أكلت دجاجة بعض الملوك * فمازلت اصفع حتى عميت

(آخر)

نوالك دونه خرط القتاد * وخبزك كالثريا في البعاد

ترى الاصلاح صومك لا لاجر * وكسرك للرغيف من الفساد

(وروى) أن علي بن الحسين رضي الله عنهما كان يوما خارجا من المسجد فلقيه رجل فسبه فثارت عليه العبيد والموالي فقال علي بن الحسين مهلا على الرجل ثم أقبل عليه فقال له ما ستر عنك من أمرنا أكثر ألك حاجة نعينك عليها فاستحيى الرجل ورجع الى نفسه قال فألقى عليه ثوبا كان عليه وأمر له بألف درهم قال فكان الرجل بعد ذلك يقول أشهد أنك من أولاد الرسل (ومر المسيح بن مريم) بقوم من اليهود فقالوا له شرا وقال لهم خيرا فقيل له انهم يقولون شرا وأنت تقول خيرا فقال كل واحد ينفق مما عنده (وفي سير العجم) ان رجلا وشى برجل الى الاسكندر فقال له أتحب ان أقبل منك عليه وتقبل منه عليك قال لا قال فكف عن الشر يكف عنك الشر (قال الصلت بن سعيد) كنا عند سفيان بن عيينة فضجر بنا وقال أليس من الشقاء ان أجالس التابعين ثم أجالسكم جالست ضمرة ابن سعيد الخدري وعبد الله بن دينار وجابر بن عبد الله وعدد جماعة فقال له صبي في المجلس لم يكن في الجماعة أصغر منه سنا أنصف يا أبا محمد قال نعم قال والله لشقاء التابعين بمجالستهم اياك بعد مجالستهم الصحابة أشد من شقائك بمجالستك ايانا بعد التابعين فأبلس ابن عيينة ثم قال للصبي يوشك ان تكون لك حال وكان الصبي يحيى بن أكثم (وذكر) ان السري بن المقلس قرأ على مؤدبه ونسوق المجرمين الى جهنم وردا فقال له يا أستاذ ما الورد فقال له المؤدب لا أدري فقرأ الا يملكون الشفاعة الامن

ولو أبصرت ضيفا في المنام * لحرمت المنام الى التناد
ولم أهجوك أنك كفؤ شعر * ولكني هجوتك للكساد
(آخر) ودعوتني فأكلت عندك مرة * وشربت شربا من استم خروفا
وسأتني في أثر ذلك حاجة * أودت بمالي تالدا وطريفا
فجعلت أفكر فيك باقي ليلتي * ما كنت تسأل لو أكلت رغيفا
(آخر) أتيت ابن يحيى وهو يأكل فانثني * الى فطوه بالذرأني وهمهما
وقال لماذا جئت قلت مسلما * فقال لقد سلمت فارجع مثل ما
(وقال ابن الخياط الصقلي)
لا تكونن مبرما وعسوفا * سل دمه وخل عنك الرغيفا
أكرم الخبز بالصيانة حتى * جعل الكعك للبنات شنوفا
(آخر يخاطب بخيلا)
لك نفس اذا أضر بها الجو * ع تلافيتها بشم الرغيف
من يكن عيشه كعيشك هذا * فلتكن داره بغير كنيف
(آخر) رأيتك عند حضور الخوان * قليل النشاط كثير الصياح
تلاحظ عيناك كف الاكيل * وترمقه من جميع النواحي
فعال امرئ بخلت نفسه * بشئ يؤل الى المستراح
(آخر) يهجو بخيلا
أصبح لا يعرف الجميل ولا * يفرق بين القبيح والحسن
ان الذي يرتجي نداه كمن * يحلب تيسا من عزة اللبن
(آخر) يزداد شحا وبخلا كل من كثرت * أمواله ثم لا ترجى مواهبه
كالبحر كل مياه الارض قاطبة * تأوى اليه ويظمأ فيه راكبه

(ومما يكون متمما لما ذكرناه خلف التصحيح لسائله بما مناه)

قالوا اخلف الوعد من خلق الوغد (والمثل المضروب) قولهم أخلف من عرقوب وأخلف من شرب الكمون فان الكمون يمني بالسقي ولا يسقى (قال الشاعر)
سقيتموني كؤوس المطل مترعة * حتى ثملت والسكران عربيد
لا تتركوني ككمون بمزرعة * ان خانه الغيث أحيته المواعيد
(وقال) بعض كرماء الاعراب لان أموت عطشا أحب الي من أن أخلف موعدا (وقال) بعض البلغاء يذم بخيلا فلان ملأ سمعي روحا وكفي ريحا (وقال آخر) فلان يفتح مواعيده بالاطماع ويختمها بالخيبة والامتناع (وقال آخر) فلان سخي قولا وبخيل فعلا وسريع وعدا وبطيء عرفدا (وقال آخر) فلان أول وعده طمع وآخره يأس وما هو الا كالسراب يغر من رآه ويخلف من رجاه وقال الشاعر
لسانك أحلى من جنى النحل موعدا * وكفك بالمعروف أضيق من قفل
(آخر) لسانك معسول وقلبك علقم * ودون الثريا من صديقك مالكا
(دعبل) ياجواد اللسان من غير فعل * ليت في راحتيك جود اللسان
(وقالوا) من وعد وأخلف لزمته ثلاث مذمات ذم اللؤم وذم الخلف وذم الكذب وقال الشاعر
الا انما الانسان غمد لقلبه * ولا خير في غمد اذا لم يكن نصل

اتخذ عند الرحمن عهدا فقال له ياأستاذ ما العهد فقال المؤدب لا أدري فقطع السري القراءة وقال اذا كنت لا تدري فلم غررت بالناس فضربه المؤدب فقال السري ياأستاذ ألم يكفك الجهل حتى أضفت اليه الظلم والاذى فاستحيا المؤدب وتاب الى الله من التأديب وأقبل على طلب العلم (أكب) رجل من بني مرة على مالك بن أسماء يحدثه في يوم صيف ويغمه ويثقل عليه ثم قال أتدري من قتلنا منكم في الجاهلية قال لا ولكني أعرف من قتلتم مناقي الاسلام قال ومن هم قال انا قتلتني اليوم بطول حديثك وكثرة فضولك (قال الربيع) حاجب المنصور لما استولت الخلافة لابي جعفر المنصور قال لي يا ربيع ابعث الى جعفر بن محمد قال فقمت بين يديه فقلت أي بلية يريد أن يفعل به وأوهمته اني أفعل ثم أتيته بعد ساعة فقال ألم أقل لك ابعث الى جعفر بن محمد فوالله لتأتيني به ولاقتلنه شر قتلة قال فذهبت اليه فقلت أبا عبد الله أجب أمير المؤمنين فقام معي فلما دنونا من الباب قام فحرك شفتيه ثم دخل فسلم فلم يرد عليه السلام ووقف فلم يجلس ثم رفع رأسه اليه فقال ياجعفر أنت الذي ألبت وكثرت وحدثني أبي عن أبيه عن جده ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ينصب للغادر لواء يوم القيامة يعرف به قال جعفر بن محمد حدثني أبي عن أبيه عن جده ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ينادي مناد يوم القيامة من بطنان العرش الا فليقم من كان أجره على الله فلا يقوم من عباد الله الا المتفضلون

ولا خير في وعد اذا كان كاذبا * ولا خير في قول اذا لم يكن فعل
فان تجمع الآفات فالبخل شرها * وشر من البخل المواعيد والمطل

(وقال الثعالبي) أوّل من أخلف المواعيد وكذبها ولم يف بشئ منها اسمعيل بن صبيح كاتب الرشيد وما كانت الرؤساء قبل ذلك يعرفون المواعيد الكاذبة (وما أحلى) قول بعض الشعراء يخاطب من أخلف عدة وعده اياها من أبيات

ووعدتني عدة ظننتك صادقا * فجعلت من طمعي أروح وأذهب
فاذا حضرت أنا وأنت بمجلس * قالوا مسيلمة وهذا أشعب

(وقال) بعض البلغاء يذم مخلف وعده فلان وعده في الخلاف كشجر الخلاف يريك نضارة المنظر ثم لا يجنيك شيأ من الثمر نظمه ابن الرومي فقال

ليس من حل بالمحل الذي أنـ * ـت به من سماحة ووفاء
بذل الوعد للاخلاء طوعا * وأبى بعد ذاك بذل العطاء
فغدا كالخلاف يحسن للعيـ * ـن ويأبى الاثمار كل الاباء

(آخر)

على الدنيا وما فيها السلام * اذا ملكت خزائنها اللئام
رضيت من الامور بكل شئ * قضاه الله وانقطع الكلام

﴿الفصل الثاني من الباب العاشر﴾
﴿في ذكر نوادر البخلين من الاراذل والمبخلين﴾

يجب علينا أن نذكر أولا ما صدر عن الامجاد العقلاء في التحذير من سؤال الاجواد والبخلاء ثقة بما ضمنه الله من رزقه الدار على سائر خلقه (قالوا) مكتوب في التوراة ابن آدم لا تسأل الناس فان كنت فاعلا فاسأل معادن الخير ترجع مغبوطا محسودا (وفي كتاب كليلة ودمنه) ينبغي للعاقل أن يرى ان ادخال يده في فم التنين وابتلاعه سمه أهون عليه من سؤال الناس (وقال) ابراهيم بن حفصة لابنه يا بني صن شكرك عمن لا يستحقه واطلب المعروف ممن يحسن طلبك اليه واستر ماء وجهك بقناع قناعتك وتسل عن الدنيا بتجافيها عن الكرام وأنشده

هي القناعة فالزمها تكن ملكا * لو لم يكن لك الا راحة البدن
وانظر لمن ملك الدنيا بأجمعها * هل راح منها بغير القطن والكفن

(وقال) لقمان لابنه يا بني لا تخاتق وجهك بطلب الحوائج الى من هو دونك فانه ان ردك ساق اليك محنة وان قضى حاجتك اتخذها عليك منة واسأل الله فان الله يحب من يسأله ويبغض من لا يسأله (شاعر)

الله يغضب ان تركت سؤاله * وبني آدم حين يسئل يغضب

(وقد) روى عن سفيان الثوري دعاء كلام لقمان كان يدعو به اذا احتاج يقول اللهم يا من يحب أن يسئل ويغضب على من لا يسأل وأحب عباده اليه من سأله وأكثر سؤاله وليس أحد كذلك غيرك يا كريم أعطني كذا ويسأل حاجته (وقال) محمد بن الحنفية رضي الله عنه ما كرمت على عبد نفسه الا هانت عليه الدنيا (شاعر)

الحر حر عزيز النفس حيث ثوى * كالشمس في أي برج ذات أنوار

(آخر)

ما اعتاض باذل وجهه بسؤاله * عوضا ولو نال الغنى بسؤال
واذا السؤال مع النوال وزنته * رجح السؤال وخف كل نوال

(آخر) لا أستعين باخواني على الزمن * ولا أرى حسنا ما ليس بالحسن

فما زال يقول حتى سكن ما به ولان له فقال اجلس أبا عبد الله ارتفع أبا عبد الله ثم دعا عنده بغالية فجعل يقلبه بيده والغالية تقطر من بين أنامل أمير المؤمنين ثم قال انصرف أبا عبد الله في حفظ الله وقال لي يا ربيع أتبع أبا عبد الله جائزته وأضعفها قال نفرجت فقلت يا أبا عبد الله شهدت ما لم تشهد وسمعت ما لم تسمع وقد دخلت ورأيتك تحرك شفتيك عند دخولك اليه أشئ تأثره عن آبائك الصالحين قال لا بل حدثني أبي عن أبيه عن جده ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا حزنه أمر دعا بهذا الدعاء وكان يقول هو دعاء الفرج (اللهم) احرسني بعينك التي لا تنام واكنفني بركنك الذي لا يرام واحفظني بعزك الذي لا يضام واكلأني في الليل والنهار وارحمني بقدرتك علي أنت ثقتي ورجائي فكم من نعمة أنعمت بها علي قل لك بها شكري وكم من بلية ابتليتني بها قل لك بها صبري وكم خطيئة ركبتها فلم تفضحني فيا من قل عند نعمته شكري فلم يحرمني ويا من قل عند بلائه صبري فلم يخذلني ويا من رآني على الخطايا فلم يعاقبني يا ذا المعروف الذي لا ينقضي أبدا ويا ذا الايادي التي لا تحصى عددا ويا ذا الوجه الذي لا يبلى أبدا ويا ذا النور الذي لا يطفأ سرمدا أسئلك ان تصلي على (محمد) وعلى آل (محمد) كما صليت وباركت وترحمت على ابراهيم وان تكفيني شر كل ذي شر بك أدرأ في نحره وأعوذ بك من شره واستعينك عليه اللهم أعني على ديني بدنياي وعلى آخرتي

انى كليل اذا استعطفت ذائقة * بما حوت كفه قد كان أعقلنى
ذل السؤال وذل الشكر ما اجتمعا * الا أضرا بماء الوجه والبدن
لا يبتدى بسؤال لى اخا أبدا * لو شاء قبل سؤالى منه أكرمنى
له الثراء ولى عرض اوفره * عنه ويقنعنى قوت يبلغنى

(محمد ابن حازم)

اضرع الى الله لا تضرع الى الناس * واقنع بيأس فان العز فى الياس
فالرزق عن قدر يجرى الى أجل * فى كف لا غافل عنى ولا ناسى
فكيف ابتاع فقرا ما ضرا بغنى * وكيف أطلب حاجاتى من الناس

(ولقد) أحسن ابن شهيد كل الاحسان فى قوله يصف من صان وجهه عن السؤال بقناع قناعته وكف وصبر على مضض الاحتياج بقدر استطاعته فعف

ان الكريم اذا نالته مخمصة * أبدى الى الناس ريا وهو ظمآن
يطوى الضلوع على مثل اللظى حرقا * والوجه طلق بماء البشر ريان

(آخر) وكم قد رأينا من فتى متجمل * يروح ويغدو وليس يملك درهما
يبيت يراعى النجم من سوء حاله * ويصبح يلقى ضاحكا متبسما

(ذكر من كان يدين بالبخل من الملوك واتصف بما لا يحسن بالفقير الصعلوك) عبد الله بن الزبير ويكنى أبا خبيب وانما لم يعد من الخلفاء لجلالة رتبته واصالة أبوته فمما يحكى عنه أنه نظر الى رجل من جنده تدق فى صدره رأسه اب الحجاج فى قتاله على مكة ثلاثة أرماح فقال له يا هذا اعتزل عن نصرتنا فان بيت المال لا يقوم بهذا (وفى هذه الحرب) يقول معاتبا جنده أكلتم تمرى وعصيتم أمرى سلاحكم رث وكلامكم غث عيال فى الجدب أعداء فى الخصب (وقال) لرجل كان يتعاطى التجارة ما صناعتك قال أتجر فى الرقيق فقال ما أشد اقدامك على الغرر واضاعة المال قال بماذا قال بصناعتك الملعونة التى هى ضمان نفس ومؤنة ضرس (وأتاه) عبد الله بن فضالة مستجديا فأخذ يشكو اليه شدة فاقته وحفا ناقته ووعورة طريقه وبعد مسافته فقال له اخصفها بهلب وارقعها بسبت وانجد بها يبرد خفها فقال ابن فضالة انما جئتك مستجديا لا مستوصفا فلا بقيت ناقة حملتنى اليك قال ان وراحبها فوله ان يعنى نعم (قال) أبو عبيدة معمر بن المثنى لو تكلف الحرث بن كلدة طبيب العرب من وصف علاج ناقة هذا ما تكلفه هذا الخليفة لعسر عليه (وقال) انه كان يأكل فى كل سبعة أيام أكلة واحدة ويقول انما بطنى شبر فى شبر وما عسى يكفينى (ومن بخلاء الخلفاء) عبد الملك بن مروان وكان يسمى رشح الحجر ولبن الطير أيضا لبخله وهشام ولده كان ينظر فى القليل من المال ويمنع السائل وان ألحف فى السؤال ويبيع ما يهدى اليه ويجعل السمصلة من يقرظه ويثنى عليه (من حكاياته) انه وفد عليه محمد بن زيد بن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقال له مالك عندى شئ ثم قال اياك أن يغرك أحد فيقول لك لم يعرفك أمير المؤمنين أنت فلان بن فلان فلا تقيمن فتنفق ما معك فليس لك عندى صلة فبادر والحق باهلك (وكان) معاوية يبخل فى طعامه مع كثرة جوده بالمال قال لرجل وأكله أرفق بيدك فقال له الرجل وانت فاغضض من طرفك (وبلغه) ان الناس يبخلونه فقام على المنبر وقال ان الله تعالى يقول وان من شئ الا عندنا خزائنه وما ننزله الا بقدر معلوم فلاى شئ تلام نحن فقام اليه الاحنف بن قيس وقال نحن ما نلومك على ما فى خزائن الله ولكن نلومك على ما فى خزائنك اذا اغلقت بابك دونه (والمنصور) وكان يلقب ابا الدوانيق ولقب بذلك لانه لما

بنى

بالتقوى واحفظنى فيما غبت عنه ولا تكلنى الى نفسى فيما حضرته يامن لا تضره الذنوب ولا تنقصه المغفرة اغفر لى ما لا يضرك وهب لى ما لا ينقصك يا الهى اسئلك فرجا قريبا وصبرا جميلا واسئلك العافية من كل بلية واسئلك الشكر على العافية واسئلك دوام العافية واسئلك الغنى عن الناس ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم اللهم بك أستدفع مكروه ما أنا فيه وأعوذ بك من شره يا أرحم الراحمين (ويروى عن الشافعى) رضى الله عنه انه وجه اليه بعض الخلفاء أراه أبا جعفر المنصور فى الليل ليقتله وهو قد اشتد غضبا عليه وحنقا فلما وصل اليه الرسول قال أجب أمير المؤمنين قال وما حاجته الى فى جوف الليل فقال لا أعرف لكنى امرت ان آتى بك فاستشعر الشر وخرج مع الرسول فلما انتهى الى باب القصر استأذن الرسول فأمر ابو جعفر بادخاله فتوقف ساعة وحرك شفتيه ثم دخل فقام المنصور اليه واخذ بيده واجلسه وجعل يعتذر اليه من التوجيه وراءه فى مثل ذلك الوقت ثم عطف على الرسول وقال له لعلك روعته فقال له لا ثم أمر الشافعى بالانصراف وأمر له بمال كثير قال الرسول فعجبت مما رأيت وعلمت ان الذى نجاه ما حرك به شفتيه فتبعته الرسول وقال له بالذى استنقذك واجاب دعاءك الا اعلمتنى بالذى حركت به شفتيك حين أمرت بالدخول حتى انزلك على المقام الذى رأيت قال نعم وكرامة وأنا أهدى ذلك اليك (اللهم) انى أعوذ بنور قدسك وعظمة طهارتك وبركة جلالك

بنى بغداد كان ينظر فى العمارة بنفسه فحاسب الصناع والاجراء فيقول لهذا انت تحت القائلة ولهذا أنت لم تبكر الى عملك ولهذا أنت انصرفت لم تكمل اليوم فيعطى كل واحد منهم بحسب ما عمل فى يومه فلا يكاد يعطى أجرة يوم كامل (و يحكى عنه) انه قال لطباخيه لكم ثلاث وعليكم اثنان لكم الرؤس والا كارع والجلود وعليكم الحطب والتوابل (ومن حكاياته) الدالة على شدة بخله أن الربيع بن يونس حاجبه قال له يوما يا أمير المؤمنين ان الشعراء ببابك وهم كثيرون وقد طالت أيام اقامتهم ونفدت نفقاتهم فقال اخرج اليهم واقرأ عليهم السلام وقل لهم من مدحنا منكم فلا يصفنا بالاسد فانما هو كلب من الكلاب ولا بالحية فانما هى دويبة ميتة تأكل التراب ولا بالجبل فانما هو حجر أصم ولا بالبحر فانه ذو غطامط فمن ليس فى شعره شئ من هذا فليدخل ومن كان فى شعره شئ من هذا فلينصرف فانصرفوا كلهم الا ابراهيم بن هرمة فانه قال أدخلنى فادخله فلما مثل بين يديه قال يا ربيع قد علمت انه لا يجيبك أحد غيره هات يا ابراهيم فانشده القصيدة التى أولها

سرى ثوبه عنى الصبا المتخامل * واذن بالبين الحبيب المزايل

حتى انتهى الى قوله

له لحظات فى حفافى سريره * اذا كرها فيها عقاب نائل
فأم الذى أمنت آمنة الردى * وأم الذى خوفت بالثكل ثاكل

فرفع له الستر واقبل عليه مصغيا اليه حتى فرغ من انشادها ثم أمر له بعشرة آلاف درهم وقال له يا ابراهيم لا تتلفها طمعا فى نيل مثلها فما فى كل وقت تصل الينا وتنال مثلها منا فقال ابراهيم ألقاك بها يا أمير المؤمنين يوم العرض وعليها خاتم الجهبذ (ودخل) المؤمل بن أميل على المهدى بالرى وهو اذ ذاك ولى عهد أبيه المنصور فامتدحه بأبيات يقول فيها

هو المهدى الا أن فيه * تشابه صورة القمر المنير
تشابه ذا وذا فهما اذا ما * أنارا يشكلان على البصير
فهذا فى الضياء سراج عدل * وهذا فى الظلام سراج نور
ولكن فضل الرحمن هذا * على ذا بالمنابر والسرير
ونقص الشهر يخمد ذا وهذا * منير عند نقصان الشهور

(ومنها)

فان سبق الكبير فأهل سبق * له فضل الكبير على الصغير
وان بلغ الصغير مدى كبير * فقد خلق الصغير من الكبير

فأعطاه عشرين ألف درهم فكتب بذلك صاحب البريد الى المنصور وهو بمدينة السلام بغداد فكتب اليه المهدى يلومه على هذا العطاء ويقول له انما كان ينبغى لك أن تعطى الشاعر اذا أقام ببابك سنة أربعة آلاف درهم وأمر كاتبه أن يوجه اليه بالشاعر فطلب فلم يوجد فذكر أنه توجه الى بغداد فكتب الكاتب الى المنصور بذلك فأمر بعض القواد بارصاد المؤمل على باب بغداد فجعل القائد يتصفح وجوه الناس القادمين عليها ويسألهم عن أسمائهم وأسماء آبائهم حتى وقع المؤمل فسأل عن اسمه فأخبره فقال أنت بغية أمير المؤمنين وطلبته قال المؤمل فكاد والله قلبى ينصدع خوفا وفزعا ثم أخذ بيدى فسار بى الى الربيع فادخلنى على المنصور فقال يا أمير المؤمنين هذا المؤمل بن أميل قد ظفرت به فسلمت فرد السلام فسكن جأشى و زال استيحاشى عند ذلك واطمأن قلبى و زال روعى ثم قال لى أتيت غلاما غرا فخدعته فانخدع فقلت يا أمير المؤمنين أتيت ملكا جوادا كريما فمدحته فحمله كرم أعراقه ومكارم شيمه على صلتى وبرى فأعجبه كلامى ثم قال أنشدنى ما قلت فيه

من كل آفة وعاهة ومن طوارق الليل والنهار ومن طوارق الانس والجان الا طارقا يطرق بخير يا ألله يا رحمن (اللهم) أنت عياذى فبك أعوذ وأنت ملاذى فبك ألوذ يا من ذلت له رقاب الجبابرة وخضعت له مقاليد الفراعنة اعوذ بجلال وجهك وكرم جلالك من خزيك وكشف سترك ونسيان ذكرك والاضراب عن شكرك أنا فى كنفك فى ليلى ونهارى ونومى وقرارى وظعنى وأسفارى فاجعل ذكرك شعارى وثناءك دثارى لا اله الا انت تنزيها لاسمك وتكريما لسبحات وجهك أجرنى من خزيك ومن شر عبادك واضرب على سرادقات حفظك وقنى سيئات عذابك وأدخلنى فى حفظ عنايتك يا أرحم الراحمين فانك على كل شئ قدير وأنت حسبى ونعم الوكيل وصلى الله على سيدنا محمد وعلى جميع الرسل من الملائكة والنبيين وعلى جميع الصحابة والتابعين لهم باحسان الى يوم الدين ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم (كان لمالك بن انس رضى الله عنه بنت تحفظ كتابه الموطأ) فكانت تقف خلف الباب فاذا قرئ على مالك وغلط القارئ نقرت الباب فيعلم غلطه وكان له ابن اسمه محمد يجئ وأبوه مالك يحدث وعلى يده باشق فيلتفت مالك للحاضرين فيقول أما ان الادب أدب الله هذا ابنى كما ترون وهذه ابنتى كما ترون (قال ابن سعيد فى كتابه الزهرات) نقلت من كتاب البيهقى الموسوم بالعمائم بالكمائم اولى ما حفظ الرؤساء الكرام من الاشعار اشعار امثالهم واولى ما حفظ من ذلك اشعار ابى دلف العجلى لان افواله فيها تطابق افعاله مع

فأنشدته القصيدة فقال والله لقد أحسنت ولكنها لا تساوى عشرين الفا يا ربيع خذ منه المال وأعطه منه أربعة آلاف درهم ففعل فلما ولى المهدى الخلافة قدم عليه المؤمل فأخبره بما دار بينه وبين المنصور فضحك وأمر له برد ما أخذ منه فرد عليه (وأشرف) يوما على الصياد فرأى صائدا اصطاد سمكة عظيمة فقال لبعض مواليه اخرج الى المتسبب فمره أن يوكل بالصياد من يدور معه من حيث لا يشعر فاذا باع السمكة قبض على مشتريها وصار به الينا ففعل المتسبب ما أمر به فلقى الصياد رجلا نصرانيا فابتاع منه السمكة بثلثى درهم فلما صارت السمكة فى يد النصرانى وذهب بها قبض عليه الاعوان وأتى به المتسبب وأدخله على المنصور فقال له من أنت قال رجل نصرانى قال بكم ابتعت هذه السمكة قال بثلثى درهم قال وكم عيالك قال ليس لى عيال قال وأنت يمكنك ان تشترى مثل هذه السمكة بمثل هذا الثمن كم عندك من المال قال ما عندى شئ فقال للمتسبب خذه اليك فان أقر بجميع ما عنده والا فتل به فأقر بعشرة آلاف درهم قال كلا انها أكثر فأقر بثلاثين ألف درهم وأحل دمه ان وقف له على أكثر منها قال له من أين جمعتها قال وأنا آمن يا أمير المؤمنين قال له وانت آمن على نفسك ان صدقت قال كنت جارا لابى ايوب فولانى جهبذة بعض نواحى الاهواز فأصبت هذا المال فقال المنصور الله اكبر هذا مالنا اختنته وأمر المتسبب بحمل المال واطلاق الرجل (وقد حكى) ابن حمدون فى تذكرته ان المنصور حج فى بعض السنين فحدا به سالم الحادى فى طريقه يوما بقول الشاعر

ابلج بين حاجبيه نوره * اذا تغذى رفعت ستوره
يزينه حياؤه وخيره * ومسكه يشوبه كافوره

فطرب المنصور حتى ضرب برجله المحمل ثم قال يا ربيع أعطه عشرة دراهم وفى رواية نصف درهم فقال سالم لا غير يا أمير المؤمنين والله لقد حدوت لهشام بن عبد الملك فأمر لى بثلاثين ألف درهم فقال المنصور ما كان له أن يعطيك من بيت مال المسلمين ما ذكرت يا ربيع وكل به من يستخرج منه هذا المال قال الربيع فما زلت أسفر بينهما حتى شرط عليه أن يحدو به فى خروجه ودخوله بغير مؤنة وكان سالم هذا المذكور تورد له الابل بعد ان تظمأ السبعة أيام والثمان والتسع والعشر فيحدو لها فيلهيها بحدوه عن ورود الماء (ومن ظريف ما يحكى) عنه ان عبد الله بن زياد بن الحرث كتب اليه رقعة بليغة يستمنحه فيها فكتب عليها ان الغنى والبلاغة اذا اجتمعا فى بلد ابطراه وأمير المؤمنين مشفق عليك فاكتف بالبلاغة (وكان) لسوار القاضى بالبصرة من قبل المنصور كاتبان رزق احدهما عشرون درهما ورزق الآخر اربعون درهما فكتب اليه سوار التسوية بينهما فنقص صاحب الاربعين عشرة وزادها صاحب العشرين وانما اراد سوار ان يلحق صاحب العشرين بصاحب الاربعين

من صان درهمه ولم يسمح به للعطاء وكشف عنه اللؤم ما اسبله الكرم من الغطاء

مروان بن ابى حفصة وذلك انه خرج يريد المهدى فقالت امرأة من اهله ما لى عليك اذا رجعت بالجائزة قال ان أعطيت مائة الف درهم اعطيتك درهما فأعطى ستين الفا فأعطاها اربعة دوانيق (وسأل رجل) خالد بن صفوان فقال هب لى دينارا فقال خالد لقد سألت عظيما اصغرك الله الدينار عشر العشرة والعشرة عشر المائة والمائة عشر الالف والالف ديتك (وكان) بعض البخلاء اذا صار الدرهم فى يده خاطبه وناجاه وقبله وفداه وقال له بابى انت وامى كم من ارض قطعت وكيس خرقت وكم من خامل رفعت وسرى

حلاوة منزعه وعذوبة مشرعه
وأولى ما حفظ من شعره فى ذلك قوله

اذا جادت الدنيا عليك فجد بها
وبادر بها من قبل أن تتفلت
فلا الجود يفنيها اذا هى أقبلت
ولا البخل يبقيها اذا هى ولت

(قال بعض الشعراء)

لا تبخلن بدنيا وهى مقبلة
فليس ينقصها التبذير والسرف
وان تولت فأحرى ان تجود بها
فالحمد منها اذا ما أدبرت خلف

(وقال آخر)

ثناء الفتى يبقى ويفنى ثراؤه
فلا تكتسب بالمال شيأ سوى الذكر
فقد أبلت الايام كعبا وحاتما
وذكرهما غض جديد الى الحشر

(قال ابن سعيد) حكى لى الصاحب كمال الدين بن العديم ان القاضى بهاء الدين بن شداد قاضى حلب الذى بلغ عند صلاح الدين وابنه الظاهر ما لم يبلغه أحد من نظرائه مرض بحلب قال فمشيت فى جماعة من الشبان المبتدئين فى القراءة والظهور الى عيادته فعندما دخلنا عليه قام لنا فجعلنا نحلف ان لا يفعل فقال يا سبحان الله تتفكرون فى مرضى وتتعنون من أماكنكم الى منزلى ثم أبخل عليكم بقومة هذا والله غير طريق المروءة ثم قال يا أولادى لقد دخلت على كبير وانا فى سنكم فلم يحتفل بنا فالى الآن ما أذكر ذلكم الا أسأت ذكره وندمت على وصولى اليه ولا يتجنب المعائب الا أهل التجارب قال وكنت أتردد الى مجلس كمال الدين بن يغمور وهو نائب السلطنة بالشام وكان يقوم لى كلما دخلت عليه فدخلت يوما فاذا به مضطجع فلم يقم وأخذ فيما كان يأخذ فيه فلما دخلت

وضعف

وضعت ان لك عندى أن لا تعرى ولا تضحى ثم يلقيه فى الكيس و يقول اسكن على بركة الله فى مكان لا تحول عنه ولا تخرج منه (وكان) مروان بن أبى حفصة اذا جاءته جائزة يقول للدراهم لخامل رفعت وكم سرى وضعت طال ما تغربت فى البلاد وأتعبت فى طلب تحصيلك العباد فوالله لاطيلن ضجعتك ولاديمن صرعتك ثم يضعها فى الصندوق ويختم عليها (وكان) أبو العميس اذا وقع الدرهم فى يده نقره بأصبعه وقال مخاطبا له كم من بلد وقعت فيها ومن بلد جلت فى نواحيها بأبى أنت وأمى اسكن وقر عينا فقد قر بك القرار واستقر بك الدار واطمأن بك المنزل ثم يضعه فى كيس و يختم عليه فيكون آخر العهد به (وكان) بعض البخلاء اذا وقع الدرهم فى كفه قال مخاطبا له أنت عقلى ودينى وصلاتى وصيامى وجامع شملى وقرة عينى وقوتى وعمادى وعدتى ثم يقول يا حبيب قلبى وثمرة فؤادى قد صرت الى من يصونك و يعرف حقك و يعظم قدرك و يشفق عليك وكيف لا يكون كذلك وبك تجلب المسار وتدفع المضار وتعظم الاقدار وتعمر الديار وتفتض الابكار ترفع الذكر وتعلى القدر ثم يطرحه فى الكيس و ينشد

بنفسى محجوب عن العين شخصه * وليس بخال من لسانى ولا قلبى
ومن ذكره حظى من الناس كلهم * وأول حظى منه فى البعد والقرب

(ومن صان درهمه ولم يسمح به فكان ذلك سببا لذمه وثلبه)

ما يحكى أن أعرابيا شرب عند بخيل غبوقا فلما سكر البخيل وانتشى خلع على الاعرابى قميصا فلما صحا انتزعه منه ثم شرب معه صبوحا فلما سكر وانتشى خلع عليه قميصا فلما صحا انتزعه منه فقال

كسانى قميصا مرتين اذا انتشى * وينزعه منى اذا كان صاحيا
فلى فرحة فى سكره وانتشائه * وفى الصحو ترحات تشيب النواصيا

(وأتى) بعض البخلاء بغلام ليشتريه فسيم فيه بأربعين دينارا فأعطى فيه عشرين فقيل له انه فراس ونداف فقال لو فرش السماء وندف الغيم بقوس قزح ما اشتريته بأربعين (وساوم أشعب) بقوس بندق فقال صاحبه بدينارين فقال والله لو رميت به طائرا فوقع مشويا بين رغيفين ما اشتريته بهذا الثمن * وكان أشعب بخيلا وله حكايات تذكر فيما بعد ان شاء الله (وقال الاصمعى) قالت امرأة لزوجها اشتر لنا رطبا فقال لها وكيف يباع قالت كيلجة بدرهم فقال والله لو خرج الدجال وعاث فى الارض وأنت تمخضين بعيسى والناس ينتظرون الفرج على يديه فى قتال الدجال ثم لم تلديه حتى تأكلى الرطب ما اشتريته لك كيلجة بدرهم (مدح شاعر) محمد بن عبدوس فقال له اما أن أعطيك شيأ من مالى فلا ولكن اذهب فاجن جناية حتى لا آخذ بها (وقال) مروان بن أبى حفصة ما فرحت بشئ فرحى بمائة ألف درهم وهبها لى أمير المؤمنين المهدى فزادت درهما فاشتريت به لحما (ودخل) أبو ساعد على الغنوى فأنشده

رأيت فى النوم أنى مالك فرسا * ولى وصيف وفى كفى دنانير
فقال قوم لهم علم ومعرفة * رأيت خيرا وللاحلام تفسير
اقصص منامك فى بيت الامير تجد * تحقيق ذاك وللفأل التباشير

فلما سمع الامير انشاده قال أضغاث أحلام وما نحن بتأويل الاحلام بعالمين

(من كان بخله على الفقراء بطعامه معربا عن لؤمه وموجبا لملامه)

عليه فى اليوم الثانى قام ثم جلس ثم قام ثم جلس وقال هذه الاخيرة قومة أمس كانت على دينا العذر تتفضل بقبوله دون مطالبة بذكره فتعجبت من فضله وقلت ما سار لهذا الرجل ما سار فى الآفاق من باطل (قال يزيد بن أبى حبيب) خرجت الى الصيد فبينا أنا يوما أدور على شاطئ النيل اذا أنا برأهب فى الماء وهو يغسل عباءة بالطين والماء فوقفت أنظر اليه فنظر الى وقال أظنك ممن يطلب الاحاديث قال قلت أجل فقال اصبر حتى أفرغ من شأنى وأحدثك حديثا تجده عندنا فانتظرته حتى فرغ ثم جاء فجلس فقال يا هذا انا نجد فى علمنا مثلا ان الحق والباطل اصطحبا فى سفر فمشيا الى الليل فلما نزلا قال الباطل للحق اذهب فأتنا بشئ نفطر عليه قال فذهب الحق فطلب فلم يجد شيأ من حله فرجع فقال له الباطل ما صنعت قال لم أجد شيأ من حله فقال الباطل اجلس حتى آتيك قال فذهب فلم يلبث الا يسيرا حتى جاء بشئ فقال للحق كل فقال ما أراه من حله ولست بآكله فقال له الباطل بعثتك لتأتينى بشئ فلم تجد شيأ فلما ذهبت أنا وجئت لما نفطر عليه حرمته على فنازعه فوثب الباطل على الحق فقتله ثم قال ان أهل الحق قد علموا انه خرج معى ولا بد لهم أن يطلبونى به فعمد الى حطب فجمعه ثم أضرم عليه النار حتى صار رمادا ثم ذهب وتركه فجاء أهل الحق فقالوا ما فعل الحق فقال لا علم لى به فقالوا معك خرج فقال نعم ولا أدرى ما فعل فخرج أهل الحق يطلبونه حتى وقفوا على الموضع الذى أحرقه فيه الباطل فقالوا هذا رماد

(الحطيئة) يحكى عنه أن بعض الاعراب مر به وهو يرعى غنماله وفى كفه عصافنادى الاعرابى ياراعى الغنم فأومأ اليه الحطيئه بعصاه وقال انها عجراء من سلم فقال الاعرابى انى ضيف فقال وللضيفان أعددتها (ومر أعرابى) بأبى الاسود الدؤلى وهو واقف على باب داره فسلم فقال له أبو الاسود كلمة مقولة قال أتأذن لى فى دخول منزلك قال وراءك أوسع لك قال هل عندك شئ يؤكل قال نعم قال فأطعمنى قال عيالى أحق به منك قال ما رأيت ألأم منك قال لست ترى نفسك قال الشاعر

ايالك ترغب فى كلامه * وارفع يمينك من طعامه
فالموت أهون عنده * من مضغ ضيف والتقامه
سيان كسر رغيفه * أو كسر عظم من عظامه
واذا مررت ببابه * فاحفظ رغيفك من غلامه

(وقال رجل) لبعض البخلاء لم لا تدعونى الى طعامك قال لانك جيد المضغ سريع البلع اذا أكلت لقمة هيأت أخرى فقال يا أخى أتريد أنى اذا أكلت عندك أن أصلى ركعتين بين كل لقمتين (وقال آخر لبخيل) لم لا تدعونى قال لانك تعلق وتسدق وتحدق أى يحمل واحدة فى يده وأخرى فى شدقه وينظر الى أخرى بعينه (وعزم) بعض اخوان أشعب عليه ليأكل عنده فقال انى أخاف من ثقيل يأكل معنا فقال ليس معنا ثالث فمضى معه فبينما هما يأكلان اذا بالباب يطرق فقال أشعب ما أرانا الا صرنا الى ما نكره قال انه صديقى وفيه خصال ان كرهت واحدة منهن لم آذن له فقال أشعب هات أولها قال انه لا يأكل ولا يشرب قال التسع لك ودعه يدخل فقد أمنا ما كنا نخافه (وكان) مروان بن أبى حفصة لا يأكل الا الرؤس فقيل له فى ذلك قال لان الغلام لا يقدر أن يخوننى فيه ان أخذ أذنا أو أخذ عينا وقفت على ذلك وآكل منه ألوانا آكل عينه لونا ودماغه لونا وأذنيه لونا وأكفى مؤنة طبخه فى البيت فقد اجتمع لى فيه مرافق شتى (وحكى) دعبل الخزاعى قال أتيت سهل بن هرون فى حاجة فأطلت الجلوس عنده فأخر غداءه لقيامى فجلست على عمد حتى كضه الجوع فقال يا غلام غدنا فجاء بمائدة وعليها قصعة فيها مرق وديك ايس قبلها ولا بعدها غيرها فاطلع فى القصعة ففقد رأس الديك فقال للغلام أين الرأس قال رميت به قال ولم رميت به قال ظننتك لا تأكله قال فهلا ظننت ان العيال يأكلونه ثم التفت الى وقال لو لم أكره مما صنع الا الطيرة لكان حسبى فانهم يقولون الرأس للرئيس وفيه الحواس الاربع ومنه يصيح الديك وفيه عرفه الذى يتبرك به وعينه التى يضرب بها المثل فى الصفاء ودماغه موصوف لوجع الكليتين ولم ار عظما قط أهش تحت ضرس من دماغ ديك ويلك انظر أين رميته قال لا أدرى قال لكنى أنا ادرى أين رميته رميته فى بطنك الله حسيبك * وكان جعفر بن سليمان بخيلا على الطعام رفعت المائدة من بين يديه يوما وعليها دجاجة صحيحة قد أخذ منها بعض بنيه جناحا فلما أعيدت عليه بالغداة قال من هذا الذى تعاطى فعقر فقيل له ابنك الصغير فقطع أرزاق جميع بنيه من أجله فلما طال ذلك منه وأضر بهم الحال جاءه أكبرهم وقال يا أبانا أفتهلكنا بما فعل السفهاء منا فأعجبه ذلك وامر برد أرزاقهم اليهم (وقال) بعض الاكياس دعانى كوفى الى منزله فقدم لى دجاجة فأكلت من المرقة وجهدت ان آكل من اللحم فما قدرت لصلابته وبت عنده فأعاده من الغد الى القدر وطرح عليه سكرا فعاد زيرباجا فقدمه وأكلت من المرق وجهدت ان آكل من اللحم فما قدرت لشدته فبت عنده الليلة الثانية فلما كان من الغد قال لغلامه اطرح عن اللحم من المرق ليصير قلية ففعل ثم قدمه الى فأكلت من

المرق

الحق وهذا موضع ناره حيث أحرقه الباطل فجمعوا رماده وصنعوا امدادا يكتبون به فهذا ما بقى من الحق فاما الحق بعينه فقد ذهب (ومن) المنقول فى تأليفنا مقالات الادباء (دخل) رجل على سلم بن قتيبة الباهلى فكلمه فى حاجة ووضع نصل سيفه على أصبع سلم بن قتيبة وجعل يكلمه فى حاجته وقد أدمى اصبعه وسلم صابر فلما فرغ الرجل من حاجته وانصرف دعا سلم بمنديل فمسح الدم من أصبعه وغسله فقيل له الا نحيت رجلك أصلحك الله أو أمرته برفع سيفه عنها فقال خشيت ان اقطعه عن حاجته (حدث الاصمعى) قال سأل رجل أبا عمرو بن العلاء حاجة فوعده بها ثم ان الحاجة تعذرت على ابى عمرو فلقيه الرجل بعد ذلك فقال له يا أبا عمرو وعدتنى وعدا فلم تنجزه قال له أبو عمرو فمن أولى بالغم أنا أو أنت فقال له أنا فقال له عمرو بل أنا فقال له الرجل وكيف ذلك أصلحك الله قال لانى وعدتك وعدا فأبت بفرح الوعد وأبت أنا بهم الانجاز وبت ليلتك فرحا وبت مفكرا مغموما ثم عاق القدر عن بلوغ الارادة فلقيتنى مذلا ولقيتك محتشما فمن ههنا صرت أولى بالغم منك (اجتمع) جماعة من الشعراء بباب أبى الغيث فلم يأذن لهم فكتبوا اليه

أيها ذا العزيز قد مسنا الضر
ودبت به الخطوب الينا
ولدينا بضاعة مزجاة
قل طلابها فبارت لدينا
فأزل ضرنا وأوف لنا الكيل
بما شئت أو تصدق علينا
فاحسن اليهم وانصرفوا (روى)

المرق وجهدت ان آكل من اللحم فلم اقدر لقوته فأخذت قطعة من اللحم ووضعتها الى جهة القبلة وقت لاصلى اليها فقال ما هذا الذى تصنع قلت أشهد أنه لحم ولى من أولياء الله تعالى فانه قد أدخل النار ثلاث دفعات فلم تفعل فيه شيأ فلما أردت الانصراف اذا ببعض جيرانه يدق الباب فقال له أعرنى ذلك اللحم لضيف وافانى من الغد لاطبخه له وأرده اليك ان شاء الله تعالى فناوله اياه (وسأل فقير) من دار بخيل شيأ فأعطى لقمة صغيرة فقال يا أهل هذا المنزل كيف أشرب هذا الدواء (وقف سائل) على باب دار فيها يحيى بن زياد وحماد بن عجرد وبشار مجتمعين على طعام فقال يا اخوتى المسلمين فقال يحيى فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون فقال ارحمونى فقال حماد نحن الى رحمتك أحوج منك الى رحمتنا فقال واسمعوا كلامى فقال بشار * لقد اسمعت لو ناديت حيا * فقال السائل أما القول فما أوسع به شقاشق أفواهكم وأما الفعل فما أخيبه قرن الله بالخيبة آمالكم (وقال العتبى) كان الاصمعى يجعل الخبز الحار أدما للخبز البارد ولو بذلت له الجنة بدرهم لاستنقص منه شيأ (وقال جحظة) دخلت على هرون بن الخال وكان بخيلا بطعامه وكنت اذ ذاك نافها من علة وقد نصبت مائدة بين يديه فدعانى اليها وقدمت الى صحفة فيها مضيرة معقودة بعصد ان كأنها قضبان فضة فانهمكت فى الاكل فنظر الى شزرا ثم قال يا جحظة هذه والله معدن ألم المفاصل والفالج والقوة والقولنج وانت عليل وبدنك نحيل واللبن يستحيل فقلت والله العظيم الجليل لآتين منها على الكثير والقليل وحسبنا الله ونعم الوكيل ثم أقبلت على الاكل منها حتى اكتفيت فلما انصرفت عملت فيه

ولى صاحب لاقدس الله روحه * بعيد عن الخيرات غير قريب
أكلت عصيبا عنده فى مضيرة * فيالك من يوم عليه عصيب

(وله وأبدع)

لاتعذلونى ان هجرت طعامه * خوفا على نفسى من المأكول
فتى أكلت قتلته من بخله * ومتى قتلت قتلت بالمقتول

(وحضر أعرابى) مائدة هشام بن عبد الملك فرفع الاعرابى لقمة فقال له هشام شعرة فى لقمتك يا اعرابى فقال الاعرابى فانك تلاحظنى ملاحظة من يرى الشعرة والله لا أكلت عندك أبدا (وقال) بعض البخلاء انى لا آكل الا نصف الليل قيل له ولم قال يبرد الماء وينقمع الذباب وآمن فجأة الداخل وصرخة السائل (وطبخ) رجل قدرا وجلس مع زوجته يأكلان فقال ما أطيب هذا الطعام لولا الزحام قالت أى زحام ههنا انما هو أنا وأنت قال كنت أحب أن أكون أنا والقدر (وقال) بعض البخلاء لغلامه هات الطعام واغلق الباب قال يا مولاى ليس هذا حزما بل أغلق الباب أولا وأقدم الطعام ثانيا فقال له اذهب فأنت حر لوجه الله تعالى لعلمك بأسباب الحزم (وأين هذا) مما يحكى أن عدى بن حاتم الطائى عمل مأدبة فقال لولده وكان صغيرا أقم على الباب وأذن لمن تعرف وامنع من لا تعرف فقال والله لا يكن أول شئ وليته من امر الدنيا منع احد عن طعام فقال عدى والله يا ولدى انت اكرم منى وافطن افتحوا الباب فمن شاء فليدخل وبهاتين الحكايتين علم مصداق من اطلع الله شمس الحكمة من مشرقه فيه بقوله العبد من طينة مولاه والولد سر أبيه

(شاعر يذم بخلاء وتروى للاخطل)

قوم اذا أكلوا أخفوا كلامهم * واستوثقوا من رتاج الباب والدار
لا يقبس الجار منهم فضل نارهم * ولا تكف يد عن حرمة الجار

ان عكرمة بن ربعى الفياض ولى اصبهان فانهب خراجها فى زوار وقدم المدينة فتتبع بها اخوانه واعطاهم عطايا لم يكن فيها اقل من عشرة آلاف درهم ثم سأل عن بشر بن غالب الذى تنسب اليه جبانة بشر بالكوفة فقيل له غلبه الدين حتى اختفى قال فامهل حتى اذا امسى حمل معه بدرة وعلى غلامه بدرة أخرى وتختا من ثياب اصبهان ثم سأل عن منزل بشر فدل عليه فدق الباب فقال بشر لامرأته انظرى من هذا وما حاجته وما يريد قال فخرجت اليه امرأته فقالت من أنت وما حاجتك وما تريد قال اريد بشرا قالت اوما علمت انه غائب منذ شهر قال فحلف لها بالطلاق والعتاق انه آمن وانه ليس له قبله شئ يكرهه قال فخرج بشر اليه فقال ما حاجتك قال مر بهذا المال يقبض قال ومن انت قال وما عليك أن لا تعرف اسمى فقال لعلى ذلك قال فترضى ان نوجزك قال نعم قال أنا جابر عثرات الكرام قال انك لاهل ان يقبل منك قال فلما كان بعد قليل ولى بشر بن مروان الكوفة وجعل على شرطته بشر بن غالب ودفع اليه عكرمة بن ربعى وقال له دق يديه حتى يرد ما كسر من خراج أصبهان قال فقطع عليه العذاب وهو لا يعرفه فقالت له امرأته أخبره بيدك عنده قال تأمرينى أن أتقاضى معروفى والله لافعلت قالت فأخبرهم أنا قال ان فعلت فأنت طالق ثلاثا قالت فرأيت الطلاق أهون على من أن تتلف نفسه فدخلت على امرأة بشر فقالت تدرون من تعذبون قالت نعم هو

عكرمة قالت هو جابر عثرات الكرام قال فدعت بالويل قال فدخل عليها بشر فقالت تدرى من تعذب قال نعم هو عكرمة قالت هو جابر عثرات الكرام الذى طرقنا ليلا بما طرق قال فدعا بثيابه وسيفه ثم مثل بين يدى بشر بن مروان وقال أصلحك الله هذا مقام العائذ قال وماذاك قال ان الذى أخبرتك انه طرقنا ليلا بما طرقنا هو عكرمة قال فماذا تريد ما قال أريد أن تخلى سبيله قال فانا قد فعلنا قال وأخرى أصلحك الله قال وماهى قال ان تصيره مكانى معك قال فانا قد فعلنا قال فعاشا صاحبين مع بشر بن مروان رحمة الله على جميعهم (ودم) سعيد بن العاصى الكوفة عاملها لعثمان رضى الله عنه فكانت له موائد يغشاها الاشراف والقراء فكان فيمن يغشى موائده رجل من القراء فقير فقالت له امرأته ويحك انه يبلغنا عن أميرنا هذا كرم وجود فاذكر له بعض ما نحن فيه فتعشى عنده ذات ليلة فلما انصرف الناس منه ثبت الرجل فقال له سعيد انى قد أرى جلوسك وما جلست الا ولك حاجة فاذكرها رحمك الله فتعقد الرجل وتعسر فقال سعيد لغلمانه تحوا يا غلمان ثم قال له رحمك الله انما هو أنت وأنا فاذكر حاجتك فتعقد أيضا وتعصى فنفخ سعيد المصباح فأطفأه ثم قال له رحمك الله انك لست ترى وجهى فاذكر حاجتك قال أصلح الله الامير أصابتنا حاجة فأحببت ذكرها لك قال له اذا أصبحت فائت فلانا وكيلى فلما اصبح لقى الوكيل فقال له ان الامير قد أمر فى بشئ فهل جئت بمن

قوم اذا استنبح الاضياف كلبهم * قالوا لامهم بولى على النار

(آخر) تراهم خشية الاضياف بوما * يقيمون الصلاة بلا أذان

(ابن هلال العسكرى يذم بخيلا)

تنانيركم للنمل فيها مدارج * وفى قدركم للعنكبوت مناسج
وعند كم للضعيف حين ينوبكم * سؤالات سوء للقرى وسفائج
وأنتم على ما تزعمون أكارم * فايرى فى است الاكارم والج

(وقال) صعصعة بن صوحان أكلت عند معاوية لقمة فقام بها خطيبا قيل وكيف ذاك قال كنت آكل معه فهيأ لقمة ليأكلها فأغفلها فأخذتها فسمعته بعد ذلك يقول أيها الناس اجملوا فى الطلب فرب رافع لقمة الى فيه سبقه اليها غيره

﴿ومما يليق بهذا الفصل من التذييل ذكر من عرف بالطامع والتطفيل﴾

قالوا الطمع يدنس الثياب ويغير الاذهان (وقالوا) مصارع الالباب تحت ظلال الطامع (وقالوا) الحر عبد ما طمع والعبد حر ان قنع (وقالوا) اخرج الطمع من قلبك تحل القيد من رجليك (وصف) بعضهم طامعا فقال لو رأى شيأ فى بحر فى لجاء الهيبسى وادخل يده فيه ليأخذه ويحويه (وقالوا) لوقيل للطمع من ابوك لقال الشك فى المقدور ولو قيل له ما حرفتك لقال اكتساب الذل ولو قيل له ما غايتك لقال الحرمان ولله در من قال

وما قطع الاعناق حتى ابانها * وقررها الاسيوف المطامع

(شاعر يذم الطمع)

وذى طمع يغدو بقية عمره * وعسى ولم تجمع يداه له وفرا
يبيت سمير الليل مثريا بها * ويضحى سليبا من مواهبها صفرا
وأكثر ما تلقى الامانى كواذبا * فان صدقت جازت بصاحبها القدرا

﴿فمن﴾ اشتهر بالطمع وجمع فيه بين الطبع والطامع اشعب وبه يضرب المثل قيل له ما بلغ من طمعك قال ما رأيت عروسا تزف الا ظننت انها الى ولا رأيت جنازة الا حسبت ان صاحبها اوصى لى بشئ ولا رأيت اثنين يتناجيان الا خيل لى انهما يأمران لى بمعروف ولقد طاف الصبيان حولى يوما يتولعون بى فقلت لهم لابعدهم عنى ان فى دار فلان لوزينجا يفرق فذهبوا يتعادون فلما ذهبوا اعنى ظننت انى صادق فتبعتهم (وقيل) له هل رأيت اطمع منك قال نعم نزلت بطريق الشام مع رفيق لى تحت صومعة راهب فتنازعنا فى شئ فقلت اير الراهب فى است الكاذب واذا بالراهب قد نزل وايره فى يده وقد انعظ وهو يقول قد يتكما من الكاذب فيكما (وكان) يقول ما احسست بجارلى يطبخ قدرا الاغسلت الغضارة ووضعت المائدة وانتظرته يحمل الى قدره (جلس) عبد الله بن ابى عتيق مع زوجته فتمنى ان يهدى له مسلوخ فيتخذ منه لون كذا ولون كذا فسمعته جارة له فظنت انه ربعمل ما سمعت فانتظرته الى الليل ثم جاءت وطرقت الباب وقالت شممت رائحة قدركم فجئت لتطعمونى منها فقال ابن ابى عتيق لامرأته انت طالق ان اقمنا فى دار يتشمم اهلها ريح الامانى ورحل عنها

(بعض المتمنين) خلوت بنفسى فمنيتها * امانى خابت ولم تصدق
فهذا القتلاء وهذا اضربا * وهذا اجلاء على الابلق

(التطفيل) من امثالهم قولهم اطفل من ذباب والزم من قراد وانم من ليل على نهار (ومن ادب الراجز) اوغل فى التطفيل من ذباب * على طعام وعلى شراب

لو ابصر الرغفان في السحاب * لطار في الجو مع العقاب

(وقالوا) من جاء الى طعام لم يدع اليه استحق الدرد ولا يلام عليه (ليم) بعض المتطفلين على التطفيل فقال والله ما بنيت المنازل الا لتدخل ولا قدمت الاطعمة الا لتؤكل وانى لاجمع في التطفيل خلالا ادخل مجالسا واقعد مستأنسا وانبسط وان كان رب المجلس عابسا ولا اتكلف مغرما ولا انفق درهما (وقال بنان) وهو كبيرهم التمكن على المائدة خير من أربعة ألوان زائدة *ومن دعائه اللهم ارزقني صحة الجسم وكثرة الاكل ودوام الشهوة ونقاء المعدة (ودخل) بعض الطفيليين على قوم فقالوا من أنت قال أنا الذي لا أحوجكم الى رسول ولبعضهم في المعنى

نحن قوم ان جفانا الناس وصلنا من جفانا * لا نبالي صاحب الدار نسينا أم دعانا

(قصد) جماعة من الطفيليين باب بعض الكبراء وقت غدائه فمنعهم بوابه فكتب اليه بعضهم

قد أتيناك زائرين خفافا * وعلمنا بأن عندك فضلة
ولدينا من الحديث هناة * محكمات نعدها لك جملة
ان تجدنا كما تريد والا * فاحتملنا فانما هي أكلة

فأذن لهم فدخلوا (البديع الهمداني على لسان طفيلي)

نحن قوم نحب هدى رسول الله هدنا وللصواب أصبنا
وادعنا كلما نشطت فانا * لو دعينا الى كراع أجبنا

(آخر)

ولما أن كتبت ولم تجبني * ولم تنظر الى بعين أنس
رأيت الحزم أن أمضي ركابي * اليك وأن أكون رسول نفسي

(ولم أسمع باطرف من قول القائل)

ونديم رقيق حاشية الحسـ * ـن صافي زجاجة الآداب
شغلته الرقاع منه اليه * داعيا نفسه الى الاصحاب

(آخر يصف طفيليا)

لو طبخت قدر بمطمورة * بالشام أو أقصى جميع الثغور
وأنت بالصين لوافيتها * يا عالم الغيب بما في القدور

﴿الفصل الثالث من الباب العاشر﴾
في مدح القصد في الانفاق خوف التعيير بالاملاق

قال الله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ناصحا بالاشفاق وآمرا له بالقصد في الانفاق مثبتا لكماله قواما مشكورا ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا فنهاه عن التقتير كما نهاه عن التبذير (وقال تعالى) مثنيا على المقتصدين بحسن تقديرهم اكراما والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما (وقال) رسول الله صلى الله عليه وسلم ما عال من اقتصد أي ما افتقر (وقال) عمر ابن الخطاب رضي الله عنه ان الله يحب القصد والتقدير ويكره السرف والتبذير (وقال) معاوية رضي الله عنه حسن التقدير نصف الكسب وهو قوام المعيشة وقال لولده كن مقدرا ولا تكن مقترا (وأوصى) حكيم ولده فقال يا بني عليك بالتقدير بين الطرفين لا منع ولا اسراف ولا بخل ولا اتلاف لا تكن رطبا فتعصر ولا يابسا فتكسر (وقالوا) حسن التقدير رأس التدبير (وقال ذو النون) حسن التقدير مع الكفاف أكفى من الكثير مع الاسراف (ويقال) لا تسمح لولدك ولا لامرأتك ولا لغلامك

يحمل لي قال لا والله ما عندي من يحمل ورجع الى امرأته وجعل يعذلها ويلومها وقال قال لي وكيله جئت بمن يحمل وما هي الا قوصرة من تمر أو قفيز من بر ولو كانت دراهم أو دنانير لعاينتها بيده قالت ويحك ما كان من شيء فقوتنا به فمكث أياما ثم لقيه الوكيل فقال له ويحك أين تكون أخبرت الامير انه ليس عندك من يحمل فأمرني أن أوجه معك من يحمل فوجه معه بثلاثة من السودان يحمل كل واحد منهم بدرة على عاتقه حتى اوردوها منزله فاطلق وكاء بدرة منها ووهب لهم منها دراهمات وقال انصرفوا فقالوا الى ابن ما حمل له مملوك قط هدية فرجع في ملكه (امتدح) نصيب الشاعر عبد الله بن جعفر فأمر له بخيل وابل واثاث ودنانير ودراهم فقال له رجل أمثل هذا الاسود يعطى مثل هذا المال فقال عبد الله بن جعفر ان كان اسود فان شعره أبيض وان ثناءه لعربي وقد استحق بما قال أكثر مما نال وهل أعطيناه الا ثيابا تبلى ومالا يفنى ومطايا تنضى وأعطانا مدحا يروى وثناء يبقى (دخل) ابن السماك على محمد بن سليمان ابن علي فرآه معرضا عنه فقال مالي أرى الامير كالعاتب علي قال ذلك لشيء بلغني عنك كرهته قال اذن والله لا أبالي قال ولم قال لانه ان كان ذنبا غفرته وان كان باطلا لم تقبله (خطب) أبو جعفر المنصور يوما فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أيها الناس اتقوا الله فقام اليه رجل من عرض الناس فقال أذكرك الذي ذكرتنا به يا أمير المؤمنين فأجابه أبو جعفر بلا فكرة ولا روية سمعا

وخادمك بما فوق الكفاية فان طاعتهم لك بقدر حاجتهم اليك (ومن هذا وهو لائق بالملوك) ما حكى ان ابرويز قال لابنه لا توسعن على جندك فيشتغلوا عنك ولا تضيقن عليهم فيضجوا امنك واعطهم عطاء قصدا وامنعهم منعا جميلا ووسع لهم فى الرجاء ولا توسع عليهم فى العطاء * وفى وصيته لولده اى بنى قول لا تدفع البلاء وقول نعم تزيل النعم وسماع الغناء برسام حاد لان الانسان اذا سمع الغناء شرب واذا شرب طرب واذا طرب وهب واذا وهب عطب واذا عطب اعتل ثم يموت من غم ذلك والدرهم محموم ان حركته مات والدينار محبوس ان اطلقته طار وكذب من قال اليمين تذر الديار بلاقع وانما الاسراف يفعل ذلك والاصدقاء هم الاعداء لانك اذا احتجت اليهم منعوك وان احتاجوا اليك ومنعتهم سبوك واذا لم يكن لك بد منهم فكن معهم كلاعب الشطرنج يحفظ ما معه ويحتال فى أخذ ما مع غيره (وسأل رجل) زياد بن سمية فأعطاه درهما فقال صاحب العراقين أسأله فيعطيني درهما فقال من بيده خزائن السموات والارض يمارزق أخص عباده عنده وأكرمهم لديه التمرة واللقمة وما يكبر عندي ان أصل رجلا بمائة ألف درهم ولا يصغر عندي أن أعطي سائلا رغيفا اذا كان رب العالمين يفعل ذلك (وقيل) ينبغي للعاقل أن يكسب ببعض ماله المحمدة ويصون ببعضه وجهه عن المسئلة (وقال الاصمعي) سمعت بعض الاعراب يقول من اقتصد فى الغنى والفقر فقد استعد لنوائب الدهر * ويقال اقتصد فى انفاق الدراهم فانها الجراح الفاقة مراهم (وقالوا) اسقاط الفضول فى النفقة ربح بضاعة لا تمل فان الاسراف ربما كان سببا فى التقتير (وقال الثعالبي) من كثرت فى دعوته نفقته أسلم ماله ونقصت مروأته (وقال افلاطون) رأس العقل الاقتصاد فى الانفاق من غير بخل (ومن الكلام البديع) للبديع الهمذاني قوله مثل الاحسان فى الانسان مثل الثمار فى الاشجار حقه اذا أتى بالحسنة أن يرفه الى سنه وما أحسن ما قيل فى المعنى

أنفق بمقدار ما استفدت ولا * تسرف وعش فيه عيش مقتصد
من كان فيما استفاد مقتصدا * لم يفتقر بعدها الى أحد

(آخر)

كن بما أوتيته مغتبطا * تستدم عيش القنوع المكتفى
ان فى نيل المنى وشك الردى * واجتناب القصد عين السرف
كسراج دهنه قوت له * فاذا غرقته فيه طفى

﴿ماقيل ان فى صلاح الاموال صلاح ما فسد من الاحوال﴾

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لا يقل مع الاصلاح شئ كما لا يكثر مع الافساد شئ (ويقال) من الفساد اضاعة الزاد (المتلمس)

لحفظ المال خير من فناه * وسير فى البلاد بغير زاد
قليل المال تصلحه فيبقى * ولا يبقى الكثير مع الفساد

(وقال) عمر بن الخطاب رضي الله عنه أصلحوا أموالكم التى رزقكم الله فان اقلالا فى رفق خير من اكثار فى خرق (وقالوا) ان فى صلاح الاموال سلامة الدين وجمال الوجه وبقاء العز وصون العرض (وقالوا) أصلح مالك تجده لروعة الزمان وجفوة السلطان ونبوة الاخوان ودفع الاحزان (وكتب) عتبة بن أبي سفيان الى وكيله يعاهد صغير مالي يكبر ولا يخف كبيره فيصغر فانه ليس يشغلني كثير مالي عن اصلاح قليله ولا يمنعني قليله عن كثير ماينوبني (وقال) أحيحة بن الجلاح أصلحوا اموالكم فانكم لا تزالون ذوي مروآت ما استغنيتم عن عشيرتكم (وقال) شبيب بن شيبة لبنيه ان كنتم تحبون المروءة والفتوة

فاصلحوا

سمعا لمن ذكر بالله وأعوذ بالله ان أذكر به وأنساه فتأخذني العزة بالاثم لقد ضللت اذا وما أنا من المهتدين وأما أنت أيها القائل فوالله ما الله أردت بها ولكن ليقال قال فعوقب وصبر وأهون بها لو كانت وأنا انذركم أيها الناس اختهافان الموعظة علينا نزلت ومنا انبتت ثم رجع الى موضعه من الخطبة (حج) عتبة بن أبي سفيان سنة احدى وأربعين والناس قريب عهدهم بالفتنة فصلى بمكة الجمعة ثم قال أيها الناس انا قد ولينا هذا المقام الذي يضاعف فيه للمحسن الاجر وعلى المسئ فيه الوزر ونحن على طريق ما قصرنا فلا تعدوا الاعناق الى غيرنا فانها تنقطع دوننا ورب متمن حتفه فى أمنيته فاقبلوا العافية ما قبلناها منكم واياكم ولو فانها أتعبت من كان قبلكم ولن تريح من بعدكم وانا اسئل الله ان يعين كلا على كل فصاح به اعرابي ايها الخليفة فقال لست به ولم تبعد فقال يا اخاه فقال سمعت فقل فقال تالله ان تحسنوا وقد اساءنا خير من ان تسيئوا وقد احسنا فان كان الاحسن لكم دوننا فما احقكم باستتمامه وان كان منا فما اولاكم بمكافأتنا رجل من بني عامر بن صعصعة يلقاكم بالعمومة ويقرب اليكم بالخؤلة قد كثره العيال ووطئه الزمان وبه فقر وعنده شكر فقال عتبة استغفر الله منكم واستعينه عليكم وقد امرنا لك بغناك فليت اسراعنا اليك يقوم بابطائنا عنك (تنازع) ابراهيم بن المهدى وبختيشوع الطبيب بين يدى احمد بن ابي دؤاد فى مجلس الحكم فى عقار بناحية السواد فأربى عليه ابراهيم واغلظ له فى القول

فأصلحوا أموالكم (وقال) معاوية اصلاحك مافي يدك اسلم من طلبك ما في ايدي الناس (وقال) عبدالله بن عباس اطلبوا الغنى باصلاح ما في ايديكم فان الفقر مجمع العيوب وقال البستي

اشفق على الفضة والعين * تسلم من القلة والدين
فقوة العين بانسانها * وقوة الانسان بالعين

﴿احتجاج من جمدت يده عن النوال خوف التعيير بالفقر وذل السؤال﴾

قال ابو حنيفة لا خير فيمن لا يحفظ ماله ليصون به عرضه ويصل به رحمه ويستغني به عن لئام الناس (وقال الاصمعي) لامت اعرابية ابنا لها على اتلاف ماله فقالت يا بني حسن المال من العيال من بذل الوجه للسؤال أسرفت في النوال وكثرة النحال امسك فقد أتلفت الطارف والتلاد وبقيت ترغب ما في أيدي العباد يا بني من لم يحفظ ما ينفعه يوشك أن يقع بالفقر فيما يضره (وقال) عبدالله بن المعتز

أعاذل ليس البخل مني سجية * ولكن وجدت الفقر شر سبيل
لموت الفتى خير من البخل للفتى * وللبخل خير من سؤال بخيل

(وقال) سفيان الثوري لان أخلف عشرة آلاف درهم أحاسب عليها أحب الي من أن أحتاج الى الناس (وكان) داود بن علي يقول لان يترك الرجل ماله بعده لاعدائه خير من الحاجة في حياته لاوليائه (وقال) يعقوب الكندي من جاد بماله فقد جاد بنفسه لانه جاد بما لا قوام لها الا به وقال الشاعر

يارب جود جر فقر امرئ * فقام للناس مقام الذليل
فاشدد عرى مالك واستبقه * فالموت خير من سؤال البخيل

(آخر)

الموت خير للفتى * من أن يعيش بغير مال
والموت خير للكريم * من التضرع والسؤال

(وقال) أبو الاسود الدؤلي لو لم تبخل على السؤال بما يسألونا لكنا أسوأ حالا منهم (وقالوا) ختم المال حتم (وليم) مروان بن أبي حفصة على الامساك (فانشد)

يقيم الرجال الموسرون بأرضهم * وترمي النوى بالمقترين المراميا
وما فارقوا أوطانهم عن ملالة * ولكن حذارا من شمات الاعاديا

﴿ومن قولهم في أن الفقر والاقلال مقرونان بالدحر والاذلال﴾

قال أمير المؤمنين علي كرم الله وجهه الفقر داء لا دواء له من كتمه قتله ومن اذاعه فضحه (وقال أيضا) رضي الله عنه مارست كل شئ فغلبته ومارسني الفقر فغلبني ان سترته أهلكني وان اذعته فضحني (وقال) لولده محمد بن الحنفيه يا بني اني أخاف الفقر فانه منقصة للدين مدهشة للعقل داعية للمقت (وقالوا) الفاقة هي الموت الاصغر لا بل هي الموت الاكبر (وذكر) ان السفاح لما ضرب أعناق بني أمية قام اليه رجل فقال يا أمير المؤمنين هذا والله جهد البلاء فقال مه لا أم لك ما هذا وشرطة حجام الاسواء ولكن جهد البلاء فقر مدقع بعد غنى موسع (وقال ابن دأب) لقيت رجلا كنت أعرفه حسن الحال ومن أصحاب الاموال في حالة ردية كأنما أصابته رزية فسلم علي فقلت له ما الذي غير حالك وأذهب مالك فقال تنقل الزمان وكر الحدثان فآثرت الضرب في البلدان والبعد عن الاوطان ومفارقة المعارف والاخوان وعملت بقول الشاعر

سأعمل نص العيس حتى يكفني * غنى المال يوما أو غنى الحدثان
فللموت خير من حياة يرى بها * على الحر ذي الاقلال وسم هوان

فغضب لذلك ابن أبي دؤد وقال يا ابراهيم اذا نازعت في مجلس الحكم بحضرتنا امرا فلا ترفع عليه صوتا ولا تشر بيدك وليكن قصدك امما وطريقك نهجا وريحك ساكنة وكلامك معتدلا ووف مجالس الخليفة حقها من التوقير والتعظيم والاستكانة والتوجه الى الحق فان هذا اشكل بك واجمل بمذهبك في محتدك وعظيم خطرك ولا تعجلن فرب عجلة تهب ريثا والله يعصمك من الزلل وخطل القول والعمل ويتم نعمته عليك كما أتمها على أبويك من قبل ان ربك حكيم عليم فقال ابراهيم أمرت أصلحك الله بسداد وحضضت على رشاد ولست عائدا لما يثلم قدري عندك ويسقطني من عينك ويخرجني من مقدار الواجب الى الاعتذار فها أنا معتذر اليك من هذه البادرة اعتذار مقر بذنبه باخع بجرمه لان الغضب لا يزال يستفزني بمواده فيردني مثلك بحلمه وتلك عادة الله عندك وعندنا فيك وحسبنا الله ونعم الوكيل وقد جعلت من هذا العقار لدحيتشوع فليت ذلك يكون وافيا بارش الجناية عليه ولم يتلف مال أفاد موعظة وبالله سبحانه التوفيق (وهم زياد الى معاوية) برجل مخالف من بني تميم فلما مثل بين يديه قال له أنت القائم علينا المكثر لعدونا قال يا أمير المؤمنين انما كانت فتنة عم عماها وأظلم دجاها ازل فيها الوضيع وخف الحليم والرفيع فاحتدمت واكلت علينا وشربت حتى اذا انحسرت ظلماؤها وانكشف غطاؤها آل الامر الى مآله وصرح عن محضه وارتفع العبوس ونابت النفوس

متى يتكلم يلغ حكم كلامه * وان يقل قالوا عديم بيان

وقوله هذا ينظر الى قولهم فيما ضربوه من الامثال مناقب الموسر مثالب المعسر وذلك أنه اذا كان جوادا قالوا مبذر وان كان لسنا قالوا مهذار وان كان ذكيا قالوا بليد وان كان شجاعا قالوا أهوج وان كان صموتا قالوا عيي وان كان وقورا قالوا متكبر ومن نزل به الفقر لم يجد بدا من ترك الحياء ومن ذهب حياؤه ذهبت مروأته ومن ذهبت مروأته مقت ومن مقت أوذى ومن أوذى حزن ومن حزن ذهب عقله ومن اصيب بهذا كله كان كلامه كلا عليه لا له شاعر

لما رأيت اخلائي وخالصتي * الكل منقبض عني ومحتشم
أبدوا جفاء واعراضا فقلت لهم * اذنبت ذنبا فقالوا ذنبك العدم

(آخر) يغطي عيوب المرء كثرة ماله * يصدق فيما قال وهو كذوب
ويزرى بعقل المرء قلة ماله * يحمقه الاقوام وهو لبيب

(آخر) أنطقتك الثياب لا الآداب * وطوتني عن الكلام الثياب
والصواب الذي أقول خطاء * والخطا الذي تقول الصواب

(وقالوا) من حسن حاله استحسن قاله (وقالوا) الفقر يخرس الفطن عن حجته ويجعله غريبا في بلدته (وقالوا) اذا افتقر الرجل اتهمه من كان يأمنه وأساء به الظن من كان يحسنه فاذا أذنب غيره نسب اليه ومن كان له صار عليه (وقال) ابراهيم بن محمد ابن المدبر جهدت جهدى أن أنظر الى الفقير بالعين التى أنظر بها الغني فلم يتهيأ لى ذلك وقال الشاعر

يغدو الفقير وكل شئ ضده * والارض تغلق دونه أبوابها
وتراه ممقوتا وليس بمذنب * ويرى العداوة ولا يرى أسبابها
حتى الكلاب اذا رأت ذا ثروة * أصغت اليه وحركت أذنابها
واذا رأت يوما فقيرا عاريا * نبحت عليه وكشرت أنيابها

(وقالوا) ما أطيب الافاقة من سم الفاقة (وقال) عبد الملك بن صالح الفقر جند الله الاكبر يذل به من طغى وتجبر (ويقال) رب حسب دفنه الفقر (شاعر)

الفقر يزرى بأقوام ذوى حسب * وقد يسوّد غير السيد المال

(وقال بعضهم) الفقير كميت في بيت لا يملك غير الجلدة بردة ولا يلتقي لحياء الا برعدة (شاعر)

ما أحسن الدين والدنيا اذا اجتمعا * وأقبح الكفر والافلاس بالرجل

(آخر) لبست صروف الدهر كهلا وناشيا * وجربت حاليه على العسر واليسر
فلم أر بعد الدين خيرا من الغنى * ولم أر بعد الكفر شرا من الفقر

(آخر) رزقت لبا ولم أرزق مروأته * وما المروءة الا كثرة المال
اذا أردت مساماة تقعدني * عما ينوه باسمي رقة الحال

(آخر) كفى حزنا أن الغنى متعذر * علىّ وأنى بالمكارم مغرم
وما قصرت بى في المطالب همة * ولكنني أسعى اليها فأحرم

(آخر) كفى حزنا أني أروح واغتدى * ومالى من مال أصون به عرضى
وأكثر ما ألقى صديقي بمرحبا * وذلك لا يكفى الصديق ولا يرضى

(آخر) أرى نفسي تتوق الى أمور * يقصر دون مبلغهن مالى
فنفسي لا تطاوعني لبخل * ولا مالى يبلغني فعالى

(آخر) اذا قل مال المرء قل صديقه * ولم يحل في عين الصديق لقاؤه

فتركنا فتنتنا ولزمنا عصمتنا وعرفنا خليفتنا ومن يجد متابا لم يرد الله به عقابا ومن يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما فعجب معاوية من فصاحته واستغرب حسن اعتذاره وعفا عنه واحسن اليه (لما) غزا الاسكندر دارا بن دارا وكان دارا قد افدمه قومه وأهل مملكته وأحبوا الراحة منه فلحق كثير من وجوه أصحابه وقواده الى الاسكندر ودلوه واطلعوه على عورته وقووه عليه فلما التقيا ببلاد الجزيرة اقتتلا سنة كاملة ثم وثب على دارا جماعة من قومه فقتلوه وكان الذي فعل به هذا حاجباه فلما سيق رأسه الى الاسكندر أمر بضرب أعناق الذين ساقوه وقال هذا جزاء من اجترأ على ملكه (قال الاصمعي) كان لى صديق من أهل الادب والمروءة والحسب قد أتى عليه ثلاثة أعصار مشتهر بحفظ العلوم والاخبار والملح والاشعار وكان لا تسكن حركاته ولا تتوفر لذاته الا في قضاء حوائج الاخوان وادخال السرور على من عرفه من الاخدان فألهاني ما شهدت منه عما وصف لى عنه فقلت له يوما ما هذا الذي تفعله وما قوامك على ما تصنعه فقال يا أصمعي انى شهدت الأيام في يده اخضرار عيشها ورأيت تصرفها وحلبت الدهر أشطره ولهوت في ريعان الشباب وجالست العلماء وصحبت أهل التصابى فما طربت بما سمعت ولا ابتهجت بما رأيت كابتهاجي لنشر نعمة وشفاعة شافع في طلب شاكر يرجو بذلك الحياة في العاجل وجزيل الثواب في الآجل واني لاتشوق الى الرجل الاديب تشوق المريض الى الطبيب واطرب

واصبح لايدري وان كان حازما * أقدامه خير له ام وراؤه
فان مات لم يفقد ولم يحزنواله * وان عاش لم يفرح به أولياؤه

(قيس بن عاصم)

يسود هذا المال غير مسود * ويحرمه ليث فيصبح ثعلبا
وأول ما يجفو الفقير لفقره * بنوه ولم يرضوه في فقره أبا
كان فقير القوم في الناس مذنب * وان لم يكن من قبل ذلك أذنبا

(آخر) لعمرك ان الغنى يجعل الفتى * سريا وان الفقر بالمرء قد يزرى
ولا رفع النفس الدنيئة كالغنى * ولا وضع النفس النفيسة كالفقر

(آخر) ألم تران المرء يزداد عزة * على أهله ان يعلموا انه مثرى
وينحط منه القدر ان كان معدما * وأصبح لا يرجى لنفع ولا ضر

(آخر) أرى ذا الغنى في الناس يسعون حوله * وان قال قولا تابعوه وصدقوا
فذلك دأب الناس مادام ذاغنى * وان مال عنه المال يوما تفرقوا

(ومن المنظوم في سلك الرشاقة ماقيل في التشكي من ضرر الاقلال والفاقة)

(مجد العرب العامري)

هجرت للعدم كل خل * وصرت للانقباض خدنا
فلا أهنى ولا اعزى * ولا اعزى ولا أهنا

(ابن الخياط الدمشقي)

لم يبق عندى ما يباع بحبة * وكفاك شاهد منظرى عن مخبرى
الابقية ماء وجه صنتها * عن أن تباع وأين أين المشترى

(آخر) قعدت عن الاخوان من غير ماقلى * وكان صوابا ما أتيت على عمد
وجهد الفتى أن يستر البيت ماله * اذا لم يجد حوا بين على الجهد

(آخر) الحمد لله ليس لى نشب * قد خف ظهرى وقل زوارى
من نظرت عينه الى فقد * أحاط علما بما قد حوت دارى

(آخر) أنا في حال تعالى الله ما أعظم حالى
ليس لى شئ اذا قيل لمن ذا قلت ذالى
ولقد أفلست حتى * حل أكلى لعيالى من رأى شيأ محالا * فأناعين المحال
فبلاد الله أرضى * والسموات ظلالى لو يكن في الناس حر * لم أكن في مثل حالى

(آخر) جاء الشتاء وليس عندى درهم * وبدون ذلك قد يصاب المسلم
وتقطع الناس الجباب وغيرها * وكأنني باذاء مكة محرم

(آخر) طشتى الارض ومنديلى الهوا * وعلى الخبز من الجوع احتلامى
هل سمعتم أو رأيتم أحدا * أكل الخبز سوى في المنام

(آخر) خلق المال واليسار لقوم * وأرانى خصصت بالاملاق
أنا فيما أرى بقية قوم * خلقوا بعد قسمة الارزاق

(آخر) اذا جزت يوما بالسويق يمسني * لقلة نقدى ذلة وخضوع
فلا قائل للمشترى كيف تشترى * ولا سائل البياع كيف تبيع

(آخر) الحمد لله ليس لى فرس * ولا على باب منزلى حرس
ولا غلام اذا هتفت به * بادر نحوى كانه قبس

اليه كتطرب المحب الى الحبيب وانشد

واذا الاديب مع الاديب تحادثا
كانا من الاداب في بستان
لاشئ احسن منهما في مجلس
يتعاطيان جواهرا بلسان

(ذكر) ان المتوكل بن الافطس فر اليه شخص من بني هود مغاضبا لابن عمه ملك سرقسطة فاواه واحسن اليه ثم اختبره فرآه اهلا للولاية فولاه فقال له أحد وزرائه كثير هذا في تغيير قلب قريبه يامولاى تسخط قادرا في حق عاجز وتفرط فيمن تحتاج اليه كما يحتاج الينا وتغتبط بمن لا تحتاج اليه بل هو موكل علينا فقال له المتوكل الذى قلت حق ولكن كيف يكون اقتناء المكارم (روى) ان انوشر وان غضب على وزيره بزرجمهر فسجنه في بيت كالقبر وصفده بالحديد وألبسه الخشن من الصوف وأمر أن لا يزاد في كل يومين على قرصين من الخبز وكف ملح جريش ودورق ماء وان تنقل ألفاظه اليه فأقام شهورا لا تسمع له لفظة فقال أنوشروان أدخلوا عليه أصحابه ومروهم أن يسئلوه ويفاتحوه الكلام وعرفوني به فدخل اليه جماعة من المختصين به فقالوا له ايها الحكيم نراك في هذا الضيق والحديد والشدة التى دفعت اليها ومع هذا فان سحنة وجهك وصحة جسمك على حالها لم تتغير فما السبب في ذلك فقال انى اعملت جوارش من ستة اخلاط فآخذ منه كل يوم شيأ فهو الذى ابقانى على ماترون فقالوا فصفه لنا فعسى ان نبتلى بمثل بلوائك أو أحد من اخواننا فنستعمله أو نصفه له فقال الخليط الاول الثقة

ابنى غلامى و زوجتى أمتى * ملكتها بالملاك والعرس
غنيت باليأس واعتصمت به * عن كل فرد بوجهه عبس
فما يرانى بما به أبداً * لطلق المحيا سمح ولا شرس

(وما أحسن قول أبى العبر الهاشمى)

(ولقد أبان عن شرف وعلو همة فسار بما قال فى الناس أمة)

قنعت نفسى بما رزقت * وتمطت فى العلا هممى
ولبست الصبر سابغة * هى من قرنى الى قدمى
فاذا ما الدهر عاتبنى * لم يجدنى كافر النعم
لا أقول الله يظلمنى * كيف أشكو غير متهم

(و واجب اتباع هذا الفصل بمدح المال اذ به يدرك ما شسع من الآمال)

قالوا اليسار علاء والاقتار بلاء (وقالوا) الغنى سنى كبير والفقير دنى حقير و يقال قيمة كل امرئ ماله (شاعر)

ولا يساوى درهما واحدا * من لم يكن فى كفه درهم

(وقالوا) المرء بدرهميه لا بأصغريه نظمه بعض الشعراء فقال

قد قال قوم بغير علم * ما المرء الا بأصغريه
وقلت قول امرئ عليم * ما المرء الا بدرهميه

(وقال بعضهم) لولده ليكن معك من العين ما تقربه العين (وقالوا) المال معشوق الورى فمن عدمه نبذ بالعراء منفصم العرى (وقيل للحسن) ما بال الناس يكرمون صاحب المال قال لان عنده معشوقهم فاليه القلوب تمال (وقالوا) المال يستعبد الاحرار و بذل الاشرار (وقال آخر) بقدر ما تعطى من المال تعطى من الاجلال (سمع) قيس بن عبادة يقول فى دعائه اللهم ارزقنى حمدا ومجدا فانه لا حمد الا بفعال ولا مجد الا بمال اللهم انه لا يصلحنى القليل ولا أصلح عليه أشار فى هذا الى قول الشاعر

ولا مجد فى الدنيا لمن قل ماله * ولا مال فى الدنيا لمن قل مجده

(عوتب) ابن ابى ليلى فى تعظيم موسر فقال ان تعظيم ذوى المال سر جعله الله فى القلوب لا يستطاع رده (شاعر)

يصير الغنى ثوب المكارم للفتى * وان كان من ثوب المكارم عاريا

(ومر) موسر بالشعبى فتزحزح له فقيل له فى ذلك فقال رأيت ذا المال مهيبا (شاعر)

انى وجدت الغنى زينا لصاحبه * فى أهله وفقير القوم محقور
ان المقلين لا تنسى ذنوبهم * وذنب ذى المال عند الناس مغفور

(وقال معاوية) ان الشرف والسودد لينتقلان مع الغنى كما ينتقل الظل (شاعر)

الناس ما استغنيت كنت صديقهم * واذا افتقرت اليهم فهم العدى
ذو المال عندهم يسود بماله * و يزول سودده اذا فقد الغنى

(آخر)
كم من لئيم الجدود سوده الـ * ـمال أبوه وأمه الورق
وكم كريم الجدود ليس له * عيب سوى ان ثوبه خلق

(آخر)
اذا كنت ذا ثروة من غنى * فأنت المسود فى العالم
وحسبك من نسب صورة * تخبر انك من آدم

(وقال) عبد الرحمن بن عوف حبذا المال أصون به عرضى وأصل به رحمى وأتقرب به الى

ربى

بالله والثانى ان كل مقدر كائن والثالث الصبر خير ما استعمله الممتحن والرابع ان لم أصبر فأى شئ أعمل ولم أعن على نفسى بالجزع والخامس قد يمكن ان أكون فى شر اصعب مما انا فيه والسادس من ساعة الى ساعة فرج

(القسم الرابع فى جمل من الوصايا والمواعظ الحسان العظيمة الفائدة والمنفعة لكل انسان)

(اعلم) ان الكلام فى هذا القسم لا ينحصر لاتساع القول فيه غير انى آتى هنا بمقصدى منه وارجو بعون الله ان اوفيه وانقل من ذلك ان شاء الله جملا من الوصايا نافعة كافية وفنونا من المواعظ واقية لمن اتعظ بها شافية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أراد الله بعبد خيرا الهمه رشده فالانقياد الى الرشد والتوفيق والاستقامة على الخير ونهج سواء الطريق والتمسك بحبل الهدى يصرف عن المرء الردى ويكشف عن قلبه الران والصدى وما اجدر العاقل بذلك واولاه وما كنا لنهتدى لولا ان هدانا الله (قال بعض الحكماء) استصلح نفسك بعقلك واجعل نظرك وتفكرك بمنزلة المرآة تدرك بها ما التبس من امرك فالعقل افصح واعظ واحرس حافظ وبالعقل ادرك الناس معرفة الله تعالى قال الله سبحانه ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله فصديق المرء عقله وعدوه جهله فالعاقل من عقله فى ارشاد ومن رأيه فى امداد والجاهل من جهله فى اغواء ومن هواه فى اغراء قال الشاعر

من لم يكن أكثر ما فيه عقله
اهلكه أكثر ما فيه

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

ربي وابربه صديقي واكمدبه عدوي وأفضل به على عشيرتي (وقال الثعالبي) من كان كيسه صفرا من البيض والصفر فليبشر بجفاء الدهر وانقطاع الظهر (وكان) محمد بن الجهم يقول من وهب ماله في عمله فهو أحمق ومن وهبه بعد العزل فهو مجنون ومن وهبه من ارثه فهو جاهل ومن وهبه من ملكه فهو مخذول ومن وهبه من كسبه وما استفاده من كده بحيلة فهو المطبوع على قلبه المأخوذ بسمعه وبصره (وقال) من عهده بالافلاس تقادم محل المال من المنزل محل الشمس في العالم (وقال) بعض عقلاء الفرس من زعم أنه لا يحب المال فهو عندي كاذب حتى يثبت صدقه فاذا ثبت صدقه فهو عندي أحمق (وقال) عمرو بن العاص لمعاوية ما أشد حبك للمال فقال كيف لا أحبه وقد استعبدت به مثلك واشتريت به مروأتك ودينك (وقال) الحسن بن المنذر وددت أن لي مثل أحد ذهبا لا أنتفع بشئ منه قيل له فما ترجو بذلك قال أريده لكثرة من يخدمني عليه ويجلني لاجله (وقالوا) المال يجمع الشمل ويستر الاهل ويزيد في العقل (وقالوا) من استغنى عن الناس عظموه ووقروه ومن احتاج اليهم ازدروه واحتقروه (وقيل) لبعض الحكماء ايما أفضل الادب أو المال قال الادب قيل له فما بال الادباء يأتون أبواب الاغنياء ولا تأتي الاغنياء أبواب الادباء قال ذلك لعلم الادباء بمقدار فضل المال وجهل الاغنياء بمقدار فضل الادب (شاعر)

أصون دراهمي وأذب عنها * لعمري انها درعي وترسي
وأخبؤها الى أعدى الأعادي * من الورات حتى ابناء جنسي
ولا سؤلي الى رجل لئيم * ليقرض درهما نقدا بخمس
فيعرض وجهه ويصدعني * فتبقى مثل نفس الكلب نفسي
فيا ذل الرجال بغير مال * ولو جاؤا بنسبة آل عبس

(ابن الرومي)

لا تلم المرء على بخله * ولمه ان زاد على بذله
حق على كل امرئ حازم * يحفظ ما يكرم من أجله

(ولقد أحسن القائل وأجاد)

من كان يملك درهمين تعلمت * شفتاه أنواع الكلام فقالا
وتقدم الاخوان فاستمعوا له * ورأيته بين الورى مختالا
لولا دراهمه التي في كيسه * لرأيته أسوأ البرية حالا
ان الغني اذا تكلم بالخطا * قالوا صدقت وما نطقت محالا
واذا الفقير اصاب قالوا كلهم * أخطأت يا هذا وقلت ضلالا
ان الدراهم في المواطن كلها * تكسو الرجال مهابة وجلالا
فهي اللسان لمن اراد فصاحة * وهي السنان لمن اراد قتالا

﴿والمعين على طلب البغية من المال طلب المعيشة في الايام والليال﴾

(قال بعضهم)

لا ترهبن الهول خوف منية * واقذف بنفسك في طلاب الدرهم
ودع المخاوف والمتالف انها * نفس مؤقتة ورزق يقسم

(آخر)

فجب عرض البلاد فلست تدري * غناك بأي آفاق البلاد
ولا تقعد على ظما وفقر * فذو الافتار ممنوع الرقاد

العقل نور في القلب يفرق به بين الحق والباطل قال بعض العلماء وجميع أعمال البر وجملة دواعي الخير والشر ورأس الورع وكمال الزهد وملاك اسباب الشرع اصلها العلم بالله وحسن الطاعة لله والخوف من الله والرجاء في الله والمراقبة لله فخذ من الدنيا ما تيسر واجعل للتقوى حظك الاوفر فالدنيا كما قال علي بن ابي طالب رضي الله عنه دار صدق لمن صدقها ودار نجاة لمن فهم عنها ودار غنى لمن تزود منها وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعمت المطية الدنيا فارتحلوها تبلغكم الآخرة وقال بعض العلماء ليس الحرج في أن يتصرف الانسان في طلب حظه من الدنيا فيما لا بد له منه ولا غنى به عنه لان أسباب الحاجة وحيل العجز انما هي في الدنيا التي هي دار تكليف وعمل لان الآخرة دار قرار وجزاء فليصرف الانسان الى دنياه حظا من عنايته لان بها يتزود لآخرته وقد قال مجاهد في قول الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم فاذا فرغت فانصب والى ربك فارغب أي اذا فرغت من مؤنة الدنيا فانصب في العبادة (وقال لقمان الحكيم) خذ من الدنيا بلاغك وأنفق فضول كسبك تقدمه لآخرتك ولا ترفضها كل الرفض فتكون على الناس عيالا وعلى أعناق الرجال كلا (ومن كلام عمر رضي الله عنه) ليس خيركم من عمل للآخرة وترك الدنيا أو عمل للدنيا وترك الآخرة ولكن خيركم من أخذ من هذه ومن هذه وانما الحرج في الرغبة فيما تجاوز قدر الحاجة وزاد على حد الكفاية فانها فضول لا تجدي

(آخر) سأضرب في الآفاق التمس الغنى * وأرمي بنفسي في بحور المطالب
فان اعط ميسورا فذلك وان أخب * فعلمي بأني لست أول خائب

(آخر) اذا المرء لم يطلب معاشا لنفسه * شكا الفقر أو لام الصديق فأكثرا
وصار على الاهلين كلا وأوشكت * صلات ذوي القربى بأن تتنكرا
فسر في بلاد الله والتمس الغنى * تعش ذا يسار او تموت فتعذرا
ولا ترض من عيش بدون ولا تنم * وكيف ينام الليل من كان معسرا

(آخر) لا يمنعنك نفيس العيش تطلبه * نزوع نفس الى اهل وأوطان
تلقى بكل بلاد ان حللت بها * أهلا بأهل واخوانا باخوان

(آخر) وما طلب المعيشة بالتمني * ولكن ألق دلوك في الدلاء
تجئ بملئها يوما ويوما * تجئ بحمأة وقليل ماء

(آخر) ومن كان مثلي ذا عيال مقترا * من المال يطرح نفسه كل مطرح
ليبلغ عذرا أو ينال غنيمة * ومبلغ نفس عذرها مثل منجح

(آخر) العز تحت ظلال السيف مكمنه * فاطلب بسيفك عزا آخر الابد
لا ترض بالدون من دنيا بليت بها * تذل من كان محتاجا الى أحد

(آخر) خاطر بنفسك كي تصيب غنيمة * ان الجلوس مع العيال قبيح
فالمال فيه تجلة ومهابة * والفقر فيه مذلة وفضوح

(آخر) أشد من فاقة الزمان * مقام حر على هوان
فاسترزق الله واستعنه * فانه خير مستعان
وان نبا منزل بحر * فمن مكان الى مكان

(وقال فتى من قيس لغلامه)

اقذف السرج على المهر وقرطه اللجاما
ثم صب الدرع في رأ * سي وناولني الحساما
فمتى أطلب ان لم * أطلب الرزق غلاما
سأجوب الارض أبغيه * حلالا أو حراما
فلعل الظعن ينفي الفقر أو يدني الحماما

(آخر) ألا خلني امضي لشأني ولا أكن * على الاهل كلا ان ذاك شديد
ارى السير في البلدان يغني معاشرا * ولم أر من يجدي عليه قعود

(آخر) وقبيح مقام ذي الهمة الحر بأرض رجاء فيها جديب
لا عدوا أنكى ولا النفس اغنى * وهو راض بها أكول شروب
وتراه يجوب في طلب الما * ل سهوبا وخلفهن سهوب
خلبا قلبا اذا مل ارضا * جد منها الى سواها ركوب
ليس في فوت ما يحاوله الطا * لب من رزقه عليه عيوب
انما العيب ان يرى ساقط الهمة والرزق طالب مطلوب

الباب الحادي عشر
في الشجاعة وفيه ثلاثة فصول

الفصل الاول من هذا الباب
في مدح الشجاعة والبسالة وما فيها من الرفعة والجلالة

وزوائد لا تنفع ولا تغني تحمل المرء في اشتغاله لها والنظر فيها على التقصير عما فيه الفائدة والتأخر عما فيه العائدة والعقلاء تركوا فضول الدنيا فكيف الذنوب وترك فضول الدنيا من العقل وترك الذنوب من الفرض (قال بعض الحكماء) المجرب أحكم من الطبيب وفي تصرف الدنيا مواعظة لكل أريب فمن صح له يقينه وسلم له دينه فلا شئ يضره ولا يشينه ومن لم يعتبر بتصرف الايام غرق في بحر الآثام (وقد قيل) كفى بالتجارب تأدبا وبتقلب الأيام عظة (ومن كلام بعض الحكماء) مواعظ الايام أبلغ من مواعظ الانام وان أعربت من غير كلام وأفصحت عن استعجام فطوبى لمن جعل له من نفسه واعظا ونصب عليه من الله حافظا (وقال بعضهم) لقد فاز قوم أدبتهم الحكمة وأحكمتهم التجربة فلم تغررهم السلامة المنطوية على الهلكة ورحل عنهم التسويف الذي قطع الناس به مسافة آجالهم فشفعوا احسن المقال بجميل الفعال وبدلوا النعيم الفاني رغبة في النعيم الباقي ولم يؤثروا العاجل الخسيس على الآجل النفيس فلا تراهم الا في موطن خير وعلى سبيل نفع قال الله العظيم مخاطبا لنبيه الكريم ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة (ومن كلام عيسى عليه السلام) طوبى للناطق في قوم يسمعون كلامه انه ما تصدق رجل بصدقة أعظم عند الله من موعظة قوم يصيرون بها الى الجنة وخير ذلك ما كان من قائل مخلص الى سامع منصت وانتهى الكلام في هذا القسم في خمسة عشر

الشجاعة غريزة في الانسان يمنحها واهب الاحسان (كما ورد) عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الشجاعة غريزة يضعها الله فيمن شاء من عباده ان الله يحب الشجاعة ولو على قتل حية (وحدها) قالوا هي سعة الصدر والاقدام على الامور المتلفة (وقالوا) الشجاع من تكون شجاعته عند الفرار وفقد الانصار (وسئل) بعضهم عن الشجاعة فقال جبلة نفس أبية قيل له فالنجدة قال ثقة النفس عند استرسالها الى الموت حتى يحمد فعلها عند الخوف (وقال) بعض أهل التجارب الرجال ثلاثة فارس وشجاع وبطل فالفارس الذي يشد اذا شدوا والشجاع الداعي الى البراز والمجيب داعيه والبطل المحامي لظهور القوم اذا ولوا (وقال) يعقوب بن السكيت في الفاظه العرب تجعل الشجاعة أربع طبقات تقول رجل شجاع فاذا كان فوق ذلك قالوا بطل فاذا كان فوق ذلك بهمة فاذا كان فوق ذلك قالوا أليس

﴿ممن عرف من الاكابر في قومه بالبأس والنجدة وكان لهم عند الهياج معقلا وشدة﴾ رسول الله صلى الله عليه وسلم (قال) أنس بن مالك رضي الله عنه كان صلى الله عليه وسلم أجمل الناس وجها وأجود الناس كفا وأشجع الناس قلبا لقد فزع أهل المدينة ليلة فانطلق الناس ثائرين قبل الصوت فتلقاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعا قد سبقهم الى الصوت وسبر الخبر على فرس لابي طلحة عري والسيف في عنقه وهو يقول لن تراعوا لن تراعوا (وقال) عمران بن الحصين ما لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم كتيبة قط الا كان أول من يضرب (ومن ذلك) ثباته يوم حنين في مركزه لا يتخلخل ولا يتزيل ليس معه الا عمه العباس آخذا بلجام دابته وابن عمه أبو سفيان بن الحرث وكان المسلمون يومئذ اثني عشر الفا ما عجبتهم كثرتهم حتى قال قائلهم لن نغلب اليوم من قلة وزل عنهم ان الله هو الناصر لا كثرة الجنود ولا العساكر فانهزموا حتى بلغ أولهم مكة ثم تدارك الله الملة الاسلامية بنصره فانزل ملائكة على خيول بلق وتراجع المسلمون فقاتلوا فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم كثرة قتالهم قال هذا حين حمي الوطيس وهو أول من قال هذه الكلمة ثم أخذ كفا من تراب فرمى به المشركين وقال شاهت الوجوه فانهزموا وقال ابن عباس فلكأني أنظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يركض خلفهم فناهيك بهذا الثبات شهادة صدق على تناهي شجاعته وبسالته ورباط جأشه وما هو الا من آيات النبوة وعلامات الرسالة (ومما عرف) فيه من أبي بكر الصديق رضي الله عنه بقوة الجاش وثبات القلب وشجاعة النفس والصبر في المواطن الكريهة يوم مات رسول الله صلى الله عليه وسلم فان عمر رضي الله عنه كذب بموته وقال ما مات وانما واعده ربه كما واعد موسى وليرجعنه الله فليقطعن أيدي قوم وأرجلهم يسومون النبي الموت من قال ان محمدا مات علوته بسيفي هذا واعتراه ذهول حتى صار لا يدري أين يذهب (وأما) عثمان رضي الله عنه فدهش فجعل لا يكلم أحدا فيؤخذ بيده فيقاد (وأما) علي رضي الله عنه فقعد في البيت لم يبرح منه (وكان) أبو بكر رضي الله عنه حينئذ غائبا في ناحية من نواحي المدينة على ميل منها تسمى السنح فلما بلغه الخبر جاء حتى دخل عليه وهو مسجى فكشف عن وجهه الكريم وأكب عليه وقبل بين عينيه وقال طبت حيا وميتا وأعول بالبكاء ثم خرج وهو رابط الجاش ثابت القلب مصيب في القول والناس على خلاف ذلك من الذهول واختلاط العقل وهم في أمر مريج قد ضلت أفئدتهم في تيه الحزن وزلت أقدام صبرهم في مزالق الشجن فصعد المنبر وقال بعد حمد الله والثناء عليه في كلام طويل من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات ومن كان يعبد الله فان الله حي لا يموت ثم تلا وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل أفان مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم

﴿فصل من مواعظ النبي صلى الله عليه وسلم ووصاياه ومواعظ السلف الصالح ووصاياهم وغيرهم من العلماء والحكماء﴾

(قال عليه السلام) أيها الناس اعملوا على ما كلفتموه من اصلاح آخرتكم واعرضوا عما ضمن لكم من أمر دنياكم ولا تستعملوا جوارح غذيت بنعمته في التعرض لسخطه بمعصيته واجعلوا شغلكم بالتماس مغفرته واصرفوا هممكم الى التقرب اليه بطاعته والجؤوا الى العمل الصالح وأكرهوا عليه النفوس واصبروا على الضراء تفضوا الى النعيم الدائم (وقال صلى الله عليه وسلم) حلوا انفسكم بالطاعة وألبسوها قناع المخافة واجعلوا آخرتكم لانفسكم وسعيكم لمستقركم واعلموا انكم عن قليل راحلون والى الله صائرون ولا يغني عنكم هنالك الا صالح عمل قدمتموه أو حسن ثواب حزتموه (وقال صلى الله عليه وسلم) في بعض خطبه أيها الناس ان الايام تطوى والاعمار تفنى والابدان في الثرى تبلى وان الليل والنهار يتراكضان تراكض البريد يقربان كل بعيد ويخلقان كل جديد وفي ذلك عباد الله ما ألهى عن الشهوات ورغب في الباقيات الصالحات وقد قال صلى الله عليه وسلم في بعض خطبه أيها الناس ان لكم نهاية فانتهوا الى نهايتكم وان لكم معالم فانتهوا الى معالمكم وان المؤمن بين مخافتين أجل قد مضى لا يدري ما الله صانع فيه وأجل قد بقي لا يدري ما الله قاض فيه فليتزود العبد من نفسه لنفسه ومن دنياه لآخرته ومن الحياة قبل الموت فان

الدنيا خلقت لكم وأنتم خلقتم للآخرة فوالذى نفس (محمد) بيده ما بعد الموت من مستعتب ولا بعد الدنيا دار الا الجنة أو النار (وقال صلى الله عليه وسلم) فى بعض خطبه أيها الناس كأن الموت على غيرنا كتب وكأن الحق على غيرنا وجب وكأن الذى نشيع من الاموات سفر عما قليل الينا راجعون نبوئهم أجداثهم ونأكل تراثهم كأنا مخلدون بعدهم نسينا كل واعظة وأمنا كل جائحة طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس طوبى لمن أنفق مالا اكتسبه من غير معصية وجالس أهل الفقه والحكمة وخالط أهل الذلة والمسكنة طوبى لمن ذلت نفسه وحسنت خليقته وطابت سريرته وعزل عن الناس شره طوبى لمن أنفق من ماله وامسك الفضل من قوله ووسعته السنة ولم تستهوه البدعة (وقال على بن أبى طالب رضى الله عنه) لاتكن ممن يرجو الآخرة بغير عمل ويؤخر التوبة لطول الامل ويقول فى الدنيا بقول الزاهدين ويعمل فيها عمل الراغبين ان أعطى منها لم يشبع وان منع لم يقنع ويأمر بما لا يأتى يحب الصالحين ولا يعمل بأعمالهم ويبغض المسيئين وهو منهم يكره الموت لكثرة ذنوبه ويقيم على ما يكره الموت له ان سقم ظل نادما وان صح أمن لاهيا يعجب من نفسه اذا عوفى ويقنط اذا ابتلى تقلبه نفسه على ما يظن ولا يقلبها على ما يستيقن ولا يثق من الرزق بما ضمن له ولا يعمل من العمل بما فرض عليه ان استغنى بطر وان افتقر قنط وحزن فهو من الذنب فى حالى المحنة والنعمة موقر يبتغى الزيادة ولا يشكر ويتكلف

ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيأ وسيجزى الله الشاكرين فثاب الى عمر عقله وقال والله لكأنى لم اسمع بها قط فى كتاب الله قبل ما نزل بنا * وقالت عائشة رضى الله عنها فى خطبتها التى افتخرت فيها لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم طلع نجم النفاق وارتدت العرب وصار المسلمون كالغنم السارحة فى الليلة الماطرة فحمل أبى من الامر الفخم ما لو حمل الجبال لهاضها وما درى أعمارا ربط جأشا واثبت قلبا فى هذا الامر الشديد والمصاب العتيد اهو رضى الله تعالى عنه ام ابنتاه عائشة واسماء رضى الله عنهما (فأما) عائشة فان رسول الله صلى الله عليه وسلم مات بين سحرها ونحرها وشاهدت ذلك الهول ثم احتملته فالقته على فراشه وسجته ببردته ولم تدع احدا من نسائه واهله يعينها عليه وعمرها اذ ذاك ثمانى عشرة سنة ثم بكت بادية بصوت لا يكاد يعدو صاحبه فلما سمع الناس بكاءها وشهقها تحققوا موته ولم تظهر رزية ولا عويلا ولم تشق جيبا ولم تخمش وجها ولم تدع ويلا وانما علم الناس موته ببكائها (واما) اسماء فان ولدها عبد الله بن الزبير لما رأى الغلبة دخل عليها وشكا اليها ما آل اليه امره فقالت اياك أن تنكل أو تفشل ومت كريما احتسبك عند الله فقال لها ما اخاف الموت وانما اخاف ان يمثل بى فقالت ان الشاة اذا ذبحت لا تبالى بسلخها (وكان) عمر رضى الله عنه من الاشداء من الاقوياء موصوفا بالشدة موسوما بالحدة والشجاعة والنجدة كان يضع يده اليمنى على اذن فرسه اليسرى ثم يجمع جراميزه ويثب على فرسه فكأنما خلق على متنه (وكان) على رضى الله عنه شجاعا بطلا ذكر عنه انه قتل فى ليلة الهرير من حرب صفين خمسمائة وثلاثة وعشرين رجلا وكان اذا ضرب لا يثنى وقيل له انك مطلوب فلو اتخذت طرفا سابقا فقال انى لا افر على من كر ولا اكر على من فر فالبغلة تكفينى * وقيل له فى حرب صفين أتقاتل اهل الشأم بالغداة وتظهر لهم بالعشى بازار ورداء فقال ابالموت اخوف والله لا ابالى اسقطت على الموت اوسقط على (ومن الشجعان) الزبير بن العوام قالوا لم يكن فى عصر النبى صلى الله عليه وسلم فارس اشجع من الزبير ولا راجل اشجع من على (وفى الزبير) تقول زوجته عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل العدوى تخاطب عمرو بن جرموز لما قتله غدرا بوادى السباع

غدر ابن جرموز بفارس بهمة * يوم اللقاء وكان غير معرد
ياعمرو لونبهته لوجدته * لاطائشا رعش الجنان ولا اليد

ومن الشجعان) بنو قيلة وهم الانصار قال ابن عباس ما سلت السيوف ولا زحفت الزحوف ولا اقيمت الصفوف حتى اسلم ابناء قيلة يعنى الاوس والخزرج وهم الانصار وصفهم مادح فقال كانوا يحبون الموت كما تحبون الحياة ويرغبون فى الآخرة كما ترغبون فى الدنيا * وقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم انكم لتكثرون عند الفزع وتقلون عند الطمع يريد انهم يريدون بقتالهم وجه الله والدار الآخرة فلا تميل نفوسهم الى ما يقسم من الفىء والغنيمة رغبة فيما هم بصدده من اعلاء كلمة الاسلام واخفاء ما ظهر من شرك عبدة الاصنام فهم يكثرون اذا دعوا للقتال ويقلون عند قسم الانفال * قال كعب بن زهير يمدحهم

من سره كرم الحياة فلا يزل * فى عصبة من صالح الانصار
الباذلين نفوسهم لنبيهم * يوم الهياج وصفوة الجبار
يتطهرون كأنه نسك لهم * بدماء من علقوا من الكفار

(ومن الشجعان) معاذ بن عفراء قطع كفه يوم بدر فبقى معلقا بجلدة بطنه فلم يزل يقاتل يومه أجمع وهو معلق حتى وجد ألمه فوضع رجله على يده وتمطى حتى قطع الجلدة * وحمل

رجل

رجل على حكيم بن جبلة فى يوم من أيام حرة وقد قطع ساقه فأخذها فى يده وضرب بها من قطعها فصرعه ثم أتاه واتكأ عليه فقتله وقال مرتجزا

ياساق لن تراعى * ان معى ذراعى * أحمى به كراعى

* وحكى عنه أنه قيل له من قطع ساقك قال وسادتى (ولم يكن) فى الجاهلية ولا فى الاسلام أشجع من خالد بن الوليد رضى الله عنه ولشجاعته سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم سيف الله وذلك أنه لم ينهزم فى جاهلية ولا اسلام ومات على فراشه و يقال انه قال عند موته ما فى جسدى موضع الا وفيه ضربة بسيف اوطعنة برمح أوجرح بسهم وها أنا أموت على فراشى كما يموت العير فلا نامت أعين الجبناء (ومن شجعان الصحابة) البراء بن مالك قيل عنه انه قتل مائة مبارز سوى من شورك فى قتله وكتب عمر بن الخطاب الى عماله أن لا يولوه جيشا للمسلمين فانه يهلكه (ومن شجعان الصحابة) طلحة بن عبيد الله وحارثة بن حذيفة والزبير ابن العوام والمقداد بن الاسود يروى ان عمرو بن العاص بعث الى عمر بن الخطاب وهو محاصر مصر يطلب منه ثلاثة آلاف فارس فبعث اليه حارثة والزبير والمقداد لا غير أقام كل واحد منهم مقام الف فارس رضى الله تعالى عنهم اجمعين (وكان) مصعب بن عبد الرحمن بن عوف شجاعا ذكر عنه انه كان يثب ثلاث وثبات كل وثبة ثنتا عشرة ذراعا حتى يصل الى قرنه فيقتله (ومن الفرسان) مالك بن الحويرث المعروف بالاشتر النخعى من اصحاب على رضى الله عنه قال ابو بكر بن ابى شيبة أعطت عائشة للذى بشرها بحياة عبد الله بن الزبير بن العوام اذ التقى بالاشتر يوم الجمل اربعة آلاف درهم ذكر ان رجلا سب الاشتر فقال له رجل من النخع اسكت فان حياته هدمت اهل الشام وموته هدم اهل العراق (ومن الشجعان) مصعب ابن الزبير سأل عبد الملك يوما جلساءه من اشجع الناس فعدوا جماعة فقال اشجع الناس من العرب من ولى العراق فأصاب الف الف والف الف وعدها مرارا وجمع بين عائشة بنت طلحة وسكينة بنت الحسن وام كلثوم بنت عبد الله بن عامر وهند بنت ريان سيد كلب فخذله اهل العراق فاعطيناه الامان على ماشاء فقال ان مثلى لا ينصرف الا غالبا أو مقتولا وقاتل حتى قتل والله لا ولدت النساء مثله وقال أخوه عبد الله لما بلغه قتله ان يقتل فقد قتل أخوه وأبوه وعمه وانا لا نموت حتفا ولكن نموت بين أطراف الرماح وتحت ظلال الصفاح (وقال) الزبير بن بكار آل الزبير أعرف الناس فى القتل ولا يعرف فى العرب ولا فى العجم ستة مقتولون فى نسق الا من آل الزبير وهم عمارة بن حمزة بن مصعب بن الزبير بن العوام ابن خويلد قتل عمارة وحمزة معا فى حرب الاباضيه وقتل مصعب بدير الجاثليق وقتل محمد أخوه فى حرب الجمل وقتل عبد الله بمكة فى حرب الحجاج ولما قتل عبد الله امر الحجاج بشق صدره فاذا فؤاده مثل فؤاد الجمل فكان اذا ضرب به الارض ينزو كما ينزو المثانة المقطوعه وقتل الزبير بوادى السباع فى حرب الجمل وقتل العوام فى الفجار قتله بشر بن عبد الله بن دهمان الثقفى وقتل خويلد فى حرب خزاعة (وقيل) لعبد الملك من أشجع الناس فقال العباس بن مرداس الذى يقول فيه الشاعر

أشد على الكتيبة لا أبالى * أحتفى كان فيها أم سواها

(وقيس بن الحطيم حيث يقول)

وانى فى حرب العوان موكل * باقدام نفس لا أريد بقاءها

(ومن فرسان الخوارج) قطرى بن الفجاءة و يكنى أبا نعامة وخرج زمن مصعب بن الزبير لما كان مصعب واليا على العراق من قبل أخيه عبد الله بن الزبير سنة ست وثلاثين

من الناس ما لا يؤمن و يضيع من نفسه ما هو أكثر و يبالغ اذا سأل و يقصر اذا عمل يخشى الموت ولا يبادر الفوت يستكثر من معصية غيره ما يستقل أكثره من نفسه مزاح اللهو مع الاغنياء أحب اليه من الذكر مع الفقراء يحكم على غيره لنفسه ولا يحكم عليها لغيره وهو يطاع فيعصى ويستوفى فلا يوفى (وروى) ان رجلا قال لعلى رضى الله عنه عظنى يا أمير المؤمنين فقال لا تكن بما نلت من دنياك فرحا ولا على ما فاتك منها أسفا وكن مسرورا بما قدمت أسفا على ما أبقيت فرقا مما بعد الموت (وروى) عنه رضى الله عنه انه قال ألا أخبركم بالفقيه كل الفقه قالوا نعم قال من لم يقنط الناس من رحمة الله ولم يؤمنهم من مكر الله ولم يرخص لهم فى معاصى الله ولم يدع القرآن رغبة عنه الى غيره واذا كان يوم القيامة نادى مناد أيها الناس ان أقربكم اليوم الى الله أشدكم له خوفا وان أحبكم اليه أحسنكم له عملا وان أعظمكم عنده نصيبا أعظمكم فيما عنده رغبة وان أكرمكم عند الله أتقاكم (ومما ينسب اليه من الشعر)

﴿يمثل ذو الحزم فى نفسه
مصائبه قبل أن تنزلا﴾
﴿فان نزلت بغتة لم ترعه
لما كان فى نفسه مثلا﴾
﴿رأى الامر يفضى الى آخر
فصير آخره أولا﴾
﴿وذو الجهل يأمن أيامه
وينسى مصارع من قد خلا﴾
﴿فان دهمته صروف الزمان
ببعض مصائبه أعولا﴾

(وفى هذه السنة بويع عبد الله أخوه وعبد الملك بن مروان بالشأم فبقى قطرى عشر ين سنة يقاتل ويسلم عليه بالخلافة * ذكر عنه أنه مر فى بعض حروبه على فرس أعجف وبيده عمود خشب فدعا الى البراز فبرز له رجل فسرله عن وجهه فلما رآه الرجل ولى عنه فقال له قطرى الى أين قال لا تستحى أن نفر عنك * وكذلك كان عبد الله بن حازم وشبيب الحرورى يصيح فى جنبات الجيش فلا يلوى أحد على أحد وفيه يقول بعض شعراء الخوارج فى الجاهلية

ان صاح يوما حسبت الصخر منحدرا * والريح عاصفة والبحر يلتطم

(ومن شجعان العرب وفرسانهم) الفند الزمانى كان يقاس بألف * ذكر أنه حمل على فارس مردوف بآخر فطعنهما فانتظمهما فى رمحه (وقال شاعر يمدح شجعان العرب)

فواحدهم كالالف بأساونجدة * والفهم للعرب والعجم قاهر

* وليس نظم الفند فارسين فى طعنة بكبير فقد فعل مثل هذه الفعلة أبودلف فى بعض حروبه * وفيه يقول بكر بن النطاح يذكر طعنته من أبيات

واذا بدالك قاسم يوم الوغى * يختال خلت امامه قنديلا
واذا تلوز بالعمود ولونه * خلت العمود بكفه منديلا
واذا تناول صخرة ليرضها * عادت كثيبا فى يديه مهيلا
قالوا اينظم فارسين بطعنة * يوم اللقاء ولاتراه كليلا
لاتعجبوا لو كان مد قناته * ميلا اذا نظم الفوارس ميلا

(ومما) يعد من شدة الشجعان الابطال رفض التوانى بالمناجزة ودفع المطال * قالوا العزم التأهب قبل الامر والحزم المضى فيه * وقالوا الحزم انتهاز الفرصة عند تمكن القدرة وترك التوانى فيما يخاف فيه الفوت (وقال) عبد الملك لعمر بن عبد العزيز ما العزيمة فى الامر قال اصداره اذا أورد بالحزم (شاعر)

ليست تكون عزيمة مالم يكن * معها من الحزم المشيد رافع

(وقالوا) من لم يقدمه عزمه أخره عجزه (وقالوا) الحازم من اشتدت شكيمته وقويت عزيمته (وقالوا) الحرب كالنار اذا تداركت أولها خمد ضرامها وان استحكم أمرها صعب مرامها (ويقال) قبل الاقدام تراش السهام (والعجز) عجزان عجز التقصير وقد أمكن والجد فى طلبه وقد فات * تمثل المنصور عند قتله لابى مسلم الخراسانى

اذا كنت ذارأى فكن ذا عزيمة * فان فساد الرأى أن يترددا
ولا تمهل الاعداء يوما بقدره * وبادرهم أن يملكوا مثلها غدا

(ولآخر)

ما العزم أن تشتهى شيأ وتتركه * حقيقة العزم منك الجد والطلب
كم سوفت خدع الآمال ذا أرب * حتى انقضى قبل أن ينقضى له الارب

(وقالوا) من تفكر فى العواقب لم يشجع فى النوائب (وجد) على سيف مكتوب أيها المقاتل احمل تغنم ولا تفكر فى العواقب تندم (شاعر)

خاطر بنفسك لاتقعد بمعجزة * حتى تباشرها منه بتغرير
لن يبلغ المرء بالاحجام همته

﴿الرياشى﴾

وعاجز

﴿ولو أثر الحزم فى أمره لعلمه الصبر عند البلا﴾

(وقال عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه) أيها الناس اتقوا الله فليس من هالك الاله كلف بالتقوى واحذروا الموت فانه أشد ماقبله وأهون مابعده ولا تستصغروا الذنوب والتمسوا تمحيصها بالتوبة فان الحسنات يذهبن السيآت ذلك ذكرى للذاكرين (وكان) رضى الله عنه يتمثل بهذه الابيات

﴿نهارك يامغرور سهو وغفلة وليلك نوم والاسى لك لازم﴾
﴿تسر بما يفنى وتفرح بالمنى كما سر باللذات فى النوم حالم﴾
﴿وسعيك فيما سوف تكره غبه كذلك فى الدنيا تعيش البهائم﴾

(وخطب رضى الله عنه فقال) أيها الناس ان لكل سفر زادا لامحالة فتزودوا لسفركم من الدنيا الى الآخرة بالتقوى وكونوا كمن عاين ما أعد الله من ثوابه وعقابه فترغبوا وترهبوا ولا يطولن عليكم الامر فتقسوا قلوبكم وتنقادوا لعدوكم فانه والله ما بسط أمل لمن لايدرى لعله لايمسى بعد اصباحه ولا يصبح بعد امسائه وربما كانت بين ذلك خطرات المنايا وانما يطمئن من وثق بالنجاة من العذاب وأهوال يوم القيامة فاما من لايداوى من الدنيا كلما الا أصابه منها جارح من ناحية أخرى كيف يطمئن أعوذ بالله ان آمركم بما أنهى عنه نفسى فتخسر صفقتى وتبدو مسكنتى ليوم لاينفع فيه الا الصدق والحق (وكان رضى الله عنه) بعث رسلا الى ملك الروم فى فداء من عندهم من المسلمين فمات عمر

وعاجز الرأي مضياع لفرصته * حتى اذا فات امر عاتب القدرا

(و يقال) مفتاح الدعة مفتاح البؤس (ابودلف العجلي)

ليس المروأة ان تبيت منعما * وتظل معتكفا على الاقداح
ما للرجال وللتنعم انما * خلقوا اليوم كريهة وكفاح

(وقالوا) زوج العجز التوانى فأنتج بينهما الحرمان (قال المعافى فى مثل ذلك)

ان التوانى أنكح العجز بنته * وساق اليها حين أنكحها مهرا
فراشا وطيأ ثم قال له اتكى * رويدكما الاشك أن تلدا فقرا

(وقالت الحكماء) الحزم طبع الحياة والعجز طبع الموت والنفس لاتحب ان تموت فكذلك تحب ان تحيا واخذ الشئ بالحزم لابالعجز (المتنبى)

ولوان الحياة تبقى لحى * لرددنا ضلالنا الشجعانا
واذا لم يكن من الموت بد * فمن العجز ان تكون جبانا

(وقالوا) اشعر قلبك الجراءة فانها سبب الظفر واحرص على الموت توهب لك الحياة (وقال) اكثم بن صيفى من التوانى والعجز انتجت الهلكة (وقالوا) التفكر فى عواقب الحرب من امارات العجز والتهور فيه من علامات الجزع

(ابوعبادة مادحا)

صارم الحزم ماضى العزم سارى الـفكر ثبت الجنان صلب العود

(آخر مادحا)

و يلحظ بالأمر الصواب كانما * يلاحظه من كل امر عواقبه

(وقال حكيم) تجرع من عدوك الغصة الى ان تجد الفرصة فاذا وجدتها فانتهزها قبل ان يفوتك الدرك أو يعينه الفلك فانما الدنيا دول تقلبها الاقدار و يهدمها الليل والنهار (ولما) احيط بمروان بن محمد الجعدى قال والهفاه على دولة ما نصرت و كف ماظفرت ونعمة ما شكرت فقال له بعض كتابه وكان من أشراف الروم فوقع عليه سبى من أغفل الصغير حتى يكبر والقليل حتى يكثر والخفى حتى يظهر أصابه هذا

﴿ومن الابيات فى انتهاز الفرصة وتفريج الغصة قول بعضهم﴾

يا ابنة القوم ماتريدين منى * صارمى منطقى ووجهى مجنى
ما يزور الكرى جفونى الا * جسوة الطائر الذى لايثنى
فعلوى اذا استقل بعزم * لم يعرج بليتنى ولوانى

(آخر)

حلفت لان القى السدائد كاها * ومالى بأن ألقى الهوان يدان
تذكرت انى هالك وابن هالك * فهانت على الارض والثقلان
فدع كل شئ خالف العزم انه * سيكفيكه جدان معتلجان
وما يدرك الحاجات مثل مثابر * ولاعاق عنها النجح مثل توان

(أبو نصر بن احمد الميكالى)

قالوا تمهل فى الذى ترتجى * بلوغه من نافع الامر
قلت التأنى مظفر بالمنى * لكنه مجحف بالدهر

(آخر)

على كل حال فاجعل الحزم عدة * لما أنت باغيه وعونا على الدهر
فان نلت أمرا نلته عن عزيمة * وان قصرت عنك الحظوظ فعن عذر
اذا هم القى بين عينيه عزمه * ونكب عن ذكر العواقب جانبا

وهم فى بلاد الروم فبلغ صاحب الروم موت عمر ولم يبلغ المسلمين فاعلمهم ملك الروم بموته فبكوا فقال لاتبكوا عليه فقد استراح من نصب الدنيا وكربها وأعراضها وكان الى الروح والدعة والسرور ان بقاء اهل الخير مع اهل الشر قليل وان صاحبكم كان اعجب عندى من الرهبان الذين تفردوا فى الصوامع لانه رفض الدنيا مع اقبالها عليه وتركها وهى فى يديه (و وعظ) بعض الحكماء قوما فقال ياقوم استبدلوا العوارى بالهبات تحمدوا العقبى واستقبلوا المصائب بالصبر تستحقوا النعمى واستدعوا الكرامة بالشكر تستوجبوا الزيادة واعرفوا فضل البقاء فى النعمة والغنى فى السلامة قبل الموت وانتقال العمل وحلول الاجل فانما انتم فى الدنيا اغراض المنايا واوطان البلايا ولن تنالوا نعمة الا بفراق أخرى ولا يستقبل معمر منكم يوما من عمره الا بفراق آخر من اجله ولا يحيي له اثر الا مات له اثر فانتم اعوان الحتوف على انفسكم وفى معائشكم اسباب منايا كم لايمنعكم شئ منها ولا يشغلكم شئ عنها وانتم الاخلاف بعد الاسلاف وستكونون الاسلاف قبل الاخلاف فى كل سبيل منكم صريع منعفر ونائم ينتظر فمن اى وجه تطلبون البقاء وهذا الليل والنهار لم يرفعا شيأ قط الا اسرعا الكرة فى هدمه ولا عقدا امرا قط الا رجعا فى نقضه دخل ابو الدرداء الشام فقال يا اهل الشام اسمعوا قول اخ ناصح فاجتمعوا اليه فقال [illegible] كم تبنون مالا تسكنون وتجمعون مالا تاكلون وتؤمنون مالا تدركون

ولم يستشر في أمره غير نفسه * ولم يرض الا قائم السيف صاحبا

(آخر) اذا فرصة أمكنت في العدى * فلا تبد فعلك الا بها

فان لم تلج بابها مسرعا * أتاك عدوك من بابها

(ومن) مدائح من عرف في قومه بالشجاعة ومد الى قطف الرؤس سيفه وباعه (قالوا) فلان أبلغ صولة من أسد العرين وأشد منعة من الحصن الحصين (وصف) أعرابي رجلا بالشجاعة فقال هو ابن الحرب أرضع بدرها وربي في حجرها (وسئل أعرابي عن قومه فقال) كانوا والله اذا اصطفوا وتحت القتام صغرت بينهم السهام بشؤبوب الحمام واذا تصافحوا بالسيوف فغرت أفواهها الحتوف فرب يوم شموس أحسنت أدبه عزمتهم وحرب عبوس أضحكتها اسنتهم (ومدح) اعرابي قومه فقال قومي والله ليوث حرب وغيوث جدب ليس لاسيافهم اغماد غير الهام ولا رسل للمنايا غير السهام (وقالوا) فلان يبادر المهل مبادرة الاجل الامل اطراف الاسل احلى عنده من لعق العسل (ابن شرف القيرواني) فلان قلبه يخرجه عن القلب وصرامته تقتاده الى مكان الطعن والضرب رماحه نجوم ظلام القتام وسهامه رجوم شياطين الانام لا ترد حاجته مواضيه ولا تمطله المغافر المنية عند تقاضيه (شاعر مادحا)

يلقى السيوف بوجهه وبنحره * ويقيم مهجته مقام المغفر

ما ان يريد اذا الرماح شجرنه * درعا سوى سربال طيب العنصر

ويقول للطرف اصطبر لشبا القنا * فعقرت ركن المجد ان لم تعقر

(ابو الفرج)

يسعى الى الموت والقنا قصد * وخيله بالرؤس تنتعل

كانه واثق بأن له * عمرا مقيما وماله اجل

(آخر) كان سيوفه صيغت عقودا * تجول على الترائب والنحور

وسمر رماحه جعلت هموما * فما يخطرن الا في ضمير

(البحتري مادحا)

يلقى السيوف بوجه منه ليس لها * ظهر وهادي جواد ماله كفل

يسعى به البرق الا أنه فرس * في صورة الموت الا انه رجل

(مسلم بن الوليد)

لو ان قوما يخلقون منية * من بأسهم كانوا بني جبريلا

قوم اذا حمي الوطيس لديهم * جعلوا الجماجم للسيوف مقيلا

(ولآخر)

وحامي بلاد الله من كل مارق * له الطير ضيف والوحوش وفود

مليك له زهر النجوم اسنة * اذا أم أفقا والسحاب بنود

(آخر) عقبان روع والسروج وكورها * وليوث حرب والقنا آجام

وبدور تم والسترائك في الوغى * هالاتها والسائرون غمام

جادوا بممنوح التلاد وجودوا * ضربا بحديه الطلى والهام

وتجاوبت اسيافهم وجيادهم * فالارض تمطر والسماء تغام

(البحتري)

معشر امسكت حلومهم الار * ض وكادت لولاهم ان تميدا

ان الذين كانوا قبلكم بنوا مشيدا وأملوا بعيدا وجمعوا عتيدا فأصبح أملهم غرورا وجمعهم ثبورا ومساكنهم قبورا (ونظر) الحسن البصري الى الناس في مصلى البصرة يضحكون ويلعبون في يوم عيد فقال ان الله جعل الصوم مضمارا لعباده ليستبقوا الى طاعته فسبق أقوام ففازوا وتخلف أقوام فخابوا فالعجب من الضاحك اللاعب في اليوم الذي فاز فيه المحقون وخسر المبطلون ولعمري لو كشف الغطاء لشغل محسن باحسانه ومسيء باساءته عن تجديد ثوب او ترجيل شعر (ونظر وهب ابن منبه) الى قوم يضحكون في يوم عيد فقال ان كان هؤلاء غفر لهم فما هذا فعل الشاكرين وان كانوا لم يغفر لهم فما هذا فعل الخائفين (روي) انه قيل للحسن البصري ههنا رجل لم نره قط الا جالسا وحده خلف سارية فقال الحسن اذا رأيتموه فاخبروني فنظروا اليه ذات يوم فقالوا للحسن هذا الرجل الذي أخبرناك به وأشاروا اليه فمضى اليه الحسن فقال له يا عبد الله اراك قد حببت اليك العزلة فما يمنعك من مخالطة الناس فقال امر شغلني عن الناس فقال فما يمنعك ان تأتي هذا الرجل الذي يقال له الحسن فتجلس اليه فقال أمر شغلني عن الناس وعن الحسن فقال له الحسن وما ذاك الشغل يرحمك الله قال اني أصبح وأمسي بين نعمة وذنب فرأيت ان أشغل نفسي بالاستغفار من الذنب وشكر الله على النعمة فقال له الحسن أنت يا عبد الله أفقه عندي من الحسن فالزم ما انت عليه (وروي) ان الاسكندر مر بمدينة قد تملكها

فاذا الجدب جاء جادوا غيوثا * واذا النقع ثار ثاروا اسودا
وكان الاله قال لهم فى الحرب كونوا حجارة أو حديدا

(آخر)
ان تردخبر حالهم عن يقين * فالقهم يوم نائل او نزال
تلق بيض الوجوه سود مثار النقع خضر الاكتاف حمر النصال

(آخر)
قوم شراب سيوفهم ورماحهم * فى كل معترك دم الاشراف
رجعت اليهم خيلهم بمعاشر * كل لكل جسيم امر كافى
يتحننون الى لقاء عدوهم * كتحنن الالاف للايلاف
و يباشرون ظبا السيوف بأسهم * امضى واقطع من مضى الاسياف
جبلت على سفك الدماء نفوسهم * واكفهم جبلت على الاتلاف
واذاهم صدموا العدو بصارم * خضبوا الاسنة من دم الاطراف
فنفوسهم تفنى نفوس عداتهم * وعطاؤهم يغنى سؤال العافى

﴿الفصل الثانى من الباب الحادى عشر﴾
فى ذكر ما وقع فى الحروب من شدائد الازمات والكروب

(قال) بعض الحكماء جسم الحرب الشجاعة وقلبها التدبير ولسانها المكيدة وجناحاها الطاعة وقائدها الرفق وسائقها النصر (وقال) عمر بن الخطاب لعمرو بن معديكرب رضى الله عنهما صف لنا الحرب فقال مرة المذاق صعبة لا تطاق اذا شمرت عن ساق من صبر لها عرف ومن نكل عنها تلف ثم انشد

الحرب اول ما تكون فتية * تسعى بزينتها لكل جهول
حتى اذا حميت وشب ضرامها * عادت عجوزا غير ذات حليل
شمطاء جدت رأسها وتنكرت * مكروهة للشم والتقبيل

(وقيل لبعضهم) صف لنا الحرب فقال اولها شكوى وأوسطها نجوى وآخرها بلوى * تذاكروا الحروب عند معاوية فقال بدر لعلى وأحد لطلحة والخندق للزبير وحنين للعباس بن مرداس *وأنا اذاكر من الحروب الواقعة فى صدر الاسلام بعد موت النبى عليه الصلاة والسلام أربعة وهى الجمل وصفين ويوم الحرة ويوم كربلاء اذ هذه الحروب أشد الوقائع طعانا وضرابا وأعظمها فى الدين فجيعة ومصابا لما قتل فيها من كبار آل بيت النبى صلى الله عليه وسلم وصحابته وعظماء أهل بيته وقرابته ﴿الجمل﴾ مبتدؤها أن طلحة والزبير خرجا مغاضبين لعلى رضى الله عنه بعد أن بايعاه لما هجس فى نفوسهما من أن عليا رضى الله عنه هو الذى ألب على قتل عثمان رضى الله عنه حتى قتل وان قتله كان عن رضا منه فقدما مكة على عائشة رضى الله عنها وكانت قد خرجت من المدينة قبل قتل عثمان فاجتمعا يوما عند عائشة رضى الله عنها فى رجال من بنى أمية فتذاكروا قتل عثمان ورغبوا عائشة فى طلب الثار فاعتذرت اليهم بقلة ذات يدها فقال يعلى بن منية ومنية اسم أمه وكان عاملا لعثمان على اليمن عندى أربعمائة ألف درهم مساعدة لكم وخمسمائة فارس أجهزها وقال عبد الله بن عامر بن كريز وكان عاملا لعثمان على البصرة عندى ألف ألف درهم ومائة من الابل وأشار عليهم بالبصرة ثم نادى مناد بالحريض على طلب دم عثمان فاجتمع لهم ألف منهم ستمائة على النوق وسواهم على الخيل والبغال ووهب يعلى ابن منية الجمل وكان يدعى عسكرا وعمل عليه هودجا من حديد ثم انهم دخلوا طالبين

سبعة املاك وباد جميعهم فقال هل بقى من نسلهم احد فقالوا نعم رجل يسكن المقابر فدعاه فأتاه فقال له ما دعاك الى لزوم المقابر قال اردت ان اميز عظام الملوك من عظام العبيد فوجدتها سواء فقال له هل لك ان تتبعنى فأحيى شرفك وشرف آبائك ان كانت لك همة قال همتى عظيمة قال ما هى قال حياة لا موت معها وشباب لا هرم بعده وغنى لا فقر معه وصحة من غير سقم وسرور من غير مكروه قال هذا ما لا تجده عندى فقال فدعنى اطلبه ممن هو عنده فقال الاسكندر ما رأيت رجلا أحكم من هذا وخرج من عنده فلم يزل فى المقابر حتى لحق بأهله رحمه الله (دخل) بعض الصالحين يوما على ابى جعفر المنصور ومعه ابنه المهدى فقال له المنصور هذا المهدى ابنى وقد وليته عهد المسلمين فقال له الرجل الصالح انك قد رضيت له الامر الذى يرزؤك فى وقت انت عنه مشغول فبكى المنصور وقال له عظنى فقال يا امير المؤمنين ان الله قد اعطاك الدنيا بأسرها فاشتر نفسك منه ببعضها فان هذا الامر الذى اصبح فى يديك لو بقى فى يدى غيرك ممن كان قبلك لم يصل اليك واحذر ليلة تمخض بيوم لا ليلة بعده (وقال بعض السلف) عاملوا الله بتقواه واستروه بطاعته ولا تغفلوا عن ذكره ففيه النجاة من النار ولا تستصغروا الذنوب وتستحقروها فانه من استصغر الذنب وقع فيه ومن ركب المعصية اهلك نفسه فان الله عز وجل لم يترك صغير الذنوب للانبياء فكيف للاشقياء (قال الشاعر)

البصرة وكان علي رضي الله عنه قد بلغه خبرهم وهو في المدينة فخرج منها في تسعمائة في سبعون بدريا وصلت عائشة البصرة بمن معها وكانوا زهاء ثلاثة آلاف فمنعهم عثمان بن حنيف عامل علي من دخولها فأخذوها منه بعد حرب وقعت بينهم قتل فيها كل من خرج يطلب بقتل عثمان أو أعان عليه الارجل واحد يسمى حرقوص بن وهب فان بني سعد منعه وأخذوا عثمان بن حنيف فنتفوا لحيته ورأسه وحاجبيه وأشفار عينيه فجاء عليا رضي الله عنه وقال يا أمير المؤمنين بعثتني بلحية وجئتك أمردا وكان عثمان بن حنيف من كبار الصحابة وبايع أهل البصرة طلحة والزبير ووصل علي الى الكوفة فاستنجدهم فأنجده باثني عشر ألف رجل وسار حتى وصل الى جانب البصرة فنزل وأقام تلك الليلة ثم ناشدهم الله في الدماء فأبوا الا القتال فخرج علي رضي الله عنه وهو راكب بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم والتقى الجمعان فكان أول من قتل طلحة وانهزم الزبير فلحقه ثلاثة نفر منهم عمرو ابن جرموز السعدي بوادي السباع عند ما فقتله وهو ساجد وقيل نائم غيلة ووادي السباع برقة واسط بين البصرة والكوفة وفيه يقول جرير بن عطية بن الخطفي عائبا على بني مجاشع قتل الزبير

إني تذكرني الزبير حمامة * تدعو ببطن الواديين هديلا
قالت قريش ما أذل مجاشعا * جاراوا كرم ذا القتيل قتيلا
لو كنت حرا يا ابن قين مجاشع * شيعت ضيفك فرسخا أوميلا
أنعد فتلكم خليل محمد * ترجو القيون مع الرسول سبيلا
أفتى الندى وفتى النزال غدرتم * وفتى الرماح اذا تهب بليلا
لو كنت حين غدرت بين بيوتنا * لسمعت من صوت الرماح صليلا
وحماك كل معاور يوم الوغى * ولكان شلو عدوك المأكولا

وقتل محمد بن الزبير وجرح عبد الله أخوه سبعا وثلاثين جراحة وأطاف بنو ضبة والأزد بالجمل وأقبلوا يرتجزون

نحن بني ضبة أصحاب الجمل * ننزل بالموت اذا الموت نزل
والموت أحلى عندنا من العسل * نبغي ابن عفان بأطراف الأسل

فقطع على خطام الجمل سبعون يدا من بني ضبة فلما التحمت الحرب واستعرت نارها نادى علي رضي الله عنه اعقروا الجمل فانه ان عقر تفرقوا فعقره عمرو بن دلجة وأخذته السيوف من كل جانب حتى وقع وقتل حوله خلق كثير ومال الهودج وسمع صارخ يقول راقبوا الله في حرمة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال علي لابنه الحسن هل كنت قال قد نهيتك عن مسيرك قال لم أكن أرى أن الامر يصير الى هذا وجاء أعين بن ضبيعة حتى أطلع في الهودج فقال ما أرى الا حميرا فقالت هتك الله سترك وأبدى عورتك فقتل بعد ذلك بالبصرة وصلب وتقطعت يداه ورجلاه ورمى به عريانا في خربة من خراب الأزد (وقيل) ان عليا لما وقف على ضرب الهودج بقضيب وقال يا حميراء أرسول الله صلى الله عليه وسلم أمرك بهذا ألم يأمرك ان تقري في بيتك والله ما أنصفك الذين أخرجوك اذ صانوا حلائلهم وأبرزوك فبقيت انها قالت له قد ملكت فاسجح ثم أمرها بالمسير وأذن لاصحابها أن يسافر معها من أراد السفر فسافر بعض وبقي بعض (وقال البلاذري) في تاريخه ان عليا رضي الله عنه أعطاها حين اشخصها الى مكة عشرة آلاف درهم ورجعت الى مكة يوم السبت غرة رجب سنة ست وثلاثين وشيعها على أميالا وقصدت مكة فأقامت بها الى الحج ثم خرجت الى المدينة وكانت الوقعة في الموضع المعروف بالخريبة لعشر خلون من جمادى الآخرة وقيل في يوم الجمعة النصف من جمادى الاولى وعدة من قتل يوم الجمل ثمانية آلاف رجل

من

تسير الى الآجال في كل ساعة
وأيامنا تطوى وهن مراحل
ولم نر مثل الموت حقا كأنه
اذا ما تخطته الأماني باطل
ترحل من الدنيا بزاد من التقى
فعمرك أيام تعد قلائل

(وعظ) رجل من الصالحين بعض أصحابه فقال له هل رأيت الخير كله الا من الله قال نعم قال فلم تكره لقاء من لم تر الخير الا من عنده والله من مات ولقي الله مؤمنا موقنا لقد تخلص من الادناس وخرج من الوحشة الى الايناس لاسيما ان نفحته نار المحاذير ورضي بتصرف المقادير لقد خاصته تخليص التبر من الخبث ونقلته انقى من الدر الى الجدث (قال محرز) قلت للغضائري عظني فأنشد

حياتك أنفاس تعد فكلما
مضى نفس منك انتقصت به جزؤا
فتصبح في نقص وتمسي بمثله
ومالك معقول تحس به رزؤا
يميتك ما يحييك في كل ساعة
ويحدوك حاد ما يريد به الهزؤا

(وقال الشاعر)

تأهب للحمام فكل حي
قصاراه وان عاش الممات
ودع شغلا يفوتك منتهاه
فان الشغل غايته الفوات
ولا يطمع ذهابك في رجوع
فان طلاق ذي الدنيا بتات

(وقال بعضهم) ان كل يوم عمر بكم يحمل ما ثبت فيه من خير او شر ثم يمضي فلا يعود ابدا فان قدرتم ان تحفظوا كل يوم بمكرمة وتثبتوا فيه حسنة تزينوا فان الديام صحائف خلدوا فيها الجميل فقد رأيتم حفظها لما استودعت من المحامد والمكارم في قديم الدهر وحديثه (قال الشاعر)

من أصحاب عائشة وألف من أصحاب علي رضي الله عنهم أجمعين وفي وقعة الجمل تقول عثمان بن حنيف

شهدت الحروب فشيبتني * ولم أر يوما كيوم الجمل
أشد على مؤمن فتنة * وأقتل منه لحر بطل
فليت الظعينة في بيتها * وليتك عسكر لم ترتحل

يعني الجمل الذي كانت عليه عائشة وحكى أبو طالب المكي في القوت أن عليا رضي الله عنه قال لابنه محمد بن الحنفية وقد قدمه أمامه يوم الجمل أقدم أقدم ومحمد يتأخر وهو يكرهه بقائم الرمح فالتفت اليه محمد وقال هذه والله الفتنة المظلمة العمياء فوكزه علي رضي الله عنه بالرمح وقال له تقدم لا أم لك أتكون فتنة أبوك قائدها وسائقها ﴿صفين﴾ ولما فرغ علي رضي الله عنه من حرب الجمل وانصرف الى الكوفة بعث جرير بن عبد الله البجلي الى معاوية يخيره بين حرب معضلة أو سلم مجزية فان اختار الحرب فانبذ اليه على سواء ان الله لا يحب الخائنين وان اختار السلم فخذ بيعته وارجع فلما بلغ جرير الرسالة الى معاوية أرسل الى عمرو بن العاص فلما حضر أعلمه بما أتى فيه جرير فقال له أما علي فوالله لا تسوي العرب بينك وبينه في شيء وان له في الحرب لحظا ما هو لأحد في قريش قال صدقت ولكنا نقاتله على ما بأيدينا ونلزمه قتل عثمان ثم قال له مد يدك وبايعني فقال والله لا أعطيك شيأ من ديني حتى آخذ من دنياك ويقال بل أنشده

معاوي لا أعطيك ديني ولم أنل * لديك به دنيا فانظرن كيف تصنع
فان تعطني مصرا فأربح بصفقة * أخذت بها شيخا يضر وينفع

فأعطاه مصر طعمة وكتب له بذلك شروطا وأشهد عليه شهودا فبايعه عمرو بن العاص وتعاهدوا على الوفاء وكتب معاوية الى علي بأن لا طاعة له عليه فلما ورد جرير على علي بما كتب اليه معاوية أمر الناس بالخروج الى صفين لقتال معاوية فاجتمع له من الخيل تسعون ألفا فيهم سبعون بدريا ومن بايع تحت الشجرة سبعمائة ومن المهاجرين والأنصار أربعمائة وذلك لخمس خلون من شوال سنة ست وثلاثين وبلغ معاوية خروج علي فجمع من الجنود خمسة وثمانين ألفا وقيل مائة وعشرين ألفا وسبق عليا الى صفين فنزل على موضع سهل أفيح مشعب قريب من الفرات ونزل علي على مواضع بعيدة من الماء والعشب فبات وجيشه عطاش قد حيل بينهم وبين الماء فأشار عمرو على معاوية أن يمكن عليا من ورود الماء فقال لا والله أو يموتوا عطشا كما مات عثمان فاشتكى أصحاب علي العطش فأمرهم بالمسير وقدم عليهم الاشتر والاشعث بن قيس فساروا وعلي من وراء الجيش حتى هجموا على عسكر معاوية فأزالوهم عن الشريعة وغرق منهم خلق كثير وارتحل معاوية الى ناحية من البر بعيدة من الماء وأرسل الى علي يستأذنه في استقاء الماء من طريقه فأذن له وأجابه الى ذلك ثم بعث علي الى معاوية يدعوه الى اجتماع الكلمة وحقن الدماء وطالت المراسلة بينهما فاتفقا على الموادعة الى آخر المحرم من سنة سبع وثلاثين فلما كان آخر المحرم كتب علي الى أهل الشأم يحذرهم الوقوع في الهلكة فأبوا الا الحرب والقتال حتى يهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة فعبى علي جيشه يوم الاربعاء مستهل صفر وقدم عليهم الاشتر وتصاف أهل الشأم والعراق ووقع القتال بينهم فكان هذا دأبهم في كل يوم الى السابع من صفر وفيه قتل عمار بن ياسر من أصحاب علي قتله أبو العادية العاملي وله من العمر ثلاث وتسعون سنة (وكان) في حرب صفين خزيمة بن ثابت ذو الشهادتين مع علي كافا سلاحه فلما قتل عمار خرج يطلب المبارزة وهو يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم

﴿حتى متى نحن في الأيام نحسبها
وانما نحن فيها بين يومين﴾
﴿يوم تولى ويوم نحن نأمله
لعله أقرب الأيام للحين﴾

(وقال عامر العدواني) الأيام ثلاثة يوم مضى عليك لا ترجوه ويوم أنت فيه لا بد منه ويوم يأتيك لا تأمنه فأمس واعظ واليوم غنيمة وغد لا تدري ما حكمه وأمس الماضي شاهد مقبول وأمين مؤد أودعته زادا خيرا أو شرا وترك لك عوضا عنه لحسن صحبته واليوم الذي أنت فيه ضعيف سريع الظعن فأحسن له الصحبة يلقك الحجة ويحبوك الشهادة وغد المقبل حاكم تنتظر قدومه فاما حسيب لا يظلم واما عدو لا يرحم (وقال بعضهم) اخواني اقبلوا قول ناصح لكم واعملوا لآخرتكم في هذه الأيام التي تسير كأنها تطير وتلوح كأنها ريح فما انقضت ساعة من أمسك الا وأخذت بضعة من نفسك والسعيد من اعتبر بأمسه واستظهر لنفسه والشقي من جمع لغيره وبخل على نفسه بخيره (قال الشاعر)

﴿كل يوم مر يأخذ بعضي
يورث القلب حسرة ثم يمضي﴾

[illegible] أو إما كانوا من [illegible] عليهم أشفق منكم من سيآتكم أن تعذبوا بها وكانوا فيما أحل الله لهم من الدنيا أزهد منكم فيما حرم عليكم منها (قال الشاعر)

﴿أطلب لنفسك فوزها وانظر لها
نظر الشفيق وخف عليها واتق﴾
﴿من ليس يرحم نفسه ويصدها
عما يسرها فليس بمشفق﴾

(رأى) اياس بن قتادة شيبة في لحيته فقال أرى الموت يطلبني

يقول لعمار يا عمار تقتلك الفئة الباغية ثم كانت بينهم حرب أخرى قتل فيها ذو الكلاع وعبيد الله بن عمر ثم كانت بعد ذلك ليلة الهرير قتل فيها خلق كثير وكانت ليلة جمعة فلما رأى معاوية ان قد فشا القتل فى أصحابه قال لعمرو بن العاص هل مخبأ تلك فقد هلكنا وذكر ولاية مصر فأمر أن ترفع المصاحف وان يقال ما فيها حكم بيننا وبينكم يا أهل العراق فرفعوها وكانت زهاء خمسمائة مصحف ونادوا من الثغور الشأم بعد أهل الشأم ومن لثغور العراق بعد أهل العراق من لجهاد الروم والترك فعند ذلك اختلف أصحاب على فمنهم من أراد القتال ومنهم من أراد الكف فقال على رضى الله عنه بالامس كنت أميرا وأصبحت اليوم مأمورا ثم ارسل الاشعث بن قيس الى معاوية يسأله لاى شئ رفعت المصاحف قال لنرجع نحن وأنتم الى ما أمر الله به فى كتابه تبعثون رجلا منكم ترضونه ونبعث رجلا منا نرضاه ليعملا فينا بكتاب الله ونتبع ما اتفقا عليه فقال الاشعث هذا هو الحق وانصرف الى على وأخبره بما قال معاوية فقال الناس رضينا فاختار أهل الشأم عمرو بن العاص واختار أهل العراق أباموسى الاشعرى واسمه عبد الله بن قيس واختار على عبد الله ابن عباس فقالوا والله لا نريد الا رجلا هو من معاوية ومنك على السواء قال فاصنعوا ما أردتم فجمعوا بين عمرو بن العاص وأبى موسى وأخذوا عليهما العهد والميثاق أن لا يخونا وأخذ الحكمان من على ومعاوية والحسنين المواثيق انهما آمنان على انفسهما وأن يكون منهم المبايعة على ما يرضيانه ثم خرجا واجتمعا فى دومة الجندل فى شهر شعبان سنة ثمان وثلاثين فقال عمرو لابى موسى ان هذه الفتنة لا تزال قائمة ما دام واحد من هذين الاثنين متوليا امرة المسلمين فقال أبوموسى فما ترى قال أرى أن يصعد كل واحد منا المنبر ويخلع صاحبه وندعها شورى بين المسلمين يولون أمرهم من أرادوا فأجابه الى ذلك وتقدم ابوموسى وصعد المنبر وقال أيها الناس انا نظرنا فى أمر هذه الامة فلم نر أصلح لامرها ولا ألم لشعثها من امر اجتمع رأيى ورأى عمرو عليه وهو ان يخلع كل واحد منا صاحبه ويجعل امر المسلمين اليهم يولون عليهم من أحبوا وانى خلعت عليا فاستقبلوا امركم وولوا من شئتم ونزل ثم صعد عمرو فحمد الله وأثنى عليه ثم قال قد قال ابوموسى ما سمعتم من خلع صاحبه وانى خلعته كما خلعه وأثبت معاوية كما أثبت حمائل سيفى هذا فى عنقى فانه ولى عثمان والطالب بدمه وأحق والله بمقامه ثم نزل فاختلف عند ذلك أهل الجيشين فلما رأى على اختلافهما رحل قاصدا الكوفة ولحق معاوية بدمشق وانصرف عمرو بأهل الشأم بعد ذلك الى معاوية فسلموا عليه بالخلافة وبايعوه فكان على رضى الله عنه بالعراق ومعاوية بالشأم الى سنة اربعين * وفى هذه السنة قتل على رضى الله عنه فى رمضان وهو ابن اثنتين وستين سنة وكانت مدة خلافته خمس سنين الا شهرا واحدا ومدة ولاية معاوية اربعين سنة منها اميرا على الشأم لعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان عشرون سنة وخليفة عشرون سنة وتوفى سنة ستين (ولما) انفصل اهل الشأم واهل العراق من هذه الحروب رجع ابن عباس وشريح بن هانئ الى على رضى الله عنه * وكان على رضى الله عنه اذا صلى الغداة لعن معاوية وعمرا واصحابه فبلغ ذلك معاوية فكان اذا اقنت لعن عليا وابن عباس وحسنا وحسينا والاشتر ولم يزل الامر على ذلك برهة من ملك بنى امية الى أن ولى عمر بن عبد العزيز الخلافة فمنع من ذلك وجعل مكان اللعن فى الخطبة ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا انك رؤف رحيم (وقتل) بصفين من اهل العراق والشأم فى مدة مائة يوم وعشرة ايام مائة ألف وعشرة

وأرانى لا أفوته اللهم انى أعوذ بك من فجأة الامور وبغتات الحوادث يا بنى سعد قد وهبت لكم شبابى فهبوا لى شيبتى ولزم بيته صائما قائما فقال له أهله تموت هزالا فقال لان اموت مؤمنا مهزولا أحب الىّ من ان اموت منافقا سمينا (قال الشاعر) محمود الوراق

﴿بكيت لقرب الاجل
وبعد فوات الامل﴾
﴿ووافد شيب طرا
بعقب شباب رحل﴾
﴿شباب كان لم يكن
وشيب كان لم يزل
طواك بشير البقا
وحل بشير الاجل

(ومن مواعظ) بعض الصالحين اغتنم تنفس الاجل وامكان العمل واقطع ذكر المعاذير والعلل فانك فى أجل محدود ونفس معدود وعمر غير ممدود والطبيب معذور اذا لم يدفع المقدور (قال زهير المهلبى)

﴿مضى الشباب وولى ما انتفعت به
وليته فارط يرجى تلاقيه﴾
﴿وليت لى عملا فيه أسر به
وليتنى لا جرى لى ما جرى فيه﴾
﴿فاليوم أبكى على ما فاتنى أسفا
وهل يفيد بكاءى حين أبكيه﴾
واحسرتاه لعمر ضاع أكثره
فالويل ان كان باقيه كماضيه﴾
(وقال أبو الربيع بن سالم)
﴿وقائلة شبتم فقلت لها شبنا
وفى هذه الدنيا الدنية أنشبنا
﴿ويا ليتنا لما تقضى شبابنا
خلصنا وأخلصنا ولكننا شبنا﴾
﴿فيا عجبا منا على الله نجترى
ونهفو وافى الريح أرواحنا جبنا﴾
﴿وكيف أضعنا باقيا لمعجل
سيفنى لقد نلنا بصفقتنا غبنا﴾

آلاف وقيل سبعون ألفا من اهل الشأم خمسة وأربعون ومن اهل العراق خمسة وعشرون ألفا والله اعلم (وكانت) الوقائع تسعين وقعة وعدة من حضر في صفين من اهل الشأم مائة وعشرون ألفا ومن اهل العراق مائة الف وعشرة آلاف فيكون جملة الفريقين مائتي الف وثلاثين الفا

﴿يوم كربلاء﴾

لما بويع يزيد بالخلافة وذلك في رجب سنة ستين خرج الحسين كارها للبيعة من المدينة الى مكة فبلغ أهل الكوفة امتناعه فكتبوا اليه يحرضونه على المسير اليهم ويعرفونه بأنهم شيعته وشيعة اهل بيته وانهم يقاتلون عدوه حتى يقتلوا انفسهم دونه فقدم الكتاب على الحسين لعشر خلون من رمضان سنة ستين فبعث اليهم مسلم بن عقيل بن ابي طالب للمبايعة له فبايعوه فكتب بذلك عامل الكوفة من قبل يزيد وهو عبد الله بن مسلم الى يزيد يعلمه بذلك فلما بلغ يزيد ذلك عقد لعبيد الله بن زياد تولاية الكوفة وأمره بقتل مسلم بن عقيل فسار حتى دخل الكوفة على حين غفلة من اهلها وهو ملتثم يظنونه الحسين فجعل لا يمر على ملأ من الناس الا قالوا مرحبا بابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم قدمت خير مقدم فلما سمع مقالاتهم حسر لهم عن وجهه فلما رأوه داخلهم كآبة وحزن وخاف مسلم على نفسه فاستجار بهانئ بن عروة فارسل اليه عبيد الله يطلبه منه فقال لا أسلم اليك من استجار بي ظنا منه أن قومه سيمنعونه منه فتوعده وتهدده فقال والله لو كان تحت قدمي هاتين ما رفعتهما عنه فاصنع ما بدا لك فضرب به على وجهه فأدماه وهشم أنفه وأمر به فحبس فلما بلغ مسلم بن عقيل ذلك أمر أن ينادى في أصحابه وكان قد بايعه ثمانية عشر ألفا فاجتمع حول داره منهم أربعة آلاف فجاء الصارخ بذلك الى عبيد الله فخرج من المسجد الى القصر فزعا مسرعا واغلق أبوابه وأحاط مسلم بن عقيل به فيمن معه من كل ناحية ولم يكن مع عبيد الله في القصر الا ثلاثون رجلا من الشرط وعشرون من أشراف الناس فبينما هم كذلك اذ أقبل كثير بن شهاب فيمن أطاعه من مذحج فنادى أيها الناس الحقوا بأهاليكم ولا تعرضوا أنفسكم للقتل فان هذه جيوش أمير المؤمنين يزيد مقبلة وقد أقسم الامير عبيد الله لئن لم ترجعوا عن حربه ليأخذن البرئ بالسقيم والغائب بالحاضر حتى لا يبقى منكم باقية فتفرق الناس وجعل الرجل يخوف أخاه بجند الشام والمرأة تخوف ولدها فأمسى مسلم بن عقيل ومعه ثلاثون ألفا فخرج متوجها نحو أبواب كندة فما بلغ الابواب ومعه عشرة ثم خرج من الابواب وما معه انسان فمضى على وجهه لا يدري أين يذهب فالتجأ الى دار امرأة تسمى طوعة فنعته الجلوس على بابها ولم تكن تعرفه فقال لها افعلي معي معروفا فعلي أ كافئك عليه بعد قالت وماذاك قال أنا مسلم بن عقيل كذبني هؤلاء القوم وغروني ففرقت له وحنت عليه وأخذت بيده وأدخلته دارها وكانت للاشعث بن قيس فلما كان الغد صعد عبيد الله بن زياد المنبر فحمد الله على انتصاره ثم قال برئت الذمة ممن وجدنا مسلم بن عقيل في داره ومن جاء به فله ديته فقام محمد بن الاشعث وقال ان بلال بن أسيد أخبرني ان عقيل بن مسلم عند أمه فقال قم وأتني به فقام بن الاشعث في ستة عشر رجلا حتى أتوا الدار فلما سمع مسلم وقع حوافر الخيل نهض اليهم بسيفه فاقتحموا عليه الدار فضربهم حتى أخرجهم وخرج خلفهم مصلتا سيفه وما نعاعن نفسه فقال له ابن الاشعث يا فتى لا تقتل نفسك ولك الامان وهو يدافع عن نفسه ويقول

أقسم لا أقتل الا حرا * وان رأيت الموت شيأ نكرا
كل امرئ يوما ملاق شرا * أخاف أن أكذب أو أغرا

﴿وكم صرفتنا بين ملهى وملعب
فما ان نكرنا قبح ذاك ولا عبنا﴾
﴿ونادى سفاه قد حضرنا وانما
عن الرشد والتوفيق يومئذ غبنا﴾
﴿فياليت شعري ما يكون جوابنا
اذا نحن في وفد القبور غدا أبنا﴾
﴿أينفع انكار وذو العرش عالم
بمودعة صدرا وملزمة ضبنا﴾
﴿الا ليس الا عفوه عن ذنوبنا
فان يخب التقدير فيه فقد خبنا﴾

(قال بعض العلماء) وجد مكتوب في حجر ابن آدم لو رأيت يسير ما بقي من أجلك لزهدت في طول ما ترجو من أملك ولرغبت في الزيادة من عملك ولقصرت من حرصك وحيلك وانما يلقاك ندمك اذا زل بك قدمك وأسلمك أهلك وحشمك وتبرأ منك القريب وانصرف عنك الحبيب فلا أنت الى دنياك عائد ولا في حسناتك زائد (قال أبو العتاهية)

﴿ليس فيما مضى ولا في الذي
لم يأت من لذة لمستحليها﴾
﴿انما انت طول عمرك ما عمر
ت في الساعة التي انت فيها﴾
﴿علل النفس بالكفاف والا
طلبت منك فوق ما يكفيها﴾

(وقال بعضهم) ان الله أقواما انعم عليهم فعرفوه وشرح صدورهم فأطاعوه وتوكلوا عليه فسلموا الخلق والامر له فصارت قلوبهم معادن لصفاء اليقين وبيوتا للحكمة وتوابيت للعظمة وخزائن للقدرة فهم بين الخلائق مقبلون مدبرون وقلوبهم تجول في الملكوت وتلوذ بمحجوب الغيوب ثم ترجع ومعها من لطيف الفوائد ما لا يمكن واصف ان يصفه فهم في باطن امورهم كالديباج حسنا وهم في الظاهر مناديل مبذولون لمن

فقال ابن الاشعث لاتكذب ولا تغر أنا زعيمك بالوفاء والذمام فلما ألقى سلاحه تواثبوا عليه وأخـذوه وحمل الى عبيد الله فقال له يافاسق ان نفسك منتك ماحيل بينك وبينه فقتلني الله ان لم أقتلك قتـلة لم يقتلها أحد قبلك في الاسلام ثم أمر كثير بن حمران الاحمري أن يصعد به الى سطح القصر وأن يرمي به ففـعل فلما فعل به كذلك لم يمت فأمر بضرب عنقه فضربت ثم ضرب رقبة هانئ بعده وصلبت جثة مسلم وحمل رأسه الى دمشق (وكان) قتل مسلم بالكوفة يوم الثلاثاء لثمان مضين من ذي الحجة سـنة ستين وفي ذلك اليوم خرج الحسين من مكة قاصدا نحو الكوفة بعدما وصله كتاب مسلم يخبره فيه أن أهل الكوفة معك فأقبل حين تقرأ كتابي فاني قد بايعتهم لك فبينما هو سائر بأصحابه نحو الكوفة اذ مر به رجل من أهلها فسئل عما وراءه فذكر أنه لم يخرج منها حتى قتل مسلم وهانئ ورآهما يجران بأرجلهما في السوق فهم بالرجوع فقال له بعض أصحابه والله ما أنت كمسلم ولو قدمت الكوفة لكان الناس أسرع اليك من السيل في المكان المنحدر فسار واذا طلائع خيـل قد أقبلت نحوه فنزل الحسين وأمر بالاخبية فضربت وجاء القوم وهم ألف فارس مـع الحر بن يزيد اليربوعي وكان نازلا على القادسية ينتظر قدوم الحسين فلما اجتمعا قال له الحر ما الذي أقدمك العراق قال له والله ماخرجت حـتى أتتني كتبكم مـع رسلكم فقال له الحر والله ماندري ماهـذه الكتب وقد أمرنا اذا لقيناك لانفارقك حتى نقـدمك الكوفة فقال ثكلتك أمك الموت دون ماقلت فقال الحر لو غيرك قالها من العرب ماتركت ذكر أمه واذ قد أبيت فخذ طريقا لاتدخلك الكوفة ولاتردك الى المدينة فأبى وسار والحر بن يزيد معه حتى أتوا على قرية فسأل الحسين عنها فقالوا العـقر فقال نعوذ بالله منه أي من العقر وهي كربلاء فنزل فيها وذلك يوم الخميس الثاني من المحرم سـنة احدى وستين فلما كان من الغد قدم عليهم عمرو بن سعد بن أبي وقاص من الكوفة في أربعة آلاف فارس فلما اجتمعوا كتب عمرو الى عبيد الله يسعى في صلاح الحال معه وعوده انا قد اجتمعنا بالحسين في كربلاء ونحن ننتظر أمرك فيه فكتب اليه حل بين الحسين وبين الماء كما فعل بالزكي التقي عثمان بن عفان فنعوه وأصحابه الماء ثم أنفذ اليهم الشمر بن ذي الجوشـن وأمره ان يسـمع لعمرو بن سعد ان هو قاتل وان أبى فتقدم أنت على العسكر فأقبـل شمر على عمرو بن سـعد وبلغه ماقال عبيد الله فامتعض لذلك وقال لاولا كرامة ولكن أنا أتولى ذلك ثم نادى ياخيل الله اركبي وذلك عشـية الخميس لتسع خلون من المحرم ثم تقدموا نحو الحسين فأرسل اليهم أخاه العباس يسألهم التأخـير لصبيحة غد فأجابوه الى ذلك فلما صلى الغداة يوم الجمعة وقيل يوم السبت وهو يوم عاشوراء خرج عمرو فيمن معه من الناس وخرج الحسين وأصحابه وكانوا اثنين وثلاثين فارسا وأربعين راجلا ثم وقف فيهم على راحلته ونادى أيها الناس أجمعوا أمركم ثم لايكن أمركم عليكم غمة ثم اقضوا الي ولا تنظرون ان وليي الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصـالحين فسمعه نساؤه فبكين ثم قال انسبوني وانظروا من أنا على وجه الارض ابن بنت نبي غيري فسمعته أخته فاطمة فقالت اليوم ماتت فاطمة أمي وعلي أبي والحسن أخي ياخليفة الماضي وثمال اليتامى فقال مجيبا لها ولو ترك القطا ليلا لناما فجاءه الحر بن يزيد اليربوعي فقال له ماجاء بك قال جئتك تائبا مما كان مني مواسيا لك بنفسي أفترى ذلك لي توبة قال نعم يتوب الله عليك ويغفر لك ثم أقبل الحر بوجهه على أصحاب ابن زياد وقال لهم اتقوا الله في ابن بنت رسول الله نبيكم حلتم بينه وبين الماء الذي يلغ فيه الكلب ويرده الكافر وها أصحابه قد صرعهم العطش فبئسما خلفتم محمدا في أهل بيته فحمل عليه رجال منهم ونشب الحرب بينهم فجعل الحر ينشد ويحمل

على

اوادهم تواضعا (قال) رجل لرجل من الزهاد ما رأيت ازهد منك قال انت ازهد مني قال وكيف قال لانك زهدت في الجنة على بقائها وزهدت انا في الدنيا على فنائها (قال الشاعر)

﴿ان لله عبادا فطنا * طلقوا الدنيا وخافوا الفتنا﴾
﴿فكروا فيها فلما علموا * انها ليست لحي وطنا﴾
﴿جعلوها لجة واتخذوا * صالح الاعمال فيها سفنا﴾

(وجد) على حائط من حيطان المقابر يامن ابطره الغنى واسكرته شهوات الدنيا تجهز للرحلة العظمى فقد دنا نزول الشعلى اهل البلا وعلى الجانب الاخر يا عجبا الغفلة الاحياء وهم يرون مصارع الموتى يتنافسون في السرور ومصيرهم الى القبور (حكي) ان عبد الله بن عتبة باع غلة بثمانين الفا فقيل له لو اتخذت بهذا المال ذخيرة لولدك لكان حسنا قال أجعل هذا المال عند الله ذخرا واجعل الله ذخرا لولدي ثم قسم المال كله في اهل الحاجة (قال عبد الله بن مسعود) ايها الناس انكم في ممر الليل والنهار في آجال منقوضة واعمال محفوظة وانفاس معدودة والموت يأتي بغتة فمن يزرع خيرا يوشك ان يحصد رغبة ومن يزرع شرا يوشك ان يحصد ندامة ولكل زراع مثل ما زرع لايسبق بطيء لحظة ولا يدرك حريص مالم يقدر له فمن اعطى خيرا فالله اعطاه ومن وقى شرا فالله تعالى وقاه المتقون سادة والفقهاء قادة ومجالستهم زيادة ومؤانستهم سعادة انتهى (قال الشاعر)

على القوم ويقول

والله لا تقتل حتى أقتلا * وان أصيب اليوم الامقتلا
أضربهم بالسيف ضربا فيصلا * لاناكلاعنهم ولامهللا

ولم يزل يقاتل حتى قتل ثم حمل أصحاب عمرو بن سعد على أصحاب الحسين حملة رجل واحد فقتلوهم كلهم وكان أول من قتل من آل بني طالب علي بن الحسين الاكبر وبقي الحسين وحده وكان الناس قد توقوا قتله فكان بعضهم يحيل على بعض وصاح شمر لعنه الله بأصحابه أن اقتلوه ثكلتكم أمهاتكم فحمل عليه من كل جانب فضربه زرعة بن شريك بالسيف فقطع يساره وطعنه سنان بن أنس النخعي بالرمح فصرعه ونزل اليه فاحتز رأسه من قفاه وأخذها ووجد فيه رضي الله تعالى عنه ثلاث وثلاثون جرحا وثلاثون طعنة والسكل فيما أقبل من وجهه وقيل مائة وعشرون جراحة مابين طعنة برمح ورشقة بسهم ورمية بحجر وضربة بسيف وكانت عليه جبة خز دكناء فصارت كانها جلد قنفذ من السهام ثم سلبه اسحق بن جنوة قيصه فبرص وسلبه يحيى بن كعب سراويله فعمي ونادى عمرو بن سعد من ينتدب للحسين فيطؤه بفرسه فانتدب له اسحق بن جنوة وتسعة من أصحابه فوطئوا ظهره وصدره حتى رضوه رحمة الله تعالى عليه ولعن قاتله والمعين له وأتى سنان بن أنس برأس الحسين الى عبيد الله بن زياد فلما دخل عليه قال

أوقر ركابي فضة وذهبا * اناقتلت السيد المحجبا
أكرم خلق الله أما وأبا * وخيرهم اذ ينسبون النسبا

فظفر به المختار بن أبي عبيد فقتله وأحرقه ثم بعث بالرأس مع محفيد بن ثعلبة العائذي الى يزيد ابن معاوية فلما دخل عليه قال له جئتك برأس ألأم الناس ماولدت مخدرة الام وأوضع ثم جعل يضرب ثناياه بقضيب خيزران كان في يده وينشد

أبى قومنا أن ينصفونا فأنصفت * قواضب في أيماننا تقطر الدما
تفلق هاما من رجال أعزة * علينا وهم كانوا أعق وأظلما

أما والله لوددت اني أتيت بك مسلما ولو وليتك ماقتلتك ثم قدم اليه علي بن الحسين والحسن ابن الحسن فقال لعلي أنت أبوك قطع رحمي ونازعني سلطاني فجزاه الله جزاء القطيعة للرحم فقال علي ما أصاب من مصيبة في الارض ولا في أنفسكم الا في كتاب من قبل أن نبرأها فقال يزيد وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير ويروى انه لما قتل الحسين رضي الله عنه قدم على يزيد (١) المذحجي فقال له ما وراءك قال ابشر يا أمير المؤمنين بفتح الله ونصره ورد علينا الحسين بن علي في ثمانية عشر رجلا من أهل بيته وستين رجلا من شيعته فسرنا اليهم فسألناهم ان يستسلموا وينزلوا على حكم الامير عبيد الله أو القتال فاختاروا القتال على الاستسلام فعدونا عليهم مع شروق الشمس فاحتطنا بهم من كل ناحية حتى أخذت السيوف مأخذها من هؤلاء القوم وجعلوا يلجؤن الى غرور ويلوذون منا بالآكام والحفر لواذ الحمام من الصقر فوالله يا أمير المؤمنين ما كان الاقدر جزر جزور أونومة قائل حتى أتينا على آخرهم فهاتيك اجسادهم مجردة وثيابهم مرملة وخدودهم معفرة تصهرهم الشمس وتسفي عليهم الريح وفوقهم العقبان والرخم بقفر سبسب لامكفنين ولا موسدين فدمعت عينا يزيد وقال كنت أرضى منكم ومن طاعتكم بدون قتل الحسين لعن الله ابن سمية أما والله لواني بصاحبه لعفوت عنه فرحم الله الحسين فلم يصله بشيء

(١) بياض بالاصل

﴿انك في دار لها مهلة
يقبل فيها عمل العامل﴾
﴿أما ترى الموت محيطا بنا
يقطع فيها أمل الآمل﴾
﴿نعجل الامر بما نشتهي
ونأمل التوبة في قابل﴾
﴿والموت يأتي بعد ذا غفلة
ماذا يفعل الحازم العاقل﴾

(قال وهب بن منبه) مر نبي من الانبياء على عابد في كهف جبل فقال السلام يا عبد الله منذكم أنت ههنا قال منذ ثلاثمائة سنة قال فمن أين معيشتك قال من ورق الشجر قال فمن أين شرابك قال من ماء العيون قال وأين تكون في الشتاء قال تحت هذا الجبل قال فكيف صبرك على العبادة قال فكيف لا أصبر فانما هو يومي الى الليل فاذا أمسى فقد مضى وأما الغد فلم يأت فعجب النبي عليه السلام من حكم قوله انما هو يومي الى الليل (قال علي بن ابي طالب رضي الله عنه)

﴿صبر جميل اذا نابتك نائبة
وان عتبت فلا عتبي على الزمن﴾
﴿هي المقادير فاحذر وهافكم صرعت
من وافر العقل ذي لب وذي فطن﴾
﴿وارض القناعة لاتبغي بها بدلا
لولم تنولك الا راحة البدن﴾
﴿وانظر الى من حوى الدنيا بأجمعها
هل راح منها بغير الزاد والكفن﴾
﴿فانما الغبن في يوم النشور اذا
تغابن الناس فيه أيما غبن﴾

(قال ابراهيم بن أدهم) خرجت أريد بيت المقدس فلقيت سبعة نفر فسلمت عليهم وقلت أفيدوني شيأ فقالوا انظر كل قاطع يقطعك عن الله في الدنيا والآخرة فاقطعه فقلت زيدوني فقالوا لاترج أحدا غير الله ولا تخف غيره وانظر كل من يحبه

(ويقال) انه لما حمل رأس الحسين الى يزيد بن معاوية ووضع بين يديه خرجت كف بدم الحائط فكتبت في جبهته

أترجو أمة قتلت حسينا * شفاعة جده يوم الحساب

وقتل رضي الله عنه وله من العمر خمس وقيل ست وقيل سبع وخمسون سنة وقتل معه ثمانة عشر رجلا من أهل بيته وستون رجلا من شيعته (ولما) وصل خبر مقتله الى المدينة وكا والياعليها يومئذ عمرو بن سعيد بن العاص المعروف بالأشدق قام مناد يافنادى بقتله فصا نساء بني هاشم وخرجت ابنة عقيل بن أبي طالب حاسرة وهي تقول

ماذا تقولون ان قال النبي لكم * ماذا فعلتم وأنتم خيرة الامم

بعترتي و بأهلي بعد مفتقدى * منهم أسارى ومنهم مضرج بدم

ما كان هذا جزائي اذ نصحت لكم * أن تخلفوني بسوء في ذوي رحمي

وفي يوم قتله من العام القابل قتل عبيد الله بن أبي زياد فقتله المختار بن أبي عبيدة وقتل المختار مصعب بن الزبير وقتل مصعبا عبد الملك بن مروان فيالله العجب كيف وأني يهدر دماء بني البتول وسيف النصر على الباغي بيد الزمان مسلول

﴿يوم الحرة﴾

وسببه أن جماعة من أشراف المدينة منهم عبد الله بن حنظلة و بنوه ثمانية والمنذر بن الزبير قدموا من عند يزيد بن معاوية وكان قد أكرمهم وحملهم وكساهم فاظهروا شتمه وأكثروا سبه وعيبه للناس وقالوا قد منا من عند رجل شريب فسيق يلعب بالكلاب و يسامر القرود والقيان وانا نشهدكم أنا قد خلعناه وتبرأنا منه فكتب عثمان بن حيان والي المدينة من قبل يزيد اليه يعلمه بما أجمعوا عليه فكتب يزيد الى اهل المدينة أما بعد فان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم واذا أراد الله بقوم سوأ فلا مرد له وما لهم من دونه من وال واني والله لقد لبستكم فأبليتكم ورقعتكم حتى خرقتكم واني وضعتكم على رأسي ثم على صدري ثم على بطني وايم الله لئن وضعتكم تحت قدمي لاطأنكم وطأة أقل بها عددكم وأذل بها عددكم وأتركنكم أحاديث تنسخ أخباركم مع أخبار عاد وثمود فان شئتم فلا أفلح من ندم وكتب في آخر الكتاب متمثلا بقول الشاعر

لقد بدلوا الحلم الذي من سجيتي * فبدلت قومي غلظة بليان

فلما وصل اليهم الكتاب وقرئ عليهم أبوا الا خلعه وازدادوا عليه تغيظا وفيه كراهة ثم بايعوا عبد الله بن حنظلة ووثبوا على عثمان بن حيان وأخرجوه من المدينة وأخرجوا من كان فيها من بني أمية ومواليهم وكانوا نحوا من ألف فنزلوا دار مروان بن الحكم فخرجوا اليهم وحصروهم فيها فكتب مروان الى يزيد يعلمه بما جرى فوصل اليه الكتاب ليلا وعنده الضحاك بن قيس فقرأه عليه ثم قال له ما الرأي قال يا أمير المؤمنين قومك وعشيرتك وبلد رسول الله صلى الله عليه وسلم وحرمه وأرى ان تعفو عنهم وتتغمد ذنوبهم فقال اخرج عني ثم دعا مسلم بن عقبة المري قال فما لبث ان دخل رجل أعور ثائر الرأس كأنما يقلع رجله من وحل اذا مشى فرمى اليه بالكتاب فلما قرأه احمر وجهه وازبد شدقه فقال له يزيد ما الرأي قال أرى أن تبعث اليهم جيشا رجاله غليظة أكتافهم طويلة رماحهم فيطؤنهم حتى يكونوا نكالا لمن خلفهم فقال له يزيد كنت لها لولا أنك ضعيف فقال يا أمير المؤمنين ان كنت تريدني لمصارعتهم فاني ضعيف وان كنت تريدني للرأي فاني قوي فأمره يزيد بالتجهز فما أصبح الا وعلى باب يزيد عشرون ألفا وفيهم مسلم بن عقبة فاستدعاه يزيد وقال له سر فان حدث بك أمر

فأحبه وكل من يبغضه فأبغضه وعليك بالتضرع والبكاء في الخلوات والتواضع والخشوع له حيث كنت والرحمة للمؤمنين والنصيحة لهم قلت زيدوني رحمكم الله فقالوا اللهم حل بيننا وبين الذي شغلنا ما كفاه هذا كله قال فلا أدري السماء رفعتهم أم الارض ابتلعتهم فلم أرهم ونفعني الله بهم (وانشد) أحمد بن حنبل رضي الله عنه

﴿اذا ما خلوت الدهر يوما فلا تقل خلوت ولكن قل علي رقيب﴾

﴿ولا تحسبن الله يغفل ساعة ولا ان ما تخفي عليه يغيب﴾

﴿لهينا عن الاعمال حتى تتابعت ذنوب على آثارهن ذنوب﴾

﴿فياليت ان الله يغفر ما مضى ويأذن في توبا تنا فنتوب﴾

﴿فصل﴾

(و) من المنقول في تأليفنا تذكرة من اتقى حديث سويد بن حارث الحارثي قال دخلنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا سابع سبعة من قومي فقال ما أنتم قلنا مؤمنون يا رسول الله قال ما حقيقة ايمانكم قلنا خمس عشرة خصلة يا رسول الله خمسة أمرتنا رسلك أن نعمل بها وخمسة أمرتنا رسلك ان نؤمن بها وخمسة كنا عليها في الجاهلية الا أن تكون تكره منها شيأ يا رسول الله قال ما الخمسة التي امرتكم رسلي ان تعملوا بها قلنا شهادة أن لا اله الا الله وانك محمد رسول الله ونقيم الصلاة ونؤتي الزكاة ونصوم رمضان ونحج البيت مع الاستطاعة قال فما الخمسة التي أمرتكم رسلي ان تؤمنوا بها قلنا نؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت قال فما الخمسة

فاستخلف الحصين بن نمير وادع أهل المدينة ثلاثا فان أجابوك والا فقاتلهم فان أطاعوا أمرنا فانصرف عنهم الى ابن الزبير فان قاتلتهم وظفرت بهم فأبحها ثلاثا واستوص بعلى بن الحسين خيرا ثم ودّعه وانصرف بمن معه من الجيش فلما سمع أهل المدينة بقدوم الجيش غوّروا المياه التى بينهم وبين أهل الشأم فأرسل الله السماء فلم يستق أصحاب مسلم بدلو حتى قدموا المدينة وكان أهل المدينة قد أطلقوا بنى أميـة فخرجوا قاصدين الشأم فلقوا مسلما بالجيش فرحب بهـم وسألهم عن أهل المدينـة فأخبروه بحالهم وشاورهم أين يكون نزوله من نواحى المدينـة فأشار عليه عبد الملك بن مروان أن ينزل بالجيش من قبـل الحرة فانها مشرفة على المدينة وان أهلها ينظرون من تألق بيضكم وأسنة رماحكم وسيوفكم ما الا يراه أصحابك منهم فنزلها فلما رآهم أهل المدينة خرجوا فى جموع كثيرة وهيئة لم ير مثلها فلما رآهم أهل الشأم أكبروهم وكرهوا قتالهـم فكتب مسلم اليهم يحـذرهم سطواته وينذرهم فتكاته فأبوا قبول ما دعاهم اليه من الانقياد لطاعته فلما كان اليوم الرابع وهو يوم الجمعة لثلاث بقين من ذى القعدة سنة ثلاث وسـتين نادى منـاديه يا أهـل المدينة قد مضى الاجل فما تصنعون أتسالمون أم تحاربون فقالوا بل نحارب ثم خرجوا وطلبوا البراز فأمر مسـلم أن يعبى الجيش وضرب لهـم فسطاطا ووقع القتال وجعل مسلم يعد قومه ومنهم وعبد الله بن حنظلة الغسـيل يحرض قومه ويقدم أولاده واحدا بعد واحد حتى قتلوا ثم حمل عليـه فقتل وقتل يومئذ ثمـانية من أصحـاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال اهل الشأم لبنى أمية أهؤلاء جئتم بنا حتى نقتلهم ثم اشتد القتال وكثر القتـال حتى انهزم اهل المدينة فدخلوها وتحصنوا بها فيئس منهم مسلم فدله رجل من بنى حارثة على طريق سـالكة الى المدينة فسلكه بمن معـه حتى دخلها فلما رأى أهلها الجيش قد صار معهم تفرقوا فقتلوا فى كل جهـة وذلك لثلاث من ذى الحجة سـنة ثلاث وستين ثم انتهبوها ثلاثا وأقاموا بها حتى رأوا هلال المحرم ثم أخذ مسلم البيعة على أهل المدينة أنهم عبيد قيان ليزيد بن معاوية ان شاء أعتق وان شاء قتل ثم ركب مسـلم الفاسق لعنـه الله وخرج الى الحرة يطوف فى القتلى ومعه مروان بن الحكم فمر على عبـد الله بن حنظلة وهو ماد أصـبعه نحو السماء فقال والله لئن نصبتها ميتا لطالما نصبتها حيا داعيا الى الله ومر على ابراهيم بن نعيم فوجد فرجه مستورا بيده فقال والله لئن حفظته عنـد الوفاة لقديما حفظته فى حال الحيـاة ومر على محمد بن عمر بن حزم وهو واضع جبهتـه على الارض فقال أما والله لئن كنت على جبهتك بعـد الموت لطالما فرشتها الله ساجـدا فى طول الحياة فقال والله ما هؤلاء الا من أهل الجنة ثم ان مسلما حز رؤس القوم وأرسلها الى يزيد فيقال انه أنشد لما ألقيت بين يديه بيتا ابن الزبعرى

ليت أشياخى ببدر شهدوا * جزع الخزرج من وقع الاسل

(قال الواقدى) قتـل يوم الحرة سبعمائة من حملة القرآن وقيل قتل سبعمائة من قريش والانصار وقتل ممن لا يعرف عشرة آلاف ثم سار مسلم لعنه الله يريد مكة لقتال عبـد الله بن الزبير فلما كان بقديد مات فدفن بالمشال وقيل بثنية هرشى * وكان موته لسبع بقين من المحرم سنة اربع وستين وفى هـذه السنة مات يزيد فى الرابع عشر من ربيـع الاول وله من العمر ثمـان وثلاثون سنة * وكانت مدة خلافته ثلاث سنين وتسعة اشهر * ولمـا مات مسلم جاءت ام ولد يزيد بن عبد الله بن زمعة فنبشته واحرقته وقيل بل اخرجته وصلبته وفيما ذكرنا من هذه الحروب اقناع يعز به المخبر اذا سئم من المطاولة المستجبر

﴿ واحسن ما لحق بهذا الفصل وتلاه وصف عظم الجيش ومصارع قتلاه ﴾

التى كنتم عليها فى الجاهليـة قلنا الرضى بالقضاء والشكر عند الرخاء والصبر عند نزول البلاء والثبات عند اللقاء وترك الشماتة اذا نزلت المصائب بالاعـداء فقـال رسول الله صلى الله عليه وسـلم بالهـا من خمســة ما أجلها وما أجملها وما أحفلها احفظوا عنى خمسا تكمل لكم عشرون خصـلة لا تأملون ما لا تدركـون ولا تبنون ما لا تعمرون ولا تجمعون ما لا تأكلون ولا تشتغلون بما أنتم عنه راحلون واتقوا الله الذى أنتم به مؤمنون فحفظنـا ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فلمـا انصرفنا قال لاصحابه ترونهـم قالوا بـلى يا رسول الله قال حكماء علمـاء فهـمـاء كادوا من فقههـم أن يكونوا أنبياء (توفى) رجل على عهد النبى صلى الله عليه وسلم وكان مسرفا على نفسـه فلما حضرته الوفاة رفع رأسه فاذا أبواه يبكيان عليه فقال لهما ما يبكيكما قالا نبكى لاسرافك على نفسك قال فلا تبـكيا فوالله ما سرنى ان الذى بيد الله من أمرى بأيديكما ثم مات فأتى جبريل عليه السـلام النبى صلى الله عليه وسلم فأخبره ان فتى توفى اليوم فاشهده فانه من أهل الجنة فكشف رسول الله صلى الله عليـه وسـلم أبويه عن عمله فقـالا ما علمنا عنده شيأ من خير يا رسول الله الا انه قال عنـد الموت كذا وكذا قال من ههنا أتى حسن الظن بالله تعـالى من أفضـل الاعمـال عنده (وروى) ان النبى صلى الله عليه وسلم ضرب مثلا للدنيا ولابن آدم عنـد الموت كمثل رجـل له ثلاثة أخـلاء فلمـا حضره الموت قال لاحدهـم قد كنت لى خـلا مؤثرا مكرما وقد حضرنى من أمر

ابلغ ما وصف به عظم الجيش قول مالك بن الريب من ابيات

بجيش لهام يشغل الطير جمعه * عن الارض حتى ما يجدن منازلا

(السلامى)

والجو ستر بالنسور مطير * والارض فرش بالخيول مخيل

يهفو العقاب على العقاب فيلتقى * بين الفوارس أحدل وبجدل

ولا مزيد فى الحسن على ما قاله ابو تمام حبيب بن اوس الطائى من ابيات يمدح بها المعتصم (١) جاء منها قوله

لما رأيت الدين يخفق قلبه * والكفر فيه تغطرس وعرام (٢)

اوريت زند عزائم تحت الدجى * اسرجن فكرك والبلاد ظلام

فنهضت تسحب ذيل جيش ساقه * حسن اليقين وقاده الاقدام

ملأ الملا عصبا فكاد بأن يرى * لاخلف فيه ولا له قدام

بسواهم لحق الاياطل شزب * تعليقها الاسراج والالجام

ومقابلين اذا انتموا لم يخزهم * فى نصرك الاخوال والاعمام

تخذوا الحديد من الحديد معاقلا * سكانها الارواح والاجسام (٣)

مسترسلين الى الحتوف كانما * بين الحتوف وبينهم ارحام

آسادموت مخدرات مالها * الا الصوارم والقنا آجام

حتى نقضت الروم عنك بوقعة * شنعاء ليس لنقضها ابرام

فى معرك اما الحمام فمفطر * فى هبوتيه والكماة صيام

والضرب يقعد قرن كل كتيبة * شرس الضريبة والحتوف قيام

فقصمت عروة جمعهم فيه وقد * جعلت تفصم عن عراها الهام

(ابن عبد ربه صاحب العقد)

وجيش كظهر اليم ينفحه الصبا * يعب عبابا من قنا وقنابل

فينزل اولاه وليس بنازل * ويرحل اخراه وليس براحل

ومعترك ضنك تعاطت كماته * كؤس دماء من كلى ومفاصل

يديروا بها راحا من الروح بينهم * ببيض رقاق اوبسمر ذوابل

وتسمعهم ام المنية وسطها * غناء صليل البيض تحت المناصل

(ابو الفرج الببغاء)

فاذا الجياد الى الجياد عوابسا * شعثا ولولا بأسه لم تنفد

فى جحفل كالسيل اوكالليل او * كالقطر طافح قطر بحر مزبد

متوقد الجنبات تعتنق القنا * فيه اعتناق تواصل وتودد

متجهم بضيا الصوارم مبرق * تحت العجاج وبالصواهل مرعد

---

(١) فى الديوان لمأمون اهـ

(٢) قوله تغطرس فى الديوان تغطرف ومعناهما الكبر واسقط بعد قوله فنهضت الخ (متجرلزج يرى سلافه) (ولهم بمنخرق الفضاء زحام)

(٣) اسقط بعد قوله ومقابلين الخ (سفع الذوب وجوههم فكأنهم * وابوهم سام ابوهم حام اهـ

الله ما ترى فماذا عندك فيقول هذا أمر الله غلبنى عليك لا استطيع ان أنفس كربتك ولكن ها أنا ذا بين يديك فخذ منى زادا ينفعك ثم تقول للثانى قد كنت عندى آثر الثلاثة وقد نزل بى من أمر الله ما ترى فماذا عندك قال هذا أمر الله غلبنى عليك ولا أستطيع ان انفس كربتك ولكن سأقوم عليك فى مرضك فاذا مت اتقنت غسلك وجودت كسوتك وسترت جسمك وعورتك وقال للثالث قد نزل بى من أمر الله ما ترى وكنت اهون الثلاثة على فماذا عندك قال انى قرينك وحليفك فى الدنيا والآخرة فأدخل معك قبرك حين تدخله وأخرج منه حين تخرج ولا أفارقك أبدا فقال النبى صلى الله عليه وسلم الاول ماله والثانى أهله والثالث عمله (وعن على بن ابى طالب رضى الله عنه) قال حدثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ربه عز وجل انه قال مامن قوم يكونون فى حبرة الا استتبعها عبرة وكل نعيم زائل الا نعيم اهل الجنة وكل هم منقطع الا هم أهل النار فاذا عملت سيئة فأتبعها حسنة تمحها سريعا وأكثر صنائع المعروف فان صنائع المعروف تقى مصارع السوء ومامن عمل بعد اداء الفرائض أحب الى الله عز وجل من ادخال السرور على المؤمن (وقال على رضى الله عنه) كنت اذا سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثا نفعنى الله عز وجل بما شاء ان ينفعنى وحدثنى ابو بكر وصدق ابو بكر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مامن عبد مسلم يذنب ذنبا ثم يقوم فيتوضأ ثم يصلى

رد الظلام على الضحى واسترجع الا صباح من ليل الغبار الازبد
وكأنما نقشت حوافر خيله * للناظرين اهلة فى الجلمد
وكان طرف الشمس مطروف وقد * جعل الغبار لها مكان الاثمد
(وله) فى خميس كأنما السمر والابطال فيه غيل له جنة أسود
سلب الشمس ضوأها بشموس * طالعات افلاكهن جديد
عارض كلما تجلت بروق السبيض حثت على الصهيل رعود
(وله) جيش يفوت الطرف حتى لايرى * ماغاب من اطرافه محدودا
ويجيش حتى لايظن عديده * أحد لكثرة جمعه معدودا
فكأنما جعل الاله روابى الأعلام اعلاما له وبنودا
يقضى على الاعداء خيفة بأسه * قبل اللقاء تهددا ووعيدا
وترى وتسمع لمعه وخفوقه * فتخال فيه بوارقا ورعودا
(آخر) خميس اذا أخفى سنا الشمس نقعه * أضاء وابداه الحديد المسرد
تواجهه هوج الرياح فينثنى * وتحمله الارض الوقور فيرعد
(أبو الطيب المتنبى)
خميس بشرق الارض والغرب زحفه * وفى أذن الجوزاء منه زمازم
تجمع فيه كل لسن وأمة * فما يفهم الحداث الا التراجم
(وله) وذو لجب لاذو الجناح أمامه * بناج ولا الوحش المثار بسالم
(١) تمر عليه الريح وهى ضعيفة * تطالعه من بين ريش القشاعم
ويخفى عليك البرق والرعد فوقه * من اللمع فى هاماته والجماجم
(ابن المعتز)
وعم السماء النقع حتى كأنه * دخان واطراف الرماح شرار
* ابن الساعاتى *
والنقع ليل والاسنة أنجم * والسمر غاب والكماة أسود

(وصف النزال والقتلى)

وصف أعرابى وقعة فقال اصطفوا كجناح الطائر وشدوا واشتد الاسد الحادر فما ثنوا أعنتهم ولا صرفوا أسنتهم حتى انصرف اعداؤهم (أبو نصر الميكالى) دارت رحى الحرب بين اعمار تباح ودماء تستباح وأجسام تطاح وأرواح تسفى بها الرياح فالسيوف للهامات دامغة والرماح فى الا كباد والغة (بعض البلغاء) طلبنا فلانا فى الوغى فوجدناه وجسده بالصفاح منمق محبر وبالرماح معجم ومحرر
(ابن عبد ربه من أبيات)
فكم على النهر أوصال مفرقة * نقسمتها المنايا فهى أشطار
قد فلقت بصفيح الهند هامتهم * فهن بين حوامى الخيل أعشار
وكم بساحتهم من شلو مطرح * كأنه فوق ظهر الارض اجار
كأنما رأسه أفلاق حنظلة * وساعداه على الزندين جمار

(١) قوله الريح فى الديوان الشمس واسقط بعده
اذا ضوؤها لاقى من الطير فرجة * تدور فوق البيض مثل الدراهم

ركعتين ويستغفر الله من ذلك الذنب الاغفر الله له ثم قرأ ومن يعمل سوءا أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما (قال عبد الله ابن عباس رضى الله عنه) ما انتفعت بكلام أحد بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ما انتفعت بكلام بعثه الى على بن أبى طالب رضى الله عنه كتب الى (اما بعد) فان المرء يسره ادراك مالم يكن ليفوته ويسوءه فوات مالم يكن ليدركه فلا يكن سرورك بما نلت من امر آخرتك وليكن أسفك على مافات منها وما نلت من امر دنياك فلا تكن به فرحا وما فاتك منها فلا تأس عليه جزعا وليكن همك ما بعد الموت (وعن محمد بن على بن الحسين رضى الله عنه) قال ما اغرورقت عين بمائها الاحرم الله وجه صاحبها على النار فان سالت على الخدين لم يرهق وجهه قتر ولا ذلة وما من شئ الاله جزاء الا الدمعة فان الله يكفر بها بحور الخطايا ولو ان باكيا بكى فى أمة لحرم الله تلك الامة على النار (قال على رضى الله عنه) خذوا عنى هؤلاء الكلمات فلو رحلتم فيهن المطى حتى تنضوها لم تبلغوه لا يرجو العبد الا ربه ولا يخشى الا ذنبه ولا يستحى اذا كان لا يعلم ان يتعلم ولا يستحى اذا سئل عما لا يعلم ان يقول لا أعلم واعلموا ان الصبر من الايمان بمنزلة الرأس من الجسد ولا خير لجسد لا رأس له (قال بعض الحكماء) مسكين ابن آدم لو خاف من النار كما يخاف من الفقر لنجا منهما جميعا ولو رغب فى الجنة كما رغب فى الغنى لفاز بهما جميعا ولو خاف الله فى الباطن كما يخاف خلقه فى الظاهر لسعد فى الدارين جميعا

﴿أبو بكر الخوارزمي﴾

كتبنا في وجوههم سطورا * غرائب حبرهن دم همول
فترجمها الاعادي للاعادي * ويقرؤها على الحي القتيل
فمالك غير جمجمة كتاب * ومالك غير صاحبها رسول

﴿ابن الرومي﴾

كتبت لنا أيدي النزال صحائفا * مجماً من الاعراب والافصاح
أطراسها جثث الكماة وحبرها * مما أسلناه دم الارواح
فالشكل فوق سطورها بصوارم * والنقط تحت حروفها برماح

﴿ابن نباتة﴾

خلقنا باطراف القنا لظهورهم * عيونا لها وقع السيوف حواجب
(قطع الرؤس أحسن ما نظم فيها قول الشريف البياضي من أبيات)
خطبنا بالقنا مهج الاعادي * فزفت والرؤس لها نثار

﴿وقول جرير وان كان قبله﴾

كأن رؤس القوم فوق رماحنا * غداة الوغى تيجان كسرى وقيصرا

﴿وقول الآخر﴾

وكأنما سمر الرماح معاطف * والهام فوق صدورهن نهود

﴿الفصل الثالث من الباب الحادي عشر﴾
(في ذم التصدي للهلكة ممن لا يستطيع بها ملكة)

قال الله تعالى ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة وقال تعالى خذوا حذركم (وقد روى) أن عمر رضي الله عنه حين كره طواعين الشأم أراد الرجوع الى المدينة فقال له أبو عبيدة بن الجراح يا أمير المؤمنين أتفر من قدر الله قال نعم الى قدر الله فقال له أيمنع الحذر القدر قال لست مما هنالك في شئ ان الله لا يأمر بما لا ينفع ولا ينهى عما لا يضر وانه يقول ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة وقال خذوا حذركم (وقالوا) الشجاعة تغرير والتغرير مفتاح الهلكة (وقال) يزيد بن المهلب الاقدام على الهلكة تغرير والاحجام عن الفرصة جبن وأنشد لطاهر بن الحسين

ركوبك الامر ما لم تبد فرصته * جهل ورأيك في الاقحام تغرير
فاعمل صوابا وخذ بالحزم مأثرة * فلن يذم لاهل الحزم تدبير

(ويقال) أهوت الى يزيد المهلب حية فلم يتوقها فقال له أبوه ضيعت الحزم من حيث حفظت الشجاعة (الشريف الرضي)

العزم في غير وقت العزم مجزة * والازدياد بغير العقل نقصان

(ويقال) من قاتل بغير نجدة وخاصم بغير حجة وصارع بغير قوة فقد أعظم الخطر وأكبر الغرر *وقال بعض الحكماء من أعرض عن الحذر والاحتراس وبنى أمره على غير أساس زال عنه العز واستولى عليه العجز فصار من يومه في نحس ومن غده في لبس (وفي كتاب الهند) الحازم يحذر عدوه على كل حال يحذر مواثبته ان قرب وغارته ان بعد وكمينه ان تبع ومكره ان انفرد واستطراده اذا ولى (وقال أبو بكر الصديق) يحذر خالد بن الوليد رضي الله عنهما اذا دخلت أرض العدو فكن بعيدا من الحملة فاني لا آمن عليك الجولة واستظهر بالزاد

(قيل) [للشافعي] رضي الله عنه كيف اصبحت قال أصبحت تطلبني ثمانية الله تعالى بالفرض ورسوله عليه السلام بالسنة والدهر بصروفه والعيال بقوتهم والحفظة بما ينطق لساني والشيطان بالمعاصي والنفس بالشهوات وملك الموت بقبض روحي (ومن رقائق أبي عبد الله المغربي رحمه الله) تطهر من ادناس هواك وتزين بلباس تقواك وقم عبدا نقطاعك على قدم شكواك وأحرم بتوحيد قلبك الى قبلة نجواك تجد الحق عندك وليس سواك (قال الربيع بن خثيم) أقلوا الكلام الا بتسع تكبير وتهليل وتحميد وسؤالك الخير وتعوذك من الشر وأمرك بالمعروف ونهيك عن المنكر وقراءة القرآن وان لا يسرك الله حيث نهاك ولا يفقدك من حيث أمرك (أراد) قوم سفرا فحادوا عن الطريق وانتهوا الى راهب في صومعة فنادوه فاشرف عليهم فسألوه عن الطريق فقال ههنا وأشار الى السماء فعلموا الذي أراد فقالوا انا سائلوك فقال سلوا ولا تكثروا فان النهار لا يرجع والعمر لا يعود والطالب حثيث في طلبه قالوا على م الناس يوم القيامة قال على نياتهم قالوا فالى م الموئل قال الى ما قدمتم قالوا أوصنا قال تزودوا على قدر سفركم فخير الزاد ما بلغ المحل ثم أرشدهم الى الجادة وانقمع (وقال بعضهم) أتيت الشام فمررت بدير حرملة فاذا فيه راهب كأن عينيه مزادتان فقلت له ما يبكيك قال يا مسلم أبكي على ما فرطت فيه من عمري وعلى يوم مضى من أجلي لم يحسن فيه عملي

وسر بالادلال ولا تقاتل مجر وحافان بعضه ليس منه واحترس من الثبات فان في القرب غمرة واقلل الكلام فان ما لك الا ما وعى عنك واقبل من الناس علانيتهم وكلهم الى الله في سريرتهم وأستودعك الله الذي لا تضيع ودائعه وقال الشاعر

ومن يأمن الاعداء لا بد أنه * سيلقى بهم في موقف الموت مصرعا

(وقالوا) الاقدام على الهلكة تضييع كما أن الاحجام عن الفرصة عجز (وقيل) لعنترة العبسي أأنت أشجع العرب وأشدها قال لا قيل فبم شاع هذا في الناس قال كنت أقدم اذا كان الاقدام عزما وأحجم اذا كان الاحجام حزما ولا أدخل موضعا الا أرى لي فيه مخرجا (وسئل) بعض الشجعان هل شئ أضر من التواني قال الاجتهاد في غير وقته * وقال جعفر بن ميسرة من مكن أسباب الهلكة من نفسه طائعا لم يكد يتخلص منها وان كان جاهدا (وقال) بعض الحكماء لصديق له اعلم ان الفطنة اظهار الغفلة مع شدة الحذر فبات مباتة الآمن وتحفظ منه تحفظ الخائف ولا تظهر له المخافة فيرى ان قد حذرت فيهون عليه ما يستهوله منك (ويقال) اذا أخذ المرء بالحذر والاحتراس في موضع الشدة وعمل على الجراءة والاقدام عند انتهاز الفرصة فقد أخذ بالحزم في شدته وعمل بالحزم عند فرصته (وقال) بعض الفلاسفة كن حذرا كأنك غر فطنا كأنك غافل وذا كرا كأنك ناس * وقال بعضهم

من أخذ الحذر من المحذور * قل تجنيه على الدهور
فالحزم الحازم في الامور * فان كبا فالعذر للمعذور

(آخر) على كل حال فاجعل الحزم عدة * تقدمها عند النوائب في الدهر
فان نلت حظا نلته بعزيمة * وان قصرت عنك الحظوظ فعن عذر

﴿ومما يكون عمدة عند لقاء الابطال التفكر في أعمال الاحتيال وان طال﴾

قالت الحكماء الحازم يحتال للامر الذي يخافه لعله أن لا يقع فيه فليس من القوة التورط في الهوة ومن لم يتأمل العواقب بعين عقله لم يقع سيف حيلته الا على مقاتله * وأنشد لتأبط شرا

اذا المرء لم يحتل وقد جد جده * أضاع وقاسى الصعب وهو مقصر
ولكن أخو الحزم الذي ليس نازلا * به الامر الا وهو للقصد مبصر

(ويقال) اذا اتسع لك المنهج فاحذر أن يضيق عليك المخرج * وقال الشاعر

واذا هممت بورود أمر فالتمس * من قبل مورده طريق المخرج

(آخر) اياك والامر الذي ان توسعت * موارده ضاقت عليك المصادر
فما حسن أن يعذر المرء نفسه * وليس له من سائر الناس عاذر

(ويقال) تفكر قبل أن تعزم وتدبر قبل أن تهجم فانه من لم ينظر في العواقب فقد تعرض لحادثات النوائب * ووجد على حجر بعدن أبين مكتوب أيها المحارب احذر تغنم وتفكر في العواقب تسلم (ويقال) الناس حازمان وعاجز فاحزم الحازمين من عرف الامر قبل وقوعه فاحترس منه والحازم بعده من اذا نزل الامر تلقاه بالرأي والحيلة حتى يخرج منه والعاجز من تردد بين وبين لا يأتمر رشدا ولا يطيع مرشدا حتى تفوته النجاة (ويقال) ترك التقدم أحسن من التندم * وأوصى عبد الملك بن صالح أميرا قدمه على سرية أرسلها الى قتال عدوله فقال كن كالتاجر الكيس ان وجد ربحا تجر والا حفظ رأس ماله ولا تطلب الغنيمة حتى تحمد السلامة وكن في احتيالك على عدوك أشد حذرا من احتيال عدوك عليك (وقالوا) ما تنفق فيه الاموال والحيل خير مما تنفق فيه الارواح والنفوس * وأوصت أم الذبال العبسية ولدها الفتاك وكان من أشد العرب فقالت يا بني لا تنشب في حرب وان

قال ثم مررت بعد ذلك فسألت عنه فقيل لي أسلم وغزا مع المسلمين فقتل في بلاد الروم (وقالت) فيروز لزوجها مسروق بن الاجدع لما رأته لا يفطر من صيام ولا يفتر من صلاة ويحك يا مسروق لقد ضررت ببدنك قال كرامته أريد قالت له أما يعبد الله غيرك أما خلقت النار الا لك قال لها ويحك يا فيروز ان طالب الجنة لا يسأم وهارب النار لا ينام (وروى) ان رجلا أتى ابراهيم بن أدهم رضي الله عنه فقال يا أبا اسحق اني مسرف على نفسي فأعرض علي ما يكون لها زاجرا ومستنقذا قال ان قبلت خمس خصال وقدرت عليها لم تضرك المعصية ولم توبقك لذة قال هات يا أبا اسحق قال أما الاولى فاذا أردت ان تعصي الله عز وجل فلا تأكل رزقه قال فمن أين آكل وكل ما في الارض رزقه قال يا هذا أفيحسن بك ان تأكل رزقه وتعصيه قال لا هات الثانية قال واذا أردت ان تعصيه فلا تسكن شيأ من بلاده قال الرجل هذه أعظم من الاولى يا هذا اذا كان المشرق والمغرب وما بينهما له فأين أسكن قال يا هذا أفيحسن بك أن تأكل رزقه وتسكن بلاده وتعصيه قال لا هات الثالثة قال واذا أردت أن تعصيه وأنت تحت رزقه وفي بلاده فانظر موضعا لا يراك فيه فاعصه فيه قال يا ابراهيم ما هذا وهو يطلع على ما في السرائر قال يا هذا أفيحسن بك أن تأكل رزقه وتسكن بلاده وتعصيه وهو يراك ويعلم ما تجاهره به قال لا هات الرابعة قال اذا جاءك ملك الموت لقبض روحك فقل له أخرني حتى أتوب توبة نصوحا وأعمل لله صالحا

ونفت بشدتك حتى تعرف وجه المهرب فان النفس أقوى ما تكون اذا وجدت سبيل النجاة مدبرة لها واختلس فى تحاربه خلسة الذئب وطر منه طيران الغراب فان الحلم زمام الشجاعة والتهور عدوّ الشدة (وقال) أبو السرايا وكان أحد الفتاك يابنى كن بحيلتك أوثق منك بشدتك وبحذرك أوثق منك بشجاعتك فان الحرب ورطة المتهور وغنيمة المتفكر (ويقال) لا تصلح الحزامة الالمن كان له سبع خصال من طبائع البهائم قلب الاسد وغارة الذئب وصبر النسر وحذر الغراب وحراسة الكركى وهداية الحمام وحماية الزنبور

﴿ومما يجب مع التفكر على المحارب مشاورة النصحاء من أولى التجارب﴾

قد كنا قدمنا فى صدر الكتاب ما يجب على العاقل من مشورة نصحائه فى سائر انحائه وأنا ذاكر فى هذا الباب ما يجب على الحازم من مشورة أوداّئه فى كيفية لقاء أعدائه فانهم قالوا ينبغى لكل ذى لب أن لا يبرم أمرا ولا يمضى عزما الا بمشورة ذى الرأى الناصح ومطالعة ذى العقل الراجح (وقالوا) الحازم اذا اشتبهت عليه مصادر الامور رجع من أهل التجارب وجوه الرأى حتى يخلص له منها الصواب كالعاقل اذ اضلت له لؤلؤة فانه اذا جمع ما حول مسقطها والتمسها رشد أن يجدها (وقالوا) من حق العاقل أن يضيف الى رأيه آراء العلماء ويجمع الى عقله عقول الحكماء (وقال) بشار بن برد المشاور بين احدى الحسنيين اما صواب فيفوز بثمرته أو خطأ يشارك فى مكروهه (وقالوا) الرأى السديد خير من الاسد الشديد * وكان يقال المشورة سلم النجاح وطليعة الفلاح (وقالوا) الرأى فى الحرب أنفع من الطعن والضرب * وقال بعض الاعراب ما عثرت قط حتى عثر قومى قيل له وكيف قال لا أفعل شيأ حتى أشاورهم (وقالوا) حقيق أن يوكل الى نفسه من أعجب برأيه (ولقد) أحسن أبو الطيب أحمد بن الحسين المتنبى فى التحريض على مشاورة الاخوان عند مساواة الاقران بقوله

الرأى قبل شجاعة الشجعان * هو أول وهى المحل الثانى
فاذا هما اجتمعا لنفس حرة * بلغت من العلياء كل مكان
فلربما طعن الفتى أقرانه * بالرأى قبل تطاعن الاقران

(ولبعضهم) الرأى كالسيف بنبو ان ضربت به * فى غمده واذا جردته قطعا
(آخر) أشاور أهل الرأى فيما ينوبنى * وان كان لى رأى أحدّ صليب
ولا أدّعى بالغيب علما لسائل * ولا أحسد المسؤل حين يجيب
(آخر) اذا بدا لك وجه الرأى فارم به * نحو احترام تحاماه المقادير
ولا تقل غير أخشى عواقبه * يوما فكل نجاة القوم تغرير

(وذكر الحصرى) فى كتابه زهر الآداب وثمر الالباب أن قوما من العرب أتوا شيخا لهم قد أربى على الثمانين وأهدف التسعين فقالوا ان عدونا استاق سرحنا فأشر علينا بما ندرك به الثار وننفى به العار فقال ان ضعف قوتى فسخ همتى ونقض ابرام عزيمتى ولكن شاوروا الشجعان من ذوى العزم والجبناء من أولى الحزم فان الجبان لا يألو برأيه ما وقى مهجكم والشجاع لا يألو ما شيد ذكركم ثم خلصوا من الرأيين نتيجة تبعد عنكم معرة الجبان وتهور الشجعان فاذا نجم الرأى على هذا كان أنفذ على عدوكم من السهم الصائب والحسام القاضب فلله هذه الكلمات لو يجدها الجبان جنة لوقته أوهاديا أرته مواطن العواقب ووفقته

(وملاك

قال لا يقبل منى قال يا هذا فأنت اذا لم تقدر ان تدفع عنك الموت لتتوب وتعلم انه اذا جاءك لم يكن له تأخير فكيف ترجو وجه الخلاص قال هات الخامسة قال اذا جاءك الزبانية يوم القيامة ليأخذوك الى النار فلا تذهب معهم قال اذن لا يدعونى ولا يقبلون منى قال فكيف ترجو النجاة اذن قال له يا ابراهيم حسبى حسبى أنا أستغفر الله وأتوب اليه ولزم العبادة حتى فارق الدنيا رحمة الله عليه (وروى) انه بنى جار لمالك بن دينار دارا فكان يتولى عطاء العمال بنفسه قال فترضأ مالك بن دينار للغرب والتف بعباءته ودخل مع العمال قال وكان الرجل يضع الكيس بالدراهم بين يديه فيعطى منه قال فجاء مالك فاخرج يده من تحت العباءة ومدها اليه قال فنظر اليه الرجل فقال أى شئ عملت لنا قال مالك ما عملت لكم شيأ قال والله ما أعرف وجهك فى عمالنا قال وما تعطى درهما الالمن عرفت وجهه فى عمالك قال نعم قال مالك فيعرف وجهك أنت فى عمال الله قال هاه فترك الكيس وترك البناء وتعبد حتى مات (دخل) شبيب بن شيبة على المهدى فقال يا أمير المؤمنين ان الله عز وجل اذ قسم منازل الدنيا جعل لك أسناها وأعلاها فلا ترض لنفسك من الآخرة الا بمثل ما رضى لك به من الدنيا فعليك بتقوى الله عز وجل فعليكم نزلت ومنكم أخذت واليكم ترد (عن بعض الصالحين) انه قال وقف رجل على طبيب وحوله خلق كثير بأيديهم قوارير

﴿ وملاك التحيل فى بلوغ الأمانى * رفض العجلة واستعمال التوانى ﴾

قال الله تعالى ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى اليك وحيه وقل رب زدنى علما (وقال) رسول الله صلى الله عليه وسلم من أعطى حظه من الرفق أعطى حظه من الدنيا والآخرة ومن حرم حظه من الرفق فقد حرم حظه من الدنيا والآخرة (وقال) عليه الصلاة والسلام لعائشة رضى الله عنها عليك بالرفق فان الرفق لا يخالط شيأ الا زانه ولا يفارق شيأ الا شانه (وقال) عمر رضى الله عنه التؤدة فى كل شئ الا ما كان من عمل الآخرة (وقال الشاعر)

الرفق يمن والأناة سعادة * ليس النجاح لمن يطيش ويخرق

آخر وفى الأناة اذا ما جد صاحبها * حزم ويعقبها التفريط والخرق

(وفى التورية) الرفق رأس الحكمة (وقالوا) فعل اللبيب ثمرته السلامة (وجد) على سيف مكتوب التأنى فيما لا يخاف فيه الفوت أفضل من العجلة الى ادراك الامل (وقال) بعض الحكماء تأن تحزم واذا استوضحت فاعزم (وقالوا) بد الرفق تجنى ثمر السلامة ويد العجلة تغرس شجر الندامة (أبو الفتح البستى)

تأن فى الشئ اذا رمته * لتعرف الرشد من الغى

لا تتبعن كل دخان ترى * فالنار قد توقد للكى

وقس على الشئ بأشكاله * يدلك الشئ على الشئ

(وقال) بشر بن مروان لاهله اذا التبست عليك الخطوب وغاب عنك المورود وأشكل عليك المصدر فيه فالاناة الاناة وليكن أمرك حزما واذا استبان لك فعزما (وقال محمد ابن هانئ الاندلسى)

وكل أناة فى المواطن سودد * ولا كأناة من قدير محكم

وما الرأى الا بعد طول تثبت * ولا الحزم الا بعد طول تلوم

(القطامى) قد يدرك المتأنى نجح حاجته * وقد يكون مع المستعجل الزلل

آخر ور بما فات قوما جل أمرهم * من التأنى وكان الحزم لو عجلوا

(وقالوا) الاناة حصن السلامة والعجلة مفتاح الندامة (وقالوا) اذا لم يدرك الظفر بالاناة فبماذا يدرك (وقال) المهلب بن أبى صفرة واسم أبى صفرة ظالم بن سراق أناة فى عواقبها درك خير من عجلة فى عواقبها فوت (ومن أمثالهم) اشدد تصب أو تكد * وقولهم من تأنى أدرك ما تمنى * وقولهم الرفق مفتاح النجاح (وقال) بعض الحكماء اياك والعجلة فانها تكنى أم الندامة لان صاحبها يقول قبل أن يعلم ويجيب قبل أن يفهم ويعزم قبل أن يفكر ويقطع قبل أن يقدر ويحمد قبل أن يجرب ويذم قبل أن يخبر ولن تصحب هذه الصفة أحدا الا صحب الندامة وجانب السلامة

﴿ وهذه نبذة يسيرة فى الصبر ﴾

فمما ينسب لعلى رضى الله عنه

انى رأيت وفى الايام تجربة * للصبر عاقبة محمودة الاثر

وقل من جد فى أمر يحاوله * واستصحب الصبر الا فاز بالظفر

آخر ما أحسن الصبر فى مواطنه * والصبر فى كل موطن حسن

حسبك من حسنه عواقبه * عواقب الصبر ما لها ثمن

آخر الصبر مفتاح ما يرجى * وكل صعب به يكون

فاصبر وان طالت الليالى * فربما أمكن الحزون

وربما نيل باصطبار * ما قيل هيهات لا يكون

والطبيب يقابل كل علة بدوائها يعطى لهذا القابض ولهذا المسهل ولهذا الحار ولهذا الرطب قال فوقف الرجل وقال أيها الطبيب أعندك دواء لداء الذنوب يرحمك الله قال فأطرق الطبيب رأسه الى الارض ثم رفعه وقال اسمع دواء ان عملت به رجوت لك الشفاء ان شاء الله خذ عروق الفقر وزنجبيل الصبر واخلطهما بسفوف الذكر وامزجهما برقائق الفكر واجعل معه اهليلج التواضع والخشوع ودقه فى مهراس التوبة والخضوع ولته بماء الدموع واجعله فى طنجير التذلل وأوقد تحته نار التوكل وحركه بملعقة الاستغفار حتى يزبد بزبد التوفيق والوقار ثم ضعه فى آنية المحبة وبرده بمروحة المودة وصفه بمصفى الاحزان وصب عليه عصير الاجفان واجعل معه حقيقة الايمان وامزجه بخوف الرحمن وتغذ قبل شربه بعمر الصيام ودم على هذا ما عشت من الايام واياك أيها العليل ان تقرب فى أيام دوائك شيأ من الآثام فانها تجدد عليك ما رجوت برءه من الاسقام وتجنب فى دوائك العجب والرياء والبس لباس الحياء وشد على وسطك منطقة الصدق والوفاء واياك ان تدخل بيتك الامن باب التوبة والصفاء فاذا دمت على هذا الدواء صفا قلبك بين القلوب وزالت عنك أوجاع ألم الذنوب (قال بعض العلماء) اعلم ان ما على الانسان شئ أثقل ولا أصعب من معالجة اطراح حب الدنيا عن قلبه وأنى له بذلك ونحن قد خلقنا من تربها وجبلنا على حبها ودواعى حب الدنيا أكثر من أن تحصى

(ويقال) الصبر مفتاح النصر (ويقال) النصر فى مطاوى الصبر (ويقال) من تصبر تبصر (وقال الصابى) حظ الطالبين من الدرك بحسب ما استصحبوه من الصبر (وأنشدت لبعض الشعراء)

اذا كنت فى أمر ولم ترحيلة * فصبرك ان النجح يدرك بالصبر
كذاك عيون الماء تكدر مرة * وتصفو مرارا هكذا عادة الدهر

(ابن منقذ)

لاتستكن للهم وائن حمامه * بعزيمة فى الخطب لاتتضعضع
فاذا أتى ما ليس يدنع فالقه * بالصبر فهو دواء ما لا يدفع

(ومن أحسن ما قيل فيه)

أما والذى لاخلد الا لوجهه * ومن ليس فى العز المنيع له كفو
لئن كان بدء الصبر مرا مذاقه * لقد يجتنى من غبه الثمر الحلو

(آخر) اصبر على مضض الادلاج فى السحر * وفى الرواح الى الحاجات والبكر
لا تضجرن ولا يعجزك مطلبها * فالنجح يتلف بين الصبر والضجر

﴿الباب الثانى عشر فى الجبن وفيه ثلاثة فصول﴾
﴿الفصل الاول من هذا الباب﴾
﴿فى أن خلق الجبن والفرار مما يشين بنى الاحرار﴾

الجبن غريزة كالشجاعة يضعها الله فيمن شاء من خلقه (قال المتنبى)

يرى الجبناء أن الجبن حزم * وتلك خديعة الطبع اللئيم

وحده بعض المتكلمين فى حدود الاشياء فقال هو الضن بالحياة والحرص على النجاة * وقالت الحكماء فى الفراسة من كانت فزعته فى رأسه فذاك الذى يفر من أبويه (وقالوا) الجبان يعين على نفسه يفر من أمه وأبيه وصاحبته وأخيه وفصيلته التى تؤويه (وقال الشاعر)

يفر الجبان من أبيه وأمه * ويحمى شجاع القوم من لا يناسبه

﴿فمما اخترت من كلام ذوى الاقدام فيما عيب به الفرار والاحجام﴾

قالت عائشة رضى الله عنها ان لله خلقا قلوبهم كقلوب الطير كلما خفقت الريح خفقت معها فأف للجبناء (وقال) خالد بن الوليد عند موته لقيت كذا وكذا زحفا وما فى جسدى موضع الا وفيه ضربة بسيف أوطعنة برمح أو رمية بسهم وها أناذا أموت حتف أنفى كما يموت البعير فلا نامت أعين الجبناء (شاعر)

ان موت الفراش عار وذل * وهو تحت السيوف فضل شريف

(السموأل)

وما مات منا سيد حتف أنفه * ولا طل منا حيث كان قتيل
تسيل على حد الظباء نفوسنا * وليست على غير الظباء تسيل

(آخر يفتخر)

محرمة أكفال خيلى على القنا * ومكلومة أعناقها ونحورها
حرام على أرماحنا طعن مدبر * وتندق منا فى الصدور صدورها

(ويقال) أسرع الناس الى الفتنة أقلهم حياء من الفرار (وقال) دارا بن دارا يحرض جيشه على القتال قتيل صابر خير من ناج فار يابنى الاحرار صرتم الى الذل والصغار ما هذا الجبن

والفرار

وتحصر وأسباب الميل اليها والحرص عليها أظهر من ان تستر وانما تميزت عند ذوى الالباب وتبينت لاهل النظر فعاملوها بالرفض لها والاستجناب لما تأملوها فوجدوها لاتوفى العاقل حقه ولا تبخس الجاهل حظه فنعيمها غير مقيم وبؤسها الا يدوم (قال ابو العتاهية)

هى الدار دار الاذى والقذى
ودار الفناء ودار الغير
فلو نلتها بحذافيرها
لمت ولم تقض منها الوطر
ايا من يؤمل طول الخلود
وطول الخلود عليه ضرر
اذا ما كبرت وبان الشباب
فلا خير فى العيش بعد الكبر

(لما) بلغ هرمز من الدنيا أفضل ماسمت اليه نفسه نبذها وقال هذا سرور لولا انه غرور وملك لولا انه هالك ومحمود لولا انه مفقود وغنى لولا انه منى وارتفاع لولا انه اتضاع (قال الشاعر)

الا ان الركون الى غرور
الى دار الفناء من الشقاء
ودنيانا وان ملنا اليها
فطال بها الثواء الى انقضاء

(قال بعض الحكماء) لصاحب له يا أخى تنح عن الدنيا فلم تخلق فيها للبقيا وانت فيها طالب مطلوب تطلب ما قد كفيته و يطلبك من لا تفوته كأنك لم ترح بصاحرا محروما ولا عاجزا مرزوقا وكان الذى حجب عنك قد كشف لك والذى تفر منه قد لحق بك قال ابو الطيب

نحن بنو الدنيا فما بالنا
نعاف ما لابد من شربه
تبخل ايدينا بارواحنا
على زمان هى من كسبه

والفرار فلاصبر ولا اعتذار تطردكم الاشرار كطرد الليل النهار اثبتوا فان الاجل بمقدار (وقال) هانئ الشيبانى لقومه يوم ذى قار يا بنى بكر هالك معذور خير من ناج فرور المنية ولا الدنية يا بنى بكر استقبال الموت خير من استدباره الطعن فى ثغور النحور أكرم منه فى الاعجاز والظهور يا بنى بكر قاتلوا فما للناس من المنايا بد الجبان مبغض حتى لامه والشجاع محبب حتى لعدوه (ويقال) الجبن خير أخلاق النساء وشر أخلاق الرجال (وقال) يعلى بن منية لقومه حين فروا من على يوم صفين الى أين قالوا قد ذهب الناس فقال أف لكم فرار واعتذار (ولما) قوتل أبو الطيب المتنبى ورأى الغلبة عليه فر فقال له غلامه أترضى أن يحدث بهذا الفرار عنك وأنت القائل

والخيل والليل والبيداء تعرفنى * والطعن والضرب والقرطاس والقلم

فكر راجعا فقاتل حتى قتل واستقبح أن يعير بالفرار وذلك فى شهر رمضان سنة أربع وخمسين وثلثمائة وكان مولده بالكوفة سنة ثلاث وثلثمائة (وقال المنصور) لبعض الخوارج عليه وقد ظفر به وأحضر اليه أسيرا أخبرنى عن أصحابى أيهم كان أشد اقداما فى مبارزتك فقال لا أعرف وجوههم مقبلين وانما أعرف أقفيتهم مدبرين فقل لهم يدبرون لاعرفك أيهم كان أشد فرارا انظم هذا القول على بن العباس بن جريج المعروف بابن الرومى فى قوله يهجو سليمان بن عبد الله بن طاهر وقد هزم

قرن سليمان قد اضر به * شوق الى وجهه سيتلفه
أعرض عن قرنه وصدفا * أصبح شئ عليه يعطفه
كم يعد القرن باللقاء وكم * يكذب فى وعده ويخلفه
لا يعرف القرن وجهه ويرى * قفاه من فرسخ فيعرفه

وله من أبيات

كان بغداد لدن أبصرت * طلعته نائحة تلتدم
مستقبل منه ومستدبر * وجه بخيل وقفا منهزم

(وقال) عبد الله بن الزبير لعدى بن حاتم يعرض به متى فقئت عينك قال يوم طعنت فى استك وأنت مول يعنى يوم الجمل وقيل بل قال له يوم قتل أبوك وهربت خالتك يعنى عائشة وأنا للحق ناصر وأنت له خاذل

﴿وقال شاعر يذكر فارا﴾

شرده الخوف فازرى به * كذاك من يكره حر الجلاد
منخرق الخفين يشكو الوجى * تنكبه أطراف مرو حدد
قد كان فى الموت له راحة * والموت حتما فى رقاب العباد

﴿نتف من احتجاج الفرسان عند ملاقاة الاقران﴾
﴿فى ان درع الحذر تخرقها سهام القدر﴾

قال الله تعالى قل ان الموت الذى تفرون منه فانه ملاقيكم (وقال) على رضى الله عنه اذا حلت المقادير حلت التقادير (وقال) هانئ بن مسعود الشيبانى ان الحذر لا ينجى من القدر وان الصبر من اسباب الظفر * والمثل المضروب ان الجبان حتفه من فوقه (وقالوا) السلامة فى الاقدام والحمام فى الاحجام وأنشد فى الحماسة لقطرى بن الفجاءة

لا تركنن أبدا الى الاحجام * يوم الوغى متخوفا لحمام
فلقد أرانى للرماح دريئة * من عن يمينى تارة وأمامى

فهذه الارواح من جوه
وهذه الاجسام من تربه
يموت راعى الشاة فى جهله
ميتة جالينوس فى طبه

(وروى) عن عيسى عليه السلام انه مثلت له الدنيا فى صورة عجوز هتماء عليها من كل زينة فقال لها كم تزوجت من الخلق قالت لا أحصيهم عددا قال أفكلهم مات عنك أم كلهم طلقك قالت بل كلهم قتلت قال عيسى عليه السلام بؤسا لازواجك الباقين كيف لا يعتبرون بالماضين حين تهلكينهم واحدا بعد واحد ولا يكونون منك على حذر (قال المأمون) لو سئلت الدنيا عن نفسها ما أحسنت ان تصف نفسها صفة أبى نواس فى هذا البيت

اذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت
له عن عدو فى ثياب صديق

(وفى كتاب الهند) مثل الدنيا وآفاتها ومخاوفها والموت والمعاد الذى اليه مصير الانسان ما قال الحكيم قال وجدت مثل الانسان المغرور بالدنيا المملوءة آفات مثل رجل الجأه خوف الى بئر فتدلى فيها وتعلق بغصنين نابتين على شفير البئر ووقعت رجلاه على شئ فمدهما عليه فنظر فاذا بحيات أربع قد أطلعن رؤسهن من جحورهن وقد نزلت رجلاه عليهن ونظر أسفل البئر فاذا بثعبان فاغر فاه نحوه فرفع بصره الى الغصنين اللذين تعلق بهما فاذا فى أصلها جرذين أبيض وأسود يقرضان الغصنين دائبين لا يفتران فبينما هو كذلك مغتما بنفسه وابتغى الحيلة فى نجاته اذ نظر فاذا بجانب منه جحر نحل قد وضعن فيه شيأ من العسل

حتى خضبت بما تحدر من دمى * أكتاف سرجى أو عنان لجامى
ثم انصرفت وقد أصبت ولم أصب * خدع القريحة مارح الاقدام

(وقال) أبو بكر الصديق لخالد بن الوليد رضى الله عنهما حين اخرجه لقتال أهل الردة احرص على الموت توهب لك الحياة (وقالوا) اذا انقضت المدة لم تنفع العدة (وقال) على رضى الله عنه ان الموت طالب حثيث لا يعجزه المقيم ولا يفوته الهارب ان لم تقتلوا تموتوا الا وان أشرف الموت القتل (وقال) عبد الله بن رواحة رضى الله عنه

يانفس ان لم تقتلى تموتى * ان تسلمى اليوم فلن تفوتى * أو تبتلى فطالما عوفيتى

(وقيل لبعضهم) لو احترست فقال كفى بالاجل حارسا (وقالوا) الشجاع موقى والجبان ملقى وذلك ان المقتول مدبرا أكثر من المقتول مقبلا

(وأنشد لبعض الشجعان)

تأخرت أستبقى الحياة فلم أجد * لنفسى حياة مثل أن اتقدما

(آخر) أقول لها وقد ذهبت شعاعا * لدى الابطال انك لن تراعى
فانك لو سألت بقاء يوم * على الاجل الذى لك لن تطاعى
فصبرا فى مجال الحرب صبرا * فما نيل الخلود بمستطاع

(وهرب رجل) من الطاعون الى النجف وكان بالكوفة فكتب اليه شريح القاضى اما بعد فان الفرار لن يبعد اجلا ولن يكثر رزقا وان المقام لن يقرب أجلا ولن يقلل رزقا وان المكان الذى أنت فيه لا يعييان من لا يعجزه هرب ولا يفوته طلب وان المكان الذى خلفته لا يعجل أحدا الى حمامه ولا يظلمه شيأ من أيامه وان النجف من ذى قدرة لقريب * وهذا الطاعون هو الجارف وكان فى شوال سنة تسع وستين هلك فيه فى مدة ثلاثة أيام مائتا ألف وعشرة آلاف * ومات فيه لانس بن مالك ثلاثة وثمانون ولدا ولعبد الرحمن بن أبى بكر الصديق أربعون ولدا * وأنشد بعض الشعراء يذكر فارا أصيب

أبعدت فى يوم الفرار فما * جاوزت حتى انتهى بك القدر
لو كان ينجى من الردى حذر * نجاك مما أصابك الحذر

(آخر) فاذا خشيت من الامور مقدرا * وفررت منه فنحوه تتوجه

(ولما) وقع الطاعون بالكوفة فر عبد الرحمن بن أبى ليلى على حمار له يطلب النجاة فسمع منشدا يقول

لن يسبق الله على حمار * ولا على ذى منعة طيار
أو يأتى الحتف على مقدار * قد يصبح الله امام السارى

فكر راجعا الى الكوفة (ومن) كلام الحكماء اذا كان القدر حقا فالحرص باطل واذا كان الموت بكل أحد نازل فالطمأنينة الى الدنيا حمق (وكان) معاوية بن أبى سفيان كثيرا ما ينشد فى حروبه

كان الجبان يرى انه * يدافع عنه الفرار الاجل
فقد تدرك الحادثات الجبان * ويسلم منها الشجاع البطل

(ويقال) من حدث نفسه بالبقاء ولم يوطنها على المصائب فهو عاجز الرأى

(وأنشدت لابى على بن رشيق القيروانى)

الاسر خير من الفرار * والقتل خير من الاسار
وشر ما خفته حياة * أدت الى ذلة وعار

(ذم من لزمه الضعف والجزع واستولى عليه الخوف والفزع)

قيل

فقطاعم منه فوجد حلاوته فشغله عن الفكر فى أمره والتماس النجاة لنفسه ولم يذكر ان رجليه فوق أربع حيات لا يدرى متى تساوره احداهن وان الجردين دائبان فى قرض الغصنين اللذين تعلق بهما وانهما اذا قطعاهما وقع فى لهوات الثعبان فلم يزل لاهيا غافلا حتى هلك (قال الحكيم) فشبهت الدنيا المملوءة آفات ومخاوف بالبئر وشبهت الحيات الاربع بالاخلاط الاربع التى بنى جسد الانسان عليها من المرتين والبلغم والدم وشبهت الغصنين اللذين تعلق بهما بالحياة وشبهت الجردين اللذين يقرضان الغصنين دائبين بالليل والنهار ودورانهما فى افناء الانام والآجال وشبهت الثعبان الفاغر فاه بالموت الذى لا بد منه وشبهت العسيلة التى تطاعمها وشغلت قلبه بهذه الحلاوة القليلة فى الدنيا التى يرى الانسان ويسمع ويطعم ويلبس فيلهيه ذلك عن عاقبة أمره وما اليه مصيره (قال ابن عباد الخزاعى لبعض اخوانه) يا أخى اترك التعلق بالدار التى يبغضها الله عز وجل وخذ حاجتك منها على الكراهة والتثاقل والاضطرار والتحامل وحاسب نفسك باللحظة فما فوقها والخطرة وما دونها فان الله تعالى لا يقبل الا ما أريد به وجهه وكان الدنيا قد اسلتنا عما فيها وأقبلت علينا الآخرة بدواهيها فاطنك يا أخى بيوم تذهل فيه كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها ولا يجزى والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيأ وترى كل أمة جاثية كل أمة تدعى

قيل لبشار بن برد فلان يزعم أنه لا يبالى ألقى واحدا أو ألفا قال صدق لأنه يفر من الواحد كما يفر من الألف (وقالوا) فلان اذا ذكرت السيوف لمس راسه هل ذهب واذا ذكرت الرماح جس صدره هل ثقب كأنه سلم كتاب الجبن صبيا ولقن كتاب الفشل أعجميا (وقالوا) فلان تفصلت من الفزع شفتاه واصفرت من الهلع وجنتاه (وقالوا) فلان اذا نظرت اليه شزرا أغمى عليه شهرا (ومن أمثالهم) أجبن من صافر وهو طائر يتعلق برجليه فى الشجر خشية أن ينام فيسقط وقيل غير ذلك وأشرد من ظليم وهو ذكر النعام *وينشد لعبد القيس بن خفاف يهجو جبانا

وهم تركوك أسلح من حبارى * رأت صقرا واشرد من ظليم

(ومما) هو كناية عن الجبن قولهم فلان مشفق على الحياة راغب فى طولها (وذم بعضهم جبانا) فقال لو سميت له الحرب لعاف لفظها قبل معناها واسمها قبل مسماها (وذم آخر جبانا فقال) اذا صوت العصفور طار فؤاده * وليث حديد الناب عند الثرائد (وذم آخر جبانا) فقال فلان يزحف يوم الزحف الى خلف ويروعه الواحد وهو فى ألف (وذم آخر جبانا) فقال

لو كنت فى ألف ألف كلهم بطل * مثل المجفف داود بن حمدان
وتحتك الريح تجرى حيث تأمرها * وفى يمينك سيف غير خوان
لكنت أول فرار الى عدن * اذا تجرد سيف فى خراسان

(ذكر من لاقى فى الحروب الحرب فطوى بساط الارض مجدا فى الهرب)
(أبو الطيب المتنبى يذكر مهزومين)

وضاقت الارض حتى أن هاربهم * اذا رأى غير شئ ظنه رجلا

(وقالوا) فلان يفر من صرير باب وطنين ذباب فلان ولى منهزما قد سد الله فى وجهه كل طريق فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوى به الريح فى مكان سحيق (وقال) الحجاج يصف هزيمة كالابل الشوارد الى أوطانها النوازع الى أعطانها لا يلوى الشيخ على بنيه ولا يسأل المرء عن أخيه (وقالوا) فلان أزهد فى الحرب من بنى العنبر وأدهش من مستطعم الماء على المنبر فاما بنو العنبر فهم الذين يقول قائلهم من أبيات الحماسة

لكن قومى وان كانوا ذوى عدد * ليسوا من الشر فى شئ وان هانا
يجزون من ظلم أهل الظلم مغفرة * ومن اساءة أهل السوء احسانا
وكأن ربك لم يخلق لخشيته * سواهم من جميع الناس انسانا

وأما مستطعم الماء فهو عبد الله بن خالد القسرى وسنذكر أمره فى الفصل الآتى ان شاء الله *وأظرف شئ هجى به جبان قول الطرماح بن بكر فى بنى تميم من أبيات

ولو أن برغوثا على ظهر قملة * رأته تميم يوم حرب لولت
ولو جمعت يوما تميم جموعها * على ذرة معقولة لاستقلت

ولآخر يهجو قوما جبناء

أسود اذا ما كان يوم وليمة * ولكنهم عند اللقاء ثعالب

﴿والمليح﴾ المتناهى فى الملاحة والابداع والاخذ بمجامع القلوب من غير دفاع ولا نزاع قول جرير فى بنى حنيفة

أبناء نخل وحيطان ومزرعة * سيوفهم خشب فيها مساحيها
قطع الثمار وسقى النخل عادتهم * قدما وما جاوزت هذى مساعيها

الى كتابها يوم يكون النبيون فيه خائفين وأولياء الله من دونهم مشفقين فكيف عن أثقلته الذنوب وأوبقته المعاصى ﴿قال الشاعر﴾

ألا انما الدنيا كأحلام نائم * وما خير عيش لا يكون بدائم
تأمل اذا ما نلت بالامس لذة * فافنيتها هل أنت الا كحالم

(قال بعضهم) ان المرء حقيق اذا طرقه ما يتحيف صبره ويضيق صدره ان يعود الى علمه بالدنيا كيف نصبت على النقلة وجنبت طول المهلة وابتدئت للنفاد وشفع كونها بالفساد وان الثاوى فيها راحل والايام فيها مراحل موهو بها مسلوب وان أرخى الى مهل وممنوحها محروب وان أرخى الى أجل ولو خلد من سبق لما وسعت الارض من لحق ولذلك ما جعلت الدنيا دار قلعة ومحل نجعة (قال بعض الزهاد) يا ابن آدم مالك لا تزهد فى الدنيا وقد علمت يقينا انها فانية ومالك تصحب الايام بآمالك وهى بك الى أجلك ساعية تقطع بك المسافات وأنت لا تشعر وتوردك المهالك وأنت لا تنتظر حتى تبلغك وقتا تروم فيه استدراك أمرك فلا تقدر ﴿قال الشاعر﴾

تروح لنا الدنيا بغير الذى غدت * وتحدث من بعد الامور أمور
وتجرى الليالى باجتماع وفرقة * وتطلع فيها أنجم وتغور
فمن ظن ان الدهر باق سروره * فذاك محال لا يدوم سرور

(قال بعض الحكماء) مما تطيب به النفس ويرفع عنه الحزن ان يعرف الرجل قدر الدنيا منه وقدره منها فقد قيل ان من اهانها اكرمته ومن اكرمها اهانته وان

لوقيل أين هوادي القوم ماعلموا * قالوا لاعجازها هـذى هواديها
أوقيل أن حمام الموت آخذكم * أو تلجموا فرسا قامت بواكيها
(أبوتمام)
ولما رأى توفيـل راياتك التى * اذاما استقامت لايقاومها القلب
تولى ولم يأل القنا فى اتباعـه * كأن الردى فى قصـده هائم صب
غدا خائفا يستنجد الكتب مذعنا * عليك فلا رسـل ثنتك ولاكتب
وما الاسـد الضرغام يوما بتارك * فريسته ان أن أو بصبص الكلب
فرونار الكرب تلفح قلبـه * وما الروع الا أن يخامره الكرب
مضى مـدبرا شطر الدبور ونفسـه * على نفسـه من سوء ظن بها ألب
جفا الشرق حتى ظن من كان جاهلا * بدين النصارى ان قبلتـه الغرب

﴿الفصل الثانى من الباب الثانى عشر﴾

في ذكر من جبن عند اللقاء خوف الموت ورجاء البقاء

قال الله تعالى ان الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان انما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا ولقد عفا الله عنهم هذه الآية نزلت فيمن فر من المسلمين يوم أحـد قال ابن اسحق خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أحد ومعه ألف فانخزل منهم عبدالله بن أبى بن سلول وكان رأس المنافقين ومعه ثلث الناس ورجع الى المدينة وبقى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه سبعمائة رجـل وخرجت قريش فى ثلاثة آلاف ومعهـم مائتا فارس فلما التـقى الجمعان وتراءى الفريقان وحميت الحرب واشتبه الطعن بالضرب أبلى المسلمون فى الكافرين بلاء عظيما ونودى يومئـذ لاسيف الاذوالفقار ولافتى الاعلى وقتـل حمزة بن عبد المطلب عم النبى صـلى الله عليه وسـلم قتـله وحشى غـلام جبير بن مطعم وهو يظن أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقتل مصـعب بن عمير وكان حامل راية رسول الله صلى الله عليه وسلم قتله قميئة بن قمئة فرجع وهو ينادى قتلت محمدا وصرخ صارخ ألا ان محمـدا قتل والصارخ هو ابليس لعنه الله أزب العقبة فانجفل المسلمون وكثر الفشل فيهم وتفرق جمعهم عند الارجاف بقتل من كان يحميهم وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم فأصاب العدو منهم نكاية حتى خلص الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقذفه المشركون بالحجارة فأصيبت رباعيته وشج جبينه وكلمت شفته ودخلت حلقتان من حلق المغفر فى وجنته فانتزعهما أبو عبيدة بن الجراح بفيه فسقطت ثناياه فسال الدم على وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فمسحه بيـده وقال كيف يفلح قوم خضـبوا بالدم وجه نبيهم وكان الذى أصابه عتبة بن أبى وقاص وانهزم المسلمون حتى انتهوا الى المنقى دون الاعوص وهم ظانون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قتل فمر كعب بن مالك برسول الله صلى الله عليه وسلم فرآه وعيناه تزهران من تحت المغفر فعرفه فرفع عقيرته يقول أيها الناس أبشروا هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم فرجعوا فلما عرفوه تداعوا اليه وجعل بعضهم يبشر بعضا ثم نهض المسلمون وقد انشعب صدعهم ونعت بالسلامة بعد الكسر جمعهم ونهض معهم رسول الله صـلى الله عليـه وسلم الى الشعب فأدركهم أبى بن خلف فاخذ رسول الله صلى الله عليه وسـلم الحربة وطعنه بها فى عنقه فرجـع الى قومه وهو يقول قتلنى محمد فمات بسرف وهم قافلون به الى مكة وذب عن النبى صـلى الله عليه وسلم طلحة بن عبيد الله ووقاه بيده فشلت أصبعه وجرح أربعا وعشر بن جراحة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أوجب الحق طلحة *وكان يوم أحد

غناها فقر وعزها ذل وصـحتها سقم وان الانسان فيها بمنزلة الثمرة ان لم يفسد بعضها ببعض الآفات فانها تسقط اذا ادركت او بمنزلة من احتاطت به السباع وسدت عليه كل مجاز فلما نجا من بعضـها اعترضـه بعضها حتى تفترسـه كما قيل

اصبحت فى دار البليات
ادفع آفات بآفات

وقال بعض المتكلمين مما يؤدى الى التسلى والراحـة الكاملة والسرور الدائم انا رأينا الله تبارك وتعالى خلق الدنيا للنقص والزوال ولم يخلقها للبقاء والدوام وجعل ذلك محنة للعباد فصرف أهلها فيها بالدول ورزق فيها الجهال والنوكى ماحرمه الاكياس والعقلاء ورزق من عصاه وخالف أحكامه وشرائعه ماحرمه كثير من أهل الطاعة فكان فى هذا الذى ذكرنا ومايقاسى خيار الناس وأهل الفضـل من نكرها وضيق معاشـها وتصرف أحـوالها ما يسليهم عن الرغبة فيها والحرص عليها ولو خلقها عز وجل للخلود ولم يأذن بالفناء لاهلها لقسم الارزاق فيها على استحقاق كما فعل ذلك فى المعاد فمن صبر فيها على الامتحان نال الراحـة العاجـلة بترك الاغتمام على مافات منها من لاثقة عنـده ببقائه فيها ان دام له مايحب ولاأمان عنـده من زوال ماحوى ان امتد به العمر ﴿قال الشاعر﴾

الا انما الدنيا على المرء فتنة
على كل حال أقبلت أو تولت
فان أقبلت فاستقبل الشكر دائما
ومهما تولت فاصطبر وتثبت

(قال بعض الحكماء) طالب الدنيا

يوم السبت النصف من شوال سنة ثلاث من الهجرة وفيها ولد الحسين بن علي * واستشهد فيه من المسلمين خمسة وستون رجلا أربعة من المهاجرين وما بقي فمن الانصار وقتل من المشركين اثنان وعشرون رجلا * وذو الفقار كان لسليمان بن داود عليهما السلام أهدته له بلقيس مع ستة أسياف ثم كان لمنبه بن الحجاج فأخذه رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قتل يوم بدر (وفر) كسرى من ملاقاة بهرام جور فاتبعه الجيش وكان قد أعد معه فصوصا من زجاج مختلفة الألوان والاصباغ ودنانير من صفر مغشاة بالذهب فلما خاف أن يدرك نثر تلك الدنانير والفصوص على الأرض فاشتغل الناس بجمعها فنجا بنفسه (ومن الجبناء حسان ابن ثابت الانصاري) ذكر ابن قتيبة في كتاب المعارف أنه لم يشهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مشهدا قط قالت صفية بنت المطلب عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم كان معنا حسان في حصن فارع يوم الخندق مع النساء والصبيان فمر بنا في الحصن رجل يهودي فجعل يطيف بالحصن فقلت يا حسان أنا والله لا آمن أن يدل علينا هذا اليهودي أصحابه ورسول الله صلى الله عليه وسلم قد شغل عنا فانزل اليه واقتله قال يغفر الله لك ما أنا بصاحب شجاعة قالت فلما قال لي ذلك ولم أر عنده شيأ اعتجرت ثم أخذت عمودا ونزلت اليه فضربته بالعمود حتى قتلته ثم رجعت الى الحصن وقلت يا حسان انزل اليه واسلبه فانه لم يمنعني من سلبه الا أنه رجل فقال مالي بسلبه من حاجة *وكان حسان اقتدى في فعله بهذا الشاعر في قوله

بانت تشجعني هند وما علمت * أن الشجاعة مقرون بها العطب

لا والذي منع الابصار رؤيته * ما يشتهي الموت عندي من له ارب

للحرب قوم أضل الله سعيهم * اذا دعتهم الى نيرانها وثبوا

ولست منهم ولا أبغي فعالهم * لا القتل يعجبني منهم ولا السلب

* وعاش حسان مائة وعشرين سنة ستين في الجاهلية وستين في الاسلام *ولاحمد بن أبي فنن في هذا المعنى مما نحاه من الاستطراد بالممدوح

مالي ومالك قد كلفتني شططا * حمل السلاح وقول الدارعين قف

أمن رجال المنايا خلتني رجلا * أمسي وأصبح مشتاقا الى التلف

أرى المنايا على غيري فأفرقها * فكيف أمشي اليها بارز الكتف

أخلت أن سواد الليل غيرني * وان قلبي في جنبي أبي دلف

أخذ قوله فكيف أمشي اليها بارز الكتف من قول بعض الاعراب وقد قيل له اخرج الى الغزو فقال والله أنا لأكره الموت على فراشي فكيف أمشي اليه ركضا (ولما) دخل هذا الشاعر على المعتز قال له أنت الشاعر الأدم فقال يا أمير المؤمنين لا يضره سواده مع بيض أياديكم عنده (والفرار السلمي) واسمه حنان بن الحكم بن مالك فر من بني عوف فعرف في الجاهلية بالفرار وهو القائل في فراره

وكتيبة لبستها بكتيبة * حتى اذا التبست نفضت لها يدي

فتركتهم تنفض الرماح ظهورهم * من بين منعفر وآخر مسند

ما كان ينفعني مقال نسائهم * وقتلت بين رجالهم لا تبعد

(وفر) عامر بن الطفيل يوم الرقم وهو يوم كان لبني ذبيان وأحلافهم على بني عامر (وفر) عامر بن زرارة بن عدي الدارمي يوم اليسار وكان على بني تميم (وفر) عمرو بن معديكرب ابن عباس بن مرداس وأسرت أخته ريحانة (وفر) عتبة بن أبي سفيان (وفر) عمرو بن العاص من علي يوم صفين فاتبعه علي فلما خاف عمرو أن يدركه كشف عن سوأته فرجع

لا نهاية له ولا يبلغ منها الى غاية الا طلب ما وراءها أخذ هذا المعنى بعضهم فقال

اذا ما كنت قد اوتيت حالا
من الدنيا سعيت بنيل حال
فأنت بطول دهرك في عناء
كثير السعي في طلب المحال

وجد في بعض الكتب المنزلة يا ابن آدم لو كانت الدنيا كلها لك لم يكن لك منها الا القوت فاذا انا أعطيتك منها القوت وجعلت حسابها على غيرك فانا لك محسن

﴿قال الشاعر﴾

النفس تكلف بالدنيا وقد علمت
ان السلامة منها تركك ما فيها
والله لو قنعت نفس بما رزقت
من المعيشة الا سوف يأتيها
اموالنا لذوي الميراث نجمعها
ودورنا لخراب الدهر نبنيها

قال بعضهم الدنيا دار تغرير وخداع وملتقى ساعة وداع والناس متصرفون بين ورود وصدر وصائرون خبرا بعد أثر غاية كل متحرك سكون ونهاية كل متكون ان لا يكون وآخر الاحياء فناء والجزع على الاموات عناء واذا كان ذلك كذلك فلم التهالك على هالك واعلم ان الدنيا تطلب لثلاثة اشياء للغنى والعز والراحة فمن زهد فيها عز ومن قنع استغنى ومن قل سعيه استراح (قال رجل من بني شيبان) نزلت على راهب فحادثته ثم قلت له يا راهب عظني فقال أأعظكم وفيكم القرآن ونبيكم محمد عليه السلام قال قلت نعم قال فاتعظ ببيت شاعر منكم يكنى ابا العتاهية

تجرد من الدنيا فانك انما
خرجت الى الدنيا وأنت مجرد

قيل لبقراط صف لنا الدنيا فقال

عنه (وفر) عبدالله بن مطيع بن الاسود يوم الحرة من جيش مسلم بن عقبة المرى العام وهو القائل فى قتاله لاهل الشأم مع عبدالله بن الزبير

أنا الذى فررت يوم الحره * والحر لا يفر الا مره
فاليوم أجزى فرة بكره * لا بأس بالكرة بعد الفره

(وفر) أسلم بن زرعة يوم الاهواز من أبى بلال مرداس بن أديه الخارجى وكان أسلم فى ألفى رجل وكان أبو بلال فى أربعين فكان أول أمير انهزم فى الاسلام وكان اذا ركب بالبصرة صاح به الصبيان فى الطريق أبو بلال خلفك (وفر) عبدالله بن عمير الليثى من قتال النجدية فى البحرين وكان وجهه حمزة بن عبدالله بن الزبير فكان عمير رأس المحتسبة فى الفتنة وفيه يقول الفرزدق

تمنيت عبد الله أصحاب نجدة * فلما لقيت القوم وليت سابقا
تمنيتهم حتى اذا ما لقيتهم * تركت لهم قبل الضراب السرادقا
فأعطيت ما تعطى الحليلة بعلها * وكنت حبارى اذ تلاقى البواشقا

فلم يزل مستحيا من الركوب حتى فر أمية بن عبدالله بن أسد بن خالد بن أسيد من الخوارج يوم سرداهجر فوجد به اسوة وظهر (وفر) عبد العزيز بن عبدالله بن خالد من الازارقة وكان معه امرأتان له احداهما غريبة من بنى ليث بن كنانة والاخرى أم حفص بنت المنذر ابن الجارود فجعلت الكنانية تنادى ابن فرسان الطعائن فطعنها رجل من الخوارج فقتلها وسبيت أم حفص وأقيمت جارية فيمن يزيد فبلغت مائة ألف درهم فوثب عمرو بن حديد بن عبد القيس فقتلها أنفة لها وذلك أنها كانت من أجل النساء فأتى بها قطرى فقال له ما حملك على ما فعلت قال رأيت كافرة خفت على المسلمين فتنتها فخلى سبيله ثم ان قاتلها بعد ذلك أتى أخاها الحكم فقال له جزاك الله خيرا ما غسل عنا العار غيرك وأمر له بعشرة آلاف درهم (وفى عبد العزيز يقول كعب الاشقرى)

عبد العزيز فضحت جيشك كلهم * وتركتهم صرعى بكل سبيل
من بين منجدل يجود بنفسه * وملحب بين الرجال قتيل
هلا صبرت مع الشهيد مقاتلا * اذ رحت منهاهاربا بأصيل
سائل بعرسك هل تقاد سبية * تشكو اليك بعبرة وعويل

(وفر) أخوه خالد بن عبدالله يوم الجفر بالبصرة وذلك ان المروانيين اغتنموا أغفلة مصعب ابن الزبير عنهم بالكوفة وكانوا بالبصرة فثار بهم خالد يدعو الى عبد الملك بن مروان فلما بلغ مصعبا الخبر أقبل من الكوفة الى البصرة ففر خالد منه الى الشأم

(وفيه وفى اخوته يقول الفرزدق)

وكل بنى السوداء قد فر فرة * فلم يبق الا فرة فى است خالد
فضحتم أمير المؤمنين وأنتم * تمدون سودانا غلاظ السواعد

(ومن الجبناء الحجاج بن يوسف الثقفى) دخل شبيب بن يزيد الخارجى الكوفة سحرا ومعه غزالة زوجته وستون فارسا والحجاج بها فى قصره مختفيا منه فحلفت غزالة على شبيب ليدخلن المسجد الجامع وليصلين فى مقام الحجاج ففعل ثم خرج منها وفى ذلك يقول عمران ابن حطان الخارجى (يخاطب الحجاج)

أسد على وفى الحروب نعامة * فتخاء تجفل من صفير الصافر
هلا برزت الى غزالة فى الوغى * بل كان قلبك فى جناحى طائر
صدعت غزالة قلبه بفوارس * تركت مناظره كأمس الدابر

ومن

ضاحكة مستعبرة وكان بقراط يقول لتلاميذه يا بنى اعقلوا أما انتم فيسه فان كنتم لا تعقلون فاحذروا الدنيا فان كنتم لا تحسنون الحذر منها فاجعلوها شوكا وانظروا حيث تضعون اقدامكم واجتنبوا جميع الشهوات فان القلوب المعلقة بالدنيا وشهواتها محجوبة عن الله عز وجل (وفى صحف موسى عليه السلام) من أصبح حزينا على الدنيا فكأنما أصبح ساخطا على الله ومن كانت الدنيا أكبر همه نزع خوف الآخرة من قلبه ومن شكا مصيبة نزلت به فكأنما شكا ربه ومن لم يبال من أين دخل عليه رزقه لم يبال الله من أى باب أدخله النار ومن اتى خطيئة وهو يضحك ادخله النار وهو يبكى ومن جعل حاجته الى آدمى جعل الله حاجته اليه فان شاء قضاها وان شاء لم يقضها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت صحف موسى كلها عبرا عجبت لمن ايقن بالنار ثم هو يضحك وعجبت لمن ايقن بالموت ثم هو يفرح وعجبت لمن ايقن بالقدر ثم هو ينصب وعجبت لمن ايقن بالحساب غدا ثم لا يعمل وعجبت لمن رأى الدنيا وتقلبها بأهلها ثم يطمئن اليها

﴿قال الشاعر﴾

وقد بدا الى فيما قد هديت له
ان الحياة الى دار البلا سفر
كيف البقاء وباب الموت منفتح
وليس يغلق حتى ينفد البشر

﴿فصل﴾

قال بعض العلماء ركب الله تعالى الملائكة من عقل بلا شهوة وركب البهائم من شهوة بلا عقل وركب الآدميين من كليهما فمن غلب عقله شهوته تشبه بالملائكة ومن غلبت

(ومن) كان يحضر الحروب ولا يقاتل الحجاج وأبومسلم * ذكر الجاحظ عمن حدثه أن الحجاج كان اذا التقى الجمعان ذهب عنه التدبير فلا يدري ما يأتي وما يذر وكان أبو كعب مولاه هو الذي يدبر الجيش حتى تضع الحرب أوزارها * وأما أبومسلم فكان ينصب له عند ملاقاته لعدوه عرش فيجلس عليه ويسدد من آرائه سهاما أهدافها الصدور والظهور ويجرد من أوامره أسيافا أغمادها الجفون والنحور وزياد وابنه عبدالله وأحمد بن طولون (ومن أظرف مايحكى) أن البحتري شرب مع أبي هفان عند بعض الرؤساء فلما خرجا ركب البحتري بغلته وأردف أباهفان خلفه فلما كان ببعض الطريق قال أبوهفان أباعبادة من الذي يقول

يلبس للحرب أثوابها * وقال أنا الشاعر البحتري

فلما رأى الخيل قد أقبلت * اذا هو في سرجه قد خرى

فدفعه البحتري من خلفه وقال ياماص بظر أمه تتنادر وانت فهد والشعر لابي هفان ارتجالا قاله على سبيل المداعبة ومن هنا اخذ المتنبي قوله

واذا ماخلا الجبان بأرض * طلب الطعن وحده والنزالا

(ومن نوادر اخبار الجبناء في مواطن الحروب والبلاء)

(حكى) ان عمرو بن معديكرب مر بحي من احياء العرب واذا هو بفرس مشدود ورمح مركوز واذا صاحبها في وهدة من الارض يقضي حاجته فقال له عمرو خذ حذرك فاني قاتلك لامحالة فالتفت اليه وقال له من أنت قال أبو ثور عمرو بن معديكرب قال انا أبو الحرث ولكن ما انصفتني انت على ظهر فرسك وأنا في وهدة فأعطني عهدك أن لاتقتلني حتى أركب فرسي وآخذ حذري فأعطاه عهدا على ذلك فخرج من الوهدة التي كان فيها وجلس محتبيا بحمائل سيفه فقال له عمرو وما هذا الجلوس قال ما أنا براكب فرسي ولا مقاتلك فان كنت نكثت العهد فأنت اعلم ما يلقى الناكث فتركه ومضى وقال هذا أجبن من رأيت (وقال) روح بن حاتم لأبي دلامة اخرج معي فقاتل وهذه عشرة آلاف درهم فقال

اني أعوذ بروح ان يقربني * الى الحمام فيشتفي بنو أسد

ان البراز الى الاقران نعرفه * مما يفرق بين الروح والجسد

قد خالفتك المنايا اذ صمدت لها * واصبحت لجميع الناس بالرصد

اذ المهلب حب الموت اورثكم * وما ورثت لحب الموت عن احد

لو أن لي مهجة اخرى لجدت بها * لكنها خلقت فردا فلم اجد

(وخرج) مروان بن محمد لمحاربة الضحاك الحروري فلما التقى الجمعان خرج من اصحاب الضحاك فارس فدعا الى البراز فقال مروان من يخرج اليه وله عشرة آلاف درهم فقال ابو دلامة انا وخرج طمعا في الجائزة فرأى رجلا عظيم الهامة وعليه فرو قد اصابته السماء فابتل ولحقته الشمس فيبس حتى صار كالقد لا يعمل فيه السيف فلما رآه الفارس جرى اليه وهو يرتجز

وخارج اخرجه حب الطمع * فر من الموت وفي الموت وقع

من كان يهوى اهله فلا رجع

فخافه ابو دلامة فلوى جواده هربا واتخذ من خوفه في الارض نفقا كما اتخذ الحوت لنجاته في البحر سربا فقال مروان من هذا الفاضح لا انجاه الله فقال ابو دلامة فر ولا انجاه الله خير من قتل ورجه الله واسم ابي دلامة زند بالنون وقيل زيد بالباء الموحدة واسم امه الجون (وقال) عمرو بن هبيرة لاعرابي بجزع من الحرب قاتل وخذ الرزق قال قدم لي رزقي قال حتى تقاتل

شهوته عقله تشبه بالبهائم فالعاقل كل العاقل من ميز نفسه وعرف قدره ونظر بعين الحقيقة وامعن الفكرة الصحيحة وعلم أن جوارحه قد ركبت فيها جميع الشهوات وان طباعه قد حببت اليها صنوف اللذات فلا يقدر على قهرها ولا يتمكن من صرفها وقهرها الا بالمجاهدة وملك الشهوة بخطام التقوى وما أشد وما أصعب ألا ترى الى قول النبي صلى الله عليه وسلم حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات (قال الشاعر)

صبرت على الايام حتى تولت

وألزمت نفسي صبرها فاستمرت

وما النفس الا حيث يجعلها الفتى

فان أطمعت تاقت والا تسلت

(وقال لقمان) لابنه يابني أول ما أحذرك من نفسك فان لكل نفس هوى وشهوة فان أعطيتها شهوتها تمادت وطلبت سواها فان الشهوة كامنة في القلب ككمون النار في الحجر ان قدح أورى وان ترك توارى (قال أفلاطون) في الانسان أربع طبائع العقل والهوى والشهوة والعفة فالعقل يعاتب الهوى والهوى يقاتل العقل والعفة تعاتب الشهوة والشهوة تقاتل العفة والانسان مسلط على مشيئته فمن عمل خيرا جوزي به ومن عمل شرا كوفئ عليه (وقال بعض الحكماء) أكمل الناس عقلا أغلبهم للهوى وأملكهم للشهوة ولا يزال الانسان المطيع لهواه المهمل لصالح دينه ودنياه منتظر الصلاح مرجو للخير والفلاح مالم يتجاوز حد الفتوة الى حد الاكتهال فان سلطان الهوى عند ذلك قوي وشيطانه غوي فان

قال الاعرابي أرى منيتي معجلة ومنيتي مؤجلة (وقيل لمدني) ألا تغزو الاعداء قال أنا لا أعرفهم وهم لا يعرفوني فكيف صرنا اعداء (وقيل) وقع في بعض العسكر هيج فوثب خراساني فرسه ليلجمها ويفر عليها فصير اللجام في الذنب وقال يخاطب الفرس هب جبهتك عرض ناصيتك كيف طالت (وفر) أمية بن عبد الله بن خالد بن اسيد من أبي فديك فسار من البحرين الى البصرة في ثلاثة ايام فذكر عنده في بعض الايام الخيل فقال سرت من المهرجان الى البصرة في ثلاثة ايام فقال له ماجن من جلسائه ولو ركبت النيروز سرت اليها في يوم واحد (واجتاز) كسرى في بعض حروبه بشيخ وقد عرى فرسه ونزع سلاحه وهو مستظل بشجرة فقال يا مقتولا بيدي انا في كرب الحرب وانت على هذه الحالة فقال الشيخ أيد الله الملك انما بلغت هذا السن باستعمال هذا التوقي (وقال المهلب) لحبيب بن عوف وكان من جنده في قتال الخوارج كر على القوم وخذ مائتين صحاحا فأومأ الى رأسه وقال أخاف ان يذهب رأس المال وأنشد

يقول لي الامير بغير نصح * تقدم حين جد بنا المراس
فمالي ان أطعتك من حياة * ومالي غير هذا الرأس راس

(ولبعض الشعراء)

ولو أن لي رأسين أدخر واحدا * وألقى الاعادي بعد ذلك بواحد
لاقدمت في الهيجاء اقدام باسل * ولم آل جهدا بالدفع الشدائد
ولكن لي رأسا اذا ما فقدته * وفارقني يوما فليس بعائد

(ومما ينسب لابي دلامة)

ألا لا تلمني ان فررت وانني * أخاف على فخارتي أن تحطما
وأيتم أولادا وأرمل نسوة * فكيف على هذا ترون التقدما
ولو كان لي نفسان مقاتلا * باحداهما حتى تموت فأسلما

(وحكى) ابن حبيب في كتابه المحبر أن حبيبا دخل على المهلب بن أبي صفرة فأنشده

فقدتك يا مهلب من أمير * أما تندى يمينك للفقير

فقال المهلب هو جنتي فوالله اني لأبذل لكم مالي وأقيكم الحروب بنفسي فقال حبيب أنا نكره افحامك بنا المنايا فقال المهلب أوليس قد قال الأول

اذا المرء لم يغش الكريهة أوشكت * حبال المنايا بالفتى أن تقطعا

فقال حبيب خفض العيش والدعة والاعتياض عن الضيق بالسعة ثم أنشده ما قاله حين فر من أبي فديك يوم مرداهجر

بذلت لكم يا قوم حولي وقوتي * ونصحي وما حازت يداي من التبر
فلما تناهى الامر بي وعدوكم * الى مهجتي وليت أعداء كم ظهري
وطرت ولم أحفل ملامة عاجز * يقيم لاطراف الردينية السمر
ولو كان لي رأسان أهملت واحدا * لكل رديني وأبيض ذي أثر

فضحك منه ثم التفت الى من حضر مجلسه وقال بمثل هذا فليقاتل الأعداء (وقيل لانسان) اذا رأيت سوادا بالليل فاقدم ولا تتفرق منه فانه يخافك كما تخافه قال أخاف أن يكون ذلك السواد سمع هذه المقالة قبلي (وقيل) لمطرف بن عبد الله لا تخرج تقاتل مع علي رضي الله عنه قال لو كان لي نفسان قدمت احداهما فان أصابت الحق أتبعتها الاخرى والا كانها واحدة (ودخل) حميد بن الارقط على الحجاج فأنشده قصيدة شاعر مختارة في صفة الحروب فقال الحجاج أراك تحسن صفة الحرب أفقاتلت الابطال وقابلت الاقيال قال لا أيها الامير الا في النوم قال وكيف كانت وقعتك قال انتبهت واني منهزم فضحك منه ووصله

(صفات)

خرج عن سن الحداثة ولم يسلك سنن الصلاح والدمائة فقد قطع أسباب الرجاء منه ووصل علائق اليأس عنه وقد أعيى داؤه وتعذر شفاؤه (قال بعض العلماء) ومن الواجب على من استفزه الشيطان وخدعه واغراه بالعصيان واقعه ورجاه بالتوبة واطمعه ان يستشعر هجوم المنايا ويتخيل وقوع النوب والرزايا انها لا تحقر الصغير ولا تهاب الكبير ولا تنظر الغني ولا الفقير ان وعدت انجزت وان طعنت اجهزت فلا يحدث نفسه بالامهال ولا يخادعها بالتسويف والمطال فانه لا يؤمن هجومها ولا يستفيق سليمها ولا يدري متى تصل اليه فتحول بينه وبين امله وتقطعه عن استدراك عمله وتصيره من الوجود الى العدم فيندم حين لا ينفعه الندم فان كان ذلك وقد زالت عنه أنعم خالقه وجردته عن ثوب عافيته وصرفته وهي عادته فيمن عصاه من خلائقه فيكون قد خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين ولله در القائل

اذا كنت في نعمة فارعها * فان المعاصي تزيل النعم
وكم قد ترددت في مهلة * ولم ترقب الموت حتى هجم

(قال بعضهم) والانسان في أول خليقته يضعف عن مدافعة الشهوة ويقصر عن صرف محاولة الارادة لنقصان القوة والعقل وله ثلاث مراتب فأولها عند الخروج الى الدنيا الشره الى الغذاء الذي لا بد منه ولا يستطيع الصبر عنه ولا له رغبة في سواه ثم ينتقل الى المرتبة الثانية عند تمييز الاشياء

﴿صفات من بذل ثباته بالاحجام وقيد بالفرق قدمه عند الاقدام﴾

قال الله تعالى يحسبون كل صيحة عليهم هم العدو وقال عليه الصلاة والسلام نصرت بالرعب مسيرة شهر (وقالوا) فلان من خوفه يحسب كل صيحة عليه وكل يد تشير بالاخذ اليه شاعر

مازلت احسب كل خيل بعدها * خيلا تكر عليهم ورجالا

(آخر)

كان بلاد الله وهي عريضة * على الخائف المطلوب كفة حابل

﴿المتنبي﴾

وضاقت الارض حتى صار هاربهم * اذا رأى غير شئ ظنه رجلا

(آخر)

كان بلاد الله في ضيق خاتم * عليهم فلا تزداد طولا ولا عرضا

(وقالوا) فلان تقلصت من الخوف شفتاه واصفرت من الهلع وجنتاه (ومن أمثالهم) أجبن من المنزوف ضرطا وذلك أن رجلا كان يتعشق نساء وكان يدعي عندهن الشجاعة فنام عندهن يوما فأردن امتحانه فصحن به جاءتك الخيل فانتبه مذعورا وما زال يضرط حتى مات (قال ابو عبيدة) كان خالد بن عبد الله القسري من اجبن الناس واخوفهم فخرج عليه المغيرة بن سعيد فأخبر بذلك وهو على المنبر بالكوفة فدهش من شدة الخوف واصطكت اسنانه وجفت لهاته فقال اطعموني ماء وادركوني فقد هلكت عطشا ونزل عن المنبر هاربا (وفيه يقول يحيى بن نوفل)

بل السراويل من خوف ومن وهل * واستطعم الماء لما جد في الهرب

(ودخل) الجحاف بن حكيم على عبد الملك بن مروان والاخطل عنده فلما بصر به الاخطل قال يعرض به

الا ابلغ الجحاف هل هو ثائر * بقتلى اصيبت من سليم وعامر

(فقال الجحاف)

بل سوف نبكيهم بكل مهند * ونبكي عميرا بالرماح الشواجر

ثم قال يا ابن النصرانية ما ظننتك تجترئ على بمثل هذا ولو كنت ما سورا لك فحم الاخطل خوفا منه وجزعا فقال له عبد الملك أنا جارك منه فقال يا أمير المؤمنين هبك أجرتني منه في اليقظة فمن يجيرني منه في النوم أخذ هذا المعنى أشجع السلمي فقال من قصيدة يمدح بها الرشيد

وعلى عدوك يا ابن عم محمد * رصدان ضوء الصبح والاظلام

فاذا تنبه رعته واذا غفا * سلت عليه سيوفك الاحلام

(وقالوا) فلان تخوفه أضغاث أحلام فكيف مسموع كلام فلان يرى صوت الرياح قعقعة الرماح فلان اذا خاف طار من خوفه كل مطار وفر فرار الليل من وضح النهار

﴿الفصل الثالث من الباب الثاني عشر﴾

﴿فيمن ليم على الفرار والاحجام فاعتذر بما ينفي عنه الملام﴾

سمع سليمان بن عبد الملك قارئا يقرأ قل لن ينفعكم الفرار ان فررتم من الموت أو القتل واذا لا تمتعون الا قليلا فقال ذلك القليل نريد (وقال) الوليد بن عقبة لعثمان بن عفان يقول لك عبد الرحمن بن عوف لم جفوتني ولم أفر يوم أحد ولم أتخلف يوم بدر يعرض به فقال أما فراري يوم أحد فلا تعيرني به فان الله قد عفا عني فيمن عفا عنه واما تخلفي يوم بدر فاني كنت أمرض رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ماتت فأخبره عني بذلك (ونظرت) امرأة حماس بن قيس البكري المعروف بالهارب له وقد رأته يشحذ حربته يوم فتح مكة وهو يقول

ان تقبلوا اليوم فما لي علة * هذا السلاح كامل واله * وذو غرارين سريع السلة

فقالت ما تصنع بهذه الحربة فقال أعددتها لمحمد وأصحابه فقالت اني أرى أنه لا يقوم لك بها

وهي الالتذاذ باللعب واللهو وحب التزين والحرص على ما يشتهي من غير تدبير ولا نظر ثم ينتقل الى المرتبة الثالثة وهي شهوة النكاح والالتذاذ بالمطاعم والمشارب وانتخاب الملابس والمراكب وسلطان الهوى عند ذلك قوي قادر وجند الشهوات غالب ظاهر فان بلغ هذه المرتبة وقد حسن تمييزه للمعاني وقوي فهمه للامور واستحكم نظره للحقائق وتمكن فكره في العواقب وقواه الملك الموكل بهدايته بفضل الملك المدبر له الذي يختص برحمته من يشاء فعلم المصالح التي يتعلق بها الثواب والمقابح التي يتعلق بها العقاب صرف نفسه عند ذلك عن مواقعة اللذات الممنوعة قاهرا ومنعها من متابعة الشهوات قاسرا فتميز بالخلائق الآدمية وانتقل عن الطباع البهيمية فاذا استنار بنور اليقين قلبه وتأيد بالتقى والايمان جنده فاستفتح بمفاتح النظر خزائن الفكر واستخرج منها لطائف المعارف وذخائر السرائر فلبس ابراد الاعتقاد وتحلى بقلائد الفوائد وركب جواد الاجتهاد فجرى في ميادين السابقين كان مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا ولئن صادف هذه المرتبة وقد قوي سلطان هواه وضعفت عن مصادمته قواه وتملكه شيطانه واستهواه فمكن نفسه من مرادها ولم يجاهدها حق جهادها فارسلها على ما سولت وخلى بينها وبين ما املت فاستفتح بمفاتح الشره خزائن الشهوات واستخرج منها مشاهر

شئ قال والله انى أرجو أن أخدملك بعضهم ثم خرج فلما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة وانهزم المشركون يوم الخندمة وفرحماس حتى دخل بيته فقال لامرأته اغلقى الباب فقالت له وأين ما كنت تقول فقال

لوانك شهدت يوم الخندمة * اذفر صفوان وفر عكرمة
اذ قد لحقنا بالسيوف المسلمة * لهم نشيش حولنا وهمهمة
يقطعن كل ساعد وجمجمة * ضربا فلا نسمع الا غمغمة
* لم تنطقى فى اللوم أدنى كلمة *

(وذكر) أن كسرى ابرويز لما انهزم من بهرام جور واستجار بملك الروم فعنفه على هربه وأمده بستين ألفا منهم شجاع يعد بألف فسار بهم الى بهرام فخرج بهرام لمحاربته فلما تلاقى الجيشان برز الشجاع لبهرام فضربه بالسيف ضربة قده بها نصفين فلفه كسرى وأنفذه الى ملك الروم وقال انما افزعت اليك من رجل يضرب مثل هذه الضربة (وذكر الطرطوشى فى كتابه سراج الملوك أن هذه الضربة لم يسمع بمثلها فى جاهلية ولا اسلام وان هذه الرأس كانت معلقة فى كنيسة من كنائس الروم وكانوا اذا عيروا بانهزامهم من تلك الوقعة يقولون لقينا رجالا هذا ضربهم (وحكى) ان أبا زبيد الطائى واسمه حرملة بن المنذر دخل على عثمان بن عفان فلامه على فراره من الاسد لما عرف من شجاعته فقال يا أمير المؤمنين لا تلمنى لقد رأيت منه منظرا وشهدت مخبرا لا يزال ذكره يتجدد فى قلبى وشخصه يتمثل فى عينى خرجنا نريد الحرث بن شمر الغسانى ملك الشأم فأصابنا قيظ ذبلت منه الشفاه وعصبت الافواه فانحزنا الى واد أشجاره مغنة وأطياره مرنة فحططنا رحالنا ثم أخذنا نصف حرومنا ونذكر مطاولته ومماطلته فبينما نحن كذلك اذ صوب أقصى الخيل أذنيه وفحص الارض بيديه ثم ما لبث ان جال محمحما وبال مهمهما فتضعضعت الخيل وتكعكعت الابل وتقهقرت البغال فمن نافر بشكاله وناهض بعقاله فحدقنا أبصارنا واذا سبع قد أقبل يتطاول فى مشيته كأنه مجنوب وينظر بعينين كأنهما جمر مشبوب له خطيط واصدره نحيط ولبلاعيمه غطيط ولطرفه وميض ولارساغه نقيض كأنه يخط هشيما ويطأ صريما اذو هامة كالمجن وخد كالمسن وساعد مجدول وعضد مفتول وكف شثنة البراثن ومخالب كالمحاجن فضرب بذنبه الارض فأرهج وكشر فأفرج عن أنياب كالمعاول مصقولة غير مفلولة فى فم أشدق كالغار الاخرق ثم تمطى فاشرع بيديه وحفز وركبه برجليه فصار ظله مثليه ثم أقعى فاقشعر ثم مثل فاكفهر وزأر فجرجر ثم لحظ فرؤى السماء عرشه خلت البرق يتطاير من تحت جفونه عن شماله ويمينه فأرعشت الايدى واصطكت الاضلاع وارتجت الاسماع وجحظت العيون وانحزت المتون ولحقت الظهور بالبطون وساءت الظنون ثم أنشد

عبوس شموس مصلخد خنابس * جرى على الارواح للقرن قاهر
منيع ويحمى كل واد يرومه * شديد أصول الماضغين مكابر
براثنه شثن وعيناه فى الدجى * كجمر الغضا فى وجهها الشر طائر
يدل بانياب حداد كأنها * اذا قلص الاشداق منها خناجر

فقال له عثمان اكفف لا أم لك لقد أرعبت قلوب المسلمين ولقد وصفته حتى كأنى أنظر اليه يريد مواثبتى وكان أبو زبيد هذا نصرانيا ومات ولم يسلم وقد ذكر علماء الرواة لاخبار العرب وأشعارها هذه الحكاية بأطول مما أثبتناه لكنا استغنينا باليسير منها عن الكثير لدلالته على الغرض المقصود فى ذكره للاسد بالوصف الشنيع والمرأى الفظيع ليبلغ

المناكر ولبس ثياب الارتياب وتوشح بوشاح الافضاح وركب جواد الحرص فجرى فى ميدان البطالة ونام فى مهاد الغفلة فغلب على قلبه سنة الرين كان من الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم لهم فى الدنيا خزى ولهم فى الآخرة عذاب عظيم الامن آثر المتاب وأسرع الاياب واتقى يوم الحساب فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين (قال الشاعر)

ألا ايها المستطرف الذنب جاهدا
هو الله لا تخفى عليه السرائر
فان كنت لم تعرفه حين عصيته
فان الذى لا يعرف الله كافر
وان كنت عن علم ومعرفة به
عصيت فأنت المستهين المجاهر
فأية حاليك اعتقدت فانه
عليم بما تطوى عليه الضمائر

(قال بعض العلماء) جميع حالات الانسان راجعة الى ثلاث منازل عليا ووسطى وسفلى ذكرها الله عز وجل فى كتابه وجعلها مراتب لعباده فقال عز من قائل وكنتم ازواجا ثلاثة فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة والسابقون السابقون أولئك المقربون فى جنات النعيم ثم قص الله تعالى أحوالهم وقص مآلهم فقال سبحانه فأما ان كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم وأما ان كان من أصحاب اليمين فسلام لك من أصحاب اليمين وأما ان كان من المكذبين الضالين فنزل من حميم وتصلية جحيم وقال تعالى ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله ذلك هو الفضل الكبير

في الاعتذار عن هربه مقتضى أربه فلما لم يكن بما ذكرها على التمام حاجة اقتصرنا على الخلاصة منها الا المحاجة

﴿ومن﴾ أحسن من الجبناء في اعتذاره لما قرع على انهزامه وفراره الحرث بن هشام وكان قد شهد بدرا مشركا فانهزم فصنع حسان قصيدة استطرد به فيها يقول منها

ان كنت كاذبة الذى حدثتنى * فنجوت منجى الحرث بن هشام
ترك الاحبة ان تقاتل دونهم * ونجا برأس طمرة ولجام

فاجابه الحرث

الله يعلم ما تركت قتالهم * حتى رموا فرسى بأشقر مزبد
وعلمت انى ان أقاتل واحدا * أقتل ولا يضرر عدوى مشهدى
وشممت ريح الموت من تلقائهم * فى زماق والخيل لم تتبدد
فصدفت عنهم والاحبة دونهم * طمعا لهم بعقاب يوم مفسد

وأنشد هذا الاعتذار لبعض ملوك العجم فقال يامعشر العرب لقد بلغتم بلطافة ألسنتكم وحسن احتجاجكم وجميل أوصافكم مبلغا لم يبلغه أحد غيركم حتى اعتذرتم عن الفرار بعذر يسع بعدكم الاعتذار به لكل منهزم وتوفى الحرث هذا سنة ثمان عشرة بالطاعون وهو طاعون عمواس قرية بالشام وفيها توفى أبو عبيدة بن الجراح ومعاذ بن جبل رضى الله تعالى عنهم (ويقال) ان عبد الله بن عنقاء الجهمى لقيه بنو عبس يسوق بامرأته أم الحصين ففر عنهم فعيرته امرأته فقال

أجاعلة أم الحصين خزاية * على فرارى أن لقيت بنى عبس
لقيت أباشاس وشاسا ومالكا * وقيسا فجاست من لقائهم نفسى
جذيمة دعواهم وعود بن غالب * أولئك جاشت من لقائهم نفسى
كان جلود النمر صبت عليهم * اذا جمعوا بين الاباحة والحبس
أتونا فضموا جانبينا بصادق * من الطعن فعل النار بالحطب اليبس
نجوت سليمى لم تمزق عمامتى * ولكنهم بالطعن قد مزقوا ترسى
وليس الفرار اليوم عارا على الفتى * اذا عرفت منه الشجاعة بالامس

(وقيل لبعضهم) لم انهزمت فقال اغتالى نفس واحدة وأنا حقيق بالنظر اليها لئلا يذهب رأس المال (وليم) آخر على فراره فقال المحرب سجال وعثراتها لاتقال (وانهزم بعضهم) فأخذ أميره يوبخه ويعنفه على فراره وقال أعطت بيدك ولا طعنت ولا ضربت فقال لان يشتمنى الامير أصلحه الله وأنا حى خير من أن يترحم على وأنا ميت (وقيل لآخر) ولى فى حرب ويلك لا تهرب يغضب الامير عليك فقال غضب الامير على وأنا حى أحب الى من رضاه عنى وأنا ميت ﴿ومن﴾ أغاليط أعاذيرهم المسكتة وأكاذيب أساطيرهم المبكتة ما ذكره صاحب كليلة ودمنة من أن الحازم يكره القتال ما وجد بدا منه لان النفقة فيه من النفوس والنفقة فى غيره من المال (التقى) عسكر دبيس بن صدقة وعسكر الراشد فولى دبيس منهزما فعبر الفرات يريد النجاة فقصد بعض أحياء العرب فقالت له عجوز من مجاثرهم دبير اجئت فقال دبير من لم يجئ (وقالوا) من جبن سلم ومن تهور ندم (وقال) عبد الله بن المقفع الشجاعة متلفة وذلك أن المقتول مقبلا أكثر من المقتول مدبرا فمن أراد السلامة فليؤثر الجبن على الشجاعة (وقيل لجبان) لم لا تقاتل فقال عند النطاح يغلب الكبش الاجم (وقالوا) الحياة أفضل من الموت اذا كانت النجاة الى حياة صالحة على أن موتا فى عز خير من حياة فى ذل (وقالوا) الفرار فى وقته ظفر (وقالوا) الشجاع ملقى والجبان موقى (وقالوا) السلم أزكى للمال وأبقى لانفس الرجال (وقال) شاعرهم وهو

(قال) بزرجمهر اجتهدوا فى الخير واقتصدوا فى المعيشة وارضوا من المطعم والملبس بادناهما فان أشد الناس اجتهادا فى الخير وأحسنهم اقتصادا فى المعيشة سيتمنى انه كان زاد فى العمل ونقص فى المعيشة ولا يثبت دين الرجل على حال واحدة اما فى زيادة أو فى نقصان فان كان غالبا للشيطان كان زائدا وان كان الشيطان غالبا عليه فى الشهوات كان ناقصا (وقال الاسود بن يزيد) والله لاجتهدن فى العبادة فان يكن الامر عسيرا كما اخاف فى الآخرة كنت قد اجتهدت واخذت بالحزم وان يكن يسيرا كما ارجو كان عملى درجات

﴿فصل﴾

قال بعض العلماء الناس فى الاوامر والنواهى أربعة أصناف صنف استجابوا للطاعات وكفوا عن المعاصى وهم أكمل الناس وصنف لم يستجيبوا للطاعات ولا كفوا عن المعاصى وهم شر الناس وصنف استجابوا وأقاموا على المعاصى فهم يستحقون عقاب المجترئين على المعاصى وصنف لم يستجيبوا للطاعات وكفوا عن المعاصى فهم يستحقون عقاب اللاهى عن دينه وللانسان فيما كلف به من الاعمال ثلاثة احوال أن يستوفيه وان يزيد فيه وان يقصر فيه (أما) استيفاء العمل من غير زيادة ولا تقصير فهو الاعتدال وخير الامور أوسطها (وأما) التقصير فى العمل فعلى أربعة أحوال (احداها) العذر من مرض أو غيره فيلحق صاحبه بالعاملين لسقوط

البديع الهمداني

ماذاق همًا كالشجاع ولاخلا * بمسرة كالعاجز المتواني

(وقالوا) الهرب في وقته خير من الجلاد والثبات في غير وقته (وقال) المتوكل لابي العي[ناء] اني لافرق من لسانك فقال يا أمير المؤمنين الكريم ذو فرق واحجام واللئيم ذو وقاحة واقد[ام]

﴿الباب الثالث عشر في العفو وفيه ثلاثة فصول﴾

﴿الفصل الاول من هذا الباب﴾
﴿في مدح من اتصف بالعفو عن الذنب المتعمد والسهو﴾

قال الله تعالى وليعفوا وليصفحوا الاتحبون أن يغفر الله لكم وقال تعالى فمن عفى وأصلح فأجره على الله وقال تعالى وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما (وقال) رسول الله صلى الله عليه وسلم من أقال مسلما عثرته أقاله الله عثراته يوم القيامة (وقال) عليه الصلاة والسلام ان العفو لايزيد العبد الا عزا فاعفوا يعزكم الله (ويروى) عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال مامن امام عفا بعد قدرة الا قيل له يوم القيامة ادخل الجنة بغير حساب (وقال) معاذ بن جبل لما بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لي مازال جبريل يوصيني بالعفو فلولا علمي بالله لظننت أنه يوصيني بترك الحدود (وقيل) لابي الدرداء من أعز الناس قال الذي يعفو اذا قدر و ينصر اذا استنصر (وقال) رسول الله صلى الله عليه وسلم من عفا عمن ظلمه صغيرة أو كبيرة فأجره على الله ومن كان أجره على الله فهو من المقربين يوم القيامة (وحده) على ما قاله بعض العلماء وقد سئل عنه هو ترك المكافأة عند القدرة قولا وفعلا (وقال آخر) هو السكون عند الاحوال المحركة للانتقام وهو يجمع أشرف الخلال وأكرم الخصال وأفضل شمائل الجلال وأعلى مراتب الكمال وركن متين وحصن حصين من استند اليه واعتمد عليه استنارت له الظلم وأمن من عثرات القدم وعصم من مواقع الندم * ويكفي في شرفه أن الانسان لايسمى حليما حتى يكون عاقلا عالما محسنا صبورا وحتى يجمع عظم القدر الى سعة الصدر (وقالوا) الحليم من لم يكن حلمه لفقد النصرة وعدم القدرة وهو غريزة في الانسان عنه[ا] واهب الاحسان تصدر عن صدر سالم من الغوائل والادواء صاف من شوائب الكدر والاقذاء لاتستطاع بتعلم وتفكر ولا تدرك بتفقه وتبصر كما قال أبو الطيب المتنبي

واذا الحلم لم يكن في طباع * لم يحلم تقدم الميلاد

فقد يكون طبيعة و يكون مكتسبا مستفادا بتمرن النفس اليه وتنقاد حبا في المحمدة ا[لـ]يه * و يعضد هذا ما روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لاشج عبد القيس يا أبا المنذر ان فيك خصلتين يرضاهما الله ورسوله الحلم والاناة فقال يا رسول الله أشئ جبلني الله عليه أو شئ اخترعته من قبل نفسي قال بل شئ جبلك الله عليه فقال الحمد لله الذي جبلني على خلق يرضاه الله ورسوله وقال المخالفون لهذا المذهب الحلم بالتحلم كما أن العلم بالتعلم واستدلوا لهذا القول بما يروى أن جعفر بن محمد الصادق كان اذا أذنب له عبد أعتقه فقيل له في ذلك فقال اني أريد بفعلي هذا تعلم الحلم * وقيل كان له عبد سيئ الخلق فقيل له ما بقاء مثل هذا عندك وأنت قادر على أن تستبدل به غيره قال لا تعلم به الحلم ومن ذلك قول الاحنف من لم يصبر على كلمة سمع كلمات وأنشد

وليس يتم الحلم للمرء راضيا * اذا هو عند السخط لم يتحلم
كما لايتم الحلم للمرء موسرا * اذا هو عند العسر لم يتحشم

ومن

المؤاخذة بما دخل تحت العجز (الثانية) الاغترار ورجاء العفو والرجاء شاغل عن خوف الله (الثالثة) أمل الاستيفاء فيما يستقبل وذلك لاينتهي الى غاية وما أطال عبد الأمل الا أساء العمل (الرابعة) استثقال الاستيفاء كمن يفعل الواجب و يخل بالمسنونات فهو مسيء اساءة لايستوجب بها عقابا بالان اداء الواجب يسقطه الواجب للعقاب والاخلال بالمسنون يمنع من كمال الثواب ومن تهاون بالدين هان (واما الزيادة في العمل فعلى ثلاثة اقسام (احدها) ان تكون الزيادة رياء وافضل الزهد اخفاء الزهد (الثاني) ان تكون الزيادة اقتداء باحد الاماثل ولولا اقتداء الناس بالناس في الخير لهلكوا (الثالث) ان تكون الزيادة ابتداء يلتمس بها الثواب وذلك من اعلى رتب العابدين والاقتصاد في الزيادة مع المداومة احمد من الاستكثار دون مداومة (لقوله) عليه السلام فيما روت عائشة رضي الله عنها أيها الناس اكلفوا من العمل ما تطيقون فان الله لايمل من الثواب حتى تملوا من العمل وخير الاعمال ما ديم عليه وللاعمال كلها آفتان (احداهما) تكسب الوزر والاخرى توهن الاجر فالمكسبة للوزر الاعجاب بالعمل لان المعجب ممتن على الله ومجترئ عليه والممتن على الله جاحد لنعمته والمجترئ على الله عاص لامره ونهيه والموهنة للاجر الثقة بالعمل لانها أمن والآمن غير خائف ورياضة النفس للعمل تترتب على أحوال ثلاث (احدها) الزهد لقوله عليه السلام من أشرب قلبه حب الدنيا

(ومن) محاسن الكلام الصادر عن الحكماء في شرف الحلم ومن تخلق به من الحلماء (قالوا) الحلم والاناة توأمان نتيجتهما علو الهمة * وهذا كما ورد عن علي رضي الله عنه انه سأل رجلا من اهل فارس عمن كان احمد ملوكهم سيرة قال أنوشروان فقال علي أي أخلاقه كان أغلب عليه قال الحلم والاناة فقال علي هما توأمان نتيجتهما علو الهمة * والاناة ترك العجلة بالانتقام عند القدرة قال ابراهيم بن العباس الصولي

لن يدرك المجد أقوام وان كرموا * حتى يذلوا وان عزوا لاقوام
ويشتموا فترى الالوان مسفرة * لا صفح ذل ولكن صفح اكرام

(وقال) قابوس بن وشمكير العفو عن الذنب من واجبات الكرم وقبول المعذرة من محاسن الشيم * ومن كلام النبوة كاد الحليم أن يكون نبيا (ورأى) حكيم نزقة من ملك فقال أيها الملك ليس التاج الذي يفتخر به عظماء الملوك فضة ولا ذهبا ولكنه الوقار المكلل بجواهر الحلم وأحق الملوك بالبسطة من حلم عند ظهور السقطة (وقال) معاوية لابنه يزيد عليك بالحلم والاحتمال حتى تمكنك الفرصة فاذا أمكنتك فعليك بالصفح فانه يدفع عنك معضلات الامور ويوقيك مصارع المحذور وقال الشاعر

لا تحسبن الحلم منك مذلة * ان الحليم هو الاعز الامنع
ان جرعوك الغيظ فاجرعهم * تؤجر وتحمد غب ما يتجرع

(آخر) ان التحلم ذل أنت عارفه * والحلم عن قدرة أفضل من الكرم

(وقال معاوية) أفضل ما أعطي الرجل الحلم فانه اذا ذكر ذكر واذا قدر غفر واذا أساء استغفر (وقالوا) العفو يزين حالات من قدر كما يزين الحلي قبيحات الصور (وقالوا) الحلم مطية وطية تبلغ راكبها قصبة المجد وتملكه ناصية الجد (وقال) بعض البلغاء من غرس الحلم شجرا وسقاه الاناة درا جنى العز منه ثمرا وأثبت المكارم أثرا شاعر

اذا شئت يوما أن تسود عشيرة * فبالحلم سد لا بالتسرع والشتم
فللحلم خير فاعلمن مغبة * من الجهل الا أن تشينه بالظلم

(آخر) اخفض جناحك للقرابة والقهم * بتودد واغضض لهم ان أذنبوا
وصل الكرام فان ظفرت بزلة * فالصفح عنهم والتجاوز أقرب

(آخر) ألا ان حلم المرء أكرم نسبة * تسامى بها عند الفخار كريم
فيارب هب لي منك حلما فانني * أرى الحلم لم يندم عليه حليم

(وقالوا) الحلم حجاب الآفات (وقالوا) من غرس شجر الحلم اجتنى ثمر السلم (وقال) عمر بن عبد العزيز ما قرن الله شيأ الى شيء أفضل من علم الى حلم ومن عفو الى قدرة (وقال حكيم) خير الامور بغية العفو وخير العفو ما كان عن قدرة وقال الشاعر

العفو يعقب راحة ومحبة * والصفح عن ذنب المسيء جميل

(وقال) عمر أيضا استدعوا العفو من الله بالعفو عن الناس والرحمة بهم والشفقة عليهم (وقالوا) اعف عمن لم يسلك من سخطك طريقا حتى يأخذ من رجائك طريقا (وروى) عن عيسى عليه السلام أنه قال ليس الاحسان أن تحسن الى من أحسن اليك انما تلك مكافأة وانما الاحسان أن تحسن الى من أساء اليك (وقال) سعيد بن العاص ما شاتمت أحدا مذ صرت رجلا لاني ما أشاتم الا أحد رجلين اما كريما فأنا أحق أن أحتمله أو لئيما فأنا أولى من رفع نفسه عنه (وقال) عمر بن الخطاب ادرؤا الحدود بالشبهات ولان يخطئ الامام في العفو أحب الي من أن يخطئ في العقوبة اذا وجدتم مخرجا للمسلم فادرؤا الحدود (شاعر)

وركن اليها التاط منها بشغل لا يبلغ عناه وبأمل لا يبلغ منتهاه (الثانية) توطين النفس على ذهاب ما في اليد وبقاء حسابه قال عليه السلام لا تزول قدما ابن آدم حتى يسئل عن ثلاث شبابه فيم أبلاه وعمره فيم افناه وماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه (الثالثة) قصر الامل سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم من اكيس الناس قال اكثرهم ذكرا للموت واشدهم استعدادا له أولئك الاكياس ذهبوا بشرف الدنيا وكرامة الآخرة والناس في الخير على اربعة انحاء منهم من يفعله ابتداء وهو الكريم ومنهم من يفعله اقتداء وهو الحكيم ومنهم من يتركه استجماما وهو الردئ ومنهم من يتركه حرمانا وهو الشقي (ومن) الواجب على الانسان ان لا يجسر على نفسه بالعنف عليها ولا يصادمها بالقهر لها وان يأخذها أولا بالمنع عن يسير الشهوة والكف عن قليل الهوى مما لا ترى النفس في تركه كبير صعوبة ولا تنال بالامتناع منه شديد مشقة ثم لا يزال ينقلها من حال الى حال اقواها ويرفعها من درجة الى اعلاها كما يفعل الطبيب الماهر من تدريج العليل بتلطف المعاناة وتحسين المداراة حتى يزيل المحدث للعلة وهو حب الدنيا فاذا ازاله قوي بعد على قلع العلة ووجدها متأتية الزوال بزوال الدواعي المولدة لها الباعثة عليها فظهر النجح ونجح السعي وليس الزهد في الدنيا باهمال النفس واضعاف الجسم وادخال الضرر بتقتير العيش والتعرض للمعاطب والتصدي الى المهالك ظنا

وما بال من أسعى لأجبر عظمه * سفاها ويَنوى من سفاهته كسرى
أظن خطوب الدهر بينى وبينهم * ستحملهم منى على مركب وعر
أعوذ على ذى الجهل والحلم منهم * بحلمى ولو عاقبت غرقهم بحرى
أناة وحلما وانتظارا بهم غدا * وما أنا بالوانى ولا الضرع الغمر
ألم تعلموا أنى تخاف عزيمتى * وان قناتى لا تلين على الكسر

﴿من عرف بالعفو عند خطأ الجانى وصار بالاناءة عليه كالاب الحانى﴾

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم حليما رحيما رؤفا عطوفا يهب ويسمح ويعفو ويصفح (وكان) كسرى يقول عفوى عمن أساء الىّ بعد قدرتى عليه أسرنى مما ملكت (وكان) معاوية يقول ما وجدت لذة الذ عندى من غيظ أتجرعه ومن سفه بالحلم أقمعه * وكان يقول انى لا كره أن يكون فى الارض جهل لا يشمله حلمى وذنب لا يسعه عفوى (وكان) المأمون ممن أوتى الحلم طبعا لا تطبعا ومنح العفو خلقا لا تخلقا فكان يقول انى لا ستحلى العفو حتى أخاف أنى لا أوجر عليه ولو علم الناس محبتى فى العفو لتقربوا الىّ بالذنوب وكأنه القائل بلسان كرمه وافضاله لا بلسان نطقة ومقاله

وجهل رددناه بفضل حلومنا * ولو أننا شئنا رددناه بالجهل
رجحنا وقد خفت حلوم كثيرة * وعدنا على أهل السفاهة بالفضل

(عامر العدوانى)

انى غفرت لظالمى ظلمى * وتركت ذاك له على علمى
ورأيته أسدى الىّ يدا * لما أبان بجهله حلمى

(وكان) يقول ليس فى الحلم مؤنة ووددت ان أهل الجرائم عرفوا رأيى فى الحلم حتى يذهب عنهم الخوف فتصفو الىّ قلوبهم (وكان) يقول المذنبون ثلاثة فمنهم من ذنبه مقرون بعذره قد أماطه عنه واخرجه سليما منه ومنهم من ذنبه فاضح وعذره غير واضح وهو فرد لا أخ له وفذ لا توأم معه فالاولى به أن يقال اذا اعترف بالحوبة واخلص لى التوبة ومنهم المتردد فى هفواته والمتكرر فى عثراته الجارى به عادته أن يكثر التوبة اذا تاب ويفسخ عقد الانابة متى أناب فذلك الذى يعاقب بالاطراح ولا يطمع فى شخصه بالفلاح (وكان) أسماء بن خارجة يقول ما تانى أحد عبا أ كره الا أخذت عليه بثلاث خصال فان كان فوقى عرفت له فضل التقدم فاسعته وان كان دونى صنت نفسى عنه وان كان مثلى تفضلت عليه

(نظم محمود الوراق هذه الكلمات فى هذه الثلاثة الابيات فقال)

سألزم نفسى الصفح عن كل مذنب * وان عظمت منه علىّ الجرائم
فما الناس الا واحد من ثلاثة * شريف ومشروف ومثلى مقاوم
فأما الذى فوقى فاعرف فضله * واتبع فيه الحق والحق لازم
وأما الذى دونى فان قال منكرا * صفحت له عنه وان لام لائم
وأما الذى مثلى فان زل أوهفا * تفضلت ان الفضل بالحلم حاكم

(الناشى فى مثل هذا)

اذا كان دونى من بليت بجهله * أبيت لنفسى ان أقابل بالجهل
فان كنت أدنى منه فى العلم والحجى * عرفت له حق التقدم بالفضل
وان كان مثلى فى محل من النهى * أردت لنفسى ان أجل عن المثل

(وقال المأمون) وجدت المسئ الىّ عبد الله ولو أساء الىّ عبد لا خ لصفحت عنه اكرام له

فكيف

استعمال ما تصعب به القوى ويعين على الطاعة والتصرف فى جميع أعمال البر صلاح بين وواجب متعين وكما أن الزيادة على قدر الحاجة ممنوعة فى الشرع والعقل يمنع منهما جميعا

﴿فصل﴾ كان عبد الله بن المبارك يقول الرجاء يورث الشوق والشوق يورث الاجتهاد والاجتهاد يورث الفكر فى النعم والفكر فى النعم يورث الشكر والشكر يوجب معرفة المنة ومعرفة المنة تورث محبة الله ومحبة الله تورث الزهد فى الدنيا والزهد فى الدنيا يورث الرغبة فى الآخرة والرغبة فى الآخرة تورث الاشتغال بالطاعة والاشتغال بالطاعة يورث النعيم الدائم

﴿وقيل﴾ ان سبب توبة عبد الله بن المبارك وزهده انه كان من اصنع الناس فى الالحان وضرب العود فبينما هو يغنى ذات يوم

ألم يأن لى منك ان ترحما
وتعصى العواذل واللوما
وترثى لصب بكم مغرم
أقام لهجرانكم مأتما

اذ سمع من جوف العود هاتفا يقول ألم يأن للذين آمنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله فكسر العود وساح فى البرية (وقيل) لبعض العلماء ما علامة الايمان قال حسن الخلائق واتباع الحقائق وبذل المرافق وحفظ العهود والمواثق والتسليم للقدر السابق قيل فما علامة النفاق قال نقض العهد وخلف الوعد ومنع الرفد والكذب فى الهزل والجد قيل ففيم النجاة قال عمل مبرور وقلب صبور ولسان شكور وادخال السرور والرضى بالمقدور وقيل

فكيف لا أصفح عن عبد مسيء هو عبد الله تعالى

(ولأبي فراس الحمداني)

ما كنت مذ كنت الا طوع خلاني * ليست مؤاخذة الاخوان من شاني
يجني الخليل فاستحلي جنايته * حتى أدل على عفوي واحساني
يجني عليّ وأحنو دائماً أبدا * لا شيء أحسن من حان على جان

(وقال رجل) للأحنف في مشاجرة وقعت بينهما ان قلت كلمة لتسمعن عشر كلمات فقال الاحنف لو قلت عشرا لم تسمع واحدة

(ومن) حكاياته الدالة على كرم نجره القاضية له بتضعيف أجره أن رجلا جعل له ألف درهم على أن يغضبه فوقف الرجل وبالغ في سبه والاحنف يعرض عنه غير مكترث به فلما رآه لا ينظر اليه ولا يرد عليه أقبل يعض أنامله ويقول واسوأتاه والله ما يمنعه من جوابي الا هواني عليه ولهذا قيل الحليم من صمت عن سماع الخنى وأغضت عيناه على مضض القذى (ما اخترناه وانتقيناه من غرر المدائح المقولة فيمن أغضى عن المسيء القادح)

(مدح) أعرابي رجلا بالحلم فقال ان أذنبت اليه استغفر فكأنه المذنب وان أحسن اليك اعتذر فكأنه المسيء (الحسن بن رجاء) في المأمون

صفوح عن الاجرام حتى كأنه * من العفو لم يعرف من الناس مجرما
وليس يبالي أن يكون به الاذى * اذا ما الاذى لم يغش بالكره مسلما

(وقال آخر)

يعفو عن الذنب العظيم وليس يعجزه انتصاره
صفحا على الباغي عليه وقد أحاط به اعتذاره

(وقال أبو الحسن مهيار بن مردويه الديلمي من أبيات)

واذا اباء المرء قال لك انتقم * قالت خلائقك الكرام بل احلم
شرع من المجد انفردت بدينه * وفضيلة لسواك لم تتقدم
حتى لقد ود البريء لو أنه * أدلى اليك بفضل جاه المجرم

(ولغيره من أبيات)

فدهره يصفح عن قدرة * ويغفر الذنب على علمه
كأنه يأنف من أن يرى * ذنب امرئ أعظم من حلمه

(الفصل الثاني من الباب الثالث عشر)

فيمن حلم عند الاقتدار وقبل من المسيء الاعتذار

ولنبدأ الآن بما يجب على الاحرار من الصفح المتجج بالاقدار (قال) رسول الله صلى الله عليه وسلم من لم يقبل عذرا من معتذر صادقا كان أو كاذبا لم يرد على الحوض (وقالوا) الكريم أوسع ما يكون مغفرة اذا ضاقت بالمسيء المعذرة (شاعر)

اذا اعتذر المسيء اليك يوما * من التقصير عذر فتى مقر
فصنه عن عتابك واعف عنه * فان العفو شيمة كل حر

(ويقال) توبة المذنب اقراره وشفيع المجرم اعتذاره (وقال الشاعر)

اقبل معاذير من يأتيك معتذرا * ان بر عندك فيما قال أو فجرا
فقد أطاعك من يرضيك ظاهره * وقد أجلك من يعصيك مستترا

(وقالوا) لا يظهر الحلم الا مع الانتصار ولا يبين العفو الا عند الاقتدار (شاعر)

ففيم الهلكة قال كثرة الفجور واقتحام الشرور ومطاوعة الغرور وعصيان الغفور (وقيل لبقراط) ما أقرب الاشياء قال الاجل قيل فما ابعدها قال الامل قيل فما انفسها قال الصاحب المؤاتي قال فما اوحشها قال الموت قيل فما احمدها عاقبة قال الصبر قيل فما اذمها عاقبة قال المعاصي (قالت هند) الطاعة مقرونة بالمحبة فالمطيع محبوب وان نأت داره وقلت آثاره والمعصية مقرونة بالبغضة فالعاصي مبغوض وان مسك رجعه ونالك معروفه قال الشاعر

اراك امرأ ترجو من الله عفوه
وأنت على ما لا يحب مقيم
فحتى متى تعصي وتهفو الى متى
تبارك ربي انه لرحيم

(قال بعض الحكماء) التسويف لمن يعلم ان المنية تأتيه بغتة غرور وترك مجالسة الحكماء حمق وطلب الحاجة من غير الله ذل وقلة معرفة الانسان بعيوب نفسه أكبر ذنوبه (روى) أن ناسا مدحوا أبا بكر الصديق رضي الله عنه فقال الله أعلم بي من نفسي وأنا اعلم بنفسي منكم فأستغفر الله مما لا تعلمون وأسأله ان لا يؤاخذني بما تقولون (قالت عائشة) رضي الله عنها يا رسول الله متى يعرف الانسان ربه قال اذا عرف نفسه اوحى الله تعالى الى عيسى عليه السلام عظ نفسك فان اتعظت فعظ الناس والا فاستحي مني قال الشاعر

ابدأ بنفسك وانهها عن غيها
فاذا انتهت عنه فانت حكيم
فهناك تعذر ان وعظت ويقتدى
بالقول منك وينفع التعليم
لا تنه عن خلق وتأتي مثله

ان الاعتذار حطنا من العفو * وبراه المقر بالانصاف

ولعمري لقد أحلك من قد * جاء مقرا اذلة الاقتراف

(آخر) اذا ما امرؤ من ذنبه جاء تائبا * اليك ولم تغفر له فلك الذنب

(وقالوا) ما أذنب من اعتذر ولا أساء من استغفر (وقال) محمد بن شيرزاذ الاصاغر يَهْفُون والاكابر يعفون (كتب بعضهم) الى رئيس يعتذر اليه من ذنب اقترفه

اغتفر زلتي لتحرز فضلي * واعف عني ولا يفوتك اجري

لا تكلني الى التوسل بالعذر * لعلي أن لا أقوم بعذري

(ومن وصاياهم) اياك وتكرار العذر فانه تذكير بالذنب (وقال الشاعر)

اذا كان وجه العذر ليس ببين * فان اطراح العذر خير من العذر

(ومن وصاياهم) اياك وما يعتذر منه * وقولهم اياك وما يسبق الى القلوب انكاره وان كان عندك اعتذاره فما كل من أسمعته نكرا يطيق أن توسعه منك عذرا

﴿ذكر من قدر من الصدور فعفا وأثلج الصدور بالمنة وشفى﴾

(رسول الله صلى الله عليه وسلم) وذلك ان أهل مكة كانوا يؤذون رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل الهجرة بالقول فقالوا كذاب وساحر ومجنون وغير ذلك من السب والشتم وبعدها بالفعل فكانوا يقصدون نكايته في نفسه وأهله ولكثرة ايذائهم له قال ما أوذي أحد مثل ما أوذيت رموه بالحجارة فشجوا جبينه وكسروا رباعيته ووضعوا الشوك في طريقه وشنقوا الكرش على رأسه وحاربوه وقتلوا أعمامه وعذبوا أصحابه وأتباعه وأخرجوه من أحب البقاع اليه وقتلوا عمه حمزة وبقروا بطنه ومثلوا به حتى اذا فتح الله مكة على يديه ودخلها بغير جهدهم وظهرت بها كلمته على رغمهم أخذ بعضادتي باب الكعبة وقام فيهم خطيبا فحمد الله وأثنى عليه وشكره على ما منحه من الظفر وقال لا اله الا الله وحده صدق وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده ثم قال ما تقولون وما تظنون اني فاعل بكم فقال سهيل ابن عمرو نقول خيرا ونظن خيرا أخ كريم وابن أخ كريم وقد قدرت فقال أقول لكم كما قال أخي يوسف لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين اذهبوا فأنتم الطلقاء (ولما) ظفر انوشروان ببزرجمهر وكان قد ترك دين المجوس قال الحمد لله الذي أظفرني بك قال كافئ من أعطاك ما تحب بما يحب فعفا عنه (وحكي) عن سلم بن نوفل وكان سيد قومه أن رجلا ضرب ولده فشجه فأتي به اليه فقال له ما حملك على ما فعلت وما الذي أمنك من انتقامي منك فقال الرجل انما سودناك لانك تحلم وتكظم الغيظ وتحتمل جهل الجاهل فقال له اني آثرت حلمي وكظمت غيظي واحتملت جهلك خلوا عنه فولى الرجل وهو يقول

تسود أقوام وليسوا بسادة * بل السيد المعروف سلم بن نوفل

(وحكي) ان عبد الملك بن مروان نقم على رجل ذنبا فهرب منه فلما ظفر به هم بقتله فقال له الرجل ان الله قد فعل ما أحببت من الظفر فافعل ما يحبه من العفو فان الانتقام عدل والتجاوز فضل والله يحب المحسنين فعفا عنه * وأساء بعض جلسائه عليه الادب فاطرحه وجفاه ثم دعاه بعد أيام لامر عن له فرآه شاحب اللون نحيلا فقال له متى اعتللت فقال ما مسني سقم ولكنني جفوت نفسي مذ جفاني الامير فاستحسن ذلك منه وعفا عنه (وقال الاصمعي) اتي المنصور برجل ليعاقبه على شئ بلغه عنه قال له أحصيه فقال يا أمير المؤمنين الانتقام عدل والتجاوز فضل ونحن نعيذ أمير المؤمنين بالله أن يرضى لنفسه بأوكس النصيبين دون أن يبلغ أرفع الدرجتين فعفا عنه (وقال المنصور) لجبان يجزع عن الاعتذار

عار عليك اذا فعلت عظيم

(روي) عن الحسن أنه قرأ واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون فقال هذه موعظة وعظ الله بها المسلمين (قال) بعضهم السنون مراحل والانفاس خطوات والطاعات رؤس الاموال والمعاصي قطاع الطريق والربح الجنة والخسران النار قال الشاعر

لله ساهر ليله ما يهجع

وجل الفؤاد من الذنوب مصدع

يبكي بدمع ساكب هفواته

والليل في جلبابه متبرقع

ندما على ما كان من عصيانه

ملكا تذل له الملوك وتخضع

يارب ما للذنب غيرك غافر

واليك منه يا الهي المفزع

يارب عبدك ضارع فاغفر له

ما لم يزل يدعوك فيه ويضرع

(حكي) عن بعض الاشياخ انه رأى الله تعالى في النوم فقال له يا عبدي بم جئتني فقال يارب جئتك بما ليس في خزائنك فقال وما هو قال الذل والانكسار فقيل له نعم الزاد زادك فقد رحمناك (وحكي) أن حاتما الاصم قال لاولاده اني أريد الحج فبكوا وقالوا الى من تكلنا وكان له بنت لها سبع سنين فقالت ما يبكيكم دعوه يذهب فليس برازق فخرج فباتوا جياعا فجعلوا يوبخون تلك الصبية فقالت اللهم لا تخجلني بينهم فجاز أمير البلد عليهم فقال لبعض أصحابه اطلب لي ماء فناولوه كوزا جديدا وماء باردا فشرب وقال دار من هذه فقالوا دار حاتم الاصم فرمى فيها منطقة من ذهب وقال من احبني وافقني فرمى العسكر كله فجعلت الصغيرة تبكي فقالت أمها ما يبكيك

ماهذا الوجوم وعهدي بك خطيبا لسنا فقال يا أمير المؤمنين ليس هذا موقف مباهاة ولكنه موقف توبة والتوبة تلقي بالاستكانة والخشوع والذلة والخضوع فرق له وعفا عنه (وسعى) الى المنصور برجل من ولد الاشتر النخعي ذكر عنه الميل الى بني علي بن ابي طالب والتعصب لهم فأمر باحضاره فلما مثل بين يديه قال يا أمير المؤمنين ذنبي أعظم من نقمتك وعفوك أوسع من ذنبي ثم قال

فهبني مسيأ كالذي قلت ظالما * فعفوا جميلا كي يكون لك الفضل
فان لم أكن للعفو منك لسوء ما * أتيت به أهلا فأنت له أهل

فعفا عنه (وأتى) المنصور برجل أذنب فقال يا أمير المؤمنين ان الله أمر بالعدل والاحسان فان أخذت في غيري بالعدل فخذ في بالاحسان فعفا عنه (وأتى) الهادي برجل فعل ما أنكره عليه فجعل يقرعه ويوبخه ويهدده ويتوعده فقال يا أمير المؤمنين اعتذاري عما تقرعني عليه رد عليك وامساكي عن الاعتذار يوجب ذنبا لم أجنه ولكني أقول

فان كنت ترجو في القيامة رحمة * فلا تزهدن في العفو عني وفي الاجر

(ولما) خرج ابراهيم بن المهدي على عبد الله المأمون عندما عقد لعلي بن موسى الرضا بولاية العهد بعده وأمر الناس بلباس الخضرة كره أهل بغداد ذلك وبايعوا ابراهيم ولقبوه بالمبارك وذلك في سنة اثنتين ومائتين فأقام سنة واحد عشر شهرا وأياما يخطب له ثم دخل المأمون بغداد في صفر سنة أربع ومائتين وهي السنة التي مات فيها الشافعي وعليه الخضرة فاختفى ابراهيم ولم يظهر الى سنة عشر فلما ظفر به المأمون أوقفه بين يديه وقد اجتمع في مجلسه وجوه دولته ووزراؤها وقضاتها وكتابها وأمراؤها وقوادها واستشار من حضر في أمره فكل أشار بقتله وكان فيمن حضر أحمد بن أبي خالد ساكتا لا يتكلم ولا يفيض معهم في شيء من ذلك فقال له المأمون مالك لا تنطق فقال يا أمير المؤمنين كم قتل مثلك مثله ولم يعف مثلك عن مثله ولان تكون أوحد في العفو أحب الي من أن تكون شريكا في العقوبة فأعجب المأمون كلامه وعفا عنه * ويروى أنه لما مثل بين يديه قال له ما حملك على اجترام ما أداك الى حتفك قال القدرة تذهب الحفيظة وولي الثار مخير في القصاص والعفو والعفو منك أقرب وقد جعلك الله فوق كل ذي حلم كما جعلني فوق كل ذي ذنب فان تعف فبفضلك وان تعاقب فبعدلك وانه وان كان ذنبي أعظم من أن يحيط به عذر فعفو أمير المؤمنين أعظم من أن يتعاظمه ذنب فقال المأمون قد رأيت وما توفيقي الا بالله تحقيق ظنك في العفو عن خطيئتك والصفح عن جليل جرمك وأقالتك العثرة وامانك على نفسك وأنشد

لما رأيت الذنوب جلت * عن المجازاة في العقاب
جعلت عنها العقاب عفوا * أمضى من الضرب للرقاب

(كان) أبو نواس قد غلب على قلبه حب الامين والتهالك فيه والغرام حتى قال فيه

عذب قلبي ولا أقول بمن * خافة لا أخاف من أحد
اذا تفكرت في هواي له * لمست رأسي هل طار عن جسدي

فاتصلت هذه الابيات بالمأمون فقال من يقال فيه هذا يصلح أن يكون خليفة للمسلمين فبلغ ذلك الامين فأمر بقتل أبي نواس حيث وجد فشفع فيه فأمر بحبسه ولا يمكن من ورقة ولا دواة فحلق رأس عبد له وكتب فيها بالفحم

بك أستجير من الردى * متعوذا من سطو باسك

وقد وسع علينا فقالت يا أماه أبكي لان مخلوقا نظر الينا نظرة فاستغنينا فكيف لو نظر الينا الخالق

﴿فصل﴾

(عن ابن عباس) رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحب أن يكون أقوى الناس فليتوكل على الله ومن أحب أن يكون أكرم الناس فليتق الله ومن أحب أن يكون أغنى الناس فليكن بما في يد الله أوثق منه بما في يديه ألا أنبئكم بشراركم قالوا نعم يا رسول الله قال من نزل وحده ومنع رفده وجلد عبده أفأنبئكم بشر من هذا قالوا نعم قال من لا يقيل عثرة ولا يقبل معذرة ولا يغفر ذنبا أفأنبئكم بشر من هذا قالوا نعم قال من لا يرجى خيره ولا يؤمن شره ان عيسى عليه السلام قام في بني اسرائيل فقال يا بني اسرائيل لا تكافئوا ظالما فيبطل فضلكم عند ربكم يا بني اسرائيل الامور ثلاثة أمر تبين غيه فاجتنبوه وأمر تبين رشده فاتبعوه وأمر اختلف فيه فردوه الى الله يا بني اسرائيل لا تتكلموا بالحكمة عند الجهال فتظلموها ولا تمنعوها أهلها فتظلموهم (قال عبد الله ابن مسعود) ان أصدق الحديث كتاب الله وأوثق العرى كلمة التقوى وخير الملل ملة ابراهيم وأحسن السنن سنة المصطفى عليه السلام وخير الهدى هدى الانبياء وأصدق الحديث ذكر الله وخير القصص القرآن وخير الامور عواقبها وشر الامور محدثاتها وشر المعذرة حين يحضر الموت وشر الندامة ندامة القيامة وشر الضلالة الضلالة بعد الهدى

وحياة رأسك لا أعو * د لمثلها وحياة راسك
من ذا يكون أبا نوا * سك ان قتلت أبا نواسك

وكتب تحت الابيات اذا قرأ أمير المؤمنين الرقعة يخرقها ثم قال للغلام سر الى دار الخلافة فاذا جئتها ناد نصيحة لامير المؤمنين فاذا دخلت على الخليفة فاكشف رأسك ليرى ما فيها مكتوبا ففعل الغلام ما أوصاه به فلما قرأ الامين الابيات ضحك وقال ما ألطفه وأظرفه وأمر باطلاقه (وحكى) عبد الرحمن اليزيدي قال حضرت مجلس المأمون وهو على شراب فدعاني وأكرهني حتى شربت فكلمني بكلمة في حال السكر فاجبته عنها جوابا قبيحا وأنا لا أعلم لما آخذ الشراب مني وغلبة السكر علي فاعلمت بذلك بعد انصراف المجلس فكتبت اليه

أنا المذنب الخطاء والعفو واسع * ولو لم يكن ذنب لما عرف العفو
ثملت فابدى مني الكاس بعض ما * كرهت وما ان يستوي السكر والصحو
تنصلت من ذنبي تنصل ضارع * الى من اليه يحسن العفو والسهو
فان تعف عني ألف خطوي واسعا * وان تكن الاخرى فقد قصر الخطو

فلما قرأ المأمون رقعته قال قد صفحنا عنك فان مجالس الشراب يطوى بما فيه ويقال بل وقع على الرقعة

انما مجلس الندامى بساط * للمودات بينهم وضعوه
فاذا ما انتهى الى ما أرادوا * من حديث ولذة رفعوه

حكاه المرزباني في كتاب طبقات الشعراء وعرف باليزيدي لانه كان يؤدب ولد يزيد ابن منصور الحميري خال المهدي (وقال) الحسن بن سهل للمأمون في رجل مسيء هبه لي فقال وكيف أهبه لمن ليس به قدر عقابه وعفا عنه (واحضر) اليه رجل أذنب فقال له أنت الذي فعلت كذا وكذا قال نعم يا أمير المؤمنين أنا ذاك الذي أسرف على نفسه واتكل على عفوك فعفا عنه (وقال الصولي) ما كان في الخلفاء أحلم من الواثق ولا أصبر منه على أذى وكان يتشبه بالمأمون (فمما) ذكر عنه أنه كان يعجبه غناء أبي حشيشة الطنبوري فوجد المسدود المغني من ذلك حسدا فكتب في رقعة بيتين يهجو بهما الواثق وكانت الرقعة معه لا تبرح واتفق ان كتب رقعة يسأل فيها حاجة من الواثق فغلط واعطاه الرقعة التي فيها البيتان ففضها فاذا فيها

من المسدود في الانف * الى المسدود في العين
انا طبل له شق * فيا طبل بشقين

وكان على احدى عيني الواثق بياض والى ذلك نحا المسدود فلما قرأهما علم انهما فيه فقال له قد غلطت في ورقة الحاجة فاحترس من مثلها وردها اليه وقضى حاجته ولم يتغير لها عما كان عليه (ولما) ظفر المتوكل بمحمد بن المغيث الربعي وكان قد خرج عليه في سنة أربع وثلاثين ومائتين فلما وقف بين يديه وهو مكبل قال له ما حملك على أن خرجت علي وأنت لا ذو مال ولا ذو مدد من رجال فقال الشقوة والجبن يا أمير المؤمنين وأنت الحبل الممدود بين الله وبين خلقه واني بين ظنين أسبقهما الى قلبي أولى بك من الآخر ثم أنشد

أبى القوم الا انك اليوم قاتلي * امام الهدى والعفو في الله أجمل
وهل أنا الا جبلة من خطيئة * وعفوك من نور الخلافة يجبل
تضاءل ذنبي عند عفوك قلة * فمن بعفو منك والعفو أفضل
وانك خير السابقين الى التقى * ولا شك أن خير الفعالين تفعل

وامر بفك قيده وغله وخلع عليه وامر له بصلة (وهجا) الحيص بيص الشاعر المسترشد فاباح دمه فهرب الى دبيس بن صدقة ثم عاد الى بغداد مستخفيا وكتب الى المسترشد

يستعطفه

وخير الغنى غنى النفس وخير الزاد التقوى وخير ما القي في القلب اليقين وشر العمى عمى القلب والريب من الكفر والخمر جماع الاثم والنساء حبالة الشيطان والشباب شعبة من الجنون والنوح من عمل الجاهلية واعظم الخطايا الكذب وسباب المؤمن فسوق وقتاله كفر وحرمة ماله كحرمة دمه ومن يعف يعف الله عنه ومن يكظم الغيظ يأجره الله ومن يغفر يغفر الله له ومن يصبر على الرزية يعقبه الله خيرا وشر المكاسب كسب الربا وشر المآكل مال اليتيم والسعيد من وعظ بغيره والشقي من شقي في بطن أمه وانما يكفي أحدكم ما يقيم به نفسه وانما يصير الى اربعة اذرع والامر الى آخره وملاك العمل خواتمه واشرف الموت قتل الشهداء ومن يستكبر يضعه الله ومن يطع الشيطان يعص الله ومن يعص الله يعذبه ومن عرف الدنيا يفرغ عنها وما قل وكفى خير مما كثر وألهى (قال عبد الواحد ابن زيد) جالسوا أهل العلم والدين فان لم تقدروا عليهم فجالسوا أهل المروآت من أهل الدنيا فانهم لا يرفثون في مجالسهم فمجالسة أهل العلم تنتج ذكاء القلوب ومجالسة اهل الدين تمحو عن القلوب صدأ الذنوب ومجالسة ذوي المروءة تدل على مكارم الاخلاق (أتى) رجل الى ربيعة الرأي يشكو اليه صعوبة دهره وتصرفه فقال ربيعة كتب

أليس الزمان كما قد علمت
فمالك تحزن من صرفه
وعندك علم به ثاقب
وعيب تدل على وصفه

يستعطفه لولاجرائم العبيد لم يظهر حلم الموالى وقد اتيتك مستجيرا بعفوك من سطوتك وحلمك من نقمتك فوقع على رقعته ليوغر بساحة العفو مع عظيم الجرم احتقارا بالمفوء نه

﴿مكرمة لانظير لها ولم يكتب المؤرخون مثلها﴾

حكوا عن محمد بن حميد الطوسى انه كان يوما على غدائه واذا بضجة عظيمة على الباب فرفع رأسه وقال لبعض غلمانه ماهذه الضجة من كان عند الباب فليدخل فخرج الغلام وعاد وقال يامولاى ان فلانا أخذ وجىء به موثوقا بالحديد والغلمان والشرط ينتظرون أمرك فيه فرفع يده من الطعام سرورا بأخذه فقال رجل ممن كان حاضرا عنده الحمد لله الذى أمكنك من عدوك فسبيلك أن تسقى الارض من دمه وقال آخر بل يصلب حيا و يعذب حتى يموت وتكلم كل أحد بما وفق له وهو ساكت مطرق ثم رفع رأسه وقال ياغلام فك عنه وثاقه وأدخله الينا مكرما فلم يكن بأسرع مما امتثل أمره وأدخل اليه رجل لادم فيه فلما رآه هش له ورفع مجلسه وأمر بتجديد الطعام وجعل يبسطه و يلقمه حتى انتهى الطعام ثم أمر له بكسوة حسنة وصلة جميلة وأمر برده الى أهله مكرما ولم يعاتبه بحرف واحد على جنايته ثم التفت الى جلسائه وقال لهم ان افضل الاصحاب من حض الصاحب على المكارم ونهاه عن ارتكاب المآثم وحسن له ان يجازى الاحسان بضعفه والاساءة عمن أساء اليه بصفحه انا اذا جازينا من أساء الينا بمثل ما أساء فاين موضع الشكر عما اتيح من الظفر أنه ينبغى لمن يحضر مجالس الملوك ان يمسك الا عن قول سديد وامر رشيد فان ذلك ادوم للنعمة واجمع للالفة ان الله تعالى يقول ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا يصلح لكم اعمالكم و يغفر لكم ذنوبكم (واحسن منها) ما كتب به المعتصم الى عبد الله بن طاهر عافانا الله واياك قد كانت عليك هنات غفرتها لك لاقدارى عليك وقد بقيت فى قلبى عليك حزازات أخاف عليك منها عند نظرى اليك فان اتاك منى الف كتاب استقدمك فيها فلا تقدم وحسبك معرفة ما انا عليه لك اطلاعى اياك على مافى ضميرى والسلام

﴿ وممن ﴾ أحسن من الاماثل الى من أساء اليه واسبل عند القدرة ستر المن عليه يزيد بن المهلب وذلك انه بلغه ان حمزة بن بيض الشاعر هجاه فأحضره وامر بتجريده وضربه وكان عليه حلة ديباج كانت للمهلب وهبها له فعسر نزعها فأمر بتخريقها فلما عزم على ذلك رآه يزيد يهمهم بشفتيه فقال له و يحك ما الذى تقول قال قلت

اعمرك ما الديباج خرقت وحده * ولكنما خرقت جلد المهلب

فاطلقه واعتذر اليه ووصله (ولما) ظفر الحجاج بمحمد بن عبد الرحمن بن الاشعث وكان قد خرج عليه وخلع عبد الملك بن مروان فأمر بضرب اعناق الجند الذين ظفر بهم حتى اتى على رجل من بنى تميم فقال والله ايها الامير لئن أسأنا فى الادب لما احسنت فى العقوبة فقال الحجاج اف لهذه الجيف اما كان فيهم من يحسن بمثل هذا وامر باطلاق من بقى وعفا عنهم

﴿ومن اخبار الحجاج فى العفو﴾ عن عدوه بعد الظفر به ما حكى انه لما ظفر بعامر بن حطاب مع جماعة من الخوارج الصفرية وكان حنقا عليه لبسالته وشجاعته ونكايته فى اصحابه فقال ياغلام اضرب عنق ابن الفاعلة فقال عامر ياحجاج بئس ما ادبك اهلك ابعد الموت غاية أستنعتك بها ما يؤمنك لو رددت عليك اضعاف ماقلت فاستحيا الحجاج منه وقال له افيك موضع للصنيعة قال اجل فأمر له بفرس وسرج وسيف وخلى سبيله (و يقال) انه لما صار الى اصحابه قالوا له عد الى قتال الفاسق فالله أطلقك فقال هيهات غل يدا مطلقها

وايامه دول والنفوس
رهون الحوادث من حتفه
فاين المعانى من النائبات
ومن صحب الدهر لم يعفه
ومن صحب الدهر لاقى الذى
ينال على الرغم من أنفه
فكن حازم الرأى واصبر له
فللحر صبر على صرفه
ولا تخضعن الى ساقط
ولو كانت الارض فى كفه
وصن حر وجهك عن بذله
بتلميسك الترب او سفه
فان اللئيم وان خلته
كريما بذودك عن عرفه
و يرجع محصول اخلاقه
الى اصله والى صنفه
فلا تسئل الناس ما يملكون
ولكن سل الله واستكفه
فكل مقل وذى ثروة
فان المنية من خلفه
ومن يقض رزق له يأته
بكل مكان و يستوفه
ولو جهد الناس لم يقدروا
على دفع ذلك ولا صرفه

(قال بعضهم) اذا رضى الله عن العبد حمله ما يطيق ودون ذلك ورزقه من حيث لا يحتسب ووفقه لفعل الخير ولم يكله الى نفسه واستنقذه من الشدائد واذا سخط على العبد حمله ما لا يطيق وابلاه بدين لا يجد قضاءه وأغراه بعدو ومن هو أقوى منه على دنياه واولعه بمطامع كاذبة ووكله الى نفسه واسلمه فى الشدائد (قال وهب بن منبه) كان فى بنى اسرائيل عابد فلبث سبعا لم يطعم هو وعياله شيأ فقالت له امرأته لو خرجت فطلبت لنا شيأ فخرج فوقف مع العمال فاستؤجر العمال وصرف الله عنه الرزق ولم يستأجره احد فقال والله لاعملن اليوم مع ربى

وارتهن رقبة معتقها (وقال)

أأقاتل الحجاج عن ملكوته * بيد تقر بانها مولاته
انى اذا لاخو الدناءة والذى * عفت على عرفانه جهلاته
ماذا أقول اذا وقفت ازاءه * فى الصف واحتجت له فعلاته
أأقول جرت على انى عندذا * لاحق من جارت عليه ولاته
تالله لا كدت الامير بآلة * وجوارحى وسلاحها آلاته
أأكيده وعلىّ سخطة خالقى * وعليه رحمة مالكى وصلاته
لأشد من كفر الكفور وجحده * نار تسوء الفحها حالاته
وتحدث الاكفاء أن صنائعا * غرست له فتحنظلت نخلاته
أبت الحزامة ان أبيت مصعرا * خدى وخيل الحق منه ولاته
فاليكم عنى فانى مفلت * هيهاته لايجرنى افلاته

(نقم) طلحة بن جعفر المتوكل المنعوت بالموفق على هرون بن عبد الملك فوقف بين يديه وأنشد

يابنى هاشم بن عبد مناف * انكم حادث العلا والقديم
ليس عندى وان تغيرت الا * طاعة محضة وقلب سليم
وانتظار الرضا فان رضا السا * دات عز وعتبهم تقويم

فعفا عنه ووصله (وكان) المهلب بن شاهين الشاعر عاملا بنهر فروة ونهر دجا العزيز الديلمى فظهرت عليه خيانة فاشخصه وتوعده فلما مثل بين يديه قال

قل للعزيز أدام ربى عزه * وأناله من خيره مكنونه
انى جنيت ولم تزل نبل الورى * يهبون للخدام مايجنونه
ولقد جمعت من الجنون فنونه * فاجمع من الصفح الجميل فنونه
من كان يرجو عفو من هو فوقه * فليعف عن جرم الذى هو دونه

فعفا عنه وأعاده الى عمله (وقال أبو الفتح) محمد بن أردشير كنت بالسيرجان مع الوزير أبى غالب الحسن بن منصور الملقب بذى السعادتين فاتفق أن شربت عنده يوما فسكرت سكرا سقط معه سفنتجتى من كمى وفيها رقاع قد اعطانيها أربابها لاتنجز لهم بوقيعاته عليها ومن جملتها رقعتان بخطى قد كتبت فى احداهما

ياقليل الخير موفور الصلف * والذى فى البغى قد حاز السرف
كن اثيما وتواضع تحتمل * وكريما يحتمل منك الصلف

(وفى الاخرى)

ياطارق الباب على عبد الصمد * لاتطرق الباب فمائم أحد

فأخذ السفنتجة وفتحها فوقع على الرقاع بجميع مافيها ووقع على الرقعة التى فيها البيتان يطلق له ألف درهم وعلى الاخرى التى فيها البيت الواحد يوجب له فى كل شهر ألف درهم من اتصال الشهر الذى نحن فيه ورد الجميع الى السفنتجة وجعلتها فى كمى وأصبحت من الغداة ولا علم عندى بما جرى فاستدعانى الى الطعام وقت الظهر فلم ير عندى اثر الفعلة التى فعلتها اذ وانا من الضالين ولا سمع منى شكرا على صنيعة فقال لى وقفت على الرقاع قلت لا أيها الوزير ثم ذكرت ما كان فى الاوراق فتصببت عرقا واشتغل قلبى لما وجد فيها بخطى فنهضت الى الرقاع فتأملتها وعدت اليه فشكرته واعتذرت مما وجد فقال لا تعتذر فانا نستحقه اذا لم نقض واجبا ولم نراع صاحبا (وحدث) محمد بن هلال بن المحسن الصابى فى كتاب الهفوات عن الفرج الرمانى الكاتب قال قدم علينا ابو القاسم المعمر بن الحسين المدلجى مع الوزير

ابى

فجاء الى ساحل البحر فاغتسل ولم يزل راكعا وساجدا حتى أمسى واتى اهله فقالت امرأته ماذا صنعت قال قد عملت مع استاذى وقد وعدنى ان يعطينى ثم غدا الى السوق فوقف مع العمال فاستؤجر العمال وصرف الله عنه الرزق ولم يستأجره احد فقال والله لاعملن اليوم مع ربى فجاء الى ساحل البحر فاغتسل ولم يزل راكعا وساجدا حتى اذا امسى اقبل الى منزله فقالت له امرأته ماذا صنعت فقال ان أستاذى قد وعدنى ان يجمع لى اجرتى فخاصمته امرأته وبرزت عليه ولبث يتقلب ظهرا لبطن وبطنا لظهر وصبيانه يتضاغون جوعا ثم غدا الى السوق فاستأجر العمال وصرف الله عنه الرزق ولم يستأجره أحد فقال والله لاعملن اليوم مع ربى فجاء الى ساحل البحر فاغتسل ولم يزل راكعا وساجدا حتى اذا أمسى قال الى اين امضى وانا قد تركت العيال يتضاغون من الجوع ثم تحامل على جهده فلما قرب من باب داره سمع ضحكا وسرورا وشم رائحة قديد وشواء فاخذ على بصره فقال انا نائم ام يقظان تركت اقواما يتضاغون جوعا واشم رائحة قديد وشواء واسمع ضحكا وسرورا ثم دنا من باب داره فطرق الباب فخرجت امرأته حاسرة قد حسرت عن ذراعيها وهى تضحك فى وجهه ثم قالت يافلان قد جاءنا رسول استاذك فأتانا بدنانير وكسوة وودك ودقيق وقال اذا جاء فلان فاقرؤا السلام وقولوا له ان استاذك يقول لك قد رأيت عملك وقد رضيته فان أنت زدتنى فى العمل زدتك فى الاجرة (قال الشاعر)

أبي القاسم العلاء بن الحسين الاهوازي وكنت اذذاك كاتب الانشاء وخليفة العلاء فبعث الى المعمر يطلب مني بغلة مسرجة ولم تكن منزلته عندي منزلة من أراعيه فرددت الرقعة مع رسوله ولم اجبه عنها ثم انه بعث الى الرقعة وعلى ظهرها مكتوب

عسى سائل ذو حاجة ان منعته * من اليوم سؤلا أن يكون له غد
فانك لاتدري اذا جاء سائل * أأنت بما تعطيه أو هو أسعد

فأعدت اليه الرقعة من غير جواب كما فعلت أولا وضرب الدهر ضرباته فصرف العلاء ووزر المدلجي وكنت اذذاك متوليا أعمالا كثيرة فانفذ الى من أشخصني الى شيراز وودت عليه وأنا لا أشك في قتلي أو القبض على لما تقدم من سوء فعلي معه فقربني وأكرمني وأقمت مترددا اليه أياما وهو يزيد في بري واكرامي وأنا من فعله متعجب وله مستطرف فلما كان بعد أيام قمت من مجلسه منصرفا فاتبعني الحاجب وقال الوزير يريد ان يخلو بك فلم يداخلني ريب في القبض على فاقمت خائفا أترقب ما يأمر به في فلما خلا مجلسه استدعاني وأسر الى بعض خدمه شيأ فمضى وعاد معه الرقعة بعينها فسلمها الى فلما رأيتها وددت أن الارض ساخت بي وقرأت بحيث يسمع ياليتني مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا فقال لي لا ترع أوقفتك على سوء فعلك حتى لا تستصغر بعدها احدا وتطرح مراعاة العواقب وليكن هذا الفصل لاخلاقك مهذبا ثم خلع علي ووصلني وردني الى عملي (والى هذا) أشار بعض البلغاء الحكماء في التحريض على اصطناع الكرام المخافضة من اقدارهم الايام في قوله أحسن الى كل من له سابقة في الادب وسابقة في الفضل ولا يزهدنك فيه سوء الحاجة منه وادبار الدولة عنه فانك لا تخلو في اصطناعك له واحسانك اليه من نفس حرة تملك رقها أو مكرمة حسنة توفي حقها فان الدهر يجبر كما يكسر والدولة تقبل ثم تدبر ومن زرع خيرا حصد أجرا ومن اصطنع حرا استفاد شكرا وأنشد

وعد من الرحمن فضلا ونعمة * عليك اذا ما جاء للخير طالب
ولا تمنعن ذا حاجة جاء راغبا * فانك لا تدري متى أنت راغب

(والجيد في هذا المعنى قول من قال)

لا تحقرن امرأ قد كان ذا ضعة * فكم وضيع من الاقوام قد رأسا
ورب قوم جفوناهم فلم نرهم * أهلا لخدمتنا صاروا لنا رؤسا

(هذا ولنعود أحمد) دخل أبو الصقر اسمعيل بن بلبل قبل وزارته للمعتمد على صاعد بن مخلد في وزارته وفي المجلس أبو العباس بن ثوابة فسأل صاعدا عن رجل فقال أبو الصقر أنفي يريد نفي فقال بن ثوابة في الخرء فتضاحك الناس وخجل أبو الصقر فلما ولي أبو الصقر الوزارة دخل عليه ابن ثوابة وقال تالله لقد آثرك الله علينا وان كنا لخاطئين فقال أبو الصقر لا تثريب عليك اليوم يا أبا العباس يغفر الله لك وهو أرحم الراحمين (وحدث) أبو هريرة الشاعر المصري قال خرجت يوما الى بركة الحبش بمصر متنزها في أيام الربيع حين أخذت الارض زخرفها وازينت ومعي آنية شراب وكتاب وكانت تلك عادتي في كل سنة فجعلت أشرب وأنادم كتابي طول يومي فلما كادت الشمس أن تغرب وتلمح في أجنحة الطير أخذت في الانصراف الى منزلي وأنا ثمل فبينا أنا أمشي واذا بفارس خرج من مصر ملتثما لا يبين من وجهه غير عينيه فسلم وقال من أين أقبل الشيخ فقلت في نفسي أحق الرحل ومن يرى معي فالتفت فاذا خلفي ذود تيوس وراع يسوقه فقلت حضرنا ملاك الوالدة أصلحك الله فضحك وانصرف ولما كان بعد أيام دخلت الى الامير تكين في حاجة فقضاها لي وأسرني بألف درهم وقال هذه حق حضورك ذاك الملاك فعلمت أنه الذي لقيني فأخذتها وانصرفت

عليك اذا ضاقت أمورك والتوت
بصبر فان الضيق مفتاحه الصبر
ولا تشكون الا الى الله وحده
فمن عنده تأتي الفوائد والنصر

(قال سفيان الثوري) دخلت على جعفر الصادق رضي الله عنه فقلت له يا ابن رسول الله مالي أراك سكنت دارك ولا تخالط الناس فقال نعم يا ابن سعيد ان في العزلة دعة وفي الدعة القناعة وما قدر لك يأتيك يا سفيان فسد الزمان * وتغير الاخوان * فرأيت الانفراد أسكن للفؤاد (قال بعضهم) ولفساد الزمان وقلة من يسكن الى مودته * ويؤمن من خلته * آثر أهل الفضل مجالسة الكتب وجعلوها عوضا مما فاتهم من مجالسة الاصحاب ووصفوها ووصفوا نفوسهم بالاقبال عليها ومن ذلك قول الشاعر

لم يبق شيء من الدنيا تسر به
الا الدفاتر فيها الشعر والسمر
مات الذين لهم فضل ومكرمة
وفي الدفاتر من احسانهم اثر

(قال بعض الحكماء) العزلة عن الناس تصون العرض وتستر الفاقة وتبعث على السلامة وترفع مؤنة المكافأة في الحقوق اللازمة وتورث الراحة وتبقي حسن الذكر وتقصر الامل * وتؤمن من الملل * وتولد الفكرة في الآخرة (وقال الشاعر)

الحمد لله لا شريك له
في صبحه دائما وفي غلسه
لم يبق لي مؤنس فيؤنسني
الا أنيس أخاف من أنسه
فاعتزل الناس ما استطعت ولا
تركن الى من يخاف من دنسه
والمرء يرجو ما ليس يدركه
والموت ادنى اليه من نفسه

﴿ملح مكارم يغتبط بها القلب والسمع لدلالتها على كرم النجار والطبع﴾

(قتل) للاحنف بن قيس ولد وكان قاتله أخو الاحنف فأتى به مكتوفا ليأخذه به فلما رآه بكى وأنشد

أقول للنفس تأنيبا وتسلية * احدى يدى اصابتني ولم ترد
كلاهما خلف من بعد صاحبه * هذا أخي حين أدعوه وذا ولدي

﴿ولآخر في معناه وقد قتل قومه اخاه ولم يقصده احد بنكاية ولا توخاه﴾

قومي هم قتلوا أميم اخي * فاذا رميت يصيبني سهمي
فلئن عفوت لاعفون جللا * ولئن سطوت لاوهنن عظمي

(وقيل) للاحنف بن قيس ممن تعلمت الحلم قال من قيس بن عاصم المنقري بينا هو ذات يوم جالس في داره اذ أتته جارية بسفود عليه شواء فسقط من يدها على ولد له صغير فمات فدهشت الجارية واختلط عقلها فلما رأى ذلك منها قال لا روع عليك اذهبي فانت حرة لله تعالى (خير منها أو مثلها) ما حكى ان بعض ملوك الفرس وكان عظيم المملكة سيء الملكة شريف الهمة شديد النقمة تقرب اليه صاحب مطبخه طعاما فوقعت نقطة من الطعام على المائدة فزوى لها الملك وجهه وأعرض عنه اعراضا تحقق به الطباخ قتله فعمد الى الصحفة فكفأها على المائدة فقال له الملك ما حملك على ما فعلت وقد علمت ان سقوط النقطة احطأت بها يدك ولم يجرها تعمدك فما عندك في الثانية قال استحيت ان يسمع عن الملك انه استوجب قتلي واستباح دمي مع قديم خدمتي ولزوم حرمتي في نقطة واحدة احطأت بها يدي ولم يجرها تعمدي فاردت ان يعظم ذنبي ليحسن بالملك قتلي ويعذر في قتل من فعل مثل فعلي فقال الملك ان كان حسن صنيعك ينجيك من القتل والتعذيب فليس منجيك من التأديب اجلدوه مائة واخلعوا عليه خلع الرضا وسوغوه انعاما يؤذن بالعفو عما مضى

﴿ولنعقب هذا الفصل من لطيف الاعتذار ما تستعطف به القلوب بعد النفار﴾

جرى بين الحسين بن علي وبين أخيه محمد بن الحنفية رضي الله عنهما كلام وافترقا متغاضبين فلما وصل محمد الى منزله كتب الى الحسين بعد البسملة من محمد بن علي الى أخيه الحسين ابن علي أما بعد فان لك شرفا لا أبلغه وفضلا لا أدركه فان أمي امرأة من بني حنيفة وأمك فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو كان ملء الارض نساء مثل أمي ما وفين بأمك فاذا قرأت رقعتي هذه فالبس رداءك ونعليك وسر الي لترضيني واياك أن أسبقك الى هذا الفضل الذي أنت أولى به مني والسلام فلبس الحسين رداءه ونعليه وجاء اليه وترضاه (وكان) في قلب الامين من اسحق الموصلي شيء فأهدى له جارية فردها فكتب اليه اسحق

هتكت الضمير برد اللطف * وكشفت أمرك لي فانكشف
فان كنت تحقد شيأ مضى * فهب للخلافة ما قد سلف
وجدلي بالعفو عن زلتي * فبالفضل تأخذ أهل الشرف

فلم يفعل فكتب اليه

أتيت ذنبا عظيما * وأنت أعظم منه
فخذ بحقك أولا * فامنن بصفحك عنه

فعاد الى الجميل (وقال) أبو بكر الصولي أحسن رقعة كتبت في الاعتذار رقعة كتب بها الراضي الى أخيه المتقي وكان قد جرى بينهما كلام بحضرة المؤدب وكان المتقي قد اعتدى على الراضي أنا معترف لك بالعبودية فرضا وأنت معترف لي بالاخوة فضلا والعبد يذنب والمولى يعفو ويغفر وقد قال الشاعر

﴿فصل﴾ (عن ابن عباس رضي الله عنه) ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له ياغلام ألا أعلمك كلمات ينفعك الله بهن احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده امامك تعرف الى الله في الرخاء يعرفك في الشدة اذا سألت فاسئل الله واذا استعنت فاستعن بالله جف القلم بما هو كائن فلو اجتمع الخلق على ان يعطوك شيأ لم يكتبه الله لك لم يقدروا عليه وعلى أن يمنعوك شيأ كتبه الله لك لم يقدروا عليه فاعمل لله بالرضى في اليقين واعلم ان في الصبر على ما تكره خيرا كثيرا وأن النصر مع الصبر وأن الفرج مع الكرب وان مع العسر يسرا (وروى عن أبي الدرداء) انه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم أوصني قال له اكتسب طيبا واعمل صالحا وسل الله رزق يوم فيوم واعدد نفسك من الموتى (وقال رجل) لرسول الله صلى الله عليه وسلم أوصني قال له اتق الله حيث كنت قال زدني قال أتبع السيئة الحسنة قال زدني قال خالط الناس بخلق حسن (ودخل) رجل على عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال له أوصني قال له أوصيك بثلاث أن تحفظ آلاء الله عليك في كل حالة كنت وان تذكر اطلاع الله عليك في كل حالة كنت وان تذكر الموت ودخول القبر على أي حالة كنت (ودخل) أبو جعفر محمد بن علي ابن الحسن بن علي رضي الله عنهم على عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه وقد ولاه فقال له أبو جعفر أوصني فقال له أوصيك بثلاث أن تتخذ صغير المسلمين ولدا

باذا

ياذا الذي يغضب في غير شئ * أعتب فعتباك حبيب الى
أنت علي أنك لى ظالم * أعز خلق الله طرا على

فلما وقف المتقى على الرقعة هبت عليه منها رياح الاريحية فعطفت منه عواطف النفس الابية ومضى اليه راضيا وأكب عليه باكيا وانحسمت بينهما مواد الهجر بقبول صادق العذر وأزيل مصون الحقد وانتظم بانتظام الشمل انتظام العقد (وقع) ذو الرياستين الفضل بن سهل الى طاهر بن الحسين والله ما أنصف انسان لئن أمرت لا تفذن ولئن أنفذت لا يرمن ولئن أبرمت لا تلفن فاجابه طاهر انما أنا أعزك الله كالامة السوداء ان حمل عليها مدمت وان رفع عنها أمسكت وان عوقبت فيما وجب عليها وان عفى عنها فبالاحسان اليها فعفا عنه (ومالطف) ما كتب به بعض الفضلاء الى أخيه يستعطفه أنت سليل نبوة وشقيق اخوة اصلهما من سوحة وفرعهما من دوحة فنحن لذة أوان ونشوان زمان ورضيعا لبان وركيضا امومة وغصنا جرثومة درجا من وكر ومهدا في حجر فكيف توقظ عين الدهر وتبسط يد الهجر وتنبه غافى الرقاد والحسود لنا بمرصاد (وكتب آخر) الى صديق يستعطفه اصفيت لك ودى واكديت لك عقدى ومحضتك اخائى ولم امزق لك صفائى فقرب الاخاء بالود انفع للغلة وانفع للعلة واسكن للروعة واشفى للوعة واطفأ للحرقة وآنس للفرقة (وقال) اعرابى لامير نقم عليه هذا مقام من لا يتكل على المعذرة بل يعتمد منك على المغفرة (وقال آخر) لان يحسن في العفو وقد اساء فانى الذنب أولى من أن يسيء بالعقوبة وقد احسن فى الاعتذار (واعتذر آخر) فقال لذت بعفوك واستجرت بصفحك فاذقنى حلاوة الرضا واجرنى من مرارة السخط فيما مضى (وكتب آخر) لكل ذنب عفو وعقوبة فذنوب الخاصة مستورة وسيآتهم مغفورة وذنب مثلى من العامة لا يغفر وكسره لا يجبر وان كان ولابد من العقوبة فعاقبنى باعراض لا يؤدى الى ابعاد ولا يفضى فى الصفح الى ميعاد ولان تحسنوا وقد اسأنا خير من ان تسيؤا وقد أحسنا فان كان الاحسان منا فما أحقكم بمكافأته وان كان منكم فما أحقكم باستتمامه ابيات فى المعنى

اقبل ذا الود عثرته وقفه * على سنن الطريق المستقيمه
ولا تسرع بمعتبة اليه * فقد يهفو ونيته سليمه

(آخر) اسأت ولم أحسن وجئتك هاربا * واين لعبد من مواليه مهرب
يؤمل غفرانا فان خاب ظنه * فما احد منه على الارض أخيب

(آخر) ان كان ذنبي قد أحاط بزلتى * فأحط بذنبي عفوك المأمولا
فلقد رجوتك فى الذى لا يرتجى * فى مثله احد فنلت السولا
وضللت عنك فلم يكن لى مذهب * فوجدت حلمك لى عليك دليلا

(آخر) يامن اسأت وبالاحسان قابلنى * وجوده لجميع الناس مبذول
قد جاء عبدك يامولاى معتذرا * وانت للعفو مرجو ومأمول

(آخر) ان الكرام اذا ما استعطفوا عطفوا * والحر يغضى ويهفو وهو معترف
والعفو بعد اقتدار فعله كرم * والهجر بعد اعتداء فعله شرف
عاقب بما شئت غير الهجر أرض به * فالهجر فيه لاحزان الفتى تلف

(آخر) هبنى أسأت فأين الفضل والكرم * اذ قادنى نحوك الاذعان والندم
ياخير من مدت الايدى اليه اما * ترثى لشيخ نعاه عندك الهرم
بالغت فى السخط فاصفح صفح مقتدر * ان الملوك اذا ما استرحموا رحموا

وأوسطهم أخا وأكبرهم أبا فارحم ولدك وصل أخاك وبر والدك واذا صنعت معروفا فربه وقال أبو جعفر المذكور أدبنى أبى بثلاث خصال ونهانى عن ثلاث قيل له وما هن يا ابن رسول الله فقال من يصحب صاحب السوء لا يسلم ومن يدخل مداخل السوء يتهم ومن لا يملك لسانه يندم ثم أنشد

عوّد لسانك قول الخير تحظ به
ان اللسان لما عوّدت معتاد
موكل بتقاضى ما سننت له
فى الخير والشر فانظر كيف ترتاد

قيل له صدق رضى الله عنه فما الذى نهاك عنهن فقال لا تعاشر حاسد نعمة أو شامتا بمصيبة أو حاملا لنميمة وأنشدنى فى ذلك

يموت الفتى من عثرة بلسانه
وليس يموت المرء من عثرة الرجل
فعثرته من فيه ترمى برأسه
وعثرته بالرجل تبرأ على مهل

(وأوصى) أبو بكر لعمر رضى الله عنهما فقال ياعمر انى مستخلفك من بعدى وموصيك بتقوى الله تعالى ان لله عملا بالليل لا يقبله بالنهار وعملا بالنهار لا يقبله بالليل وانه لا يقبل نافلة حتى تؤدى الفريضة فانما ثقلت موازين من ثقلت موازينه يوم القيامة باتباعهم الحق وثقله عليهم وحق لميزان لا يوضع فيه الا الحق أن يكون ثقيلا وانما خفت موازين من خفت موازينه يوم القيامة باتباعهم الباطل فى الدنيا وخفته عليهم وحق لميزان لا يوضع فيه الا الباطل أن يكون خفيفا وان الله ذكر أهل الجنة فذكرهم بأحسن أعمالهم وتجاوز عن سيئاتهم فاذا سمعت بهم قلت انى أخاف أن لا أكون من هؤلاء وذكر أهل

(الخبزرازى)

نحن قوم نرى فراقك عيبا * ونرى القرب منك حتما وفرضا
انت ان كنت قد غضبت جعلنا * الخدوالوجوه ارضا لترضى

(آخر)
ايالى صدودك ليست تنقضى * وعمر تجنيك ماينقضى
ومايألف القلب ياسيدى * سوى ماتحب وماترتضى

(آخر)
ما أحسن العفو من القادر * لاسيما من قادر قاهر
ان كان لى ذنب ولاذنب لى * فما له غيرك من غافر
بحرمة الود الذى بيننا * لاتفسد الاول بالآخر

(آخر)
أسأت اليك ثم اسأت عودا * فأين عوائد الصفح الجميل
واين العفو من مولى عزيز * يجود به على عبد ذليل

(آخر)
ان كنت عبدا مذنبا * فاعطف على بحسن رأيك
او كنت لست بمذنب * فدع التمادى فى جفائك

(بعض العرب)

فهلا ابيت اللعن لاتخز بيننا * بذنب امرئ امسى من العلم معدما
فما العبد بالعبد الذى ليس مذنبا * وما الرب بالرب الذى ليس منعما

(آخر)
وماقابلت سخطك باعتذار * ولكنى أقول كما تقول
سأطرق باب عفوك باعتراف * ويحكم بيننا الخلق الجميل

(آخر)
هبنى كما زعم الواشون لارجوا * انى اسأت وزلت منى القدم
وهبك جارعلى ذا العهد فى جرم * لم اجنه ضاق منك العفو والكرم
ما انصفتنى فى حكم الهوى اذن * تصغى للومى وعن عذرى بها صمم

(آخر)
اخلاقك الغر السجايا مالها * حلت ردى العنف وهى سلاف
والبشر فى مرآة وجهك ماله * يخفى وأنت الجوهر الشفاف

(آخر)
ليت شعرى وقد تمادى بك الهجر * أمنك الجفاء ام كان منى
فلئن جئته فعنك عفا الله وان كنت جئته فاعف عنى

وكل الناس عيال على النابغة الذبيانى فى قوله للنعمان بن المنذر من ابيات جاء منها

حلفت ولم أترك لنفسك ريبة * وليس وراء الله للمرء مذهب
لئن كنت قد بلغت عنى جناية * لمبلغك الواشى أغش واكذب
فلاتتركنى بالوعيد كأننى * الى الناس مطلى به القار اجرب
فلست بمستبق اخا لاتلمه * على شعث اى الرجال المهذب

(ابو نواس يستعطف الامين وكتب بها اليه من الحبس)

تذكر أمين الله والعهد يذكر * مقامى وانشاديك والناس حضر
ونثرى عليك الدر يادر هاشم * فمن ذا رأى دراعلى الدر ينثر
مضت لى شهور مذ حبست ثلاثة * كانى قد أذنبت ماليس يغفر
فان كنت لم أذنب ففيم حبستنى * وان كنت ذاذنب فعفوك أكبر

(اسحق الموصلى)

لاشئ أعظم من ذنبى سوى أملى * لعفوك اليوم عن ذنبى وعن زللى
فان يكن ذاوذاعندى قد اجتمعا * لانت أعظم من ذنبى ومن أملى

النار باقبح أعمالهم وأمسك عن حسنا تهم فاذا سمعت قلت أنا خير من هؤلاء وذكر آية الرحمة مع آية العذاب ليكون العبد راغبا راهبا ولا يتمنى على الله غير الحق فاذا حفظت وصيتى فلا يكونن غائب أحب اليك من الموت وهو آتيك وان ضيعت وصيتى فلا يكونن غائب أبغض اليك من الموت ولن تعجزه (وقال سعيد بن جبير) لابنه يابنى انى أوصيك بوصية ان لم تحفظها منى كنت جديرا الاتحفظها من غيرى يابنى اظهر للناس الجميل واياك وطلب الحاجة فانه فقر حاضر واذا صليت فصل صلاة مودع وأنت ترى ان لاتصلى بعدها أبدا وان استطعت ان تكون غدا خيرا منك أمس فافعل واياك أن تيأس عن شئ انى الله منه خيرا (وعن عمرو بن عتبة) قال قال لنا ابونا عتبة يابنى انكم صغار قوم لايحتاج اليكم ويوشك ان تكونوا كبار قوم آخرين لايستغنى عنكم فعليكم بالعلم والدين تنتظم لكم الدنيا واجعلوا أموالكم واقية لاديانكم يكون الله جارا لكم فان الموت فى طاعة الله حياة والفقر فى رضوانه غنى واذكروا ما خلقتم له وخلق لكم فانه لاينسا كم من وكل بكم واياكم والعقوق فانه يثمر العقوبة (وأوصى) بعض الحكماء ابنه فقال يابنى انك لن تنال ماتحب حتى تصبر على كثير مما تكره ولن تنجو مما تكره حتى تصبر على كثير مما تحب وقليل من الذل يدفع كثيرا من الهوان (وأوصى) آخر ابنه فقال يابنى نزه نفسك وسمعك عن استماع الخنا كما تنزه لسانك عن القول بالخنا فان السميع شريك القائل وانما نظر الى شر

﴿ الفصل الثالث من الباب الثالث عشر ﴾
فى ذم العفو عمن أساء وانتهك حرمات الرؤساء

قال الله تعالى فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم * وقال تعالى ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل (وقد ثبت) أن النبى صلى الله عليه وسلم أمر بقتل أبى عزة الشاعر لما كان يعرض به من أذى النبى صلى الله عليه وسلم بلسانه ويحرض عليه قبائل قريش وفى فعله لنا أسوة قال ابن اسحق لما أخذ أبو عزة الشاعر يوم بدر وأتى به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا رسول الله تصدق بى على بناتى واعف عنى عفا الله عنك قال نعم على أن لا تعين علىّ بقول ولا فعل فعاهده على ذلك وخلى سبيله ثم انه خرج مع أبى سفيان يحرض قريشا على قتال النبى صلى الله عليه وسلم فأخذ يوم أحد فأتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له ألم تعاهدنى على أن لا تعين علىّ بقول ولا فعل فقال غلبت فتصدق بى على بناتى واعف عنى عفا الله عنك فقال عليه الصلاة والسلام ان العفو لمكرمة ما مثلها مكرمة ولكن لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين ثم أمر بقتله فقتل

﴿ فما للحكماء من تحريض الحر على مقابلة المسىء بالنكال المر ﴾

قالوا تواضع للمحسن اليك وان كان عبدا حبشيا وانتصف ممن أساء اليك وان كان حرا قرشيا (وقال) على رضى الله عنه وكرم وجهه الخير بالخير والبادى أكرم والشر بالشر والبادى أظلم (وقال الشعبى) يعجبنى الرجل اذا سيم هونا عتته الانفة الى المكافأة وجزاء سيئة سيئة مثلها فبلغ كلامه الحجاج فقال لله دره أى رجل بين جنبيه وتمثل

ولا خير فى عرض امرئ لا يصونه * ولا خير فى حلم امرئ ذل جانبه

(وقالوا) من ترك العقوبة أغرى بالذنب ولولا السيف كثر الحيف (وقالوا) من مال معك الى الحيف فلا تحاكمه الا بالسيف (وقالوا) السفيه يخالف ولا يؤالف ويمارى ولا يدارى *وقال أوس بن حسان

اذا المرء أولاك الهوان فأوله * هوانا وان كانت قريبا أواخره
فان أنت لم تقدر على أن تهينه * فدعه الى اليوم الذى أنت قادره
وقارب اذا ما لم تكن لك حيلة * وصمم اذا أيقنت انك عاقره

(وقيل لاعرابى) أيسرك أن تدخل الجنة ولا تسىء الى من أساء اليك قال لا بل يسرنى ان أدرك الثار وأدخل مع فرعون النار * أبو عبادة البحترى

تذم الفتاة الرود شيمة بعلها * اذا بات دون الثار وهو ضجيعها

(ويقال) انما هو مالك وسيفك فازرع بمالك من شكرك واحصد بسيفك من كفرك وقال الشاعر

قط العدى قط البراعة وانتهز * بظبا السيوف سوائم الاضغان
ان البنادق ان توسع خطها * أخذت اليك مآخذ الفرزان

(وقال المأمون) الحلم يحسن بالملوك الا فى ثلاثة أشياء قادح فى ملك ومتعرض بحرم ومذيع لسر (وقال أعرابى) لابن عباس أتخاف علىّ جناحا ان ظلمنى رجل فظلمته فقال له العفو أقرب للتقوى فقال ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل وقال الشاعر

اذا كان حلم المرء عون عدوه * عليه فان الجهل أعفى وأروح
وفى الحلم صغر والعقوبة هيبة * اذا كنت تخشى أيد من عنه تصفح

(آخر) أرى اللين ضعفا والتشجع هيبة * ومن لا يهب يحمل على مركب وعر

ما فى وعائه فأفرغه فى وعائك ولو ردت كلمة حاسد وناطق بالاذى فى فيه لسعد رادها كما شقى قائلها (وأوصى) آخر ابنه فقال يا بنى اذا كنت فى نادى قوم فحدث القوم ما حاذوك بآذانهم ولحظوك بأبصارهم فاذا وجدت فترة منهم فأمسك وكف عن الشتم فانه أسلم للاعراض ومن مسب سب وأحسن جوارك يحسن ثناؤك وامنع ضيم الغريب من القريب واذا حدثت فع واذا حدثت فأوجز فان مع الاكثار يكون الاهذار ولا خير فيمن لا روية له مع الغضب ولا فيمن اذا عوتب لم يعتب (وقال) سليمان بن عبد الملك لمؤدب اولاده ليكن أول صلاح بنى اول اصلاح نفسك فان عيوبهم معصوبة فالحسن عندهم ما استحسنت والقبيح عندهم ما استقبحت علمهم كتاب الله وروهم من الحديث اشرفه ومن الشعر أعفه ولا تخرجهم من علم الى علم حتى يحكموه فان ازدحام العلوم مضلة للفهم وجنبهم مجالس السفلة والنساء وعلمهم سير الحكماء وهددهم بى وادبهم دونى وكن كالطبيب الذى لا يعجل بالدواء حتى يعلم موضع الداء فقد اتكلت على أمانتك (وقال أبان) ابن ثعلب شهدت اعرابية وهى توصى ابنها وقد أراد سفرا وهى تقول له يا بنى اجلس حتى أوصيك وبالله توفيقك ان الوصية أجدى عليك من كثير عقلك قال أبان فوقفت اسمع كلامها فاذا هى تقول يا بنى اياك والنميمة فانها تزرع الضغينة وتفرق بين المحبين واياك والتعرض للعيوب فتتخذ غرضا وخليق أن لا يثبت الغرض على كثرة السهام من الناس وقلما اعتورت السهام

وما كل حين ينفع الحلم أهله * ولا كل حين يدفع الجهل بالصبر
(وقال الجاحظ) من قابل الاساءة بالاحسان فقد خالف الله في تدبيره وظن أن رحمته دون رحمته فانه تعالى يقول من يعمل سوأ يجز به وقال تعالى فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره فجازى على الخير بالثواب والشر بالعقاب (وقال) ا[illegible] صيفي من تعمد الذنب فلا ترحمه دون العقوبة فان الادب رفق والرفق يمن * وقال أبو الطيب أحمد بن الحسين المتنبي

من الحلم أن تستعمل الجهل دونه * اذا اتسعت في الحلم طرق المظالم

(آخر) من أكرم الناس أكرموه * ووقروه و بجلوه
ومن يهنهم يهن عليهم * في جوامعه بدخلوه

(وقال الشافعي) من استغضب فلم يغضب فهو حمار كما أن من استرضى فلم يرض فانما هو جبار (وقال رجل) لابن سيرين اني وقعت فيك فاجعلني في حل قال ما أحب ان أحل لك ما حرم الله عليك (وقال) علي كرم الله وجهه ردا الحجر من حيث جاء فان الشر لا يدفع الا بالشر وقال الشاعر

ألا لا يجهلن أحد علينا * فنجهل فوق جهل الجاهلينا

﴿احتجاج من جازى السيئة بمثلها ممن ملك عقد الأمور وحلها﴾

لما ولى طاهر بن عبد الله بن الحسين خراسان بعد موت أبيه استؤمر في رجلين احدهما ضعيف والآخر عليل فوقع في أمرهما الضعيف يقوى والعليل يبرأ فان يكونا من لا يؤمن شرهما فدعهما مكانهما فان من اطلق مثلهما على الناس فهو شر منهما وشر بكم منهما في أعمالهما (واعتذر) بعض بني أمية الى السفاح فهم بالصفح عنهم فقال ابو مسلم ان الصفح مقرب الى الله تعالى مبعد من النار اذا قصد طريقه واصيب به اهله واما هؤلاء الذين تضمنت قلوبهم غدرا وأورى زندهم شرا فلم تنفد ضغائنهم ولا فنيت بوائقهم فالقتل لهم أنفى والراحة منهم أولى فأمر بقتلهم فقتلوا (ودخل) اسمعيل الملقب بسديف على السفاح وعنده سليمان بن هشام بن عبد الملك وقد ادناه واعطاه يده فقبلها فلما رأى سديف ذلك قام بين يدي السفاح وانشده قصيدة يمدحه فيها ويحرضه على قتل من ظفر به من بني أمية جاء منها

يا ابن عم النبي أنت ضياء * استبنا بك اليقين الجليا
يا وصي الشهيد أكرمك الله * فقد كنت للشهيد وصيا
لا يغرنك ما ترى من خضوع * ان تحت الضلوع داء دويا
بطن البغض في القديم فأضحى * ثابتا في قلوبهم مطويا
فضع السيف وارفع السوط حتى * لا ترى فوق ظهرها أمويا

فقام ابو العباس ودخل واذا المنديل قد القي في عنق سليمان ثم جرفذبح (ومن الأمراء وان لم يعتمد) لما اساءت البرامكة على الرشيد واراد الايقاع بهم جعل يتردد في اعمال الحيلة عليهم فتتكلم الرشيد يوما في مجلسه كلمة ترع القوم بها فكل يحكي شيئا نوعه الحكاية أو ينشد شعرا في معناها وكان في المجلس ابن عز يزفأنشد أبياتا في غير المعنى الذي كانوا بصدده كانت سببا لامضاء عزيمته على قتل البرامكة يقول فيها

ليت هندا أنجزتنا ما تعد * وشفت أنفسنا مما نجد
واستبدت مرة واحدة * انما العاجز من لا يستبد

فاستعاده منه الرشيد البيتين مرارا ثم أوقع الرشيد بالبرامكة بعد ذلك بثلاثة أيام وسند كرف

فرضا الا كلته حتى يهين ما اشتد من قوته واياك والجود بدينك والبخل بمالك واذا اهززت فاهزز كيما يلين لهزتك ولا تهزز لئيما فانه صخرة لا ينفجر ماؤها ومثل لنفسك مثال ما استحسنت من غيرك فاعمل به وما استقبحت من غيرك فاجتنبه فان المرء لا يدري عيب نفسه ومن كانت مودته لا يصدقها فعله كان صديقه منه على مثل الريح في تصرفها واعلم يا بني ان الغدر أقبح ما تعامل به الناس بينهم ومن جمع العلم والسخاء فقد أجاد الحلة ربطتها وسربالها (وأوصى) رجل ابنه فقال له يا بني ابذل المودة الصادقة تستعبد اخوانا وتتخذ أعوانا فان العداوة موجودة عتيدة والصداقة مستعذرة بعيدة وجنب كرامتك اللئام فانهم ان أحسنت اليهم لم يشكروا وان نزلت معضلة لم يصبروا واعلم ان الحسد ماحق للحسنات والزهو جالب لمقت الله عز وجل ومقت عباده والعجب صارف للازدياد من العلم داع الى الجهل والتخبط والبخل أذم الاخلاق وأجلبها لسوء الاحدوثة (وأوصى) رجل صديقا له فقال آثر بعملك معادك ولا تدع لشهوتك رشادك وليكن عقلك وزيرك الذي يدعوك الى الهدى ويعصمك من الردى ألجم هواك عن الفواحش وأطلقه في المكارم فانك تبر بذلك سلفك وتشيد به شرفك (وقال بعض العلماء وصية) لا يحملنك ما ترى من اقبال النعمة على الجاهل على الرغبة في الجهل ولا ادبارها عن العالم رغبة عن العلم فان اقبالها على الجاهل اتفاق

الفصل الأوسط من الباب الآتى من ايقاعه بهم مافيه للمتأمل مقنع وللمستخبر مستمتع ان شاء الله تعالى * ولم أر فى التعريض أبلغ من قول القائل فى قصيدة طويلة ذات معان جمة وفوائد جليلة

ما كل يوم ينال المرء ما طلبا * ولا يسوغه المقدور ما وهبا
وأعجب الناس من أن نال فرصته * لم يجعل السبب الموصول مقتضبا
وأنصف الناس فى كل المواطن من * سقى الأعادى بالكاس الذى شربا
فالعفو الاعلى الاعداء مكرمة * من قال غير الذى قد قلته كذبا
قتلت عمرا وتستبقى يزيد لقد * رأيت رأيا يجر الويل والحربا
لا تقطعن ذنب الافعى وترسلها * ان كنت شهما فأتبع رأسها الذنبا
هم جردوا السيف فاجعلهم به جزرا * هم أوقدوا النار فاجعلهم لها حطبا
واذكر بمنحاهم مثوى أبى كرب * فيهم وحبس عدى عندهم حقبا
وسيف جدك لما أن أضر بهم * جاؤا به لك فى أسلابهم سلبا
لا عفو عن مثلهم فى مثل ما طلبوا * وان يكن ذاك كان الهلك والعطبا
فهم أهل غسان ومجدهم * عال وان حاولوا ملكا فلا عجبا
ان تعف عنهم يقول الناس كلهم * لم يعف حلما ولكن عفوه رهبا
وان أحسن من ذا العفو لو هزموا * لكن هم اتبوا من سيفك الهربا
علام تقبل منهم فدية وهم * لا فضة قبلوا منه ولا ذهبا
اسق الكلاب غدا من فتية دمها * عند البرية تستسقى به الكلبا
لو لم يسر جاز أن تعفو محاجزة * والليث لا يحسن التقبا اذا وثبا

(آخر) يفيض الى الشر حتى اذا أتى * لينزل رحلى قلت للشر مرحبا
واركب ظهر الشر حتى أذله * اذا لم أجد الا على الشر مركبا
وأكوى بلا نار أناسا بظلمهم * واصفح أحيانا وان كنت مغضبا

(ولله در من قال)

اذا آمن الجهال جهلك مرة * فعرضك للجهال غنم من الغنم
وان أنت باريت السفيه اذا انتمى * فأنت سفيه مثله غير ذى حلم
فلا تعترض عرض السفيه وداره * بحلم فان أعيا عليك فبالصرم
وغم عليه الجهل والحلم والفه * بمنزلة بين العداوة والحلم
فيرجوك تارات ويخشاك تارة * وتأخذ فيما بين ذلك بالحزم
فان لم تجد بدا من الجهل فاستعن * عليه بجهال فذاك من العزم
ودع عنك فى كل الامور عتابه * فانك ان عاتبته كان كالخصم
ومن عاتب الجهال لم يشف نفسه * ولكنه يزداد سقما على سقم

(آخر) حبست لكم نفسى على الحلم والرضا * فيأمن ذو خوف ويدرك طالب
اذا أنت لم تصلح لسيفك ماجنى * سفيهك صارت فى الصدور معاتب

(المتنبى)

لا يسلم الشرف الرفيع من الاذى * حتى يراق على جوانبه الدم

﴿ نبذة من أدنى النقض والابرام فى ذم مكافأة اللئيم بالاكرام ﴾

(قالوا) العفو يفسد من اللئيم بقدر ما يصلح من الكريم (وقال) معاوية بن يزيد بن

واقبالها على العالم استحقاق وليس مستحق النعمة ومستوجبها كحاملها بغير استحقاق (وقال بعض الصالحين) لابنه يا بنى نفسك مسترهنة بأعمالك والايام مقربة لآجالك فاشتر نفسك مادامت السوق قائمة والثمن موجودا والربح مضمونا ولا تسوفها لوقت تكون السوق فيه كاسدة والآمال منقطعة متباعدة ولا سبيل الى استدراكها وقد حيل بينك وبين الثمن وهو العمل وما أحسن قول القائل

اذا أنت لم تزرع وأبصرت حاصدا
ندمت على التفريط فى زمن البذر

فالنجاة النجاة قبل حلول الوفاة والعجل العجل قبل هجوم الاجل فالويل كل الويل لمن فرط حتى تورط وآثر الاهمال حتى صار فى حيز الاهمال ثم هجم عليه مفرق الاحباب فحينئذ تنقطع به الاسباب ويسدودونه طريق الاياب ويندم يوم لا ينفع الندم حين تأخر ولم يتقدم وانظر الى قول بعض الشعراء

قلت للنفس ان أردت رجوعا
فارجعى قبل أن يسد الطريق

وقال نعمان لابنه يا بنى جالس قوما يذكرون الله بطاعته فان كنت عالما نفعك علمك وان كنت جاهلا علموك وان نزلت عليهم رحمة أو رزق كان لك فيه معهم حظ ولا تجالس قوما لا يذكرون الله فان كنت عالما لم ينفعك علمك وان كنت جاهلا زادوك جهلا وان نزلت عليهم لعنة أو سخط شاركتهم فيه وقال بعض الحكماء لصاحب له ارض بالقضاء واصحب الدنيا على علاتها فانك لا ترى الا أحد رجلين متقدما أخره

معاوية لابيه هل ذممت عاقبة حلم قط قال ما حلمت عن لئيم وان كان وليا الا أعقبني ندما على ما فعلت وقال الشاعر

متى تضع الكرامة فى لئيم * فانك قد أسأت الى الكرامه
وقد ذهبت صنيعته ضياعا * وكان جزاء فاعلها الندامه

(وقالوا) جنب كرامتك اللئام فانك ان أحسنت اليهم لم يشكروا وان أساؤا لم يستغفروا

(شاعر) ان ذا اللؤم اذا أكرمته * حسب الاكرام حقا يلزمك
فأهنه انه من لؤمه * أن تسميه بهوان يكرمك

(ولآخر) ان اللئيم اذا رأى * لينا تزيد فى حرانه
لا تخدعن فصلاح من * جهل الكرامة فى هوانه

(ويقال) اللئام الى رهبوت أحوج منهم الى رحموت (المتنبى)

ووضع الندى فى موضع السيف بالعلا * مضر كوضع السيف فى موضع الندى

(وقالوا) الكريم يصلح بالاحسان والكرامة واللئيم بالهوان والملامة

(المتنبى) اذا أنت أكرمت الكريم ملكته * وان أنت أكرمت اللئيم تمردا

(ابراهيم بن المهدى)

اذا كنت بين الحلم والجهل ناقلا * وخيرت أنى شئت فالحلم أفضل
ولكن اذا أنصفت من ليس منصفا * ولم يرض منك الحلم فالجهل أنبل
اذا جاءنى من يطلب الجهل عامدا * فانى سأعطيه الذى جاء يسأل
ولم أعطه اياه الا لأنه * وان كان مكروها من الذل أجمل
وفى الحير ابطاء فان جاء عاجلا * كما تشتهيه النفس فالشر أعجل

(وينسب لعلى رضى الله عنه)

لئن كنت محتاجا الى الحلم اننى * الى الجهل فى بعض الاحايين أحوج
ولى فرس للخير بالخير ملجم * ولى فرس للشر بالشر مسرج
فمن شاء تقويمى فانى مقوم * ومن شاء تعويجى فانى معوج
وما كنت أرضى الجهل جدا ولا أبا * ولكننى أرضى به حين أحرج
فان قال بعض الناس فيه سماجة * لقد صدقوا والذل بالحر أسمج

(أبو نواس) فى الناس ان جربته * من لا يعزك أو تذله
فاترك مداراة اللئيم * فان فيها العجز كله

الباب الرابع عشر فى الانتقام وفيه ثلاثة فصول

﴿الفصل الأول من هذا الباب﴾
فى التشفى والانتقام ممن أحضر قسرا فى المقام

قال الله تعالى واذا ما غضبوا هم يغفرون ولم يقل هم يقتلون وفى هذا دليل على أن الانتقام قبيح فعله على الكرام فانهم قالوا الكريم اذا قدر غفر واذا عثر بمساءة ستر واللئيم اذا ظفر عقر واذا أمن غدر

(ولنقدم كلاما شافيا فى ذم الغضب اذ هو الزمام القائد للعطب)

جاء فى تفسير قول الله تعالى ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون أن الطائف من الشيطان هو الغضب (ويروى) ان رجلا قال للنبى صلى الله عليه وسلم

حظه أو منا آخر اقدمه حظه فان لم ترض بالحال التى أنت فيها وان كانت دون أملك واستحقاقك اختيارا والا رضيت بها اضطرارا

﴿قال الشاعر﴾

اصبر على القدر المحتوم وارض به
وان أتاك بما لا تشتهى القدر

وقال آخر لصاحب له اياك أن تدنس عرضك بالمعاصى فان الماء لا يغسله ولا تستغفر لذنبك الا ربك فان سواه لا يغفره وأخلص لله عملك لعله سيقبله وفى مثل هذا ﴿يقول الشاعر﴾

الماء يغسل ما بالجسم من دنس
وليس يغسل قلب المذنب الماء

(وقال بعض العلماء) اذا ابتليت فثق بالله ولا تجزع واذا عوفيت فاشكر الله ولا تنقطع واذا وقف بك أمر فلا تيأس ولا تطمع وفوض أمرك الى الله فنعم الملجأ ونعم المرجع فاذا فعلت فقد فزت بخير الدارين أجمع ﴿قال الشاعر﴾

اذا ابتليت فثق بالله وارض به
ان الذى يكشف البلوى هو الله
اذا قضى الله فاستسلم لقدرته
ما لامرئ حيلة فيما قضى الله
اليأس يقطع احيانا بصاحبه
لا تيأسن فنعم القادر الله

(وقال بعض العلماء) لابنه يا بنى اياك والجزع على ما فات والطمع فيما لا يرجى وما اشتد خطب الا وأعقبه فرج ولا انسد باب الا سوف ينفرج فان الله عز وجل قد جعل مع العسر يسرين وجعل فى الصبر خير الدارين ومازال مع الصبر الظفر والانس ومع الجزع الكدر واليأس فاختر لنفسك ما يدنيك الى الله ويقربك واطرح عنها ما يحزنك ويكربك ﴿قال الشاعر﴾

وسلم يارسول الله قل لى قولا ينفعنى الله به واقلل لعلى أعرفه قال لا تغضب فاعاد عليه المسألة قال لا تغضب فاعاد عليه المسئلة قال لا تغضب (وقال) يحيى بن زكريا لعيسى عليهما السلام أخبرنى بما يقربنى من رضا ربى و يبعدنى من سخطه قال لا تغضب (وقال) رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تعدون الشديد فيكم قالوا الذى لا يصرعه الرجال قال لا ولكنه الذى يملك نفسه عند الغضب (وذكر) أن جعفر بن محمد الصادق دخل على المهدى وقد امتلأ غضبا على انسان فقال يا أمير المؤمنين انك لا تغضب الا لله فلا تغضب له أكثر من غضبه لنفسه (وقد) قال بعض الحكماء اياكم والغضب فرب غضب استحق به الغضبان غضب الله عز وجل عليه (ويقال) ان فى التوراة يابن آدم لا تغضب فاغضب عليك يابن آدم اذكرنى حين تغضب أذكرك حين أغضب فلا أمحقك فيمن أمحق (وقالوا) اياك وعزة الغضب فانها تفضى بك الى ذلة الاعتذار (وقالوا) الغضب على من لا تملك لؤم وعلى من تملك شؤم (وقال) بعض الاعراب الغضب عدو العقل فانه يحول بين صاحبه و بين العقل والفهم فيستولى عليه سلطان الهوى فيصرفه عن الحسن وهو الاحتمال الى القبيح وهو الغضب ومن عصى الحق عمره الباطل (وقال ابن المعتز) الغضب يصدئ القلب حتى لا يرى صاحبه شيأ حسنا فيفعله ولا قبيحا فيجتنبه (ويقال) ما ترك شيأ من الاحوال الذميمه ولا تأخر عن سبب من الاسباب اللئيمة من أنفذ غضبه وأساء فى الانتقام أدبه واستطاب فعله واستعذبه (وقالوا) ليس من عادات الكرام سرعة الغضب والانتقام (وقالوا) ثلاثة يعذرون فى المجانين وان كانوا عقلاء الغضبان والسكران والغيران (وقال) عمر بن عبد العزيز ثلاثة من كن فيه فقد استكمل الايمان من اذا غضب لم يخرجه غضبه الى الباطل واذا رضى لم يخرجه رضاه عن الحق واذا قام جدال لا يأخذ ما ليس له * واذا تمكن منه الغضب على أحد حبسه ثلاثة أيام حتى يسكن غضبه ثم يحضره فان وجب عليه العقوبة عاقبه والا أطلقه

ما اخترناه من كلام الحكماء وأقوال الكرام الاماجد فى ذم التشفى من العدو والمعاند

قالت عائشة رضى الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينتقم لنفسه الا أن تنتهك حرمة من حرمات الله تعالى فينتقم لله بها (وقالوا) أقبح المكافأة المكافأة بالاساءة (وقال معاوية) ان أولى الناس بالعفو أقدرهم على العقوبة (وقالوا) الاقتدار يمنع الحر من الانتصار (وقال) على رضى الله عنه أنا الى العفو والرحمة أقرب منى الى العقوبة والنقمة (وقال) جعفر الصادق لان أندم على العفو عشر مرة أحب الى من أن أندم على العقوبة مرة واحدة * وحكى أن رجلا من قريش كان يطلب رجلا يدخل فى الجاهلية فلما ظفر به قال لولا أن القدرة تذهب الحفيظة لانتقمت منك وتركه * ولهذا يقال كل عز يدخل تحت القدرة واتضح بالتنصل عذره فهو ذليل حقه على من قدره بالقدرة جليل أن يتعمد اساءته بالاحسان اليه و يقلد اساده بالامتنان عليه و ينزله من اكرامه منزلة المطيع من خدامه و يعفيه من عتبه وملامه كما أعفاه من سخطه وانتقامه (وقيل) أقبح افعال ذوى التمكن والاقتدار عقوبة من التجأ الى الاعتذار * شاعر

ليست الاحلام فى حال الرضا * انما الاحلام فى حال الغضب

(وقال المنصور) فى كلام لولده المهدى لذة العفو أطيب من لذة التشفى وذلك أن لذة العفو يلحقها حمد العاقبة ولذة التشفى يلحقها ذم الندم * ويحكى عن عنان بن خريم أنه دخل على

لا تجزعن ان سفت للخطب أيام
فربما ساعدت للسعد أعوام
وان تعرض عسر فانتظر فرجا
صرف الليالى كذا بؤس وانعام

(ولما) حضرت الوفاة هرم بن حيان قيل له أوص قال ما أدرى بما أوصى ولكن بيعوا درعى واقضوا دينى فان لم تف فبيعوا فرسى فان لم تف فبيعوا غلامى وعليكم بخواتم سورة النحل (قال قتادة) أوصى والله بجماع الامر وبما أوصى به الله عز وجل ومن أوصى بما أوصى به الله فقد أبلغ (وقال بعض العلماء) لا أحد أجمع من السفيه للخلال المذمومة وأبعد منه من الخصال المحمودة فانه لا يستحى من المحال ولا يرى العار فى حال فاحذره جهدك و باعده عمرك فان اضطرك الدهر الى الجمع به فأعد له حلما تقمع به شره وصبرا تقمع به ضره ولا تبتئس بما أعلق بك ولا تبال عما أصاب اليك وكن معه كمن مر بروضة شوك يسعى فى تخليص جسده عنها ولم يسئل عما تعلق بثيابه منها (وقال) رجل لبعض الصالحين أوصنى فقال له اتق الله سرك وعلانيتك وافعل الخير ما أمكنك ولا تضيع أمانة من ائتمنك وأصدق الحديث ساءك أو أحزنك فان فعلت ذلك فقد استعدت السياسة رسنك وأرحت من المكاره قلبك وبدنك (وقال) بعض الصالحين لبنيه يا بنى لا تبخلوا برزق الله على عباد الله تفوزوا بالشكر وتحصلوا على الاجر ويوسع عليكم فى الرزق فان لم تجدوا فبكلمة طيبة فانها صدقة وان مر بكم ذو فاقة فلا تحوجوه الى السؤال فانه مقام اذلال فان لم تقدروا فتحية مباركة

المنصور وقد قدم بين يديه جماعة كانوا قد خرجوا عليه ليقتلهم فقال أحدهم يا أمير المؤمنين من انتقم فقد شفى غيظه وأخذ حقه ومن أشفى غيظه وأخذ حقه لم يجب شكره ولم يحسن في العالمين ذكره وانك ان انتقمت فقد انتصفت واذا عفوت فقد تفضلت على أن اقالتك عثار عباد الله موجبة لاقالته عثرتك وعفوك عنهم موصل بعفوه عنك فقبل قوله وعفا عنهم * وقال الشاعر

لذة العفو ان نظرت بعين الـ * ـعدل اشفى من لذة الانتقام
هذه تكسب المحامد والحمـ * ـد وهذه تجئ بالآثام

(والعرب تقول) لا سودد مع الانتقام * وقالوا سرعة العقوبة من لؤم الظفر (وقيل) ليس من الكرم عقوبة من لا يجد امتناعا من السطوة * واسر علي رجلا من أصحاب عائشة رضي الله عنها يوم وقعة الجمل فقيل له ويلك وأنت ممن ألب علينا فقام الأشتر فقال دعني أضرب عنقه يا أمير المؤمنين فقال الرجل يا أمير المؤمنين لان تلقى الله وقد عفوت عني خير لك من أن تلقاه وقد شفيت غيظك وانتصرت لنفسك فقال اذهب حيث شئت * وأنشد للمأمون

يخشى عدوي من بعيد سطوتي * فاذا قدرت على العدو عفوت

(وقال بعض الحكماء) التزين بالعفو خير من التقبح بالانتقام * وقال علي رضي الله عنه ليس شئ بخير من الخير الا ثوابه وكل شئ في الدنيا سماعه أعظم من عيانه وكل شئ في الآخرة عيانه أعظم من سماعه (ويقال) التشفي طرف من العجز ومن رضي به لا يكون بينه وبين الظالم الاستر رقيق وحجاب ضعيف ولان يثني عليك بسعة الصدر خير من أن تذم بضيقه (وقال ابن المعتز) مبالغة المقتدر في العقوبة تقربه من غضب الله وتبعده من انتساب الكرم اليه (وقال) كفى بالظفر شفيعا للمذنب الى القادر (وقال بعض الحكماء) لا يحملنك الحنق على اقتراف اثم يشفي غيظك ويسقم دينك (ويقال) لا تشن حسن الظفر بقبيح الانتقام (وقالوا) عقوبة المقتدر تبدأ به تقبيح صورته وتثلم حسبه وتعجل ندمه * شاعر

اذا أنت لم تصبر على الحقد لم تفز * بمجد ولم تسعد بتقريظ مادح

(آخر) رأيت انتقام المرء يزري بعقله * وان لم يقع الا بأهل الجرائم

(وقال) الفضيل بن عياض لا يكون العبد من المتقين حتى يأمن عدوه بوائقه (وقلت) أنم مسرفا في الانتقام فلان منزوع الرحمة من قلبه مصروف الوجه عن المعترف بذنبه يرى العفو مغرما والعقوبة مغنما ان ضحكت في وجهه عبس وان تخاضعت له شمس لا يرقب في المسئ الا ولا ذمة ولو شفع فيه سواد الامة * ومن رسالة للبديع الهمداني يصف ملكا عظيم الشان يحسبه المتأمل انسانا وهو شيطان وفلان سماء اذا تغيم لم يرج صحوه واذا تغير لم يشرب صفوه واذا سخط لم ينتظر غيره ليس بين رضاه والسخط عوجة كما ليس بين غضبه والسيف فرجة وليس من سخطه مجاز كما ليس بين الموت والحياة معه حجاز تغضبه الجرم الخفي ولا يرضيه العذر الجلي وتكفيه الجناية وهي أرجاف ثم لا يشفيه العقوبة وهي اجحاف حتى انه يرى الذنب وهو أضيق من ظل الرمح ويعمى عن العذر وهو أبين من عمود الصبح وهو ذو أذنين يسمع بهذه القول وهو بهتان ويحجب بهذه العذر وهو برهان وذو يدين يبسط أحدها الى السفك والسفح ويقبض الأخرى عن العفو والصفح وذو عينين يفتح أحدهما الى الجرم ويغمض الأخرى عن الحلم فرحه بين القد والقطع وحده بين السيف والنطع ومراده بين الظهور والكمون وأمره بين الكاف والنون ثم لا يعرف من العقاب الا ضرب الرقاب ولا من التأديب غير اراقة الدماء ولا يهتدي الا الى ازالة النعماء ولا يحلم عن الهفوة كوزن الهبوة ولا يغضي عن السقطة بجرم النقطة ثم ان

النقم

فان فيها أنسا (وقالت) أعرابية لابنها يا بني عليك بحسن الخلق وجميل العشرة ولطف الموافقة ولين الجانب والاحتمال لأصاحب وكف الاذى والمقاسمة في العزاء فانك تستميل القلوب وتنال كل مرغوب ويحفظك علام الغيوب (وأوصى) طاوس رجلا فقال له اني أجمع لك العلم كله في ثلاث كلمات خف الله حتى لا يكون أحد أخوف لك منه وارج الله حتى لا يكون أحد أرجى عندك منه وأحب الله حتى لا يكون أحد أحب اليك منه فاذا فعلت ذلك فقد علمت علم الاولين والآخرين (وأوصى) بعض الملوك ابنه فقال يا بني كن بما علمت عمولا وعما جهلت سؤلا وافحص الامر يتجل لك واستبطن أهل التقوى وذوي الاحساب تزن نفسك وتحكم أمرك ولا تحض بسرك من لا يكتمه ولا تول أمرك من لا يفهمه ولا تثق برجل تتهمه ولا تعود لسانك الخنا وكثرة التألي ولا تكلف نفسك ما لا تقدر عليه واذا هممت بأمر خير فعجله واذا هممت بأمر شر فتأن فيه واياك وقبول التزكية فيما لا تشك فيه انك مكذوب فانها خدعة تتبعها ضرعة (وقال بعض الحكماء) ذللوا أخلاقكم للمحاسن وقودوها الى المحامد وعلموها المكارم وعودوها الجميل واصبروا على الايثار على أنفسكم وتكرموا بالغنى عن الاستقصاء وعظموا أقداركم بالتغافل عن دني الامر وامسكوا رمق الضعيف بالمعونة وصلوا من رغب اليكم بجاهكم ان لم يكن بما لكم ولا تقيموا على خلق تذمونه من غيركم وأصلحوا ما بدر

النقم بين لفظه وقلمه والارض تحت يده وقدمه فلا يلقاه الولي الا بنعمه ولا العدو الا بذمه فالارواح بين حبسه واطلاقه كما أن الأجسام بين حله ووثاقه

﴿ ومما ينتظم في سلك هذا المقول مدح التراحم الراضي به أرباب العقول ﴾

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الراحمون يرحمهم الرحمن يوم القيامة ارحموا من في الارض يرحمكم من في السماء (وقال) عليه الصلاة والسلام لا ينزع الله الرحمة الا من قلب شقي * وقالوا أمن كرم أصله لان قلبه * وقيل من أمارات الكريم الرحمة ومن أمارات اللئيم القسوة (وقالوا) من شكر الظفر الصفح عن الذنوب والستر للعيوب (وفي الحديث) ان الله رحيم يحب من عباده الرحماء * وقال الاقرع بن حابس لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقد رآه يقبل الحسن ان لي عشرة أولاد ما قبلت أحدا منهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لا يرحم لا يرحم (وقال) مالك بن دينار ما ضرب الله عبدا بعقوبة أعظم من قسوة القلب ولا غضب الله على قوم الا نزع منهم الرحمة * وكان أبو بكر الصديق رضي الله عنه أشجع الناس اذا لقي الناس وأرحم الناس اذا استحكم الباس ويقال أرق الناس قلوبا أقلهم ذنوبا (وقال) عمر بن عبد العزيز استدعوا العفو عن الناس والرحمة من الله بالرحمة لهم * وفي بعض الكتب المنزلة يقول الله تعالى ان كنتم تريدون رحمتي فارحموا عبادي * شاعر

ابغ للناس من الخيـ * ـر كما تبغي لنفسك
وارحم الناس جميعا * انهم أبناء جنسك

﴿ الفصل الثاني من الباب الرابع عشر ﴾
في ذكر من ظفر فعاقب بأشد العقوبة ومن رافب

لما ظفر رسول الله صلى الله عليه وسلم بعقبة بن أبي معيط أمر بصلبه الى شجرة فقال يا رسول الله أنا من بين قريش قال نعم قال فمن للصبية قال النار فصلب رواه أبو داود في مراسيله وغيره وقيل انه أول مصلوب صلب في الاسلام (وكان) النضر بن الحرث بن كلدة شديد العداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم فلما كان يوم بدر أخذ أسيرا فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتله فقتله علي رضي الله عنه صبرا وذكر أن أخته قتيلة بنت الحرث تعرضت لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يطوف بالبيت فاستوقفته فوقف فأنشدته

يا راكبا ان الأثيل مظنة * من صبح خامسة وأنت موفق
أبلغ بها ميتا بأن تحية * ما ان تزال بها الركائب تخفق
مني اليك وعبرة مسفوحة * جادت لمائحها وأخرى تخنق
هل يسمعني النضر ان ناديته * ان كان يسمع ميت من ينطق
ظلت سيوف بني أبيه تنوشه * لله ارحام هناك تمزق
قسرا يقاد الى ابيه متعبا * رسف المقيد وهو عان موثق
أمحمد ولأنت نجل كريمة * في قومها والفحل فحل معرق
ما كان ضرك لو مننت وربما * منّ الفتى وهو المغيظ المحنق
لو كنت قابل فدية لفديته * بأعز ما يغلو به من ينفق
فالنضر أقرب من قتلت قرابة * وأحقهم ان كان عتق يعتق

فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم شعرها رق لها وقال لو كنت سمعت شعرها من قبل ما قتلته (ولما) فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة أمر بقتل ستة نفر وأربع نسوة فأما

منكم ولو بالتخلق ان لم تكن حشمة واياكم والكبر فانه رأس المقت وثوب البغضة عند الله والناس (وقال بعضهم) أكثر من مخالطة أهل الادب فان صلاح الاخلاق وفسادها كثيرا ما يكون ذلك على قدر أخلاق الذين تطيل صحبتهم وتواظب على معاشرتهم وكثيرا ما يفسد الطبع الحسن معاشرة أهل الجهل والريب فانظر من تصحبه فانك موسوم بسيما من صحبت فتحفظ من دخلاء السوء وأظهر مجانبة أهل الريب واذا نظرت فيمن تراه لاخائك فان كان من أهل الدين فليكن فقيها غير مراء ولا حريص وان كان من اخوان الدنيا فليكن حسيبا غير جاهل ولا كذاب ولا شرير فان الجاهل أهل أن يفر عنه أبواه وان الكذاب لا يصدق في مودته وان الشرير ان سلمت من شره أكسبك شر غيره (وأوصى) سفيان الثوري بعض اخوانه فقال اطلب العلم للعمل به ولا تطلبه لتباهي به العلماء وتماري به السفهاء وتأكل به الاغنياء وتستخدم به الفقراء فقد بلغنا أن من طلب الخير صار غريبا في زمانه فلا يستوحش واستقم على سبيل ربك فانك اذا فعلت ذلك كان مولاك الله وجبريل وصالح المومنين واشتغل بذكر عيوب نفسك عن عيوب غيرك واحزن على ما مضى من عمرك في غير طلب آخرتك وأكثر من البكاء على ما أوقرت ظهرك به من الذنوب لعلك تخلص منها وان أردت اللحاق بالصالحين فاعمل بأعمالهم واكتف بما أصبت من الدنيا ولا تنس من لا ينساك ولا تغفل

النفر فعكرمة بن أبي جهل وهبار بن الاسود وعبد الله بن أبي سرح ومقيس بن صبابة والحويرث بن نقيد وهلال بن عبد الله ابن خطل فأما عكرمة فانه هرب ثم أسلم وهرب هبار ابن الاسود ثم أسلم بعد ذلك وكذلك عبد الله بن أبي سرح وأما مقيس بن صبابة فقتله نميلة وأما الحويرث فهرب فلقيه علي بن أبي طالب فقتله وأما هلال بن عبد الله بن خطل فقتله عمار بن ياسر بين الركن والمقام * وأما النساء فهند بنت عتبة وسارية مولاة عمرو بن هشام وقينتا هلال بن عبد الله بن خطل كانتا تغنيان بهجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فاما هند فاسلمت وأما سارية فقتلها علي رضي الله عنه وأما قينتا هلال فقتلت احداهما وأسلمت الاخرى (وقدم) اناس من عرينة على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فاسلموا وكانوا في الصفة فقطنوا المدينة فسقمت أجسادهم فشكوا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ألا تخرجون مع راعينا في ابله فتشربون من البانها وأبوالها قالوا بلى نفر جوا فشربوا الالبان والابوال فصحوا فلما صحوا فقتلوا الراعي وارتدوا عن الاسلام واستاقوا الابل فجاء الصريخ الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فبعث في أثرهم فما ترحل النهار حتى أتى بهم فقطع أيديهم وأرجلهم وسمل أعينهم وتركهم في الحرة حتى ماتوا (وكان) عمرو ابن هند من أشد ملوك العرب بأسا وأسوأهم قدرة وأعظمهم جراءة يذكر عنه أنه لما قتلت بنو تميم أخاه سعدا لغضب وآلى على نفسه أنه متى ظفر بهم قتل رجالهم وسبي حريمهم فلما ظفر بهم أحمى لهم الصفا ومشى عليه من رجالهم من بلغ أجله فأتى بشاب ليمشي عليه كما فعل أصحابه وأقبلت أمه معه فلما رأت الصفا وشدة وهجه قطعت ثدييها ورمت بهما على الصفا وقالت يا بني ق بثديي قدميك وآقال بوطئهما ألملك ثم أنشدت

أبني لو قبل الفداء لجدت بالـ * كبد التي أضحت عليك تقطع
ياليت حر النار باشر مهجتي * أوليت خدي فوق خدك يلذع

فرق لها عمرو وأمر باطلاق ولدها واطلاق من بقي من قومها (وروى) ابن الكلبي عن أبيه قال أول من خرج من الحرم بعض اياد وتغلب وانتشروا في أرض نجد فبعث اليهم الملك زيد بن يرعش فغزاهم فابلى فيهم وأسر وسبي فلما قدم على الملك عرض الاسرى على السيف فقرب شابا من اياد ليقتل فاقبلت أمه وهي تقول

يا أيها الملك المغيث القاهر * الحلم يلزم حين يعفو القادر
هذا عبيدك مسلم بجريرة * بادي الضراعة أو منيق عاثر
ان تسط تسط محكما أو تعفون * فالذنب يغفره المليك الغافر
لاذوا بعفوك من عقابك بعدما * جردت لهامنظومة وخناجر
فاصرف الى الابقاء عزمك فيهم * طولا فليس لهم مجير ناصر

فرق لها الملك وقال لها الك مالاثة خمار لك منهم فأقبلت تخط خمارها شققا وتصل بعضها ببعض حتى ضم طرفاه مائة رجل أو أكثر فاستضحك الملك وأمر باطلاقهم وقتل الباقين ❊(ومن)❊ الحقد المستبشع والتشفي المستشنع ما ذكره ابن حمدون في تذكرته عن عبد الله بن الزبير حين ظفر باخيه عمرو وكان يشايع بني أمية وهدم دور قوم بالمدينة في هواهم فلما ولي أخوه عبد الله الخلافة أخذه وأقامه للناس ليقتصوا منه فبالغ كل ذي حقد عليه في الاقتصاص وكان عبد الله لا يسأل أحدا ادعى عليه شيأ بينة ولا حجة وكان أرباب الحقوق يدخلون عليه السجن يضربونه والقيح ينضح من ظهره على الارض والحائط فلما لم يبق أحد من ذوي الحقوق أمر أن يرسل عليه الجعلان فكانت تدب عليه فتنقب لحمه وهو معقول لا يستطيع حركة حتى مات فدخل الموكل به على عبد الله وفي يده عس لبن يريد أن يسخر به وهو يبكي

قال

عمن قد وكل بك من يحصي أثرك ويطلب عملك وراقب الله في سريرتك وعلانيتك فهو رقيب عليك واستحي ممن هو معك وهو أقرب اليك من حبل الوريد واعرف من فاقة نفسك وحقارة منزلتها فانك ان لم ترحمها لم ترحم ولا تغشها ولا توردها الموارد وخذ منها لك وأكثر البكاء على نفسك فانك لست من الضحك بسبيل (وأوصى) بعض أئمة الصوفية ولده فقال يا بني عليك بالسيرة الجميلة والهمة الجليلة والسير على الطريقة والجمع بين الشريعة والحقيقة ولا يظهر عليك الاسر محزون وأمر موزون وفكر يجول فيما هو كائن ويكون واجعل الشرع في يمينك والعقل في شمالك والتفويض بينهما واحكم في شأنك كله بالكتاب والسنة والاجماع والقياس وعامل نفسك وغيرك بالمعروف وعليك بالتجلي والتحلي وبالبسط عند القبض وبالشكر لله على كل حال وورد لا تغفل عنه ان فاتك بالليل فاخلفه في النهار أوفاجعله في الذكر واعلم ان بالعلم يصعد السعداء الى المراتب العلية وبالعمل الصالح يثبتون عليها وقد صح ان العلم يفيد الكمالات كما ان العمل الصالح يحفظها ولا تعاشر أحدا غير اخوانك واهجر منهم من أهمل الادب حتى يستغفر الله وعليك باحترام كل مسلم ولا تسمح في قليل من المنكر ولا كثيره وصم الليالي البيض وتصدق كل يوم ولو بتمرة أو بصلة وحسن ظنك بأولياء الله فهم أبواب الخير وصل الصلوات الخمس في جامع خطبة

❊(فصل)❊

قال له أمات قال نعم قال أبعده ثم تناول العس فشرب ما فيه وقال لا تغسلوه ولا تكفنوه وادفنوه في مقابر المشركين فدفن بها (وكان الحجاج) شديد الوطأة على الجناة ذكر أهل التاريخ أنه لما مات أحصى من قتل صبرا سوى من قتل في حروبه وسراياه فوجدوا مائة ألف وعشرين ألفا ومات في حبسه خمسون ألف رجل وثلاثون ألف امرأة منهن ست آلاف مخدرات وكان يحبس الرجال والنساء في موضع واحد ولم يكن لحبسه سقف يقيهم الحر والبرد وكان الحراس يحصبونهم اذا استظلوا من وهج الشمس وزمهرير البرد ولما أخرجوا بعد موته كان فيهم أعرابي فقيل له كم كان لك في السجن قال اثنتا عشرة سنة قيل له فما ذنبك قال بلت في ربض واسط ولما أطلق جعل يعدو وهو يقول

اذا نحن جاوزنا مدينة واسط * خرينا وبلنا لا نخاف عقابا

(وذكر) أهل التاريخ أيضا انه ركب يوم جمعة يريد الجامع فسمع ضجة عظيمة فقال ما هذا قالوا أهل السجن يشكون ما هم فيه فالتفت الى ناحيتهم وقال اخسؤا فيها ولا تكلمون فيقال انه مات في تلك الجمعة بواسط سنة خمس وتسعين وهو ابن أربع وخمسين سنة * وآخر كلام سمع منه اللهم اغفر لي فان عبادك يظنون أن لا تفعل * وكانت مدة امرته على الناس عشرين سنة وفي الشهر الذي مات فيه ولد أبو جعفر المنصور وولي الخلافة في ذي الحجة أيضا سنة ست وثلاثين ومائة ومات في الشهر المذكور سنة ثمان وخمسين فكانت مدة خلافته اثنتين وعشرين سنة الا سبعة أيام (ولما) التقى مصعب بن الزبير بالمختار بن أبي عبيد الثقفي هزمه وأسر من عسكره ستة آلاف وثمانمائة رجل فقتلهم صبرا بين يديه في يوم واحد وهو ينظر اليهم وكانوا ألفا وثمانمائة من أشراف العرب وخمسة آلاف من الموالي (وكان) أبو مسلم الخراساني ممن حذاه في الفعل حذو النعل بالنعل أحصي من قتل فكان ستمائة ألف نفس وقد ذكرنا قتله فيما سبق من الكتاب * وفيه يقول أبو جعفر حين قتل وقد وضعت رأسه بين يديه

زعمت أن الدين لا يقتضى * دونك فاستوف أبا مجرم

فاشرب بكأس كنت تسقي بها * أمر في الحلق من العلقم

ولما أسرف في القتل وجد رقعة على المنبر فقرأها فاذا فيها أقتل ما عسى أن تقتل فلست تقدر أن تقتل قاتلك فكف (وبابك الخرمي) قتل في حروبه التي كانت بينه وبين الامو بين مائتي ألف ألف وخمسمائة ألف وخمسا وخمسين ألفا وكان ظهوره سنة احدى ومائتين في خلافة المأمون واستمرت فتنته الى أيام المعتصم فارسل اليه العساكر فكانت الحرب بينه وبينهم دولا الى أن كانت الدائرة عليه فهزم عسكره وأسر وفتحت مدينته التي بناها ودخلها المسلمون واستباحوها في أيام المعتصم سنة اثنتين وعشرين ومائتين وفيها فتحت عمورية وأحضر بين يدي المعتصم فأمر بقطع يديه ورجليه فلما قطعت لطخ بدمه وجهه حتى لا يرى في وجهه أثر الجزع ثم أمر به فضرب بترقبته وصلب وفي قتله يقول أبو عبادة البحتري من أبيات

لم يبق فيه خوف بأسك مطمعا * للظن في اخفاء ولا ابداء

أخليت منه البيد وهي قراره * ونصبته علما بسامراء

فتراه مطردا على أعواده * مثل اطراد كواكب الجوزاء

مستشرفا للشمس منتصبا لها * في أخريات الجزع كالحرباء

(وكان) بشر بن مروان شديدا على الجناة وكان اذا ظفر بجان أقامه على كرسي وسمر كفيه في الحائط ونزع الكرسي من تحت رجليه فلا يزال يضطرب حتى يموت (وقال الشعبي) ما رأيت في العمال مثل عبد الله التميمي كان لا يعاقب الا في دين الله وكان اذا أتى

من المنقول في تأليف فاذا ذكره من اتقى (قال لقمان) الحكيم لابنه يا بني لا تركن الى الدنيا ولا تشغل قلبك بحبها فانك لم تخلق لها وما خلق الله خلقا أهون عليه منها لانه لم يجعل نعيمها ثوابا للطيعين ولا عقوبة للعاصين يا بني ان الدنيا بحر عريض قد هلك فيه بشر كثير فان استطعت ان تجعل سفينتك الايمان بالله وعدتك التوكل على الله وزادك التقوى فان نجوت فبرحمة الله وان هلكت فبذنوبك يا بني لا تضحك من غير عجب ولا تمش في غير أرب ولا تسئل عما لا يعنيك يا بني لا تضيع مالك ولا تصلح مال غيرك فان مالك ما قدمت ومال غيرك ما تركت يا بني ان من يرحم يرحم ومن يصمت يسلم ومن يقل الخير يغنم ومن يقل الشر يأثم ومن لا يملك لسانه يندم (وأوصى) شهاب الدين السهروردي بعض أصحابه فقال يا أخي اذا نزل بك أمر من الله فاستعمل الرضى فان الله مطلع عليك يعلم ما في ضميرك فان رضيت فلك الثواب الجزيل وأنت في رضاك أو سخطك لست تقدر أن تزداد في الرزق المقسوم والامر المكتوب فان لم تجد الى الرضى سبيلا فاستعمل الصبر فانه رأس الايمان فان لم تجد فعليك بالتجمل ولا تشك من ليس بأهل أن يشكى وهو أهل الشكر والثناء فاذا اضطررت وقل صبرك فالجأ اليه بهمك واشك اليه بثك واحذر ان تستطيعه وتسيء به ظنا فان كل شيء بسبب ولكل سبب أجل ولكل أجل كتاب ولكل هم من الله فرج ومن علم أنه بعين الله تعالى استحى أن يراه يرجو سواه ومن

برجل نباش حفرله قبراودفنه فيه حيا واذا أتى برجل نقب فى قوم جعل منقبته فى صد
حتى تخرج من صدره واذا أتى برجل شهر سلاحا قطع يده فربما أقام أربعين لا يؤتى ا
بجان خوفا من سطواته (ودخل) شبل بن عبد الله على عبد الله بن على بن عبد الله
عباس السفاح بعد ماولى الخلافة وليها وهوابن أربع وعشرين سنة فى ربيع الآخر
سنة اثنين وثلاثين ومائة وعنده مائتا رجل من بنى أمية وهم جلوس معه على المائدة
مولى لبنى العباس فانشده

أصبح الملك ثابت الأساس * بالبهاليل من بنى العباس
طلبوا وترهاشم فشفوها * بعد ميل من الزمان وياس
يا كريم المطهرين من الرجـ * ـس ويارأس كل طود وراس
لا تقيلن عبد شمس عثارا * واقطعن كل رقلة وغراس
دلها أظهر التودد منها * وبها منكم كحز المواس
أقصهم أيها الخليفة واقطع * عنك بالسيف شأفة الارجاس
ولقد غاظنى وغاظ سوايا * قربهم من نمارق وكراسى
أنزلوها بحيث أنزلها الله * بدار الهوان والاتعاس
واذكر وامصرع الحسين وزيد * وقتيلا بجانب المهراس
والقتيل الذى بحران أضحى * ثاويا بين غربة وتناسى

وهما حمزة بن عبد المطلب وابراهيم بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس المنعوت بالامام
فأمر بهم عبد الله فشدخوا بالعمد وبسطت البسط عليهم وجلس عليها ودعا بالطعام
ليسمع أنينهم وعويلهم فلما فرغ من طعامه قال ما أكلت أكلة قط هى أهنأ ولا أمرأ ولا أطيب
فى نفسى من هذه ثم أخرج عمه عبد الصمد بن على فى طلب بنى أمية فى أقطار الارض
وجد حيا قتله وان وجد مقبورا نبشه وأحرق من فيه حتى أتى دمشق فدخلها وقتل
جامعها يوم جمعة فى شهر رمضان خمسين ألفا من بنى أمية ومواليهم كانوا قد استجاروا
فلم يجرهم ولما وصل الى الرصافة أخرج هشاما من قبره فضربه مائة سوط وعشرين سوطا
حتى تناثر لحمه وقال انه ضرب أبى ستين سوطا ظلما * وذكر الدوحى فى كتابه بلغة الظرفاء
فى تاريخ الخلفاء سبب ذلك أن هشاما اتهمه بقتل سليط المنتسب الى أبيه عبد الله ففعل به
ذلك (وقد) رأينا صوابا أن نذكر مقتل زيد المشار اليه فى الابيات المتقدم ذكرها فانّ الشئ
بالشئ يذكر وان كان غير داخل فيما ترجمنا عليه فى هذا الفصل وكان ظهوره فى سنة ثنتين
وعشرين ومائة بالكوفة وأرسل هشام الى محاربته يوسف بن عمر والثقفى فلما قامت الحرب
بينهم على ساقها انهزم أصحاب زيد وبقى جماعة يسيرة فقاتل أشد قتال وهو يقول

وذل الحياة وذل الممات * وكلا أراه طعاما وبيلا
فان كان لابد من واحد * فسيروا الى الموت سيرا جميلا

ولم يزل يقاتل حتى أصابه سهم فى جبهته فمات مقتولا منه فدفنه أصحابه ثم دل يوسف على
قبره فأخرجه وقطع رأسه وأرسله الى دمشق فعلق وصلب جثته عارية فتدلت سرته حتى
سترت سوأته وذلك فى السنة التى ظهر فيها ولم يزل كذلك الى أيام الوليد بن يزيد بن
عبد الملك فامر بها فاحرقت * وفيه يقول حكيم بن عياش الكلبى يخاطب آل بنى
طالب من أبيات

صلبنا لكم زيدا على جذع نخلة * ولم أر مهديا على الجذع يصلب
وقستم بعثمان عليا سفاهة * وعثمان خير من على وأطيب

أيقن بنظر الله اليه أسقط اختيار
نفسه ومن علم ان الله الضار النافع
أسقط مخاوف المخلوقين فراقب
الله واطلب الامور من معادنها
واحذر أن تعتمد على مخلوق
أو تفشين له سرا فان غنيهم
فقير وفقيرهم ذليل وعالمهم
جاهل وجاهلهم حائر فى فعله
الا القليل ممن عصم الله سبحانه
فاتق الفاجر من العلماء والجاهل
من العباد فانهم فتنة لكل مفتون
(وأوصى) رجل من الحكماء بنيه
فقال يابنى اياكم والجزع عند
المصائب فانه مجلبة للهم وسوء ظن
بالرب وشماتة للعدو واياكم
ان تكونوا بالاحداث مغترين
ولها آمنين فانى والله ما سخرت
من شئ الا نزل بى مثله فاحذروها
وتوقعوها فانما الانسان فى الدنيا
غرض تتعاوره السهام فمجاوز
له ومقصر عنه وموقع عن يمينه
وشماله حتى يصيبه بعضها
واعلموا ان لكل شئ جزاء ولكل
عمل ثوابا وقد قالوا كما تدين تدان
ومن بر يوما بر به (وأوصى عمر
ابن الخطاب رضى الله عنه ابنه
عبد الله فقال) يابنى اتق الله فان
من اتقى الله وقاه ومن اتكل
عليه كفاه ومن شكر له زاده
ومن أقرضه جزاه فاجعل
التقوى عماد قلبك وجلاء
بصرك فانه لا عمل لمن لا نية له
ولا خير لمن لا خشية له (وأوصى)
عبد الملك بن مروان بنيه فقال
يابنى كفوا أذاكم وابذلوا
معروفكم واعفوا اذا قدرتم
ولا تبخلوا اذا سئلتم ولا تلحفوا
اذا سألتم فانه من ضيق ضيق الله
عليه ومن أعطى أخلف الله له
(وقال بعض السلف الصالح فى

ومات هشام سنة خمس وعشرين ومائة فى ربيع الاوّل وله من العمر ست وخمسون سنة وكانت مدة خلافته تسع عشرة سنة وأشهرا وأياما * والقتيل بجانب المهراس هو حمزة بن عبد المطلب وانما نسب قتله لبنى أمية لان أباسفيان قاد الجيوش يوم أحد لقتال المسلمين والمهراس ماء باحد قال المبرد وفى الحديث أن النبى صلى الله عليه وسلم عطش فى يوم أحد فجاءه على رضى الله عنه فى درقته بماء فعافه وغسل به الدم عن وجهه (ولما) زالت دولة بنى أمية كان آخرهم مروان بن الحكم المكنى بالحمار وهرب فتبعه صالح بن على الى بلاد مصر فقتله بقرية من قراها تسمى بوصير * ويحكى أنه لما قتل قدم رأسه بين يدى صالح فنقب فمه فسقط لسانه فأخذه هر فقال صالح والله لولم يرنا الدهر من عجائبه الا لسان مروان فى فم هر لكفانا معتبرا ثم أدخل عليه ابنتان لمروان فقالت كبراهما السلام عليك يا أمير المؤمنين قال لست بأمير المؤمنين فقالت السلام عليك أيها الامير فقال وعليك السلام فقالت لقد وسعنا عدلكم فقال اذا لا يبقى على وجه الارض منكم أحد انكم بدأتم بلعن على بن أبى طالب على منابركم فاستوجبتم اللعنة من الله وقتلتم الحسين بن على وسرتم برأسه فى الآفاق وقتلتم زيد بن على ونبشتموه وأحرقتموه بالنار وصلبتم يحيى بن زيد وأمرتم من بال على وجهه وقتلتم ابراهيم بن محمد الامام وهو أسير فى أيديكم ظلما وعدوانا قالت أيها الامير فليسعنا عفوكم قال أما هذا فنعم ثم أمر فردعليها ما ذكرت انه أخذلها وخلى سبيلها * وأنشد المهدى قول بشار بن برد فيه لما أنفق الاموال التى جمعها المنصور فى اللذات والشرب والغناء

بنى أمية هبوا طال نومكم * ان الخليفة يعقوب بن داود

ضاعت خلافتكم ياقوم فالتمسوا * خليفة الله بين الناى والعود

فخرج المهدى الى البصرة ومار بدغيره فلما صار بالبطائح من همذان مر بدار كان بشار على سطحها قائما فلما أحس بعبور المهدى عليه خاف أن يعرفه فاندفع بشار يؤذن فقال المهدى من هذا الذى يؤذن فى غير الوقت فقالوا بشار فقال على به فلما مثل بين يديه قال له يازنديق هذا من بذائك تؤذن فى غير الوقت ثكلتك أمك فلو سكت لسانك ما عرف مكانك ثم أمر بضربه بالسياط فضرب حتى مات فصلبه (وقال) ابن عبدوس فى كتابه الذى صنفه فى أخبار الوزراء فى سبب قتله انه هجا يعقوب بن داود وزير المهدى فصنع يعقوب على لسانه هجاء للمهدى ودخل عليه فقال يا أمير المؤمنين ان هذا الاعمى الملحد قد هجاك قال وما قال قال يعفينى أمير المؤمنين من انشاد ذلك فلم يزل به حتى أنشده

خليفة يزنى بعماته * يلعب بالدف وبالصولجان

أبدلنا الله به غيره * ودس موسى فى حرالخيزران

فقال له وجه من يحمله فخاف يعقوب من أن يقدم على المهدى فيمدحه فيعفو عنه فوجه اليه من ألقاه فى البطائح وقيل بل دس عليه من قتله فى طريقه وقيل انما قتل على الالحاد وكان يرى رأى الثنوية وذلك فى سنة ثمان وستين ومائة * وفى المحرم سنة تسع ومائتين مات المهدى وله من العمر اثنان وأربعون سنة وخمسة عشر يوما * وكانت مدة خلافته عشر سنين وشهرا واحدا

﴿ومن شفى غيظه من العدوّ المخالف ولم يغض له عن ذنبه السالف﴾

الحجاج كان أيوب بن القرية قد خرج مع عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث الكندى كاتبا له لما خلع ربقة الطاعة وادعى الخلافة فحاربه الحجاج دفعات فكانت الدائرة عليه وأخذ أيوب مع

وصية) تفقه فى الدين وعود نفسك المكروه وكل نفسك فى أمورك كلها الى الله فانك تكلها الى كاف حريز ومانع عزيز وأخلص المسئلة لربك فان فى يده العطاء والحرمان وأكثر الاستخارة له والاستخارة به واعلم ان من كان مطيته الليل والنهار يسار به وان كان لا يسير وان الله تبارك وتعالى قد أبى الاخراب الدنيا وعمارة الآخرة فان تزهد فيها زهدك كله فافعل ذلك تغزوان كنت غير قابل لنصيحتى اياك فاعلم علما يقينا انك لن تبلغ أملك ولن تعدو أجلك وانك فى ديوان من كان قبلك فاكرم نفسك عن كل دنية وان ساقتك الى رغب فانك لا تعتاض بما ابتذلت من نفسك واياك ان توجف بك مطايا الطمع وتقول متى أجومت نزعت فانه هكذا هلك من هلك قبلك وأمسك عليك لسانك فان تلافيك ما فرط من صمتك أيسر عليك من ادراك ما فات من منطقك واحفظ ما فى الوعاء وشد الوكاء فحسن التدبير مع الاقتصاد أكفى لك من الكثير مع الفساد والعفة مع الحرفة خير من السرور مع الفجور والمرء أحفظ لسره ولرب ساعى الى ما يضره واياك والاتكال على الأمانى فانها بضائع النوكى وتثبط عن الآخرة والدنيا ومن خير حظ قرين صالح فقارن أهل الخير تكن منهم وباين أهل الشر تبن عنهم ولا يغلبن عليك سوء الظن فانه لن يدع بينك وبين خليل صالح صلحا واعلم ان مالك من دنياك الا ما أصلحت به مثواك فأنفق من

من كان معه فلما قدم على الحجاج أسيرا قال له ما أعددت لهذا الموقف قال ثلاثة حروف كأ
ركب صفوف دنيا وأخرى ومعروف فقال له الحجاج بئس ما منتك به نفسك يا ابن الق
أتراني ممن ينخدع بكلامك والله لانت أقرب الى الآخرة منك الى موضع نعلي هذه قال أقلني
عثرتي واسقني ريقي فانه لابد للجواد من كبوة وللحليم من هفوة فقال له أنت الى السيف
أقرب منك الى العفو عن الهفوة ألست القائل وأنت تحرض حزب الشيطان وعدو الرحمن
تغدوا بالحجاج قبل أن يتعشى بكم ثم أمر بضرب عنقه فضربت وذلك في سنة أربع وثمانين
(ولما) انهزم عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث لحق سعيد بن جبير بمكة وكان قد خرج معه
فأخذه خالد بن عبد الله القسري فبعث به الى الحجاج فلما دخل سعيد على الحجاج قال له
سعيد قال نعم قال ألم أقدم العراق وأتهمت ان قام الموالي فلما بلغني فقهك وحالك جعلتك
امام قومك ووجدت عطاءك أربعين دينارا فبلغتك سبعين دينارا قال بلى قال وسلمت
اذ ذاك قال بلى واستقصيت أبا بردة من أبي موسى وهو فقيه ابن فقيه فجعلتك وزيره وكاتبه
وأمرته أن لا يقطع أمرا دونك قال بلى قال وأوفدت وفدا الى أمير المؤمنين فجعلتك مثلهم
ولا يوفد مثلك فاستعفيتني فأعفيتك وذلك كله بغير غضب من الحجاج ثم قال فما أخرجك
علي قال كانت لابن الاشعث في عنقي بيعة فاستوى جالسا وقال يا عدو الله فبيعة أمير المؤمنين
كانت في عنقك قبل بيعة عبد الرحمن يا حرسي اضرب عنقه فلما ضربت عنقه التبس على
الحجاج عقله مكانه فجعل يقول قيودنا قيودنا فظنوا أنه يطلب القيود التي على سعيد فقطعوا
رجليه من انصاف ساقيه وأخذوا القيود وقد أورد القصاص هذه الحكاية على غير هذا
النمط والصحيح هو هذا والله أعلم (ايقاع الرشيد بالبرامكة) لما ولي الرشيد الخلافة قال ليحيى
ابن خالد يا أبت قد قلدتك أمر الرعية وأخرجته من عنقي اليك فاحكم بما ترى واستعمل من
رأيت وافرض لمن رأيت واقطع من رأيت فاني غير ناظر معك في شئ ثم ولي في سنة ست
وسبعين ومائة جعفر بن يحيى المغرب كله من الانبار الى أقصى بلاد افريقية وولي الفضل
المشرق كله من النهروان الى أقصى بلاد الترك وكان يحيى يميل الى الفضل والرشيد يميل الى
جعفر فكان يقول ليحيى أنت للفضل وأنا لجعفر وكان الرشيد يسمي جعفرا باخيه ويدخل
معه في ثوبه (ولما) وقع من جعفر الذنب لم يحتمله الرشيد ولا قدر على الاغضاء عنه وجعل
يتردد في اعمال الحيلة على البرامكة ولا يرى منهم ذنبا ظاهرا بينا يقتلهم به حتى لا يتوجه
عليه لوم من الناس في قتلهم لما كان بينه وبينهم من اتحاد المودة فتكلم الرشيد يوما بكلمة
نزع فيها جلساؤه كل منزع منهم من يحكي في نوعها حكاية ومنهم من ينشد شعرا فأنشد
بعضهم أبياتا تأتي غير المعنى الذي هم بصدده فكان سببا لامضاء عزمه في الايقاع بهم يقول
فيها

ليت هندا أنجزتنا ما تعد * وشفت أنفسنا مما نجد
واستبدت مرة واحدة * انما العاجز من لا يستبد

فاستعاد الرشيد الابيات مرات فكان ذلك محرضا له على الايقاع بهم * وكان عند ما تغير
عليهم صرف الفضل عما كان بيده من ولاية الشرق أولا فأولا من سنه ثمانين الى سنة ثلاث
وثمانين ولم يزل جعفر مع الرشيد على الحالة المرضية الى أن ركب في يوم الجمعة مستهل صفر
سنة تسع وثمانين الى الصيد وجعفر معه يسايره خاليا به وانصرف متمسيا الى القصر الذي
كان ينزله بالانبار فلما وصل اليه ضمه واعتنقه وقال لولا اني أريد الجلوس الليلة مع النساء لما
فارقتك وصار جعفر الى منزله وواصله الرشيد بالالطاف الى وجه السحر فبعث اليه مسرورا
الخادم ومعه سالم وابن عصمة فهجموا عليه وأخذه مسرور وضرب عنقه ولقي الرشيد برأسه
فانفذ الرشيد جثته الى بغداد وقطعت نصفين وصلبا على الجسرين (ولما) انصرف

غيرك ولا تكن خازنا لغيرك لم
يهلك امرؤ اقتصد ولم يفتقر من
زهد رأس الدين اليقين وتمام
الاخلاص اجتناب المعاصي
وخير المقال ما صدقه الفعال
(وقال أبو نصر الكاتب في وصية)
راقب الرقيب فانه قريب واحفظ
الاوقات فان الشهيد هو الحسيب
ولا تغفل عن مولاك فانه دائم
الشهود عليك وطهر الافكار
والسرائر فانه يعلم البواطن كما يعلم
الظواهر وارفض الاسباب فان
بضاعتك هو الفقر ولا تساكن
الدنيا فان مسكنك هو القبر
واحفظ الصبر فان عدمت الرضى
كفاك الصبر (وأوصى علي بن
أبي طالب) للحسن والحسين
رضي الله عنهم فقال تنافسوا في
المعالي وسارعوا الى المكارم
واكتسبوا الحمد بالجود ولا
تكتسبوا بالبخل ذما ولا تعدوا معروفا
لم تعجلوه ومهما تكن لاحد كم
عند أحد نعمة لم يبلغ شكرها فالله
أحسن لردها أجرا وأجزل عليها
حظا واعلموا ان أفضل المال ما
أكسب حمدا وأعقب أجرا وقد
سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول ما عظمت نعمة الله
تعالى عند أحد الا كثرت حوائج
الناس اليه فمن مل تلك الحوائج
فقد عرض تلك النعمة للزوال
(قال ابن العربي) قلت لبعض
أشياخي أوصني فقال اقطع علائق
الدنيا عنك الا ما لا غنى لك عنه
وتأهب لامر لابد لك من المصير اليه
واعرف الحق لغيرك يعرفه لك
ولا يقف بك التخير عن أمرين الا
أخذت أقربهما الى التقوى

﴿فصل﴾

(من المنقول في تأليفنا مقالات

الرشيد من الرقة سنة تسع وثمانين الى بغداد مر بالجسر فرأى جثة جعفر فقال لئن مضى أثرك لقد بقي خبرك ولئن حط قدرك لقد علا ذكرك ثم أمر بها فاحرقت (ولما) قتل الرشيد جعفرا رحل الى الرقة وحمل معه يحيي و ولده الفضل فحبسهما فيها بعد أن ضرب الفضل مائتي سوط ولم يجد ليحيي الا خمسة آلاف دينار وللفضل الا أربعين ألف درهم ولم يجد لجعفر ولا لاخيه موسى شيأ و وجد لمحمد بن يحيي سبعمائة ألف درهم (ويقال) انه وجد لجعفر في قصره سركة فيها أربعة آلاف دينار وزن كل دينار مائة دينار مكتوب على أحد جانبي الدينار

وأصفر من ضرب دار الملوك * يلوح على وجهه جعفرا

وعلى الوجه الآخر

يزيد على مائة واحدا * اذا ناله معسر تيسرا

(ولما) أوقع الرشيد بالبرامكة وقتل جعفرا وحبس يحيي أباه والفضل أخاه كتب يحيي اليه من السجن من عبد أسلمته ذنوبه وأوبقته عيوبه وخذله رفيقه ورفضه صديقه فحل في الضيق بعد السعة وعالج البؤس بعد الدعة فساعته شهر وليلته دهر قد عاين الموت وقارب الفوت فتذكر يا أمير المؤمنين كبرسني وضعف قوتي وارحم شيبتي وهب لي رضاك بعفو ذنب ان كان فان من مثلي الزلل ومن مثلك الاقالة وليس أعتذر الا باقراري حتى ترضى عني فان رضيت رجوت أن يظهر لك من عذري و براءة ساحتي ما لا يتعاظمك ما مننت به على من رأفتك و رحمتك زاد الله في عمرك وجعل يومي قبل يومك (فرد عليه الرشيد من كتاب) ان أمير المؤمنين لم يأت على ولدك اللعين ومن رأيه ترك الباقين ولم يأمر بحبسك وهو يريد بقاء نفسك انما أخرك واياهم لتعالج البؤس بعد النعيم ثم تصير الى العذاب الاليم فابشر أيها المخادع الزنديق والمخالف الفسيق بما أعد لك أمير المؤمنين من تبديد شملك وخمول ذكرك واطفاء أمرك فتوقعه صباحا ومساء (و وقع الرشيد عليه) وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بانعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون ثم تناساه هو وابنه الفضل في سجن الرقة حتى ماتا فيه فمات يحيي في المحرم سنة تسعين ومائة فجأة من غير علة وعمره أربع وستون سنة ومات الفضل في شهر رمضان سنة اثنين وتسعين ومائة ولما بلغ الرشيد موته قال أمري قريب من أمره وكذا كان فانه توفي بعده بخمسة أشهر في المحرم سنة ثلاث وتسعين وقد بلغ من العمر سبعا وأربعين سنة *وكانت ولايته ثلاثا وعشرين سنة وشهرين وأياما فانه ولي سنة سبعين ومائة *وكان الفضل ترب الرشيد و رضيعه أرضعته أم الفضل وأرضعت الفضل أم الرشيد (وذكر) ان الرشيد أقام يتردد في قتل جعفر سنين لا تطاوعه نفسه في قتله قال حسين الخادم أشهد بالله لقد رأيت الرشيد متعلقا باستار الكعبة قائلا في مناجاته اللهم اني استخيرك في قتل جعفر بن يحيي (و رثاهم) بعد موتهم من عامة الشعراء وغيرهم جم غفير وقد اخترنا أبياتا من أحاسن قصائدهم أردنا أن نبين فيها محاسن مقاصدهم (فمن ذلك) أبيات لاشجع الاسلمي

ولى عن الدنيا بنو برمك * ولو تولى الخلق ما زادا

كانما أيامهم كلها * كانت لاهل الارض أعيادا

(آخر) كان أيامهم من حسن بهجتها * مواسم الحج والاعياد والجمع

(آخر) يا بني برمك واها لكم * ولأيامكم المنتقلة

كانت الدنيا عروسا بكم * فهي اليوم ثكول أرملة

الادباء) قال بزرجمهر لابنه يا بني كن من الكريم على حذر ان أهنته ومن اللئيم ان أكرمته ومن الفاجر ان عاشرته ومن الاحمق ان مازحته ومن العاقل ان احرجته وكن حذرا كانك غر وكن فطنا كانك غافل وكن ذاكرا كانك ناس (وقال بعض الحكماء) في وصية لا تطلب من صاحبك خلقا واحدا وهو ذو طباع أربع فان في تكليف هذا خروجا من العدل ألا ترى ان الله سبحانه شوق الجنة الى خلقه بضروب متفاوتة وأشياء متباينة فقال عز وجه فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفى وقال فيها فاكهة ونخل ورمان وقال وحور عين كأمثال اللؤلؤ المكنون فوصف جل ثناؤه ضروبا مختلفة مما فيها ليميل كل فريق لما اشتهى منها (وقال بعض الحكماء) في وصية اذا أعجبك ما تواصفه الناس من محاسنك فانظر فيما بطن من مساويك ولتكن معرفتك بنفسك أوثق عندك من مدح الناس لك (وأوصى) الاشعث بن قيس لبنيه فقال يا بني ذلوا في أعراضكم وانخدعوا في أموالكم ولتخف بطونكم من أموال الناس وظهوركم من دمائهم فان لكل امرئ منكم تبعة واياكم وما يعتذر منه ويستحي فانما يعتذر من ذنب ويستحي من قبيح وأصلحوا أموالكم بجفوة السلطان وتغير الزمان وكفوا عند حاجة أومسئلة فانه كفى بالرد منعا وأجملوا في الطلب حتى يوافق الرزق قدرا (وقال) بعضهم في وصية غافص الفرصة عند امكانها وكل الامور الى وليها

﴿وفيهم يقول الصيف بن ابراهيم من أبيات﴾

هوت أنجم الجدوى وشلت يدى الندى * وغارت بحور الجود بعد البرامك
هوت أنجم كانت لابناء برمك * بها يعرف السارى وجوه المسالك

﴿وللرقاشي﴾

ألآن استرحنا واستراحت ركابنا * وأمسك من يجدى ومن كان يجتدى
فقل للمطايا قد أرحت من السرى * وطى الفيافى فدفدا بعد فدفد
وقل للمنايا قد ظفرت بجعفر * ولم تظفرى من بعده بمسود
وقل للعطايا بعد فضل تعطلى * وقل للرزايا كل يوم تجددى

(ويقال) ان الذى سعى بهم هو على بن عيسى بن ماهان وذكر بعض المؤرخين أنه و..
على باب على بن عيسى المذكور بعد قتل جعفر هذان البيتان ولا يعلم من كتبهما ولا من
قائلهما

ان المساكين بنو برمك * صبت عليهم نوب الدهر
ان لنا فى أمرهم عبرة * فليعتبر صاحب ذا القصر

وكانت نكبته دربا من نكبتهم كان الايقاع بهم بعد رجوع الرشيد من الحج فى المحرم سنة تسع وثمانين ومائة وعمر جعفر يومئذ خمس وأربعون سنة (وكانت) مدة دولتهم سبع عشرة سنة وسبعة أشهر وأياما (ولله) در أبى كلثوم بن عمرو العتابى حيث قال يعرض بالبرامكة ويذكر عاقبة صحبة السلطان وأن ما للتعلق بها من غدر الزمان أمان

تلوم على ترك الغنى باهلية * طوى الدهر عنها كل طرف وتالد
رأت حولها النسوان يرفلن فى الكسا * مقلدة أجيادها بالقلائد
أسرك أنى نلت ما نال جعفر * من الملك أو ما نال يحيى بن خالد
وأن أمير المؤمنين أغصنى * معصمها بالمرهفات البوارد
ذرينى تجيئنى ميتتى مطمئنة * ولم تتجشم أهوال تلك الموارد
فان كريمات المعالى مشوبة * بمستودعات من بطون الاساود
وان الذى يرقى من المجد والعلا * ملقى بانواع الاذى والمكايد

(ولله) در المأمون اذ قال وكأنه يعتذر عن ايقاع أبيه بالبرامكة وان لم يقصده لا يستطيع الناس أن ينصفوا الملوك من وزرائهم ولا يستطيعون أن ينظروا بالعدل بين ملوكهم وحماتهم وكفاتهم وذلك أنهم يرون ظاهر حرمتهم وخدمتهم ونصيحتهم ويرون ايقاع الملوك بهم ظاهرا ولا يزال الرجل يقول فى ذلك ما أوقع به الا رغبة فى ماله أو رغبة فيما لا تجود النفوس به أو الحسد أو الملالة وشهوة الاستبدال ولا والله ما هو هذا وانما هى لجنايات فى صلب الملك أو فى تعرض الحرم فلا يستطيع الملك أن يكشف للعامة موضع العورة ويحتج لتلك العقوبة بما يستحق ذلك الذنب فلا يستطيع الملك ترك عقابه لما فى ذلك من الفساد مع علمه بأن عذره غير مبسوط للعامة ولا معروف عند أكثر الخاصة (ومن التشفى الشنيع) ما حكى أن سفيان بن معاوية بن يزيد بن المهلب كان يطعن على عبد الله ابن المقفع أشياء كثيرة منها أنه كان يهزأ به ويسأله عن الشئ بعد الشئ تعنتا فاذا أجابه قال له أخطأت ويضحك منه فلما كثر ذلك عليه غضب وافترى عليه فقال له ابن المقفع يا ابن المغتلمة والله ما اكتفت أمك برجال العراق حتى نفذتهم الى رجال أهل الشام فحقدها عليه فآلى على نفسه ان أمكنه الله منه ليقتلنه شر قتلة فاتفق أن عيسى بن على أمر ابن المقفع أن ينطلق الى سفيان وكان اذ ذاك على شرطة بغداد برسالة كان المنصور أمر بها فقال له انى لا آمن سفيان فقال له انطلق اليه ولا تخف فانه لم يكن ليعرض ذلك وهو يعلم

ولا تحمل على قلبك هم يوم لم يأت بعد أن يكن من أجلك يأتك الله فيه برزقك ولا تجعل سعيك فى طلب المال أسوة المغرور فرب جامع لبعل حليلته واعلم ان تقتير المرء على نفسه هو توفير منه على غيره (وقال على بن أبى طالب رضى الله عنه) فى وصية من علم من أخيه مروءة فلا يقبل فيه أقاويل الرجال ومن حسنت علانيته فنحن لسريرته أرجى ألا لا يردن أحدكم بيقينه شكا فقال له المسيب بن نجية ومن ذا الذى يرد بيقينه شكا فقال هو من اذا علم من أخيه المروءة الجميلة ثم قيل فيه أقاويل الناس الا وقد يرمى الرامى وقد تزل السهام ويحال الكلام على طريق الشتات والباطل يبور والله شهيد ألا وان بين الحق والباطل أربع أصابع ووضع يده بين اذنه وعينه وقال الحق هو أن تقول رأيت بعينى والباطل هو أن تقول سمعت بأذنى (وأوصى) ازدشير لابنه فقال يا بنى ان الملك والعدل اخوان لاغنى لاحدهما عن صاحبه فالملك أس والعدل حارس فما لم يكن له أس فهدوم وما لم يكن له حارس فضائع يا بنى اجعل حديثك مع أهل المراتب وعطيتك لاهل الجهاد وبشرك لاهل الدين وبرك لمن عناه ما عناك من ذوى العقول (وقال) المنصور لولده يا بنى لا تبرم أمرا حتى تفكر فيه فان فكرة العاقل مرآته تريه حسناته وسيئاته واعلم ان الخليفة لا يصلحه الا التقوى والسلطان لا يصلحه الا الطاعة والرعية لا يصلحها الا العدل وأولى الناس بالعفو أقدرهم على العقوبة

مكانك

مكانك مني فلم يجد ابن المقفع بدا من امتثال أمر عيسى فذهب حتى أتى باب سفيان
فاستأذن فأذن له وكان في مجلسه العام فعدل به الى مقصورة ثم قام سفيان من مجلسه الى
المقصورة فلما رأى ابن المقفع قال له وقعت والله فقال له أنشدك بالله تعالى فقال أمي مغتلمة
كما قلت ان لم أقتلك قتلة لم يقتل بها أحد قبلك وأمر بتنور فسجر ثم أمر به فقطع عضوا عضوا
ويلقى في التنور وهو ينظر حتى لم يبق منه عضو متصل بعضو ثم قال يا ابن الزنديقة
لأحرقنك بنار الدنيا قبل نار الآخرة ثم أمر به فأحرق بعد ذلك (وكان) رافع بن الليث خلع
هرون الرشيد ولبس البياض وتغلب على بلاد ما وراء النهر وذلك في سنة تسعين ومائة
وكان علي بن عيسى اذ ذاك على خراسان فحاربه فلم يقدر عليه فخرج الرشيد اليه من بغداد
سنة ثلاث وتسعين فلما بلغ طوس مرض واشتد به المرض فلما كان يوم موته أخذ المرآة
بيده فنظر فيها وجهه فرأى عليه غبرة الموت فقال انا لله وانا اليه راجعون فبينما هو في تلك
الحالة اذ دخل عليه أخو رافع بن الليث أسيرا فلما مثل بين يديه قال اني لأرجو اذ لم تفتني
أن لا يفوتني أخوك والله لو لم يبق من عمري الا أن أحرك شفتي بقتلك لقلت اقتلوه ثم دعا
بقصاب وقال له لا تشحذ مديتك وفصله عضوا عضوا وعجل لئلا يحضرني أجلي وعضو
من أعضائه في جسده ففصله ثم جعله أشلاء ثم قال له اعدد ما فصلت منه فاذا هو أربعة عشر
عضوا فرفع يديه وقال اللهم كما أمكنتني منه فمكني من أخيه ثم مات من ساعته (وكتب
رجل) كان في حبس المأمون اليه لما طال حبسه أغفلت يا أمير المؤمنين أمري وتناسيت
ذكري ولم تتأمل حجتي وعذري وقد مل من صبري الصبر ومسني من حبسك الضر فأجابه
المأمون ركوبك مطية الجهل صيرك أهلا للقتل وبغيك علي وعلى نفسك نقلك عن سعة
الدنيا الى قبر من قبور الاحيا ومن جهل الشكر على المنن قل صبره على المحن فاصبر على
عواقب هفواتك وموبقات زلاتك على قدر صبرك على كثير جناياتك فان حصل في
نفسك كف عن معصيتي وعزم على طاعتي وندم على مخالفتي فلن تعدم مع ذلك جميلا
من نيتي (ولما) ظفر أبو جعفر المنصور بعبد الله بن حسن قيده وحبسه في داره فلما أراد
المنصور خروجه الى الجيش جلست ابنة لعبد الله تسمى فاطمة على طريقه فلما بصرت
به أنشدت

ارحم كبيرا سنه متهدما * في السجن بين سلاسل وقيود
وارحم صغار بني يزيد انهم * يتموا لفقدك لا لفقد يزيد
ان جدت بالرحم القريبة بيننا * ما جدنا من جدكم ببعيد

فلما سمع المنصور أبياتها قال أذكرتنيه ثم أمر به فحدر في المطبق فكان آخر العهد به * ويزيد
المذكور في شعر فاطمة هو أخو عبد الله بن حسن وأخذ عبد الله لأجل ولديه محمد وابراهيم
وكانا قد خرجا على المنصور وغلبا على المدينة ومكة والبصرة فبعث المنصور اليهما عيسى
ابن موسى فقتل محمدا بالمدينة وكان قتل ابراهيم ومحمد بين البصرة والكوفة في رمضان سنة
خمس وأربعين ومائة * وقال أبو بكر الخطيب مات عبد الله بحبس الكوفة يوم الاضحى سنة
خمس وأربعين ومائة وهو ابن ست وأربعين سنة * وكان المنصور قل ما يظفر بأحد الا قتله
سواء كان مستوجبا للقتل أو غير مستوجب وهذا كان في أول خلافته فقال له عبد الصمد
ابن علي قد بخست في القتل والعقوبة حتى كأن لم يسمع بالعفو فقال ان بني أمية لم تبل رممهم
وآل أبي طالب لم تغمد سيوفهم ونحن قوم رأونا بالامس سوقة واليوم خلفاء ولا تتمهد
الهيبة في صدورهم الا باطراح العفو عنهم واستعمال العقوبة فيهم (ومن عجائب الظفر)
ما حكاه الصولي أن المتوكل قال ركبت الى دار الواثق أزوره في مرضه في اليوم الذي مات

وأنقص الناس عقلا من ظلم من
دونه (وقال ابن عباس رضي الله
عنه) لا يزهدنك في المعروف
كفر من كفره فانه يشكرك عليه
من لم تصطنعه اليه واني والله
ما رأيت أحدا اسعفته في حاجة الا
أضاء ما بيني وبينه ولا رأيت أحدا
رددته عن حاجة الا أظلم ما بيني
وبينه (وقال الاصمعي) قال لي الرشيد
أول يوم عزم فيه على تأنيسي
يا عبد الملك أنت أحفظ منا ونحن
أعقل منك لا تعلمنا في ملاء
ولا تسرع الى تذكيرنا في خلاء
واتركنا حتى نبتدئك بالسؤال
فاذا بلغت من الجواب قدر
استحقاقه فلا تزد واياك والبدار
الى تصديقنا وشدة العجب بما
يكون منا وعلمنا من العلم ما نحتاج
اليه على عتبات المنابر وفي فواصل
المخاطبات ودعنا من رواية
حوشي الكلام وغرائب الاشعار
واياك واطالة الحديث الا أن
نستدعي ذلك منك ومتى رأيتنا
صادفين عن الحق فارجعنا اليه
من غير تقريع بالخطأ ولا اضجار
بطول الترداد قال الأصمعي فقلت
له يا أمير المؤمنين أنا الى حفظ
هذا الكلام أحوج مني الى كثير
من البر (قال عمر بن الخطاب
رضي الله عنه) في وصية لا يقعد
أحدكم عن طلب الرزق ويقول
اللهم ارزقني وقد علم ان السماء
لا تمطر له فضة ولا ذهبا وليعلم ان
الله عز وجل يرزق العباد بعضهم
من بعض (وقال) محمد بن حازم
الباهلي لابنه يا بني اذا سألت
الحوائج فتأمل بها الصباح الوجوه
من ذوي العناصر السنية والشيم
المرضية واحذر ذوي الوجوه
العابسة والاكف اليابسة

فيه ولم أدر بذلك فدخلت الدار وجلست في الدهليز ليؤذن لي فسمعت بكاء نادبة بناحية تشعر بموته فتجسست واذا ايتاخ ومحمد بن عبد الملك الزيات يأتمران في فقال محمد نلقيه في التنور وقال ايتاخ بل ندعه في الماء البارد حتى يموت ولا يرى عليه أثر القتل فبينما هما كذلك اذ جاء أحمد بن أبي دواد وكان القاضي يومئذ فمنعه الخدام الدخول فدافعهم حتى دخل فجعل يحدثهما بما لا أعقله لما داخلني من الخوف واشتغال القلب باعمال الحيلة في الهرب والخلاص مما ائتمرا به في فبينما أنا كذلك اذ خرج الغلمان يتعادون الي و يقولون انهض يا مولانا فاشككت أني أدخل وأبايع ولد الواثق وينفذ في ما قدر فدخلت فلقيني ابن أبي دواد فقبل يدي وأمسكها الى أن صار بي الى السرير وقال اصعد الى المكان الذي أهلك الله له فلما صعدت وجلست سلم علي بالخلافة وجاء محمد بن عبد الملك الزيات وايتاخ فسلما علي أيضا ثم استدعوا القواد فسلموا علي ثم الناس على طبقاتهم فلما انقضت المبايعة بقيت متعجبا مما اتفق مع ما سمعته من كلام ابن الزيات وايتاخ فسألت عن الحال وكيف جرت فقيل لي بينما محمد بن عبد الملك الزيات وايتاخ في تقرير ما سمعته اذ دخل عليهما ابن أبي دواد فسلم عليهما وعزاهما وقال أنا رسول المسلمين اليكما وهم يقرؤن السلام عليكما و يقولون لكما قد بلغنا وفاة امامنا وعند الله نحتسبه وأنتما المنظور اليكما في هذا الامر فمن اخترتما للامامة فقالا ابنه محمد فقال بخ بخ ابن أمير المؤمنين الا أنه صغير لا يصلح للامامة فمن غيره قالا فلان وفلان وعددا جماعة الى أن قالا وجعفر بن المعتصم فقال رضي المسلمون اصفقا على يدي فصفقا ثم أرسل الى أمير المؤمنين فكان ما رأى قال المتوكل فبقي ما قاله ايتاخ وابن الزيات في نفسي فقتلتهما بما احتزما عليه من قتلي فقتلت ابن الزيات في التنور وايتاخا بالماء البارد * وكان ابن الزيات قد اتخذ التنور لابن أسباط المصري وهو صورة خابية مدورة وجعل لباطن جوانبه مسامير أطرافها الى داخل فاذا وقف فيه الواقف لا يستطيع الحركة الى جهة أخرى من جهاته الا ضربته المسامير فلا يزال قائما فيه حتى يموت فلما ألقي فيه ابن الزيات مر به عبادة المخنث فقال يا ابن الزيات أردت تخبز في التنور فخبزت فيه قال المسعودي أقام ابن الزيات في التنور أربعين يوما الى أن مات وكانت مدة وزارته للمتوكل أربعين يوما (وذكر) أن الجاحظ كان من خواص ابن الزيات فلما قبض عليه هرب الى البصرة فقيل له لم هربت قال خفت أن يقال لي ثاني اثنين اذ هما في التنور وقتل ابن الزيات في الرابع من صفر سنة ثلاث وثمانين ومائتين وكان قد وزر لثلاث خلفاء المعتصم والواثق والمتوكل ولما قبض عليه قال يا نفس ألم يكفك التجارة واليسار والرغد من العيش حتى طلبت الوزارة وتعرضت للسباع في غيلها ذوقي الآن ما جنيت على نفسك * ومات الواثق بسر من رأى سنة اثنتين وثمانين ومائتين وله من العمر ستة وثلاثون سنة وكانت مدة خلافته خمس سنين وتسعة أشهر وأياما (أتي الاسكندر) بسارق فأمر بصلبه فقال أيها الملك اني فعلت ما فعلت وأنا كاره قال وتصلب أيضا وأنت كاره

﴿من رافب في العفو بة رجاء الخلاص يوم الجزاء بالاعمال والقصاص﴾

قال الله تعالى ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون قال بعض المفسرين هذا وعيد للظالم وتعزية للمظلوم (كتب) عمر بن عبد العزيز الى عدي بن ارطاة اذا أمكنتك القدرة على المخلوق فاذكر قدرة الخالق عليك واعلم أن لك عند الله ما لرعيتك عندك (وقال بعض الحكماء) اذكر عند القدرة قدرة الله عليك وعند الظلم عدل الله فيك (وفي المثل) كما تدين تدان (وقالوا) لا يندمل من المظلوم جراحه حتى ينكسر من الظالم جناحه (وقال أعرابي) لمن

أصحاب القرار يطوكسبة الدوانيق المعروفين بالضيق المنسوبين الى التدقيق الذين ان سئلوا ضنوا وان أعطوا امنوا فلا تخلقن بالطلب اليهم وجهك ولا تدنس بالسعي اليهم عرضك وعليك بمن أنعم الله لي وجهه بصباحة وعلى كفه بالسماحة فأولئك هم المعروفون بالصبر على ما ينوبهم من ملمات الرجال (وقال الشعبي) في وصية عليك بالصدق حيث تظن انه يضرك فانه ينفعك واياك والكذب حيث ترى انه ينفعك فانه يضرك واعلم انه لا جنة أوقى من الصدق ولا شئ أقوى من الحق ولا سبيل أخوف من الكذب ولا حادث أقبح من الزور وقد ينتج الله للصادق النجاة العظيمة وان لم ينوها والخلاص من النازلة وان لم يتوهمها (وأوصى) رجل ابنه فقال له يا بني اذا كنت في قوم فدار بينهم تدبير فلا تعجل بالجواب قبل أن تعرف ما عندهم ولا تتكبر عن متابعتهم اذا ظهر لك الحق فان المتابعة على الصواب أحسن من الابتداء بالخطأ واعلم يا بني ان اصابتك الرأي بعد خطأ القوم أجدر لك من اصابتك قبل كلامهم فانه لا يعرف فضل رأيك على غيره الا بعد المعرفة بما عندهم فعند ذلك يستبين القول السديد من السفيه والرأي الرشيد من الكريه ومن استقبل وجوه الآراء علم مواضع الخطأ (ومن وصية بعض الحكماء) اطلب في الحياة العلم والمال تحز الرئاسة على الناس لأنهم بين خاص وعام فالخاصة تفضلك بالعلم والعامة تفضلك بالمال التمس الرفعة بالتواضع

لمن جار عليه لئن هملجت الى الباطل انك لعطوف عن الحق (وقال) عبيدة بن أبي لبابة من طلب عزا بباطل وجور أورثه الله ذلا بانصاف وعدل (وقال الشاعر)

لا تعالج ذا الذنب بالانتقام * واحترس من تباعة الآثام

فكرام الأنام سيماهم العفـ*ـو وقد عفا عن الذنوب العظام

(أتى) سليمان بن عبد الملك برجل جنى جناية يجب عليه فيها التعزير لا غير فأمر بقتله فقال يا أمير المؤمنين اذكر يوم الاذان قال وما يوم الاذان قال اليوم الذي قال الله فيه فأذن مؤذن بينهم أن لعنة الله على الظالمين فبكى سليمان وأمر باطلاقه (أتى) الرشيد ببعض من خرج عليه فلما مثل بين يديه قال ما تريد ان أصنع بك قال الذي تريد أن يصنع الله بك اذا وقفت بين يديه أذل مني بين يديك فاطرق الرشيد مليا ثم رفع رأسه وقال اذهب حيث شئت فلما خرج قال بعض من حضر يا أمير المؤمنين تقتل مالك وتقتل رجالك حتى تظفر بمثل هذا الباغي وتطلقه بكلمة واحدة أنا لا آمن أن تتسلط عليك الاشرار بالاحسان اليهم فأمر برده فلما مثل بين يديه علم أنه قد أغرى به فقال يا أمير المؤمنين لا تطعهم في فلو أطاع الله فيك خلقه ما استخلفك عليهم ساعة واحدة فأمر باطلاقه (أخذ) الحجاج محمد بن الحنفية بعد ما قتل عبد الله بن الزبير فقال بايع أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان قال اذا اجتمع الناس عليه كنت كأحدهم قال والله لاقتلنك قال له الملك لا تدري قال مالي لا أدري قال محمد حدثني أبي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله في كل يوم ثلثمائة وستين لحظة يقضي في كل لحظة ثلثمائة وستين قضية فلعله أن يكفيك في قضية من قضاياه فانتفض الحجاج وقال لقد لحظك الله فاذهب حيث شئت وخلى سبيله وكتب الحجاج بهذا الكلام الى عبد الملك بن مروان ووافق ذلك كتاب ملك الروم الى عبد الملك يتوعده ويهدده فكتب اليه عبد الملك بهذا الكلام فكتب ملك الروم اليه ما أنت بأبي عذرة هذا الكلام ما هذا الا كلام من أهل بيت نبوة (وقال رجل) لامير غضب عليه أسألك بالذي أنت بين يديه غدا أذل مني بين يديك اليوم وهو على عقابك أقدر منك على عقابي الا نظرت في أمري نظر من برئ برء أحب اليه من سقمي وعدله في أولى به من ظلمي فعفا عنه وأطلقه (ولما) هجم ابن حمران على مصر في أيام المستنصر بالله واحرق دار الزيت وتخطف عسكره اجتمع الناس الى أبي الفضل الجوهري الواعظ فشكوا حالهم اليه فكتب الى المستنصر ان كنت خالقا فارحم خلقك وان كنت مخلوقا فخف خالقك والسلام فرفع ذلك عنهم (غضب) محمد بن سليمان على رجل فأمر بطرحه في القصر فقال له رجل اتق الله في فقال خلوا سبيله فاني كرهت ان أكون كالذي اذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالاثم فحسبه جهنم (قدم) الى أحمد بن نصير مجوسي جنى جناية فأمر بضربه فقال أيها الامير اضرب بقدر ما تقوى عليه بريد بذلك القصاص في الآخرة فتركه وترك العمل (وأخذ) مصعب رجلا من أصحاب المختار بن أبي عبيدة فأمر بضرب عنقه فقال أيها الامير ما أقبح بك أن أقوم يوم القيامة الى صورتك هذه الحسنة ووجهك الذي يستضاء به وأتعلق بأطرافك وأقول رب سل مصعبا فيم قتلني قال أطلقوه فقال أيها الامير اجعل ما وهبت من حياتي في خفض عيش قال أعطوه مائة ألف درهم فقال أيها الامير اشهد ان لابن قيس الرقيات منها خمسين ألفا قال ولم قال لقوله فيك

انما مصعب شهاب من الله * تجلت عن وجهه الظلماء

ملكه ملك رأفة ليس فيه * جبروت كلا ولا كبرياء

يتقي الله في الامور وقد أفـ*ـلح من كان همه الاتقاء

والشرف بالدين واستقبل من صلاح نفسك ما يستقبلك فساده ان لم تصلحه صن عقلك بالحلم ومروءتك بالعفاف ونجدتك بمجانبة الخيلاء وخلتك بالاجمال في الطلب ان أردت أن لا يصل اليك من أحد شر فلا تعتقد الشر بقلبك ولا تطوعليه سرك وقلل التفقد لعيوب الناس يقل تفقد الناس لعيبك تجنب القول في أخيك لخلتين أما الواحدة فلعلك أن تعيبه بشئ هو فيك وأما الاخرى فان يكن الله تعالى عافاك مما ابتلاه فلا يكن شكرك الله على العافية تعيير الأخيك على البلاء احذر منزلتك من الفساد عند سلطانك بمثل ما اكتسبتها به من الجد والمناصحة واحذر أن يحطك التهاون عما رقاك اليه التحفظ احذر الجاهل وان كان لك ناصحا كما تحذر عداوة الجاهل اذا كان غاشا فيوشك أن يورطك الجاهل بمشورته ويسبق اليك مكر العاقل وتورط الجاهل لا تصحب من يكون استمتاعه بمالك وجاهك أكثر من امتاعه لك بشكر لسانه وفوائد عمله ومن كانت غايته الاحتيال على مالك والاطرائك في وجهك فان هذا لا يكون الارديء والغيب سريعا الى الذم اجعل اختيارك للانسان من أفعاله خصوصا لا من أقواله فان كثيرا من الناس أفعالهم ردية وأقاويلهم سديدة طهر قلبك من دنس البخل بمجانبته وارفع نفسك عن مصاحبة أهله ونزه سمعك عن قبيح ذكره فلا داء أدوأ من البخل ولا حال أنكر من مصاحبة أهله ولا محطة أوضع من الارتسام به اذا أنعم

فتبسم معصب وقال ان فيك لموضعا للصنيعة وأمر بملازمة جنابه فلم يزل معه حتى قتل في جمادى الاولى سنة اثنتين وتسعين وقتل أخوه عبد الله في جمادى الأولى وكانت مدة خلافته تسع سنين واثنين وعشرين يوما وماتت أمه أسماء بعده بخمسة أيام لم تشب يقع لها سن ولها من العمر مائة سنة واسم ابن قيس الرقيات عبد الله وانما عرف أيضا بقيس الرقيات لانه تشبب في شعره بثلاث نسوة اسم كل واحدة منهن رقية وقيل اجتمع في جداته ثلاث رقيات وعلى القول الأول يقال الرقيات بالضم على الصفة وقيس بالتنوين وعلى الثاني يقال قيس الرقيات بالكسر على الجدات وأما الرقيات اللاتي شبب بهن فنهن رقية بنت عبد الله بن جعفر وفيها يقول

زودتنا رقية الاحزانا * يوم جازت حمولها سكرانا

ورقية بنت عبد الواحد بن قيس وفيها يقول

أمست رقية دونها العمر * فالرقة السوداء فالبشر

ورقية بنت الحسن وهي ابنة عم رقية بنت عبد الواحد وفيها يقول

اتكنى عن رقية أم تبوح * ومن تبع الهوى حينا فضوح

﴿الفصل الثالث من الباب الرابع عشر﴾

في أن الانتقام بحدود الله خير فعلات من حكمه الله وولاه

قال الله تعالى تلك حدود الله فلا تعتدوها ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون * وروى أبو داود في مراسيله التي أخرجها في سننه عن مكحول عن عبادة بن الصامت قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أقيموا الحدود في السفر والحضر على البعيد والقريب ولا تبالوا في الله لومة لائم (وروى) أبو هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال حد يقام في الارض خير لاهلها من مطر أربعين صباحا (وقال) الحسن البصري رحمه الله تعالى ان الله تعالى أنزل الحدود ليزجر بها عن الخبائث والفواحش وأنزل القصاص حياة لعباده فاقتصوا وحدوا ولا تخافوا في الله لومة لائم ولا يحل لاحد أن يشفع في اسقاط حد من حدود الله تعالى ولا يجوز للمشفوع اليه أن يشفع فيه لما روى عبد الله بن عمر رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من حالت شفاعته دون حد من حدود الله تعالى فقد ضاد الله تعالى ﴿فيما﴾ ورد عن ذوي البصائر والاحلام في كنه مشروع الايقاع والايلام (قال) رسول الله صلى الله عليه وسلم لا جلد فوق عشر جلدات الا في حد من حدود الله عز وجل (وقال) عليه الصلاة والسلام ادرؤا الحدود بالشبهات قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه أوقفوا الحدود ما وجدتم موقفا ولأن يخطئ الامام في العفو خير من أن يخطئ في العقوبة فاذا وجدتم مخرجا للمسلم فادرؤا عنه الحدود (وقال) بعض الحكماء رب ذنب مقدار العقوبة فيه اعلام المذنب بما جنى لا يتجاوز حد الارتفاع الى حد الايقاع (وقيل) لجمة بن رافع الدوسي من أعدل الناس قال من عفا اذا قدر وأجمل اذا انتصر ولم يطغه عز الظفر (ويحكى) أن جعفر بن محمد الصادق قال لابي جعفر المنصور وقد غضب على رجل فاسرف في عقوبته أعيذك بالله يا أمير المؤمنين أن تغضب لله سبحانه بأكثر مما غضب به لنفسه ان الله تعالى يقول يوم القيامة للمنتقم فوق حقه لم عاقبت عبدي بأكثر مما جنى له فيقول يا رب انما غضبت لك فيقول الله سبحانه أكان غضبك ان يكون فوق غضبي (وقال) أبو الدرداء لرجل أسمع كلاما يا هذا لا تغرقن في سبنا ودع للصلح موضعا فانا لا نكافئ من عصى الله فينا بأكثر من أن نطيع الله فيه (وقال) بعض الحكماء ان الحق ثقيل فمن قصر

فيه

الله عليك بنعمة فيها فضل عنك فاعلم ان فيها نصيبا لغيرك فتسرع الى اخراجه تأمن بغتة الاستدراك

﴿فصل﴾

(لما) حضرت يونان الوفاة أوصى ابنه فقال له يا بني اني قد وافيت الأجل وقربت من الحتم واني راحل عنك ومفارقك ومفارق أهل بيتك واخوتك وقد كانت أحوالكم حسنة النظام وكنت لكم كهفا في الشدائد وعونا على المحن ومجنا في الرزايا فعليك بالجود فانه قطب الملك ومفتاح السياسة وباب الرئاسة ودرج السيادة وكن حريصا على اقتناء الرجال بالانعام عليهم تكن سيدا رشيدا واياك والحيدة عن الطريقة المثلى التي عليها مبنى العقل فان من ترك رأي اللب وثمرة العقل تورط في المهالك ووقع في مغائص التعب (وأوصى) لقمان ابنه وقد أراد سفرا فقال يا بني اذا سافرت فلا تنم على دابتك فان كثرة النوم عليها يسرع في دبرها واذا نزلت بأرض مكلئة فأعطها حظها من الكلأ وأبدأ بعلفها وسقيها قبل نفسك فاذا بعدت عليك المنازل فعليك بالدلج فان الارض تطوى بالليل واذا أردت النزول فلا تنزل على قارعة الطريق فانها مأوى الحيات والسباع وعليك من بقاع الارض بأحسنها لونا وألينها تربة وأكثرها كلأ فانزل بها واذا نزلت فصل ركعتين قبل أن تجلس وقل رب أنزلني منزلا مباركا وأنت خير المنزلين واذا أردت قضاء حاجة فابعد المذهب وعليك بالسترة واذا ارتحلت من منزل

فيه عجز ومن جاوزه ظلم ومن انتهى اليه اكتفى (أتى المأمون) برجل وجب عليه حد فأمر بضربه فقال يا أمير المؤمنين قتلتني قال الحق قتلك قال ارحمني قال ما أنا بأرحم من الذي أوجب الحد عليك (وقالوا) جماع الخير كله في القيام بحدود الله (تقدمت) امرأة الى ابن الزيات وكان قد حبس ابنها في دم فاستغاثت فنهرها وزوى وجهه عنها فقال بعض من حضر ارحمها أيها الوزير انها أمه قال أفلا أرحم أم المقتول (شاعر)

اذا عفا لم يلك في عفوه * منّ به كدر نعماه وان سطا عاقب ذا زلة * بقدره لا يتعداه

(وقال) أكثم بن صيفي لا تعاقب على الذنوب فوق عقوبتها فان الله تعالى أقدر منك على عدوك (وقال) سري السقطي خصلة من أعلام الاسلام وقواعد الايمان من اذا قدر لم يتناول ما ليس له (وقالوا) العفو احتمال الذنب الذي لا يكون عن عمد ولا يفضي الى حد ولا ينقض سنة ولا يولد جرأة فاما الذي يرتكب عمدا أو يوجب حدا فلا احتمال له ترخيص في الذنوب والتجاوز عنه ابطال للحدود وذلك ما لا تحتمله السياسة ولا تطلقه الشريعة فمن عفا عمن يستوجب الحد كان كمن عاقب من يستحق المثوبة (ذكر) الحدود التي أوجبها الله تعالى على من أفرط في ارتكاب الفواحش وتغالى (الحدود) وضعها الله سبحانه للردع عن ارتكاب ما حظر وترك ما أمر فلا تقام الا بعد سماع بينة أو اقرار فان لم تكن بينة أحلف الخصم وذلك في حقوق الادميين وهي نوعان حد وتعزير والحد أنواع حد زنا وحد سكر وحد سرقة وحد قذف (فحد الزنا) وهو أكبر الكبائر يثبت بأحد أمرين اما باقرار أو بينة والبينة أربعة شهداء يشترط في قبول شهادتهم رأي العين للمباضعة وفي جواز تعمد النظر خلاف وحد الرؤية أن يرى من شهد تغييب البالغ العاقل حشفة ذكره في أحد الفرجين لا عصمة بينهما ولا شبهة * والزاني نوعان بكر ومحصن ويجلد الفاعل في البكران كان حرا بالغا عاقلا عالما بالتحريم مائة سوط على سائر أعضائه دون الوجه والرأس والخاصرة وسائر الاعضاء المخوفة ويغربان كلاهما وقال مالك يغرب الرجل دون المرأة وقال أبو حنيفة لا يغرب والتغريب عام مسافة القصر وحد الكافر غير الحربي والمسلم في الجلد والتغريب سواء وحد العبد على النصف من حد الحر ويغرب نصف عام في أحد القولين وقال مالك لا يغرب لما في تغريبه من الاضرار بسيده فاما المحصن فهو الذي أصاب وطأ محرما بعد نكاح وحده الرجم بالحجارة حتى يموت ولا يلزم الراجم توقي مقاتله ولا يجلد فان رجم بالبينة رجم في حفير يمنعه من الهرب وان هرب أتبع بالرجم حتى يموت وان رجم باقراره لم يحفر له وان هرب لم يتبع واذا تاب الزاني بعد القدرة عليه لم يسقط عنه الحد (حد السرقة) والسرقة أخذ مال من حرز بلغت قيمته نصابا اذا سرقه بالغ عاقل مختارا لا شبهة له في المال ولا حرزه فحده قطع يده اليمنى من مفصل الكوع والنصاب ربع دينار أو ما قيمته ربع دينار وهو عشرة دراهم عند الشافعي وثلاثة دراهم عند مالك والاحراز تختلف باختلاف الاموال واذا قطع السارق والمال باق رد على مالكه وان سرقه ثانية قطع وقال أبو حنيفة لا يقطع في مال مرتين وان عفا رب المال عن القطع لم يبطل ويستوي في قطع السرقة الرجل والمرأة والحر والعبد والمسلم والكافر * واذا سرق ثانيا قطعت رجله اليسرى فان سرق ثالثا قطعت يده اليسرى فان سرق رابعا قطعت رجله اليمنى وان سرق خامسا لم يقتل بل يعزر لانها معصية ليس فيها حد ولا كفارة * واذا تلف المسروق في يد السارق ضمن بدله وقطع لان الضمان يجب بحق الآدمي والقطع يجب لله فلا يمنع أحدهما الآخر كالدية والكفارة ولا يقطع صبي ولا مجنون ولا عبد سرق من مال سيده ولا والد سرق من مال ولده ولا ولد سرق من مال والده أو جده

فصل ركعتين وودع الارض التي ارتحلت عنها وسلم عليها وعلى اهلها فان لكل بقعة أهلا من الملائكة واذا مررت ببقعة أو واد أو جبل فاكثر من ذكر الله فان البقاع والجبال تنادي بعضها بعضا هل مر بكم اليوم ذاكر لله وان استطعت أن لا تطعم طعاما حتى تتصدق منه فافعل وعليك بذكر الله ما دمت راكبا وبالتسبيح ما دمت صائما وبالدعاء ما دمت خاليا واياك والسير في أول الليل وعليك بالتغليس والدلجة من وسط الليل الى آخره واياك ورفع الصوت في سيرك الا بذكر الله وسافر بسيفك وقوسك وتزود معك الادوية تنتفع بها ومن معك من أصحابك المرضى والزمنا وكن لاصحابك موافقا في كل شئ يقربك الى الله عز وجل ويبعدك من معصيته وأكثر التبسم في وجوههم وكن كريما على زادك فيهم واذا دعوك فأجبهم واذا استعانوك فأعنهم واذا استشهدوا بك على الحق فاشهد لهم واجهد رأيك فاذا رأيتهم يمشون فامش معهم أو يعملون فاعمل معهم وان تصدقوا بصدقة أو أعطوا شيأ فاعط معهم واسمع ممن هو أكبر منك وان تحيرتم في طريق فانزلوا فان شككتم في القصد فتثبتوا وتآمروا فان رأيتم خيالا واحدا فلا تسألوه عن طريقكم فان الشخص الواحد في الفلاة هو الذي حيركم والحاضر يرى ما لا يرى الغائب فان العاقل اذا أبصر الشئ عرف الحق بقلبه (وأوصى) بعض الحكماء ابنه فقال يا بني اني أراني أنقص في كل يوم والنقص مرقاة للفناء وانك لتشتمل

لان لكل واحد منهما شبهة في مال الآخر (حد الخمر) كل ما أسكر كثيره من خمر أو نبيذ شاربه سواء أسكر أو لم يسكر اذا كان مكلفا * والسكر ما زال معه العقل حتى لا يفرق بين السماء والارض ولا بين الطول والعرض هذا قول أبي حنيفة وقيل هو أن يجمع بين اضطراب الكلام فهما وافهاما وبين اضطراب الحركة مشيا وقياما (ويحكى) أنه لما جاس أبو بكر محمد بن أبي داود الاصفهاني الظاهري بعد أبيه يفتي استصغروه فدسوا اليه رجلا وقالوا له سله متى يكون الشارب سكران فسأله الرجل فقال اذا عزبت عنه الهموم وباح بسره المكتوم فعلم بهذا الجواب موضعه من العلم (وقال آدم بن عبد العزيز في حده)

شربنا الشراب الصرف حتى كأننا * نرى الارض تمشي والجبال تسير
اذا مر كاب قلت قد مر فارس * وان مر هر قلت ذاك بعير
تسايرنا الحيطان من كل جانب * نرى الشخص كالشخصين وهو صغير

* والحد في حق الحر أن يجلد أربعين بالايدي أو بأطراف الأكمام أو بالسوط ويبكت بالقول الممض والكلام الرادع وحد العبد على النصف من حد الحر كذا جلد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وصدرا من خلافة عمر فقال للصحابة أرى الناس قد انهمكوا في شرب الخمر فما ترون فقال علي رضي الله عنه أرى أن يجلد الحر ثمانين والعبد أربعين ففعل ذلك فلما لم يكن بد من اتباع سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل الفقهاء الاربعين الاولى حدا والثانية تعزيرا لاجل الافتراء لان الشارب اذا سكر عربد واذا عربد افترى واذا افترى استحق التعزير فان مات في الاربعين كانت نفسه هدرا وان مات في الثمانين ففيه قولان أحدهما جميع الدية لتجاوزه النص في حده وهو الاربعون والثاني نصف الدية لان نصف حده نص والآخر مزيد (وحد القذف) ثمانون جلدة اجماعا وهو من حقوق الآدميين يستحق بالطلب ويسقط بالعفو ويعتبر في المقذوف خمس شروط البلوغ والحرية والعقل والاسلام والعفة وان كان غير ذلك لا يحد قاذفه بل يعزر لاجل الأذى * وشرط القاذف أن يكون بالغا عاقلا حرا وان كان صغيرا أو مجنونا فلا يحد ولا يعزر وان كان عبدا حد أربعين لنقصه بالرق ويستوي في الحد المسلم والكافر والمرأة ولا يحد القاذف بالسرقة والكفر بل يعزر لاجل الأذى * والقذف بالزنا كان بالتصريح لا بالتعريض وقيل بالتصريح والتعريض وهو مذهب مالك وقيل لا حد في التعريض وهو مذهب الشافعي (والتعزير) هو تأديب على ذنوب لم تشرع فيها الحدود ولا يبلغ به أدنى الحد فلا يبلغ به في الحر الى الاربعين ولا في العبد الى العشرين فالذي لم تشرع فيه الحدود كمباضعة الاجنبية فيما دون الفرج وسرقة ما دون النصاب والسرقة من غير حرز والقذف بغير الزنا أو الجناية التي لا قصاص فيها * ويجوز أن يكون التعزير بالعصا وبالسوط وهو على حسب ما يراه الامام ويختلف باختلاف الذنب وحال فاعله كقوله عليه الصلاة والسلام أقيلوا ذوي المروآت عثراتهم الا في الحدود فيعزر من جل قدره بالاعراض عنه ويعزر من دونه بالتعنيف ويعزر من دونه بزواجر الكلام ويعزر من دونه بالضرب وحالهم في الحبس كذلك من يوم الى غاية غير مقدورة * ويجوز في التعزير العفو عنه اذا لم يتعلق به حق لآدمي كالشتم والضرب وان عفا المشتوم أو المضروب كان ولي الامر مخيرا بين التعزير تقويما أو العفو صفحا وان تشاتما وأقبل الترافع اليه كان ولي الامر مخيرا (والجنايات) هي قود وعقل * والجنايات على النفوس ثلاثة عمد محض وخطأ وشبه عمد (أما العمد المحض) فهو أن يتعمد رجل قتل انسان بما يقتل غالبا ففيه القود أو الدية * والقود أن يقتل القاتل بمثل

ما قتل

بعد ذلك على أخرى فتستمر متزلى وتتغشى بهديي وفي ذلك الوقت تحتاج الى مجاهدة ظن الحاسد وارهاف القاصد ورأي المعيب واطراء المتملق وكذب المحروم فان صبرت لها وقابلتها بحسن الروية وسداد التدبير قهرت هذه الجماعة منك حسيرة مدحورة وبعد عن القادح أن يقدح في شيء من أمرك واعلم أن ما لك من مالك أكثر مما أحرزك المكانة في أهل طبقتك فأقم مقام الشريك الذي تثق بسرعة اجابته وتحمد حسن محبته ويرى زيادة جاهك ونقصانه بزيادته ونقصانه فلا تسعفن فيه رأيا تصدى لك فانه أجرى عليك منه ولا تجمع بك الرغبة في الازدياد منه الى الطلب لمحظور عليك فان قليل ما خبث من المال يمحق كثير ما طاب منه واعلم أن الشهوات حلوة الموارد مرة المصادر وان طاعة الرأي مرة المورد حلوة المصدر فتحمل ما في يديها لما في غيبها ولا تنس أن التظامن لمن فوقك والرأفة بمن دونك أكبر من صبرك على استعتاب من فوقك واحتمالك لمن ضعف عنك أزيد من احتمالك لمن قوي عليك واعلم أن أضر من عاشرته مغريك ومطريك ومن قصرت همته عن همتك واعلم أنك ان ظننت بالشيء أكثر مما فيه فعدلك أحوج ما كنت اليه وان ظننت به دون ما هو فيه تظلمت منك قواه فناسب بعملك طبيعة الزمان ما لم يقدح ذلك في مروءتك ودينك وأخلاقك اذا بلغ الى هذه الثلاثة فحل عنه ولا تستهينن بصغير الخطأ في كبير العمل واحذر ان

ما قتل به المقتول اذا قتل بالسيف لم يقتص منه الا بالسيف وان أحرقه أو أغرقه أو رماه بحجر أو رماه من شاهق أو ضربه بخشبة أو حبسه ومنعه الطعام والشراب فمات فللولي أن يقتص بذلك لقوله تعالى وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به * والدية في هذا القتل مائة من الابل في مال القاتل حالة فان أعوزت الابل وجب قيمتها بلغت ما بلغت وقيل ألف دينار أو اثنا عشر ألف درهم وأول من سن الدية مائة من الابل عبد المطلب * وحكم القود فيه أن يفضل القاتل على المقتول بحرية أو اسلام فلا يقتل حر بعبد ولا ذكر بأنثى ولا مسلم بكافر وهو مذهب مالك والشافعي فان قتل حر عبدا فلا قود وكذا لو قتل مسلم كافرا وقال أبو حنيفة يقتل المسلم بالكافر والحر بالعبد كما يقتل العبد بالحر والكافر بالمسلم ويقاد الرجل بالمرأة والمرأة بالرجل والكبير بالصغير والعاقل بالمجنون مراعاة لقول الله تعالى ان النفس بالنفس وقال المخالف له هذه الآية واردة بحكاية ما كتب في التوراة على أهلها والذي خوطب به المسلمون كتب عليكم القصاص في القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد والانثى بالانثى ولا يقاد والد بولد ويقاد الولد بالوالد والاخ بالاخ (وأما الخطأ) الظاهر فهو أن ينسب اليه الفعل من غير قصد لايقاع الفعل بالمقتول كرجل رمى هدفا فأصاب انسانا أو ركب دابة فرمحت بانسان فمات فهذا وما أشبهه اذا حدث عنه القتل قيل فيه خطأ محض تجب فيه الدية دون القود على عاقلة الجاني في ماله مؤجلة تؤخذ من حين يموت المقتول في ثلاث سنين أخماسا عشرون خلفة وهي التي مضى عليها سنة وحلفت عن أمهاتها وعشرون بنت مخاض وهي التي مضى لها من العمر سنتان وعشرون بنت لبون وهي التي مضى لها من العمر ثلاث سنين وعشرون حقة وهي التي مضى لها من العمر أربع سنين وسميت حقة لانها استحقت أن يحمل عليها وعشرون جذعة وهي التي مضى لها من العمر خمس سنين ولا يتحمل القاتل مع العاقلة شيأ من الدية ولا يتحملها الأب وان علا ولا الابن وان سفل لانهما ليسا من العاقلة * وعلى القاتل خطأ مع الدية عتق رقبة مؤمنة سليمة من العيوب فانه لما أخرج نفسا مؤمنة من جملة الاحياء لزمه أن يدخل نفسا مثلها في جملة الاحرار لان اطلاقها من قيد الرق كاحيائها من قتل لان الرقيق ممنوع من تصرف الاحرار ومن لم يجد رقبة ولا ما يتوصل به اليها فعليه صيام شهرين متتابعين (ودية نفس الحر المسلم) ألف دينار وان كانت ورقا اثنا عشر ألف درهم وان كانت ابلا فمائة من الابل وهي أصل الدية ودية المرأة على النصف من دية الرجل في النفس والاطراف ودية اليهودي والنصراني ثلث دية المسلم وقال مالك نصفها ودية المجوسي ثلثا عشر دية المسلم ودية العبد قيمته وان زادت على الحر أضعافا (وأما شبه العمد) فهو أن يكون عامدا في الفعل غير قاصد للقتل كمعلم أدب صبيا فمات أو عزر السلطان رجلا على ذنب فتلف فلا قود في القتل وفيه الدية على العاقلة وهو أن يزاد عليها ثلثها تؤخذ فيها ثلاثون حقة وثلاثون جذعة وأربعون خلفة * والعاقلة هم العصبات الذين يرثون بالنسب والولاء واذا اشترك جماعة في قتل رجل واحد وجب القود على جميعهم وان كثروا ولولي الدم أن يعفو عمن شاء منهم ويقتل باقيهم وان عفى عن جميعهم فعليهم دية واحدة تقسط عليهم بالسوية وان كان بعضهم جارحا وبعضهم ذابحا فالقود في النفس على الذابح الموفي والجارح مأخوذ بجراحته * واذا قتل الواحد جماعة قتل بالاول ولزمه القود في الباقين وتؤخذ دياتهم من ماله * والقود في الاطراف كما قال الله تعالى وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين والانف بالانف والأذن بالأذن والسن بالسن والجروح قصاص ولا تقاد يمنى بيسرى ولا صحيحة بشلاء ولا ضرس

تستصغرنّ عدوّا فيقصر عليك مكروهه من زيادة مقداره على تقديرك فيه واعلم ان الزمان الردىء يقلب أعيان المنعمين الى المنع والاساءة بما يظهر فيه من كفر الاحسان ومقابلة الجميل بالقبيح وينبغي للعاقل أن يخدم في شبيبته زمان الشيخوخة قبل مجيئه كما يخدم في الصيف زمان الشتاء قبل هجومه فانه يجمع الحطب وما لا يصل اليه في ذلك الوقت لصعوبته عليه واجعل حذرك من الناس أكثر من رجائك لهم وتحرزك منهم أكثر من استئناسك اليهم واذا ضاق عنهم وفرك فليسعهم بشرك واعلم ان تكبر الحر على من فوقه وتكبر النذل على من دونه وينبغي أن تخاف الضعيف اذا كان تحت رأيه الانصاف أكثر من خوفك القوي تحت رأيه الجور فان النصر ربما أتاه من حيث لا يشعر واعلم ان احتمال المكاره في هذا العالم والصبر على المحن كراء للحياة وخرج يلتزمه العاقل لايام البقاء واعلم أن من غلب الشباب ومساعدة الحظ ولم يثنياه عن الأمور الفاضلة فهو القوي ومن تصور صدره في ورده وجعله نصب عينيه ويجنى فكرته فهو السعيد النجيب ومن قضى ما أسلف اليه من الاحسان فهو تام الحرية واعلم ان الميل الى الراحة غفلة عن عدو لا يغفل وان من ضعف لسره لم يقو لشيء من أمره وان الاحرار تخاف التبكيت كما تخاف العبيد الضرب واعلم أن أعظم الفاقات فاقة الرجل الى حاشيته وان الخيار يرغبون عند الحاجة والشرار يرغبون في الحاجة

بسن ولاثنية برباعية ولا لسان ناطق بلسان أخرس لانه أكثر من حقه و يؤخذ الاخرس بالناطق وما انقسم الى أعلى وأسفل لم يؤخذ الاعلى بالاسفل و يقاد الشريف بالدنى

(ما الدية فيه كاملة من جوارح الانسان وحواسه)

العقل الاذنان السمع على حياله العينان البصر على حياله الاجفان الاهداب على حيالها الانف الشم على حياله الشفتان النطق على حياله الاسنان اللسان الذوق على حياله اللحيان اليدان الأصابع على حيالها الصلب قوة الامناء الاليتان الذكر الانثيان ابطال شهوة الجماع على حيالها الرجلان منفعة المشي والبطش من غير قطع اليدين والرجلين سلخ جميع الوجه نزع لحم الاكتاف نزع جميع اللحم النابت على الظهر

(ما تختص به المرأة دون الرجل)

الثديان وفي الرجل خلاف الشفران الافضاء * و يجب في كل جفن ربع الدية وفي كل سن خمس من الابل وكذلك في الاضراس والرباعيات وفي كل أصبع من اليد أو الرجل عشر الدية لا يفضل أصبع على أصبع وفي كل أنملة ثلث عشر الدية ما خلا الابهام فان في كل أنملة منه نصف العشر (واذا) وجب القود في نفس أو طرف لم يكن لوليه أن ينفرد باستيفائه الا باذن السلطان وان صار الى حقه من غير اذن السلطان فلا شيء عليه واذا تعذر وخاف فوات القاتل فالولي مخير بين أن يعفو أو يقتل أو يأخذ الدية وذلك مما خص الله به هذه الامة وذلك ان الله كتب على أهل التوراة القصاص وحرم عليهم العفو وأخذ الدية وأوجب على أهل الانجيل العفو وحرم عليهم القصاص وأخذ الدية (المحاربون) وهو اجتماع جماعة على شهر السلاح وقطع الطريق وأخذ الاموال ومنع السابلة فالحكم فيهم كما قال الله تعالى انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الارض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الارض وحكم هذه الآية أنها مرتبة باختلاف أفعالهم لا باختلاف صفاتهم فمن قتل وأخذ المال قتل وصلب ومذهب مالك وأبي حنيفة أن يصلب حيا ثم يطعن بالرماح حتى يموت ولا بأس أن يطعم ويسقى ولا يجوز العفو عن هذا القتل وان عفا ولي الدم ومن قتل ولم يأخذ المال قتل ولم يصلب ومن أخذ المال ولم يقتل قطعت يده اليمنى للسرقة ورجله اليسرى للمجاهرة باخافة السبيل ومن هيب ولم يقتل ولم يأخذ المال عزر لا غير ونفي (والنفي) هو الحبس وهو قول مالك وأبي حنيفة وقال الشافعي هو أن يطلبوا لاقامة الحدود فيبعدوا فان تابوا سقطت عنهم الحدود وقيل الامام مخير بين هذه العقوبات في كل قاطع طريق من غير تفصيل * وتوبة المحارب قبل القدرة عليه فان لم يكن في منعة وضع عنه الحد الالهي ولا يسقط عنه حد الآدمي وقال مالك توبة المحارب قبل القدرة عليه تضع عنه جميع الحدود والحقوق الا الدماء والله أعلم

(الباب الخامس عشر في الاخوة وفيه ثلاث فصول)

(الفصل الاول من هذا الباب)

(في مدح اتخاذ الاخوان فانهم العدد والاعوان)

(قال) الله تعالى حكاية عن قول الكفار في دركات النار في طلبهم الاغاثة من الصديق على ازالة ما مسهم من عذاب الحريق أو تخفيف ما لهم من العذاب الاليم فما لنا من شافعين ولا صديق حميم (قيل) انما سمي الصديق صديقا لصدقه فيما يدعيه من المودة وسمي العدو عدوا لعدوه عليك اذا ظفر بك (وقال) رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثروا من

الاخوان

والشهوة وان سياسة الغني للفقير أشد من سياسة الملك للرعية وان الجدة لا تكاد تهدي الى صاحبها صديقا فيه خير والشدة لا تكاد تهدي الى صاحبها صديقا فيه شر واعلم ان المعروف ذخيرة لا يحتاج صاحبها الى حراس فعاشر الشكس بالتواضع والمهين بالتآمر والبخيل بالمسامحة والسخي بالرغبة اليه ولا تغفلن في كل الاحوال عن ثمرة حسن المداراة واعلم أن أضيق المشاهد مكان لم تجد فيه معينا لك ولا مشيرا عليك وأخوف المسالك حال حسنت فيها مفارقة حريتك وجميل أوصافك وتعبدت فيها لرذائلك وأسوأ المجاورين لك مخالطا يحرف حسناتك ويحسد فضلاتك ويتتبع غوائلك واذا حاولت أمرا فلا تجمع اليه ولا ترمه فاكثر جهدك وكن فيه مثل الملاح في قطع عرض البحر يسرق له الرياح والجرية واستعمل الاخلاص لله تعالى فيما عجزت عنه لانه ربما كان الاعراق في الامر سببا لفواته والاخطار بصاحبه فيه واعلم ان للجاه زكاة تجب على صاحبه وهي السعي في انصاف المظلوم وقضاء حاجة المستور وتقريب النجح من عجز جاهه وعزت عليه مطالبه وهذه تربه وتزيد فيه واعلم ان الدهر حاملك على طبقات منها حال السخاء حتى تدنو من السرف ومنها حال الاقتصاد حتى تدنو من البخل ومنها حال الاناة حتى تدنو من البلادة ومنها حال المناهدة للفرصة حتى تدنو من الطيش ومنها حال الزلاقة في اللسان حتى تدنو من الهذر ومنها حال الاخذ بحكم الصمت حتى تدنو من العي

الاخوان فان الله حي كريم يستحي أن يعذب عبده بين اخوانه (وقال) عليه الصلاة والسلام المرء كثير بأخيه (وقال) عليكم باخوان الصدق فانهم معونة على حوادث الزمان وشركاء في السراء والضراء وما أحسن قول من قال

مادامت النفس على شهوة * الذمن ودصديق أمين
من فاته ود أخ صالح * فذلك المقطوع منه الوتين

(وقيل لحكيم) ما أحسن العيش قال اقبال الزمان وعشرة السلطان وكثرة الاخوان

ماضاع من كان له صاحب * يقدر أن يرفع من شانه
وانما الدنيا بسكانها * وانما المرء باخوانه

(ولعلي كرم الله وجهه في معناه)

عليك باخوان الصفاء فانهم * عماد اذا استنجدتهم وظهور
وليس كثيرا ألف خل وصاحب * وان عدوا واحدا لكثير

(وقال) المغيرة بن شعبة التارك للاخوان متروك (ويقال) الرجل بلا أخ كشمال بلا يمين وقال الشاعر

وما المرء الا باخوانه * كما يقبض الكف بالمعصم
ولا خير في الكف مقطوعة * ولا خير في الساعد الاجذم

(وقالوا) من لم يرغب في الاخوان بلي بالعداوة والخذلان (وقالوا) اتخاذ الاخوان مسلاة للاحزان (وقالوا) مثل الصديق كاليد توصل باليد والعين تستعين بالعين (الثعالبي) الحاجة الى الاخ المعين كالحاجة الى الماء المعين * وقال الصديق ثاني النفس وثالث العينين * وقال في لقاء الاخوان روح الجنان وراحة الجبان * وقال لا فاكهة أطيب من فاكهة الاخوان ولا نسيم أروح من مناسمة الخلان * وقيل لبعضهم أيما أعز عليك شقيقك أم صديقك قال شقيقي اذا كان صديقي (وقالوا) الاخ الصالح خير لك من نفسك لأن النفس أمارة بالسوء والاخ الصالح لا يأمرك الا بالخير (ولم يقل) في احتياج الانسان الى صديق يزينه في المشاهد ويعينه على بلوغ المقاصد مثل قول الفقيه منصور

لولا صدود الصديق عني * ما نالني واش منا مني
ولا أدمت البكاء حتى * قرح فيض الدموع جفني
وما جفاء الصديق الا * هجوم خوف عقيب أمن

(وقالوا) اصطف من الاخوان من كان ذا عقل موفور يهتدي به الى مراشد الامور فان الاحمق لا يثبت له وصال ولا يدوم لصاحبه على حال (وقالوا) اصطف من الاخوان ذا الدين والحسب والرأي والادب فانه ردء لك عند حاجتك وركن عند نائبتك وأنس عند وحشتك وزين عند عاقبتك

(وقال حسان بن ثابت رضي الله عنه)

أخلاء الرجال هم كثير * ولكن في البلاء هم قليل
فلا يغررك خلة من تصافي * فمالك عند نائبة خليل
وكم خل يقول أنا وفي * ولكن ليس يفعل ما يقول
سوى خل له حسب ودين * فذاك لما يقول هو الفعول

(وقد صرح الشاعر في اعتبار الاخلاق واختيار الاعراق) بقوله

واذا جهلت من امرئ أعراقه * وذكرتها فانظر الى ما يصنع
ان النبات اذا استدام به الثرى * مرج النبات به فطاب المرتع

(آخر) صاف الكريم ظفير من صافيته * من كان ذا شرف وكان عفيفا

وأنت جدير أن تبلغ في كل طبقة حدها في محاسنها فاذا وقفت على الحدود التي لا تجاوز معها منعت نفسك ما وراء ذلك واعلم انك بعين الله في تصرفك وتقلبك وانه مطلع على خائنة قلبك وما عقدت عليه نيتك فخف خلافه واجر الى طاعته يجمع لك بين احسانه اليك في الدنيا ورضاه عنك في الاخرة وأنا أسأل الله أن يرشد سعيك ويحسن الاختيار انه سميع الدعاء قريب الاجابة (وأوصى بعض العلماء) ابنه فقال له اعلم يا بني أن الادب أفضل الاثاث وان المروءة أفضل الميراث والادب زينة الحسب وصلة في المجالس وأنس في الوحدة وعون في المروءة وانما المرء بمروءته وأصل المروءة اجتناب المرء ما يشينه واختياره ما يزينه ولا مروءة لمن لا أدب له ولا أدب لمن لا عقل له

﴿قال الشاعر﴾

وما أدب الانسان شئ كعقله
وما عقله الا بحسن التأدب
فواظب يا بني على طلب الادب
جهدك واشغل به عقلك وتدبر منه
في الخلا ما يزينك في الملا ﴿قال الشاعر﴾

تعلم فليس المرء يولد عالما
وليس أخو علم كمن هو جاهل
وان كبير القوم لا علم عنده
صغير اذا التفت عليه المحافل

وقد رسمت لك يا بني رسما ان لزمته أجلك الملوك وانقاد لك السوقة والصعاليك يا بني أول ما أوصيك به تقوى الله تعالى والشكر له في السر والعلانية وامتثل قول الشاعر

ليس الظريف بكامل في ظرفه
حتى يكون عن الحرام عفيفا

فاذا تورع عن محارم ربه
فهناك يدعى فى الانام ظريفا
واعلم يابنى ان الشكر مزاد والتقوى خير زاد ﴿وقال الشاعر﴾
واست أرى السعادة جمع مال
ولكن التقى هو السعيد
فتقوى الله خير الزاد ذخرا
وعند الله للاتقى مزيد
وما لابد أن يأتى قريب
ولكن الذى يمضى بعيد
يابنى اذا اجتمعت عليك أشغال جمة فابدأ بأحبها الى الله عز وجل وأحمدها عاقبة ففى ذلك ﴿وقال الشاعر﴾
اعمل وأنت من الدنيا على حذر
واعلم بانك بعد الموت مبعوث
واعلم بانك ما قدمت من عمل
محصى عليك وما خلفت موروث
واعلم يابنى ان الصبر أفضل الاعمال وأحصن المعاقل فعليك بالصبر على طاعة الله عز وجل على ما أحب الناس أو كرهوا فقد قال الشاعر
صبرت ومن يصبر يجد غب صبره
ألذ وأحلى من جنى النحل فى الفم
يابنى استغن عن الناس جهدك يحتاج الناس اليك واعلم أن أغنى الناس عن الناس من أفرد الله بحاجته وما استغنى أحد بالله الا أفتقر الناس اليه قال الشاعر
اضرع الى الله لا تضرع الى الناس
واقنع بيأس فان العز فى اليأس
واستغن عن كل ذى قربى وذى رحم
ان الغنى من استغنى عن الناس
يابنى لا تزهدن فى معروف فان الدهر ذو صروف فكم من طالب كان مطلوبا اليه وراغب صار مرغوبا مما لديه واعلم ان الزمان

ان الكريم اذا تضعضع حاله * فالخلق منه لا يزال شريفا

(وقال على) رضى الله عنه الاخ رقعة فى ثوبك فانظر بم ترقعه (وقال العتابى) لا تستكثرن من الاخوان الان كانوا أخيارا فان الاخوان غير الاخيار بمنزلة النار قليلها امتاع وكثيرها بوار وقد قال الشاعر

لا تركنن الى أهل الزمان ولا * تأمن الى أحد واستشعر الحذرا
فان شككت فجرب من تعاشره * حتى يقول لك التجريب كيف ترى

(آخر)
تخير من الاخوان كل ابن حرة * يسرك عند النائبات بلاؤه
وقارن اذا قارنت حرا فانما * يزين ويزرى بالفتى قرناؤه

(عدى بن زيد)
اذا كنت فى قوم فصاحب خيارهم * ولا تصحب الاردى فتردى مع الردى
عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه * فكل قرين بالمقارن يقتدى

(آخر)
لانك للجاهل خدنا فقد * يعتبر الصاحب بالصاحب
علامة الانسان فى خدنه * تبين للشاهد والغائب

(ولبعضهم)
اذا اخترت أن يبقى لك الدهر صاحبا * فمن قبل أن يصفو لك الود فاغضبه
فان كان فى حال التباغض راضيا * والا فقد جربته فتجنبه

(قال ابن مسعود) ما شئ أدل على شئ ولا الدخان على النار من الصاحب على الصاحب (وقال حكيم) كل انسان يأنس الى شكله كما أن كل طير يطير مع جنسه (ومن النوادر) ان حكيما رأى غرابا مع حمامة فعجب من تألفهما مع مباينتهما فى الجنس فأثارهما فاذا كل منهما مكسور الجناح فقال انما جمع بينهما العلة (وقالت الحكماء) الاضداد لا تتفق والاشكال لا تفترق (وقالوا) على قدر تشاكل الاجناس تتألف قلوب الناس وأقربهما مشاكلة أحسنهما مواصلة وأكثرهما تنافرا أطولها تهاجرا (وحكى) أن عبد الله بن جعفر جاء مكة ليلا فبات خارجها فلما أصبح دخلها فقال يا أهل مكة عرفنا أخياركم من أشراركم فى ليلة واحدة نزلنا ومعنا أخيار وأشرارا فنزل أخيارنا على أخياركم وأشرارنا على أشراركم وقد نظم المتنبى هذا القول فى بيت واحد فقال

وشبه الشئ منجذب اليه * واشبهنا بدنيانا الطغام

(ولغيره)
لكل امرئ شكل من الناس مثله * وأكثرهم شكلا أقلهم عقلا
وكل أناس يألفون لشكلهم * وأكثرهم عقلا أقلهم شكلا
لان كثير العقل ليس بواحد * له فى فريق كل حين له مثلا

(آخر)
وقائلة كيف تهاجرتما * فقلت قولا فيه انصاف
لم يك من شكلى ففارقته * والناس أشكال والاف

(وقال الجاحظ) من شأن الاجناس أن تتواصل ومن عادة الاشكال أن تتقاوم والشئ يتغلغل الى معدنه ويحن الى عنصره فاذا صادف منبته ولاقى عنصره وشج بعروقه وسبق بفروعه وتمكن على الاقامة وثبت ثبات الطينة

(وقال حاتم)
وانى وحيد الفقر مشترك الغنى * وتارك شكل لا يوافقه شكلى
وشكلى شكل لا يقوم بمثله * من الناس الا كل ذى ثقة مثلى

ولى

ولى ملح فى المجد والبذل لم يكن * تأنقها فيما مضى أحد قبلى
وأجعل مالى دون عرضى جنة * لنفسى وأستغنى بما كان من فضلى
(أبو سليمان الخطابى)
وما غربة الانسان فى شقة النوى * ولكنها والله فى عدم الشكل
وانى غريب بين بست وأهلها * وان كان فيها أسرتى وبها أهلى
(ويقال) المودة نسبة من غير رحم وصلة من غير قرابة (شاعر)
ولقد صحبت الناس ثم سبرتهم * وبلوت ما وصلوا من الاسباب
فاذا القرابة لا تقرب نائيا * واذا المودة أقرب الانساب
(آخر) ما القرب الا لمن صحت مودته * ولم يخنك وليس القرب بالنسب
كم من قريب بعيد الود مطعن * ومن بعيد سليم الود مقترب

﴿فنون شروط الاخاء وحقوقه الواجبة على كل أحد لصديقه﴾ والقول الجامع لحقوق الصديق ما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال للمسلم على المسلم ست خصال واجبات فمن ترك واحدة منها فقد ترك حقا واجبا لاخيه عليه أن يسلم عليه اذا لقيه ويشمته اذا عطس ويعوده اذا مرض ويجيبه اذا دعاه وينصحه اذا غاب ويشيعه اذا مات (وقال) عمر بن الخطاب ثلاث يصفو بها ود أخيك تسلم عليه اذا لقيته وتوسع له فى المجلس وتدعوه بأحب أسمائه اليه نظم بعض الشعراء هذه الكلمات

ثلاث بها تصفو بود أخيكا * اذا اجتمعت بعد الاخوة فيكا
تسلم عليه ضاحكا متحببا * اليه اذا لاقيته ولقيكا
وتوسع له بالود فى كل مجلس * كما كنت يوما موسعا لابيكا
وتدعوه من اسمائه بأحبها * اليه تكن بالود منه وشيكا
وداوم عليها مع أخيك فانه * من السوء عند النائبات بقيكا

(وسئل) عبد الله بن عمر ما حق الصديق على صديقه قال لا تشبع ويجوع وتلبس ويعرى وأن تواسيه بالبيضاء والصفراء نظم شاعر هذه الكلمات فقال

لخليلى على منى ثلاث * واجبات أخصها اخوانى
حفظه فى المغيب ان غاب عنى * ولقياه ما لبشر ان لاقانى
ثم بذلى بما حوته يمينى * مشفقا فى الخطوب ان ما دعانى

﴿فيما يعتمد من شرائط الاخاء والمودة رعاية الاخ أخاه فى الرخاء والشدة﴾ (قال) على رضى الله عنه لا يكون الصديق صديقا حتى يحفظ أخاه فى ثلاث فى نكبته وغيبته ووفاته (وقال) طاوس اليمانى لا تواخين الا الكريم الابوة الكامل المروة الذى ان بعدت عنه خلفك وان قربت اليه كنفك (وقال الثعالبى) ينبغى أن يكون الصديق لصديقه أسمع من خادم وأطوع من حاتم (وقيل) لابن السماك واسمه محمد بن صبيح أى الاخوان أخلق ببقاء المودة قال الوافر دينه الوافى عقله الذى لا يملك على القرب ولا ينساك عند البعد ان دنوت منه دعاك وان بعدت عنه رعاك لا يقبضه عنك يسر ولا يقطعه عنك عسر ان استعنته عضدك وان احتجت له رفدك وتكون مودة فعله أكثر من مودة قوله يستقل كثير المعروف من نفسه ويستكثر قليل المودة من صديقه (وقال) جعفر الصادق رضى الله عنه للصداقة خمس شروط فمن كانت فيه فانسبوه اليها ومن لم تكن فيه فلا تنسبوه الى شئ منها وهى أن يكون زين صديقه زينه وسريرته له كعلانيته وان لا يغيره عليه مال وان رآه أهلا لجميع مودته ولا يسلمه عند النكبات (وقال) أبو بكر بن عبد الله المزنى اذا انقطع شسع نعل أخيك

ذو ألوان ومن يصحب الزمان يرى الهوان وكن كما قال الشاعر
وعد من الرحمن فضلا ومنة
عليك اذا ما جاء للعرف طالب
ولا تمنعن ذا حاجة جاء راغبا
فانك لا تدرى متى أنت راغب
رأيت التواهذا الزمان بأهله
وبينهم فيه تكون العجائب
يا بنى اذا فعلت معروفا فلا تمن به فان المنة تهدم الصنيعة وتحبط الاجر وتسقط الشكر ولذلك قال الشاعر
فلا تلك منانا بخير فعلته
فقد يفسد المعروف بالمن صاحبه
وكن يا بنى أحسن ما تكون فى الظاهر حالا أقل ما تكون فى الباطن مالا واعلم ان الكريم قد كرمت عند الحاجة طبيعته وظهرت عند الافتقار نعمته قال الشاعر
ولا عار ان زالت عن المرء نعمة
ولكن عارا ان يزول التجمل
يا بنى عليك بالوفاء فانه يدعو الى التقى واعلم انه لا يتم كرم المرء الا بحسن وفائه ولذلك قال الشاعر
ان الوفاء بعهد الله عادتنا
ولا بنى بعهود الله كذاب
يا بنى اذا وعدت أحدا عدة فتممها وتجمل بها واياك أن تقول لا فيما قلت فيه نعم وامتثل قول على بن أبى طالب رضى الله عنه
ولا أقول نعم وأتبعها لا ولو
ولو ذهبت بالمال والولد
يا بنى خذ فى أمورك بالاناءة وحسن التثبت تسلم من عتاب الاخوان عند عواقبها كما قال الشاعر
قد يدرك المتأنى بعض حاجته
وقد يكون مع المستعجل الزلل
يا بنى اذا ائتمنك أحد على أمانة فاياك عن ذكرها حتى تسلمها مصونة الى أهلها ففى ذلك قال الشاعر

ولم تواسه فى الجفاء فقد ملت الى جانب من الجفاء (ومن حق الصداقة) حفظ العهد و
المال واخلاص المودة ورعاية الغيب وتوقير المشهد ورفض الوحدة وكظم الغيظ واستعمال
الحلم ومجانبة الخلاف واحتمال الكل وطلاقة الوجه وصدق اللسان والمشاركة فى البأساء
(ولقد كرم نجار من قال فى معرض الافتخار)

لم يبق منى على الايام بافية * الا انقضت غير حفظ العهد والذمم
هذان حلقان أيام الحياة معى * لا يبرحان على الاكثار والعدم

(أبو العتاهية)

أحب من الاخوان كل مواتى * وكل غضيض الطرف عن عثراتى
يوافقنى فى كل أمر أريده * ويحفظنى حيا وبعد مماتى
ومن لى بهذا ليت أنى وجدته * فقاسمته مالى من الحسنات

(وقالوا) خير الاخوان من يستر ذنبك فلم يقرعك به ويخفى معروفه عندك فلم يمن به عليك
(وقال أعرابى) اصحب من ينسى معروفه عندك ويذكر حقوقك عليه (وقال آخر) اصحب
من اذا صحبته زانك وان خدمته صانك وان أصابتك خصاصة مانك وان رأى منك حسنة
عدها وان عثر على سيئة سدها لا تخاف بوائقه ولا تختلف عليك طرائقه (أبو نصر الميكالى)

أخوك من ان كنت فى * نعمى وبؤسى عادلك
وان ينالك نقمة * بالبر منه عادلك

(آخر) خير اخوانك المشارك فى المر * وأين الشريك فى المر أينا
الذى ان حضرت زانك فى الحى * وان غبت كان أذنا وعينا

(آخر) لعمرك ما زان الفتى فى أموره * ولا شان الا الطباع الخلائق
ولا صاحب الاقوام فى كل حالة * كحر كريم أو خليل موافق
يواسيك فى البلوى ويمنحك الهوى * ويصفيك ودا ما خضاغير ماذق
يكون اذا نابتك يوما عظيمة * سنانا لدى الهيجاء فى كل مارق

(آخر) ان أخا الصدق من كان معك * ومن يضر نفسه لينفعك
ومن اذا ريب الزمان صدعك * شتت فيك شمله ليجمعك

(وقيل) لخالد بن صفوان أى اخوانك أوجب عليك حقا قال الذى يسد خللى و يغفر زللى
و يقبل عللى و يبسط عنده أملى (وقال الثعالبى) صديقك من يرضى خلتك ويسد خلتك
(وقال) الحجاج لابن القرية ما الكرم قال صدق الاخاء فى الشدة والرخاء (ويقال) صديقك
من ساعفك فى أطوارك وقدم سعيه فى قضاء أوطارك أبو تمام حبيب

من لى بانسان اذا أغضبته * وجهلت كان الحلم رد جوابه
واذا صبوت الى المدام شربت من * أخلاقه وسكرت من آدابه
وتراه يصغى للحديث بطرفه * وبقلبه ولعله أدرى به

(وقال) الخليل بن أحمد يجب على الصديق مع صديقه استعمال أربع خصال الصفح قبل
الاستقالة وتقديم حسن الظن قبل التهمة والبذل قبل المسئلة ومخرج العذر قبل العتاب
(وقال رجل) لمطيع بن اياس جئتك خاطبا لمودتك قال قد زوجتكها على شرط أن تجعل
صداقها أن لا تسمع فى مقالة الناس (وقالوا) الستر لما عاينت أحسن من اذاعة ما ظننت
شاعر اذا شئت أن تدعى كريما مهذبا * حليما ظريفا ماجدا فطنا حرا
فان ما بدا من صاحب لك زلة * فكن أنت محتالا لزلته عذرا

(وقيل) لبعض الأدباء من الرفيق قال من أحسن شغله وأوكد فرضه ونفله فقيل له من

واذا ائتمنت على الامانة فارعها
ان الكريم الى الامانة راعى
يابنى الق صديقك وعدوك بوجه
الرضى وكف الاذى من غير ذلة
لهم ولا هيبة منهم وكن فى الامور
متوسطا فان خير الامور أوساطها
وكن للاخوان فى الحضر والرفقاء
فى السفر قال الشاعر
وكنت اذا صحبت رجال قوم
صحبتهم وشيمتى الوفاء
فأحسن حين يحسن محسنوهم
واجتنب الاساءة ان أساؤا
أشاء سوى مشيئتهم فآتى
مشيئتهم وأترك ما أشاء
يابنى أكرم عرضك وصنه جهدك
واجعل مالك وقاية لعرضك
واجعل عرضك وقاية لدينك وكن
كما قال الشاعر
أقى بمالى عرضى لا أدنسه
لا بارك الله بعد العرض فى المال
أحتال فى المال ان أودى فاكسبه
ولست للعرض ان أودى بمحتال
يابنى كن حذرا كأنك غر وكن
ذاكرا كأنك ساه وكن فطنا
كأنك غافل فان اللبيب العاقل هو
الفطن المتغافل واذا اعتذر
اليك أحد من قول بلغته عنه أو
سمعته منه فاقبل معذرته ولا تدع
صلته فتكون قد جعلت صديقا
عدوا وفى ذلك يقول الشاعر
ومن لا يغمض عينه عن صديقه
وعن بعض ما فيه يمت وهو عاتب
يابنى كن جوادا بالمال فى موضع
الحق بخيلا بالسر على جميع الخلق
فان من تمام كرم الحر القيام
بالبر والبخل بمكتوم السر كما قال
الشاعر
أجود بممنوع البلاد واننى
بسرك عمن رامنى لضنين

الشفيق

الشفيق قال من ان دهمتك محنة قذيت عينه لك وان شملتك منحة قرت عينه بك فقيل له فمن الوفى قال من يحكى بالقصد كمالك و يرعى بلحظه جمالك قيل له فمن اصاحب قال الذى من اذا نأى ذكرك عند الناس وان دنا خدمك فى الكناس (وقال بعض البلغاء) اذا جادلك أخوك بماله فقد جادلك بنفسه لأنه قد بذل لك ما الاقوام لنفسه الابه واذا بخل عليك برفده فلا تصدقه فى وده ولله در القائل

اذا اصاح بى صاحبى يا أخى * وقد عظه الدهر لبيته
أعلل بالوصل عرس الاخاء * ليزكو ما كنت ربيته
له الصفو مما حوته يدى * ويبقى اذا زارنى بيته

(آخر) أميل مع الصديق على ابن أمى * وآخذ للصديق من الشقيق
فان أبصرتنى حرا مطاعا * فانك واجدى عند الصديق

(وقالوا) لتكن معاونتك أخاك بمهجتك عند البلاء أكثر من معاونتك اياه عند الرخاء (وقالوا) اجعل حسنات أخيك له محسوبة وسيآته الى الزمان منسوبة (وقالوا) من علامة الصديق أن يكون لصديق صديقه صديقا ولعدو صديقه عدوا (وقالوا) ليس من الحب أن تحب ما يبغض حبيبك

(السرى الرفاء)

وليس يكون المرء سلم صديقه * اذا لم يكن حرب العدو المخالف

(آخر) صديق عدوى داخل فى عداوتى * وانى لمن ود الصديق ودود
(آخر) تود عدوى ثم تزعم أننى * صديقك ان الرأى منك لعازب

(آخر من أبيات)

اذا صافى صديقك من تعادى * فقد عاداك وانقطع الكلام

(وقالوا) يجب على الصديق أن يحتمل لصديقه ثلاث مظالم ظلم الغضب وظلم الدالة وظلم الهفوة (وقالوا) اذا صح الود سقطت شروط الادب (ويقال) اذا صح الاعتقاد ذهب الانتقاد * وقال المأمون أحب الاخوان الى من يكفينى مؤنة التحفظ

﴿ومما يجب عليه من حسن الصنيع رفض العتاب واجتناب التقريع﴾

قال عيسى عليه السلام الصبر على أخ بعيب فيه خير من أخ تستأنف مودته (وقيل) من عاتب فى كل ذنب أخاه فحقيق أن يمله ويقلاه (وقالوا) قديم الحرمة وحديث التوبة يمحوان ما بينهما من الاساءة * شاعر

زين أخاك بحسن وصفك فضله * واثبت لما يأتى من الحسنات
وتجاف من عثراته واساته * من ذا الذى ينجو من العثرات

(وقالوا) العفو الذى يقوم مقام العتق ما سلم من تعداد السقطات وخلص من تذكار الفرطات (وقالوا) ليس من العدل سرعة العذل * ويقال العتاب داعية الاجتناب (وقالوا) عتاب الأحباب داعية الهجر والسباب (وقالوا) العتاب آكد دواعى القطيعة بين الأحباب * شاعر

لولا كراهية السباب واننى * أخشى القطيعة ان ذكرت عتابا
لذكرت من عثراتكم وذنوبكم * مالو عرعلى الفطيم لشابا

(آخر) تحمل من صديقك كل ذنب * وعد خطاه من نمط الصواب
ولا تعتب على ذنب حبيبا * فكم هجر تولد من عتاب

(أحمد بن يوسف)

وان ضيع الاخوان سرا فاننى
كتوم لاسرار العشير أمين
وعندى له يوما اذا ما ائتمنته
مكان بسوداء الفؤاد كنين
يا بنى اذا التبس عليك أمر فشاور لبيبا واذا ارسلت رسولا فليكن حليما فان لم يكن حليما فكن رسول نفسك فان مشاورة اللبيب قوة لرأيك وحلم رسولك حزم فى أمورك وفى ذلك قال الشاعر
اذا كنت فى حاجة مرسلا
فأرسل حكيما ولا توصه
وان باب أمر عليك التوى
فشاور لبيبا ولا تعصه
يا بنى اذا استشارك عدو أو صديق فامحضه النصيحة فان فعلت قلت بالحكمة وبرئت من التهمة وفى ذلك قال الشاعر
أشر اليوم علينا بالهدى
فتى يستأشر الحر يشر
ولا تدع يا بنى مواصلة الكريم وفر الفرار كله من اللئيم فانه لا يستقيم لك وده الا من حاجته اليك أو فرق منك فان استغنى عنك كان عليك واذا احتجت اليه هنت عنده قال الشاعر
ان من أحوجك الدهر اليه
وتعلقت به هنت عليه
ليس يصفو ود من واخيته
ان تعرضت لشئ فى يديه
يا بنى عليك بالصدق فانه زين فى الدنيا ونجاة فى الآخرة وصدق يعطب صاحبه خير من كذب ينجو به كاذبه وقد قال الشاعر
ان خير المقال ما وافق الحق
وان فظ فيه حبل الوريد
ولقطع الوريد فى الحق خير
من دراك المنى على التفنيد
وجنب الكذب فانه شين فى الدنيا ووبال فى الآخرة والكذوب برد

وكم قد قلتمو قولا لدينا * له لولامها بتكم جواب
تركت عتابكم وعفوت انى * رأيت الهجر مبدؤه العتاب
(آخر) اذا اعتذر الصديق اليك يوما * من التقصير عذر أخ مقر
فصنه عن عتابك واعف عنه * فان العفو شيمة كل حر
(آخر) لا تجفون أخا وان أبصرته * لك جافيا ولما تحب منافيا
فالغصن يذبل ثم يصبح ناضرا * والماء يكدر ثم يرجع صافيا
(آخر) أخلص الود لمن آخيته * واغفر العثرة منه ان عثر
واذا زلت به النعل فلا * تلبسن من أجله جلد النمر
عد بحلم منك يطفئ جهله * انما الجهل كنار تستعر
(آخر) اذا أنت عاتبت الملوك فانما * تخط على جار من الماء أحرفا
وهبه ارعوى بعد العتاب ولم تكن * مودته طبعا فصارت تكلفا
(آخر) وكم من قائل قد قال دعه * فلم يك وده لك بالسليم
فقلت اذا جزيت الغدر غدرا * فما فضل الكريم على اللئيم
وأين الالف يعطفني عليه * وأين رعاية الحق القديم

(ويقال) اذا انبسطت المكاتبة انقبضت المصاحبة (وقال) أبو بكر الخوارزمي لا [...] حب لا تحتمل أقذاؤه ولا يشرب على الكدر ماؤه وانما العشرة مجاملة والمجاملة لا [...] الاستقصاء والكشف لا يحتمل الحساب والصرف

(محمود الوراق)

ان التجني قاطع الرفد * والغيظ يخرج كامن الحقد
فاقبل أخاك على تغيره * وارع الذى قد كان من عهد
(آخر) ومن لم يغمض عينه عن صديقه * وعن بعض ما فيه يمت وهو عاتب
ومن يتتبع جاهدا كل عثرة * يجدها ولا يسلم له الدهر صاحب

(بشار بن برد)

اذا كنت فى كل الامور معاتبا * خليلك لم تلق الذى لا تعاتبه
وان أنت لم تشرب مرارا على القذى * ظمئت وأى الناس تصفو مشاربه
فصن واحدا أو صل أخاك فانه * مقارف ذنب مرة ومجانبه
ومن ذا الذى ترضى سجاياه كلها * كفى المرء نبلا ان تعد معايبه
(آخر) ارض من المرء فى مودته * بما يؤدى اليك ظاهره
من يكشف الناس لم يجد أحدا * تصح منهم له سرائره
يوشك أن لا يتم وصل أخ * فى كل زلاته تنافره

(ابن الرومى)

هم الناس فى الدنيا فلا بد من قذى * يلم بعين أو يكدر مشربا
ومن قلة الانصاف أنك تبتغى الـ * ـمهذب فى الدنيا ولست المهذبا

(العباس بن الاحنف)

ان بعض العتاب يدعو الى الهجـ * ـر ويؤذى به المحب الحبيبا
واذا ما القلوب لم تضمر الو * د فلن يعطف العتاب القلوبا

(وقالوا) الاستقصاء أول الزهد وآخر الود (ومن أمثالهم) رب خطرة صغيرة عا[...] همة كبيرة وقال الشاعر

صدقه كما يرد كذبه وعليك بالسخاء والتكسب بالحمد والمداراة عن العرض وخذ بقول زهير

ومن يجعل المعروف من دون عرضه
يفره ومن لا يتق الشتم يشتم

واعلم يابنى ان برالوالدين حيين الطاعة لهما وبرهما ميتين الترحم عليهما والكف عن اعراض الناس صيانة لاعراضهما قال الشاعر

وما عق مولود من الناس والدا
عقوق الذى يجنى لوالده شتما

يابنى لا تستخف بحقوق الرجال فيستخفوا بحقك وأقبل منهم الجميل وكافئ عليه فانك اذا فعلت ذلك دام لك حمدهم وصفا لك ودهم وخذ بقول الشاعر

خذ العفو واصفح عن أمور كثيرة
ودع كدر الاخلاق واعمد لما صفا

وبنى عدوكا شح قد علمته
فكنت كمن أغضى بعين على قذى

يابنى اذا أحببت فلا تفرط واذا أبغضت فلا تشطط وقد قال الشاعر

وأحبب اذا أحببت حبا مقاربا
فانك لا تدرى متى أنت قاطع
وابغض اذا أبغضت بغضا مقاربا
فانك لا تدرى متى أنت راجع

يابنى وان سمعت كلمة حاسد فكن كأنك غير شاهد قال الشاعر

أعرض عن العوراء ان سمعتها
واقعد كأنك غافل لا تسمع
ودع السؤال عن الامور وبحثها
فلرب حافر حفرة هو يصرع

يابنى اذا نازعتك نفسك الى أمر هولك شائق تخوفها المقت وعاتبها على ما به طالبتك فان لم ينفعها كتابك فكيف ينفعها كتاب غيرك وفى ذلك قيل

هذى مخايل برق خلفها مطر * جود وورى زناد خلفه لهب
وأزرق الصبح يبدو قبل أبيضه * وأول الغيث قطر ثم ينسكب

نصر بن سيار

أرى خلل الرماد وميض جمر * ويوشك أن يكون لها ضرام
فان النار بالعودين تذكو * وان الحرب أولها كلام
فان لم يطفها عقلاء قوم * يكون وقودها جثث وهام

(عبد الله بن طاهر)

اذا ما صديقى ضرنى سوء فعله * ولم يك عما ساءنى بمفيق
صبرت على أشياء منه تريبنى * مخافة أن أبقى بغير صديق

(ومنه قول الآخر)

وكنت اذا الصديق أراد غيظى * وأشرقنى على حنق بريقى
غفرت ذنوبه وعفوت عنه * مخافة أن أعيش بلا صديق

(ومنهم من استحسن عتاب الاصحاب فربما كان حضاعلى اكتساب المحاب) (قالوا) معاتبة الاخ الصديق خير من فقده فلعلها تكون سببا الى صلاحه ورشده (وقالوا) ترك المعاتبة من علامات الاهمال والتواطىء على منهيات الاعمال (وقالوا) شر الاصحاب من لم يجمع فيه عتاب (وقال) على رضى الله عنه عاتب أخاك بالاحسان اليه واردد شره بالافضال عليه (وقال) على بن عبيدة الريحانى العتاب حدائق الاحباب وثمار الود ودليل الظفر وحركات الشوق وراحة الواجد ولسان المشفق (وقال) العتاب يداوى القلوب ويترجم عن خفيات العيوب وما أحسن قول من قال

تواقف عاشقان على ارتعاب * أرادا الوصل من بعد اجتناب
فلا هذا يمل عتاب هذا * ولا هذا يمل من الجواب
فلا عيش كوصل بعد هجر * ولا شئ ألذ من العتاب

(آخر)

أعاتب من أهواه فى كل حالة * ليجتنب الامر الذى معه الذنب
فانى أرى للتأنيب عند حدوثه * بمنزلة الغيث الذى قبله الجدب

(ومن مستحسنات المعاتبات قول القائل)

لا غروان كان من دونى يسركم * وأثنى عنكمو بالويل والحرب
يدنو الاراك فيمسى وهو ملتثم * ثغر الفتاة ويلقى العود فى اللهب

(ولبعضهم)

سأنسيك نفسى ان نسيت مودتى * كانك لم تخطر ببالى ولا وهمى
وأكفيك اذ لم تبغ حمد مذمتى * فتبرأ من جدى وتبرأ من ذمى
وأنساك نسيان القرون التى مضت * عليها الليالى من جديس ومن طسم
فان قيل لى أين الذى كان بينكم * رددت عليه أنه كان فى الحلم

(جرير)

فان تك قد مللت الآن منى * فسوف ترى مجانبتى وبعدى
وسوف تلوم نفسك ان بقينا * وتبلو الناس والاخوان بعدى
فلا والله لا أنساك حتى * أوسد مضجعى وأزور لحدى

(ابن الرومى)

تخذ تكمو حصنا منيعا لتدفعوا * نبال العدا عنى فكنتم نصالها

وليس عتاب الناس للمرء نافعا
اذا لم يكن للمرء لب يعاتبه
يا بنى اياك والبخل فانه لؤم وصاحبه مذموم واياك والمطل فانه أجلب للذم من البخل قال الشاعر
اذا اجتمع الآفات فالبخل شرها
وشر من البخل المواعيد والمطل
فلا خير فى وعد اذا كان كاذبا
ولا خير فى قول اذا لم يكن فعل
يا بنى لا تنقل نميمة فتكسب بها شتيمة مع أن من عرف بها تحفظ من مجالسته وزهد فى مواصلته قال الشاعر
ان الكريم الذى تبقى مودته
ويحفظ السر ان صافا وان صرما
ليس الكريم الذى ان زال صاحبه
بث الذى كان من أسراره علما
يا بنى لا تعب أحدا بما يبدو لك من عيوبه فاذا هممت بذلك فاذكر عيوب نفسك فانك ترى ما يشغلك عن عيوب الناس فان عبت أحدا بما فيه كان ذلك قبيحا وأقبح منك أن تعيبه بما فيك وفى ذلك قال الشاعر
اذا ما ذكرت الناس فاترك عيوبهم
فلا عيب الا دون ما منك يذكر
فان عبت قوما بالذى هو فيهم
فذلك عند الله والناس منكر
وان عبت قوما بالذى فيك مثله
فكيف يعيب العور من هو أعور
يا بنى اياك وقرين السوء فانما صلاح أخلاق المرء بمقارنة الكرام وفسادها بمحادثة اللئام وانما يعرف المرء بقرينه وخدينه قال الشاعر
عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه
فكل قرين بالمقارن مقتدى
يا بنى اياك وكثرة الكلام والمزاح والفضل فان مع كثرة الكلام الزلل والمزاح يورث البغضاء وكثرة

اذا كنتم لا تدفعون ملمة * عن النفس كونوا لا عليها ولا لها

﴿ابراهيم بن العباس رحمه الله تعالى﴾

وكنت أخي بأخي الزمان * فلما تناصرت حرباً عوانا

وكنت أعدك للنائبات * فها أنا أطلب منك الامانا

وكنت أذم اليك الزمان * فها أنا أطلب فيك الزمانا

(وقال بعض الامويين يعاتب عيسى بن موسى)

ان تركامت لم يكن لكلامي * موقع والسكوت ليس بمجدي

وأراني اذا تأملت أمري * ناقص الحظ في دنوي وبعدي

فأين لي أكل هذا التوافي * في جميع الاخوان أملي وحدي

أم ترى ما اصطنعته عند غيري * واجباً أن أعده لك عندي

قد لعمري أيست منك حياتي * ومحال أني أرجيك بعدي

﴿وينبغي﴾ للفطن اللبيب أن لا يوغل في عتاب الحبيب فانهم قالوا في كلام بعض الحكماء بعض المعاتبة حزم وكلها عزم كالخشبة المنصوبة في الشمس تمال فيزيد ظلها وتفرط في الامالة فتنقصه (وقالوا) الجواد اذا ضرب في غير وقته كبا والحسام اذا استكره نبا (ولهذا) قال بعض الاعراب أقل الناس عقلا من أفرط في اكتساب الاخوان وأقل عقلا منه من ضيع من ظفر به منهم (ويقال) قارب الاخوان فان المقارب به أقرب الانساب ولا تتقص عليهم فان التقصي أقطع الاشياء للاسباب (ويقال) بدقيق العتب على الاحباب تنقد حشيات الخواطر والالباب * وليعمل الصاحب في مصاحبة أخيه بقول القائل

صاف الصديق وأصفه صفو الصفا * واخصص صديقك بالصداقة تخصص

أو بقول الآخر وهو أليق بمن حسنت أخلاقه وكرمت أعراقه

خذ من صديقك مرأى غير مستمع * لا تعدون عيان المرء للخبر

ان كنت لا تصطفي ممن ترى أحدا * فاخلق لنفسك اخوانا على قدر

(وقالوا) كثرة العتاب تحيي مودات الضغائن وتثير كوامن الدفائن (شاعر)

كثر العتاب فقلت ان عاتبتها * كان العتاب لوصلها استهلاكا

ورجوت أن تبقى المودة بيننا * موقوفة فتركت ذاك لذاكا

(وما أطرف من قال)

وأخ كايام الحياة اخاؤه * تلون ألوانا على خطوبها

اذا عبت منه خلة فكرهتها * دعتني اليه خلة لا أعيبها

(وكتب) يزيد بن معاوية لسالم بن زياد قليل العتاب يؤكد أواخي الاسباب وكثيره يقطع وصائل الانساب

لا تكثرن في كل حادثة * عتب الصديق فانه يهفو

هب مشربا يصفو فتحمده * أترى المشارب كلها تصفو

(آخر) لا يؤيسنك من صديقك نبوة * ينبو الفتى وهو الجواد الخضرم

فاذا نبا فاستبقه وتأنه * حتى يفيء به الطباع الاكرم

(آخر) وأرى الصديق اذا استشاط تغيظا * فالغيظ يخرج كامن الاحقاد

ولربما كان التغيظ باعثا * لتناول الآباء والاجداد

(آخر) كاف الخليل على الجميل بمثله * فاذا أساء فكافه بعتابه

الضحك يذهب البهاء فأقلل من الكلام وأفش السلام وليكن ضحكك تبسما ولا تمازح شريفا فيحقد عليك ولا وضيعا فيجترئ عليك قال الشاعر

واياك اياك المزاح فانه

يجرئ عليك الطفل والرجل النذلا

ويذهب ماء الوجه بعد بهائه

ويورث بعد العز صاحبه ذلا

والزم الصمت وليكن كلامك بتقدير وصمتك في تفكير وحصل القول وترسل فيه ومن أكثر أهجر قال الشاعر

وأقلل اذا ماقلت قولا فانه

اذا قل قول المرء قل خطاؤه

يا بني لا تمازح حليما ولا سفيها فان الحليم يقليك والسفيه يؤذيك واعلم ان المراء يمرض قلبك ويضعف رأيك ويزري بمروءتك عند جلسائك ويفسد الصداقة القديمة وفي ذلك قال الشاعر

فاياك اياك المراء فانه

الى الشر دعاء وللشر جالب

واعلم يا بني ان من الكلام ما هو أمر من الجمر وأمر من الصبر وقد قال الشاعر

النار أبلغ أوجاع سمعت بها

والقول أبلغ من كي المسامير

يا بني ان لكل مقام مقالا ولكل كلام جوابا وكل كلام منكر الا وجوابه أنكر وقد قال الشاعر

ما أحوج الكلام يرحمك الله

ولكن أحوج منه الجواب

يا بني لا تغترن بالمال فانه كالمسافر يحل ويرحل واعلم ان العقل مقيم لا يبرح ومثل من له مال ولا عقل له كرجل له نعل ولا رجل له ومثل من له عقل ولا مال له كرجل له رجل ولا نعل له فان آتاه الله بالنعل فالرجل مهيأة له

واذا اعتبت على امرئ آخيته * فتوق طائر عتبه وسبابه
وألن جناحك ما استلان مودة * وأجب دعاه اذا دعا بجوابه

(ومن) ذوي الانفة من أطاع أمر عقله فكافأ المتكلف للهوى على فعله بمثله كقول الشاعر

اذا تاه الصديق عليك كبرا * فته كبرا على ذاك الصديق
وان سلك الغرام به طريقا * فخذ عرضا سوى ذاك الطريق
فايجاب الحقوق بغير راع * حقوق لرأس تضييع الحقوق

(آخر) واذا الصديق نأى بجانب نفعه * وجماك صوب غمامه المتدفق
وازور عنك بجاهه وبماله * وببشره وجنى ولم يتخلق
فاعدده في الموتى فلا معنى له * وارمي به الغرض البعيد وحلق
ان ظنني للنار منه شفاعة * يوم القيامة ساء ظن الاحمق

(الكميت)

ولست اذا ولى الصديق بوده * بمكتئب أبكي عليه وأندب
ولكنه ان دام دمت وان يكن * له مذهب عني فلي عنه مذهب
ألا ان خير الودود تطوعت به * النفس لا ود أتى وهو متعب

(أبو العتاهية)

ما أنا الا كمن عناني * أرى خليلي كما يراني
لست أرى ما ملكت طرا * مكان من لا يرى مكاني
من ذا الذي يرتضي الاقاصي * ان لم ينل خيره الاداني

(آخر) ومن شيمتي أني اذا المرء ملني * وأظهر اعراضا ومال الى الغدر
أطلت له فيما يحب عنانه * وتاركته في جس مس وفي سر
فان عاد في ودي رجعت لوده * وان لم يعد ألفيت ذاك الى الحشر

(محمد بن حازم)

تمادى به الهجران واستحسن الغدرا * وآلى يمينا الا يكلمني الدهرا
فوالله ما استسننت بعد مودة * صديقا ولا أرهقت ذا زلة عسرا
فان عاد في ودي رجعت لوده * والافاني لا أجمله اصرا
وان مال عني خائبا نحو عذره * تسليت عنه واستعرت له صبرا
أعد لمن أبدى العداوة مثلها * وأجزي على الاحسان واحدة عشرا

(سعيد)

أشكو الى الله حباء امرئ * ما كان بالجافي ولا بالملول
كان وصولا لاد انما عهده * خير الاخلاء الودود الوصول
ثم ثناه الدهر عن رأيه * فقال والدهر لقوم يحول
فان يعد أشكو له وده * وان يطل هجرا فاني حمول

(آخر) في سعة الارض وفي أهلها * مستبدل بالخل والجار
فمن دنا منك فأهلا به * ومن تولى فالى النار

(ملح) من مدح الاخلاء الاصفياء وصفات مودات الاصدقاء الاولياء (مدح) الصاحب ابن عباد صديقا له فقال تصفحت أوطار القلوب فلم أجد أحسن من قربه وتأملت أشخاص المطلوب فلم أر بافظع من بعده محاسنه أنوار لم تحجب بسجوف ومباسمه شموس لم تتصل بكسوف وألفاظه تذكرني بالشباب وريعانه بل بافنان الصبا وفتيانه (ومدح)

وان أتى بنعل من لا رجل له فانها هي أعجوبة في الناس قال الشاعر

اذا كنت ذا عقل ولم تك ذا غنى
فأنت كذي رجل وليس له نعل
وان كنت ذا مال ولم تك عاقلا
فأنت كذي نعل وليس له رجل

يا بني اذا أتيت بلدا أهلها على غير ما تعرف فاترك كثيرا مما كنت تعرف وخذ بما يعرفون فان ذلك من حسن المداراة وكثير من دارى فلم يسلم فكيف بمن لم يدار قال الشاعر

يا ذا الذي ليس له والد
يمشي على الارض ولا والده
فدمات من قبلهما آدم
فأي نفس بعده خالده
ان جئت أرضا أهلها كلهم
عور فغمض عينك الواحده

يا بني كن من الحليم على حذر ان أحرجته ومن اللئيم ان أكرمته ومن الاحمق ان مازحته ومن الفاجر ان عاشرته واعلم ان من الناس من يقول و يفعل ومنهم من يقول ولا يفعل ومنهم من لا يفعل ولا يقول وهو خيرهم وشرهم الذي يقول ولا يفعل يا بني اغض عن الفكاهات من المضاحك والحكايات ولا تحدث أحدا اعجابك بولدك وزوجتك ولا اعجابك بسيفك ولا فرسك واياك وأحاديث الرؤيا فانها تطمع فيك السفهاء فيولدوا لك الاحلام و يفسدوا في عقلك ولا تلبس من الثياب مشهورا ولا تتخذ من الدواب مبطورا ولا تتصنع تصنع المرأة ولا تتبذل تبذل العبد وتوق الكحل والاسراف في الدهن ولا تسلح في الحاجات ولا تخضع في الطلبات واياك أن تعلم أهلك وولدك كثرة

حيث انتهى به المجلس حتى يدنيه ان أراد اكرامه فان فى ذلك تبجيلا لقدره وتأ[ييدا]
لتحسين ذكره (قال) الاحنف بن قيس لان أدعى من بعد أحب الىّ من أن أبعد من قر[ب]
وان كان خصيصا به ممن يجلس الى جانبه و يفشى اليه من سره ما يكتمه عن غيره فينبغى [له]
وقت جلوسه ان يكون بينه و بين الرئيس فرجة لاحتمال ان يجىء من يجب عليه اكرامه
و يرفع منزلته فيجلس فى تلك الفرجة (ومن) أدب الرئيس قلة الخلاف والمعاملة
بالانصاف وترك الجواب على فاحش الخطاب وستر العيب وحفظ الغيب وان
يحسن الحديث اذا حدث و يحسن الاستماع اذا حدث وليكن حرمة مجلسه اذا غاب
كحرمته اذا حضر (وقالوا) اذا كلمك رئيسك فاصغ اليه بسمعك وأقبل عليه بوجهك وكل
بشفتيه ناظريك وأشغل بحديثه خاطرك وأسمعه سماع مستبشر به مستظرف له
وان أحكمته علما وأتقنته فهما وأن لا تفرط فى الدلالة عليه فربما ساقت
الانقباض اليه (وفى) كلام بعض الحكماء الاستماع بالعين فاذا رأيت عين من تحدثه
مقبلة على غيرك فاصرف حديثك الى غيره (شاعر فى بنى العباس)

اذا حدثوا لم يخش سوء استماعهم * وان حدثوا أبدوا بحسن بيان

(وما أحسن قول من قال)

اذا ما سيد أدناك فاعلم * بان عليك عين الانتقاد
فكن عف الجوارح ذا حفاظ * فعين الانتقاد بلا رقاد

(وقال العباس) لولده عبد الله ان هذا الرجل يعنى عمر بن الخطاب رضى الله عنه يستخليك
ويستشيرك ويقدمك على الاكابر من الصحابة وانى أوصيك بخمس خلال لا تفشين له سرا
ولا تغتابن عنده أحدا ولا تجرين عليه كذبا ولا تعصين له أمرا ولا تطلعنه منك على خيانة
(وقالوا) من دخل على السلطان فعليه بتخفيف السلام وتقليل الكلام وتعجيل القيام
(ومن أدبه) أن يكون مع رئيسه كما كان حارثة بن بدر مع زياد (حكى) أن زيادا ليم على
استئثاره حارثة بن بدر فقال كيف أطرح رجلا هو يسايرنى منذ دخلت العراق لم يصك
ركابه ركابى ولا تقدمنى فنظرت الى قفاه ولا تأخر عنى فلويت عنقى اليه ولا أخذ على الشمس
فى شتاء ولا الروح فى صيف ولا سألته عن شئ من العلوم الا حسبت أنه لا يحسن غيره
(وقالوا) لا يقدر على صحبة الملوك الا من لا يستثقل ما حملوه ولا يغتر بهم اذا رضوا عنه
ولا يتغير لهم اذا سخطوا عليه ولا يطغى اذا سلطوه ولا يبطر اذا أكرموه ولا يلحف اذا سألهم
(وقالوا) اصحب الملوك بالحرمة والصديق بالتواضع والعدو بالحجة والعامة بحسن الخلق
(وقالوا) من استخف بالاخوان أفسد مروأته ومن استخف بالعلماء أفسد دينه ومن
استخف بالملوك أفسد دنياه (وقال) عبد الملك بن صالح لعبد الرحمن بن وهب الحمصى
مؤدب ولده بعد أن استخلصه وأنزله فوق منزلته يا عبد الرحمن انى قد جعلتك جليسا مقربا
بعد أن كنت تابعا مبعدا ومن لم يعرف نقصان ما خرج منه لم يعرف رجحان ما دخل فيه
لا تطرينى فى وجهى فانا أعلم بنفسى منك ولا تساعدنى على شئ يقبح وان لج بى الغضب فان
مرآة الرضا ترغبنى عنه فينقص عندى دينك بالمساعدة عليه وكن على التماس الحظ
بالسكوت أحرص منك على التماسه بالكلام فقد قيل اذا أعجبك الصمت فتكلم ولا تردن
علىّ فى محفل وكلمنى بقدر ما أستطعمك واعلم أن الاستماع أحسن من القول واذا حدثتك
حديثا فلا يفوتك منه شئ فان قلنا لتفهم من القائل وضع له وأرى فهمك فى طرفك فرب
طرف أنطق من لسان
(ويجب) على الرئيس فى معاشرة الجليس الاقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم فى

أعز أبى

مالك أو قلته فانهم ان علموا اقلته
هنت عليهم وان علموا كثرته لم
تبلغ به رضاهم يا بنى أخف أهلك
وولدك فى غير عنف وارفق
بهم فى غير ضعف ولا ترز وجتك
حب الافراط فتنجبر عليك ولا
ترها بغضا فتنفر منك وأحبب
ولدك وأحسن أدبه ولا تهازل
أمتك ولا عبدك يا بنى اذا خاصمت
فدع الحدة وفكر فى الحجة واصبر
لمن خصمك ولا تغضب فتذهل
عن حجتك وأر الملا كم بينكما
حلمك ولا تكثر الاشارة بيدك
وان قرب بك سلطان فكن منه
على حد السنان وان أمن اليك
فلا تأمن انقلابه عليك وارفق به
رفقك بالصبى وكله بما يشتهى
واياك أن تدخل بينه و بين
أحد من ولده وحشمه وغلمانه
وان كان لقولك فيهم مطيعا فان
أهل الملوك أصحاب خلوتهم
وبطانتهم يحضرون لك فى موضع
يشربونه الوقيعة فيك و يولدون
فى صدره ما يغيره عليك وان
الدخول بين السلطان وأهله زلة
لا تقال يا بنى اذا ركبت فلا تكثر
من ضرب دابتك ولا تخفق بقدميك
فى ركابك واذا سايرت موكبا فكن
فى وسطه ولا تكن أمام القوم
فتثير الغبار عليهم ولا خلفهم فيثيروا
الغبار عليك يا بنى لا تفرش عرضك
لمن هو دونك ولا تنقض عهدا فتحمل
بذلك حقدا وأقلل الكلام على
الطعام الا بالحمد لله وكذلك عند
الخلاء يا بنى اتق الله يكفيك ما تخافه
وتتقيه واحذر ان تعصيه فانه ليس
لك من ورائه وزر لا من دونه
معتصم واياك والفجور بحرم
الناس فانه ما انتهك أمرؤ حرمة الا
ابتلى فى حرمه بمثله واياك والهزء

اعرابى صديقا له فقال مجالسته غنيمة وصحبته سليمة ومواخاته كريمة هو كالمسك ان بعته نفق وان تركته عبق (شاعر يصف أخاله)

أخ وأب وابن وأم شفيقة * تفرق فى الاحباب ماهو جامعه
سلوت به عن كل من كان قبله * وأذهلنى عن كل ماهو تابعه

(آخر) ولى صاحب أصفيه ودى وانه * لينصفنى فى وده ويزيد
أمنت صروف الدهر بينى وبينه * اذا دب بين الصاحبين حسود

(وصف المأمون) ثمامة بن أشرس فقال انه كان يتصرف فى القلوب تصرف السحاب مع الجنوب (شاعر ولقد أحسن فى وصفه لصديقه)

خل بلغت برأيه شرف العلا * وأخ غنيت به عن الاخوان
ومتى طلبت عليه طالب حاجة * كفلت يداه بذمتى وضمان

(آخر) موفق لسبيل الرشد متبع * يزينه كل ما يأتى ويجتنب
له خلائق بيض لايغيرها * صرف الزمان كما لايصدأ الذهب

(ومن كلام الثعالبى) يصف صديقا له فلان كريم ملء لباسه موفق مدد أنفاسه ذو جد كعلو الجد وهدى كحديقة الورد عشرته ألطف من نسيم الشمال على صفحات الماء الزلال والصق بالقلب من علائق الحب

فتى قد قد السيف ما ناء عوده * ولا وهنت أعضاؤه ومفاصله
اذا جئت عند الجد ألهاك جده * وذو باطل ان شئت ألهاك باطله

(آخر) أخ لى لم يلده أبى وأمى * تراه الدهر مغموما لغمى
يشاطرنى سرورى فى ابتهاجى * و يأخذ عند همى شطر همى
يبصرنى عيوبى حين تبدو * مخافة كاشح لهج بذمى
و يصفى الود منه أهل ودى * ويمنع من معاداتى وظلمى
و ينفذ حكمه فى كل مالى * كما فى ماله يرضى بحكمى
فلو أحد من المحذور يفدى * اذا لفديته بدمى ولحمى

(آخر) لى صديق اذا نبابى صديق * نبوة الدهر كان خير صديق
حقه واجب على مقيم * لا يؤدى وقد قضالى حقوقى
صادق الود والاخاء وما كل * صديق فى وده بصدوق
فهو كالام فى اللطافة واللين * وكالوالد الشفيق الرفيق
والشقيق الوصول والبر ان كا * ن بعيدا منى وفوق الشفيق
قد جرى فى مفاصل الحب منه * حيث لا يهتدى مجارى العروق
خف ثقلى على صديقى مذاصبـ * ـح دون الاخوان وهو صديقى
هو جارى ان جار دهر وان عق * زمان فماله من عقوق

﴿الفصل الثانى من الباب الخامس عشر﴾
فيما يدين به أهل المحبة من شرائع العوائد المستحبة

(اعلم) ان أول ما ينبغى أن نبدأ به مايجب من الادب على الجليس فى مصاحبة الرئيس (فمن) واجب أدبه أن الداخل على الرئيس أحد رجلين اما خصيص به أو أجنبى عنه فان كان أجنبيا فينبغى له اذا أذن له فى الدخول اليه أن يقف حيث يراه وان يبدأ بالسلام اذا دخل عليه و ينظر بعين الاكبار اليه فان استدناه دنا وان أذن له فى الجلوس فليجلس

فانها متلفة للمال طلابة للا ينال وفيها مفسدة للعقل وسقوط الهيبة والبهاء واياك والاختلاف فانه ليس معه ائتلاف ولا يكن لك جار السوء جارا ولا اخذين السوء زوارا

﴿فصل﴾ كان مما حفظ من مكاتبة ازدشير بن بابك الى خواص رعيته وعماله من ازدشير بهمن ملك الملوك الى الكتاب الذين هم تدبير المملكة والفقهاء الذين هم عماد الدين والاساودة الذين هم حماة الحرب والحراث الذين هم عمدة البلاد سلام عليكم نحن بحمد الله صالحون وقد رفعنا أتاوتنا عن رعيتنا بفضل رأفتنا ورحمتنا ونحن كاتبون اليكم بوصية فاحفظوها لا تستشعروا الحقد فيدهمكم العدو ولا تحبوا الاحتكار فيشملكم القحط وكونوا لابناء السبيل مأوى تأووا غدا فى المعاد وتزوجوا فى الاقارب فانه أمس للرحم وأقرب للنسب ولا تركنوا الى الدنيا فانها لم تدم لاحد ولا تهتموا بها لم يكون الا ماشاء الله ولا ترفضوها مع ذلك فان الآخرة لاتنال الابها (وكتب) ملك الروم الى سابور بن ازدشير (أما بعد) فقد بلغنى من سياستك لجندك وضبطك مانحت يدك وسلامة أهل مملكتك بتدبيرك ما أحببت ان أسلك فيه طريقتك وأركب مناهجك (فكتب) اليه سابور نلت ذلك بثمان خصال لم أهزل فى أمر ولانهى قط ولم أخلف وعدا ولا وعيدا وجازيت للغنى لا للهوى واجتلبت قلوب الناس مقة بلا مقت وخوفا بلا جرءة وعاقبت للذنب لا للغضب وعممت بالقلوب وحسمت الفضول (وكتب) سابور الى بعض عماله اذا استكفيت رجلا فاسن رزقه وشد بصالح الاعوان

أدبه * قال أنس بن مالك ما بسط رسول الله صلى الله عليه وسلم ركبتيه بين يدي جليس قط ولا جلس اليه أحد فقام من عنده حتى يكون الرجل هو الذي يقوم ولا صافح أحد قط فأخذ يده منه حتى يكون الرجل هو الذي يأخذ يده ولا رأيته قام مع أحد فانصرف عنه حتى يكون الرجل هو الذي ينصرف وكان يكرم من يدخل اليه وربما بسط ثوبه له ويؤثره بالوسادة التي تحته و يعزم عليه بالجلوس عليها و يكني أصحابه و يدعوهم بأحب أسمائهم اليهم ولا يقطع على أحد حديثه وكان لا يجلس اليه احد وهو يصلي الا خفف من صلاته وسأله عن حاجته (وقال) سعيد بن العاص رضي الله عنه لجليسي علي ثلاث اذا دنا رحبت به واذا جلس وسعت له واذا حدث أقبلت عليه (وقال) عمر بن الخطاب رضي الله عنه ثلاث تثبت لك المحبة في صدر أخيك أن تبدأه بالسلام وتوسع له في المجالس وتدعوه بأحب الاسماء اليه (وقال) يحيى بن خالد لولده جعفر يابني اذا حدثك جليسك فأقبل عليه واصغ اليه ولا تقل قد سمعناه وان كنت احفظ له منه حتى كأنك لم تسمعه الا منه فان ذلك مما يكسبه المحبة والميل اليك ولا تستخدمه اذا جلس الى مؤانستك فقد حكي ان هشام بن عبد الملك كان بعمته فقام اليه سعيد بن الوليد المعروف بالابرش ليسوي عمامته فقال له مه انا لا نتخذ الاخوان خولا (وقام) عمر بن عبد العزيز ليصلح السراج لجلسائه فقال أحدهم ألا أمرتني يا أمير المؤمنين فكنت أكفيك اصلاحه فقال ليس من المروأة أن يستخدم المرء جليسه قمت وأنا عمر ورجعت وأنا عمر

ومما يثني عطف الصديق الى التآلف زيارته صديقه من غير انقطاع ولا تكلف

(قال) رسول الله صلى الله عليه وسلم من عاد مريضا أو زار أخا نادى مناد أن طبت وطاب ممشاك تبوأت من الجنة منزلا * وأحسن ما يقال امش ميلا وعد أخا وامش ميلين وأصلح بين اثنين وامش ثلاثا وزر أخا في الله (وقالوا) المودة جسم روحها الزيارة (وقالوا) المحبة شجرة ثمرتها المقة وأصلها الزيارة (شاعر)

رأيت أخا الدنيا وان بات آمنا * على سفر يسعى به وهو لا يدري
تثاقلت الا عن يد أستفيدها * وزورة ذي ود أشد به أزري

﴿وعلى﴾ الزائر في الزيارة الاغباب فانه به يؤمن من تجافي الاحباب * قال عليه الصلاة والسلام زر غبا تزدد حبا (وقالوا) ربما كان التغالي في كثرة التلاقي * وما أحسن قول عبد المنعم بن غلبون المقري

عليك باغباب الزيارة انها * اذا كثرت كانت الى الهجر مسلكا
ألم تر أن الغيث يسأم دائما * ويسأل بالايدي اذا هو أمسكا

(وقالوا) قلة الزيارة أمان من الملالة (وقالوا) كثرة التعاهد سبب التباعد (شاعر)

زر قليلا لمن يودك غبا * فدوام الوصال داعي الملال

﴿اعتذار من لم يزر﴾ أظرف ما كتب في ذلك قول علي بن الجهم

أبلغ أخانا تولى الله صحبته * اني وان كنت لا ألقاه ألقاه
وان طرفي موصول برؤيته * وان تباعد عن مثواي مثواه
الله يعلم أني لست أذكره * وكيف يذكره من ليس ينساه

﴿مكاتبات في استدعاء الزيارة﴾ كتب بعضهم الى صديق له طال العهد بالاجتماع حتى كدنا نتناكر عند التلاقي وقد جعلك الله للسرور نظاما وللانس تماما فاطلع في فلك عيني شمسا وفي سماء قلبي بدرا فامضاء العزم بالحر أحرى (وكتب سعيد بن حميد لبعض

عنده وأطلق بالتدبير يده ففي اسناد رزقه حسم طمعه وفي تقويته بالاعوان ثقل وطأته على أهل العدوان وفي اطلاق يده بالتدبير ما أخافه عواقب الامور ثم قف من أمره على ما له ندبته ليمتثله اماما ويحفظه كلاما فان وقع أمره بما قد رسمت فاجعله غرضك وأوجب زيارته عليك وان حاص عن أمرك علقته حبتك وانطلقت بالعقوبة يدك (وكتب) هرمز بن سابور الى بعض عماله انه لا يصلح لسد الثغور وقود الجيوش وابرام الامور وتدبير الاقاليم الا رجل تكاملت فيه خمس خصال فهم يتيقن به عند موارد الامور حقائق مصادرها وعلم يحجبه عن التهور في المشكلات الا عند تجلي فرصها وشجاعة لا تنقضها الملمات بتواتر حوائجها وصدق الوعد والوعيد ليوثق بوفائه بهما وجود يهون عليه تبذير الاموال في حقها (كتب) حكيم الى حكيم (أما بعد) فاني سائلك عن ثلاثة ان أجبت عنها تلمذت لك (فكتب) اليه سل وبالله التوفيق فكتب اليه أي الناس أولى بالرحمة ومتى تضيع أمور الناس وبم تتلقى النعمة من الله عز وجل (فأجابه) أولى الناس بالرحمة الرجل البر يكون في بلد الامير الجائر فهو خائف حزين لما يرى ويسمع والعاقل في تدبير الجاهل فهو الدهر متعب مغموم والكريم يحتاج الى اللئيم فهو الدهر خاضع ذليل وتضيع أمور الناس اذا كان الرأي عند من لا يقبل منه والسلاح عند من لا يستعمله والمال عند من لا ينفقه وتتلقى

أصدقائه) فدطلعت الكواكب تنتظر بدرها فرأيتك في الطلوع قبل غروبها (شاعر)
ولما نزلنا منزلا جاده الندى * أنيقا وبستانا من النور حاليا
أجد لنا طيب المكان وحسنه * منى فتمنينا فكنت الامانيا
(آخر) لو تفضلت بالمجيء الينا * لقررنا بقرة العين عينا
(وكتب آخر) يومنا أعزك الله رقيق الحواشي لين النواحي ذو سماء قد رعدت وبرقت وأنت موضع السرور ونظام العيش والحبور فاقبل الينا تنعم ولا تتأخر عنا تندم وانك بطاعتنا تسعد وبخالفتنا لا ترشد (كتب بعضهم) الى صديق له يستزيره بابيات منها
والالف لا يصبر عن الفه * أكثر من يوم ويومين
وقد صبرنا عنكم جمعة * ما هكذا فعل المحبين
(وكتب) حميد بن مهران الى أبي أيوب الهاشمي يستدعيه
أقيك الردى يا بديع الورى * ومن حل من هاشم في الذرى
ويفديك من وده في المغيب * اذا امتحن الود واهي العرى
وصالك يعدل صدق الرجا * وصفو المدام وطيب الكرى
وقد تاقت النفس من وامق * الى أن تراك فماذا ترى
(آخر) جعلت فداك في رأسي خمار * وليس دواؤه الا العقار
وعندي من تحب فدتك نفسي * وأقداح وأكواب تدار
فبادر غير مأمور سريعا * فان بنا لمو ردك انتظار
(ومن) أظرف الاستدعاوات ما كتب به الرشيد هرون الى جعفر بن يحيي
سل عن الصارم بن يحيي تجده * راحلا نحونا من النهروان
ليصون المدام سهدا ويغشى السهر بين الأصوات والعيدان
وأتنا نصطبح ونلتذ جمعا * لثلاث بقين من شعبان
فقام اليه وقدم بين يديه رقعة مكتوب فيها
ان يوما كتبت فيه الى عبدك يوم يسود كل زمان
يوم لهو كأنه طلعة الكا * س اذا قابلت خدود القيان
فاصطبح واغتبق فداؤك نفسي * من جميع الآلام والحدثان
(آخر) عندنا جدي رضيع * ودنين غير فارغ * وطفيلي مليح
واغل في الكاس والغ * وغزال من بني الديلم يحكي البدر بازغ
ماله عندك عيب * غير أن ليس ببالغ * والزلال العذب مع نعـ
ـلك ملح غير سائغ * فتحشم واركب المهلاج واحضر لا تراوغ
(وكتب بعض المجان)
عندنا قدر فريك * ليس للقدر شريك * ونبيذ في رطيل
وغلام مستنيك * فتعالوا نتغدى * ثم نشرب وننيك
(وما أحسن) قول المعتمد بن عباد يستدعي ندماءه من الزهراء الى قصره بقرطبة
حسد القصر فيكم الزهراء * ولعمري وعمركم ما أساؤا
قد طلعتم بها شموسا صباحا * فاطلعوا عندنا بدورا مساء
(ولآخر) وماذا عليكم لومننتم بزورة * فأوجبتم فيها علينا التفضلا
فان لم تكونوا مثلنا في اشتياقنا * فكونوا أناسا تحسنون التجملا
(اعتذار من لم يزر) أبو اسحق الصابي

النعمة من الله تعالى بكثرة شكره ولزوم طاعته واجتناب معصيته فاقبل عليه ذلك الحكيم فتلمذ له حتى مات (وكتب) أيضا حكيم الى حكيم يشكو اليه دهره (فأجابه) أما بعد فانه ليس من أحد أنصفه زمانه فتصرفت به الحال حسب استحقاقه وانك لن ترى من الناس الا أحد رجلين اما متقدم أخره حظه أو متأخر قدمه حظه فارض بالحال التي أنت عليها وان كانت دون أملك فان رضيت بحالك اختيارا والا رضيت بها اضطرارا وفي مثل ذلك قال الشاعر
لقد غرت الدنيا رجالا فأصبحوا
بمنزلة ما بعدها متحول
فساخط عيش لا يبدل غيره
وراض بعيش غيره سيبدل
وبالغ أمر كان يأمل دونه
ومختلج من دون ما كان يأمل
(وكتب) ملك هجر الى بعض الحكماء انا كتب لي بأشياء أنتفع بها وأوجز فكتب اليه أوفق الامور ترك الفضول والتحفظ من السقوط ولزوم الصواب وأصل المعيشة اصلاح المال بالتقدير فان التبذير مفتاح الفقر ومن العجز والتواني تنبعث الهلكة وأحوج الناس الى الغنى من لم يصلحه الا الغنى وفي المشورة والعدل صلاح الرعية ورضى الناس غاية لا تدرك والبر أجمعه في حسن الخلق والنجح مع الصبر والنجاة مع الايمان والعفو يوجب المحبة والحلم قائد القلوب والرفق بالرعية يوجب الطاعة والفتنة ينشئها الضغائن والنعمة تستدام بلزوم الشكر مع اطراح الهوى والمعاصي (وكتب) أكثم بن صيفي في وصية لطي أوصيكم بتقوى الله

عرانى عنك يامولاى عذر أيما عذر * عصوف الريح مع مد
عظيم زاخر يجرى * فلم أقدم على الماء * ولم أجسر على الجسر
ولم أسمع الى الآن * على ماءمد من عمرى
بريح عجبت روحا * وبحر صد عن بحر

وهو مأخوذ من قول الحسن بن وهب وقد اعتذر عن تأخره عن زيارة محمد بن عبد الملك الزيات لطارعاقه عن زيارته

أوجب العذر فى تراخى اللقاء * ماتوالى من هذه الانواء
لست أدرى ماذا أذم وأشكو * من سماء تعوقنى عن سماء
غير أنى أدعو على تلك بالصحو وأدعو لهذه بالبقاء
فسلام الاله أهديه منى * كل يوم لسيد الوزراء

(كتب) بعض ظرفاء المحبين الى محبوبه يستدعيه لزيارته فلم يجبه بما أحب

كتبت اليك من شوقى بدمعى * وحرمة وجهك الحسن الجميل
لقد أسهرتنى وأطلت ليلى * وأضحكت العواذل من عويلى
(فكان جوابه لما قرأه)
لقد أثقلت فى عتب طويل * وقد أكثرت من قال وقيل
فاما ماذكرت فقد فهمنا * وليس الى الزيارة من سبيل

(ومن) أحسن ما أوجبه الوداد وافترض عيادة الاخ أخاه فى حال المرض (قال) رسول الله صلى الله عليه وسلم ان المسلم اذا عاد أخاه المسلم لم يزل فى حديقة الجنة حتى يرجع قيل يارسول الله وما حديقة الجنة قال جناها (حكى) أن المسور بن مخرمة اعتل فجاءه ابن عباس نصف النهار فقال له المسور يا ابن عباس ان أحب الساعات الى ساعة أؤدى فيها حق الصديق (دخل بعضهم) على محمود الوراق يعوده فأنشده

فان تك حمى الغب شفك وردها * فعقباك منها أن يطول لك العمر
وقيناك لو يعطى الهوى فيك والمنى * لكانت بنا الشكوى وكان لك الاجر

(وكتب) أبو تمام حبيب بن أوس الطائى الى الحسن بن وهب يتوجع له من حمى أصابته

ياحليف الندى و ياتوأم الجود * دو ياخير من حبوت القريضا
ليت حماك بى وكان لك الاجر فلا تشتكى وكنت المريضا

(وكتب) أبو الفتح بن خاقان يتوجع للمتوكل من رمد اعتراه

عيناى أجل من عينيك للرمد * فاسلم وقيت الردى فى آخر الامد
من ضن عنك بعينيه ومهجته * فلا رأى الخير فى مال ولا ولد

ويجب على اللطيف الظريف فى عيادة المريض الضعيف تخفيف السلام وتقليل الكلام وتعجيل القيام (ويقال) جلسة العيادة خلسة (وقالوا) التخفيف خير عادة العيادة فان حاله كما قال عمرو بن العلاء وقد عاده صديق فى مرض ألم به فأبطأ عنده فقال ما بعطائك قال أريد أن اسامرك قال أنت معافى وأنا مبتلى والعافية لا تدعك تسهر والبلاء لا تدعنى أنام والله أسأل أن يسوق لاهل العافية الشكر والى أهل البلاء الصبر (ومن آدابه) الاغباب فانه جاء أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أغبوا فى زيارة المريض واربعوا الا أن يكون مغلوبا (وحكى سلمة) قال دخلت على الفراء أعوده فاطلت وألححت فى السؤال فقال لى ادن فدنوت فانشدنى

حق العيادة يوم بعد يومين * ولحظة مثل لحظ العين بالعين

لاتبرمن

[illegible] كم وفكاح الحمقاء فان نكاحها غرر وولدها ضياع وعليكم بالخيل فأكرموها فانها حصون العرب ولا تضعوا رقاب الابل الا فى حقها فان فيها ثمن الكريمة ورقوء الدم وبألبانها يتحف الكبير ويغذى الصغير ولو أن الابل كلفت الطحن لطحنت ولم يهلك امرؤ عرف قدره والعدم عدم العقل والرجل خير من ألف رجل ومن عتب على الدهر طالت معتبته وآفة الرأى الهوى والعادة أملك والحاجة مع المحبة خير من البغضة مع الغنى والدنيا دول فما كان لك أتاك على ضعفك وما كان عليك لم تدفعه بقوتك والحسد داء ليس له دواء والشماتة تعقب البكاء ومن بر يوما بر به وقل الرجى تملأ الكنائن والندامة مع السفاهة ودعامة العقل الحلم وخير الامور مغبة الصبر وبقاء المودة عدل التعاهد ومن يزر غبا يزدد حبا والتغرير مفتاح البؤس ومن التوانى والعجز نتجت الهلكة ولكل شئ ضراوة فوضر لسانك الخير وعى الصمت أحسن من عى المنطق والحزم حفظ ما كلفت وترك ما كفيت وكثير النصح يهجم بك على كثير الظنة ومن ألحف فى المسئلة ثقل ومن سأل فوق قدره استحق الحرمان والرفق يمن والخرق شؤم وخير السخاء ما وافق الحاجة وخير العفو ما كان بعد القدرة (قيل) ان زبيدة زوجة هارون الرشيد كتبت الى منصور ابن عمار (أما بعد) فكيف يقف ذو اللب على ما ينفعه وكيف يجتنب ما يضره فكتب اليها (أما بعد) فمن أبصر عيب نفسه شغل

لاتبرمنّ مريضا في مساءلة * يكفيك من ذاك تسآل بحرفين

(آخر) أدب العيادة أن تكون مسلما * وتكون في أثر السلام مودعا
فاذا نظرت الى العليل فلا تكن * متخشعا في الامح أومتوجعا
بل كن اذا أبدى الحراك مسكتا * منه وعند الخوف منه مشجعا
واحذر بان تنعى اليه ميتا * أوأن تذكره لميت مصرعا
واذا وجدت عليه اشفاقا فقم * من غير أن ترأى بذلك مسرعا
وتوق شر العائدين فشرهم * من كان منهم موهما ومروعا

(دخل) علي بن ابراهيم العلوي المعروف بالاعرج على علي بن عيسى عائدا فأنشده

كم لوعة للندى عليك لوكم * من قلق للمجود من قلقك
ألبسك الله ثوب عافية * في نومك المعتري وفي أرقك
ينزع من جسمك السقام كما * نزعت حبل الملام من عنقك

(آخر) تلقيت السلامة من مريض * توقى كل نائبة تنوب
فانك ما اعتللت بل المعالي * وانك ما مرضت بل القلوب

(آخر) ولما اشتكيت اشتكى كل ما * على الارض واعتل شرق وغرب
لانك قلب لهذا الزمان * وما صح جسم اذا اعتل قلب

(البسامي) اذا ما صديق لي تأوه واشتكى * عدمت سروري ما اشتكى ورقادي
وحرمت شرب الراح مادام شاكيا * ولم أخله من طارفي وتلادي

﴿اعتذار من لم يعد﴾

ان كنت في ترك العيادة تاركا * حظي فاني في الدعاء لجاهد
فلربما ترك العيادة مشفق * وأتى على غل الضمير الحاسد

(ولآخر) كلت مقلتي بشوك القتاد * لم أذق مذ جمعت طعم الرقاد
ياأخي الحافظ الاخوة والنا * زل من مقلتي مكان السواد
منعتني عليك رقة قلبي * من دخولي عليك في العواد
لو بأذني سمعت منك أنينا * لتفتت من الانين فؤادي

﴿ولآخر يعتذر بكونه لم يعلم﴾

دفع الله عنك نائبة السو * ء وحاشاك أن تكون عليلا
أشهد الله ما علمت وماذا * لك من العذر جائزا مقبولا
ولعمري أن لو علمت لقاسمـ * ـتك نصفا وكان ذاك قليلا
فاجعلن لي الى التعلق بالعذ * ر سبيلا الم أجد لي سبيلا
فقديما ما جاد ذو الود بالو * د وما ساح الخليل الخليلا

﴿الشريف أبو يعلى بن الهبارية﴾

العذر في تركي عيادة سيدي * اني له فيما اعتراه مقاسم
لا بل نصيبي منه فوق نصيبه * وعليه فيما أدعيه مياسم
فلئن تألم جسمه أفديه من * داء يخامره وقلبي يألم
وأنا أحق بأن أعاد وانما * يدعى لخدمته الصحيح السالم

(حكى) محمد بن داود الظاهري في كتاب الزهرة أن الرشيد لما بلغه أن الفضل بن الربيع عليل كتب اليه متعذرا عن تأخره عن العيادة

عن عيب غيره ومن تعرى عن لباس التقوى لم يستتر من اللباس ومن رضي برزق الله تعالى لم يحزن على ما في يدي غيره ومن سل سيف البغي قتل به ومن احتفر بئر الاخيه وقع فيها ومن هتك حجاب غيره انكشفت عورات بيته ومن نسي زلته استعظم زلة غيره ومن كابد الامور عطب ومن اقتحم اللجج غرق ومن أعجب برأيه ضل ومن استغنى بعقله زل ومن تكبر على الناس ذل ومن فجر عليهم قصم ومن سفه عليهم شتم ومن خالط الارذال حقر ومن خالط العلماء وقر ومن دخل مداخل السوء اتهم ومن تهاون بالدين ارتطم ومن اغتنم أموال الناس افتقر ومن انتظر العاقبة اصطبر ومن خشي الله فاز ومن لم يجرب الأمور قتل ومن صارع أهل الحق صرع ومن احتمل ما لا يطيق عجز ومن كثر غلطه كثر سقطه ومن عرف أجله قصر أمله ومن استفاد الجهل فقد ترك طريق العدل (فكتبت اليه) أما بعد فما قد وقفنا على عيوب النفس وكيف لا نقف على عيوب الدنيا (فكتب اليها) أما بعد فان الدنيا من طلبها طلبته ومن داهنها كلمته ومن صادقها قتلته ومن اطمأن اليها خذلته ومن رفضها رفضته ومن تركها ولم يخدمها خدمته استحسنها من جهلها واستنكرها من عرفها نجا الناجون عند ادبارها وهلك الهالكون عند اقبالها فالعاقل يجعل الزهد حسامه والحق سهامه والورع قوسه والنصيحة درعه والقنوع رمحه وكتاب الله عز

أعززعليّ بان تكون عليلا * أوأن يكون بك السقام نزيلا
ولئن سئلت أجيب عنك بلوعة * اذ قيل أوعك أوأحس غليلا
فوددت أنى مالك لسلامتى * فأعيرها لك بكرة وأصيلا
هذا أخ لك يشتكى ماتشتكى * وكذا المحب اذا أحب خليلا

(أنشدنى) الشيخ الامام الفقيه المفيد أمين الدين محمد بن علي المحلى النحوى لنفسه يعتذر من تركه لعيادة بعض الرؤساء

ان جئت قلت بمابك التشريفا * وان انقطعت فأوثر التخفيفا
فوحق حبي فيك قدمااننى * عوفيت أكره ان أراك ضعيفا

(ومما) يورد من المحبة أعذب الموارد هدية يستعطف بها القلب الشارد (قال) رسول الله صلى الله عليه وسلم تهادوا تحابوا وتذهب الشحناء (وقال) عليه الصلاة والسلام تهادوا فان الهدية تذهب وغر الصدور (وكان) صلى الله عليه وسلم يقبل الهدية ويثيب عليها * وقال لو أهدى الىّ كراع لقبلت ولودعيت الى كراع لأجبت * وقالت عائشة رضي الله عنها اللطفة عطفة تزرع فى القلوب المحبة والالفة (وفى الاثر) الهدية تجلب الى المودّة القلب والسمع والبصر (شاعر)

ان الهدية حلوة * كالسحر تجتلب القلوبا
تدنى البغيض من الهوى * حتى تصيره حبيبا
وتعيد مضطغن العدا * وة في تباعده قريبا

(ومن أمثالهم) اذا قدمت من سفر فأهد لاهلك ولو حجرا (وقال الجاحظ) ما استعطف السلطان ولا استرضى الغضبان ولا أزيت السخائم ولا استدفعت المغارم بمثل الهدايا (وقالوا) فى نشر المهاداة طى المعاداة (وقال) ضياء الدين بن الاثير فى رسالة مذكورة فيها الهدية الهدية رسول يخاطب عن مرسله بغير لسان ويدخل على القلوب من غير استئذان وبهدية المرء يستدل على عقله كما ذكر أن رجلا أهدى الى قتادة نعلا رقيقة فجعل التيمي يزنها بيده ويقول يعرف قدر الرجل فى سخف هديته اللهم الا أن يهدى شيأ سخيفا حقيرا فيصيره بالاعتذار عنه شريفا خطيرا كما فعل أبو العتاهية فانه أهدى الى الفضل بن الربيع نعلا وكتب له معها

نعلا بعثت بها لتلبسها * قدم تسير بها الى المجد
لو كان يحسن أن أشركها * جلدى جعلت شراكها خدى

(وأهدى) الاخيطل الاهوازى الى ابن حجر فى يوم نوروز طبقا فيه وردة وسهم ودينار ودرهم وكتب معه

قل لابن حجر ذى السماح الذى ضرم * لازلت كالورد نضير المبسم
ونافذا مثل نفاذ الاسهم * فى عز دينار ونجح درهم

(وقال بعضهم) من امتنع من اهداء القليل لجلالة قدر المهدى اليه انقطعت سبل المودّة بينه وبين اخوانه ولزمه الجفاء من حيث التمس الاخاء (أبو العتاهية)

هدايا الناس بعضهم لبعض * تولد فى قلوبهم الوصالا
وتزرع فى القلوب هوى وودا * وتكسوهم اذا حضروا جمالا

(آخر) مامن صديق وان تمت صداقته * يوما بانجح فى الحاجات من طبق
اذا تلثم بالمنديل منطلقا * لم يخش نبوة بواب ولا غلق
لاتكذبن فان الناس مذ خلقوا * لرغبة يكرمون الناس أو فرق

ونجعل حبا والأرقى مركبه والعقل تجافيفه والعمل عدته والآمال بأسه والنية جنته والصمت ترسه والتقوى طليعته وخشية الله تعالى حصنه والسلام (وكتب) يوسف بن اسباط الى حذيفة المرعشي أما بعد فانى أوصيك بتقوى الله والعمل بما علمك الله والمراقبة حيث لا يراك الا الله والاستعداد لما ليس لأحد فيه حيلة ولا تنفع الندامة عند نزوله واحسر عن رأسك قناع الغافلين وانتبه من رقدة الموتى وشمر للسباق غدا فان الدنيا ميدان المتسابقين ولا تغتر عن أظهر النسك وتشاغل بالوصف وترك العمل بالموصوف (واعلم) يا أخى انه لابد لى ولك من المقام بين يدى الله تعالى فيسألنا عن الدقيق والخفى وعن الجليل والجافى ولست آمن أن يسألنى واياك عن وساوس الصدور ولحظات العيون والاصغاء الى الاستماع وما عسى أن يعجز مثلى عن وصف مثله واعلم يا أخى ان ماوصف به منافقو هذه الامة انهم خالطوا أهل الدنيا بأجسامهم وطابقوهم عليها بأهوائهم وخضعوا لما طمعوا فى نائلهم وسكتوا على ماسمعوا من باطلهم وفرحوا بما رأوا من زينتهم وظاهر بعضهم بعضا بالقول والفعل ولهم من الظاهر وأعمال السر المحامد والرياء فقد صرنا فى زمان هذه صفة أهله الا من شاء الله وفقنا الله واياك لما يحب ويرضى والسلام (وكتب) سلمان الفارسى الى أبى الدرداء أما بعد فانك لن تنال ماتريد الا بترك ماتشتهى ولن تدرك ماتأمل الا

وبالجملة

(وبالجملة) اذا كانت من الصغير الى الكبير فلطفت ودقت كان أبهى وأحسن واذا كانت من الكبير الى الصغير فعظمت وجلت كان أوقع لها وأنجع (أهدى) يعقوب الكندى الى بعض اخوانه سيفا وكتب معه الحمد لله الذى خصك بمنافع ما أهدى اليك فجعلك تهتز للمكارم اهتزاز الصارم وتمضى فى الامور مضاء المأثور وتصون عرضك بالارفاد كما تصان السيوف فى الاغماد ويظهر دم الحياء فى صفحة خدك المشروف كما يشف الرونق فى صفحات السيوف وتصقل شرفك بالعطيات كما تصقل متون المشرفيات (وأهدى) الصابى دواة ومرفعا وكتب معهما قد خدمت مجلس مولانا بدواة يداوى بها مرض عفاته ويروى بها قلوب عداته على مرفع يؤذن بدوام رفعته وارتفاع النوائب عن ساحته (وأهدى أيضا) الى بعض الاصحاب فرسا وكتب معه قد قدمت اليك فرسا والله تعالى يبارك لك فيه ويجعل الخير معقودا بنواصيه والاقبال غرة وجهه ونيل الامانى طلق شده وفتح الفتوح غاية شأوه وادراك المطالب تحجيل قوائمه وسلامة العواقب منتهى عنانه والسلام (من أهدى هدية حقيرة واعتذر عنها) كتب بعضهم مع هدية حقيرة

قبول الهدية أكرومة * وحاشاك من أن ترد الكرم
فان الملوك على قدرها * لتقبل نشابة أو قلم

(ابن التعاويذى)

هدية المرء تنبى عن مروأته * وعن حقارة مهديها وخسته
وما يحط من المهدى اليه اذا * كانت محقرة عن قدر رتبته
فاغفر جريمة من خست هديته * وتلك منه على مقدار قدرته

(وكتب آخر مع هدية أهداها ليلا)

بعثت عشيا الى سيد * بما هو من خلقه مقتبس
هدية خل صحيح الاخاء * جرى منه ذكرك مجرى النفس
فجد بالقبول وأيقن بان * لفرط الحياء أتت فى الغلس

(آخر)
يا أيها المولى الذى * عمت أياديه الجميلة
اقبل هدية من يرى * فى حقك الدنيا قليلة

(آخر)
قد بعثنا اليك أيدك الله * بشئ فكن له ذا قبول
لا تقسه الى ندى كفك الغمـ * ـر ولا نيلك الكثير الجليل
فاغتفر قلة الهدية منى * ان جهد المقل غير قليل

(ومن) ظرائف الهدايا التى هى من أحسن ما يسطر فى الصحف ويذكر ما يروى أن يحيى بن خالد بن برمك عزم على ختان ولده فاهدى اليه وجوه الدولة كل منهم بحسب حاله وقدرته فصنع بعض المجملين العاجزين خريطتين وملأ احداهما ملحا طيبا وملأ الاخرى سعدا معطرا وكتب معهما رقعة فيها لو تمت الارادة لأسعفت العادة ولو ساعدت القدرة على بلوغ النعمة لتقدمت السابقين الى خدمتك واتعبت المجتهدين فى كرامتك لكن قعدت بى القدرة عن مساواة أهل النعمة وقصرت بى الجدة عن مباهاة أهل المكنة وخشيت أن تطوى صحيفة البر وليس لى فيها ذكر فأنفذت المفتتح بيمنه وبركته وهو الملح والمختتم بطيبه ونظافته وهو السعد باسطا يد المعذرة صابرا على ألم التقصير متجرعا غصص الاقتصار على اليسير والقائم بعذرى فى ذلك ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج والخادم ضارع فى الامتنان عليه بقبول خدمته ومعذرته والاحسان اليه بالاعراض عن جراءته والرأى اسمى ثم دخل دار يحيى ووضع

بالصبر على ما تكره فليكن كلامك ذكرا وصمتك فكرا ونظرك عبرة فان الدنيا تتقلب وبهجتها تتغير فلا تغتر بها وليكن بيتك المسجد والسلام (فاجابه أبو الدرداء) أما بعد فانى أوصيك بتقوى الله وأن تأخذ من صحتك لسقمك ومن شبابك لهرمك ومن فراغك لشغلك ومن حياتك لموتك واذكر حياة لا موت فيها فى احدى المنزلتين اما فى الجنة واما فى النار فانك لا تدرى الى أيهما تصير والسلام (وكتب) بعض الزهاد الى أحمد ابن حنبل أما بعد فمن أصلح سريرته أصلح الله تعالى علانيته ومن أصلح دنياه أصلح الله آخرته ومن أصلح ما بينه وبين الله أصلح الله ما بينه وبين الناس ومن تزى للناس بما ليس فى نفسه أساء الله به ظنهم ومن خاف الله خافه كل شئ ومن خاف غير الله وكله الله الى نفسه واليهم ولن يغنوا عنه من الله شيأ فالهرب الهرب والنجاة النجاة واياك أن تقنع بما نوه باسمك فى الخلق فانك لن تنجو من الله الا بأداء فرائضه ولا تقرب ولا تحبب اليه بمثل النصح فعليك بالنصح له وقل الحق فان الحق قديم ولا تدع أن تصلنى منك موعظة يحيى بها قلبى ويقشعر منها جلدى وتذرفان بها عيناى فلست بمستغن عن علمك ورأيك فختم الله لنا ولك بخير وما ترك عبد شيأ من مخافة الله الا عوضه الله خيرا منه وفى الله خلف من كل هالك وعوض من كل فائت وأنس من كل وحشة وغنى من كل عدم وعزاء من كل مصيبة فبالله نثق وعليه نتوكل ولا حول ولا قوة الا بالله

﴿فصل﴾

(كتب) علي ابن أبي طالب رضي الله عنه الى ولده الحسين من عبد الله علي أمير المؤمنين الوالد الفاني المقر للزمان المستسلم للحدثان المدبر العمر الذام للدنيا الساكن مساكن الموتى الى الولد المؤمل ما لا يدرك السالك سبيل من قد هلك غرضة الأسقام ورهينة الأيام وعبد الدنيا وتاجر الغرور وأسير المنايا وقرين الرزايا وصريع الشهوات ونصب الآفات وخليفة الأموات أما بعد يا بني فان في ما تفكرت فيه من أدبار الدنيا عني واقبال الآخرة الى وصنو الدهر على ما يزعني عن ذكر من سواي والاهتمام بما وراءي غير أنه حيث تفرد بي هم نفسي دون هم الناس وصدقني هواي صرح بي محض رأيي فأفضى بي الى جد لا يزري به لعب وصدق لا يشوبه كذب وجدتك يا بني من بعضي بل وجدتك من كلي حتى كأن شيأ لو أصابك أصابني وحتى كأن الموت لو أتاك أتاني عناني من أمرك ما يعنيني من أمر نفسي كتبت اليك كتابي هذا يا بني ان بقيت أو فنيت فاني أوصيك بتقوى الله عز وجل وعمارة قلبك بذكره والاعتصام بحبله فان الله يقول واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا وأي سبب يا بني أوثق من سبب بينك وبين الله عز وجل احي قلبك بالموعظة ونوره بالحكمة وقوه بالزهد وذلله بالموت وقرره بالفناء وحذره صولة الدهر وتقلب الليالي

الآخر يطتين والرقعة بين يديه فلما قرأ الرقعة أمر أن تفرغا وتملأ احداهما دنانير والاخرى دراهم (ومن الحكايات المستظرفة) ما يحكى أن بعض القيان افتصدت فأهدى لها محبوها هدايا فكان من جملتهم من أهدى ثلاث سلال مخيطة ففتحت سلة منها فوجدتها مملوأة ماشا وفيها رقعة مكتوب فيها ماش خير من لاش وفتحت الاخرى فاذا هي مملوأة عصافير فطار وفيها رقعة مكتوب فيها هذه أعتقتها لوجه الله تعالى شكراً له على سلامتك من فصدك وفتحت الاخرى فاذا هي فارغة لا شئ فيها الا رقعة مكتوب فيها لو كان لنا شئ لاهديناه فضحك من كان حاضرا ولم تدع القينة شيأ مما أهدى اليها الا أعطته منه

﴿اعتذار من لم يهد شيأ﴾

تأنق في الهدية كل قوم * اليك غداة شربك للدواء
فلما أن هممت بها مدلا * لموضع حرمتي بك والاخاء
رأيت كثير ما أهدى قليلا * لديك فاقتصرت على الدعاء

(آخر)
ان أهد نفسي فهو مالكها * ولها أصون كرائم الذخر
أو أهد مالا فهو واهبه * وأنا الحقيق عليه بالشكر
أو أهد شكرا فهو مرتهن * بجميل فعلك آخر الدهر

(آخر)
وافق المهرجان حاشاك مني * رقعة الحال وهي داء الكرام
فاقتصرنا على الدعاء وفيه * عون صدق على قضاء الزمام

(آخر)
هديتي تقصر عن همتي * وهمتي تفضل عن مالي
فخالص الود ومحض الولا * أحق ما يهدبه أمثالي

﴿ومن واجبات شيم الاحرار حفظ ما أودعوه من الاسرار﴾

وكتمان السر مما يجب على الاخوان أن يأخذوا أنفسهم ويروضوا به طباعهم لما فيه من الفضل وتمام الطبيعة والعقل (يحكى) أن رجلا أراد صحبة انسان فسأل بعض أصدقائه عنه فأنشده

كريم يميت السر حتى كأنه * اذا استنطقته عن حديثك جاهله
ويبدي لكم حبا شديدا وهيبة * وللناس أشغال وحبك شاغله

فقال مثل هذا ينبغي أن يناط بحبته القلوب ويطلع على خفايا السرائر والغيوب *وهذان البيتان لكثير عزة من أبيات (وأسر رجل) الى صديقه حديثا فلما فرغ منه قال حفظته قال بل نسيته (وقيل) لعمرو بن ربيعة كيف كتمانك للسر فقال اجعله عوضا من قلبي وشعبة من نفسي فيكون بحر وجه خر وجها *وقيل لاعرابي ما بلغ من حفظك للسر قال أفرقه تحت شغاف قلبي ثم لا أجمعه وأنساه كأنني لم أسمعه (وقالوا) قلوب العقلاء حصون الاسرار *وقالوا صدور الاحرار قبور الاسرار *شاعر

ولي سرائر في الضمير طويتها * بنسي الضمير بانها في طيه

*وقيل لبعضهم كيف كتمانك للسر قال أكتم المخبر وأحلف للمستخبر (وما) أحسن قول المرتضى وقد سأله الصابي كيف كتمانك للسر في محاورة جرت بينهما

لسر صديقي بين جنبي معقل * مداه على المستنبطين طويل
اذا الحقت اذني به من لسانه * فليس عليها للمخاض سبيل

﴿وكتب اليه أيضا﴾

وللسر من بين جنبي مكمن * خفي قصي عن مدارج أنفاسي
أضن به ضني بموضع حفظه * فاحميه عن احساس غيري واحساسي
كأني من فرط احتفاظي أضعته * فبعضي له واع وبعضي له ناسي

(آخر) لا يكتم السر الا من له حسب * فالسر عند كرام الناس مكتوم
والسر عندي في بيت له غلق * قد ضاع مفتاحه والبيت مختوم

(مجنون ليلى)

ومستخبر عن سر ليلى رددته * بعمياء من ليلى بغير يقين
يقولون خبرنا فانت أمينها * وما أنا ان خبرتهم بأمين

(روى) أن عليا رضي الله عنه قال لابي الأسود الدؤلي أريد رجلا مخدا ناقال يا أمير المؤمنين ألست كذلك قال بلى ولكن أريد رجلا أستريح منك اليه ومنه اليك وليكن كتوما للسر فان الرجل اذا أنس بالرجل ألقى اليه بجره وبجره وقال الشاعر

نصل الصديق اذا أرادوصالنا * ونعيد بعد صدودنا احيانا
لا مظهر عند القطيعة سره * بل حافظ من ذاك ما استرعانا

(آخر) ان الكريم الذي تبقى مودته * ويحفظ السر ان صافى وان صرما
ليس الكريم الذي ان غاب صاحبه * بث الذي كان من أسراره علما

(سالم اليشكري)

اذا ما غفرت الذنب يوما لصاحب * فلست معيدا ما حييت له ذكرا
ولست اذا ما حال عن حفظ وده * وعندي له سر مذيعا له سرا

(ناقضه آخر فقال)

ولا أكتم الاسرار لكن أذيعها * ولا أترك الاسرار تغلي على قلبي
فان سخين العين من بات ليلة * تقلبه الاسرار جنبا الى جنب

(ومما يفصم بين المتحابين عرا المحاورة التزام ما يجب من حقوق المجاورة)

قال الله تعالى والجار ذي القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب فذو القربى الجار الملاصق والجار الجنب البعيد عن الملاصقة والصاحب بالجنب الرفيق في السفر (وكان يقال) ليس حسن الجوار كف الاذى ولكنه الصبر على الاذى وأدنى حقوق الجار أن لا تؤذيه بقتار قدرك وان تؤمنه من حسدك وشرك (وقال) جابر بن عبد الله الجيران ثلاثة فجار له حق واحد وجار له حقان وجار له ثلاثة حقوق فأما الذي له حق واحد فجار مشرك لا رحم له فله حق الجوار وأما الذي له حقان فجار مسلم لا رحم له له حق الاسلام وحق الجوار وأما الذي له ثلاثة حقوق فجار مسلم ذو رحم له حق الاسلام وحق الرحم وحق الجوار (وقال) رسول الله صلى الله عليه وسلم لابي ذر يا أباذر اذا طبخت اللحم فأكثر المرق وتعاهد جيرانك (وكان يقال) من تأذى من جاره حرم بركة داره (وقد ورد) عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ولا يؤذي جاره ولا يخيب من قصده (وكان) عبد الله بن أبي بكرة ينفق على أربعين دارا من جيرانه من سائر جهات داره الاربع في كل سنة أربعين ألف دينار وكان يبعث اليهم الاضاحي والكسوة في الاعياد والمواسم (وأعطى) أبو الجهم العدوي في داره بالبصرة مائة ألف درهم فقال لهم وبكم تشترون مني جوار سعيد بن العاص قالوا وهل رأيت جوارا يشترى قط قال والله لا بعت دار امجاور رجلا ان غبت عنه سأل عني وحفظني في أهلي وان رآني رحب بي وقربني وان سألته قضى حاجتي وحياني وان لم أسأله عنه عطف علي وبدأني والله

وأعرض عليه أخبار الماضين وسر في ديارهم وآثارهم فانظر ما فعلوا وأين حلوا فانك تجدهم قد انتقلوا من دار الغرور ونزلوا دار الغربة وكأنك عن قليل يا بني قد صرت كأحدهم فبع دنياك بآخرتك ولا تبع آخرتك بدنياك ودع القول فيما لا تعرف والامر فيما لا تكلف وأمر بالمعروف بيدك ولسانك وكن من أهله وأنكر المنكر بيدك ولسانك وباين من فعله وخض الغمرات الى الحق ولا تأخذك في الله لومة لائم واحفظ وصيتي ولا تذهب عنك صفحا فلا خير في علم لا ينفع واعلم انه لا غنى بك عن حسن الارتياد مع بلاغك من الزاد فان أصبت من أهل الفاقة من يحتمل عنك زادك فيوافيك به في معادك فاغتنمه فان أمامك عقبة كؤدلا يجاوزها الا أخف الناس حملا وأجمل في الطلب وأحسن في المكتسب فرب طلب قد جر الى حرب وانما المحروب من حرب دينه والمسلوب من سلب يقينه واعلم انه لا غنى بعده الجنة ولا فقر بعد النار والسلام عليك ورحمة الله (وقال رضي الله عنه)

صن النفس واحملها على ما يزينها
تعش سالما والقول فيك جميل
ولا ترين الناس الا تجملا
نبا بك دهر أو جفاك خليل
وان ضاق رزق اليوم فاصبر الى غد
لعل صروف الدهر عنك تزول
ولا خير في ود امرئ متلون
اذا الريح مالت مال حيث تميل
جواد اذا استغنيت عنه بماله
وعند احتمال النائبات بخيل
فما أكثر الاخوان حين تعدهم

لو أعطيت فيهاملأ هاذهباما اخترته عليه ولا نظرت اليه فبلغ ذلك سعيدا فبعث اليه بمائة ألف درهم (وقال) جعفر بن أبي طالب لابيه يا أبت اني لأستحي ان أطعم طعاما وجيراني لا يقدرون على مثله فقال له أبوه اني لارجو أن يكون فيك خلف من عبد المطلب * وقال الحسن البصري ليس حسن الجوار كف الاذى ولكنه الصبر على الاذى (وقالوا) الاحسان الى الجار يعمر الديار ويزيد في الاعمار * شاعر

اني لاحسد جاركم بجواركم * طوبى لمن أضحى لدارك جارا
ياليت جارك باعني من داره * شبرا فاعطيه بشبر دارا

(وقال) بعض حكماء العجم حسن الجوار خير قرين وعلى استخلاص المودة خير معين * مسكين الدارمي

ناري ونار الجار واحدة * فاليه قبلي ينزل القدر
ماضر جارا لي أجاوره * أن لايكون لبابه ستر
أعمى اذا ما جارتي خرجت * حتى يواري جسمها الستر

(آخر) أجود وأرعى حرمة الجار انني * كريم عالى كل عرق مهذب
وأمنع جيراني من الضيم والاذى * وأركب من أكرامهم كل مركب

(ومن النوادر المحكية في اكرام الجار) ماحكى أن يهوديا عطارا نزل ببعض أحياء العرب يبيع لهم من بضاعته العطرية فمات عندهم فاتوا شيخا لهم لم يكن يقطع في أمر دونه فاعلموه بخبر اليهودي فجاء وغسله وكفنه وتقدم وأقام الناس خلفه وقال اللهم ان هذا الناجار وله علينا ذمام فاذا قضيناذمامه وصار اليك فلك الجبار أن تفعل به ما هو له أهل أو تفعل به ما أنت له أهل مانك أهل التقوى وأهل المغفرة * شاعر

راع حقوق الجار في كل ما * حدده الله وأوصى به
وزره في الصحة مستبشرا * وعده في السقم وأوصابه
ولا تغير لك له حالة * تبدو كشهد القول أوصابه

وهذه ظرف تكون لماذكرناه ختاما ولنفس المتأمل وقلبه شركا وزماما فيما يلزم الاصدقاء من تمازج الارواح امتزاج الصهباء بالماء القراح قيل لبعضهم صف لنا الصديق قال أنت هو وهو أنت الا انكما جسمان بينكما روح * وقيل لاسقاط الشيباني صف لنا الاخوة وأوجز فقال أغصان تغرس في القلوب فتثمر على قدر العقول * وقيل لافلاطون ما الصديق قال هو أنت الا أنه غيرك (وقيل) لبعضهم ما الاصدقاء قال نفس واحدة وأجساد متفرقة * وقال ابن المقفع الاخ نسيب الجسم والصديق نسيب الروح * ولارسطوطاليس وقد سئل عن الصديق ما معناه فقال قلب تضمنه جسمان نظمه بعض الشعراء فقال

بنفسي أخ لي في الامور مساعد * فلي وله جسمان والقلب واحد
اذا غاب عني لم أجد طعم لذة * لان فؤادي شطره متباعد

(لآخر) بأبي من هو مني في الحشا * ليته يوما على عيني مشى
روحه روحي وروحي روحه * ان يشأ شئت وان شئت شا

(ولقد تتبعت) ما قاله الناس في الاتحاد فما رأيت ولا سمعت أحسن من قول أبي الحسين الحلاج في ذلك

أنا من أهوى ومن أهوى أنا * نحن روحان حللنا بدنا
نحن مذ كنا على عهد الهوى * تضرب الامثال في الناس بنا

فاذا

ولكنهم في النائبات قليل

(قال كميل بن زياد) أخذ علي رضي الله عنه بيدي فاخرجني الى ناحية الجبانة فلما أصحر تنفس الصعداء ثم قال يا كميل ان هذه القلوب أوعية فخيرها أوعاها يا كميل احفظ عني ما أقول الناس ثلاثة عالم رباني ومتعلم على سبيل نجاة وهمج رعاع لكل ناعق أتباع يميلون مع كل ريح لم يستضيئوا بنور العلم ولن يلجؤا الى كل وثيق يا كميل العلم خير من المال العلم يحرسك وأنت تحرس المال والمال تنقصه النفقة والعلم يزكو على الانفاق يا كميل محبة العلم دين يدان به يكسبه العلم الطاعة في حياته وجميل الاحدوثة بعد وفاته ومنفعة المال تزول بزواله والعلم حاكم والمال محكوم عليه يا كميل مات خزان المال والعلماء باقون ما بقي الدهر أعيانهم مفقودة وأمثالهم في القلوب موجودة ثم قال ها ان ههنا علما وأشار الى صدره لو أصبت له حملة بلى أصيبه لقنى غير مأمون يستعمل آلة الدين في طلب الدنيا ويستظهر بحجج الله على أوليائه وبنعم الله على معاصيه أو منقادا لحملة العلم لابصيرة له في أحنائه يقدح الشك في قلبه بأول عارض من شبهة ألا لا ذا ولا ذاك أفمن هو منهوم باللذات سلس القياد الى الشهوات ومغرم بالجمع والادخار وليس من دعاة الدين أقرب شبها به الانعام كذلك يموت العلم بموت حامليه ثم قال اللهم بلى لاتخلو الارض من قائم بحجة اما ظاهرا مشهورا واما خافيا مغمورا لئلا تبطل حجج الله وميثاقه وكم وأين أولئك الاقلون عددا

فاذا أبصرتني أبصرته * واذا أبصرته قلت أنا

(وله) جبلت روحك من روحي كما * يجبل العنبر بالمسك العبق
فاذا مسك شيء مسني * فاذا أنت أنا لا نفترق

(وله) مزجت روحك من روحي كما * تمزج القهوة بالماء الزلال
فاذا مسك شيء مسني * فاذا أنت أنا في كل حال

وهذا غاية ما بلغه علمي وأدركه فهمي وتصرف الناس في حسن الاختيار معدود من المواهب وللناس فيما يعشقون مذاهب (وقد) أحسن الشريف الرضي في قوله يخاطب أبا اسحق الصابي

أنت الكرى مؤنس طرفي وبعضهم * مثل القذى مانع طرفي من الوسن
لقد تمازج قلبانا كأنهما * تراضعا بدم الأحشاء لا اللبن

(ويقال) كاتب صديقك كما تكاتب حبيبك فان عذل الصداقة أرق من عذل العلاقة والنفس بالصديق آنس منها بالعشيق (ويقال) اذا كاتبت أخاك فليكن المداد من سواد الفؤاد والقرطاس من بياض الوداد فان من كرمت خصاله وجب وصاله

(الفصل الثالث من الباب الخامس عشر)
في ذم الثقيل والبغيض بما استحسن من النثر والقريض

قال الله تعالى واذا طعمتم فانتشروا ولا مستأنسين لحديث قالت عائشة رضي الله عنها هذه الآية نزلت في الثقلاء (وكان) أبو هريرة رضي الله عنه اذا استثقل رجلا يقول اللهم اغفر له وأرحنا منه * وكان الاعمش واسمه سليمان بن مهران اذا رأى ثقيلا قال ربنا اكشف عنا العذاب انا مؤمنون (وروى) عنه أنه قال من فاتته ركعتا الفجر فليلعن الثقلاء (وقيل له) لم عمشت عينك قال من نظري الى الثقلاء فاني ما رأيت ثقيلا قط الا وعمشت عيني * وكان يقول اذا كان عن يسارك ثقيل في الصلاة فتسليمة واحدة تكفيك * وكان بعضهم اذا رأى ثقيلا قال استراح العميان من النظر (وقيل) لارسطوطاليس لم صار الثقيل أثقل من الحمل الثقيل قال لان الحمل تشترك الجوارح في حمله والثقيل ينفرد القلب بثقله * شاعر

ان الثقيل وان تخفف جهده * كان الثقيل على الفؤاد ثقيلا

(وقال) بعض الملوك لطبيب جس نبضي فجسه وقال مزاج معتدل الا اني أرى فيه نكدرا فهل جالسك اليوم ثقيل قال نعم فقال هذا من ذاك (وقال) بختيشوع للمأمون لا تجالس الثقلاء فان الفلاسفة قالوا مجالسة الثقلاء حمى الروح (وقيل) لمحمد بن زكريا الرازي أيما أمر الثقيل المبرم أو شرب الدواء الكريه الرائحة المر الطعم فقال ليس ما اكتسب الداء كما أعقب الشفاء ان مجالسة الثقيل تجلب الاسقام وتنحل الاجسام وتورث الاحزان وتؤلم الابدان وتهد الاركان وشرب الدواء يجلو الاجسام ويحلل الاسقام ويشحذ الافهام ويدفع الاحزان وينشط الكسلان ويقوي الامكان (وقال) ارسطاليس للاسكندر اياك ومجالسة الثقيل فان منها ذبول الروح وذهول العقل وموت الفزع (وقال الاصمعي) ستة يضنين وربما قتلن انتظار المائدة ودمعة الخادم والسراج المظلم وبكاء الاطفال وخلاف من تحب ورؤية الثقيل

(ومما أثار بطلعته كوامن البغضاء فكشفت عن مساويه ستور الاغضاء)

عاد الاعمش أبا حنيفة فقال له بعدما أبرم في جلوسه يا أبا محمد ما أشد شيء مر بك في علتك قال جلوسك عندي قال ما تشتهي قال أشتهي أن لا أراك ويحكى أنه قال له يا أبا محمد لولا ما

والاعظمون قدرا بهم يحفظ الله حججه حتى يودعها في قلوب أشباههم هجم بهم العلم على حقائق الامور فباشروا روح اليقين واستلانوا ما استوعر المترفون وأنسوا بما استوحش منه الجاهلون صحبوا الدنيا بأبدان أرواحها معلقة بالمحل الأعلى يا كميل أولئك خلفاء الله في أرضه والدعاة الى دينه هاه هاه شوقا اليهم والى رؤيتهم وأستغفر الله لنا ولهم انصرف اذا شئت (واذ قد تضمنت هذه الوصية ذكر العلم وتعليمه وحملته) فلنذكر العلوم الضرورية على الانسان وما يلزم تبديته وتقديمه منها في تعلمها وأجعل ذلك خاتمة كتابي هذا تيمنا وتبركا بذكرها وتحريضا على تعلمها ونشرها لتعظم بها الفائدة وتكمل فيها العائدة والى الله سبحانه أبتهل في حسن العون والتأييد والتوفيق والتسديد

(فصل)

قال الامام أبو نعيم أحمد بن عبد الله ابن اسحق الحافظ رحمة الله عليه اعلم أن أحق ما يلزم المرء تبديته وتقديمه تعلم القرآن فان الله تعالى يقول ان هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ويبشر المؤمنين الآية وقال لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد وقال ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين في كثير من الآيات يكثر تعدادها ففيه والحمد لله الهدى الساطع والنور اللامع وشفاء الصدور ومراهم القلوب سراج لا يخبو ضياؤه وشهاب لا يخمد نوره وسناؤه وبحر لا يدرك غوره المانع

أخاف من التثقيل عليك لا آتيك فى كل وقت فقال انك لتثقل علىّ وأنت فى بيتك فكيف
اذا جئتنى (وقال رجل) لابى العيناء ان الله لم يأخذ من عبد كريمتيه الا عوّضه الله
منهما فما الذى عوّضك قال أن لا أرى ثقيلا مثلك (واعتذر رجل) الى آخر فى تقل
زيارته فقال ما رأيت احسانا يعتذر منه الا هذا (صلى) امام بقوم فأطال فلما سلم لامه بعض
من صلى خلفه من الظرفاء فقال وانها لكبيرة الا على الخاشعين فقال أنا رسول الخاشعين
اليك بانك ثقيل فانهم لا يطيقون الصبر على احتمال بردك (وقد) نظم أبو الحسن على بن
أبى الطيب الباخرزى أبياتا يهجو بها اماما ثقيلا ويذكر ما وجد من جوره فى تطويله
مقيلا ذكرها فى هذا الموضع لائق لما جمعت من المعنى البديع واللفظ الرائق

وأثقل روحا من عقاب عقنقل * أخف دماغا من جنوب وشمأل
يؤم بنا فى القطع قطع خبيسة * وأم بصخر حطه السيل من عل
يطيل قياما فى المقام كأنه * منارة قس راهب متبتل
ويغمس فى القرآن لحنا كأنما * يشد بأمراس الى صم جندل
فقلت له لما تمطى بصلبه * وأردف أعجازا وناء بكلكل
وزاد برغمى ركعة فى صلاته * ألم يكن التسليم منك بأمثل

(دخل ثقيل) على الصاحب بن عباد فاطال الجلوس وأبرم فى المحادثة فكتب الصاحب
رقعة وأعطاه اياها فقرأها فاذا فيها

ان كنت تزعم أن الدار تملكها * حتى نقوم فنبغى غيرها دارا
أو كنت تعلم أن الدار أملكها * فقم لكى تذهب الاشجان والعارا

(ولما) قدم محمد بن المكرم من الجبل قال له أبو العيناء مالك لم تهد لنا شيأ فقال والله
ماجئت الا فى خف قال كذبت لو قدمت فى خف خلقت روحك يا عجبا من جسم كالخيال
وروح كالجبال (وقال رجل) لبعض المغنيين فى مشاجرة جرت بينهما والله ما تعرف
الثقيل الاوّل ولا الثقيل الثانى فقال كيف لا أعرفهما وأنا أعرفك وأعرف أباك
بهذا بعض الشعراء فقال

ثقيلا براه الله وابن ثقيلة * أرى الثقيل طبعا فى أبيك وفيكا
أبوك امام الناس فى الثقل كلهم * وأنت ولىّ العهد بعد أبيكا

(آخر) يامن تبرمت الدنيا بطلعته * كما تبرمت الاجفان بالسهد
يمشى على الارض مختالا فأحسبه * من بغض طلعته يمشى على كبدى
لوأن فى الناس جزأ من سماجته * لم يقدم الموت اشفاقا على أحد

(قصد) حماد الراوية دار مطيع بن اياس فحجب فكتب اليه يسأله الدخول عليه

هل لذى حاجة اليك سبيل * لا نطيل الجلوس فيمن يطيل

فلما قرأ البيت أجابه

أنت يا صاحب الكتاب ثقيل * وكثير من الثقيل القليل

وقال محمد بن عرفة النحوى المعروف بنفطويه يهجو ثقيلا

ياثقيلا على القلوب اذا عنّ فقد أيقنت بطول السهاد
ياقذى فى العيون ما بين ألف * يا غريما أتى على ميعاد
ياركودا فى يوم غيم وصيف * يا وجوه التجار يوم الكساد
خل عنا فانما كنت فينا * واو عمرو وكالحديث المزاد

(الناجم يذم ثقيلا)

من الملائكة والسوار والدال على سبيل الجنة والنار من رزق علما استغنى به عن كل علم ومن علمه وتعلمه تعلم خير العلوم وأفضلها وهو أقرب ما يتقرب به العباد الى ربهم عز وجل (عن الحارث الاعور) عن علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه قال قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان أمتك ستفتن من بعدك فسأل رسول الله أو سئل ما المخرج منها قال كتاب الله الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه من ابتغى العلم فى غيره أضله الله ومن ولى هذا الامر من جبار فحكم بغيره قصمه الله هو الذكر الحكيم والنور المبين والصراط المستقيم فيه خبر ما قبلكم ونبأ ما بعدكم وحكم ما بينكم هو الفصل ليس بالهزل وهو الذى سمعته الجن فلم تتناه أن قالوا انا سمعنا قرآنا عجبا يهدى الى الرشد فآمنا به لا يخلق على طول الرد ولا تنقضى عبره ولا تفنى عجائبه ثم قال للحارث خذها يا أعور فمن تعلمه فليصبر على ما يعرض له دون تعلمه ولا يكن همه فى تعلمه اقامة حروفه دون القيام عند حدوده وليحذر من أن يتكبر فيه أو يأكل به ولا يترك قراءته ودرسه ليبقى له حفظه ولا يغفل عن القيام به فى الليالى ويستعين على تحفظ القرآن بقراءته ودوام الاصحاب والرفقاء ثم ليبحث عن علومه ومعانيه وليحذر الكلام فيه بغير علم وليحذر أن يتوانى فيه وينساه (عن سعيد بن عبادة رضى الله عنه) قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من رجل يتعلم القرآن ثم ينساه الا لقى الله يوم

يا قوة الناس ويا ضعف الامل * يا حيرة المملق أعيته الحيل
* يا زحل الدهر ومريخ الدول *

﴿ ومما استجدته من مذام الثقلاء الشافية محاسنها أفهام العقلاء ﴾

قال بعض البلغاء محذرا من مجالسة الثقيل اذا وافاك ثقيل فارم من خلقك التصرم ومن طبعك التبرم ولا توسعه ترحيبا ولا تحفل به تقريبا ولا تقبل اليه بوجهك ولا تبخل عليه بنهجك وأوحشه عند استئناسه وتهجم له بين جلاسه وأبعده ما استطعت واقطعه فيمن قطعت فبعده راحة لنفسك ومجلسه لانسك فانك ان أدنيته اليك وأدلته عليك ضنى به جسدك وكبدك وزاد به نكدك وكمدك (أبو بكر الخوارزمى) فلان أثقل من موت الخناق وكتاب الطلاق وفقد الحبيب وطلعة الرقيب وقدح البلاب فى كف المريض وأشد من خراج بلا غلة ودواء بلا علة ورؤية الموت عند الكافر وقد ختم أعماله بالكبائر فلان وخز فى الاكباد وسقم فى الاجساد * وصف العباس بن الاحنف ثقيلا فقال والله ما الحمام مع الاصرار وكثرة الذنوب مع الاقتار وشدة السقم فى الاسفار بآلم من لقائه (أبو نواس) الحسن بن هانئ الحكمى يذم ثقيلا

ثقيل يطالعنا من أمم * اذا سره رغم أنفى ألم
لطلعته وخزة فى الفؤاد * كوخز المشارط فى المحتجم
أقول له اذ أتى لا أتى * ولا نقلته الينا قدم
فقدت خيالك لا من عمى * وصوت كلامك لا من صمم

(وصف) بعضهم ثقيلا فقال لا أدرى كيف لم تحمل الامانة أرض حملته وكيف احتاجت الى الجبال بعد ما أقلته كأنما قرب به فقد الحبائب وسوء العواقب وكأنما وصله عدم الحياة وموت الفجاءة (شاعر)

يطول بقربك اليوم القصير * ويرحل ان مررت بنا السرور
لقاؤك للمبكر فأل سوء * ووجهك أربعاء لا تدور

(آخر) اذا ما تبدى طالعا فكأنه * حضور غريم أو طلوع رقيب
وان جاء نحوى قاصدا فكأنه * كتاب بعزل أو فراق حبيب

(آخر) وثقيل أشد من غصص المو * ت ومن كيده العذاب الاليم
لو عصت ربها الجحيم لما كا * ن سواه عقوبة للجحيم

(حسام الدين البخارى)

خلق الناس من منى وهذا الـ * ـولد النحس من رجيع أبيه
ففشا الافشا ثقيلا مقيتا * ليس فيه خير لمن يرتجيه
لم يكن منهما نكاح ولكن * فقحت فرجها فأحدث فيه
تتهيا لناظرى ولقلبى * حرجا كلما نظرت اليه

(نادرة) دخل أعرابى على ثلاثة يشربون واغلا فقال أحدهم

أيها الداخل الذى جاء يطوى * حين لذ الحديث لى ولصحبى
(فقال الثانى) خف عنا فأنت أثقل والله * علينا من فرسخى دير كعب
(وقال الثالث) ومن الناس من يخف وفيهم * كرحى البزر دائر فوق قطب
(فقال الاعرابى) لست بالبارح العشية والله * لشتم ولا لشدة ضرب
أو تميلوا بالكبر فورا علينا * ثم تعلوا من فوق ذاك بقعب

القيامة أجذم (قال الحسن) قراء القرآن ثلاثة أصناف صنف اتخذوه بضاعة يأكلون به وصنف أقاموا حروفه وضيعوا حدوده واستطالوا به على أهل بلادهم واستدروا به الولاة كثر هذا الضرب من حملة القرآن لا كثرهم الله وصنف عمدوا الى دواء القرآن فوضعوه على داء قلوبهم فركدوا به فى محاربهم وحنوا به فى برانسهم واستشعروا الخوف وارتدوا الحزن فأولئك الذين يسقى الله بهم الغيث وينصر بهم على الاعداء والله لهذا الضرب فى حملة القرآن أعز من الكبريت الاحمر (ثم) الذى يتلو القرآن من العلوم سنن الرسول صلى الله عليه وسلم فانها الحكمة قال تعالى وما ينطق عن الهوى وقال وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا فمن أراد حفظ الاحاديث التى فى الاصول الصحاح فليكن فى طلبه الحديث محتسبا صادق النية فان أهل الحديث خلفاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أمته من بعده (عن ابن عباس رضى الله عنه) قال سمعت على بن أبى طالب رضى الله عنه يقول خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اللهم ارحم خلفائى قلنا يا رسول الله ومن خلفاؤك قال الذين يأتون من بعدى يروون أحاديثى ويعلمونها الناس (فاذا) أحرز صدرا من علم سنن الرسول صلى الله عليه وسلم فليأخذ فى علم الفرائض فانه ثالث علوم الدين وعليه المعول فى قسمة المواريث بين المسلمين (و) المختار من علم الفرائض

فاستظرفوه وخلطوه بهم

﴿ ومما يكون لنفس المتأمل قوتا ذم من كان بغيضا ممقوتا ﴾

(سئل) جعفر الصادق رضي الله عنه هل يكون المؤمن بغيضا قال لا ولا يكون ثقيلا (وفي كتاب أنوشروان) أنه لما أراد أن يصير ولده هرمز ولي عهده استشار أولياءه في ذلك فكل ذكر عيبا إلا أنه يستحق به الملك فمن قائل لا يصلح للملك لأنه قصير وذلك مما يذهب بهاء الملك فقال أنوشروان محتجا له أنه لا يكاد يرى إلا راكبا أو جالسا على سرير فلا يبين عليه ذلك ومن قائل انه ابن رومية والملك اذا كان ابن أمة نقصه ذلك من أعين الناس فقال أنوشروان محتجا له ان الأبناء ينتسبون الى الآباء ولا ينتسبون الى الامهات فلا يضره ما قلت فقال المؤبذان ان فيه عيبا وهو أنه مبغض الى الناس فقال أنوشروان عند ذلك هذا هو العيب الذي لا مرح معه ولا عذر عنه والداء الذي لا برء له فقد قيل ان من كان فيه خير ولم يكن ذلك الخير للناس فلا خير فيه (وقالوا) فلان أوحش من ربع تحول سكانه وتحمل اظعانه وعارت نجومه وعفت رسومه (وقالوا) فلان أقذى للعين من ساعة تداعية البين بين المحبين * وقالوا فلان لا تحبه الناس حتى تحب الارض الدم وذلك أنها تعاف الدم فلا تقبله

شاعر يهجو بغيضا

يا بغيضا زاد في البغـ * ـض على كل بغيض
أنت عندي قدح اللبـ * ـلاب في كف المريض

(وقالوا) فلان أبغض من زوال النعمى وفوت المنى وطلعة الردى (وقالوا) مجالسة البغضاء تزيد الهموم وتجلب الغموم وتؤلم القلب وتشد أزر الكرب وتكدح في النشاط وتطوي بساط الانبساط

﴿ الباب السادس عشر في العزلة وفيه ثلاثة فصول ﴾

﴿ الفصل الاول من هذا الباب ﴾

في ذم الاستئناس بالناس لتلون الطباع وتنافي الاجناس

(قال الله تعالى) حكاية عن موسى عليه الصلاة والسلام ففررت منكم لما خفتكم فوهب لي ربي حكما وجعلني من المرسلين (وقال) عليه الصلاة والسلام أحب العباد الى الله الاتقياء الاخفياء الذين اذا غابوا لم يفتقدوا واذا شهدوا لم يعرفوا أولئك أئمة الهدى ومصابيح الظلم (وقيل) لبعض العباد ما أصبرك على الوحدة قال أنا جليس الرب اذا شئت أن يناجيني قرأت كتابه واذا شئت أن أناجيه صليت له (وقال) ذو النون المصري الانس بالله نور ساطع والانس بالخلق غم قاطع (وقال) رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم صومعة المؤمن بيته يكف فيها نفسه وبصره ولسانه وفرجه (وقال الجنيد) للسري السقطي أوصني فقال لا تكن مصاحبا للاشرار ولا تشتغل باللاهي عن الاخيار (وفي) كتاب كليلة ودمنة ينبغي لذي المروءة أن يكون اما مع الملوك مبجلا واما مع النساك متبتلا كالفيل اما أن يكون مركبا نبيلا أو في البرية مهيبا جليلا (وقال) علي رضي الله عنه من وجد في نفسه وحشة من الناس فليعلم أن الله أحب أن يؤنسه به (وقالوا) ما استغنى أحد بالله الا وافتقر الناس اليه (وقال) بعض الحكماء الانس بالله من حبه لك فان الله اذا أحب عبدا أوحشه من خلقه (وقد قيل) من خلق التوحيد حب الوحدة (وقال الجنيد) أطيب ساعاتي خلواتي وألذ طاعاتي في مناجاتي (ولله در من قال)

من حمد الناس ولم يبلهم * ثم بلاهم ذم من يحمد

مذهب زيد بن ثابت الانصاري (عن عبد الله بن عمر) قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم العلم ثلاثة فما سوى ذلك فضل آية محكمة وسنة قائمة وفريضة عادلة (فاذا) أحكم علم الفرائض فليأخذ في الفقه فانه علم الحلال والحرام وهو عصمة في الدين وزينة في الدنيا ويحسب الفقيه من المدحة قوله تعالى فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين (و) الذي يستحب للمتعلم من مذاهب الفقهاء مذهب أهل المدينة والحجاز (عن معاوية بن أبي سفيان) عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال الخير عادة والشر لجاجة ومن يرد الله به خيرا يفقهه في الدين (ثم) يتلو الفقه من العلوم علم العربية والنحو لأنه آلة لجميع العلوم لا يجد أحد منه بدا ليقيم به تلاوة كتاب الله ورواية كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم لكيلا يخرجه جهل الاعراب الى اسقاط المعاني (عن عمر رضي الله عنه) قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول رحم الله امرأ أصلح من لسانه (و) ليأخذ بحظ من علم الغريب ومعرفة اختلاف اللغات ففيه اذراب اللسان وفصاحة المنطق ومعرفة المشكل وبيان الغامض (عن عطية السعدي) قال قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم في أناس من بني سعد بن بكر فأتيته فقال ما أغناك الله فلا تسئل الناس شيأ فان اليد العليا هي المنطية وان اليد السفلى هي المنطاة وان مال الله مسئول ومنطى فكلمه

وصار بالوحدة مستأنسا * يوحشه الاقرب والابعد

(فما) يكون عونا للكريم على الانقطاع ذم ما الناس عليه من لؤم الطباع (قال) سفيان الثورى للحسن البصرى دلنى على من أجلس اليه قال تلك ضالة لا توجد (وقيل لبعضهم) ما الصديق قال اسم وضع على غير مسمى وحيوان غير موجود * الناشى

سمعنا بالصديق ولا نراه * على التحقيق يوجد فى الانام
وأحسبه محالا نمقوه * على وجه المجاز من الكلام

(وقيل لبعضهم) من أبعد الناس سفرا قال من كان فى طلب صديق صدوق يكون عونا له على مهماته وعونا على ملماته (سمع المأمون) أبا العتاهية ينشد

وانى لمحتاج الى ظل صاحب * يروق و يصفو ان كدرت عليه

فقال خذ منى الخلافة واعطنى هذا الصاحب وقبل هذا البيت

عذيرى من الاخوان لا من جفوته * صفا لى ولا من كنت طوع يديه

(وقال بعضهم) ان كان فى مخالطة الناس خير فان تركهم أسلم (وقال) بعض الرهبان لرجل ان استطعت أن يكون بينك و بين الناس سور من حديد فافعل وان كان الانس فى الجماعة فان السلامة فى العزلة (وقال الشاعر)

ليس فى الناس وفاء * لا ولا فى الناس خير
قد بلوت الناس طرا * فكسير وعوير

(آخر)
كن لقعر البيت جلسا * وارض بالخلوة أنسا
واغرس الناس بأرض الـ * ـزهد مهما شئت غرسا
وليكن يأسك دون الطـ * ـمع الكاذب ترسا
لست بالواجد حرا * أو ترد اليوم أمسا

(كتب بعضهم) الى صديق له أما بعد فانى أحمد الله الى الناس وأذم الناس اليه (وقيل لبعضهم) ما تجد فى الخلوة قال الراحة من مداراة الناس والسلامة من شرهم (وقال الشاعر)

وقالوا اللقاء الناس أنس وراحة * ولو كنت أرضى الناس ما عشت مفردا

(وكتب) محمد بن عبد الله بن طاهر الى أخيه من مدينة السلام وكان أخوه بخراسان يشكو اليه قلة وفاء الرئيس وتأذيه بحضرة الجليس فكتب اليه جوابا

طب عن الامة نفسا * وارض بالوحدة أنسا
ما رأينا أحدا سا * وى على الخبرة فلسا

(آخر)
قد بلوت الناس طرا * لم أجد فى الناس حرا
صار أحلى الناس فى العيـ * ـن اذا ما ذيق مرا

(أبو حامد الغزالى)

لا تجزعن لوحدة وتفرد * ومن التفرد فى زمانك فازدد
ذهب الاخاء فليس ثم أخوة * الا التملق باللسان وباليد
واذا كشفت ضمير ما بصدورهم * أبصرت ثم نقيع سم الاسود

(آخر)
اذا ما طلبت أخا مخلصا * فهيهات منك الذى تطلب
فكن بانفرادك ذا غبطة * فما فى زمانك من تصحب

(آخر)
بلوت الاناس وأهل الزمان * وكل بهجر ولؤم خليق

رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغتنا (ثم) ليعرف طرفا من الشعر فانه ديوان العرب وموروث فى الاعقاب والاخلاف باق مدحه وذمه لازم خيره وشره وفيه الشاهد الحاضر والمثل السائر والذم والامتداح والشرح والافصاح وبيان غريب القرآن ومعانى سنن الرسول عليه السلام (عن عائشة رضى الله عنها) قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من الشعر لحكمة (ثم) ليتعلم طرفا من الانساب لما فى علمه من اتصال الانسان ومعرفة الاسلاف وفضائل الاشراف وبه تواصل الارحام ويتوارث بنو الاعمام (عن أبى هريرة) قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم فان صلة الرحم محبة فى الاهل مثراة فى المال منسأة فى الاثر (ثم) يتلو ما ذكرنا من معرفة علم الانساب علم الطب فانه علم الابدان وجوامع الطب حفظ الصحة وتدبير الامراض وشفاء الاسقام قد نطق به القرآن ودلت عليه السنة وافتقر الى أهله جميع الامة (عن أبى سعيد الخدرى) عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ما أنزل الله من داء الا أنزل معه دواء علمه من علمه وجهله من جهله (ثم) يتلو الطب الخط والكتابة فانه سفير العقل وبه كمال الفضل ورباط علوم الدين والدنيا وبه تحفظ الآثار وتنفسح الابصار (عن أنس) قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قيدوا العلم بالكتابة (ثم) ليتعلم عبارة الرؤيا فانه علم نبوى

وأوحشني من عدوى الزمان * وآنسني بالعدو الصديق

(آخر) بلوت الناس من غرب وشرق * فلم تظفر يدي بصديق صدق
فقلت مجانبا للخلق طرا * يبيت منادمي قدحي وزقي
وفي الآداب لي الف وأنس * وفضل الله يأتيني برزقي

(آخر) ما أعجب الناس في تقلبهم * ذا شهد طعمه وذا صبر
ترضي على الشخص حين تبصره * ويسخط العقل حين يختبر

(وقال) بعض الحكماء الوحشة من الناس على قدر المعرفة بهم * منه قول علي رضي الله عنه أخبر تقله (وقال المأمون) لولا أن كلام علي فرع من كلام النبوة لعكسته وقلت أدله تخبر (وقال) وهيب بن الورد صحبت الناس منذ خمسين سنة فما وجدت رجلا غفر لي زلة ولا أقال لي علة ولا أقالني عثرة ولا ستر لي عورة (وقال) علي رضي الله عنه اذا كان الغدر طبعا فالثقة بكل أحد عجز (شاعر)

أما الوفاء فشيء قد سمعت به * وما وجدت له عينا ولا أثرا
فمن توهم في الدنيا أخا ثقة * فانه بشر لا يعرف البشرا

(آخر) ذهب الوفاء ذهاب أمس الذاهب * فالناس بين مخاتل ومو ارب
يفشون بينهم المودة والصفا * وقلوبهم محشوة بعقارب

(آخر) لك الخير ما علمي ليس في الناس منصف * وكل وداد فهو منهم تكلف
وكل اذا عاهدته فهو ناقض * لعهدك أو واعدته فهو مخلف
وأبناء هذا الدهر كالدهر لم يثق * به وبهم الا جهول مسوّف

(آخر) ذهب الوفاء فلا وفا * ء ولا حياء ولا مروّة
الا التواصل باللسا * ن من النفوس بلا أخوّه

(عبد المحسن الصوري)

نزع الدهر خلتين من النا * س وفاء الاخاء وصدق الصديق

(و يقال) العزلة عن الناس توفر العرض وتبقي الجلالة وتستر الفاقة وتدفع مؤنة المكافأة في الحقوق (لما) وقع الاختلاف في المدينة خرج عروة بن الزبير الى العقيق واعتزل الناس فعاتبه بعض اخوانه فقال رأيت ألسنتهم لاغية وقلوبهم لاهية وأديانهم واهية فخفت أن تلحقني معهم الداهية (شاعر)

ألام على التفرد كل وقت * ولي فيما ألام عليه عذر
وكل أذى فصبو رعليه * وليس على قرين السوء صبر

(آخر) وأفردني عن الاخوان علمي * بهم فبقيت مهجور النواحي
فكم ذم لهم في جنب مدح * وجد بين أثناء المزاح

(الامام الشافعي رضي الله تعالى عنه)

اذا لم أجد خلا تقيا فوحدتي * ألذ وأشهى من غوي أعاشره
وأجلس وحدي للسفاهة آمنا * أقر لعيني من جليس أحاذره

(وقال) جعفر الصادق العزلة أسكن للفؤاد وأبعد من الفساد وأعود للمعاد (الثعالبي) اذا كان الصديق المجانس متعذرا وصحيح الاخاء لا يكاد يرى والثقة بغير الله منفصمة العرى (وقالوا) اذا أنس اللبيب بالوحدة دون المصاحب ونزه نفسه بما كرامها عند تغير الاخ والصاحب وتزين بالدين وتحلى بحلية المؤمنين وألزم نفسه الرياضة بالآداب وأعتق رقبه

وبشرى علوى (عن عبادة بن الصامت) عن النبي صلى الله عليه وسلم قال رؤيا المسلم جزء من ستة وأربعين جزأ من النبوة (ثم) ليتعلم الحساب لانه علم لا غنى عنه فيه خير الدنيا والدين ثابت الدلائل واضح البراهين به تحفظ الاموال وتقسم المواريث (عن العرباض بن سارية) قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لمعاوية اللهم علمه الكتاب والحساب وقه العذاب (ثم) الذي يتلو الحساب الذرع والمساحة وهما من نتائج الحساب (عن أبي سعيد الخدري) ان قتيلا أوميتا وجد بين قريتين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قيسوا فانظروا الى أيهما أقرب فكأني أنظر الى شبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فألقاه الى أقربهما (فاذا) تعلم ماذكرناه من العلوم فلا بأس أن يتعلم من جليل علم النجوم ومعرفة أعيان الكواكب ما به يعلم عدد السنين والشهور وأوقات الصلاة ومجارى الاهلة وساعات الليل والنهار والبراري والبحار قال الله تعالى وعلامات وبالنجم هم يهتدون وقال سبحانه الشمس والقمر بحسبان وقال والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم وقال وكل في فلك يسبحون وقال والسماء ذات البروج وقال هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب (وعن عبد الله بن أبي أوفى) قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خيار عباد الله الذين يراعون الشمس والقمر والنجوم

من

من أليم العذاب فقد استراح وأراح ووجد فى كل قطر المطار والمراح (وأنشد) لعلى بن عبد العزيز الجرجانى

ماتطعمت لذة العيش حتى * صرت فى وحدتى لكتبى جليسا
ليس شئ ألذ عندى من نفسى * فلم أبتغى سواها أنيسا
انما الذل فى مداخلة النا * س فدعها وعش كريما رئيسا

(وما أحسن قول بعضهم فى المعنى)

اذا ماخلوت من المؤنسين * جعلت المؤانس لى دفترى
فلم أخل من شاعر محسن * ومن مضحك طيب منذر
ومن حكم بين أثنائها * فوائد للناظر المفكر
فان ضاق صدرى باسراره * وأودعته السر لم يظهر
فلست أرى مؤثرا ماحييت * عليه نديما الى المحشر

(ولآخر) وماظفرت يدى بصديق صدق * أخاف عليه الا خفت منه
ولم تدع التجارب لى صديقا * أميل اليه الاملت عنه
أنست بوحدتى حتى لوانى * رأيت الانس لاستوحشت منه

(ابو فراس) بمن يثق الانسان فيما ينوبه * ومن أين للحر الكريم صحاب

﴿ومما﴾ اخترت من كلام الحكماء الاجلاء فى التحذير من اتخاذ الاصدقاء والاخلاء (قال بعض الزهاد) لو أن الدنيا ملئت سباعا ماخفتها ولو بقى واحد من الناس لخفته (وقالوا) استعذ من شرار الناس وكن من خيارهم على حذر (وقال آخر) ما بقى فى الناس الاحمار رامح أو كلب نابح أو أخ فاضح (وقال) أبو الدرداء كان الناس ورقا لاشوك فيه فصاروا شوكا لاورق فيه (وقال سلمان) الناس أربعة أصناف آساد وذئاب وثعالب وضأن فالآساد الملوك والذئاب التجار والثعالب القراء المخادعون والضأن المؤمن ينهشه كل من يراه

(شاعر) الناس أخلاقهم شتى وان جبلوا * على تشابه أفراد وأزواج

(وقال) بعض الحكماء احذروا الناس فاركبوا سنام بعير الا ادبروه ولاظهر جواد الا عقروه ولا قلب مؤمن الا أخربوه (وقال) خالد بن صفوان الناس أخياف فمنهم كالكلب لاتراه الدهر الاهرار اعلى الناس ومنهم كالقرد يضحك من نفسه (وقال) عبد الحميد الكاتب الناس أخياف مختلفون وأطوار متباينون فمنهم من علق مظنة لاتباع ومنهم من غل مظنة لا تبتاع (وقال) جعفر الصادق لبعض اخوانه اقلل من معرفة الناس وأنكر من عرفت منهم وان كان لك مائة صديق فاطرح منهم تسعة وتسعين وكن من الواحد على حذر (وقال) بعض البلغاء بلوت الناس طرا فلم أجد الا من يرى الحق باطلا والباطل حقا واللئيم مرفوعا والكريم ملقى والنصح غشا والغش نصحا والمدح هجاء والهجاء مدحا (العتابى فى مثل ذلك)

تساوى أهل دهرك فى المساوى * فما يستحسنون سوى القبيح
وصار الناس كلهم غثاء * فما يرجون للامر النجيح
وأضحى الجود عندهم جنونا * فما يستعقلون سوى الشحيح
وكانوا يغضبون من الاهاجى * فصاروا يغضبون من المديح

(وقال حكيم) مصاحبة الناس خطر فمن صبر على صحبتهم فقد بالغ فى العذر اغماهو كراكب بحر ان سلم بدنه من الغرق لم يسلم قلبه من الفرق (شاعر)

تجنب قرين السوء واصرم حباله * وان لم تجد عنه محيصا فداره

والاطلة تذكر الله (قالت الحكماء) العلم كثير والعمر قصير فاطلب منه ما دعاك الى خير وحملك على بر (وقالوا) اقصد من أصناف العلم ماهو أشهى الى نفسك وأخف على قلبك فان نفاذك فيه على حسب شهوتك له وسهولته عليك (وقالوا) الماء ألين من القول والحجر أشد من القلب والماء اذا كثر انحداره عليه لم يلبث أن يؤثر فيه

﴿فصل﴾ وماذكرناقبل فهى من أصناف العلوم التى هى من حيز الدين ونتائج العقول وأما العلوم المكتسبة التى هى من محاسن الافعال وتلبس أصحابها ثوب الجمال وهى أيضا مستحسنة فى الدنيا والدين فكالرمى والسباحة والفروسية والثقافة والعلم فى المحاربة (فأما الرمى) فالتشاغل من التجارات المربحة المنجحة (من المنقول) فى تأليفنا تحفة الانفس اعلم ان الترغيب فى الرماية روى عن عقبة بن عامر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على المنبر يقول وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ألا ان القوة الرمى ألا ان القوة الرمى وكان عليه السلام يحبه أن يكون الرجل راميا فارسا سابحا (وقال) عليه السلام علموا أبناءكم الرمى فانه نكاية العدو وقال عليه السلام لقوم من الانصار رآهم يرمون ارموا يابنى اسمعيل فقد كان أبوكم راميا وقال عليه السلام من رمى بسهم فى سبيل الله مخطئا أو مصيبا كان له من الاجر كرقبة أعتقها من ولد اسمعيل وقال عليه السلام ان الله تعالى ليدخل

ومن يطلب المعروف في غير أهله * تجده وراء البحر أوفى قراره

(وصف) بعض البلغاء أهل زمانه فقال أحظى الناس لديهم من أحسن اليهم فان قصر عنهم رفضوه وأبغضوه ووتروه ولم يعذروه ان حضروا داهنوا وان غابوا شاحنوا ينطوون على الاحن ولا يرثون للممتحن غنيهم شحيح وفقيرهم مجيح ان رأوا خيرا دفنوه وان ظنوا شرا أعلنوه الواثق منهم على غرر والمتمسك بهم على خطر هم بين طاعن ثالب ومتقول كاذب وحسود موارب ان اختبرتهم تكشفوا وان اعتبرتهم تزيفوا وأنشد

ان يسمعوا الخير يخفوه وان سمعوا * شرا أذيع وان لم يسمعوا كذبوا

(ولقد أحسن في التحذير من قال)

اياك أن تصطفي ممن ترى أحدا * ولا تثق بامرئ في حالة أبدا
من عاش منفردا لم يأت بندم * على اتخاذ صديق في الانام غدا

(ومما) يكون مماثلا لهذا القول ومعادلا التحذير من صحبة السلطان وان كان عادلا (قال الاعمش) صحبة السلطان خطر ان أطعته خاطرت بدينك وان أعصيته خاطرت بنفسك والسلامة منه أن لا تعرفه (وقال) ابن مسعود ان الرجل ليدخل الى ذي سلطان ومعه دينه ويخرج وليس معه منه شيء (وقال) عبد الله بن عمر ما ازداد رجل من ذي سلطان قربا الا ازداد من الله بعدا (وقال) الفضيل بن عياض كنا نتعلم اجتناب السلطان كما نتعلم السورة من القرآن * وقال أيضا لان يدنو الرجل الى حتفه ومنيته خير له من أن يدنو الى ذي سلطان * وقال أيضا ما أقبح بالعالم أن يقال أين هو فيقال هو في بيت الامير وكتب أبو بكر بن عياش الى عبد الله بن المبارك ان كان الفضيل بن موسى لا يجالس السلطان فأقرئه مني السلام (أبو الفتح البستي)

يا من يرى خدمة السلطان عدته * ما أرش ذلك الا الذل والندم
فجسمه تعب والنفس خائفة * وعرضه غرض والدين منثلم
هذا اذا أشرقت أيام دولته * نعوذ بالله ان زلت به القدم

(وقال) زياد بن أبي سفيان يوما لجلسائه من أنعم الناس عيشا قالوا أمير المؤمنين يعني معاوية قال فكيف بثغوره وأموره ان لأعواد المنبر لهيبة ولقرع لجام البريد لروعة قال فمن قالوا فأنت قال فكيف بجنودي وخراجي ومداراة الناس قالوا فمن اذا قال رجل له دار يسكنها وزوجة صالحة يأوي اليها وخادم وكفاف من العيش لا يعرفنا ولا نعرفه فانه ان عرفنا وعرفناه أفسدنا آخرته ودنياه (شاعر)

وصاحب السلطان في محنة * في آجل الامر وفي حينه
ان ساءه خاف على نفسه * أو سره خاف على دينه

(آخر)

ان الملوك بلاء حيثما حلوا * فلا يكن لك في أكنافهم ظل
ماذا تريد بقوم ان هم غضبوا * جاروا عليك وان أرضيتهم ملوا
فان أتيتهم تبغي نوالهم * رجعت منقبضا من دينك الكل
فاستغن بالله عن أبوابهم كرما * ان الوقوف على أبوابهم ذل

(الفصل الثاني من الباب السادس عشر)
فيما يحض على الاعتزال من ذميم الخلائق والخلال

فأهم ما نبدأ به منها ولا يمكننا الاعراض عنها ترفع من سوغته الاقدار منصبا أو مالا على صديق ما برح في وده يتغالى (قال بعضهم)

تغير

بالسهم الواحد ثلاثة نفر الجنة صانعه يحتسب في صنعه الخير والرامي له والممد به (وعن علي ابن أبي طالب رضي الله عنه) أنه قال ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم فدى أحدا غير سعد بن أبي وقاص فانه قال له يوم أحد ارم فداك أبي وأمي وفي ذلك اليوم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لسعد ولابي طلحة وقتادة وغيرهم من الرماة اثبتوا فلن يزال النصر معنا ما ثبتم وكان عدد الرماة في ذلك اليوم خمسة عشر راميا (و) الاحاديث في هذا المعنى أكثر من أن تحصى (ولله) در الشاعر اذ يقول

فمن شاء أن يسلك سبل العناية
ويحصل من عزها في نهاية
ويحظى بكل ثواب جزيل
فلا يتعد طريق الرماية
فان بها في الدنيا رفعة
ونصر الدين نبي الهداية

وقد فضل الله تعالى القوس على جميع الاسلحة (عن) رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال ما مد الناس أيديهم الى شيء من السلاح الا وللقوس عليه فضيلة (وقال) عليه السلام من اتخذ في بيته قوسا نفى الله عنه الفقر ما دامت في بيته وكان صلى الله عليه وسلم يخطب عند الحرب وهو متكئ على قوسه وقال عليه السلام منتهى المؤمن القوس والنبل والقسي جنسان قوس اليد وهي العربية وتنقسم على أنواع وقوس الرجل وهي الافرنجية وتنقسم كذلك على أربعة أنواع فالقوس العربية أنسب للفارس لانها أسرع وأقل مؤنة والقوس الافرنجية أنسب للرجال لانها أبلغ وأكثر معونة

تغير عنى حين ولومنصبا * وعهدى به من قبل ذاوهو صاحب
وماهو فى الدنيا بأول صاحب * وأول رجل غيرته المناصب
(آخر) ان الولاية معيار العقول بها * يبين من فيه نقص أو به عور
فكم أصمت سميعا كان ذا أذن * قبل التولى وأعمت من له بصر
(ويروى) عن محمد بن ادريس الشافعى أنه قال أظلم الناس لنفسه اللئيم فانه اذا ارتفع جفا أقاربه وأنكر معارفه واستخف بالاشراف وتكبر على ذوى الفضل (شاعر)
ليس الكريم الذى ان نال منزلة * فضلا وطولا على اخوانه تاها
الحر يزداد للاخوان مكرمة * ان نال حظا من السلطان أوجاها
(أبو بكر الخوارزمى)
كفى حزنا أن لاصديق ولاأخ * يفيد غنى الا يداخله كبر
فلا نال فوق القوت مثقال ذرة * صديق ولا أوفى على عسره يسر
وماذاك الا رغبة فى وصاله * والا حذارا أن يلم به العذر
(ولبعضهم يعاتب صديقا له ولى حين ولى)
ولما صرفتك يد الليالى * وحكمك الزمان على بنيه
عدلت عن الوداد وكنت قدما * لدينا تبتغيه وترتضيه
(آخر) دعوت الله أن تعلو محلا * علو البدر فى أفق السماء
فلما أن علوت علوت عنى * فكان اذا على نفسى دعائى
(آخر) ان الولاية غيرت أصحابنا * فلووا وجوههم عنا وتبدلوا
فاصبر على جور الليالى منهم * واترك عناءهم الى أن يعزلوا
(آخر) قل لعبيد الله ذاك الذى * قد غير السلطان أطباعه
ابتاع ودى وهو ذو عسرة * حتى اذا نال الغنى باعه
(آخر) ورب ذى ثقة قد كان لى سكنا * وكنت منه مكان العين فى الرأس
ولى وأعرض عنى اذا أفادغنى * وخانه سوء بنيان وآساس
حتى اذا ما اقتضى من ماله وطرا * فيما أحب من اللذات والكاس
غدا الى وجه صاحب طلق * وعاد فى وده من بعد افلاس
(آخر) تاه علينا وزاد اطراقه * وخاننا عهده وميثاقه
وكل من نال فوق رتبته * تغيرت للصديق أخلاقه
(وقال) عبد الصمد بن بابك يشكو صديقا مال حين اكتسب المال وحال عند ماصلح منه الحال
أشكوا ليك زمانا ظل يعركنى * عرك الاديم ومن يعدى من الزمن
وصاحبا لست مغبوطا بصحبته * دهرا فغادرنى فردا بلا سكن
هبت له ريح اقبال فطاربها * نحو السرور وألجانى الى الحزن
نأى بجانبه عنى وصيرنى * مع الاسى ودواعى البين فى قرن
وباع صفو وداد كنت أقصره * عليه مجتهدا فى السر والعلن
وكان غالى به حينا فأرخصه * يا من رأى صفو ود بيع بالثمن
فليس فى الارض مغبون بصفقته * ان لم يكن ذاك منسوبا الى الغبن
كأنه كان مطويا على احن * ولم يكن من عيون الشعر أنشدنى
ان الكرام اذا ما أسهلوا ذكروا * من كان يألفهم فى المنزل الخشن

ولاسيما فى الحصار وألموا كثيبة الحرب ونحو ذلك وهى خاصة بأهل الاندلس بها يصيدون وعنها يرمون وفيها يتنافسون وعليها يعتمدون فرسانا ورجالا (وأما السباحة) فهى من الخصال المحمودة (نقل) الامام أبو نعيم بسنده الى أبى رافع قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حق الولد على الوالد أن يعلمه كتاب الله والسباحة والرمى (وقال) رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم لهو المؤمن الرمى والعيام ومن تركهما كانت نعمة جحدها (وقال) عليه السلام كل شئ من لهو الدنيا باطل الاملاعبة الرجل أهله وتأديبه فرسه ورميه عن قوسه وتعلمه السباحة (قال) بعض الحكماء من تمام مايجب للابناء على الاباء تعليمهم الكتابة والحساب والسباحة (وقال) الحجاج بن يوسف لمعلم ولده علم ولدى السباحة قبل تعليم الكتابة فانهم يجدون من يكتب عنهم ولايجدون من يسبح عنهم (وأما الفروسية) فهى من أفضل الاعمال وأشرفها (ومن) المنقول فى تأليفنا تحفة الانفس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من خير معاش الناس لهم رجل يمسك عنان فرسه فى سبيل الله كلما سمع هيعة أو فزعة طار على متنه يبتغى الموت مظانه (قال) عليه السلام طوبى لعبد آخذ بعنان فرسه فى سبيل الله أشعث رأسه مغبرة قدماه ان كان فى الحراسة كان فى الحراسة وان كان فى الساقة كان فى الساقة ان استأذن لم يؤذن له وان شفع لم يشفع وقال عليه السلام ارموا واركبوا وعرضت عليه صلى الله عليه وسلم

(وقال آخر) يعاتب صديقاله تغير عليه عندما نظر الزمان بعين المقت اليه

وكنت أخي أيام عودك يابس * فلما اكتسى واخضر صرت مع النسر
لعمرك لوذوقتني ثمر الغني * أذقتك ما يرضيك من ثمر الشكر
فلو نلت ما يغني بك اليوم أوغدا * أنلتك ما يبقى الى آخر الدهر
ألم تر أن الفقر يرجى له الغني * وأن الغني يخشى عليه من الكفر

(آخر)
ألم تر أن ثقات الرجال * اذا الدهر ساعدهم ساعدوا
وان خانه دهره أسلموه * فلم يبق منهم له واحد
ولو علم الناس أن المريض * يموت لما عاده عائد

(آخر)
كم من صديق لنا أيام دولتنا * قد كان يمدحنا فصار يهجونا
لم ندر اذ ما انقضت عنا امارتنا * من كان ينصح ممن كان يغوينا
ما ان يلاطفنا من كان يصحبنا * الا ليخدع عنا عما بايدينا

(آخر)
صديقك حين تستغني كثير * ومالك عند فقرك من صديق
فلا تغضب على أحد اذا ما * طوى عنك المودة عند ضيق

(آخر)
أرى قوما وجوههم حسان * اذا كانت حوائجهم الينا
وان كانت حوائجنا اليهم * تغير حسن وجههم علينا
ومنهم من يمنع ما لديه * ويغضب حين نمنع ما لدينا
فان يك فعلهم سمجا وفعلي * قبيحا مثله فقد استوينا

(ومما) يدل على صغر الهمة والنفس التلون على الصديق المصاحب بالامس (قال) بعضهم لان أبتلي بالف جوج لجوج أحب الى من أن أبتلي بمتلون (وقال آخر) اذا كان لك صديق فلا تتمن له رفعة فبقدر ارتفاعه يكون انحطاطك من عينه * ولا تلتفت الى قول حبيب بن أوس الطائي

ان الكرام اذا ما أسهلوا ذكروا * من كان يألفهم في المنزل الخشن

فليس كما قال فانه بالرتبة يشمخ أنفه بعد الخسة والضعة ويفرد صديقه بالبؤس وان كان من قبل شريكه وقسيمه في الدعة ويقابل اقباله في الزيارة بالملالة ويعد معرفته له عثرة لا يرجى لها اقالة فان وقف ببابه حجبه وان دخل في غمار الناس ازدراه ومن تبرم به أعجبه وخذلها قال الفقيه منصور بن اسمعيل المقرى

اذا ما رأيت امرأ في حال عسرته * بادى الصداقة ما في وده دغل
فلا تمن له حالا يسر بها * فانه بانتقال الحال ينتقل

وكان منصورا ألم بقول بعض البلغاء لا تطلبن لاخيك رتبة هي أرفع من رتبته التي هو مساو لك فيها فانه ينتقل عنك في أحوال ثلاثة يكون صديقك عند حاجته اليك ومعرفتك عند استغنائه عنك وعدوك حال احتياجك اليه (وقال) بعض الاعراب يذكر صديقا تلون عليه صفرت عياب الود بيني وبينه بعد امتلائها واكفهرت سوالف وجوه المسرات وكانت نضرة بمائها فأدبر ما كان بيني وبينه مقبلا وأقبل ما كان مدبرا وصارت مودته متنقلة كتنقل الافياء واخوته متلونة كتلون الحرباء (وقال بعضهم) المتلون ان ودك لشئ ملك عند انقضائه (ويقال) اياك ومن مودته على قدر حاجته اليك فعند ذهاب الحاجة ذهاب المودة (وقال) بعض الاعراب لولده يابني لا تصحب من اذا أيس من خيرك مال الى غيرك (وقالوا) اذا انقطع من صديقك رجاؤك فألحقه بعدوك (وما أحسن قول بعضهم)

اذا

الخيل وعنده عيينة بن حصن الفزاري فقال عليه السلام لعيينة أنا أفرس بالخيل منك وقال عليه السلام لو أن هذه الامة انتهت عندما أمرت لا كانوا غير زارعين لان الله تعالى جعل أرزاقها في سنابك خيلها وأسنة رماحها وقال عليه السلام جعل رزقي تحت ظل رمحي وجعل الصغار والذلة على من خالف أمري (وكتب) عمر بن الخطاب رضي الله عنه الى أهل حمص علموا أولادكم السباحة والرماية والفروسية واخشوشنوا وانزوا على الخيل نزوا (ويروى) عنه أنه قال لن تزالوا أصحاء ما نزعتم ونزوتم يعني نزعتم بالقسي ونزوتم على ظهور الخيل (وقال) أسلم مولاه رأيت عمر رضي الله عنه يمسك باذن نفسه ثم يمسك باذن فرسه فينزو عليه وكان يقال قديما العز في صدور الصفوف وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الجنة تحت ظلال السيوف والفروسية أفضل مدارجها وأكرم معارجها وارتباط الجياد أعز اعتدادا وأقوى لك استنجادا فيها تشن الغارات وتدرك الثارات فيجب على الفارس أن يشمر عن ساق الجد والعزم ويكشف عن ساق الحذر والحزم فيأخذ نفسه في كل حين بالاستعداد والتأهب للجهاد وينظر قول من عرف الحرب وباشر فيها الطعن والضرب فقال

وأعددت للحرب أوزارها
رماحا طوالا وخيلا ذكورا

قال بعض السلف غزا المسلمون أرض الروم فمر فارس منهم الى جانب صومعة راهب فقال الراهب ياصاحب الفرس أمن المتطوعة أنت أم من أهل الديوان فقال بل

اذا تاه الصديق عليك كبرا * فته زهدا على ذاك الصديق
وان سلك الغرام به طريقا * فخذ عرضا سوى ذاك الطريق
فايجاب الحقوق لغير راع * حقوقك رأس تضييع الحقوق

(ولبشار بن برد)

اذا كان ذواقا أخوك من الهوى * موجهة فى كل أوب ركائبه
فخل له وجه الفراق ولا تكن * مطية رحال كثير مذاهبه

(الكميت بن زيد) ولقد أحسن فى الانفة اذا عطس بأنف شامخ وأبان عن أنف فى الكرم راسخ من أبيات يفتخر

وما أنا بالنكس الدنى ولا الذى * اذا صد عنه ذو المروأة يقرب
ولكنه ان دام دمت وان يكن * له مذهب عنى فلى عنه مذهب
ألا ان خير الود ود تطوعت * به النفس لا ود أتى وهو متعب

(وقيل) لبعض الولاة كم لك من صديق فقال أما فى حال الولاية فكثير ثم أنشد

الناس اخوان من دامت له نعم * والويل للحران زلت به القدم

(آخر) تلونت حتى لست أدرى من العمى * أريح جنوب أنت أم ريح عاصف
قريب بعيد جاهل متبصر * سخى بخيل مستقيم مخالف
صدوق كذوب لست أدرى خليله * أيحفوه من تلونه أم يلاطف
ولست بذى غش ولست بناصح * وانى من مجنى لشأنك واقف
كذاك لسانى شاتم لك مادح * كأن قلبى جاهل بك عارف

(كتب بعضهم) الى صديق له تلون عليه أما بعد فقد عافنى الشك فى أمرك عن عزيمة الامر فيك لانك بدأتنى بلطف من غير جراءة ثم أعقبتنى جفاء من غير جريمة فأطمعنى أولك فى اخائك وآيسنى آخرك من وفائك فسبحان من لو شاء لكشف بايضاح الرأى فى أمرك عن ظلمة الشك فيك فأقمنا على ائتلاف وافترقنا على اختلاف والسلام (وكتب آخر)

قل للذى لست أدرى من تلونه * أناصح أم على غش يداجينى
انى لاكثر مما شمته عجبا * يد تشج وأخرى منك تولينى

(ولما) نكب على بن عيسى الوزير لم ينظر ببابه أحدا من أصحابه وآله واخوانه الذين كانوا ملازمين له فى حال تصرفه واشتغاله فلما ردت اليه الوزارة اجتمعوا اليه وعطفوا عليه وجعل كل منهم يأخذ فى السبق للقياه والنظر الى محياه فحين رآهم كذلك أنشد

ما الناس الا مع الدنيا وصاحبها * فكيف ما انقلبت يوما به انقلبوا
يعظمون أخا الدنيا فان وثبت * عليه يوما بما لا يشتهى وثبوا
لا يحلبون لحى در لقحته * حتى يكون لهم شطر الذى حلبوا

* عادى الزمان بعض الوزراء فنظر بعين المقت اليه وقبض عنه المسار بيد القبض عليه ثم عاد فألبسه من الاقبال حللا أجر أذيالها وصرف لخدمته بأزمة الانقياد خمله أعباء المنن وأثقالها فقال يعاتب من انقطع عنه فى حال خموله ويشعره بأن نجم سعده طلع بعد أفوله

عادانى الدهر بعض شهر * فأعرض الناس ثم بانوا
يا أيها المعرضون عنى * عودوا فقد عاود الزمان

﴿ومن ذميم فعلات الاخوان المنوان اغتياب من غاب من الاخوان﴾

(قال الله تعالى) ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه *

من المتطوعة قال له ومالك والديوان فانا نجدهم فى بعض كتبنا انهم عدة الله فى الارض (عن ابن عباس رضى الله عنه) ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان مثل الذين يغزون من أمتى ويأخذون الجعل وينفقونه على عدوهم كمثل أم موسى ترضع ولدها وتأخذ أجرها (قال ابن محيريز) أصحاب العطاء أفضل من المتطوعة لما يروعون (وقال مكحول) روعات البعوث تنفى روعات يوم القيامة (قال الطرطوشى) أعلم ان الجند هم عدد الملك وحصونه ومعاقله وأوتاده وهم حماة البيضة والذابون عن الحوزة والدافعون عن العورة وهم جنن الثغور وحراس الارض والعدة للحوادث وامداد المسلمين والجهد الذى يلقى العدو والشوكة عليه والسهم الذى يرمى به والسلاح المدفوع فى نحره وبهم يذب عن الحريم ويؤمن السبيل

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله حرم من المسلم دينه وعرضه وأن يظن به السـ
(وقالوا) الاخ الصادق من أهدى الى أخيه عيبه وحفظه له غيبه * وقالوا الغيبة جهد
العاجز * وقالوا اياك وصحبة من اذا حضر أثنى ومدح واذا غاب عاب وقدح (وقالوا) الشـ
اذا غاب عاب واذا حضر اغتاب (وقالوا) الريبة عار والغيبة نار (ويقال) من عف عن الريـ
كف عن الغيبة (وقال العتابى) شر الاخوان من اذا وجد مادحا مدح وان وجد قادحا قد
وان استودع سرا فضح * الشريف الرضى

اذا أنت فتشت القلوب وجدتها * قلوب أعاد فى جسوم أصادق

(ابن المعتز)

بلوت أخلاء هذا الزمان * وأقللت بالهجر منهم نصيبي
وكلهم ان تصفحتهم * صديق العيان عدو المغيب

(وقال) من أكل خبزه بلحوم الناس لم يصن نفسه من الادناس * ومر عمرو بن العاص
على جيفة ملقاة فقال لاصحابه والله لان يأكل أحدكم من هذه حتى يمر يه خيرله من أن يأكل
لحم أخيه (وكان) أبو الطيب الطاهرى يهجو بنى ساسان فقال له نصر بن أحمد الى متى تأكل
خبزك بلحوم الناس فخجل ولم يعد (وقيل) أوحى الله الى موسى عليه السلام من مات مصر
على الغيبة فهو أول من يدخل النار ومن مات تائبا منها فهو آخر من يدخل الجنة (وقال)
على بن الحسين لرجل اياك والغيبة فانها ادام كلاب الناس (اغتاب) رجل رجلا عند
ابن قتيبة فقال له مه فلقد تلمظت بمضغة طالما عافتها الكرام * ويحكى عنه أنه ذكر عند
رجل فتكلم فيه بعض أهل المجلس فقال له مسلم قد أوحشتنا من نفسك ومودتك ودللتنا
على عورتك * وما أشد نصح من قال لا يكن لسانك رطبا بعيوب أصدقائك بزيدهم فى
أعدائك (أضاف) ابراهيم ابن أدهم أناسا فلما قعدوا للطعام أخذوا فى الغيبة فقال لهم
ابراهيم ان من قبلنا كانوا يأكلون الخبز قبل اللحم وأنتم أكلتم اللحم قبل الخبز (أبو تمام)

قبح الله صاحبا قطف الصحـ * ـبة حرب المغيب سلم التلاقى

(الصاحب بن عباد)

احذر الغيبة فهى الـ * ـفسق لا رخصة فيه
انما المغتاب كالآ * كل من لحم أخيه

(الوزير المغربى)

أى شئ يكون أقبح مرأى * من صديق يكون ذا وجهين
من ورائى يكون مثل عدوى * واذا يلقنى يقبل عينى

(ابن المعتز)

أخ لى يعطينى الرضا فى حضوره * ويمنعنى بعض الرضا وهو نائى
اذا ما التقينا سرنى منه ظاهر * وان غاب عنى ساءنى منه باطن
على غير ذنب غير أن مساويا * له علمتنى كيف تأتى المحاسن

(ولبعضهم يهجو)

صديقك لا يثنى عليك بطائل * فماذا به عنك العدو يقول
وحسبك من لؤم وخبث طوية * بأنك عن عيب الصديق سؤل

(آخر) يضاحكنى فوه اذا ما لقيته * ويرشقنى ان غبت عنه بأسهم
وكم من صديق وده فى لسانه * وفى قلبه ان غبت صاب وعلقم

(آخر) لى صاحب جعل المساوى دأبه * تصوير معناها وصيغة لفظها

فكأنه

وتسد الثغور قال أبو ذر الحشنى
بقاء الدين والدنيا جميعا
بكل مقاتل ثبت الجنان
اذا شهدوا الحروب رأيت أسدا
تهش كرامة نحو الطعان
هم بيض وفى الايمان بيض
فما تدرى من السيف اليمانى
(وأما الثقافة) والعلم فى المحاربة
فمن الواجب المؤكد تعلمها
(من المنقول) فى تأليفنا تحفة
الانفس اعلم ان الحرب معالمها
الصبر وقطبها المكر ومدارها
الاجتهاد وثقافها الاناءة وزمامها
الحذر ولكل شئ من هذه ثمرة
فثمرة الصبر التأييد وثمرة المكر
الظفر وثمرة الاجتهاد التوفيق
وثمرة الاناءة اليمن وثمرة الحذر
السلامة (وقالوا) جسم الحرب
الشجاعة وقلبها التدبير وعينها
الحذر وجناحها الطاعة ولسانها
المكيدة وقائدها الرفق وسائقها
النصر فاذا قاتلت فلا تبذل مهجتك
وقوتك من أول وهلة لئلا يأتى

فكانه ملك الشمال موكل * أبدا بكتب السيآت وحفظها

(آخر) وما صاحبي عند الرخاء بصاحب * اذا لم يكن عند الامور الصعائب

اذا ما رأى وجهي فأهلا ومرحبا * ويرمي ورائي بالسهام القواضب

(آخر) اذا انتقد الناس الكرام رأيتهم * يطنوا طنين الزيف في كف ناقد

(كثير عزة)

أنت في معشر اذا غبت عنهم * بدلوا كل ما يزينك شينا

واذا ما رأوك قالوا جميعا * أنت من أكرم الرجال علينا

(ولله در من قال)

شر السباع الضواري كونه وزرا * والناس شرهم ما دونه وزر

كم معشر سلموا لم يؤذهم سبع * وما ترى بشرا لم يؤذه بشر

﴿ومما يرغب الوحيد في انفراده حسد أهل الصفوة من وداده﴾

الحسد داء دوى وخلق ردى يدل على فساد الدين وقلة اليقين وما زال صاحبه حليف هموم وأليف غموم وظالما في زى مظلوم وأى خير عند من جبلت على الحقد طباعه وحنيت على الغل أضلاعه وأمر بالاستعاذة بالله من شره وحض على الاحتراس من ضره (قيل) لعبد الله بن عبدة كيف لزمت البدو وتركت قومك قال وهل بقى في الناس الامن اذا رأى نعمة بهت واذا رأى عثرة شمت ثم أنشد

عين الحسود اليك الدهر ناظرة * تبدى المساوى والاحسان تخفيه

يلقاك بالبشر يبديه مكاشرة * والقلب ملتثم فيه الذى فيه

(وقال معاوية بن أبي سفيان) كل الناس قادر أن أرضيه الا الحاسد نعمة لا يرضيه الا زوالها * وقالوا الحسد داء يفعل في الحاسد أكثر من فعله في المحسود * نظم هذه الكلمات محمود الوراق فقال

أعطيت كل الناس مني الرضا * الا الحسود فانه أعياني

لا أن لى ذنبا اليه علمته * الا تظاهر نعمة الرحمن

يطوى على حسد حشاه لان يرى * من حال مالى أو لفضل بيانى

ما ان أرى يرضيه الا ذلتى * وذهاب أموالى وقطع لسانى

﴿ونظمه آخر فقال﴾

قل للذى بات محسودا على نعم * دع الحسود فقد قطعته قطعا

لو كنت تملك ما يزيد منك لما * صنعت معه كعشار الذى صنعا

(وقال) بعض البلغاء الحسد شؤم واعتباره لؤم يقصى الاشباح ويضنى الارواح ويورث الارق ويحدث القلق ويكدر غدران رفاهية العيش ويشعل نيران السفاهة والطيش وان الحسود مجروح في جلده متألم مظلوم في برده ظالم معارض لله في مشيئته معترض عليه في قضيته يعيش محروما ويبيت مغموما مدفوع في الدنيا الى الكرب والتلف وممنوع في العقبى من القربى والزلف لا تعمل شعلة القابس في الحطب اليابس ما يعمله الحسد بحسد صاحبه وبدن راكبه يشرب دمه ويأكل لحمه ويمشمش عظمه ويجعله معرضا للكروب ومبغضا الى القلوب فجدير بالانسان أن يفر من الحسد فوق فراره من الاسد (وقالوا) أسد تؤاتيك خير من حسود يراقبك (وقال) بعض السلف اذا أراد الله أن يسلط على عبده من لا يرحمه سلط عليه حاسدا يحسده (وقال اردشير) كل خلة رديئة فهي دون الحسد لان الحاسد يسعى بمن أحسن اليه ويتمنى الغوائل لمن

معظمها فتعجز وتنكل ولا تنشب في حرب وان وثقت بشدتك حتى تعرف وجه التخلص منها فمن استضعف عدوه فقد اغتر ومن اغتر بقوته فقد وهن والحازم يحذر عدوه على كل حال المواثبة ان قرب والغارة ان بعد والكمين ان انكشف والاستطراد ان ولى (وقد) قالوا التسكن أشد ما تكون من عدوك حذرا ما كنت عند نفسك أكثر قوة وعددا فليس من القوة التورط في الهوة (قال هدبة العذرى)

ولا أتمنى الشر والشر تاركى
ولكن متى أحمل على الشر أركب
ولست بمفراح اذا الدهر سرنى
ولا جازع من صرفه المتقلب

وقد جمع الله سبحانه تدبير الحرب كلها في آيتين من كتابه العزيز فقال يا أيها الذين آمنوا اذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا

أنعم عليه * أبو الطيب المتنبي

يريد بك الحساد ما الله دافع * وسمر العوالي والحديد المدرب

(وله) وأظلم خلق الله من كان حاسدا * لمن بات في نعمائه يتقلب

(وله) سوى وجع الحساد داوفانه * اذا حل في قلب فليس يحول

فلا تطمعن من حاسد في مودة * وان كنت تبديها اليه وتجمل

(وقال ابن المعتز) الحاسد مغتاظ على من لاذنب له و يبخل بما لا يملكه و يطلب ما لا يجده (وقال حكيم) الحسد يبدي نقص الحاسد و يدل على كمال المحسود * وما أحسن قول المعافى ابن زكريا النهرواني

الا قل لمن كان لي حاسدا * أتدري على من أسأت الادب

أسأت على الله في فعله * لانك لم ترض لي ما وهب

فجازاك عنه بأن زادني * وسد عليك وجوه الطلب

(أبو فراس) لمن جاهد الحساد أجر المجاهد * وأعجز ما حاولت ارضاء حاسد

ولم أر مثل اليوم أكثر حاسدا * كأن قلوب الناس لي قلب واحد

(وقالوا) لا تندمل من المحسود جراحه حتى ينقص من المحسود جناحه (وقالوا) حسب المحسود ما يلقى من صغر الهمة في حزنه لسرور صاحب النعمة (وقالوا) من عادات الاغبياء معاداة الاغنياء (وقال) عبد الله بن مسعود لا تعادوا نعم الله قيل له ومن يعادي نعم الله قال الذين يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله يقول الله تعالى في بعض الكتب المنزلة الحسود عدو نعمتي ومتسخط لقضائي غير راض بنعمتي * ولم أسمع بأحسن من حمزة ابن بيض في قوله وقد مر بواد مملوء ابلا وشاء وزرعا ورعاء

الزارعون وليس لي زرع بها * والحالبون وليس لي ما أحلب

فلعل ذاك الزرع يؤذي أهله * ولعل ذاك الشاء يوما تجرب

ولعل طاعونا يصيب علوجها * ويصيب ساكنها الزمان فتخرب

قال المرزباني صاحب الانفاق فلم يكن الا أيام قلائل حتى أصابهم جميع ما تمنى لهم (وأظرف من هذا) ما حكي أن ثلاثة من الحساد اجتمعوا فقال أحدهم لاحد صاحبيه ما بلغ من حسدك قال ما اشتهيت ان أفعل بأحد خيرا قط لئلا أرى أثر ذلك عليه فقال له أنت رجل صالح لكني ما اشتهيت أن يفعل بأحد خير قط لئلا تسير الاصابع بالشكر اليه فقال الثالث ما في الارض خير منكما لكني ما اشتهيت أن يفعل بي أحد خيرا قط قالا ولم قال لاني أحسد نفسي على ذلك فقالا لا له أنت الأمنا حسدا وأكثرنا حسدا (وقالوا) الحسود عدو مهين لا يدرك وتره الا بالتمني * شاعر

اياك والحسد الذي هو آفة * فتوقه وتوق غرة من حسد

ان المحسود وان أراك مودة * بالقول فهو لك العدو المجتهد

(وقال علي رضي الله عنه) لله در الحسد ما أعدله بدأ بصاحبه فقتله (وقيل) للعتابي في مرض أصابه ما تشتهي قال أكباد الحساد وأعين الرقباء وألسن الوشاة (وقال) بعضهم لولده اياك والحسد فانه يبين عليك ولا يبين على عدوك (وكان) يقال الحريص محروم والبخيل مذموم والحاسد مغموم (ذم أبو بكر الخوارزمي حاسدا فقال) وأما فلان فمعجون من طينة الحسد والمنافسة ومضروب في قالب الضيق والمناقشة يحمي من رزق الله مباحا ويحرم ما ليس فيه جناحا ويتحجر من رحمته جاوا سعا ويغار على البحر ممن يسبح فيه وعلى البدر ممن يستضيء به وعلى الشمس ممن طلعت عليه وعلى نسيم الهواء ممن وصل اليه

وتذهب ريحكم واصبروا ان الله مع الصابرين وقال تعالى وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة فقوله عز وجل ما استطعتم مشتمل على ما في مقدور البشر من العدة والآلة والحيلة وفسر النبي صلى الله عليه وسلم القوة بالرمي وقد تقدم ذلك عن أسامة بن زيد الليثي قال كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا غزا أخذ طريقا وهو يريد أخرى ويقول الحرب خدعة (وكان) المهلب يقول لبنيه عليكم في الحرب بالمكيدة فانها أبلغ من النجدة وفسر بعضهم النجدة فقال النجدة هي الجرءة على الاقدام عند ازورار الاقدام (وعن الحسن بن السائب) قال لما كانت ليلة العقبة أو ليلة بدر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن معه كيف تقاتلون فقام عاصم ابن ثابت بن أبي الاقلح فأخذ القوس وأخذ النبل فقال أي رسول الله اذا كان القوم قريبا

لو ملكت السماء لنهاها عن الامطار ولو أطاعته الارض لمنعها من تغذية النبات والاشجار ولو بعثرت له الاشجار لحال بينها وبين الاثمار كأن كل رغيف يعطى من قوته وقوت عياله وكان كل درهم ينفق من ماله ومال أطفاله على انه يبخل على نفسه بالهواء ويحاسب أعضاءه على الغداء والعشاء * وقال شاعر

لامات حسادك بل خلدوا * حتى يروا منك الذى يكمد
ولا خلاك الدهر من حاسد * فان خير الناس من يحسد

(أبو تمام) ان يحسدونى فانى لا ألومهم * قبلى من الناس أهل الفضل قد حسدوا
فدام لى ولهم مابى ومابهم * ومات أطولنا غما بما يجد

(وله) واذا أراد الله نشر فضيلة * طويت أتاح لها لسان حسود
لولا اشتعال النار فيما جاورت * ما كان يعرف طيب عرف العود

(والمشهور) حسدوا الفتى اذ لم ينالوا سعيه * فالناس أعداء له وخصوم
كضرائر الحسناء قلن لوجهها * حسدا وبغيا انه لدميم

(ابن المعتز) ومن عجب الايام بغى معاشر * غضاب على سبقى اذا أنا جاريت
يغيظهم فضلى عليهم ونقصهم * كانى قاسمت الحظوظ فأحظيت

(آخر) انى حسدت فزاد الله فى حسدى * لاعاش من كان يوما غير محسود
لا يحسد المرء الا من فضائله * بالعلم والحلم أو بالفضل والجود

﴿ومما يؤمر الكريم باجتنابه جار سوء ملاصق لجنابه﴾

عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول أعوذ بالله من جار سوء فى دار مقامه فان البادى يتحول (وكان) عمر رضى الله عنه يقول ثلاث كلهن فواقر صديق ان أسديت اليه عارفة لم يشكرها وان سمع كلمة لم يغفرها وجار ان رأى حسنة أخفاها وان عثر على سيئة أفشاها وامرأة ان أقمت عندها آذتك وان غبت عنها خانتك (وكان يقال) من جهد البلاء جار سوء معك فى دار مقامة يلبس لك من البغضاء لامة لا ينجع فيه عتب ولا يرعوى للملامة (ومن دعاء الأعمش) اللهم انى أعوذ بك من جار ترانى عيناه ويرعانى أذناه ان رأى خيرا دفنه وان سمع شرا أعلنه (وقال) لقمان لابنه يا بنى حملت الحجارة والحديد فلم أر شيأ أثقل من جار سوء فى دار مقامة * شاعر وقد عرض داره للبيع كراهة فى جاره

ألا من يشترى دارا برخص * كراهة بعض جيرتها تباع

(ولآخر) يلوموننى ان بعت بالرخص منزلى * ولم يعلموا جارا هناك ينغص
فقلت لهم كفوا الملام فانما * بجيرتها تغلو الديار وترخص

(وقال رجل) لسعيد بن العاص والله انى لأحبك قال ولم لا تحبنى ولست لى بجار ولا ابن عم (ويقال) فى التوراة أحسد الناس للعالم وأبغاهم عليه أقاربه وجيرانه (وقالوا) ألأم الناس سعيد لا تسعد به جيرانه ولا تسلم منه اخوانه (استعرض) أبو مسلم الخراسانى فرسا أهدى له فقال لاصحابه لم يصلح هذا فكل قال شيأ فبعضهم قال يصلح لان ينفى به العار بأخذ الوتر والثار وآخر يقول يصلح لمنازلة الاقيال ومناضلة الابطال وآخر يقول يصان عن أن يذال بالاحداق ليوم يحرز به قصب السباق فقال أبو مسلم كلكم أخطأت استه الحفرة وزاف نقده عند الامتحان والخبرة فقالوا ولماذا يصلح أيها الامير فقال لمن يجد فى الهرب والفرار من جار سوء يعدم بمسا كنته السكون والقرار (وقيل) لابى الاسود الدؤلى لم بعت دارك فقال ما بعت دارى وانما بعت جوارى (أنشدنى) أفضل الاماثل وأنبل الافاضل

من المائتى ذراع أو نحو ذلك كأن الرمى بالقسى واذا دنا القوم حتى تنالنا أو تنالهم الرماح كانت المداعسة بالرماح حتى تقصف فاذا تقصفت وضعناها وأخذ السيف فتقلده واستله فقال وكانت المجالدة بالسيوف قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا أنزلت الحرب من قاتل فليقاتل قتال عاصم (قال عتبة) ابن عبد السلمى أعطانى رسول الله صلى الله عليه وسلم سيفا قصيرا فقال ان لم تستطع أن تضرب به ضربا فاطعن به طعنا (قال) بعضهم ومن شرط السيف أن لا يسل الا عند الضرب به وان سل قبل ذلك أورث الجبن وليس فى السلاح ما يجب أن يحذر عند العمل به كالسيف فقد وجد كثير ممن عمل به بغير حذر ولا ذربة أصاب اذن فرسه أو عضده وربما أصاب اذن نفسه أو رجله فقطعها أو

ذوا العلم والعلم والسنان والقلم انسان عين الاعيان وزين أرباب البيان الامير ناصر الدين حسن عرف بابن النقيب الكنانى لنفسه يذم جاراله

لى جار شخصه * اكسير أوصاف المعايب * حسد الجيرة فيه
وعداوات الاقارب * ليته لم يعننى * لم يكن عون النوائب

﴿ الفصل الثالث من الباب السادس عشر ﴾
فيما نختم به الكتاب من دعاء نرجو أن يسمع ويجاب

(قال الله تعالى) قل ما يعبأ بكم ربى لولا دعاؤكم * وقال تعالى واذا سألك عبادى عنى فانى قريب أجيب دعوة الداع اذا دعان * وقال تعالى وقال ربكم ادعونى أستجب لكم (وقال) رسول الله صلى الله عليه وسلم الدعاء مخ العبادة * وقال عليه الصلاة والسلام استقبلوا أمواج البلاء بالدعاء * وقال عليه الصلاة والسلام ان الدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل فعليكم عباد الله بالدعاء (ولما كان) الدعاء فى الفضيلة بهذه المثابة استحب لمن وضع كتابا أن يختمه به كما بدأ بالتحميد كتابه فاستخرت الله تعالى وانتخبت من الأدعية التى صدرت عن صدور أهل الانابة وروت نفوس العباد منهل الاجابة وحذفت خوف التطويل أسانيدها ليسهل على الراغب فيها أن يدعو بها متى أحب ويعيدها (وأشرف الاوقات) التى يتكفل النجح فيها باجابة الدعوات أوقات اختارها الله لاداء ما افترض من الصلوات فاذا أراد امرؤ طلبته فليتضرع عقيب صلواته وتلو مناجاته لله بالاستكانة والخضوع ليرجع من توجهه وعرف القبول منه يضوع وليقل اللهم ارزقنى موجبات رحمتك وعزائم مغفرتك والغنيمة من كل بر والسلامة من كل اثم والفوز بالجنة والنجاة من النار اللهم لاتدع لى ذنبا الا غفرته ولا عيبا الا سترته ولا ضرا الا كشفته ولا سقما الا شفيته ولا رزقا الا بسطته ولا خوفا الا أمنته ولا سوأ الا صرفته ولا حاجة من حوائج الدنيا والآخرة لك فيها رضا ولى فيها اصلاح الا قضيتها برحمتك يا أرحم الراحمين (اللهم) انى أعوذ بك من دنيا تمنع خير الآخرة ومن عاجل يمنع خير الآجل ومن حياة تمنع خير الممات ومن أمل يمنع خير العمل وأسألك الظفر والسلامة ودخول دار المقامة (اللهم) لاتحرمنى سعة مغفرتك وسبوغ نعمتك وشمول عافيتك وجزيل عطائك ومنح مواهبك لسوء ما عندى ولا تخذلنى بقبيح عملى ولا تصرف وجهك الكريم عنى (اللهم) لاتحرمنى وأنا أدعوك ولا تخيبنى وأنا أرجوك (اللهم) انك تمحو ما تشاء وتثبت وعندك أم الكتاب اللهم ان كنت كتبتنى عندك فى أم الكتاب شقيا محروما مقترا على فى الرزق فامح من أم الكتاب شقائى واقتار رزقى وأثبتنى عندك سعيدا مرزوقا فانك تمحو ما تشاء وتثبت وعندك أم الكتاب (اللهم) هذا مقام اللائذ بجنابك العائذ بك من النار يا فارج الهم يا كاشف الغم يا مجيب دعوة المضطر يا رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما ارحمنى رحمة تغننى بها عمن سواك (اللهم) انى أدعوك بما دعاك به عبدك ذو النون اذ ذهب مغاضبا فظن أن لن نقدر عليه فنادى فى الظلمات أن لا اله الا أنت سبحانك انى كنت من الظالمين فاستجبت له ونجيته من ظلمات ثلاث ظلمة الخطيئة وظلمة البحر وظلمة بطن الحوت فانه دعاك وهو عبدك وسألك وهو عبدك وأنا أسألك وأنا عبدك وأدعوك وأنا عبدك أن تصلى على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد وأن تستجيب لى كما استجبت له وأدعوك بما دعاك به عبدك أيوب اذ قال مسنى الضر وأنت أرحم الراحمين فاستجبت له وكشفت ما به من ضر وآتيته أهله ومثلهم معهم رحمة من عندك فانه دعاك وهو عبدك وسألك وهو

عبدك

أثر فيها فينبغى للفارس أن يتمرن فى الضرب به حتى يخف عليه العمل به (وأما الرمح) فينبغى للفارس أن يخففه ما قدر فانه على الخفيف أقوى وله أضبط وبه أحكم وليكن بين الدقيق والغليظ قدر ما لا يعجز عنه الكف ولا تلتقى عليه الانامل فالتوسط هو المحمود بحسب قدر اليد والتمكن من ذلك (قلت) وأحكام العمل بالسلاح لايتساوى الناس فيه بل التفاوت بينهم فى ذلك شديد والتباين فيه بعيد فيجب على العاقل أن يشاهد من أهلها الاعمال ويحاضر بها الرجال ويأخذ بحظ من التمرن فيه مع من يراه أهلا لذلك ممن يصطفيه حتى يعرف كيفية الطعن والضرب والثقافة فى السلاح بالحرب ووجوه العمل فى الكر والفر والامتناع والدخول على المبارزين والخروج عنهم فى المطاعنة

عبدك وأناأسألك وأناعبدك وأدعوك وأناعبدك أن تصلى على سيدنا محمد وعلى آل
سيدنا محمد وان تفرج عني كما فرجت عنه وأن تستجيب لى كما استجبت له انك سميع الدعاء
(اللهم) انى أعوذ بك من نفس لاتشبع وقلب لايخشع وعلم لاينفع ودعاء لايسمع وعين
لاتدمع وصلاة لاترفع (اللهم) انى أسألك فى صلاتى وفى دعائى براءة تطهر بها قلبى وتؤمن
بها روعى وتكشف بها كربى وتغفر بها ذنبى وتصلح بها أمرى وتغنى بها فقرى
وتذهب بها ضرى وتفرج بها غمى وتسلى بها همى وتشفى بها سقمى وتقضى بها دينى
وتجلو بها حزنى وتجمع بها شملى وتبيض بها وجهى واجعل ماعندك خيرا لى (اللهم)
أصبح ظلمى مستجيرا بعفوك وذنبى مستجيرا بمغفرتك وخوفى مستجيرا بأمنك وفقرى
مستجيرا بغناك وضعفى مستجيرا بقوتك وذلى مستجيرا بعزك ووجهى الفانى البالى
مستجيرا بوجهك الدائم الباقى (اللهم) مقلب القلوب والأبصار ثبت قلبى على دينك
ولاتزغ قلبى بعد اذهديتنى وهب لى من لدنك رحمة انك أنت الوهاب (اللهم) صل على
سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد واجعلنى فى حفظك وكلاءتك وودائعك التى لاتضيع
واحفظنى من كل سوء ومن شر كل ذى شر واحرسنى من شر الشيطان الرجيم والسلطان
الملايم انك أشد بأسا وأشد تنكيلا (اللهم) ان كنت منزلا بأسا من بأسك أونقمة من
نقمك على أهل معصيتك بياتا وهم نائمون أوضحى وهم يلعبون فصل على سيدنا محمد
وعلى آل سيدنا محمد واجعلنى وأهلى فى كنفك ومنعك وحرزك (اللهم) ان هذين الليل
والنهار خلقان من خلقك فاعصمنى فيهما بحولك وقوتك ولاترهما منى جراءة على معصيتك
ولاركونا الى مخالفتك واجعل عملى فيهما مقبولا وسعيى مشكورا وسهل لى ما أخاف
عسره وصعب على أمره واقض لى فيهما بالحسنى وأمنى مكرك ولاتهتك عنى سترك ولا
تنسنى ذكرك (اللهم) صل وسلم على سيدنا محمد وآله وافتح مسامع قلبى لذكرك حتى
أعى وحيك وأتبع كتابك وأصدق رسلك وأومن بوعدك وأخاف وعيدك وأوفى بعهدك
وآخذ بأمرك ولاأجترئ على نهيك (اللهم) انى أستودعك نفسى ودينى ومالى وأهلى
وكل نعمة أنعمت بها على فاجعلنى اللهم فى كنفك وأمنك وكفايتك وكلاءتك وحفظك
ورعايتك وودائعك يامن لاتضيع ودائعه ولايخيب سائله ولاينفد ماعنده (اللهم) انى
أدرأبك فى نحور أعدائى وكيد من كادنى وبغى على (اللهم) انى أسألك رحمة من عندك
تهدى بها قلبى وتجمع بها شتات أمرى وتلم بها شعثى وتحفظ بها غائبى وتصلح بها شاهدى
وتزكى بها عملى وتلهمنى بها رشدى وتعصمنى بها من كل سوء (اللهم) وماقصرت عنه
مسئلتى ولم تبلغه أمنيتى من خير وعدته أحدا من خلقك فانى أرغب اليك فيه (اللهم) ياأبصر
الناظرين وياأسمع السامعين وياأسرع الحاسبين أغننى بالعلم وزينى بالحلم وأكرمنى
بالتقوى وجملنى بالعافية (اللهم) انى أسألك حسن الظن بك والصدق فى التوكل عليك
وأعوذ بك أن تبتلينى ببلية تحملنى ضرورتها على العبث بمعاصيك وأعوذ بك أن أقول قولا
حقا من طاعتك ألتمس به سواك وأعوذ بك أن تجعلنى عبرة لغيرى وأعوذ بك أن يكون
أحد أسعد بما آتيتنى منى وأعوذ بك ان أتكلف طلب مالم تقسمه لى وماقسمت لى من قسم
أو رزقتنى من رزق فأتنى به فى يسر وعافية حلالا طيبا وأعوذ بك من كل شئ يزحزحنى عن
بابك ويباعدنى وبينك أو ينقص حظى عندك أو يصرف وجهك الكريم عنى (اللهم)
دعاك الداعون ودعوتك وسألك السائلون وسألتك وطلبك الطالبون وطلبتك (اللهم)
أنت الثقة والرجاء واليك منتهى الرغبة والدعاء والشدة والرخاء (اللهم) وصل وسلم على
سيدنا محمد وآله واجعل اليقين فى قلبى والنور فى بصرى والنصيحة فى صدرى وذكرك على

والمصارع وملاحظة مواقع السهام
وأوقات الاقدام والاحجام
واستراق الارض فى المبارزة
واستدبار الشمس عند اللقاء
والمناجزة والمراوغة والعطف فى
القتال ودقائق ذلك ولواحقه
عند النزال وترصد غرة العدو فى
حال الحركة والهدو من التختل فى
تعطيل الرمح عليه أوملكه على
ربه أو رده اليه أوخلع عذار
الفرس أوقطع عنانه ليشتغل
الفارس بأمر فرسه وشأنه
فيتمكن منه فى الحين وتظهر
الفرصة فيه وتستبين ومن لم
يتمرن فى ذلك فلاتغره نفسه بأن
تسلك به هذه المسالك ففى معرفة
ذلك كله وامعان النظر فيه
يتفاضل الفرسان مع الاستثبات
وجرءة الجنان وشدة الحذر عند
منازعة الاقران ومنازلة الميدان
والله جل وعلا فى كل حال هو
المستعان (قال أبو الطيب المتنبى)

لسانى (اللهم) أنت العاصم والمانع ... سألك الرضا ... ما أقوى به على طاعتك وأبلغ ... واصبر ... دار السلام غدا (اللهم) لا ترزقنى رزقا يطغينى ولا تبتلنى بفقر يشقينى وأعطنى ... وافرا وفى الدنيا معاشا واسعا (اللهم) اليك مددت يدى وفيما عندك عظمت رغبتى ... توبتى وارحم ضعف قوتى واغفر خطيئتى واجعل لى فى كل خير نصيبا والى كل بر سبيلا (اللهم) اغفر لى كل ما سلف من ذنوبى واعصمنى فيما بقى من عمرى واردد على أسباب طاعتك واستعملنى بها واصرف عنى أسباب معصيتك وحل بينى و بينها (اللهم) أنت متعالى الشأن عظيم الجبروت شديد المحال ذو الكبرياء قادر قاهر قريب الرحمة سامع الصوت صادق الوعد وافى العهد مجيب المضطر قابل التوب محص لما خلقت تدرك ما طلبت شكور ان شكرت ذاكر ان ذكرت أسألك يا الهى محتاجا وأرغب اليك فقيرا والجأ اليك خائفا وأرجوك ناصرا اللهم ضعفت فلا قوة لى اللهم جئتك مسرعا على نفسى مقرا بسوء عملى (اللهم) خلقتنى وأمرتنى ونهيتنى ورغبتنى فى ثواب ما به أمرتنى ورهبتنى عقاب ما عنه نهيتنى وجعلت لى عدوا يكيدنى وسلطته على فاسكنته صدرى وأجريته مجرى الدم منى لا يغفل ان غفلت ولا ينسى ان نسيت يؤمننى عقابك ويخوفنى غيرك ان هممت بفاحشة شجعنى وان أردت صالحا ثبطنى ينصب لى حبائل الشهوات ان وعدنى كذبنى وان اتبعت هواه أضلنى ان لم تصرف عنى كيده يستزلنى وان لم تفلتنى من حبائله يصدنى فى ... تعصمنى منه يضلنى اللهم صل وسلم على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد واقهر سلطانه عنى بسلطانك عليه فأفوز مع المعصومين منه (اللهم) لا هادى لمن أضللت ولا مضل لمن هديت ولا مانع لما أعطيت ولا معطى لما منعت ولا قابض لما بسطت ولا باسط لما قبضت ولا مقدم لما أخرت ولا مؤخر لما قدمت (اللهم) أنت العليم فلا يجهل وأنت الحليم فلا يعجل وأنت الكريم فلا يبخل وأنت العزيز فلا يذل وأنت المنيع ولا يرام وأنت المجير فلا يضام اغفر لى ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت وما أنت أعلم به منى أنت المقدم وأنت المؤخر وأنت على كل شئ قدير وبالاجابة جدير لا اله الا أنت

(قال المقيد) لشوارد فوائد ما ذكر من الاضداد والمؤلف من غرائبها بين الاشباه والاضداد وعند ما تم كتابنا واتسق فى محاسنه بعد السرار وكاد من محاسنه يعلق بالبصائر دون الأبصار وتفجرت من خلال سطوره ينابيع الحكم وهم عبابها أن يفهق فيتم عما كتم وسفرت ألفاظه عن معان كأحسن ما ينشق عنه الكمائم وقامت نفثات بدائعه لصريع الهموم مقام الرقى والتمائم تقاضانى بوعدى اياه عند ابتدائه بأن أطلعه باهر العقول أوليائه وأعدائه فاستخرت الله تعالى الكريم وأمسكت من عنان القلم فى مضمار الاطناب وقصرت خطوه لعلمى أن السآمة مقرونة بالاكثار والاسهاب وجلوته فى حلل فنونه وفاء بعهده وانجاز الما سبق من وعده ما دام من صحائفه أكفاء يستأهل التغدبق عن سوء التلفيق ويدرأ بها شبهات من يرى أن بيده زمام التوفيق فهو يتصرف به على حكم اختياره ومراده ويبلغ غاية أمله بجياد سعيه واجتهاده والى الله أبرأ من الحول والقوة وأسأله أن يزحزحنى عن الوقوع فى هذه الهوة وأن يجعل هذا الكتاب للنفوس يجب ويروق ويجريه المحبة مجرى الدم فى العروق وأن يدخله جنات يجل وصفها وتفوق انه من راجيه قريب ولداعيه سميع مجيب آمين

﴿ تم طبع كتاب الفرق فى أواخر شهر ذى الحجة سنة ١٣١٨ هجريه ﴾
﴿ بالمطبعة الأدبية المصرية الكائنة بسوق الخضار القديم بمصر المحميه ﴾